جامعة الأزهر
كلية اللغات والترجمة
قسم اللغة العبرية وآدابها

النبي إلياهو
وأثره في الفكر الديني اليهودي

بحث مقدم من

سعيد عطية علي
المعيد بقسم اللغة العبرية وآدابها

لنيل درجة الماجستير (التخصص)
في اللغة العبرية وآدابها

إشراف

أ.د/ ألفت محمد جلال
أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر

دكتور/ عبد الرازق أحمد قنديل
أستاذ الأدب العبري المساعد
كلية اللغات والترجمة
جامعة الأزهر

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا سبحـــانك لا عـــلم لنـا إلا ما علمتنا

إنك أنت العليم الحـكيم

صدق الله العظيم

IN THE NAME OF ALLAH, THE BENEFICENT,
THE MERCIFUL

They Said : « Be glorified, we have no knowledge except that which YOU have taught us. Indeed YOU are the KNOWER, the WISE ».

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

إهداء

إلى من أنزل الله فيهما قرآنًا :

"وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"

"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا"

إلى والدي طيب الله ثراه ، وتغمده بواسع رحمته .

إلى والدتي الغالية ، أطال الله عمرها ، وأمتعها بوافر نعمته .

سعيد عطية علي

شكر وعرفـــان

وبعد فاننى اتقدم بوافر الشكر والعرفان بحسن التوجيه والرعاية التـــى حبتنى بهما الأستاذالدكتور/ ألفت محمد جلال أستاذ ورئيس قسم اللغة العبريـــة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية ،والتى كان لى شرف إتمام هذا البحث تحـــت إشرافها الدقيق وإرشاداتها الموفقة ،والتى لم تتوان عن توجيهى بالإرشـــادات والنصائح العلمية طوال العمل فى هذا البحث رغم علمى بضيق وقتها وكثـــرة مشاغلها .

وإذا كان الواجب يحتم على إعطاء كل ذى حق حقه،فلابد من أن أتوجه بشكرى وامتنانى للسيد الإستاذ الدكتور/ عبد الرازق أحمد قنديل أستاذ الأدب العبرى المساعد بقسم اللغة العبرية بكلية اللغات والترجمة الذى شارك فى الإشـــراف على هذا البحث لما قدمه من عون خالص،والذى كانت توجيهاته وملاحظاته منـــاراً استرشدت بهما فى إخراج هذا البحث على هذه الصورة التى لاأدعى لها الكمـــال ، فالكمال لله وحده،كما لايفوتنى أيضاً أن أوجه شكرى الخالص لزميلى وأخى السيد/ سامى محمود الإمام المدرس المساعد بالقسم على مابذله من وقت فى إخراج هـــذا البحث بخطه العبرى الجميل .

وحتى لاأنسى الأوفياء والمخلّصين الذين عاونونى ولو بكلمة حق وصدق،لهـــم منى الشكر الجزيل .

الباحـــــث

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة :	
الباب الأول	
عصر إلياهو	
تمهيد :	١
الفصل الأول : المملكة	٢ - ١٠٥
قيام المملكة وأثره	٢
المملكة الشمالية	٢٥
ناداب بن يربعام	٤١
بعشا بن آحيا	٤١
ايلاه بن بعشا	٤٤
زمرى	٤٤
عمرى	٤٥
تأسيس السامرة	٤٦
آحاب بن عمرى	٥٥
آحاب وعلاقاته الخارجية	٥٩
حرب أفيق	٦٩
حرب قرقر	٧١
حرب راموت جلعاد	٧٦
مكانة آحاب بين ملوك إسرائيل	٨٠
آحازيا	٨٨
النبى اليشع ومعارضته لبيت عمرى	٩٨
موت يورام ونهاية بيت عمرى	٩٩

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثانى : النبوة	١٠٦ - ٢١٠
النبوة الإسرائيلية وتطورها حتى عصر إلياهو	١٠٦
طابع النبوة الاسرائيلية بين التنبؤ والحديث الإلهى	١٢٦
وظيفة النبى الإسرائيلى	١٤٠
الأنبياء حتى عصر إلياهو	١٤٨
موسى والآباء	١٤٨
موسى والنبوة	١٥٤
النبوة فى عصر القضاة	١٦٤
بين القاضى والنبى	١٦٧
صموئيل النبى	١٦٩
بنو الأنبياء	١٧٤
ناثان	١٧٧
جاد	١٨١
أحيا الشيلونى	١٨٢
شمعيا رجل الله	١٨٣
عدو النبى	١٨٤
عزرياهو بن عوديد	١٨٤
حنانى الرائى	١٨٥
ياهو بن حنانى	١٨٥
اليعازر بن دود اواهو	١٨٦
أنبياء عهد آحاب	١٨٦
رجل من بنى الأنبياء	١٨٧
ميخا بن يملة	١٨٧

الموضوع	رقم الصفحة
موقف حكماء التلمود من قصة ميخا وأنبياء الكذب	١٩١
النبوة عند فقهاء اليهود	١٩٦
رأى يهوذا هاللليفى فى النبوة	١٩٧
الشروط الطبيعية للنبوة عند هاللليفى	١٩٩
رأى موسى بن ميمون فى النبوة	٢٠١
ماهية النبوة فى رأى ابن ميمون	٢٠٦
مراتب النبوة فى رأى ابن ميمون	٢٠٧
الباب الثانى	
إلياهو النبى وأثره فى الفكر الدينى اليهودى	
تمهيد :	٢١١
الفصل الاول : شخصية إلياهو ودعوته النبوية	٢١٢ - ٤٠٣
إلياهو النبى	٢١٢
السمات الخاصة لشخصيته	٢١٣
أفكاره ورسالته	٢٢٥
بعل وعشتر	٢٢٩
دعوة إلياهو النبى وحربه ضد عبادة بعل	٢٤١
إلياهو ومعجزة الجفاف	٢٤٥
إلياهو ومعجزة المطر	٢٦٨
المواجهة بين إلياهو والشعب	٢٨٥
سخرية إلياهو من أنبياء بعل	٢٩٢
تقييم عمل إلياهو	٣١٧
تطور النبوة عند إلياهو	٣٣٠

www.al-maktabeh
مكتبة المهتدين

الموضوع	رقم الصفحة
قصة إلياهو فى حوريب	٣٣٠
قصة كرم نابوت اليزرعئيلى	٣٦٠
انتقال إلياهو إلى السماء	٣٦٩
رؤية نقدية لقصص إلياهو	٣٧٧
الفصل الثانى: إلياهو النبى فى الفكر الدينى اليهودى	٤٠٤ - ٤٧٧
إلياهو فى طقوس الختان	٤٠٤
طقوس الختان	٤١٣
كرسى إلياهو	٤١٦
الياهو فى طقوس الفصح	٤١٩
طقوس الفصح	٤٣١
كأس إلياهو	٤٣٥
فتح الباب لإلياهو النبى	٤٤٧
إلياهو المبشر بالمسيح المنتظر	٤٥٠
إلياهو فى طقوس السبت	٤٦٢
الباب الثالث	
إلياهو النبى فى الفولكلور اليهودى	
تمهيد :	٤٧٨
الفصل الاول : إلياهو فى الفولكلور اليهودى	٤٧٩ - ٥٨٠
الفولكلور اليهودى وإلياهو النبى	٤٨٧
إلياهو.. النموذج الأصيل لشخصية البطل اليهودى	٤٩٣
الموتيفات الرئيسية لشخصية إلياهو الفولكلورى	٤٩٧

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحـــــة
الفصل الثانى : إلياهو النبى - دراسة مقارنة	٥٨١ - ٦١٧
التشابه بين إلياس والخضر عليهما السلام	٥٨٧
الإسرائيليات فى قصة إلياس عليه السلام	٦٠٣
إلياس وعقيدة المهدى	٦١٢
يهودية الرجعة وتسربها الى الشيعة	٦١٤
الخاتمـــــــة :	٦١٨ - ٦٢١
المراجـــــع :	
المراجع العربيـــة	٦٢٢ - ٦٢٨
المراجع العبريـــة	٦٢٩ - ٦٣٣
المراجع الأجنبيـــة	٦٣٤ - ٦٣٧

* * *

المقدمة

كان للأحداث التاريخية والدينية لبنى إسرائيل على مر عصورهم المختلفة دورها الحاسم فى تقرير قواعد وأصول الديانة اليهودية والعودة بها فى كثير من الأحيان إلى أصولها الأولى التى تلقاها بنو إسرائيل عن موسى فى مواجهة ماطرأ على المجتمع الإسرائيلى من تغييرات سياسية واجتماعية نتيجة لدخول عبادات رفضتها اليهودية منذ الوهلة الأولى وهى عبادة الأصنام ووثنية الشعوب المجاورة ، ولذا كان لابد أن يصاحب محاربة تلك العبادات الأجنبية ظهور شخصيات لامعة ترقى إلى منزلة النبوة ، وتقود الشعب قيادة سياسية ودينية بهدف حرب الوثنيين وآلهتهم .. ومن هنا كان اختيارى لموضوع هذا البحث يكاد ينحصر فى الوقوف على الوضع الدينى اليهودى فى ظل المملكة الإسرائيلية فى عهد آحاب والتى بدأ الضعف يتسرب إليها .. وما أحدثته شخصية النبى إلياهو موضوع هذا البحث من تطور فى الفكر الاجتماعى والدينى والسياسى فى نفس الوقت ، فقد تزعم إلياهو محاربة آلهة بعل ، والتى كان الوثنيون يجعلونها فى درجة مقارنة مع يهوه .. وهو فى نفس الوقت حارب التدخل الأجنبى بكل صوره .. ولكى يستكمل البحث أركانه الكاملة رأيت أن أقسمه إلى أبواب ثلاثة :

الباب الأول : وعنوانه " عصر إلياهو " :

وهو باب تمهيدى ومدخل لابد منه إلى الدخول فى أغوار الفكر الدينى اليهودى قبل وبعد عصر إلياهو وقد قسمت هذا الباب إلى فصلين :

الفصل الأول : وعنوانه " المملكة " :

تحدثت فيه عن تاريخ بنى إسرائيل منذ المملكة والظروف التى صاحبت انقسامها ، وحتى العصر الذى عاش فيه إلياهو النبى ، وقد راعيت فيه قدر المستطاع التسلسل الزمنى ، كما فصلت بين أحداث المملكتين الشمالية والجنوبية مع التركيز على أحداث المملكة الشمالية والتى شهدت نشاط إلياهو ودعوته ، وذلك من منطلق الوصول إلى تصور كامل عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التى عاصرها إلياهو وعاش فيها .

وقد أفادت هذه الدراسة كثيراً فى تفسير كثير من الأعمال التى قام بها إلياهو فى تلك الفترة ، وألقت الضوء على أسلوبه ومنهجه فى العمل .

الفصل الثانى . وقد جعلت عنوان هذا الفصل " النبوة " :

إذ تحدثت فيه عن النبوة فى إسرائيل وتطورها حتى عصر إلياهو فتناولت العلاقة بين التنبؤ الاكستازى والنبوة الإسرائيلية ومفهومها ، والوظائف التى يضطلع بها نبى بنى إسرائيل كما حددها الفكر الدينى اليهودى ، وآثرت أن أعرض لآراء اثنين من مفكرى وفلاسفة اليهود فى العصر الوسيط حول النبوة ومفهومها وتطورها حتى نقف على إجابة السؤال : هل كانت هذه النبوة التى عاشها إلياهو استمراراً للنبوة الإسرائيلية التى حمل لواءها موسى عليه السلام أم أنه قد أضاف فكراً جديداً إليها سواء كان هذا الفكر فى الأسلوب أو المضمون. وأحب أن أشير هنا إلى اننى عند البدء فى كتابة هذا الفصل قد قوبلت ببعض المصطلحات الأجنبية التى قد لاتعطى الترجمة العربية لها المعانى الكافيه والتوضيح الواجب لتلك المصطلحات ، ومن هنا آثرت أن استخدم تلك المصطلحات والتعبيرات كما هى فى لغتها الأجنبية مع التنويه إلى شرحها وتبسيطها فى هوامش الصفحات قدر الإمكان ، أما فى متن البحث فقد استخدمت المصطلح الأجنبى كما هو .. وننتقل بعد ذلك إلى :

الباب الثانى : وموضوعه " إلياهو النبى وأثره فى الفكر الدينى اليهودى :

وقد قسمت هذا الباب بدوره إلى فصلين أيضاً :

الفصل الأول : وعنوانه " شخصية إلياهو ودعوته النبوية :

وقد تناولت فيه ماورد عن إلياهو من قصص فى العهد القديم وقمت بدراستها دراسة تحليلية بشقيها التاريخى والأدبى ملتزماً بالترتيب التاريخى للأحداث التى وردت فى هذه القصص مع الإشارة إلى الأحوال الاجتماعية ومدى تفاعلها مع الأحداث المعاصرة ، وقد حاولت ابراز الجانب الدرامى لهذه القصص حتى يمكن استخلاص تطور الشكل الفنى فيها وهل جاء ليخدم مفهوم الدعوة، ومفهوم الايمان أم كان يعنى بتكنيك القصة وفنيتها .

ونظراً لإيمان جمهور اليهود انه من الضرورى تناول شخصية إلياهو طبقاً لما ورد عنها فى نصوص التلمود حتى يمكن الوقوف على ماقد يكون قد أحدثه حكماء التلمود من تغييرات فى فكر شخصية إلياهو عما كانت عليه فى العهد القديم . وباستقراء هذه النصوص يمكن القول ان الفكر الدينى اليهودى كما ورد على لسان حكماء التلمود وكما جاء فى كتب التصوف اليهودى يعتبر إلياهو من الأمور الغيبية حيث رفعوه إلى درجة المقارنة بموسى ، بل انهم جعلوه هو النبى الوحيد من أنبياء بنى إسرائيل الذى يصل إلى درجة المساواة مع النبى موسى عليه السلام ولذا كان لابد من الإشارة إلى مايراه الفكر الدينى اليهودى من أسباب منطقية ترفعه إلى هذه الدرجة .

أما الفصل الثانى من هذا الباب فقد جعلته للحديث عن " إلياهو فى الفكر الدينى اليهودى "

وقد سبق ان قلت ان هذا الفكر يعتبر إلياهو من الغيبيات ، وقد اتخذ التفكير فى تلك الغيبيات اتجاهين محددين هما نهاية العالم والخلاص على يد المسيح المخلص ، ونظراً لأن فكرة انتظار المخلص كانت تقترن فى فكر اليهود بفكرة تجديد العهد مع الرب لذا ربط اليهود بين إلياهو النبى (ملاك العهد كما ورد فى ملاخى ٣/١) وفكرة الختان التى كانت هى علامة العهد بين الرب وأبراهام ، ومن هنا برز دور إلياهو فى التبشير بهذا المسيح المخلص ، واعتاد اليهود بعد ذلك ان ينتظروا مجئ إلياهو ونزوله من السماء عند اقامة حفل ختان لأى طفل يهودى أو بمعنى آخر عند تجديد العهد مع الرب فى صورة هذا الختان دون التقيد بزمان ومكان نزول إلياهو لحضور تجديد هذا العهد . وكما كان لإلياهو دور فى هذا التجديد كان له أيضاً دوراً فى طقوس دينية أخرى أبرزتها فى هذا الفصل كما فى طقوس الفصح والسبت مع توضيح دوره فى التبشير بالمسيح المخلص .

نأتى بعد ذلك الى ختام أبواب هذا البحث وهو :

الباب الثالث : والذى خصصته للحديث عن إلياهو النبى فى الفولكلور اليهودى :

وهو يتضمن أيضاً فصلين ،جعلت الفصل الأول فيه للحديث عن إلياهو فى الفولكلور اليهودى . وقد بدأت بالتعريف بالفولكلور بصفة عامة،تناولت الفولكلور

اليهودى بصفة خاصة ، وعما إذا كان هناك تراث شعبى أو مأثورات شعبية خاصة باليهود أنفسهم أم أن ماوصل إليهم من هذه المأثورات الشعبية كان نقلاً عن حكايات ومأثورات الشعوب المجاورة سواء كان هذا النقل مباشر أو غير مباشر ويمكن القول ان المأثورات التى تتعلق بشخصية إلياهو فى الفكر الشعبى اليهودى لايمكن الجزم بانها منقولة عن مأثورات شعبية أجنبية ، نقلاً مباشراً ، انما يمكن تصنيفها فى اطار هذا النوع من الحكايات الشعبية المعروفة فى الآداب العالمية والتى تكون مهمة البطل فيها منحازة الى جمهور الشعب وإلى جانب عمل الخير ومناصرة الضعفاء والدعوة إلى الفضيلة ، ونظراً لما تمتعت به شخصية إلياهو فى الأدب الشعبى اليهودى فقد اهتم اليهود فى العصر الحديث بعقد العديد من المؤتمرات للدراسات الفولكلورية اليهودية ،كانت للأبحاث التى تدور حول شخصية إلياهو نصيب الأسد فى هذه المؤتمرات ، ولذا راعيت فى هذا الفصل أن أقدم بعض الموتيفات التى تضمنتها الحكايات عنه ، فى محاولة للوقوف على مصدر هذه الموتيفات ، وعما إذا كانت تعود إلى أصول توراتية وتلمودية أم انها موتيفات فلكلورية عامة فى آداب أخرى لاتخص شخصية إلياهو فقط ، ثم عقدت فى نهاية هذا الفصل مقارنة أبرزت فيها الفروق بين إلياهو كما ورد فى العهد القديم وماورد عنه فى التراث الشعبى .

أما الفصل الثانى فى هذا الباب فقد آثرت أن أجعله فصلاً مقارناً بين الفكرين الإسلامى واليهودى ولذلك جعلت عنوانه " إلياهو النبى - دراسة مقارنة " ، وقد عرضت فى هذا الفصل لآراء الباحثين والمفسرين حول شخصية إلياهو ومايقابلها من الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ، وهما إلياس والخضر عليهما السلام طبقاً لآراء أغلبية المفسرين والمفكرين المسلمين .

ونستطيع أن نتبين مماورد فى التفاسير الإسلامية وماجاء فى قصص الأنبياء ان البعض قد ربط بين إلياهو كشخصية نبوية وإلياس عليه السلام ، كما ربط البعض الآخر بين إلياهو كشخصية فلكلورية ، وشخصية الخضر عليه السلام ..... وان كانت هذه الآراء لاترقى إلى مرتبة اليقين رغم تشابه بعض الأحداث والظروف التى ربما عاصرتها أى من الشخصيتين .

وقد انـــهيت هذا البحث بخاتمة تتضمن أهم ما أمكن التوصل إليه من نتائـــج أرجو أن أكون قد وفقت إليها ، وحسبى اننى اجتهدت فان كنت قد أصبت فذلك فضـــل من الله وإن كانت الأخرى فحسبى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " مـــن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد "

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبالله التوفيـــق ؛

البَابُ الأول

عصر إليَاهو

١- تمهيد

٢- الفصل الأول : المملكة

٣- الفصل الثانى : النبوة

تمهيـــــد

أحداث التاريخ سلسلة مترابطة ، تتوقف نتائجها على مقدماتها وماسبقها من أحداث ، ومسرح الأحداث زمنياً بالنسبة لإلياهو كان عصر آحاب فى المملكة الشمالية التى يعتبر أهم ملوكها،كما كان سليمان اهم ملوك المملكة الإسرائيلية بصفة عامة . ومن هذا المنطلق كان لابد من القاء الضوء على الأحداث التى سبقت عصر إلياهو فى المملكة الشمالية خاصة ، وكان لها تأثيرها الواضح فيما حدث من تغييرات سواء فى بنية المجتمع الإسرائيلى نفسه ، أو فى فكره الدينى ، إذ ساد هذا العصر تيار من الانحلال الخلقى والاجتماعى أدى إلى انحلال بنى إسرائيل دينياً واجتماعياً كما أجمعت على ذلك المصادر كلها ، ففى عصر آحاب تزايد الميل نحو التسامح والتساهل فى الدين واستيعاب الافكار الدينية الأجنبية . وقد أدى الاختلاط الشديد - إن لم يكن الاندماج - للعناصر الإسرائيلية بغير الإسرائيلية إلى انتشار المعبودات والممارسات الدينية الفينيقية ، وساعد على ذلك بصفة خاصة الزواج بغير الإسرائيليات ، وأبرز مثال على ذلك هو آحاب نفسه الذى تزوج من ايزابل ابنة ملك صور . وهذا المثال فى الوقت نفسه يعتبر عاملاً مهماً فى تثبيت صحة هذا التطور واعطائه الطابع الرسمى سواء فى هذا العصر أو ماتلاه من عصور .

وقد تطلب توضيح نبوة إلياهو ودعوته الدينية التعرض لمفهوم الوعى النبوى وخصائص ووظيفة النبى الإسرائيلى بالنسبة لشخصيات دينية أخرى مثل " الرائى " و " الحازى " ، والوقوف على مكوناتهم الروحية ، وذلك لتحديد ماقد يشترك أو تختلف فيه هذه الشخصيات الدينية وإلى أى منهما يمكن أن ينضم إلياهو.

الفصل الاول
المملكة

قيام المملكة وأثره :

كان المجتمع الإسرائيلى قبل عصر إلياهو بفترة طويلة مزيجاً من المستوطنين أهل البلاد الأصليين ، ومن القبائل الرعوية التى كانت تعتمد فى حياتها على الحل والترحال ثم انتهى بها المطاف الى الاستيطان بفلسطين ، وفى سبيل هذا الاستيطان ارتكبت هذه القبائل الرعوية كثيراً من الفظائع ، مع المستوطنين من أهل البلاد الأصليين ، والتى استمرت حتى ظهور الملكية ، وقد لعبت هذه الملكية دوراً كبيراً فى تجميع تلك القبائل واندماجها مع أهل البلاد ، الأمر الذى أدى بدوره إلى الحفاظ على المعتقدات الإسرائيلية القائمة فى ذلك الوقت ، والحفاظ كذلك على ماوجد من تراث ينسب للآباء ، اذ أبعدت عنه شبح الضياع وسط الثقافات الوثنية المحيطة به ، وبذلك أعطت الملكية لرعاياها مفهوماً جديداً أكثر عمقاً لحياتهم الروحية والعقائدية . ولم يتوقف دور المملكة عند تجميع القبائل المتجولة وتوحيدها ، بل تعدت ذلك إلى التوسع بالاستيلاء على مراكز العبادة الكنعانية القائمة ، وتحويلها إلى مراكز لعبادة إله إسرائيل ، وصبغها بطقوس إسرائيلية ، حيث أصبح الملك رمزاً إلى وحدة أسباط بنى إسرائيل وقائماً مقام الإله القومى لهم (١).

وقد بدأت المملكة " بشاؤل שָׁאוּל[ת] "(٢) (١٠٢٧ - ١٠٠٧ ق . م تقريباً)

---

١) ש.ל.גרדון, נְבִיאִים רִאשׁוֹנִים עִם בֹּאוֹר חָדָשׁ וְצִיּוּרִים רַבִּים, סֵפֶר מְלָכִים א', ב', הוֹצָאַת ש.ל.גרדון, ת"ת"א, 1947, עמ' IX.

٢) שָׁאוּל[ת] - شاؤل : ١٠٢٧ - ١٠٠٧ ق.م تقريباً - وهو أول ملوك إسرائيل، ينتسب لقبيلة بنيامين ، قام صموئيل بتعيينه ملكاً فحارب الفلسطينيين، ولكنه فشل فى صدهم ، ولم يبد العمالقة حسب أمر الرب فرذله . وقام صموئيل بتعيين داود بدلاً منه . ويختلف الباحثون فى تحديد تاريخ حكمه ، فهناك من يقول انه ملك أربعين سنة (١٠٩٥ - ١٠٥٥).
انظر : د. سمعان كلهون : مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس . بيروت . طبعة سابعة ١٩٣٧ . ص ٩٩ .

ثم أعقبه داود דָּוִד " (١٠٠٧ - ٩٦٧ ق.م تقريباً)[١]، وفى عهدهما شهد المجتمع الإسرائيلى اهتماماً كبيراً بدين " يهوه : יְהוָה "[٢]، تمثل فى نقل

---

١) ويمكن تحديد سنوات حكم داود بالسنوات ١٠١٠ - ٩٧٠ ق.م أو بالسنوات ١٠٠٧ - ٩٦٧ ق.م -وفقاً لرأى "ש. ,,בין - يابين " ويحتمل أنه فى هذه السنوات الثلاثة حكم داود وسليمان تحت تاج واحد . ويقول " سايروس جوردون" " ان الإسرائيليين الشماليين حولوا ولائهم إلى داود وأقاموا معه عهداً ومسحوه بالزيت " ، ويقارن وضع داود هنا بوضع الحاكم السومرى. فكلاهما ادّعى انه الراعى الذى يرعى " قطيع الله الإنسانى " فالله هو الحاكم الرسمى ، والحاكم الإنسانى للدولة هو نائب الله الذى يحكم باسم الله ".. انظر : לפסיקון מקראי, ע"מ 221.
انظر : د. محمد خليفة حسن أحمد : خصائص الديانة اليهودية فى ضوء مقارنتها بالديانة السامية القديمة . كلية الآداب - قسم اللغات الشرقية . جامعة القاهرة . سنة ١٩٨١ . ص ١٠ .

٢) :"יְהוָה :" يهوه " : وهو اسم من أسماء الله عند اليهود (راجع خروج ١٧ : ١٥) . ولفظة " يهوه " هى فعل المضارع من הָיָה أو הָוָה ومعناه كان ، أو حدث ، أو وجد. وبعبارة أخرى: هو الذى كان ، والذى أعلن ذاته وصفاته" (راجع خروج ٣ : ١٣ - ١٥) . ويشير مصدر من مصادر العهد القديم (الكهنوتى) أن الإله لم يكن معروفاً باسم " يهوه " قبل موسى " וָאֵרָא אֶל-אַבְרָהָם אֶל-יִצְחָק וְאֶל-יַעֲקֹב בְּאֵל שַׁדָּי וּשְׁמִי יְהוָה לֹא נוֹדַעְתִּי לָהֶם - ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب باسمى الإله القادر على كل شئ وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم "(خروج ٦ : ٣) . بينما يشير مصدر آخر (اليهوى) أن يهوه كان معروفاً لدى العبريين قبل موسى من عهود سحيقة (راجع: التكوين ٤ : ٢٦)، هذا ويرى بعض الباحثين ان الاسم " يهوه " عربى ، ومما يدعم هذا الرأى أن يهوه أول ماعرف ،عرف فى شبه جزيرة سيناء فى الجزء المتاخم لشمال الجزيرة العربية ، وفى أماكن متاخمة لهذه المنطقة ... ويذهب البعض ان الاسم مشتق من الفعل " هوى הָוָה " بمعنى "سقط" أى أن "يهوه" هو المسقط للمطر والصواعق ، ويربطون معنى هذا الاشتقاق بالصفات التى عرفت عن يهوه كإله العواصف والبروق والقوى الطبيعية . ويذكر الاستاذ عباس العقاد ان الاسم " يهوه " لايعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب " ياهو " لأن موسى علّم بنى إسرائيل أن يتقوا ذكراه توقيراً له ... ==

" تابوت العهد : אֲרוֹן הַבְּרִית "[1] إلى العاصمة الجديدة " أورشليم ירושלים " ، التى كان داود قد استولى عليها من اليبوسيين[2] وحصنها

=) انظر : عباس العقاد : " الله " ، ص ١١٣
وانظر أيضاً : د . محمد بحر عبد المجيد : اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧ ، ٨ ، ٩ .
وانظر : قاموس الكتاب المقدس ، من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت باشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط ، سنة ١٩٨١ ، ص ١٠٩٦ .

١) אֲרוֹן הַבְּרִית : تابوت العهد ، واسمه كاملاً : אֲרוֹן בְּרִית יְהוָה צְבָאוֹת יוֹשֵׁב הַכְּרֻבִים راجع صموئيل الأول ٤ : ٤ واطلق عليه ايضاً : הָאָרוֹן ,אֲרוֹן הָאֱלֹהִים ,ארון יהוה ,ארון העדות .
وهو صندوق صنعه موسى بأمر ربه ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وارتفاعه ذراع ونصف ، وكان مصنوعاً من خشب السنط ، ومغشى بصفائح ذهب نقى من داخل ومن خارج ، ويحيط برأسه أكليل من ذهب فوقه غطاء من ذهب نقى وفوق كل طرف من الغطاء كروب من ذهب لعصوى التابوت المصفحتين بالذهب لحمل التابوت ، وكان المنوط بحراسته وحمله " بنوقهات בְּנֵי קְהָת " من اللاويين (راجع العدد ٣ : ٢٩ - ٣١) وحسب رؤية العهد القديم للتابوت : انه كان يحتوى على وعاء المن ، وعصا هارون التى أفرخت ، ولوحا العهد ، وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة باصبع الله (راجع الخروج ٢٥ : ١٦ و ٢١)
انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 74 .

٢) הַיְבוּסִים : اليبوسيون : اسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس أو أورشليم والجبال التى حولها فى أيام " يشوع " (راجع التثنية ٧ : ١ و ٢٠ : ١٧) وقد هزمهم " يشوع " وأعطى أرضهم لبنيامين ، ولكن اليبوسيين لم يسلموا قلعتهم بسبب ثباتهم وجلدهم ، بل سكنوا مع بنى يهوذا وبنيامين (راجع يشوع ١٥ : ٦٣ وقضاة ١ : ٢١) . وقد ظلوا محتفظين بحق صهيون إلى أيام داود ، ومع ان داود أخذ حصنهم وجعله جزءاً من عاصمة ملكه ، يظهر انه لم يطردهم تماماً (راجع صموئيل الثانى ٥ : ٦ و ٨ و ٩) : فبقى بعضهم فى المدينة بعد ما استولى عليها داود ، منهم أورنة اليبوسى (٢ صموئيل ٢٤ : ١٦ - ٢٥) الذى اشترى داود بيدره منه ، حيث بنى الهيكل بعد حين . وكان موضع يبوس منحصراً بالجبل الجنوبى الشرقى ، الذى دعى بعد ذلك " صهيون " أو " مدينة داود " .
انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٥٢ ، ١٠٥٣

حتى صارت ذات موقع استراتيجى ... وقد وضح فى عهد داود اتفاق سلوك الكهنة الدينى مع سياسة الملك مما أدى إلى تمتع المجتمع الإسرائيلى بفترة سلام اجتماعى، وبمزيد اهتمام بالنواحى الدينية حيث شهدت المملكة ازدهاراً دينياً(١)، ربما لم تشهده من قبل ، ولعل هذا جعل بعض المؤرخين يصفها بانها فترة الازدهار الوحيدة التى قدر للشعب الإسرائيلى أن يعرفها (٢). وهكذا خطا الاتجاه إلى مركزة العقيدة أولى خطواته المتواضعة (٣).

وإذا انتقلنا إلى عصر سليمان שְׁלֹמֹה (حوالى ٩٦٧ - ٩٣٠ ق.م) نجد أنه قد قام بتقسيم المملكة إلى اثنى عشر قسماً اداريا ، وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود بيوت الأسباط الاثنى عشر ، وكان هدفه من ذلك أن يخلص الأسباط ممايسود بيئتهم من نزعة انفصالية ليحقق بهم قيام شعب واحد ، غير أنه لم يوفق فى هذا لطبيعتهم الإنفصالية التى تعودوها (٤).

ويعتقد البعض ان عملية التقسيم هذه كانت موجودة فى عهد داود ، وأن سليمان بما عرف عنه من تشدد وصرامة بصدد تنفيذ التزامات كل قسم تجاه الملك وبلاطه ، هو الذى أظهر هذه التقسيمات ، وجعل البعض يعتقدون أنها من عمله . ويستثنى آخرون سبط يهوذا من دائرة السيطرة التى كانت لسليمان على هذه الأقسام وحجتهم فى ذلك أن هذا السبط لم يكن ملتزماً بإمداد الملك بالتموين.

---

١) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر . راجعه د. محمد القصاص . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة سنة ١٩٥٧ . ص ١٥٠ .

٢) د. أحمد شلبى . اليهودية . الطبعة الخامسة مكتبة النهضة . القاهرة سنة ١٩٧٨ . ص ٨٠ .

٣) د. محمد خليفة حسن احمد : خصائص الديانة اليهودية فى ضوء مقارنتها بالديانة السامية القديمة. حوليات كلية الأداب . قسم اللغات الشرقية . جامعة القاهرة سنة ١٩٨١ ص ١١ .

٤) راجع الملوك الأول الإصحاح الرابع .

كبقية الأسباط مما جعل له امتيازات وحريات أكثر[١].

هذا ومن المعروف أن سليمان كان ملكاً يميل إلى الاتصال بالمجتمعات الخارجية وإقامة علاقات مختلفة معها سواء أكانت علاقات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية ، وقد أدى ذلك إلى وفود ثقافات خارجية قد لاتتوائم فى جوهرها مع ماعرف عن القبائل العبرية القديمة من بساطة وتمسك بفكر وتراث الآباء ، والابتعاد عن أية مؤثرات خارجية . ويعلل "جوردون" رغبة "سليمان" فى قيام صلات بالمجتمعات الخارجية إلى أنه كان يتطلع إلى حياة يسودها الترف غير مكترث بما قد يخالف طبيعة مجتمعه[٢]. ويبدو أن هذه السياسة التى انتهجها "سليمان" كانت تجد معارضة من بعض زعماء اليهود فى ذلك الوقت[٣]. وقد امتاز "سليمان" بالحكمة فقد رأى فى بدء حكمه حلماً ، سأله فيه الله عما يطلب ، فلم يطلب غنى ولا عظمة ولا أجل طويل ، بل طلب الحكمة[٤]. وقد أعطاها له الله ، وقد ظهرت حكمته فى ذهابه إلى المذبح الذى بناه موسى فى البرية وذبح ألف محرقة هناك[٥]. كما ظهرت حكمته فى الحكم بين السيدتين المتنازعتين على الطفل الحى[٦].

هذا ويذكر العهد القديم انه عند منتصف أيام حكم الملك "سليمان" زارته ملكة سبا بعد أن سمعت عن حكمته ، فأراها "سليمان" عاصمة ملكه وأبنيته ونظام حكمه ، فأدهشها هذا جداً حتى لم يبق فيها روح بعد ، ثم قامت بتقديم الهدايا العظيمة له[٧].

---

١) א. מלמט, ח, תדמור, מ. שטרן, "תולדות עם ישראל" ש. ספראי. ח, ה, בן שושן, ש. אטינגר. כרך ראשון, הוצאת דביר. תל-אביב 1969, עמ' 106.

٢) ש.ל. גרדון: נביאים ראשונים עם באור חדש וציורים רבים עמ' א١.

٣) Ricciotti,S.,: The History of Israel.Vol.1 U.S.A.,1955, P. 308.

٤) راجع الملوك الأول ٣ : ٥ - ٩

٥) راجع الملوك الأول ٣ : ٤

٦) راجع الملوك الأول ٣ : ١٦ - ٢٨

٧) راجع الملوك الأول الاصحاح العاشر .

وأما عن سلبيات "سليمان" فأهمها كما يذكر المؤرخون هو قبوله لأشكال من العبادات الخارجية الغريبة على الفكر الديني الإسرائيلي ، نتج عنه صراع بين الولاء السياسي ، والولاء الديني للعبادة اليهودية ، وكان من نتيجة ذلك كله بداية حدوث أزمة سياسية دينية بصرف النظر عما قام به "سليمان" من تقديم كل امكانياته للإرتفاع بدين يهوه وبناءه أول هيكل له (١). على ان الحكم على شخصية "سليمان" لايجب أن يتوقف عند سلبياته بقبوله عبادات خارجية تغلغلت في المجتمع الإسرائيلي ، بل يجب أن ينظر إلى عهده نظره شاملة يتم التقييم من خلالها (٢).

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن عهد سليمان كان عهد سلام بحق (٣). ففي فترة

---

١) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة . ص ١٥٠
ويطلق على الهيكل הֵיכָל ايضا عدة أسماء منها " בֵּית יְהוָה "
(راجع الملوك الأول ٦ : ٣٧) ، " ومعبد "سليمان" מִקְדָּשׁ שְׁלֹמֹה "، و " הֵיכָל יְהוָה " وهيكل يهوه " (راجع صموئيل الاول ٣ : ٣)ويبدو ان كلمة "هيكل قد جاءت من الأكادية " " المأخوذة عن السومرية
انظر : לבסיקון מקראי, עמ' 250.
وراجع ص (١١ - ١٢) عند الحديث عن الهيكل بالتفصيل .

٢) من المعروف ان شخصية "سليمان" في التاريخ والفكر الديني الإسرائيلي هي شخصية ملكية ، بينما نجد أن "سليمان في" الفكر الديني الإسلامي شخصية نبوية ، الأمر الذي يجعلنا نتحفظ كثيراً على ما أثير حول شخصية "سليمان" في التاريخ اليهودي من أعمال وأفعال لاتتفق اطلاقا مع شخصية خصها الله سبحانه وتعالى بخصائص النبوة والحكمة وحديث الطير . وليس هنا مكاناً للتوسع في المقارنة بين الشخصيتين ، وانما مجرد تحفظ من الباحث عما يثار حول شخصية "سليمان".

٣) ويعني سليمان שְׁלֹמֹה في اللغه العبريه " رجل سلام " وقد أحب "داود" "سليمان" لأنه كان ابن زوجته المفضلة ، وأطلق عليه اسم "سليمان" متمنياً له سلاماً بلا حرب ، ولكن الله أعطاه اسم "يديديا" יְדִידְיָה אי محبوب يهوه (راجع : ٢ صموئيل ١٢ : ٢٤ و ٢٥)
" انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨١ "

حكمه الطويلة بدأت تزدهر أورشليم ، حيث زادت ثروتها وتضاعفت بفضل اهتمام "سليمان" حتى جعلها من أنشط الأسواق التجارية فى ذلك الوقت ، يضاف إلى ذلك ان "سليمان" قد وطّد العلاقات التى بدأها داود مع "حيرام" ملك صور ، فشجع التجار الفينيقيين على أن تسير قوافلهم التجارية داخل أرض فلسطين مما أنعش التجارة وخلق أسواقاً جديدة لتجارات ربما لم تكن معروفه من قبل ، كاستبدال مصنوعات صور وصيدا بغلات إسرائيل الزراعية ، كما اهتم بالملاحة التجارية البحرية فأنشأ أسطولاً تجارياً فى البحر الأحمر وأغرى "حيرام" على استخدام هذا الطريق بدلاً من "طريق مصر" فى تجارته مع بلاد العرب وأفريقية"(١).

واهتمام سليمان بالتجارة دفعه إلى بناء وتحصين بعض المدن لحماية طرق التجاره التى تمر داخل المملكه منها على سبيل المثال "حاصور" חָצוֹר (٢).

---

١) ول ديورانت : قصة الحضاره ، الجزء الثانى من المجلد الأول " الشرق الأدنى " ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

٢) حاصور ، חָצוֹר وهى احدى المدن التى قام "سليمان" بتحصينها (راجع ١ملوك ٩ : ١٥) وهى اسم عبرى معناه " حظيرة " وقد كانت عاصمة مملكة الكنعانيين فى شمال فلسطين ،وكان يحكمها "يابين" فى زمن "يشوع" ، ويعتقد البعض أنها كانت تقع فوق مياه ميروم ، أخضعها "يشوع" وأحرقها (راجع يشوع ١١ : ١ - ١٣ و ١٢ : ١٩) . وأعيد بناؤها وأعطيت لسبط نفتالى(راجع يشوع ١٩ : ٣٦) وفى أيام "دبوره" "وباراق" استولى عليها ملك آخر كنعانى اسمه أيضا "يابين"(ولذلك يعتقد البعض أن "يابين" كان لقباً لملوك كنعان كفرعون لملوك مصر ، وأبيمالك لملوك مسر ، والحارث لملوك شمالى بلاد العرب) . وحاول أن يواصل حربه ضد العبرانيين ، لكنه انهزم أخيراً وقُتل (راجع : قضاة ٤ : ١ - ٢٤ وصموئيل الأول ١٢ :٩) .
وقد رحل "تجلث فلا سر" سكان هذه المدينه مسبيين إلى آشور (راجع ٢ ملوك ١٥ : ٢٩) .
وربما كانت هى تل القدح على بعد نحو أربعة أميال غرب جسر بنات يعقوب .
وقد اكتشفت بقايا المدينة من عصور الكنعانيين والعبرانيين .
انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

ومجيدو מְגִדּוֹ (١) وجزر גֶּזֶר (٢) وبيت حورون בֵּית חוֹרוֹן (٣)

---

١) مجيدو מְגִדּוֹ : مدينة ملكية كنعانيه افتتحها يشوع مع قراها وأصبحت مدينة لمنسى ضمن تخوم يساكر (راجع يشوع ١٢ : ٢١ و ١٧ : ١١ وقضاة ١ : ٢٧وملوك أول ٤ : ١٢ و ٩ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٧ : ٢٩) . ومكان (مجدو) الآن هو تل المتسلم ، الذى يقع على مسافة عشرين ميلاً جنوبى شرق حيفا فى الطرف الجنوبى من سلسلة الجبال التى تنتهى بجبل الكرمل فى الشمال .
وقد اكتشف فى الطبقة العبرانية من (مجدو) اسطبلات بها أربعمائة وخمسون معلفاً وربما ترجع هذه الاسطبلات إلى عصر "سليمان" أو آحاب . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٨٤٠ ، ٨٤١ .

٢) جزر גֶּזֶר : تقع مدينه (جزر) على الممر الذى يؤدى إلى شمال أودية جبال يهوذا على طريق البحر إلى أورشليم .وظل اسمها السامى الغربى حتى هذه الأيام (تل جزر תל גֶּזֶר) .-قام " مقاليستر מקאליסטר " بحفائر ضخمة فى هذا التل العظيم خلال السنوات ١٩٠٢ ، ١٩٠٩ بتمويل من " صندوق حفائر فلسطين " . وقد كشفت هذه الحفائر عن تاريخ حافل وعظيم لهذه المدينة ، كما تشير كذلك رسائل تل العمارنة إلى الفترة الكنعانية المتأخرة لهذه المدينة ، فقد اكتشفت عدة رسائل موجهة من " ملكائيلى מִלְכִּאִלִּי " وخليفته ، יַפַּח يفاح " ملوك جزر إلى " امنحوتب الثالث والرابع " . كما تشير الحفائر إلى انها كانت ضمن قائمة المدن التى احتلها تحتمس الثالث .
أما الطبقة الثالثة من الحفائر فهى ترجع إلى أيام الحاكم المصرى للمدينة وأيام الاستيطان الإسرائيلى وأيام حكم داود . وينسب إلى هذه الفترة النفق الذى يخترق الصخور والذى استخدم فى توصيل المياه من العيون خارج الأسوار إلى داخل المدينة وقد اكتشف سور عظيم ذو أبراج عالية ، قام "سليمان" بإصلاحه بعد ذلك وقام بتحصين المدينة التى أصبحت عندئذ مدينة للاويين (راجع يشوع ٢١ ، ٢١) . ويشير النقش المسمى (لوح جزر " לוּחַ גֶּזֶר) الى أن بداية الخط العبرى القديم ترجع إلى هذه الفتره . وقد قام "شيشق" فرعون مصر بتخريب المدينة سنة ٩٣٠ ق.م تقريباً . ولم تظهر ثانية إلا فى بداية القرن الثامن ق.م. . انظر לפסיקון מקראי, עמ' 197.

٣) بيت حورون : בֵּית- חוֹרוֹן : اسم عبرى معناه " بيت المغارة " يطلق هذا الاسم على قريتين واقعتين على حدود افرايم وبنيامين ، وعلى بعد ١٢ ميلاً إلى الشمال من أورشليم ، وكانتا تدعيان أيضا " بيت حورون العليا - בֵּית חוֹרוֹן עֶלְיוֹן " و " بيت حورون السفلى - בֵּית חוֹרוֹן תַּחְתּוֹן " (راجع يشوع ١٠ : ١٠ و ١١ ، ١٦ : ٣ و ٥) وذلك مايقابل تسميتها الآن ==

و" بعلة בַּעֲלָת "(١)،"وتدمر תַּמָר "(٢). وإذا كان"سليمان" قد أولى للعلاقات الخارجية والتجارية اهتماما كبيراً حيث كان عصره عصر نجاح اقتصادى ، ولم تكن هناك حروب تستنزف مال الشعب ، ومما يشير إلى عظمة غنى "سليمان" ماذكره العهد القديم من أن السفن قد أتته مرة محملة بأربعمائة وعشرين وزنة ذهب ، وكانت له أساطيل تجارية فى بحر الهند والبحر الأبيض المتوسط ، فجلبت له الذهب والفضة ، والعاج والابنوس والخيل والمركبات والقردة والطواويس(٣)، وقد أدى هذا الترف إلى إرهاق الشعب بالضرائب الباهظة وإحساسه

=) " بيت عور الفوقة " و " بيت عور التحتة " . ويستنتج من ذلك أن الأولى كانت مبنية على أرض مرتفعة والأخرى على أرض منخفضة ، أما المدينة التى حصنها "سليمان" فهى " بيت حورون السفلى " (راجع الملوك الأول ٩ : ١٧) انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٢٠٢

١) بعلة בַּעֲלָת : مدينة فى قطاع دان (راجع يشوع ١٩ : ٤٤) ليس لها وصف دقيق . وهناك من يعتقد انها " بعلة " التى بناها سليمان (راجع الملوك الأولى ٩ : ١٨) و (أخبار الأيام الثانى ٨ : ٦) ، ويمكن الاستنتاج من الأسماء التى ذكرت معها فى سفر يشوع وفى سفر أخبار الأيام الثانى بانها تقع فى ضواحى " تل الملات - תל-אל-מַלַאת " وعاقر- עאקר". انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 173.

٢) تدمر תַּמָר : مدينة صحراوية تقع على بعد ١٤٠ ميلاً من الشمال الشرقى من دمشق و ١٢٠ ميلاً من الفرات ، وهى قديمة جداً ، وكانت من أجمل مدن المنطقة ولمّا تغلب عليها الاسكندر أطلق عليها اسم " يالميرا " أى مدينة النخل ، وذلك لما كان يكتنفها من غابات النخل العظيمة . وفى سفر الملوك الأول ورد الاسم فى النص العبرى : " תַּמָר تامار " وفى الهامش " תַּדְמֹר تدمر " . وهى الآن منطقة أثرية تمتد نحو ميل ونصف وتمتلأ بالآثار القديمة والأعمدة والقبور المزخرفة ، وهيكل الشمس العظيم . ونظراً لموقع هذه المدينة الكائن بين سورية ومابين النهرين ، يبدو انها كانت ذات أهمية تجارية قبل زمن "سليمان"، وان "سليمان" استخدمها لمقاصد تجارية فقط .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٢١٤

٣) الملوك الأول ١٠ : ٢٢

بقسوة العيش وآلام الحياة[١]، مماساعد على تفشى أسوأ العادات والتقاليد كالربا والاستغلال اللذين باتا أموراً مألوفة دفعت عاموس إلى أن يتنذر بها بعد ذلك : "עַל מִכְרָם בַּכֶּסֶף צַדִּיק וְאֶבְיוֹן בַּעֲבוּר נַעֲלָיִם"[٢] - بسبب بيعهم البار بالفضة والبائس لأجل نعليه " .

ولعل أهم مايذكره اليهود لسليمان هو قيامه ببناء الهيكل הֵיכַל יְהוָה الذى كان يعرف باسمه والذى يعتبر أهم أثر فى تاريخ اليهود حتى الآن ، اذ أنهم لاينظرون اليه على أنه مجرد معبد تقام فيه الشعائر الدينية ، بل على أنه أيضاً أول مركز روحى ، وأول عاصمة دينية يلتقون فيها ، مما كان له أثره الكبير فى الانتقال بالدين اليهودى من مرحلة البداوة وتعدد الآلهة إلى مرحلة التوحيد[٣] ولأن اليهود لم تكن لهم دراية بفنون الهندسة المعمارية . أو بأية فنون أخرى - ربما يرجع ذلك الى نشأتهم الأولى كبدو رعاة لم تكن لهم حضارة ثابتة - فقد وجد سليمان نفسه فى وضع لابد فيه بالاستعانة بالمهندسين والعمال من صور وصيدا ، الذين كانوا متفوقين فى هذه الناحية فاستجلبهم للإشراف على إتمام هذا العمل ، الذى اشترك فيه مايقرب من مائة وخمسين ألف عامل سخروا لإتمام هذا العمل الذى بدأ العمل فيه فى السنة الرابعة من ملك "سليمان"، والتى توافق سنة أربعمائة وثمانين على خروج موسى وقومه من مصر ، وقد استمرت عملية البناء ما يقرب من سبع سنوات على مثال الرسم الذى أعطاه الله لموسى ، ولكن بضعف حجمه[٤]. ومن الناحية المعمارية فقد أقيم الهيكل على الطراز الفرعونى الذى أخذه الفينيقيون من مصر ، بالإضافة إلى ما أخذوه من الأشوريين ، والبابليين من دروب الزخرفة ،

---

١) Ricciotti, S.: The History of Israel, P. 244
وانظر أيضا : أ.ن . بولاك : " إسرائيل أمة وتاريخها " عربه رسمى بيادسه . أعده وحرر فصوله الأخيره إلياهو اغاس . دار النشر العربى . تل أبيب ١٩٧١ ص ٢٢ .

٢) عاموس ٢ : ٦ وانظر : د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٣ . القاهرة سنة ١٩٦٦. ص ٣٨٨ ، ٣٨٩.

٣) Ricciotti, S.: The History of Israel, P. 245.

٤) الملوك الأول الإصحاح السادس .

ومن هنا يقال ان الطراز الذى بنى عليه الهيكل هو طراز فرعونى آشورى[١]. ويذكر العهد القديم ان "سليمان" قام بتدشين الهيكل فى احتفال عظيم ، وصلى صلاة طويلة للرب إله السماء ، نجدها فى الملوك الأول (٨ : ٢٣ - ٥٣) ، وقام بتقديم محرقات عظيمة لتدشين هيكله ، وفى هذا نرى "ان سليمان" اخذ مكان "هارون" ومكان موسى ، وقد ظل الهيكل مقراً لعبادة " يهوه " أربعة قرون تقريباً إلى أن قام بهدمه البابليون عام ٥٨٦ ق.م تقريباً[٢].

ويعلق بعض الباحثين على فترة حكم "سليمان" وقيامه بتلك الانشاءات المتعددة بأنه لوكان قد اكتفى ببناء الهيكل فقط لكان ذلك كفيلاً بأن يرفعه على رأس قائمة الداعين إلى التوحيد غير أن قيامه ببناء هياكل أخرى صغيرة لمعبودات أجنبية إرضاءاً لزوجاته الأجنبيات قد غير صورته فى نظر البعض[٣]. وقد أشار العهد القديم إلى تعدد زوجات سليمان فى السنوات الأخيرة من حكمه ، وقيامه ببناء هياكل لمعبودات أجنبية :

וַיְהִי לְעֵת זִקְנַת שְׁלֹמֹה נָשָׁיו הִטּוּ אֶת־לְבָבוֹ אַחֲרֵי אֱלֹהִים
וְלֹא־הָיָה לְבָבוֹ שָׁלֵם עִם־יְהוָה אֱלֹהָיו כְּלֵבַב דָּוִד אָבִיו.
וַיֵּלֶךְ שְׁלֹמֹה אַחֲרֵי עַשְׁתֹּרֶת אֱלֹהֵי צִדֹנִים וְאַחֲרֵי מִלְכֹּם־
שִׁקֻּץ עַמֹּנִים. וַיַּעַשׂ שְׁלֹמֹה הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה וְלֹא מִלֵּא
אַחֲרֵי יְהוָה כְּדָוִד אָבִיו. אָז יִבְנֶה שְׁלֹמֹה בָּמָה לִכְמוֹשׁ

---

١) د. عبد الوهاب محمد المسيرى بالاشتراك مع سوسن حسن : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . رؤية نقدية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام . سنة ١٩٧٤ . ص ٤٢٥

٢) وهو التاريخ الذى يعرف بالنفى البابلى الذى تم على يد ملك بابل " نبو ختنصر " ، على ثلاث دفعات : ٣٠٢٣ نسمة فى عام ٥٩٧ ق.م ، ٧٣٢ نسمة فى عام ٥٨٦ ق.م ، و ٧٤٥ نسمة فى عام ٥٨١ ق.م .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٩٥

٣) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . ج ٣ ص ٣٨٩ .

שִׁקֻּץ מוֹאָב בְּרָה אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי יְרוּשָׁלַם וּלְמֹלֶךְ שִׁקֻּץ
בְּנֵי עַמּוֹן יִבֵּן עָשָׂה לְכָל נָשָׁיו הַנָּכְרִיוֹת מַקְטִירוֹת
וּמְזַבְּחוֹת לֵאלֹהֵיהֶן . וַיִּתְאַנַּף יְהוָה בִּשְׁלֹמֹה כִּי נָטָה
לְבָבוֹ מֵעִם יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל הַנִּרְאָה אֵלָיו פַּעֲמָיִם "(١)

وكان فى شيخوخته ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلـهه كقلب "داود" أبيه فذهب "سليمان" وراء "عشتروت" إلهة "الصيدونيين" ، و"ملكوم" رجس "العمونيين" ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة "لكموش" رجس الموابيين على الجبل المواجه لاورشليم ، و"لمولك" رجس "بنى عمون" ، وهكذا فعل لجميع نسائه الأجنبيات اللاتى كن يوقدن ويذبحن لألهتهن . فغضب الرب على "سليمان" لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين " .

هذا ويرى " حسن ظاظا " ان الظروف التى عاصرها "سليمان" وعلاقات الصداقة التى ربطته بالعديد من الملوك الأجانب قد اقتضت أن يوطد هذه العلاقات عن طريق المصاهرة دون تفرقة بين ملك وآخر(٢)، ويقدر البعض عدد زوجات "سليمان" بسبعمائة زوجة غير مالديه من السرارى اللائى بلغن مايقرب من ثلثمائة ، على عكس مايقوله البعض بأن زوجاته بلغن ستين زوجة بالإضافة إلى ثمانين من السرارى ، ويقال أيضاً ان الباعث على تعدد هذه الزيجات هو نفسه الباعث الذى دفع "رمسيس الثانى " إلى الإكثار من الزوجات،أى رغبته فى أن يترك وراءه مجموعة كبيرة من الأبناء(٣).

وعلى أى حال فقد شهدت السنوات العشرون الأولى من حكم سليمان رخاءً ومجداً عظيمين ، وتعتبر هذه السنوات هى الفترة الإيجابية فى حكمه حيث لم تظهر فيها

---

١) الملوك الاول ١١ : ٤ - ٨

٢) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم. دار المعارف . الإسكندرية . ١٩٧١ . ص٨٥

٣) ول ديورانت . ص ٣٣٣ . وراجع أيضاً سفر الملوك الأول ١١ : ١ - ٨

فجوات طبقية أو ثغرات اجتماعية بصورة واضحة ، على عكس الفترة التى تلت ذلك والتى كانت بداية تمهيدية لتفكك المملكة ابتداء من النصف الثانى من حكم "سليمان"(١) ، فالضغط المصرى بقيادة الفرعون " ساآمون " من ملوك الأسرة الحادية والعشرين قد بدأ يشتد حيث قام هذا الفرعون بحملة عسكرية على مملكة إسرائيل، وسيطر على فلسطين واحتل مدينة " جزر גֶּזֶר " فدفع ذلك "سليمان" إلى إبرام معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر ، وأراد تأكيد ذلك فتزوج من ابنة فرعون مصر(٢) وبذلك استعاد مدينة " جزر " مرة أخرى كمهر لعروسه ابنة فرعون(٣). وهذا يؤكد أن ظهور قوة مصر السياسية والحربية يعنى بالتالى تعرض مملكة إسرائيل لخطر لاتقوى على رده ، حيث يمثل الخطر الأول على المملكة ، أما الخطر الثانى الذى تعرضت له المملكة فى عهد "سليمان" فقد كان من ناحية المملكة الآرامية ، إذ هرب " روزون بن اليادع - רזון בן אלידע " من ملك " صوبة צובה "(٤)

---

١) לפסיקון מקראי ,עמ' 843. وراجع أيضاً أخبار الأيام الثانى٨ :١-١٠.

٢) ان تحديد اسم هذا الفرعون لازال فى مرحلة الفروض ، فهو قد يكون أحد الاثنين " ساآمون " أو " بسوسينيس " أو أحد ملوك الأسرة التالية لهما ،أى " شيشق الأول " ، وهو مايعنى ضمناً ان مصر ظلت فى عهود ضعفها أقوى بكثير من ملك "سليمان" الذى تحدثت عنه الأمثال .
انظر : د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم . ج ١ " مصر والعراق" طبعة ثالثة - مكتبة الأنجلو - القاهرة سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٦٥.
هذا بينما يرى "برستد" ان ابنه فرعون التى تزوجها سليمان هى ابنة الفرعون " شيشق " الأول لا "ساآمون " لان " شيشق الأول " كان ملكاً قوياً شجاعاً ، وهو الذى استولى على مدينة " جزر " وأهداها "لسليمان" كمهر لزواج "سليمان" من ابنته . ويستند "برستد" فى رأيه هذا إلى ان ملوك الأسرة الحادية والعشرين كانوا ضعفاء - يقصد بذلك "ساآمون" - لايستطيعون القيام بهذا العمل .
انظر : برستد . جيمس هنرى " تاريخ مصر من أقدم العصور " .ص ٣٥٧ - ٣٥٨

٣) לפסיקון מקראי עמ' 843. راجع أيضاً سفر الملوك الأول ٩ : ١٦

٤) صوبة צוֹבָה : وهى آرام صوبة أو صوبا كما أطلق عليها الكتبة العبرانيون (راجع صموئيل الثانى ١٠ : ٦) وكانت تقع غربى الفرات ، وقد امتدت فى عصور ازدهارها - عصر شاؤل وداود وسليمان - إلى حدود حماه فى الشمال الغربى (راجع صموئيل الأول ١٤ : ٤٧ ، وصموئيل الثانى ٨ : ٣ و ١٠ : ٦ ، وأخبار الأيام الأول ١٨ : ٣) وقد أشار العهد القديم إلى مدن أخرى تابعة لصوبة وهى " باطح وبيروثاى وحيلام " ==

إلى دمشق ، وأقام فيها مملكة قوية معادية لإسرائيل[١] ، قامت بالسيطرة على المقاطعات الشمالية لمملكة "سليمان" ، فأغلقت بذلك طريق القوافل المؤدى إلى الفرات . وكان لابد أن يتخذ "سليمان" خطوة إيجابية تجاه هذا الضغط الخارجى القادم من الشمال والجنوب لتأمين حدود مملكته فأنشأ خطوطاً دفاعية ، تمثلت فى المدن المحصنة التى أقامها على البحر ، والحصون التى زودها بالأسلحة الدفاعية المختلفة ، كما قام كذلك بتحصين أورشليم[٢].

وإذا انتقلنا إلى الفترة الأخيرة من حكم "سليمان" ، نجد انها قد شهدت ضعفاً سياسياً ازاء أطماع الدول المجاورة فى المملكة والاستيلاء على مايمكن من مدنها ، وقد انعكس أثر ذلك الضعف السياسى على الوضع الاجتماعى ، حيث ظهرت الفوارق الطبقية بين طبقات الشعب كطبقة التجار ، والحرفيين أصحاب الصناعات الذين نمت ثرواتهم نتيجة التجارة الخارجية المفتوحة ، ونتيجة ما اتبعته المملكة من سياسة اقتصادية خارجية ، وفى مقابل هذه الطبقات كانت جماهير الشعب فى أنحاء المملكة تعانى من أعباء الضرائب المفروض عليهم سدادها للبلاط الملكى وموظفيه ، وكذا من أعمال السخرة لبناء الهيكل ، وقصر الملك ، وهى أعمال لم يعتدها الشعب من قبل ، هذا ولم تكن ظروف عامة الشعب الاقتصادية فى ذلك الوقت تعينه على أن يفى بكل الالتزامات المطلوبة منه[٣]. ولاشك ان ذلك قد أيقظ من جديد ماحاول سليمان فى البداية القضاء عليه ، وهو التفرقه بين الأسباط الشمالية التى لم يكن لها رغبة فى حكم سبط يهوذا . ونتج عن هذا كله تمرد حكام البلاد المجاورة - التى سبق أن استولى عليها داود وأخضعها

=) (راجع صموئيل الثانى ٨ : ٨ و ١٠ : ١٦ ، ١٧) . وقد ظن البعض أن صوبة هى " حمص " . انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٤٣ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

١) לכסיקון מקראי, עמ' 844. وراجع أيضاً الملوك الأول ١١ : ٢٣ - ٢٥ . ويشير العهد القديم إلى ان الملك الذى هرب منه "روزون بن اليادع" كان يدعى " هددعزر הדד עזר " . هذا ومن المعروف ان سليمان سبق أن خاض حرباً ضد ملك صوبه وتغلب عليه . راجع أخبار الأيام الثانى٨ : ٣ .

٢) לכסיקון מקראי, עמ' 844.

٣) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם, הוצאת דביר, כרך ראשון, מהדורת ידיעות אחרונות, ת"א תשט"ו, עמ' 56.

لمملكته - فى الفترة الأخيرة من حكم "سليمان" مما شكل عليه عبئاً كبيراً. وقد تمثلت الثورات الداخلية - التى عبرت عن عدم رضاء الشعب للاسلوب الذى كان ينتهجه "سليمان" - فى ثورة " يربعام بن نباط יָרָבְעָם בֶּן־נְבָט " وهو من سبط افرايم ، والذى أظهر منذ حداثته ذكاء وفطنة ، والذى عينه "سليمان" مراقباً على عمال سبطه عندما كان يقوم بترميم أورشليم والسور الذى تصدع وتهدم عندما أخذ داود المدينة من اليبوسيين ، ويرى البعض أن اختيار "سليمان" ليربعام لهذه المهمة وهو افرايمى ، كان الهدف من ورائه محاولة اضعاف سبط افرايم ، وبذر الفرقة فيه ، لأنه كان يشكل بالنسبة له جبهة مضادة لم تعرض بسبط يهوذا حاكماً عليه (١)، غير أن هذا الهدف لم يخف على يربعام الذى كان يفهم مشاعر أبناء سبطه ، فانتظر حتى نضجت فكرة التمرد لديه ، وشعر بأن الشعب لم يعد قادراً على تحمل ماتكلفه به المملكة ، فبدأ يجاهر بالثورة الاجتماعية ، ولم تكن هذه الثورة الاجتماعية هى الثورة الوحيدة التى واجهها "سليمان" ، فهناك ثورة دينية أخرى تزعمها " أحيا الشيلونى אחיה השילוני " الذى يمثل الطبقة غير الراضية عن تغلغل العبادة الوثنية والآلهة الأجنبية ، وهى نفس الطبقة التى تزعمها " إلياهو النبى " فى عهد الملك آحاب . وفى الحقيقة كانت نبوة "أحيا" سياسية ثورية بسبب التعاون بينه وبين يربعام (٢)، حيث يشير العهد القديم إلى لقاء "أحيا" و"يربعام" وكان

---

١) الملوك الاول ١١ : ٢٦ - ٢٩ . انظر أيضاً :
שמעון דובנוב , עמ' 56.

٢) هناك عدة احتمالات عن الصلة الوثيقة التى تربط " يربعام " بـ"أحيا" ، فيبدو ان "يربعام" نشأ مع "أحيا" فى بيئة واحدة ، ويحتمل أن " صرده צרדה" مدينة يربعام كانت قريبة من " شيلوه שילה " مدينة "أحيا" ، ويقابل ذلك احتمال أخر بانه لاتوجد أساساً أية صلة بين "أحيا" و"يربعام" ، وان "أحيا" ثار على نير الضرائب الثقيلة ، غير أن الدافع الأساسى لنبوته وأعماله كان تغلغل العبادة الوثنية والآلهة الأجنبية فى الفكر الدينى الإسرائيلى فى ذلك الوقت .
انظر : ד"ר ב. בן יהודה : "הנבואה בישראל", מסד עם ישראל ומורשתו, סדרת ספרים על פי - האנציקלופדיה העברית, ישראל 1974, עמ' 33-34.

أحياً لابساً رداءً جديداً فمزق رداءه إلى اثنتى عشرة قطعة وأعطى يربعام عشر قطع دلالة على أنه سيملك على عشرة أسباط [١]، وقال له: " כֹּה אָמַר יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל הִנְנִי קוֹרֵעַ אֶת־הַמַּמְלָכָה מִיַּד שְׁלֹמֹה וְנָתַתִּי לְךָ אֶת עֲשָׂרָה הַשְּׁבָטִים. וְהַשֵּׁבֶט הָאֶחָד יִהְיֶה־לּוֹ [٢] - هكذا قال الرب إله إسرائيل ها أنذا أمزق المملكة من يد "سليمان" وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد " . ولم تمر أيام كثيرة حتى خاب أمل أحيا فى يربعام مثلما خاب أمل " صموئيل שְׁמוּאֵל " فى " شاؤل שָׁאוּל " ، حيث لم يكن فى مقدوره أن يمسح ملكاً آخر بدلاً من يربعام ، ولكنه تنبأ بفناء بيت يربعام [٣].

وهكذا كان " لأحيا الشيلونى " تأثير عظيم فى انقسام المملكة الإسرائيلية ، لكنه فى نفس الوقت لم يقم بدور النبى الواعظ ، الذى يوجه الشعب إلى الطريق السوى ، بل كان يتنبأ ويعنف الأفراد مثل " سليمان " و " يربعام " ، وهو يشبه فى ذلك " ناثان النبى נָתָן " الذى عنّف " داود " فقط [٤]، ولما عرف " سليمان " بأن " يربعام " سيصبح ملكاً أراد قتله ، وقد دفع هذا بيربعام إلى هروبه إلى مصر [٥]، التى

---

١) ليست هذه هى المرة الأولى فى تاريخ النبوة الإسرائيلية التى يستخدم فيها تمزيق رداء أو ثوب رمزاً لتقسيم المملكة ، حيث كان تمزيق ثوب صموئيل أيضا رمزاً لتقسيم المملكة : " וַיִּסֹּב שְׁמוּאֵל לָלֶכֶת וַיַּחֲזֵק בִּכְנַף־מְעִילוֹ וַיִּקָּרַע .... קָרַע יְהוָה אֶת־מַמְלְכוּת יִשְׂרָאֵל מֵעָלֶיךָ הַיּוֹם וּנְתָנָהּ לְרֵעֲךָ הַטּוֹב מִמֶּךָּ " ودار صموئيل ليذهب فامسك بذيل جبته فتمزق .. ، يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك " انظر : صموئيل الأول ١٥ : ٢٧ - ٢٨ .

٢) الملوك الأول ١١ : ٣١ - ٣٢

٣) الملوك الأول ١٤ : ١ - ١٦

٤) מנשה דובשני , שעורים בנביאים אחרונים , כרך ראשון הוצאת יבנה , תל אביב , ישראל תשל"ה , עמ' 24 .

٥) الملوك الأول ١١ : ٤٠

كان يحكمها فى ذلك الوقت الفرعون " شيشق "[١] الذى انتهت فى أيامه العلاقات الطيبة بين إسرائيل ومصر ، ولذلك استقبل "يربعام" - الثائر على "سليمان" - بترحاب وبشاشة ، ومن المعروف أن مصر كانت قبل ذلك ملجأ لهارب آخر تمرد على "سليمان" وهو " هدد بن زرع הדד בן זרע " حاكم "أدوم" . فبعد الحرب التى شنها "داود" "ويوآب" ضد "أدوم" واحتلال أرضها وفرض الجزية عليها ، لم يرض ابن الملك الأدومى بالاستعباد وقرر تحرير أرضه ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يجد العون من مصر بسبب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وزواج "سليمان" من ابنة فرعون . وبعد اعتلاء " شيشق " عرش مصر انفتح باب الأمل أمام " هدد بن عزر" فعاد إلى بلاده - وقاد التمرد على إسرائيل بعد أن قدم له الفرعون شيشق المساعدات الكافية ، فأستطاع أن يزيح نير الاستعباد من على كاهل بلاده[٢] . وهكذا لم تفلح المعاهدات الخارجية التى أبرمها "سليمان" فى الحد من خطورة أعدائه بعد أن فتح فرعون مصر الجديد بلاده أمام أعداء "سليمان"[٣].

والحقيقة ان سليمان لم يشهد كثير من الأزمات والثورات التى حدثت فى مملكته ، والتى كان السبب فيها سياسته الخارجية والداخلية فى السنوات الأخيرة من حكمه ، ففى عام ٩٣٠ ق.م تقريباً مات "سليمان" بعد أن ملك أربعين سنة ، وبموته اكتملت مئة سنة على قيام مملكة إسرائيل الموحدة التى شهدت فترة من التنمية العظيمة حددت لإسرائيل مكاناً بين الحضارات الكبرى لبلاد الشرق[٤]. بعد موت سليمان نضبت موارد المملكة ، ونشأت طائفة من العمال الصعاليك الذين لايجدون عملاً دائماً يرتزقون منه ، فكان ماقاسوه من العذاب هو الذى حول دين " يهوه " الحربى إلى دين أنبيائهم الذى لايكاد يفترق عن الاشتراكية فى .

---

١) شيشاق أو شيشق Shishak-Shishk . وهو من أصل ليبى من ملوك الأسرة الثانية والعشرين (حوالى ٩٤٥ ق.م) ، وقد غزا يهوذا فى أيام رجعام (راجع أخبار الأيام الثانى ١٢: ١ - ٤) وامتد ملكة بآسيا من حدود مصر إلى أرض الجليل ، ومن بحر الروم إلى صحراء سوريا الكبرى . واستمر حكمه احدى وعشرين سنه . انظر : حامد عبد القادر : الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها . مراجعة وتعليق : د . عونى عبد الرءوف . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة ١٩٨١ . ص ١١٤

٢) שמעון דובנוב, עמ' 56. ٣) לכסיקון מקראי, עמ' 843.

٤) שמעון דובנוב, עמ' 57.

كثير أو قليل[١].

ويرى المؤرخون أن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده ، كل هذا كان السبب فى انقسام المملكة وزوالها[٢].

الانقسام (٩٣٠ - ٨٨٥ ق.م تقريبا)

فى أواخر أيام سليمان تلبدت سماء المملكة بالغيوم ، وبموته أصبح وريثه على أساس العرف والتقاليد ابنه "رحبعام רחבעם" من زوجته "نعمى العمونية נעמה העמונית" . وكان رحبعام يفتقد مميزات كثيرة ، فلم يكن عنده شيئاً من بطولة "داود" ولا من حكمة "سليمان"[٣].

وبدأت الآثار الأولى للثورة الشعبية مع طقوس التنصيب[٤]، حيث اجتمع شيوخ إسرائيل فى " شكيم שכם "[٥] وطالبوا بأن يتم تتويج الملك هناك،

---

١) ول ديورانت . قصة الحضارة . ج ٢ . ص ٣٣٧

٢) Weech: Civilization of the Near East, P. 35.

٣) שמעון דובנוב, עמ' 67.

٤) فى الحقيقة لم يكن هناك بعد فى إسرائيل مكان محدد ولاترتيبات معينة من أجل تتويج الملك ، لكن كل جهود "داود" و"سليمان" فى فترة حكمهما المضيئة جعلت من القدس مركزاً للأمة المتحدة . وكان الفضل الكبير فى ذلك يعود إلى "سليمان" . ولكن كان أمر طبيعى . أن يأتى الشعب إلى القدس العاصمة لتتويج ابنه ووريث عرشه.
انظر : תולדות עם ישראל, כרך ראשון, עמ' 108.

٥) شكيم "שכם" : أهم مدن سبط افرايم ، وقد كشفت حفائر السامرة عن وجود هذا الاسم على قطع من اللخاف مما يدل على أنها كانت مكاناً معروفاً منذ عصر العمارنة على الأقل ... بمعنى أنها كانت قائمة قبل أن يدخل الإسرائيليون فلسطين . وقد خيم بالقرب منها "إبراهيم" عليه السلام (راجع تكوين ١٢ : ٦) ، وفى أيام "يعقوب" ، عندما عاد إلى كنعان ، كان الحويون يقيمون فيها (راجع تكوين ٣٤ : ٢) ، وفيها ابتاع "يعقوب" قطعة حقل، نصب فيها خيمته ، وهناك أيضاً دفن جسد "يوسف" (راجع اشعيا ٢٤ : ٣٢) وفى عصر القضاة ، أشير إلى وجود مذبح للإله "بعل - بريت" فى شكيم (راجع قضاة ٨ : ٣٣ و ٩ : ٤) ، وشكيم أو (نابلس) وهو اسمها الحالى ، تبعد ٣١٫٥ ميلاً شمال أورشليم و ٥٫٥ ميلاً جنوب شرقى السامرة . وهى تقع فى الوادى الأعلى المحاط بجبل "عيبال" من الشمال ، وجبل "جرزيم" من الجنوب .==

وهذا المطلب يشير بوضوح إلى اتحاد أسباط إسرائيل الشمالية تحت لواء واحد في مواجهة الملك الموجود في يهوذا . وقد كان الموقف من الخطورة بحيث اضطر رحبعام معه إلى الرضوخ والصعود من " أورشليم " إليهم ، ولاشك أن حضوره الى " شكيم" فيه تعبير عن رغبة التراضي أو الاستعداد لتقديم التنازلات ، ويبدو أن سبب هذا الاستعداد أن المتحدث باسم شيوخ الشعب إلى الملك المنتظر ، كان هو الثائر "يربعام" الذى عاد من مصر بعد موت سليمان(١) ، والذى حضر مباشرة إلى شكيم التى كانت تعتبر أكبر مدن "افرايم" אפרים (٢) ، والتى أصبحت

=) ويحتمل ان يكون مكانها الأصلى فى شرقى الوادى المعروف " بتل البلاطة ". ولكن المدينة اليوم تقع على غربى الوادى ١٨٧٠ قدماً فوق سطح البحر . انظر : לכסיקון מקראי , עמ' 838.

١) תולדות עם ישראל, כרך ראשון, עמ' 108.

٢) افرايم אֶפְרַיִם : أبو سبط افرايم ، وهو طبقاً للعهد القديم الابن الثانى ليوسف من زوجته " اسنات " ابنة " فوطيفارع " كاهن " أون " (راجع تكوين ٤١ : ٥٠ - ٥٢) . وقد تبناه يعقوب هو وأخيه منسى ، ومنحه البكورة (راجع تكوين ٤٨ : ١ - ٢٢) ، ويشير العهد القديم إلى تفسير الاسم من الجذر " פְּרִי - ثمرة " ، أو " פּוֹרָה - خصيب " على اسم خصوبة أرضه (راجع تكوين ٤٩ ، ٥٢) ، بينما يرى كثير من الباحثين أن أصل الاسم جغرافياً ، ويعتمدون فى ذلك على المقطع الأخير من الاسم (יִם) الذى اعتاد استخدامه فى أسماء الأماكن القديمة . ويحتمل أنه من الاسم "אֹפֶר" بمعنى " منطقة مرعى " ثم اصبحت بمرور الوقت اسماً للسبط ، وعند الإشارة إلى اللقب تحذف النهاية (יִם) من الاسم : אפרתי افراتى (راجع القضاة ١٢ : ٥ ، وصموئيل الأول ١ : ١ ومابعده) . وتعكس بركة يعقوب وموسى للسبط ، المكانة القوية وخصوبة أرض بيت يوسف كله ، وببركة موسى ينعكس تفوق افرايم على بقية الأسباط (راجع تكوين ٤٩ : ٢٢ - ٢٦ ، تثنية ٣٣ : ١٣ - ١٧) ، وقد ضعف سبط افرايم مع خراب " شيلوه " שִׁילוֹ - التى كانت مركز العبادة الدينية فى عهد القضاة ، والتى اقيمت فيها "خيمة الاجتماع" .(راجع صموئيل الأول ٤) - مما أدى إلى انتقال مركز الثقل والنفوذ إلى سبطا بنيامين ويهوذا فى الجنوب . وكان نصيب افرايم يقع فى القسم الأوسط من فلسطين الغربية ويحده من الشمال سبط " منسى " ومن الجنوب سبطى " دان وبنيامين " ، ومن الشرق نهر الأردن ، ومن الغرب البحر المتوسط ونظراً لارتفاع منطقة افرايم كانت تسمى أحياناً " جبل افرايم " . وقد كان لسبط افرايم دور بارز فى تاريخ الإسرائيليين، ولاسيما فى حربهم ضد الكنعانيين ، ولذلك استخدم بعض الأنبياء اسمه للدلالة على مملكة إسرائيل كلها . ومن أشهر رجال هذا السبط صموئيل النبى والملك يربعام . انظر : לחסיקון מקראי , עמ' 69.

مركزاً لمعارض مُلك بيت داود . ويبدو أن سبط افرايم وأسباط الشمال كانوا يميلون إلى تمليك رحبعام عليهم ، بشرط أن يزيح عن كاهلهم نير ضرائب سليمان مع القيام ببعض الاصلاحات فى نظام الدولة ، وقد تقدم "يربعام" ورؤساء الشعب بمطالب الجماهير إلى "رحبعام" : הָקֵל מֵעֲבֹדַת אָבִיךָ הַקָּשָׁה וּמֵעֻלּוֹ הַכָּבֵד אֲשֶׁר־נָתַן עָלֵינוּ וְנַעַבְדֶךָּ[1] - خفف من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذى جعله علينا، فنخدمك " . وقد انزعج رحبعام المتكبر من مطالب الشعب الشجاعة ، ولكنه تماسك وأجل رده عليهم ثلاثة أيام حتى يستشير مستشاريه ، وقد نصحه الشيوخ أصحاب الخبرة والتجربة الذين كانوا مقربين لسليمان ، بتخفيف النير عن كاهل الشعب . لكن مستشاريه الشبان الذين أرادوا تملقه ، نصحوه باستخدام العنف وعدم الاذعان لمطالب الشعب[2] . وقد اعتمدت مشورة الشيوخ على أن الخضوع للشعب سيكون لفترة قصيرة ، إلى أن يملك وتصبح له السيطرة فيستطيع أن يعيد لنفسه كامل صلاحياته . ولكن هذا الرأى لم يستقم فى عين رحبعام ، فعمل بمشورة وزرائه الشبان أبناء الجيل الجديد الذين تربوا معه ، والذين نشأوا على استخدام أسلوب الاستبداد والطغيان الذى لايعرف شيئا عن قوى الشعب الموحد . واتفاقاً مع القصة الواردة فى سفر الملوك كان رد الملك متعجرفاً ومتكبراً : " אָבִי הִכְבִּיד אֶת־עֻלְּכֶם וַאֲנִי אוֹסִיף עַל־עֻלְּכֶם . אָבִי יִסַּר אֶתְכֶם בַּשּׁוֹטִים וַאֲנִי אֲיַסֵּר אֶתְכֶם בָּעַקְרַבִּים "[3] أبى ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم . أبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب " . وهنا أنطلقت صيحة الثورة القديمة التى قالها الشعب أثناء ثورة " شبع بن بكرى שֶׁבַע בֶּן בִּכְרִי "[4] . وقد عبر الشعب فى صيحته هذه عن روح الغضب والثورة على هذا الملك المتهور : "מַה־לָּנוּ חֵלֶק בְּדָוִד וְלֹא־נַחֲלָה בְּבֶן־יִשַׁי לְאָהָלֶיךָ יִשְׂרָאֵל עַתָּה רְאֵה בֵיתְךָ דָוִד "

---

١) الملوك الأول ١٢ : ٤

٢) شمعون دوبنوب ، ص 62 . راجع أيضاً الملوك الأول ١٢

٣) الملوك الأول ١٢ : ٤ .

٤) شبع بن بكرى - שֶׁבַע בֶּן בִּכְרִי : من سبط " بنيامين " . قاد التمرد ضد "داود " بعد عودته إلى أورشليم وبعد قمعه لثورة " ابشالوم " . وقد كان شعار هذا التمرد هو نفسه شعار ثورة يربعام بن نباط. (راجع صموئيل الثانى ٢٠ : ١).

أى قسم لنا فى داود ، ولانصيب فى ابن يسى . إلى خيامك ياإسرائيل . الآن انظر إلى بيتك ياداود "(١).

ويبدو ظاهرياً أن الشعب كان يعبر عن مطالبه الاجتماعية والاقتصادية فقط، لكن حدوث التمرد وبعده الانقسام ، يدل على عمق جذورها وخطوطها الواضحة التى وضعت من قبل(٢). فمنذ أن استقرت يهوذا وإسرائيل فى كنعان ، استقرتا كمجموعتين لاكمجموعة واحدة ، وكانت الأقاليم التى شغلاها والأرض التى احتلاها ، تختلف طبيعة الواحدة منها عن الأخرى ، وكانت يهوذا قد استوعبت منذ زمن بعيد عناصر كنعانية وأدومية ، وكان الأمر يحتاج إلى شرارة توقد النار ، وكانت الشرارة حماقة ابن سليمان ، وريثه "رحبعام" ، ثم وجود قائد طبيعى للثورة وهو "يربعام"(٣). ومن خلال قصة هذه الثورة نرى أن رؤساء الشعب وشيوخ أسباط الشمال قدتذكروا أحقية بكورة أورشليم(٤)، وحق الشعب فى اختيار ملوكه كما أختار شاؤل وداود(٥).

---

١) الملوك الأول ١٢ : ١٦

٢) תולדות עם ישראל, כרך ראשון, עמ' 159.

٣) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٣ ص ٣٩١

٤) تهتم اليهودية بالابن البكر ، وتمنحه مميزات وحقوق أكثر من بقية اخوته (راجع صموئيل الأول ٨ : ٢ ، أخبار الأيام الأول ٣ : ١٥) . ومن الناحية الدينية نرى أن البكر محبوب بصورة خاصة من الأب (راجع الخروج٤ :٢٢ ، أرميا ٣١ : ٨) ، والبكر أيضاً يفوق اخوته ويكون مسئولاً عنهم (راجع التكوين ٣٧ : ٢١ - ٢٢). وقد برز مفهوم البكورة كمؤسسة سلطة بارزة (مثل الملكية والكهنوتية ..) وبرز هذا المفهوم بصورة خاصة فى قصة يعقوب وعيسو : حيث نرى تآمر يعقوب وأمه " رفقه " على انتزاع حق البكورة الذى كان لأخيه " عيسو " من أبيهما " إسحق " عندما شاخ وفقد بصره ، وهى قصة مشهورة مذكورة بتفاصيلها فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين ، حيث كانت تقاليد العبريين تجعل الابن البكر خليفة لأبيه فى كل شئ . وهناك قصة أخرى فى العهد القديم تتحدث عن انتقال البكورة من " راؤبين " بكر يعقوب - بسبب تدنيسه فراش أبيه - إلى سبط يوسف ، ثم اعتزاز يهوذا على اخوته ، فكان منهم الرئيس ، مع احتفاظ سبط يوسف بالبكورية . لكن غيرة سبط بنى يوسف (إفرايم) من يهوذا لم تتوقف . انظر : לכסיקון מקראי, עמ' 159- 160.
انظر أيضاً : د. حسن ظاظا : " الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه " القاهرة . قسم البحوث والدراسات الفلسطينية سنة ١٩٧٥ - ص ٢٣٦ .

٥) שמעון דובנוב, עמ' 62.

وتدل روح هذه القصة واتجاهها على انه قد تم صياغتها بين مجموعة من الحاخامات الذين رأوا ان رجاحة العقل والعقلية التربوية هما أساس السلوك الإنسانى والقيادة السياسية ،وبهذه المقاييس تم الحكم على " سليمان فكان حكيماً ، ومنها أيضاً صدر الحكم على " رحبعام " فكان أحمقاً لأنه لم يتعلم من الشيوخ وسار وراء الأحداث عديمى الخبرة (١).

والأمر المفاجىء ان رحبعام أذعن بسهولة لهذا الوضع ، ولم يحاول الخروج على رأس جيشه مثلما فعل داود فى قمع التمرد ، إذ يبدو أن الظروف قد تغيرت ، وربما كان خائفاً من " شيشق " ملك مصر ، صاحب الحماية على " يربعام "، والذى انتهز الفرصة بعد ذلك ليهاجم المملكة الجنوبية (٢).

هذا ويذكر العهد القديم أن رحبعام فكر فى الزحف على العصاة بجيش عظيم ويخضعهم غير أنه امتنع بأمر إلهى(٣). فاكتفى بتحصين بعض المدن فى يهوذا وبنيامين وشدد الحصون(٤)، وعلى أية حال يبدو أن رحبعام فضل أسلوب التهدئة وأرسل " أدورام אדורם " القائم على التسخير ، للتفاوض بشأن التنازلات ، لكن التمرد كان فى أوج نشاطه ، فتم رجم " أدورام " بالحجارة ، وربما نجح رحبعام بصعوبة فى الهروب إلى أورشليم(٥)... وبعد هذه الأحداث السريعة المتلاحقة أنفصلت كل أسباط الشمال ووادى الأردن تماماً عن بيت داود ، وظل سبط الجنوب ، يهوذا بالإضافة إلى عائلات بنيامين المرافقة له ، على اخلاصهم لرحبعام ... وهكذا انقسمت مملكة داود وسليمان الكبرى إلى مملكتين منفصلتين،

---

١) תולדות עם ישראל, ברך ראשון, עמ' 108.

٢) يشير العهد القديم إلى هذا الهجوم.فيذكر انه فى السنة الخامسة من ملك رحبعام على المملكة الجنوبية ، صعد إليه " شيشق " ملك مصر وغزا مملكته واستولى على بعض المدن الحصينة وأخذ أورشليم ذاتها ونهب الهيكل والقصر الملكى . (راجع الملوك الأول ١٤ : ٢٥ - ٢٨ ، أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٢ - ١٢)

٣) الملوك الأول ١٢ : ٢١ - ٢٤

٤) أخبار الأيام الثانى ١١ : ٥ - ١٢

٥) תולדות עם ישראל, ברך ראשון, עמ' 109.
وقارن الملوك الأول ١٤ : ٣٠ وأخبار الأيام الثانى ١٢ : ١٥ ، التى تذكر ان الحرب قامت بين رحبعام ويربعام فيما بعد واستمرت طويلاً ، وهو مايتعارض مع ماورد فى الملوك الأول ١٢ : ٢٤

شمالية وجنوبية حوالى عام ٩٣٠ ق.م ، وقد أطلق على مملكة الجنوب اسم مملكة يهوذا ، وحكمها ملك من بيت داود وهو رحبعام (١) ، ومملكة الشمال التى كانت أكبر فى مساحة أراضيها (٢) ، وأطلق عليها اسم مملكة " إفرايم " أو "إسرائيل" وملكها الأول كان يربعام الافراتى ، وكانت الحدود بين الدولتين تمر عبر القطاع الذى يتوسط أورشليم المدينة المقدسة الجنوبية ، وبيت ايل " בֵּית אֵל " (٣) المدينة المقدسة الشمالية ، وفى النصوص المتأخرة أطلق على مملكة إسرائيل مملكة " الأسباط العشرة - עֲשֶׂרֶת הַשְּׁבָטִים " ، وقد (٤) أطلق الاسم فى البداية على الأسباط التى تسكن الشمال لتمييزها عن سبط يهوذا ، ومن ذلك الوقت فصاعدا أصبح الاسم " إسرائيل " يدل على الأسباط التى كانت تسكن فى الشمال (٥) وهى : إفرايم אֶפְרַיִם ، نصف سبط " منسى " מְנַשֶּׁה

---

١) وقد ملك رحبعام حوالى سبع عشرة سنة ، ومات حوالى سنة ٩١٥ ق.م . وخلفه ابنه " أبيا " . راجع الملوك الأول ١٤ : ٢١ و ٣١ ؛ وأخبار الأيام الثانى ١٢ : ١٣ و ١٦ .

٢) وجدير بالذكر ان مملكة إسرائيل هى الأرض التى سكنتها ذرية كنعان ، وقد استولى عليها العبرانيون فيما بعد (راجع الخروج ٦ : ٤ واللاويين ٢٥ : ٣٨) . وكانت حدودها الأصلية قبل الانقسام مدخل حماة إلى الشمال وبادية سورية والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب . انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٧٨٩ .

٣) بيت إيل בֵּית אֵל : يقوم مكانها الآن " بيتين " التى تقع على مسافة ١٦ كم إلى الشمال من القدس ، وهى مدينة قديمة كانت قائمة فى العصر البرونزى الوسيط والمتأخر ، وكانت تسمى فى الأصل " لوز" (راجع التكوين ٢٨ : ١٩ ؛ قضاه ١ : ٢٣) ثم سميت بعد ذلك باسم هيكل بيت إيل الشهير . انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 151

٤) راجع صموئيل الأول ١١ : ٨

٥) راجع صموئيل الثانى ٢ : ٩

(الذين كانوا يسكنون غربى الأردن)[1]، يساكر " יִשָּׂשכָר ، زبولون זְבוּלֻן ، نفتالى נַפְתָּלִי ، دان דָּן ، أشير אָשֵׁר ، رأوبين רְאוּבֵן ، جاد גָּד ، أما سبط " شمعون שִׁמְעוֹן " القليل العدد فقد اندمج وسط سبط يهوذا وعاش داخله ، وأما اللاويون فقد انتشروا فى أنحاء البلاد ، وأغلبهم كانوا مشدودين إلى أورشليم وبيت المقدس ، والقليل منهم فقط بقى فى المملكة الشمالية[2].

نخلص من هذا إلى أن أسباب هذا الانقسام كثيرة وعميقة الجذور ، غير أن الذى لاشك فيه أن بعضها يرجع إلى عدة أسباب رئيسية يمكن تلخيصها فيمايلى:

(أ) الغيرة القديمة بين سبطى يهوذا وإفرايم التى ترجع إلى وقت دخولهم أرض كنعان .

(ب) التحيز الذى أظهره داود وسليمان بنوع خاص ليهوذا وأورشليم مما أثار حفيظة الأسباط التى كانت تسكن فى الشمال .

(ج) فداحة الضرائب وقسوة أعمال التسخير التى فرضها سليمان على الشعب فى أورشليم .

(د) رفض رحبعام أن يخفف حمل هذه الضرائب وأعمال التسخير .

المملكة الشمالية :

شهدت فترة انفصال المملكة والانشقاق السياسى بين إسرائيل ويهوذا زهرة شبابها التاريخى ، إذ كانت فترة غنية بتغييرات وتقلبات داخل الحياة

---

١) تطلق كلمة " منسى " على نصيب بنى منسى الذى ينقسم الى : (أ) منسى شرقى الأردن ، وكان من منتصف " جلعاد " الى " باشان " أى من " محنايم " إلى " حرمون " ، ومن الأردن وبحر الجليل إلى البرية السورية (راجع أخبار الأيام الأول ٥ : ١٨ - ٢٣) . وكان شعبها رعاة ذوى شجاعة واشتهروا فى حروب جدعون ويفتاح وداود ، وكان يفتاح من رجالهم المشهورين . (ب) منسى غربى الأردن ، وامتد من البحر المتوسط إلى الأردن ومن أشير ويساكر شمالاً إلى إفرايم جنوباً (راجع يشوع ١٧ : ١١ - ١٨) غير انه يظهر ان إفرايم شاركهم فى بعض هذه القرى .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٩٢٥

٢) שמעון דובנוב , עמ' 63.

السياسية والروحية لهذه الأمة[١]، وعاد إليها مرة ثانية الحكم المستبد، وفسدت العادات والتقاليد بسبب التأثيرات الأجنبية[٢]. وبالرغم من ذلك فقد تبلورت فى هذه الفترة أيضا صور ثابتة ومحددة للحياة اليومية الروحية والمادية[٣]. وكانت مملكة إسرائيل أكبر وأهم من مملكة يهوذا، سواء من ناحية مساحتها أو فى نوعية تربتها أو عدد سكانها، فقد كانت مساحة أرضها ضعف مساحة أرض يهوذا، وكان عدد سكانها ثلاثة أمثال عدد سكان يهوذ[٤]، حيث كانت المملكة الشمالية الوريثة الأساسية لقوى المملكة المتحدة، فقد شملت كل الأراضى شمال نصيب بنيامين[٥]، غير أن الأمر المزعج فى هذه المملكة هو نقص أساس وقاعدة المملكة الجديدة، حيث إنه لم يكن لها تراثاً سابقاً أو تصديقاً دينياً، كما كان لملوك بيت داود[٦]، وظلت حركات التمرد متمسكة بإحياء شعارات الفترة البطريركية السابقة لقيام المملكة، كما أن موظفى سليمان ومستشاريه أصبحوا مجردين من الشرعية فى البلاط الملكى الجديد[٧]. ونتيجة لهذا كله رأينا بيوتا ملكية تقوم وتسقط وراء بعضها، ثم حروباً أهلية ونزاعات بين الفرق المختلفة، ورأينا مدبرى المؤامرات والقتلة يعتلون العرش، ويحكمون الشعب فى وحشية شديدة. كل هذا كان معتاداً فى حياة المملكة الشمالية، مما أدى إلى إنهاك قوى المملكة واعتلاء تسعة بيوت ملكية لعرشها، بها تسعة عشر ملكاً خلال مئتى سنة تقريباً، ثم خراب وشتات كامل[٨].

---

١) שמעון דובנוב, עמ' 97.

٢) Simon Dubnow: Nationalism and History.Essays on old and New Judaism. Edited with an introductory essay by Kappel S. Pinson. A temple Book:Atheneum New York ; 1970, PP. 278-279.

٣) שמעון דובנוב, עמ' 97.

٤) ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' X.

٥) תולדות עם ישראל, עמ' 110.

٦) ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' XI.

٧) תולדות עם ישראל, עמ' 110.

٨) ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' X، XI.

يربعام بن نباط - يربعام الأول - יָרָבְעָם בֶּן נְבָט (٩٣٢/٩٣١ - ٩١١ ق.م تقريباً):

هو أول ملوك مملكة إسرائيل الشمالية ، اشتهر ببطولته العسكرية فى أيام سليمان ، وقد أطلق عليه فى العهد القديم لقب " עֶבֶד לִשְׁלֹמֹה عبد لسليمان" (١) ويشير هذا اللقب إلى مكانته العالية حيث كان وزيراً كبيراً فى البلاط الملكى ، الأمر الذى مكّنه من قيادة الثورة على الملك سليمان ، وهى الثورة التى لم يذكر العهد القديم تفاصيلها ... ويحتمل أن يربعام لمس من قرب معاناة الشعب فى السنوات الأخيرة لحكم سليمان فقام مدافعاً عن حقوق الشعب وحاملاً لراية العزلة القبلية (٢). ولقد وجد يربعام نفسه بين الولاء لمولاه ، والوفاء لعشيرته .... إلا أن عاطفة الوفاء كانت أقوى العاطفتين مما جعل الأسباط الشمالية تتطلع إليه ليتحدث باسمها (٣).

وبعد أن عرف سليمان بأمر الثورة أمر بقتل يربعام ، الذى هرب إلى مصر ثم عاد إلى المملكة مرة أخرى بعد موت سليمان . هذا ويذكر العهد القديم ثورة يربعام كحكم إلهى صدر على بيت داود حيث نرى " أحيا الشيلونى " يقوم بالتصديق الدينى على انقسام المملكة - هذا الأمر الذى جاء فى العهد القديم كدافع سياسى للثورة - نلمح فيه إشارة للمزارة التى تجمعت بين دوائر النبوة فى إسرائيل ضد سليمان (٤). هذا ودور يربعام فى انقسام المملكة فى شكيم ليس واضحاً

---

١) الملوك الأول ١١ : ٢٦ - ٢٧ . هذا ويذكر العهد القديم أيضا ان اسم أمه " صروعه צְרוּעָה " وهى أرملة من " صردة צְרֵדָה " ، وهى القرية التى جاء منها نباط أبو يربعام ، وربما كانت هى " دير غسانة " بالقرب من " عين صردة " على مسافة ١٥ ميلاً جنوبى غربى شكيم بوادى دير بالوط فى جبل إفرايم الغربى . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٥٤١.

٢) לכסיקון מקראי, עמ' 362.

٣) د. نجيب ميخائيل إبراهيم : " مصر والشرق الأدنى القديم " ج ٢ . الطبعة الثالثة . دار المعارف . الإسكندرية سنة ١٩٦٢ . ص ٣١٨ .

٤) Nationalism and History, P. 279.

بدرجة كافية بسبب تناقض المصادر المقرائية مع بعضها البعض ، ولكن من خلال الفحص الدقيق للنصوص المقرائية يتضح أن يربعام عاد بعد موت سليمان إلى شكيم واشترك بالفعل فى عملية التقسيم (١).

وقد بدأ يربعام حكم المملكة الشمالية بين تشرين عام ٩٣١ ونيسان ٩٣٠ ق.م تقريباً ، واستمر حكمه اثنين وعشرين سنة (٢)، ووفقا للاحصاء المتعارف عليه فى مملكة إسرائيل حكم احدى وعشرين سنة . وكان اعتلاؤه العرش نقطة تحول فى التاريخ الإسرائيلى ، من ناحية سيادة إفرايم على أسباط إسرائيل - التى كانت غارقة فى ظلام التاريخ القبلى منذ أيام يشوع وأواخر القضاة - ومن ناحية أخرى أن بيت داود لم يهتم ببسط سيطرته على أرض إسرائيل كلها ، مما أدى إلى إقامة مملكتين مختلفتين لعدة أسباب قد ترجع إلى الوضع الجغرافى المختلف وتباين الأسس الاقتصادية والبيئة الاجتماعية أو إلى العناصر السياسية والحضارية ، ومع كل هذا ظلت المملكتان متحدتين فى الجوهر من ناحية التراث الدينى القومى ، والثقافة الروحانية التى تم التعبير عنها فى أعمال الأنبياء بالمملكتين(٣). وقد بدأ يربعام فى تأسيس مملكته فى شكيم ، ثم انتقل بعد ذلك إلى " فنوئيل פְּנוּאֵל "(٤) على نهر اليبوق فى وادى الأردن ، وحصنها

---

١) الملوك الأول ١٢ : ٢ - ٣ بالمقارنه بالملوك الأول ١٢ : ٢٠ ثم راجع الملوك الأول : ١١

٢) الملوك الأول ١٤ : ٢٠

٣) لبسيكون מקראי, עמ' 363.

٤) פְּנוּאֵל : أى وجه الله فقد جاء فى سفر التكوين : וַיִּקְרָא יַעֲקֹב שֵׁם הַמָּקוֹם פְּנִיאֵל כִּי־רָאִיתִי אֱלֹהִים פָּנִים אֶל פָּנִים - ودعا يعقوب اسم المكان فنيئيل . قائلاً لانى نظرت الله وجها لوجه "(التكوين ٣٢ : ٣١) . وهناك سمى يعقوب بإسرائيل (راجع التكوين ٣٢ : ٢٩) وهى مكان فى وادى الاردن غرب يبوق יַבֹּק ،وقد قام يربعام بن نباط باعادة بناءها بعد ان حطمها جدعون . ويحتمل الآن انها " تل الذهب الشرقى תל אֶ־דַּהַב אֶ־שַׁרְקִיָּה " على الضفة الشرقية ليبوق ، أو " تل إمرامة תל- אמראמה " على بعد ٢ كيلومتراً شمالى شرقى اليبوق.
انظر : לבסיקון מקראי, עמ' 727.

وجعلها مركزاً ثابتاً له ، ومن المرجح أن انتقاله إلى فنوئيل ربما يرجع إلى تهديد مسلح من جهة مملكة يهوذا أكثر مما يرجع إلى خوفه من " شيشق الأول " ملك مصر فى ذلك الحين . هذا وقد ذكر العهد القديم أن زوجته حضرت إلى " ترصه תִּרְצָה "(١)، وهناك مات ابنها على عتبة البيت ، ولم يذكر بوضوح هل حقاً نقل يربعام عاصمته إلى ترصة أو أنه خصص فيها محل إقامة ثانوى(٢).

وقد تلا الانقسام السياسى ، انقسام دينى إذ مزق يربعام أسباط إسرائيل ليس فقط عن بيت داود ، بل أيضاً عن عاصمة بيت داود - أورشليم - وعن بيت المقدس الذى بناه سليمان للشعب كله . وقد أدت استقلالية يربعام إلى تحديد أماكن العبادة الإسرائيلية وإلى إختيار الكهنة واللاويين ، فقام يربعام بإعادة الحياة إلى ماكانت عليه المدن المقدسة أيام الآباء وجعلها مراكز سياسية دينية لمواجهة نفوذ أورشليم ، أى جعلها أماكن تعتمد على التراث

---

١) תִּרְצָה ترصه : مقر ملوك إسرائيل حتى عمرى (راجع الملوك الأول ١٤ : ١٧ ؛ ١٦ : ٢١ ، ٣٣) ورد ذكرها فى قائمة المدن الكنعانية التى احتلها يشوع (راجع يشوع ١٢ : ٢٤) ، ولكنها لم ترد فى قائمة الأماكن التى ورثتها الأسباط . وكانت إحدى بنات " صلفحد " تسمى ترصه ، وطبقاً للنصوص المقرائية (راجع العدد ٢٦ : ٣٣ ، ٣٤ ؛ ٢٧ : ١ ؛ ٣٦ : ١١ - ١٢ يشوع ١٧ : ٣) ان أبى ترصه كان من أسرة " منسى " ، ولذلك هناك من يرى ان ترصه قد سكنها أبناء أسرة منسى . هذا ويبدو أن " ترصه " نالت اهتماماً كبيراً من قِبَل ملوك إسرائيل منذ أن أصبحت عاصمة حتى انهم اعتبروها مدينة للجمال ، وفى سفر نشيد الانشاد تشبيه لها بأورشليم: " יָפָה אַתְּ רַעְיָתִי כְּתִרְצָה נָאוָה כִּירוּשָׁלִַם אֲיֻמָּה כַּנִּדְגָּלוֹת " أنت جميلة ياحبيبتى كترصة . حسنة كاورشليم مرهبة كجيش بألوية " (نشيد الانشاد ٦ : ٤) . ويقول " أولبرايت " أن مكانها الآن " تل الفرعة תֵּל אֵל-פַּרְעָה " عشرة كيلو متراً شمال شرق " شكيم " . وقد قامت بعثة أثرية فرنسية بحفائر فى منطقة التل ، لكنها لم تكتشف حتى اليوم مايدل على أن ترصه كانت فى هذا المكان .
انظر לבסיקון מקראי, עמ' 907.

٢) راجع الملوك الأول ١٤ : ١٧ . وانظر أيضاً
Ricciotti, S.: The History of Israel. P. 295.

المقدس فى ذاكرة الشعب ، وهى " فنوئيل " ، و " بيت إيل " و " دان דָּן (١) " ومن أجل أن يمنع "يربعام" الشعب من الحج إلى بيت المقدس فى أورشليم ، قام ببناء معبدين ، واحداً فى "بيت إيل" والثانى فى "دان" ، ووضع فيهما " عجلى ذهب " وقد اختلفت آراء الباحثين اليهود بشأن هذين العجلين ، فيرى " دوفنوف דובנוב " أنها صورة " ليهوه יְהוָה " اختارها يربعام كما يبدو بتأثير عبادة "أفيس אֲפִיס" المصرى(٢) ، التى شاهدها أثناء فترة هروبه فى مصر ، ولذلك انساقت الجماهير فى سعادة إلى هذه المقدسات الجديدة حيث لم تر فى هذا الإصلاح الدينى منهجاً جديداً أو شيئاً غريباً ، بل عودة لعبادة " القدس הַקָּדוֹשׁ " التى سبقت أيام الملوك ، والتى سمحت بصور خارجية ليهوه(٣) .

---

١) דָּן دان " تقع فى أقصى شمال إسرائيل على الأطراف الشمالية الغربية من جبال يهوذا ، وتحدها "إفرايم" من الشمال ، و"بنيامين" شرقاً ، و"يهوذا" غرباً ، أما الحد الجنوبى لأرض إسرائيل فهو "بئر سبع" ولذا يقال فى العهد القديم : " من "دان" حتى بئر سبع " أى إشارة إلى إسرائيل كلها ، وكان اسم المدينة فى البداية " ليش לַיִשׁ " (راجع قضاة ١٨ : ٢٧ - ٢٩) أو " لشم לֶשֶׁם " (راجع يشوع ١٩ : ٤٧) ، لكن بعد أن احتلها سبط دان ، سميت على اسمه . ويقوم مكانها الآن " بيت القاضى " بجانب منابع الأردن فى "وادى بيت رحوب" ، والتفسير المقرائى للأسماء يرجعها إلى الاسم "دين" كإختصار " لدنيئيل דָּנִיאֵל " أى " حكم الله " . وهناك من يرى فى هذا الاسم اسما إلهيا يشبه " جاد " و"أشير" .
انظر לפסיקון מקראי, עמ' 363, 230, 232 .

٢) افيس - אפיס - : ويطلق عليه بالمصرية " حابى " . وهو عجل منف ، وترجع عبادته إلى زمن قديم جداً فى مصر الفرعونية ، وكانت له علامات خاصة فلونه أسود ، وعلى جبهته نقطة مربعة ، وعلى ظهره صورة نسر وفى ذيله شعر مزدوج ، وعلى لسانه " جُعل " . ويذكر " هيرودوت " أنه عندما كان يولد عجل جديد كان يعم السرور ويلبس المصريون فى الحال أحسن وأبهى ملابسهم ، ويقيمون الأعياد والاحتفالات .
انظر : مرجريت مرى : " مصر ومجدها الغابر " : ترجمة محرم كمال ومراجعة د. نجيب ميخائيل. لجنة البيان العربى . ١٩٥٧ . ص ٢٢٠ ، ٢٢١

٣) שומעון דובנוב, דרך ראשון, עמ' 64.

ويوافق " جريتس גרץ " "دفنوف" في رأيه هذا ، ويضيف إليه أن هذين العجلين لم يؤثرا على عقيدة التوحيد في قلوب الإسرائيليين ، حيث إن يربعام لم يأت بأصنام كثيرة إلى وطنهم بل أعطى إله إسرائيل قالباً رمزياً للقوة والخصوبة والتناسل ، ويستند في رأيه هذا على أن عبادة العجول هذه لم يصاحبها "الزنا المقدس" أو "الدعارة المقدسة" ، كما كان شائعاً في عبادة "بعل" بين الكنعانيين ، ولذلك لم تمس مشاعر الاستقامة والتقوى عند الإسرائيلين(١).

هذا ويرى " قوفمان קויפמן " ، في تحليله لظاهرة العجول الذهبية أن المقرا لم يحظر تمثيلاً رمزياً للرب (يهوه) وأن الأنبياء لم يحاربوا هذه الفكرة ، ويقول إن عجول يربعام لاتعتبر رمزاً ليهوه ، وأن من عارضوا "يربعام" أدانوه باعتبار أن هذه العجول وثنية (פְּסִילִים)،ويضيف " قوفمان " قائلاً إن الوصية الثانية من الوصايا العشر قد ذكرت في الإصحاح العشرين من سفر الخروج : "לֹא תַעֲשֶׂה־לְךָ פֶּסֶל וְכָל־תְּמוּנָה"(٢) لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولاصورة " وهذا الحظر جاء بعد حظر سابق له "לֹא־יִהְיֶה לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל־פָּנָי"(٣) لايكن لك الهة أخرى أمامي".

ولذلك يرى " قوفمان" أن النهي هنا ليس موجهاً لتمثيل الرب في شكل رموز ، بل للصور التي يتم عبادتها كآلهة ، أي تماثيل وصور لآلهة أخرى . ويذكر أيضاً أن الوصايا العشر لم تشر إلى عبادة مجردة ليهوه ، ولذلك فمن الغريب جداً أن نجد من يؤمن بأن العقيدة الإسرائيلية لم تعرف مطلقاً تمثيلاً رمزياً ليهوه . ويعتقد "قوفمان" أن رفض الشعور الداخلي العميق ، للتمثيل الرمزي ليهوه يرجع إلى أن رمز الرب قد تم إدراكه في العالم الوثني كله " كجسد " للرب . ولذلك فإن حرب المقرا ضد استخدام صور للعبادة ، هي حرب ليست جذرية وجوهرية ، مثل حربه ضد التمثيل الرمزي ليهوه ، فالعقيدة الإسرائيلية لم تحظر صنع صور من أجل استخدامها في عبادة معينة ، بل حظرت عبادتها فقط ، فالمقرا ينسب الى

---

١) ד"ר צבי גרץ : דברי ימי ישראל, כרך ראשון, תרגום ש. ל. צ'יטרון, הוצאת יזרעאל, תל אביב, ישראל תשט"ו-1955, עמ' 79.

٢) الخروج ٢٠ : ٣

٣) الخروج ٢٠ : ٢

موسى صنع حية من النحاس " נְחַשׁ נְחֹשֶׁת "[1]، كذلك " التابوت" "والكروبيم הַכְּרוּבִים [2] اعتبرت كمقدسات ، ينسب صنعها إلى موسى[3]. ولهذا فان النظرة إلى صور العبادة كانت منقسمة منذ البداية ، مما أعطى حيزا للتحرك والتردد وإلى نشوب حرب داخلية أدت بمرور الوقت إلى

---

١) راجع العدد ٢١ : ٨ - ٩ ، والملوك الثانى ١٨ : ٤ .

٢) الكروبيم : הַכְּרוּבִים ومفردها " כְּרוּב كروب " وهى إبداع الخيال الشعبى ،فأصلها أقدم من العقيدة الإسرائيلية ،حيث نجد أنواعاً من الكروبيم فى بابل وآشور ، وكذلك فى مصر ،وهى على هيئة حيوانات أسطورية تحرس مداخل المعابد ، وكلمة كروب כְּרוּב " ليست عبرية خالصة ، ويرجح أنها آشورية من " כְּרִבּ " . هذا وقد تعددت الآراء حول أصل هذه الكلمة ، فالبعض يقول انها اشتقت من كلمة " Grips جروبس" اليونانية ، وهو اسم كائن خرافى له جسم أسد ورأس طائر (عادة مايكون نسراً) ، وهناك من يقول انها أكادية الأصل من مادة " Kariba " وهى تعنى فى الأكادية " صلى " ، ثم تطورت فكرة الكروبيم لدى اليهود وأصبحت رمزاً إله السماء وماشابه ذلك ، بل واحدة من رموز خادمى الرب الذين يقومون بتنفيذ كلمته وبالأخص رمزاً لمركبة الرب أى رمز ظهوره فى مكان ما لتنفيذ حكمه وقضائه . وقد تعددت المفاهيم حول حقيقة " الكروب " عند اليهود ، فيعتقد " شتاده שטדה " وجرسمان גרסמן " ،و" طورشينر טורטשינר " وآخرون أن " الكروبيم رمزا للسحاب .ومع ذلك فاننا نجد " الكروبيم " تظهر فى صموئيل الثانى (٢٢ : ١١) ، والمزامير (١٨ : ١١) لاتقابل فقط السحاب بل أيضاً الضباب والريح والظلام . وفى سفر " حزقيال " نجد أن الكروبيم تظهر بجانب السحاب (راجع حزقيال ١ : ٤ ومابعده : و ١٠ : ٣ - ٤) هذا وقد ورد فى سفر التكوين ذكر " الكروبيم " دون أية علاقة بالسحاب . وهناك من يعتقد أن " الكروبيم " حيوانات نارية تقابل المركبة النارية ، والخيول النارية التى رفعت " إلياهو النبى " - אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא " الى السماء (راجع الملوك الثانى ٢ : ١١ ؛ ٦ : ١٧) وذلك بالمقارنة بالخيول ، ومركبات السماء المذكورة فى سفر حبقوق (راجع حبقوق ٣ : ٨، ١٥) ؛ أما عن مكان " الكروبيم " فإنها كانت توجد داخل غرفة " قدس الأقداس " بمعبد أورشليم ، حيث كان يغطى " تابوت العهد " بتمثالين من من " الكروبيم " ،واحد عن يمينه والآخر عن يساره .
(أنظر : سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ص ٢٨٦)
وانظر أيضاً : לכס יקון מקראי . עמ' 413-414

٣) חזקיאל קויפמן : תולדות האמונה הישראלית . הוצאת מוסד ביאליק בירושלים . דביר תל אביב . מהד' תשיעית בדפוס כתר . ירושלים תשל"ו . כרך שני . עמ' 75.76 ،
353 - 352

تلوث ظواهر معينة مثل عبادة "يربعام" للعجول وجعله لها شكلاً وثنياً ، لكن هذه الظاهرة أثبتت أن التراث القديم الذى يعود إلى أيام "موسى" لم يعارض مطلقاً أية صورة من صور العبادة ... ومن أدلة " قوفمان " على عدم وثنية عجول يربعام : أن " ياهو יֵהוּא " (حوالى ٨٤٢ - ٨١٥ ق.م) مدمر عبادة بعل ، لم يقم بتدمير عجول يربعام ، وأن " إلياهو النبى " لم يدع إلى إزالة وتدمير عجول يربعام أو تعنيف خطيئة يربعام .. أما ادانة العجول على أنها آلهة وثنية فهى تنسب إلى النبى " أحيا אֲחִיָּה "(١)، وهى تعكس وجهة النظر الجنوبية ، وهى أيضاً ترجع إلى زمن متأخر(٢).

ومن خلال القصة المقرائية فى سفر الملوك الأول الإصحاح الثانى عشر نتعرف على طبيعة عجول يربعام ، فالقصة لاتربط العجول بعبادة أى إله من آلهة الأمم الأخرى . ومن ثم فالعجول صنعت لتكريم يهوه مثلما صنع " ميخا מִיכָה "(٣) تمثاله ، ولذلك يرى بعض الباحثين أن عجول يربعام هى رمز يقابل فى ضروريته ووظيفته "التابوت"، و"الكروبيم"، و"الحية النحاسية" . ولأسباب سياسية لم يستطع "يربعام" الاكتفاء بمرتفعات الشمال القديمة(٤)، بل إنه

---

١) راجع الملوك الأول ١٤ : ٩ و ١٥

٢) חזקיאל קויפמן , דרך שני , עמ' 76 , 259.

٣) מִיכָה أو מִיכָיְהוּ ميخا : رجل من إفرايم فى أيام القضاة ، صنع له "تمثالاً" و"افود" وعين له واحداً من أبناء لاوى كاهناً ، وقد وردت قصته بالتفصيل فى سفر القضاة الإصحاحات ١٧ و ١٨ .

٤) المرتفعات : ويطلق عليها فى العهد القديم בָּמוֹת ومفردها בָּמָה (راجع الملوك الأول ١٢ : ٣٢ ؛ والملوك الثانى ٢٣ : ٩ وغيرها) ومدلولها فى المقرا " المكان المرتفع " أو بوجه عام " هضبة - גִּבְעָה " (راجع حزقيال ٢٠ : ٢٨ - ٢٩) . وقد وردت أيضاً كلمة " בָּמָה " لتشير إلى مكان مرتفع فى البحر (راجع أيوب ٩ : ٨) ويعتقد " أولبرايت אולברייט " أن الاصل فى معناها هو " جسد مقطوع الرأس واليدين والقدمين " . ثم تطور معناها إلى " قبر " ثم إلى دلالتها الثانوية وهى " مكان العبادة بجوار القبر " . وأخيرا " مكان عبادة " بوجه عام ، ولذلك فان جوهر استخدام كلمة " בָּמָה " فى المقرا هو الأشارة إلى " مكان العبادة " سواء لشعوب كنعان أو لبنى إسرائيل منذ احتلال أرض كنعان وحتى نهاية عصر البيت الأول .

انظر : ו.פ. אולברייט : הארכיאולוגיה של ארץ ישראל , תל-אביב , תשי"א , עמ' 97 , 152.

كان مضطراً للانسياق وراء داود وسليمان ، فبنى فى مملكته معبداً أو معابد على نمط معبد الملك المقام فى أورشليم ، إذ من رأيهم أن تكريم المعبد تكريم للملك ، ويحتمل أن هذه المبانى تم بناؤها على نمط الفن الكنعانى أو المصرى . ومثلما أخذ سليمان بعض الرموز الوثنية من هذا الفن، كالأسود والأبقار وغيرها ، أخذ ذلك أيضاً يربعام ، إلا ان يربعام كان محتاجاً إلى رمز يحل محل "التابوت" الموجود فى معبد أورشليم ، فأخذ هذا الرمز من العقيدة الأجنبية ، وهو "العجل" ، فقد كان "الثور" أو "العجل" رمزاً شائعاً فى العقيدة الوثنية حيث كان الثور مركباً للإله هدد הֲדַד (١). وكذلك نجد فى العقيدة الوثنية الثور ذا الأجنحة الذى يقوم بوظيفة " كروب " الحراسة . هذا وقد أخذ يربعام رمز العجل فقط ، ولم يأخذ رمز الإله الواقف أو الراكب على العجل(٢).

---

١) הֲדַד : هدد وهى الصيغة السامية الغربية لإله سامى عظيم ، وهى فى الأوجاريتية " هد הד " وفى الوثائق الأكادية " אַדַד , אַדְ " . ويتشابه هذا الإله مع آلهة مهمة أخرى ، فعند الأراميون يتشابه مع " רַמָּן رمان " (والصيغة المقرائية له فى الملوك الثانى ٥ : ١٨ هى " רִמּוֹן رمون ") ، وعند الحوريين مع الإله " תֶּשׁוּפ تشوف " وفى مجمع الآلهة الميزوبوتومية اعتبر أحياناً كابن " انليل אֶנְלִיל "، وفى القصص الميزوبوتومية يعتبر كأحد الآلهة الرئيسية ، الذى يسيطر على دورة المياه وعلى العواصف . وهو يتجلى فى البرق والرعد ، ويوزع بركة المطر والخصوبة حسب رغبته ، وهو سيد مياه الأعماق ، والذى يسبب الفيضانات والطوفان . وفى واحدة من قصص الطوفان الأكادية يجلب " أدد" الطوفان على الأرض . وقد قام " حمورابى " بالصلاة له فى ختام " كتاب القوانين " ، وكذلك كان يلعن كل من يمس الحجر المنقوشة عليه قوانينه ، بسوء . وينسب المقرا بعض أوصاف الإله " هدد " إلى " يهوه " : مثل الرعد والزئير (راجع صموئيل الثانى ٢٢ : ١٤ ؛يوئيل ٢ : ١٤ ؛ عاموس ١ : ٢) انظر: לפסיקון מקראי, עמ' 247.

٢) وفى تفسير الاسم " عجل עגל " هناك من يعتقد أنه ليس اسماً وثنياً ، بل إن معناه " ثور شاب " حيث عثر فى حفائر السامرة على الاسم "עגל" فى تركيب لاسم علم : "עגלו" ، وهناك من يفسره على أنه يعنى " عجل يهوه " - עגלו של יו " .
انظر : חזקיאל קויפמן , דרך נשני , עמ' 260-261 .

ولهذه الأسباب كلها يتضح أن عجول يربعام تقابل كروبيم التابوت ، من حيث إنها ترمز إلى المركبة لا إلى راكبها . ويبدو أن عجول يربعام كانت لها أيضا أجنحة ، وكانت صورة من صور الكروب حيث كان للكروب وجه ثور وأقدام عجل[١]. هذا ويعارض الباحثون المحدثون هذا الرأى ، فيرون أن هناك فرقاً جوهرياً بين "العجول" و"الكروبيم" وأن "التابوت" و"الكروبيم" من مظاهر عقيدة أكثر طهراً ونقاء ، بينما يرى " قوفمان " أن هؤلاء الباحثين منساقين وراء ادانة كتاب المقرا الجنوبيين . وهو يربط بين العجول واستخدام يربعام لكهنة من غير اللاويين ، حيث يقول : "إذا افترضنا أن كهنة العجول كانوا من غير اللاويين فقط كما ورد فى " الملوك الأول "" :מִקְצוֹת הָעָם אֲשֶׁר לֹא־הָיוּ מִבְּנֵי לֵוִי " من أطراف الشعب الذين لم يكونوا من بنى لاوى "[٢]،فلانستطيع اغفال الاستنتاج بأن يربعام صنع العجول طبقاً لتصميم كهنة من بيت هارون ، أبو الكهنوتية وصانع العجل الذهبى ،فبعض هؤلاء الكهنة اشتغلوا فى المرتفعات الكبيرة فى الشمال ، والبعض الآخر تجمع حول معبد أورشليم . هذا ويعتقد " قوفمان " أن عجول يربعام تنتمى إلى نفس التقاليد الكهنوتية التى انبثق عنها رمز "كروبيم التابوت" و"كروبيم سليمان" ، وأن تصميم وصنع عجول يربعام ليست نتيجة تأمل روح يربعام بمفرده ، بل اشترك معه فى صنعها كهنة من بيت هارون[٣].

وفى المقابل نجد أن " دوفنوف " يرى أن الكهنة اللاويين أو كهنة المرتفعات لم يكن لهم شأن بهذه العجول ، وأن الكثير منهم اضطر إلى الخروج من مملكة إسرائيل إلى مملكة يهوذا وتحملوا ظلم رحبعام من أجل الحفاظ على عقيدتهم النقية ، ويضيف " دوفنوف " ان يربعام كان يصعد بنفسه على المذبح فى أيام الأعياد والمواسم ، ويقرب القرابين فى بيت إيل[٤].

---

١) راجع حزقيال ١ : ٧ - ٩

٢) راجع الملوك الأول ١٢ : ٣١ - ٣٣ ؛ ١٣ : ٣٣ - ٣٤

٣) חזקיאל קויפמן, דרך שני. עמ' 261.

٤) שמעון דובנוב, דרך ראשון, עמ' 64.

أما خطيئة يربعام الثانية فهى انه جعل العيد ، وهو عيد " الظـــــلل סֻכּוֹת "(١)، فى الشهر الثامن حيث جاء فى سفر الملوك الأول : " וַיַּעַל עַל המזבח אֲשֶׁר־עָשָׂה בְּבֵית אֵל בַּחֲמִשָּׁה עָשָׂר יוֹם בַּחֹדֶשׁ אֲשֶׁר בָּדָא מִלִּבּוֹ וַיַּעַשׂ חָג לִבְנֵי יִשְׂרָאֵל "(٢)

واصعد على المذبح الذى عمل فى بيت إيل فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن الذى ابتدعه من قلبه فعمل عيداً لبنى إسرائيل " . ويعتبر هذا العيد عند اليهود ، العيد الكبير ليهوه ، وقد كان يحتفل به فى شهر " ايثانيم " وهو الشهر السابع من شهور السنة العبرية ، وهو الذى سمى بعد ذلك " تشرين الأول" او اكتوبر " : " וַיִּקָּהֲלוּ אֶל־הַמֶּלֶךְ שְׁלֹמֹה כָּל־אִישׁ -

---

١) عيد الظلل . واسمه بالعبرية " סֻכּוֹת ـ سكوت " : الأصل فى هذا العيد أنه عيد زراعى كان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائيـــــة للسنة كلها فى هذا الفصل ، وهو فصل الخريف ، ولذلك يسمونه أيضـــــاً بالعبرية " חַג הָאָסִף " أى " عيد التخزين " ، ومدته التقليديـــة تسعة أيام ، منها سبعة أيام هى عيد الظلل بذاته ، ويومان آخران هما الثانى والعشرون ، والثالث والعشرون من تشرى ، ولهما لون آخـــــر ، فالأول منهما يسمى "الثامن الختامى שְׁמוֹנָה עֲצֶרֶת " لأنه يختم عيد الظلل بأيامه السبعة ... وأما اليوم الثانى من هذين اليومين الأخيرين فانه يفتتح دورة جديدة من قراءة التوراة ، ولذلك يسمى عيـــد " فرحة التوراة שִׂמְחַת תּוֹרָה " . أما مناسبته " التاريخية " فهى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت أبناء إسرائيل فى العراء بعد الهجرة ، فهى تذكرهم بأيام التيه ـ والتقليد عند اليهود فى هذا العيد هـــو أن يقيموا فى أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر فى الخلاء تدعى " סֻכָּה " ويصلون من أجل سقوط الأمطار بعد الصيف الجاف ، ولذلك فان اليوم السابع والأخير من عيد الظلل يسمى عند اليهود اليوم الكبير لطلب النجـــــدة وبالعبرية " הוֹשַׁעְנָה רַבָּה " ويبدو أنها فى الأصل كانت صـــــلاة استسقاء عندما يتأخر المطر . وقد جرى عرف اليهود على أنهم فى هـــذا اليوم يدخلون المعبد لهذه الصلاة ، وفى يد كل واحد منهم غصن مـــــن الأغصان التى تستعمل فى تهيئة هذه الظلل ، فيضربون على الكراسى بهـــذه الأغصان حتى تتساقط أو راقها كلها ، ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التى ارتكبوها فى هذه السنة . ولكن اليهود يكتفـــــون حالياً بإقامة مظلة صغيرة ينصبونها فى إحدى شرفات المنزل .

انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
وانظر أيضاً : د. عبد الوهاب محمد المسيرى . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٢٧٧ .

٢) الملوك الأول ١٢ : ٣٣ . وقارن أيضا أخبار الأيام الثانى ١١: ١٣ ـ ١٨

יִשְׂרָאֵל בְּיֶרַח הָאֵתָנִים בֶּחָג הוּא הַחֹדֶשׁ הַשְּׁבִיעִי "(١)

فاجتمع عند الملك سليمان جميع رجال إسرائيل فى العيد فى شهر ايثانيم . وهو الشهر السابع " . وهناك من الباحثين من يرى هذا العمل إصلاحاً دينياً، ويقولون إن يربعام نقل رأس السنة ، وبداية تعداد سنوات حكمه ، من الربيع إلى الخريف ، لكى يقطع الإتصال الدينى المتبادل مع مملكة الجنوب . ولذلك اختار يربعام تقويماً رسمياً لمملكته ليس مثل المتبع فى مملكة يهوذا ، وليس هذا غريباً ، ففى مناطق شرق أسيا كان يوجد تقويمين للسنة : الأول بدايته فى الربيع (نيسان) ، والآخر بدايته فى الخريف (تشرى) . وبذلك حلّ " عيد الحصاد חַג הָאָסִף " فى المملكة الشمالية فى الشهر السابع ، وليس فى الشهر الثامن كما هو الحال فى المملكة الجنوبية ، ويشير هذا إلى انه فى السنة التى كبس فيها يربعام رأس السنة ، كبس أيضاً السنة فى شهر " أيلول אלול "(٢). ولذلك يرى " قوفمان " أن الاحتفال بالعيد فى الشهر الثامن قد اعتمد على تراث كهنوتى يختلف عن تراث كهنة الجنوب الذين يحتفلون بالعيد فى الشهر السابع ، ويعتقد أيضا أن العجول وتأخير العيد هما من الناحية القانونية والتوثيقية عصياناً للرب ، ولكن من الناحية الجوهرية لاتوجد فيهما أية وثنية على الإطلاق . وملخصاً لآراء قوفمان وادعاءاته ان العجل ليس " صورة ليهوه " ، وليس أيضا صورة " لأى إله " بل لم يكن إلا عرشاً ليهوه فى هيئة "ثور" الغرض منه ملأفراغ التابوت بعد انفصال المملكة الشمالية(٣)، ولكننا لانرى ان نصوص العهد القديم قد شوهت بدرجة كهذه ، وحتى إذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر غضب " هوشع הושע " على عجل السامرة - עגל שֹׁמְרוֹן " ، وكيف نقبل عقلياً أن " هارون " أو يربعام يشيرا الى " عجل " كهذا ويقولا للشعب هذا هو - وليس يهوه ! - الذى أصعدكم من أرض مصر(٤)!!

---

١) الملوك الأول ٨ : ٢

٢) בנימין מזר, אלכסנדר פלאי, אברהם מלמט, ישראל אפעל, היסטוריה של עם ישראל, סדרה ראשונה, תקופת המקרא, הוצאת עם עובד, בע"מ תשמ"ב 1982, עמ' 85.

٣) חזקיאל קויפמן, כרך ראשון, עמ' 670, כרך שני, עמ' 261.

٤) מרדכי מרטין בובר: תורת הנביאים, הדפסה ג', דפוס אופק, תל-אביב, ישראל, 1975, עמ' 70.

وفى الحقيقة ان عدم إدانة يربعام إلا من " أحيا الشيلونى " يرجع إلى انه كان النبى المعاصر له ، ومع أن نبوءات "أحيا" التى تدين يربعام قد جمعت فى سفر واحد أطلق عليه سفر " نبوءات أحيا الشيلونى " ، وضياع هذا السفر وفقدانه ، إلا ان " أحيا " يعتبر واحداً من الأنبياء المناضلين من أجل عبادة طاهرة ونقية للرب فى إسرائيل ، ومن أجل الحفاظ على التقاليد التى ربطت " شيلوه " مدينته بصور العبادة القديمة فى إسرائيل ، ودعمت من معارضته للوثنية ، والتى مهدت من ناحية أخرى إلى ظهور أنبياء عظام مثل "إلياهو النبى" (١).

يربعام وعلاقاته بالدول المجاورة :

إن موقع مملكة إسرائيل السياسى والجغرافى قد حدد مصيرها التاريخى ، فحدودها الشمالية مع آرام ، وسيطرتها على الطرق الدولية جعلها تواجه خطراً عسكرياً مستمراً من ناحية "آرام" ، ثم بعد ذلك من ناحية آشور ، لكن الخطر من ناحية مصر كان أكثر قوة من خطره على يهوذا ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى سيطرة مملكة إسرائيل على " الشارون " " ووادى يزرعئيل " اللذين يمر بهما طريق البحر (٢). وعندما قام ملك مصر " شيشق الأول " بغزو يهوذا (حوالى ٩٢٥ ق.م) كان ذلك طبقاً لتخطيط مصر لشد أزر "يربعام" ضد "رحبعام" (٣). وقد انتهز "شيشق" هذه الفرصة ليستعيد أمجاد مصر القديمة فى كنعان والحصول على جزية ضخمة من ملك يهوذا ، فقام فى السنة الخامسة من حكم يربعام على رأس جيش كبير ، بمحاصرة مدن يهوذا ، ويبدو أن أورشليم استسلمت بدون حرب ، ولذلك اكتفى ملك مصر بالغنيمة الضخمة من كنوز بيت المقدس وقصر الملك ، ويحتمل أن رحبعام قدم له هذه الكنوز فى صورة فدية مقابل سحب جيوش مصر من المدينة (٤). وعلى الرغم من ذلك هاجم ملك مصر أيضاً باقى مدن يهوذا ،

---

١) ב. בן יהודה: הנבואה בישראל, עמ' 36.
٢) לפסיקון מקראי, עמ' 119.
٣) אוצר ישראל, חלק תשיעי, עמ' 299.
وراجع أيضاً الملوك الأول ١٤ : ٢٥ ؛ أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٩
٤) שמעון דובנוב, פרק ראשון, עמ' 65.

وجمع منها غنائم كثيرة ، ومن ناحية أخرى فإنه لم يقم بتدمير مملكة يهوذا، وأبقى على رحبعام ملكاً "[١]... وعندما عاد شيشق إلى مصر قام بتخليد " انتصاراته الرائعة " فى تسجيل تذكارى بالكتابة والصور[٢]، مقلداً بذلك " ملوك مصر الأقدمين " وقد ذكر الجزية التى تقاضاها من فلسطين، على بوابة الكرنك فى " طيبة תֵּבִי " عاصمة ملوك مصر (وهى נא אמון نا آمون - فى العهد القديم) ، ولقد شوهت عاديات الزمن سطوراً طوالاً وأكثر من أسماء مائة وست وخمسين مدينة ، لم يبق منها سوى أسماء قليلة تشير إلى ضواحى السامرة ، وإن لم تشر إلى صميم المملكة الإسرائيلية ، بل ليست هناك فى النصوص المصرية ، إشارة إلى أنه وطئ أرض يهوذا ، وإن أشارت إلى غزو " أدوم "[٣] ومن بين المدن التى ورد ذكرها : "مجدو מגידו"، و"رابات רבת" و"تعنك תענך" ،و"محانيم מחנים" و"شونم שונם" حتى "بيت شان בית שאן" شرقى وادى الأردن ، و"بيت حورون בית חורון" ، و"أيالون אילון" ، و"جبعون גבעון" ، و"سوكو שוכו" ، و"مجدولى מגדול"[٤]

---

١) ד"ר צבי גרץ, דרך ראשון, עמ' 78.

٢) ويبدو أن هذا التسجيل قام به ثالث أبنائه الكاهن الأكبر لآمون رع فى الكرنك " أيوپوت " إلى جنوب بهو الأعمدة ، وتسمى " البوابة البوباستية " عادة . ويرجع النقش إلى العام الحادى والعشرين من حكم شيشق . ويمكن اعتبار هذه النقوش من مخلفات كبار كهنة آمون ، لا من مخلفات الملوك أنفسهم ، وذلك لأن ملوك هذه الأسرة كانوا يقطنون الوجه البحرى حيث عملت طبيعة الأرض على زوال مايمكن أن يكون قد خلفه هؤلاء الملوك . وقد ظهر " آمون رع " يقود خمسة صفوف من أسرى الحرب تتلوه " موت " تجر صفوفاً خمسة أخرى ، وكل أسير يمثل قرية وقعت فى قبضة الملك أثناء حملته .
انظر : د . نجيب ميخائيل إبراهيم . ج ٢ . ص ٣٢٠

٣) د . نجيب ميخائيل إبراهيم . ج ٢ . ص ٣٢٠.

٤) אוצר ישראל, חלק תשיעי, עמ' 299.

هذا ويرى بعض الباحثين أن الغزو كان موجهاً إلى إسرائيل ويهوذا معاً وليس إلى مملكة يهوذا فقط . وفى الحقيقة ، لسنا ندرى أكانت هذه الحملة تستهدف استعادة مجد مصر القديم أو شد أزر يربعام ، أو هى غارة خاطفة ليست أكثر من ذلك(١).

ثم يشير العهد القديم بعد ذلك إلى المعركة التى وقعت بين يربعام وأبيا אֲבִיָּה (٢) ملك يهوذا ، والتى هُزمت فيها مملكة إسرائيل واستيلاء ملك يهوذا على بيت إيل وقراها ، ويشانه وقراها ، وعفرون وقراها ، ثم يذكر العهد القديم أيضاً ان يربعام لم يستعد قوته فى أيام حكم أبيا حتى مات متاثراً بمرضه : " וַיִּרְדֹּף אֲבִיָּה אַחֲרֵי יָרָבְעָם וַיִּלְכֹּד מִמֶּנּוּ עָרִים אֶת־בֵּית־אֵל וְאֶת־בְּנוֹתֶיהָ וְאֶת־יְשָׁנָה וְאֶת־בְּנוֹתֶיהָ וְאֶת־עֶפְרוֹן וּבְנוֹתֶיהָ. וְלֹא־עָצַר כֹּחַ־יָרָבְעָם עוֹד בִּימֵי אֲבִיָּהוּ וַיִּגְּפֵהוּ יְהוָה וַיָּמֹת (٣) - وطارد أبيا يربعام واستولى منه على مدن بيت إيل وقراها وبشانة وقراها وعفرون وقراها . ولم يستعد يربعام قوته بعد فى "أيام أبيا وأصابه الرب بالوباء فمات " وبموت يربعام

---

١) Ricciotti, S. The History of Israel, P. 314.

٢) אֲבִיָּה ,אֲבִיָּהוּ , אֲבִיָּם أبيا : ابن رحبعام ملك يهوذا، (حوالى ٩١٢ - ٩١٠ ق.م) واسم أمه " ميخيا هو بنت أورئيل "מיכיהו בת אוריאל" من الجبعة (راجع أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢) وقد ورد اسمها " معكة بنت ابشالوم מעכה בת אבשלום " فى أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢٠ ، ٢١ . وهى نفس الصيغة الواردة فى الملوك الأول ١٥ : ٢ ، فى حين نجد فى نص أخر فى نفس الاصحاح يقول انها كانت أم " آسا بن أبيا אסא בן אביה " (الملوك الأول ١٥ : ٢) - ونتيجة لما ذكر فى العهد القديم عن انتصاره على يربعام ، يرى البعض وجود حلفاً عسكرياً بين يهوذا وآرام فى أيام أبيا ، وان وقوف آرام بجانب أبيا فى حربه ضد يربعام هو الذى مكنه من الانتصار . أما عن الحياة الدينية فى أيام حكمه ، فلم يحدث فيها تغييراً يذكر عن أيام أبيه ، فقد سار على نهج وخطايا أبيه يربعام .
انظر : לנסיקון מקראי , עמ' 4.

٣) راجع أخبار الأيام الثانى ١٣ : ١٩ - ٢٠

انتهت فترة ملكه التى استمرت ٢٢ سنة ، وخلفه فى الحكم ابنه "ناداب"(١).

ناداب بن يربعام : נָדָב בֶּן יָרָבְעָם (حوالى ٩١٠ - ٩٠٩ ق.م)

وقد اعتلى ناداب عرش المملكة الشمالية فى السنة الثانية من حكم "آسا" ملك يهوذا(٢)، وفى أثناء حكمه اندلعت الحرب بين إسرائيل والفلسطينيين ، فقام "ناداب" بمحاصرة مدينة " جبثون גִּבְּתוֹן " الفلسطينية ، والتى شملها من قبل إرث " دان " . وحتى ذلك الوقت لم يكن يعرف مكانها بالتحديد ، لكن يبدو أن جبثون كانت مدينة حدود وقاعدة عسكرية مهمة فى المعارك بين إسرائيل والفلسطينيين(٣). وعلى عكس "يربعام" ، الذى وصل إلى الحكم بفضل أعماله وبطولاته ، كان ابنه قليل الأعمال ، فى الوقت الذى تزايد فيه نفوذ قادة الجيش ، الذين أخذوا يتطلعون إلى إعتلاء العرش (٤).

ويذكر العهد القديم أن "ناداب" سار فى طريق أبيه الدينى : "וַיַּעַשׂ הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה וַיֵּלֶךְ בְּדֶרֶךְ אָבִיו וּבְחַטָּאתוֹ אֲשֶׁר הֶחֱטִיא אֶת-יִשְׂרָאֵל" (٥) وفعل الشر فى عينى الرب ، وسار فى طريق أبيه وخطيئته التى جعل بها إسرائيل يخطىء" . وفى حربه فى جبثون قتله " بعشا بن احيا בַּעְשָׁא בֶּן-אֲחִיָּה " أحد قادة جيشه ، وملك عوضاً عنه ، ثم قام بالقضاء على بيته الملكى ، كما كان متبعاً فى تلك الأيام : "לֹא הִשְׁאִיר כָּל-נְשָׁמָה" (٦) لم يبق نسمة " . وكما تنبأ بذلك "أحيا الشيلونى" ، ويرى العهد القديم أن هذا الأمر قد تم تنفيذاً لأمر إلهى عقوبة على أخطاء يربعام الذى أخطأ وجعل إسرائيل تخطىء . وهكذا لم يحكم ناداب إلا سنتين فقط ، وبموته انتقلت الملكية من سبط إفرايم إلى سبط يساكر(٧).

---

١) راجع الملوك الأول ١٤ : ٢
٢) راجع الملوك الأول ١٥ : ٢٥ - ٨
٣) לפסיקון מקראי, עמ' 684. وراجع أيضاً يشوع ١٩ : ٤٤
٤) שמעון דובנוב, כרך ראשון, עמ' 68.
٥) الملوك الأول ١٥ : ٢٦
٦) الملوك الأول ١٥ : ١١
٧) לפסיקון מקראי, עמ' 684.

بعشا بن احيا בַּעְשָׁה בֶּן אֲחִיָּה (حوالى ٩٠٩ - ٨٨٦ ق.م)

اعتلى "بعشا" عرش مملكة إسرائيل فى السنة الثالثة من حكم "آسا" ملك يهوذا وحكم فى "ترصه ، תִּרְצָה" حوالى اربع وعشرين سنة (١). وتشير أحداث حكم "بعشا" إلى أهمية دمشق كمركز للقوة الآرامية بالنسبة لإسرائيل ويهوذا معاً ، فمع استئناف الحرب بين بعشا " وآسا " ملك يهوذا ، قام بعشا بالزحف مع كل جيشه إلى حدود النقب حيث حاصر " الرامة הָרָמָה " ، بعد أن عقد تحالفاً سلمياً مع آرام التى أكدت له عدم مهاجمتها له من الشمال ، وبمحاصرة الرامة أصبح آسا فى موقف صعب لغلق الطريق التجارى المؤدى إلى الشمال (٢)، فتحول هو أيضا إلى دمشق وأرسل هداياه إلى بنهدد ملك آرام قائلاً له : בְּרִית בֵּינִי וּבֵינֶךָ - בֵּין אָבִי וּבֵין אָבִיךָ הִנֵּה שָׁלַחְתִּי לְךָ שֹׁחַד כֶּסֶף וְזָהָב לֵךְ הָפֵרָה אֶת-בְּרִיתְךָ אֶת-בַּעְשָׁא מֶלֶךְ-יִשְׂרָאֵל וְיַעֲלֶה מֵעָלָי (٣) ان بينى وبينك وبين ابى وابيك عهداً . هوذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب فتعال انقض عهدك مع "بعشا" ملك إسرائيل فيصعد عنى " ، ويبدو أن هذا الحلف القوى يعود إلى أيام حكم " أبيا " ملك يهوذا ، وهكذا أصبح ملوك المملكة المنقسمة مهددين ، لدرجة القيام برشوة عدو المملكة لكى يستنزف قوتهم (٤). وقد عنف " حنان الرائى " الملك "آسا" لاعتماده على ملك آرام ، وقال له " נִסַּלְתָּ עַל-זֹאת כִּי מֵעַתָּה יֵשׁ עִמְּךָ מִלְחָמוֹת " (٥) لقد حمقت فى هذا حتى انه من الآن تكون عليك حروب " . مما أدى إلى غضب آسا عليه ووضعه فى السجن . وقد حقق آسا هدفه حيث استجاب له " بنهدد " ، وقام الأراميون بمهاجمة حدود إسرائيل ، واحتلال مدن منافذ " الجليل " وهى " عيون עיון " " ودان דָּן " " وآبل بيت معكة אבל בית מעכה " ، والمناطق الواقعة شمال بحيرة طبرية ، وكل أرض نفتالى حيث ورد فى سفر أخبار الأيام أن " بنهدد " ضرب

---

١) راجع الملوك الأول ١٥ : ٢٥ - ٣٢

٢) د. نجيب ميخائيل إبراهيم ج ١ . ص ٣٩٥

٣) الملوك الأول ١٥ : ١٩

٤) ש.דובנוב, עמ' 67.

٥) راجع أخبار الأيام الثانى ١٦ : ٩ و ١٠ .

"جميع مخازن مدن نفتالى - כָּל מִסְכְּנוֹת עָרֵי נַפְתָּלִי "(١) ، اى مدن الحدود المحصنة ، وقد اكتشف فى حفائر " حاصور חָצוֹר " مايشير إلى الخراب الذى حل بالمدينة فى بداية القرن التاسع ق.م تقريباً ، ويحتمل أنها من فعل الأراميين الذين غزوا الجليل أيام حكم "بعشا" . على أنه لايوجد لدينا مايثبت أن الآراميين احتلوا فى هذه الحرب ، " الجولان הַגּוֹלָן " و" الباشان הַבָּשָׁן " ، ولكن ربما أدى هذا الغزو إلى انتشار قبائل آرامية فى المناطق الشمالية من وادى الأردن . وكذلك أيضا لم يقتطع بنهدد أرض نفتالى من إسرائيل ولم يضمها إلى آرام . لكن يبدو أن هذه الحملة ليست إلا حلقة أولى من حلقات الغزو الآرامى لأرض إسرائيل ، والتدخل فى سياسة المملكتين المنقسمتين(٢).

وينسب سفر الملوك إلى " بعشا " فعل الشر فى عينى الرب ، وقد جاءه رجل الله " ياهو بن حنانى - " יֵהוּא בֶּן־חֲנָנִי " ليشجب ويدين أعماله والتنبؤ بنهايته ، ومع ذلك مات " بعشا " موتاً طبيعياً ، وهو أمر نادر الحدوث بين ملوك المملكة الشمالية فى ذلك الوقت ، ويختم سفر الملوك حديثه عن بعشا بقوله : וְיֶתֶר דִּבְרֵי בַעְשָׁא וַאֲשֶׁר עָשָׂה וּגְבוּרָתוֹ הֲלֹא־הֵם כְּתוּבִים עַל סֵפֶר דִּבְרֵי הַיָּמִים לְמַלְכֵי יִשְׂרָאֵל"(٣) وبقية أمور بعشا ، وماعمل وجبروته ، أما هى فمكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل " .

---

١) أخبار الأيام الثانى ١٦: ٤

٢) לפסיקון מקראי, עמ' 173.

٣) الملوك الأول ١٦ : ٥

إيلاه بن بعشا אֵלָה בֶן בַּעְשָׁא : (حوالى ٨٨٦/٥ - ٨٨٥/٤ ق.م)

وهو رابع ملوك مملكة إسرائيل الشمالية ، وقد خلف أباه "بعشا" فى السنة السادسة والعشرين من حكم "آسا" ملك يهوذا[١]. وقد حكم فى " ترصة " لمدة عام ونصف ، وفى أيامه استمرت الحرب بين إسرائيل والفلسطينيين ، وقام إيلاه بمحاصرة " جبثون " ، وأثناء الحصار تآمر عليه " زمرى זִמְרִי " أحد كبار قادته ، وقائد نصف سلاح المركبات الحربية - وقتله أثناء سكره فى " بيت أرصا בֵּית אַרְצָה" ، ثم قام بتدمير كل بيت بعشا حتى لم يبق له ولياً وصاحباً[٢].

زمرى זִמְרִי (حوالى ٨٨٥ / ٨٨٤ ق.م)

وهو خامس ملوك مملكة إسرائيل الشمالية ، وقد حكم فى " ترصه " فى السنة السابعة والعشرين من حكم آسا ملك يهوذا[٣]. وطبقاً لتقويم السنين المتبع فى إسرائيل ويهوذا ، وقعت هذه الفترة بين تشرين سنة ٨٨٥ ونيسان ٨٨٤ ق.م تقريباً ... وقد كان "زمرى" قائداً لنصف سلاح المركبات الحربية فى أيام حكم " إيلاه بن بعشا " ، ولم يذكر العهد القديم اسم أبيه ، ومن ثم توجد هنا إشارة إلى نسب شعبى له[٤].

وقد قام " زمرى " بما قام به بعشا ، ففى اللحظة المناسبة وقت الحصار على جبثون تآمر على الملك " إيلاه " وقتله فى "ترصة" ، واعتلى عرش المملكة وأسوة بالملوك السابقين ، قام بقتل كل بيت بعشا . وقد استمر حكمه سبعة أيام فقط ، ثم تآمر عليه القائد " عمرى עָמְרִי" ، وهو قائد عسكرى آخر قام بمحاصرته فى ترصه ، ثم تطورت الأوضاع إلى الأسوأ بعد احتلال عمرى للمدينة ، مما أدى إلى يأس "زمرى" ، فأتى إلى قصره وأحرقه وهو بداخله[٥].

---

١) راجع الملوك الأول ١٦ : ٨
٢) راجع الملوك الأول ١٦ : ٩ - ١٤
٣) راجع الملوك الأول ١٦ : ١٠
٤) לכסיקון מקראי , עמ 262.
٥) راجع الملوك الأول ١٦ : ١٥ - ٢١

وبالرغم من أيام حكمه القصيرة الا أنه أصبح بالنسبه للأجيال التالية ، نموذجاً للعبد المتآمر على سيده :" הֲשָׁלוֹם זִמְרִי הֹרֵג אֲדֹנָיו "(١) أسلام لزمرى قاتل سيده " . ويحتمل ان هذا بسبب نسبه الحقير .

عمرى " עָמְרִי " (٨٨٥ - ٨٧٥ ق م تقريباً)

بعد أن سمع الجنود المرابطون فى مواجهة مدينة جبثون " גִּבְּתוֹן " الفلسطينية عن مؤامرة زمرى " זִמְרִי ضد إيلاه " אֵלָה " ، قاموا بتنصيب عمرى قائد الجيش بدلاً منه ملكاً على إسرائيل (٢). حيث قام عمرى وجنوده بالزحف نحو مقر حكم زمرى فى ترصه " תִּרְצָה " وحاصروا قصره الملكى مما أدى بزمرى إلى حرق القصر وموته داخله . وقد انقسم الشعب بعد ذلك إلى قسمين ، القسم الأول مع (تيبنى بن جينة תִּבְנִי בֶן גִּינַת) - ويبدو أن هذا القسم كان من أتباع زمرى(٣)- أما القسم الآخر فكان موالياً لعمرى ، وقد انتهى النزاع بين القسمين بانتصار عمرى واعتلائه عرش إسرائيل .

ويبدو أن هذه الحرب الأهلية قد استمرت أربع سنوات تقريباً ، حيث ورد فى العهد القديم أن عمرى اعتلى عرش المملكة فى السنة السابعة والعشرين من حكم " آسا " ملك يهوذا(٤) وفى فقرة أخرى أنه أعتلى العرش فى السنة الواحدة والثلاثين من حكم " آسا " . ويبدو أن عمرى قد ملك فى البداية جزءاً من المملكة ، وبعد أربع سنوات حسم الموقف لصالحه مع خصمه " تيبنى بن جينة " وأصبح ملكاً على كل إسرائيل ، وبذلك يكون بداية ملكه حوالى عام (٨٨٥/٨٤ ق.م) ثم أصبح الملك الأوحد فى عام ٨٨٠ ق.م تقريباً . ويبدو أن الصراع بين الخصمين قد ارتبط بحرب أهلية بقى منها فقط صدى بسيط فى العهد القديم(٥)، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتضح لنا أنه أثناء الحرب مع الفلسطينيين قام قادة الجيش بالسيطرة على قطاعات مختلفة منه ، وحاولوا الوصول إلى الحكم(٦).

---

١) الملوك الثانى ٩ : ٣١
٢) الملوك الأول ١٥ : ٨ - ١٦
٣) ש.ל. גרדון , עמ' 99
٤) الملوك الأول ١٥ : ٢٠ - ٢١ ؛ ١٦ : ١٦
٥) الملوك الأول ١٦ : ٢٢
٦) לפסיקון מקראי , עמ' 706 .

تأسيس السامرة [١] :

أسس عمرى عاصمة جديدة لمملكته أسماها "السامرة" ، وذلك بعد ست سنوات من حكمه فى "ترصه תִּרְצָה " وربما تشير هذه الخطوة إلى ازدياد قوة عمرى بين شعبه [١] . وتقع هذه المدينة فى اقليم

---

١) السامرة : שֹׁמְרוֹן : ورد فى " سفر الملوك الأول ١٦ : ٢٤ " أن عمرى اشترى جبلاً من رجل يدعى " شمر שֶׁמֶר " وبنى عليه مدينة السامرة لتكون عاصمة لمملكته ، وأطلق عليها اسم " شومرون " وهى تعنى " مكان المراقبة " متابعة لاسم صاحب الجبل ، ولكن يبدو أن اسم المدينة مشتق مباشرة من مادة " שָׁמַר " العبرية التى تدل على معنى الحراسة . وقد أطلق عليها أحياناً بسبب تحصينها " جبل السامرة " (عاموس ٤ : ١ ؛ ٦ : ١) وقد كانت بالفعل محصنة ببرج عظيم فى الجنوب الغربى ويحيطها سور عظيم عرضه خمسة أقدام ، وكانت قائمة فى وسط واد خصيب (أشعيا ٢٨ : ١) مما أضفى عليها جمالاً وحسناً ، وظلت عاصمة للمملكة الشمالية حوالى مائة وخمسين سنة حتى هاجمها "شلما نصر" ملك آشور (الملوك الثانى ١٧ : ٣ - ٦) وتغلب عليها عام ٧٢٢ ق.م تقريباً على يد خلفه "سرجون" الذى استولى على المدينة وأسكن فيها الغزاة الأجانب . وفى عام ٣٣٢ ق.م تقريباً استولى عليها الإسكندر الأكبر ونقل سكانها إلى شكيم وأسكن بدلاً منهم مقدونيين وسوريين . وقد وصف " يوسيفوس " هذا الاقليم بأنه كما كان فى أيام المسيح فحدوده الشمالية تمر بقرية تدعى " جينية " وهى غالباً المكان المعروف اليوم بأسم " جنين " ويقول التلمود أن حدها الغربى "انتيباترس" وقد ضمت أراضى " منسى " غرب الأردن ، و"إفرايم "و"يساكر " وجزءاً من " بنيامين " ، وقد أعاد " هيرودوس الأكبر " بناءها وتحصينها بعد عام ٣٠ ق.م بسنوات قلائل تقريباً ودعاها باليونانية " سيباسطة Sebasta " (الجليلة) وهو اسم المؤنث من " سيباسطوس " (الجليل) وهو الاسم اليونانى " لاوغسطس " القيصر الرومانى تكريماً له . ولا تزال حتى اليوم تسمى " سيباسطة " .

انظر : ش.ل.גרדון , لامن 99 . وانظر أيضاً : قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

٢) سبتينوموسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ترجمه وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر . راجعه د. محمد القصاص القاهرة . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٥٧ . ص ٢٨١ .

يساكر[١] بجبل إفرايم - ويحتمل أن تكون هذه المنطقة مهبط رأس عمرى الذى لم يذكر العهد القديم نسبه - وقد بناها بالقرب من طرق التجارة المهمة التى تؤدى إلى سوريا وصور .

ويبدو أن عمرى عندما أسس السامرة كان يريد جعلها منافسة للقدس ، حيث يكشف لنا بناء السامرة عن عدم رغبته فى الاستقرار فى واحدة من المدن القديمة والمقدسة فى مملكة إسرائيل ، ويشبه هذا العمل من عدة وجوه إختيار داود للقدس كعاصمة لمملكته[٢].

علاقاته الخارجية :

لم يكن عمرى قائداً حربياً فقط بل كان أيضاً حاكماً مجتهداً ، فقد بذل الجهد من أجل تدعيم السلام والنظام فى المملكة ، وعمل على إرساء قواعد الاستقرار ، والغنى والرخاء فى مملكته ، وذلك بعد فترة الاضطرابات والحروب الأهلية التى عانى منها الشعب[٣]، ومن أجل ذلك دعا عمرى إلى السلام وإنهاء نزاع الحدود مع مملكة يهوذا ، ويبدو أن المملكتين بدأتا فى التعامل كمملكة

---

١) يساكر : " יִשָּׂשכָר " : اسم عبرى معناه " يعمل بأجرة " وهو تاسع أبناء يعقوب ، وخامسهم من ليئة (التكوين ٣٠ : ١٨) ولايعرف تماما مدى إتساع أرض يساكر ، ولكنها على الأرجح كانت تشمل: سهل يزرعيئيل المخصب وامتدت من جبل الكرمل إلى الأردن ، ومن جبل " تابور " إلى " عين جينم " . وكان يحدها شمالاً " زبولون " ، وجنوباً " منسى" وشرقاً " جلعاد " . وكانت تضم ست عشرة مدينة ، منها " مجدون " و " يزرعئيل " و" شونم " وبيت شان " و " عين دور " ، و" أفيق " ، و " تعنك " .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص.١٠٦٤ ، ١٠٦٥

٢) תולדות עם ישראל . מאת : א. מלמט - ח. תדמור. מ. שטרן - ש. ספראי . ח.ה. בן ששון - ש. אטינגר הוצאת דביר . תל אביב 1969 . כרך ראשון . עמ' 118-119

٣) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . כרך ראשון . עמ' 68 وانظر ד"ר צבי גרץ : דברי ימי ישראל . כרך ראשון . עמ' 81.

واحدة لها مصالح مشتركة ، فقد قامت جيوش يهوذا بالمساهمة فى الدفاع عن ممتلكات السامرة فى شرق الأردن ، وكذلك أصبح ملوك يهوذا حلفاء لملوك إسرائيل ضد الآراميين حيث حاولت المملكتان بشتى الطرق إتقاء خطرهم . وبعد أن وطّد عمرى علاقاته مع مملكة يهوذا أخذ يبحث عن وسيلة اتصال بالمدن الفينيقية الساحلية التى بدأت آنذاك عملية استعمار ناجح ومكثف فى منطقة البحر المتوسط حيث رأى أن التحالف مع الفينيقيين يعطى امكانية نقل ثرواتهم وخبراتهم ، التى يجلبونها بالسفن من المناطق البعيدة ، إلى مملكته مما يساعد على تحقيق الرخاء لشعبه ، وقد ساعده على تحقيق رغبته تلك ، الوضع السائد فى " صور " حيث كان يعتلى العرش من يستطيع أن يقضى على سابقه ، وقد قام " أثبعل אתבעל "(١) كاهن" عشتروت עשתרת"(٢) ، وقتل الملك السابق وجلس

---

١) أثبعل : " אֶתְ-בַּעַל " - (٨٨٧ - ٨٥٦ ق.م تقريباً) : اسم فينيقى يعنى .. مع بعل " ويحتمل أن معنى الاسم " رجل بعل " ، وهو ملك " صيدون" وأبو "ايزابل " امرأة " آحاب " . وورد ذكره مرة واحدة فقط فى العهد القديم (الملوك الأول ١٦ : ٣١) ، ويقول " ميناندروس מינאנדרוס " فى (הקדמוניות 8، 13، 1 ومابعده) " ليوسف بن متتاياهو " יוסף בן מתתיהו " : كان جفاف على أيامه ، ويبدو أنه يقصد به الجفاف الذى حدث فى أيام آحاب (الملوك الأول ١٧ و ١٨) . و"أثبعل " هو الذى بنى مدينة " بوطريس בוטריס " فى فينيقيا ، ومدينة " ابنية אבנה " فى " ليبيا " ، ويحتمل ان " بوطريس " هى " بتروج בתרוג " التى وردت فى رسائل تل العمارنة وتقع شمال جبيل (وهى בעלת-גבל فى اللغة الفينيقية أى " صاحبة الحدود") ويشير ذلك إلى امتداد سلطان " أثبعل " على النمط الذى يتبعه الصيدونيون وهو بناء مدن بطول شواطىء البحر المتوسط . وقد كان " أثبعل "مغتصباً لعرش " صيدون" ، وكان يمثل قمة الكفر فى نظر اليهود حيث كان كاهن " عشتروت " قبل استيلائه على الحكم . ومع ذلك يعتبر أثبعل أعظم ملوك صيدون وأكثرهم مكانة وقوة على عرشها .

انظر:(١) Herbert Lockyer: All the Men of the Bible "Ethbaal".

- د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . ص٥٩

- قاموس الكتاب المقدس . ص ٢٥

- לנסיקון מקראי , עמ' 133.

٢) עשתרת عشتروت - عشتار : الإلهة الرئيسية فى كل من بابل وآشور، ==

على عرشها ، ويبدو ان التمرد على الملوك وعدم الاستقرار فى عاصمة فينيقيا قد أضعف هذه المملكة حتى اضطرت أسر كثيرة إلى مغادرة وطنها ، وتأسيس مدن ساحلية على شواطئ البحر فى أفريقيا الشمالية ، مما دفع " أثبعل " إلى البحث عن حليف ، وبخاصة مع مملكة إسرائيل ، والتقت هذه الرغبة مع رغبة " عمرى " فى تكوين علاقات خارجية طيبة ، إذ كان كل منهما يهدف إلى إقامة حلف للدفاع المشترك ، والخروج معاً إلى الحرب واستمد هذا الحلف قوته من التحالف الأسرى الذى نتج عن زواج " آحاب אחאב " ابن وخليفة " عمرى " من " ايزابل איזבל " ابنة أثبعل . وبذلك جدد هذا التحالف " حلف الاخوة - בְּרִית אַחִים " الذى كان بين داود وسليمان وبين حيرام ملك صور(١) . وفى ظل هذه العلاقة الجديدة وجدت الثقافة الفينيقية لها مجالاً ، حياً فى مملكة إسرائيل ، ومن ناحية أخرى انتعشت التجارة فى المملكة، ويتضح أن سياسة سليمان الخارجية أصبحت نموذجاً اقتدى به " عمرى " ومن بعده ابنه " آحاب " ، وقد ساعدت التجارة الخارجية على تحسين حالة الشعب الاقتصادية ، وامتلأت السامرة بالمبانى الفخمة ، وعرفت الصفقات التجارية الضخمة (٢) .

=) وفى مدن الفينيقيين على سواحل فلسطين ولبنان وسورية . وهى إلهة واحدة فى كل هذه المناطق . إلا ان اسمها والقليل من طقوسها تختلف بين مكان وآخر اختلافاً سطحياً . وهى ربة الأمومة ، وأم الربات . وهى نفسها الإلهة " اينانة " عند السومريين (الإلهة الأم العذراء) . وكذلك أطلق عليها اليونانيون " استرتى " . وكان لعشتار هذه أساطير وتقاليد معروفة خاصة بها . وكانت عبادتها تنطوى على الكثير من معالم الخلاعة ، وكانت كاهناتها يتولين الدعارة رسمياً . وكانت " عشتار " تعبد دوماً مع إله ذكر وهو بعل .ورمزت هى وبعل إلى القمر والشمس. وقد انتقلت عبادة " عشتار " إلى بنى إسرائيل أيام الملك " سليمان "(الملوك الأول١١:٢٣) وفى عهد " يوشيا " حرمت عبادتها تحريماً قاطعاً .
انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٦٢٨

١) Marten Noth: The History of Israel. Second Edition, London. 1960, P. 241.

٢) ש.ל.גרדון, עמ' xii .

ويبدو أن ازدهار الأوضاع الاقتصادية فى مملكة إسرائيل فى ظل حكم عمرى قد دفع بعض المؤرخين إلى أن يعزو تمكن " آحاب " من بناء قصر من العاج إلى غنى مملكة عمرى ، وهو الأمر الذى لم يستطع سليمان أن يفعله بكل مجده وأبهته فقد صنع فقط كرسياً من العاج .

غير أن هذا التحالف قد مهد من ناحية أخرى إلى انتشار عبادة " بعل " و" عشتروت " فى السامرة . فقد رأى عمرى ضرورة سيادة عبادة " بعل " على عبادة يهوه (יְהוָה - الرب) فى إسرائيل فبنى معبداً لبعل فى السامرة ، وعين له الكهنة ليقوموا على خدمته ، وأمر بأن يذبح لبعل ولعشتروت فى أنحاء البلاد . وقد رأى عمرى فى عبادة العجول الذهبية فى دان وبيت إيل منافساً خطيراً لعبادة بعل ، إذ كانت تعتبر صورة لتجسيد عبادة يهوه (الرب) إذ إنها تقف حائلاً بين الفينيقيين وبنى إسرائيل ، فإذا عبد بنو إسرائيل الرب فى صورة أو فى شكل هم خلقوه له فإنه سيظل معارضاً لتغلغل عبادة بعل والآلهة الصيدونية ، ولمحو هذا التعارض عمل عمرى على حظر عبادة العجول حيث رأى فى ذلك توطيداً للعلاقات بين الحليفتين(١).

وبعد أن تخالف عمرى مع جيرانه فى " صور " و"صيدون" - أعظم الامارات الفينيقية(٢) فى ذلك الوقت - ثم مع مملكة يهوذا ، إتجه إلى جيرانه الشرقيين

---

١) דר צבי גרץ . דברי ימי ישראל . פרק ראשון עמ' 82.

٢) من المهم الإشارة إلى أن التفرقة فى التسمية بين الكنعانيين والفينقيين إنما جاءت عن طريق اليونان ، فالفينيقيون أنفسهم كانوا يتسمون بالكنعانيين ، حيث إن فينيقيا أو كنعان ... كلمتان مترادفتان تعنيان على الأغلب شيئاً واحداً ، فقد وردت كلمة " كناجى " فى اللغة الحورية ، بمعنى اللون الأحمر ، وتقابلها فى الأكدية كلمة " كناخى " ، وهى فى الفينيقية " كينع " ، وفى العبرية " كنعان" وكلها مسميات تعنى الحمرة الارجوانية . وتشير التوراة (راجع التكوين ١٠ : ١٥) إلى أن" كنعان هو حفيد " نوح " ، وقد ولد له " صيدون " و"حثا " (صيدون مدينة و حثا شعب .. !!) . وحين احتك اليونانيون بأهل هذه البقعة من العالم القديم أطلقوا على مجتمعاتها اسم " فينكس - Phoenix" وهى كلمة ==

عبر الأردن والبحر الميت ، فشن الحرب على موآب [١] التى كان قد إحتلها داود من قبل ، ولكنها تمردت عليه أثناء الاضطرابات الداخلية فى مملكته ، ويحتمل أنها استردت حريتها فى أيام يربعام بن نباط - وقد انتهت الحرب بخضوع موآب لإسرائيل وفُرضت عليها جزية سنوية [٢]. ويشير نقش ميشع " מֶצֵבַת מֵישַׁע "[٣] ملك

=) تعنى كذلك اللون الأحمر ، وقد تعنى نوعاً من النخيل ينمو على شواطىء هذه النواحى ، وقد اشتقت من هذه الكلمة ، كلمة " فينيقيا " . والواقع أن هذه المدن الساحلية عرفت بصناعة صبغة ارجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها ومن هنا جاءت نسبتها إلى اللون الأحمر ، ومن ثم اشتهرت نساء " صور " باستخدام الألوان الزاهية الجميلة ، وخاصة الحمراء التى كن يصبغن بها مابرعن فى تطريزه من أقمشه . وقد نشأت للفينيقيين مدن حصينة على البحر ، كانت كل منها إمارة مستقلة وميناء نشيطاً فى آن واحد ، أهمها " صور " ، " وصيدا " (صيدون) "وجبيل " (بيبلوس) و"أرواد " (أراد) و " رأس شمرة " (أوجاريت) .
انظر د . حسن ظاظا : " الساميون ولغاتهم " ص ٥٨ ، ٥٩
انظر أيضاً . د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ . ص ٤٧ ، ٤٨.

١) موآب מואב : شعب وأرض على اسم ابن " لوط " من ابنته البكر (راجع تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٧) وتقع أرض موآب كلها فوق سهل مرتفع من وادى " زرد זֶרֶד " فى الجنوب ، وحتى جبل " نبو נְבוֹ " . أما حدودها الشمالية فلم تكن معروفة . ويقابلها اليوم القسم الشرقى من البحر الميت لمملكة الأردن . انظر : לכסיקון מקראי, עמ' 495.

٢) ד"ר עבי גרץ : דברי ימי ישראל . עמ' 82
انظر أيضاً : שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . עמ' 68
ويقدر العهد القديم هذه الجزية بحوالى ١٠٠ر٠٠٠ خروف ، ١٠٠ر٠٠٠ كبش (انظر الملوك الثانى ٣ : ٤)

٣) ميشع : מֵישַׁע : ملك موآب فى نهاية حكم " آحاب " ، وفى أيام "يهورام" ملك إسرائيل ، " ويهو شافاط " ملك يهوذا . تمرد على إسرائيل(٨٥٢ ق.م) وأبى أن يدفع الجزية إلى إسرائيل (راجع الملوك الثانى ١ : ١؛ ٣ : ٤ ومابعده) فخرج " يهورام " لمحاربة ميشع وجنوده ، فردم عيون الماء ، وحاصر جيش ميشع بعد أن تحالف مع ملك أدوم ، ويهو شافاط ملك يهوذا ، ولما اشتد الأمر على ميشع حاول الوصول إلى ملك أدوم فلم يستطع ، فقدم عندئذ ابنه ذبيحة على سور المدينة لإلهه " كموش " فخاف جنود إسرائيل ورفعوا الحصار ورجعوا إلى أرضهم (الملوك الثانى ٣ : ٤ - ٢٧) . وقد ذكر ==

مؤاب فى القرن التاسع ق.م إلى نجاح حملة عمرى على مؤاب وسيادة إسرائيل عليها طوال مدة حكم عمرى ونصف مدة حكم ابنه - أو نسله - مدى أربعين عاما ظلت خلالها مؤاب تؤدى جزيتها لإسرائيل ، كما يشير النقش أيضاً إلى استيلاء "عمرى" على أرض " مادى מָדַבָא .(١)

ويبدو أن مملكة إسرائيل كانت قوية فقط فى حربها مع مؤاب الصغيرة ، اذ خارت قواها أمام قوة جارتها الشمالية " آرام " أو " سورية "(٢)، والتى

=) ميشع انتصاره فى نقش حجرى يعرف باسمه ، وقد عثر البدو على هذا النقش فى عام ١٨٦٨م فى " ديبان " ، وهى " دايبون " فى النقش " דִיבָן "، "وديبون "דִיבוֹן" فى العهد القديم . وتقع على مسافة أربعة أميال إلى الشمال من " أرنون ארנון " . ويذكر "ميشع" فى نقشه المدن التى استولى عليها وهى " مهدبا מהדבא "، " קריות قريوت " . " بعل ماعون בעל-עמון " " קריתים قريتان" ، " עטרות عطروت " ، " نبو נבו " ، "יהץ يهص " . ويذكر "ميشع" عودة هذه المدن إلى مؤاب ، بالإضافة إلى ذلك أخذ فى الأسر " אראל דודה " وادوات بيت الرب فى مرتفعة " نبو " . كذلك استيلاؤه على المدن الجنوبية التى إحتلها الأدوميون من قبل . بعد ذلك حصن ميشع المدن شمال " أرنون " حتى باءت بالفشل كل محاولات إسرائيل ويهوذا لإعادتها أو إحتلالها .

انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 513.

وانظر أيضاً نقش ميشع ص ٩٤ - ٩٥ من البحث .

١) مادى : "מָדַי" . تقع فى شمال غرب فارس ، وعاصمتها " אחמתא - א-קבטנה (حمدان) " (راجع عزرا : ٦ : ٢) . ويرجع اسمها إلى "مادای ابن يافث الثالث" (راجع تكوين ١٠ : ٢ ، وأخبار الأيام الأول ١ :٥) وهى الآن جزء من دولة إيران .

انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 464.

٢) آرام ، אֲרָם : ولفظه فى الاكادية " آرامو " وربما كان معناه " الأرض المرتفعة " . وورد فى التكوين (١٠ : ٢٢) اسماً لأحد أبناء " سام " ونسله الأراميون الذين سكنوا أرض آرام التى كانت تمتد من جبال لبنان فى الغرب إلى ماوراء الفرات فى الشرق ، ومن جبال " طوروس " فى الشمال إلى دمشق وماوراءها فى الجنوب . وقد أطلق على هذا الأقليم اسم " سورية " فى الترجمة السبعينية . وقد ظهرت عدة دويلات آرامية فى نفس الوقت الذى نشأت فيه مملكة فى أرض إسرائيل من بينها "آرام النهرين אֲרָם נַהֲרַיִם" =

شملت عدة دويلات قوية ، كانت أقواهن " آرام دمشق " ، وفى الحقيقة أرادت دمشق تأمين إتصالها بالبحر الغربى[١] بعد تحالف " إسرائيل " مع " صور " الذى أدى إلى غلق شاطىء البحر أمام " آرام دمشق " مما دعا دمشق إلى القيام بمحاولات اقتحام هذا السياج والخروج إلى عرض البحر من أجل مصالحها التجارية[٢].

ولعل هذا يوضح أمر صراعها الدائم مع إسرائيل . و نتج عن هذا الضغط ان سلم عمرى بعض المدن إلى دمشق كما خصص أحياء معينة فى السامرة نفسها للتجار الأراميين من بينها "راموت جلعاد"[٣]، فى حين لم يحصل "عمرى" للسامريين على أية إمتيازات مماثلة من دمشق[٤].

وعلى أية حال فان أهمية حكم "عمرى" تتضح لنا من النصوص الآشورية التى يرجع تاريخها إلى القرن التالى لحكمه ، وتتحدث عن المملكة الشمالية باعتبارها " أرض عمرى " . ففى النقوش الآشورية " لتجلات فلاصر الثالث "[٥] (٧٤٥ - ٧٢٧ق.م)

=) " آرام دمشق - אֲרַם דַּמֶּשֶׂק " ، " آرام صوبه - אֲרַם צוֹבָה أو צוֹבָא ، " آرام معكة אֲרַם מַעֲכָה " ، " جشور גְּשׁוּר " ، "وآرام بيت رحوب אֲרַם בֵּית רְחוֹב ".
انظر : לְפִסְיקוֹן מִקְרָאִי , עמ' 80 - 82 .

١) البحر الغربى : وهو البحر المتوسط (تكوين ١١ : ٢٤) ويطلق عليه أيضاً " بحر فلسطين " راجع الخروج ٢٣ : ٣١) والبحر الكبير (راجع العدد ٣٤ : ٦ و ٧) وحديثاً البحر الأبيض المتوسط .
انظر مادة " بحر " فى قاموس الكتاب المقدس . ص ١٦٢

٢) שמעון דובנוב . עמ' 69 وأيضاً : د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٣٩٦.

٣) راموت جلعاد : "רָאמוֹת בַּגִּלְעָד " : اسم عبرى معناه " مرتفعات جلعاد " ، كانت مدينة للأموريين ثم صارت للجاديين وهى من أشهر مدنهم ، وموقعها شرق الأردن ، وقد أعطيت للاويين وعينت مدينة للملجأ (تثنية ٤ : ١٣) . وتدعى أيضا " الرامة " (راجع أخبار الأيام الثانى٢٢ : ٦)، ويرجح انها " تل راميث " الحالية . انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٣ .

٤) انظر الملوك الأول ٢ : ٣٤

٥) تجلات فلاصر الثالث: תִּגְלַת-פִּלְאֶסֶר הַשְּׁלִישִׁי : تجلات فلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م تقريباً) ملك آشور ، قام بفتح الجليل وجلعاد ، وسبى شعبها إلى آشور (راجع الملوك الثانى ١٥ : ٢٩).

نجد أنه قد أطلق على مملكة إسرائيل " أرض عمرى " وفى " المسلة السوداء " - "لشلمناصر الثالث "[1] (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م تقريباً) استخدم لفظ " بيت عمـــرى" إشارة إلى مملكة إسرائيل ، كما نسب الملك " ياهو " إلى عمرى على أنه ابنه.[2]

وعلى الرغم مما شهدته المملكة الشمالية . من ازدهار اقتصادى ، وقيام علاقات خارجية طيبة ، إلا انها شهدت داخلياً تفاوتاً اجتماعياً أدى بدوره إلـــى انتشار ظلم اجتماعى ساد طبقات الشعب ، فقد أشار النبى " ميخا מיכה " إلى " قوانين عمرى " : " וַיִּשְׁתַּמֵּר חֻקּוֹת עָמְרִי וְכֹל מַעֲשֵׂה בֵּית־ אַחְאָב וַתֵּלְכוּ בְּמוֹעֲצוֹתָם לְמַעַן תִּתִּי אוֹתְךָ לְשַׁמָּה וְיוֹשְׁבֶיהָ לִשְׁרֵקָה וְחֶרְפַּת עַמִּי תִּשָּׂאוּ "[3] وتحفظ فرائض "عمرى" وجميع أعمال بيت " آحاب" وتسلكون بمشوراتهم لكى أسلمك للخراب ، وسكانها للصفير . فتحملون عار شعبى"

ويعتبر العهد القديم "عمرى" من الملوك الأشرار ، فقد ورد فى سفر الملوك " וַיַּעַשׂ עָמְרִי הָרַע בְּעֵינֵי יְהוָה וַיָּרַע מִכֹּל אֲשֶׁר לְפָנָיו "[4] وعمل عمرى الشر فى عينى الرب وأساء أكثر من جميع الذين قبله " . وربما يقصد بذلك أنه عمل على إدخال إسرائيل فى دائرة الثقافة الصيدونية علـــى ماسبق ، وعمل أيضاً على تغيير عبادة " يهوه " وإحلال عبادة " بعل " محلها .[5]

---

١) شلمناصر الثالث . שלמנאסר הַשְּׁלִישִׁי " : (٨٥٨ -٨٢٤ ق.م) حارب آحاب ، وحارب الآراميين فى معركة " قرقر " - קרקר " سنه ٨٥٤ق.م ، وأخذ جزية من "ياهو" ملك إسرائيل . وقد صور "شلمناصر" إذلاله "لياهو" فـــى مسلة تعرف " بالمسلة السوداء " لأنها مصنوعة من حجر أسود ، وقد نقش عليها ملك إسرائيل ساجداً يقبل الأرض بين يدى ملك آشور ، ويقدم لـــه الجزية من الذهب والفضة .
انظر . د. محمد عبد القادر القط : الساميون فى العصور القديمة .ص٢٠٧

٢) האנציקלופדיה העברית, ערך "עמרי"

٣) ميخا ٦ : ١٦

٤) الملوك الأول ١٦ : ٢٥

٥) האנציקלופדיה העברית, ערך "עמרי"

ومع ذلك فقد اعتبر حكماء التلمود أن إضافة "عمرى" مدينة جديدة إلى إسرائيل من الأسباب التى أدت إلى استمرار حكمه فى ثلاثة من أبنائه من بعده تعاقبوا على هذه المملكة[١] حيث قيل " וַיִּקֶן אֶת־הָהָר שֹׁמְרוֹן מֵאֵת שֶׁמֶ־ר... וַיִּקְרָא אֶת־שֵׁם הָעִיר אֲשֶׁר בָּנָה... שֹׁמְרוֹן "[٢] " واشترى جبل السامرة من شامر ... ودعا اسم المدينة التى بناها .. السامرة "

وتشير المصادر التاريخية إلى أن "عمرى" قد توفى ودفن فى السامرة حوالى عام ٨٧٤ ق.م وخلفه ابنه " آحاب " على عرش المملكة الشمالية [٣].

آحاب بن عمرى אַחְאָב בֶּן עָמְרִי : ٨٧٥ - ٨٥٣ ق.م تقريباً

بعد موت " عمرى " خلفه ابنه آحاب على عرش المملكة الشمالية ، وكان ذلك فى السنة الثانية والثلاثين من حكم " آسا " ملك يهوذا ، واستمر حكم "آحاب" فى السامرة اثنين وعشرين عاماً ، ويذكر البعض أن "آحاب" قد شارك عمرى الحكم فى سنواته الأخيرة [٤].

وتتحدث نصوص العهد القديم كثيراً عن "آحاب" ... أكثر من حديثها عن أى واحد من أسلافه الذين اعتلوا عرش إسرائيل منذ أيام سليمان ، مما يشير إلى أهميته ومكانته بين ملوك المملكة الشماليه [٥]. وقد استمر آحاب على نفس

---

١) ח"נ. ביאליק וי"ח רבניצקי: " ספר האגדות". מבחר האג־דות שֶׁבְּתַלְמוּד וּבְמִדְרָשִׁים סִדּוּרוֹת לְפִי הָעִנְיָנִים הַמְ־פוֹרָשִׁים עַל יְדֵי ח"נ ביאליק וי"ח רבניצקי. דביר ת"א הדפסה ראשונה תש"ך, הדפסה חמישית תשל"ג עמ' צטו, רפג.

٢) الملوك الأول ١٦ : ٢٤

٣) الملوك الأول ١٦ : ٢٨

٤) תולדות עם ישראל, עמ' 119.
انظر أيضاً (الملوك الاول ١٦ : ٢٩)

٥) د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ . ص ٣٩٩

النهج السياسى الذى اتبعه أبوه مع تطويره له ، ففى أثناء حكمه أصبحت مملكة إسرائيل إحدى الممالك المهمة فى المنطقة(١). كما تشير البحوث الأثرية ، والحفائر التى كانت السامرة مسرحاً لها ، وماكشفته بعثات جامعة هارفارد (١٩٠٨ : ١٩١٠ م) عن القصر الملكى فيها ، والذى بنى على هيئة سلسلة من الأفنية تحيط بها الحجرات ، أى على نمط قصور أرض الرافدين(٢)، ولكن فى صورة أكثر تواضعاً إلى حد ما ، وكان المنقبون يعتقدون أنه يجب أن ينسب إلى "عمرى" أقدم جزء فى القصر وإلى " آحاب " جزء آخر أضيف فيما بعد ، وإلى " يربعام الثانى " الجزء الثالث الذى أُلحق بالقصر بعد ذلك ، إلا ان الحفائر التى أشرف عليها " كروفوت J.W. Croufoot " (١٩٣١ - ١٩٣٥ م) قد دلت على أن هذه الأجزاء تشمل حقبة زمنية أطول كثيراً ، فيمكن نسبة الجزء الأول إلى "عمرى" و"آحاب" معاً ، والزيادة الأولى إلى " يهو آحاز " أو " يربعام الثانى "، والزيادة الثانية إلى العصر الهلينيستى(٣). كما تشير نصوص أخرى تم العثور عليها هناك إلى النظام الإدارى الذى كان قائماً فى عهدى "عمرى" و"آحاب" . ويتبين

---

١) תולדות עם ישראל, עמ' 119.

٢) " أرض الرافدين " وهى بلاد مابين النهرين (دجلة والفرات) والواقع أن اطلاق كلمة مابين النهرين (ميزوپوتاميا) على مراكز الحضارة البابلية والآشورية،فيه تجن على الواقع ، ذلك لان القواعد الرسمية للدولتين لم تكن " بين النهرين " فبابل كان الجانب الأكبر منها على غرب الفرات ، كما أن "نينوى" كانت تقع على الشاطىء الشرقى لدجلة ، وفى الحقيقة : ان البابليين والآشوريين هم ورثة السومريين فى منطقة مابين النهرين ، وهم نتاج الاندماج بين العنصر السامى القادم من الصحراء ، والعنصر السومرى غير السامى ، وقد كان هذا الاندماج بين العنصرين اندماجاً كاملاً جعل معظم علماء الحضارة السامية القديمة يتحدثون عن حضارة مابين النهرين - بدلاً من عزل حضارات هذه المنطقة وتقسيمها الى سومرى ، وبابلى آشورى .
انظر : د. أحمد سوسة : حضارة وادى الرافدين بين الساميين والسومريين. بغداد . دار التحرير للطباعة . ص ٩ ، ١٠ .

٣) يشير هذا العصر إلى بداية الحضارة الإغريقية الكلاسيكية منذ موت " الإسكندر الأكبر " عام ٣٢٣ ق.م وحتى امبراطورية " أوغسطس" عام ٦٣ - ١٤ ق.م . انظر سبتينو موسكاتى : ص ١٧٣

من هذه النصوص الأثرية الازدهار الاقتصادى الذى ساد المملكة فى أيام "آحاب"، وذلك فى أعقاب تطور أعمال التجارة والتوسع العمرانى والاقليمى ، فقد كان "آحاب" لايميل إلى الحروب ، وركز اهتمامه فى التنمية الهادئة للدولة ، وتجميل البلاط الملكى ، وتدعيم علاقاته بالدول الخارجية (١)، ومن أمثلة ذلك انتشار صناعة العاج لأول مرة فى أرض إسرائيل ، ويدل ذلك على الكمال الفنى وتأنق الذوق ، وقد قام "آحاب" ببناء قصر جديد له فى السامرة يطلق عليه " بيت العاج בֵּית־הַשֵּׁן " وقد عثرت بعثة جامعة هارفارد على بقايا هذا القصر ، ودلت الحفائر على ان أبوابه وأثاثه وكراسيه وغطاء أعمدته مصنوعة من العاج كما عثر على ٣ آلاف القطع الفنية التى تم نحتها من العاج(٢)، كل هذا أدى إلى وجود تشابه كبير بين عهد "آحاب" و"سليمان" ، فقد أجبر آحاب الإسرائيليين على القيام بأعمال قاسية فى تلك الأيام حيث قام باعادة بناء " مجيدو " مدينة سليمان، وقام بتوسيع اسطبلات الخيول(٣)، وزاد من عدد المركبات والفرسان ، وأعاد تحصين " حاصور - חָצוֹר " فى الجليل ووسّع حدودها إلى الضعف بعد أن خربها ملك آرام دمشق فى أيام " بعشا "(٤).

---

١) תולדות עם ישראל , עמ' 119.

٢) Henry H. Halley: Halley's Bible Handbook.
Zondervan publishing House.U.S.A.1965,P.199.

وتشبه قطع العاج التى اكتشفت هناك تلك الموجودة فى " مجيدو" وفى " نينوى " - حيث كان العاج جزءاً من الغنيمة من دمشق نتيجة الغزو الآشورى لها . وفى هذا تصديق لقول عاموس (٣ : ١٥ ؛ ٥ : ٤) والملوك الأول (٢٢ : ٣٩) ودليلاً على الرفاهية فى إسرائيل الشمالية .

٣) كما كان الأمر فى أيام "سليمان" فقد تركزت أيضاً تجارة الخيول والمركبات فى يد "آحاب"، وهناك من يؤيد الرأى القائل بان الاسطبلات التى اكتشفت فى " مجيدو " تعود إلى أيام "آحاب" ، وليست إلى أيام "سليمان".
انظر : לנסיקון מקראי, עמ' 120.

٤) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 33.

ومن أهم الأعمال التى تمت فى عهد آحاب إعادة بناء مدينة " أريحا יריחו "(١) التى أسند العمل فيها إلى رجل من نبلاء " بيت إيل " يدعى " حيئيل " (חיאל בית האלי) حيث أمره بالنزول إلى صحراء أريحا وإقامة المدينة مع أبنائه وأسرته . وبعد أن أتم حيئيل بناء المدينة عينه آحاب رئيسا عليها وعلى كل المناطق المحيطة بها ، وزوده بالفرسان والجنود ، بالإضافة إلى ذلك عين آحاب تسعة رؤساء فى أنحاء مملكته من الجليل فى الشمال حتى الكرمل فى الغرب ، وبيت إيل فى الجنوب ، وأقام آحاب جيشاً قوياً وسلاح فرسان ومركبات ، وعين قادته فى المدن المحصنة والغنية بإنتاج القمح:

---

١) أريحا : " יריחו " : معناها " مدينة القمر " أو" مكان الروائح العطرية " وموضعها الآن " تل السلطان " الذى يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة . وقد ورد ذكر هذه المدينة كثيراً فى العهد القديم ، وترجع أهميتها إلى تحكمها فى الوديان الذاهبة إلى " عاى" و " أورشليم " . وكانت أول مدينة هاجمها الإسرائيليون ، غربى الأردن. وقد أرسل يشوع جواسيسه إلى هذه المدينة ، وقد أخفتهم " راحاب " الزانية (راجع يشوع ٢ : ١ - ٢٤) . وقد ذبح الإسرائيليون جميع سكان أريحا ، ماعدا راحاب وأسرتها ، وخصوا الأشياء الثمينة فيها للرب . (راجع يشوع ٦) .. ومنذ أن خربت أريحا على يد يشوع ، ومنذ أن لعنها بأن كل من يبنيها يموت ابنه البكر ، أصبحت خربة غير آهلة بالسكان ، وقد تحققت فيما بعد لعنة يشوع (الملوك الأول ١٦ : ٣٤ ؛ يشوع ٦ :٢٦) فعند وضع الأساس للمدينة لازم " أبيرام אבירם " ابن يحيئيل الفراش وعندما وضع أبوابها مات " شجوب שגוב " أصغر أبنائه . وقد أعطيت أريحا ضمن نصيب " بنيامين " ، وكانت على الحدود بين بنيامين وإفرايم ، ولذلك يحتمل أنها اعتبرت ضمن مملكة يهوذا ، وقد اهتم آحاب بتدعيم حكمه على هذا القطاع من البلاد ، وربما يرجع اهتمام آحاب بالمداخل الشرقية إلى رغبته فى تعزيز سلطانه على وادى الأردن الشرقى والدفاع عن مقاطعات إسرائيل فى أرض " جاد وراوبين "، والسيطرة على المؤابيين وملكهم ميشع " .

انظر : מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 33.

انظر أيضاً : قاموس الكتاب المقدس ص ٥٨ ، ٥٩

" مجدو " و " حاصور " و " يزرعيئيل "(١).

آحاب وعلاقاته بالدول المجاورة :

(١) علاقاته بفنيقيا (صور وصيدون):

لعل أبرز مايميز حكم آحاب فى المجالين الخارجى والداخلى معاً هو زواجه من " ايزابل - אִיזֶבֶל " ابنة أثبعل " ملك وكاهن صيدون ، وهذا الزواج قد دعم ووثق حلفه مع " صور " ، حيث أدى مصاهرة الأسرتين الملكيتين فى السامرة وفى صيدون إلى الامتزاج الحضارى والثقافى بين الشعبين ، فانتشار التجار والكهنة الصيدونيين فى أنحاء السامرة ، أدى إلى انتشار التقاليد والعادات الخاصة بهذا البلد البحرى ، وساعد على ذلك تشجيع الملك الذى كان يعتبر " صور " مثلاً أعلى له فى إصلاح الحياة الداخلية فى مملكته . ومال الشعب بسرعة إلى حب الكماليات وحياة الترف ، وانتشرت مفاهيم العبادة الصيدونية الوثنية والتى وجدت لها رواجاً بين أوساط الطبقات العليا ، مما ساعد على تفشى الإنحلال الدينى والخلقى بشكل واضح بين هذه الطبقات(٢).

وقد كانت هناك عقبتان أمام آحاب فى جعله إسرائيل كفينيقيا : العقبة الأولى حسب رأى " جريتس גרץ " هى طبيعة شخصية آحاب ، الذى كان عليه أن يثبت قوة شخصيته وشجاعته ، ولكنه على العكس من كل هذا كان قليل العزيمة ، ضعيف الإرادة يميل إلى الراحة والهدوء ، فقد زوّجه أبوه من امرأة قوية ، شجاعة لاترهب أحداً فانقاد وراءها فى عبادة " بعل " . ويعزز رأى " جريتس " ماجاء عن آحاب فى العهد القديم(٣)

---

١) يزرعئيل : יִזְרְעֶאל : اسم عبرى معناه " الله يزرع " وهى مدينة بين جلبوع وجبل الرحى . كانت تخماً ليساكر (راجع يشوع ١٩ : ٨).وهى الآن قرية تعرف بزرعين وحولها صهاريج ، وآبار ، ولكن ليست فيها آثار لقصر آحاب . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٦٣

٢) Martin Noth: The History of Israel, P. 241.
انظر أيضاً : أ. ن . بولاك : إسرائيل أمة وتاريخها . ص ٢٤
وانظر أيضاً : د. حسن ظاظا : " الفكر الدينى الإسرائيلى " ص ٤٥

٣) راجع الملوك الأول ١٦ : ٣٠ - ٣٣ ؛ ١٩ : ١ - ٢ ؛ ٢١ : ١٥ - ١٦

أما العقبة الثانية وحسب رأى " جريتس " أيضاً فهى محاولة "آحاب" فرض عقائد جديدة وتقاليد دينية لم يعتدها الشعب من قبل وهى عقائد فينيقية، وعبادة "بعل" الوثنى[١]. أما " دوفنوف " דובנוב فيرى فى هذا الصدد أن عبادة " يهوه " فى بدايتها كانت تشبه عبادة شعوب فينيقيا ، وأنه فى أيام انفصال إسرائيل عن يهوذا ، لم يكن الدين السائد خالياً من المؤثرات الأجنبية[٢]. ومن هنا نبتت جذور الوثنية الكنعانية بين أبناء إسرائيل ، وامتزج دين " يهوه " بالوثنية الكنعانية التى ربما كان لها جذور قديمة عند دخول أرض كنعان ، وبذلك أصبحت هناك عبادة مختلطة جديدة (يهوه - بعل) تنافس عبادة " يهوه " التى يعتنقها الشعب [٣].

ولكى نقف جيداً على طبيعة ونتائج علاقة إسرائيل بفينيقيا لابد من التعريف بـ"ايزابل". فـ"ايزابل" كانت عاملاً مؤثراً فى توطيد علاقة فينيقيا بإسرائيل ، ثم فى تفشى الإنحلال الدينى والخلقى فى السامرة ، ويؤيد ذلك نصوص العهد القديم ، التى تتحدث كثيراً عن ايزابل وتصفها بأنها امرأه شيطانية[٤]، رغم أن مكونات الاسم " ايزابل " يشير إلى العفاف والطهر ، فربما كان يعنى " الأميره " فى اللغة الفينيقية[٥]، إلا أن استقراء تاريخها بعد ذلك يجعلنا نجزم بأن الاسم غير ملائم لها ، فقد حطمت ايزابل الجانب الروحى والاخلاقى عند أبناء السامرة حين أصرت على تدمير عبادة " يهوه " وإحلال عبادة بعل بدلاً منها ، وفى سبيل ذلك جعلت من "آحاب" خادماً وعبداً ، ففتحت بذلك الطريق أمامه لتتعدد خطاياه وآثامه[٦].

---

١) ד"ר עבי גרץ : דברי ימי ישראל . עמ' 83

٢) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . עמ 106-107

٣) قارن رأى חזקאל קויפמן الذى يرفض رأى دفنوف وباحثين آخرين כרך ב' ספר א' ,עמ' 224 .

٤) قارن الملوك الأول ١٦ : ٣١ ؛ ١٨ : ١٩ ؛ ١٩ : ١ - ٢ ؛ ٢١ : ٥ - ٢٥ ؛ الملوك الثانى ٢٩ .

٥) לכסיקון מקראי ,ערך איזבל, עמ' 40 .
وقارن أيضا الاسم "איזבל Jezebl فى : ד. אלקלעי : מלון אנגלי עברי שלם עמ' 1997 .

٦) לכסיקון מקראי . עמ' 40

ولاشك أن ايزابل بقوة شخصيتها التى عرفت بها ، قد عرفت كيف تنتهز فرصة ضعف شخصية آحاب أمامها لكى تستولى على عرش المملكة . وقد صورها التاريخ اليهودى نموذجاً للشر والاثم معاً(١). ويشهد قتل " نابوت اليزر عئيل " على طغيانهاوعزمها على إدارة الحكم والطغيان فى مملكة إسرائيل على نمط ماكان يجرى في بلاط ملوك الشرق فى ذلك الوقت(٢). ولكن يبدو أنه لم تكن لأيزابل صلاحيات الحكم ، فقد كانت تحكم باسم آحاب ، وتوقع الرسائل باسمه وتختمها بخاتمه ، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنها بهذا الوضع لم تصل إلى مرتبة الملكة مثل ابنتها عثاليا(٣)، وانما كانت زوجة

---

١) الملوك الاول ١٦ : ٣١ ، ميخا ٦ : ١٦

٢) All The women of the Bible. P. 74.
ويذكر المؤلف عنها أنها تشبه " كلمينسترا - Clytemnestra" فى الأسطورة اليونانية ، وهى أخت غير شقيقة " لهيلين " ، وزوجة " اجمامنون אגממנון " التى قامت بقتله ، ويقدم المؤلف العذر لآحاب فيقول إن التغلب على سحرها وفتنتها كان يتطلب شخصية فذة مثلما نجح يوسف فى التغلب على شهوة زوجة سيده المصرى ، ويشبّه ضعف آحاب بضعف قيصر وانطونيو فبعد انتصارهما تقريباً على العالم كله سقطا عند قدمى كليوباترا . ولعله يقصد بذلك أن شخصية ايزابل لم تكن شخصية فريدة فى التاريخ وانما تكررت فى مواطن ومواقف متعددة .

٣) عثاليا : עֲתַלְיָה اسم عبرى يعنى " يهوه مرتفع " وهى زوجة يورام ملك يهوذا ، أحيانا تذكر ابنة لعمرى (الملوك الثانى ٨ : ٢٦ ؛ أخبار الأيام الثانى ٢٢ : ٢) وأحياناً ابنة لآحاب (الملوك الثانى ٨ : ١٨ ؛ أخبار الأيام الثانى ٢١ : ٦) . ويبدو أنها كانت ابنة لآحاب وزوجته ايزابل ، واللقب ابنة عمرى جاء ليشير إلى اسم أبى الأسرة عمرى الذى اشتهر فى إسرائيل والشرق القديم لكن هناك من يفترض على أساس حسابات زمنية وأيضاً وفقاً للاسم عثاليا الذى يحمل اسم الله انها ابنة عمرى. على أية حال تربت وكبرت فى بيت آحاب ، وتأثرت بالثقافة الصيدونية وبايزابل كثيراً . واعتلت الحكم سنة ٨٤١ ق.م تقريباً ، وملكت سبع سنوات حتى ٨٣٥ ق.م . وكانت تتصف بصفات أمها ايزابل ، كحب الشر والبطش بالأتقياء ، ولما قتل ياهو ابنها الملك آحزيا قتلت كل أبناء ابنها ، باستثناء " يوآش " الطفل الذى اخفته عمته " يهوشبع " لمدة ست سنوات . وقد أرادت عثاليا من ذلك التخلص من منافسيها على عرش يهوذا من أبناء ==

للملك فقط (١).

وعلى أية حال فإن هذا الزواج الذى تم بين "آحاب" و"ايزابل" كان من أسباب تذمر اليهود ونقمتهم ، ودفعهم إلى ماعرفه الفكر الدينى بعد ذلك من تعصب ضد الزواج بالأجنبيات بصفة عامة ، لما ترتب على ذلك من اختلاط العبادات(٢) فآحاب صاحب الشخصية الضعيفة والإرادة المسلوبة أصبح نصير العبادة الوثنية فى السامرة بعد انقياده وراء زوجته الأجنبية التى عملت على انتشار عبادة بعل ، وان كان "آحاب" من ناحية أخرى لم يرد نصائح المؤمنين من شعبه ، فلم يطرد أنبياء " يهوه " من أحياء السامرة وبقية مدن مملكته ، وقام بتعيين " عوبديا עובדיה " رجل الله وزيراً لبلاطه (قائماً على قصره) ومراقباً لكل من يدخله أو يخرج منه ، وربما هدف من ذلك إلى تشديد المراقبة على كهنة وأنبياء بعل أنصار "ايزابل" خشية الاستيلاء على تقاليد الأمور(٣)، ومما دفعة إلى ذلك أنه بعد أن قام ببناء معبد لبعل فى السامرة وأقام بجانبه " אֲשֵׁרָה (٤) - سارية "

=) زوجها من زوجاته الأخريات . وفى السنة السابعة لإخفاء الطفل أظهر وحمل إلى الهيكل وبويع ملكاً على يهوذا . فغضبت "عثاليا" وخشيت أن يفلت منها الزمام ، فأسرعت إلى الهيكل واتهمت "يوآش" بتدبير مؤامرة عليها . ولكن " يهوياداع " (الكاهن الأعظم) طردها من الهيكل ، وحملها الشعب إلى خارج الهيكل وقتلوها (الملوك الثانى ١١ : ١٦) و (أخبار الأيام الثانى ٢٣ : ١٥) وقد تسببت عثاليا بحكمها فى إحداث نتائج وخيمة على استقلال يهوذا. منها : تصاعد الخطر على بيت داود ، تزايد نفوذ صيدون فى يهوذا ، إقامة العبادات الوثنية فى مكان المعبد الرئيسى .

انظر : לפסיקון מקראי , עמ' 720.

١) All the women of the Bible, P. 73.

٢) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . ص ٦٤

٣) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 32.

٤) אֲשֵׁרָה : الأشيراه : وهى قائمة من جذع شجرة تغرس فى الأرض (راجع القضاة ٦ : ٢٥ وتثنية ٧ : ٥) واسم الأشيراه مأخوذ من اسم الربة الكنعانية " أشيراه אשרה " لأنها كانت تمثل عادة بجذع شجرة من فروع مشذبة . وقد جاء اسمها فى العهد القديم مرادفا لعشتورت (مثلاً القضاة ٣ : ٧) وربما كانت وظيفة الربة أشيراه فى الأصل اعطاء الحظ الحسن . ومن الجدير بالذكر أن التشابه فى اللفظ ، بين اسم الربة واسم المادة المقدسة يختفى مع حالة الجمع ، فان الربة אשרה تجمع אשרות (قضاة ٣ : ٧) والمادة المقدسة אשרה (السارية) تجمع אשרים (راجع الملوك الأول ١٤ : ١٥) : ومن المحتمل أن يكون ==

رمزا للإلهة " عشتروت " قامت ايزابل بإحضار مجموعة من الكهنة والأنبياء يقدرون بأربعمائة وخمسين نبياً لبعل وأربعمائة نبى للسوارى ، وقامت بإعالتهم جميعاً(١).

وفى معبد بعل كان الكهنة والأنبياء يتكهنون ويتنبأون ، ويمارسون هناك طقوس عبادتهم الغريبة ، حيث كانوا يتزيون بزى النساء ، ويستخدمون أدوات الزينة التى تستخدمها النساء فى ذلك الوقت ، ويتركون أذرعتهم مكشوفة حتى نهايتها ، ويحملون السيوف والفئوس(٢) ، وكانوا يصلون بصوت عال ، وينفعلون فى الرقص إلى أقصى درجات الانفعال بدرجة تخرجهم عن الشعور فيعملون السيوف فى أجسادهم إلى أن تسيل منها الدماء على طريقة " الدراويش הדרווישים "(٣).

=) أصل الاشيراه من ميزوفوتاميا وأن الاسم مشتق من الكلمة البابلية Ashirtu أو Eshirtu . ويرى T.H. Robinson : أن الربة " أشيراه " ربما تكون من أصل ميزوبوتامى أو ربما تكون صورة من العشتروت مستخدمة بصفة خاصة فى فلسطين . وقد أصبحت الأشيراه أحد الملامح العادية للأماكن المقدسة لدى الإسرائيليين (راجع ٢ ملك ١٨ : ٤ وأشعيا ١٧ : ٨ وميخا ٥: ١٢ - ١٤) وهى توضع بجانب المذبح (راجع تثنية ١٦ : ٢١) فى صورة عمود خشبى سميك رأسه إلى أعلى . ومن أشهر الأشيريم ، واحدة فى السامرة (٢ ملك ١٣ : ٦) وأخرى فى أورشليم (راجع ٢ ملك ١٨ : ٤ و ٢١:٧ و ٢٣ : ٦) . ومن الجدير بالذكر أن الأشيراه كجذع شجرة وليست كربة هى التى نهى عن اقامتها بجانب مذبح يهوه .(راجع تثنية ١٦ : ٢١).

انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 132 - 133.

١) الملوك الأول ١٨ : ١٩

٢) ד"ר צבי גרץ . פרק א' . עמ' 84 انظر أيضاً ا.ن. بولاك . ص ٢٤٥

٣) שמעון דובנוב . פרק א' . עמ' 70 وقد أخطأ دوفنوف فى استخدام لفظ (الدراويش) بهذا المعنى حيث ان كلمة " درويش " كلمة فارسية "درپيش " تعنى " قدام الباب " ، وهى كناية عن " الفقير " و" المتسول " ، ثم تطورت دلالتها الى " الناسك المسلم الذى يحيا فى فقر وتقشف " .
انظر طوبيا العنيسى : تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . دار الغرب . القاهرة سنة ١٩٦٥ . ص ٢٧
انظر أيضاً : ראובן אלקלעי, "לקסיקון לועזי-עברי חדש" מסדה - רמת-גן, ישראל, הדפסת 1976, עמ' 115.

وقد أرادت إيزابل بهؤلاء الكهنه والمتنبيئن أن تبعد قلوب بنى إسرائيل عن إله آبائهم ، وتغيير طبيعة ديانتهم ، وسلكت فى ذلك سبلاً متعددة بدأت بتدمير مذبح إله إسرائيل وبناء مذابح جديدة مكانه فى قالب فينيقى ، حتى يضطر الشعب إلى اللجوء إلى مذابح "بعل" و"السوارى" ليقرّب فيها قرابينه ، وبطبيعة الحال كان لابد أن يميل سكان المدن إلى عبادة "بعل" و"السوارى" ، وبخاصة التجار وأصحاب المهن والطبقات العليا التى تميل بدورها إلى حياة الترف والانحلال التى توفرها لهم هذه العبادة الوثنية . ولم ينج من تأثير هذه العبادة سوى أعداد قليلة فقط تقدر بحوالى سبعة آلاف رجل هم الذين ظلوا متمسكين بإله إسرائيل ، ولم يخضعوا أو يميلوا إلى تلك العبادة التى تناصرها السلطة الحاكمة ممثلة فى "إيزابل" ، ومالوا إلى عبادة إلههم الذى يؤمنون به ، ولذلك كانوا يسجدون لبعل ، ويذبحون له ، بينما يقومون بطقوس عبادتهم لإلههم فى الخفاء(١).

ويعطى العهد القديم صورة قاتمة لما كان يتربص بالروح القومية الدينية فى إسرائيل الشمالية نتيجة ازدواجية العبادة ، بحيث يعيد للأذهان صورة ماكان من هذه الازدواجية فى عصر القضاة بتأثير عبادة " بعل " الكنعانى ومانتج عن ذلك . وقد أطلق العهد القديم على هذه الازدواجية اصطلاح פְּסִיחָה עַל שְׁתֵּי־הַסְּעִיפִים أى الجمع بين عبادة " يهوه " وعبادة " بعل " . وفى الوقت الذى كان فيه العامة يتخبطون فى هذه الازدواجية نجد البعض قد فطن إلى مايمكن أن تحدثه من آثار دينية ، فقاموا بالاحتجاج على هذا الوضع الدينى القلق ، وعلى ما أخذ يتسرب إلى أذهان الناس من ثقافات أجنبية لم يتعودوا عليها ، ولقى احتجاجهم قبولاً من الناس ، وهؤلاء الذين نادوا بهذا الاحتجاج هم من يطلق عليهم "أنبياء الرب" נְבִיאֵי יְהוָה ، ويقابلهم فى الجانب الآخر كهنة بعل والسوارى الوثنيين الذين يسمون "נְבִיאֵי הַבַּעַל וּנְבִיאֵי הָאֲשֵׁרָה."(٢)

---

١) د. ر צ. גרץ . דברי ימי ישראל . פרק ראשון . עמ 84

٢) انظر الملوك الأول ١٨ : ١٩ - ٤٠ . ويعلل ابن ميمون فى كتابه " دلالة الحائرين " اطلاق لفظ "أنبياء" على كهنة بعل والسوارى بقوله : ولايغلطك ماجاء فى المواعيد فى قوله : أفيض روحى على كل بشر فيتنبأ ==

عند ذلك أحست "ايزابل" بخطر هؤلاء على وثنيتها فقامت بموافقة "آحاب" تطارد هؤلاء الوعاظ فى وحشية ، بل انها أمرت بقتل كل أنبياء " يهوه " ، ولم ينج منهم إلا القليلون حيث اختبأوا فى المغارات ، وكان أتباعهم يحضرون لهم الطعام فى الخفاء ، وعلى الرغم من ذلك فهناك حقيقة تاريخية يسجلها سفر الملوك توضح صورة الصراع بين أنبياء "بعل" ، والمؤمنين "بيهوه" ، الذى انتهى بانتصار الغيورين على دين إسرائيل ، وعلى رأسهم رجل المعجزة إلياهو النبى(١).

(٢) علاقة آحاب بيهوذا وحروبه مع آرام :

اجتهد "آحاب" فى توثيق علاقاته مع مملكة يهوذا ، ففى الوقت الذى أشرفت فيه مظاهر العداء التى سادت منذ تقسيم المملكة الموحدة على نهايتها ، قام آحاب بتزويج ابنته " عثاليا " من " يهورام بن شافاط " ملك يهوذا(٢). ورغم

=) بنوكم وبناتكم (يوئيل ٢٨/٢) لانه قد فسر ذلك وأخبر ماتكون تلك النبوة فقال : " ويرى شبانكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً " (يوئيل ١/٣) لان كل مخبر بغيب من جهة التكهن والشعور كان ذلك ، أو من جهة رؤية صادقة : فانه يتسمى أيضا نبياً ولذلك يسمون أنبياء بعل وأنبياء عشتروت :أنبياء . انظر: موسى بن ميمون : " دلالة الحائرين " تحقيق حسين آتاى . الفصل (٣١) ، ص ٣٩٦ .

١) الملوك الأول ١٧ و ١٨ . وانظر الفصل الثانى من الباب الأول .

٢) الملوك الثانى ٨ : ١٨ : ومن الأخطاء الشائعة فى العهد القديم ان الملوك الثانى ٨ : ١٨ يشير إلى أن "يهورام بن شافاط" ملك ثمانى سنين فى أورشليم وسار فى طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت آحاب لأ ن بنت آحاب كانت له زوجة ، ومرة أخرى نجد مايشير فى نفس الاصحاح (٨ : ٢٥) إلى أن "آحزيا بن يهورام" ملك على يهوذا لمدة سنة واحدة فى أورشليم ، وان اسم أمه " عثاليا " بنت "عمرى" ملك إسرائيل ، وأنه عمل الشر كبيت "آحاب" لأنه أصهر إلى بيت "آحاب" ... والخطأ فى النسب واضح . وكذلك أيضاً يشير سفر أخبار الأيام الثانى إلى ان "يهورام" كان زوجاً لبنت "آحاب" (٢١ : ٦)بينما يشير الملوك الثانى (١١ : ١) إلى أن "عثاليا" هى أم "آحزيا" .

أن مملكة إسرائيل كانت أكبر فى رقعتها وأقوى فى موقفها السياسى والاقتصادى من يهوذا مما يوحى بأن العلاقة بينهما لم تكن علاقة حلفاء على درجة واحدة من المساواة ، فانه من الواضح ان هدف آحاب من التقرب من يهوذا لم يكن لعرض سيطرته عليها أو محاولة ضمها إليه ، حتى لايشغل نفسه بموقف قلق مع يهوذا ، وليتفرغ لحروبه مع " آرام " بعد تأمين جانبه من ناحية يهوذا(١).

أما فيما يتعلق بحروبه مع "آرام" ، فإن المؤرخين يذكرون أن قوة دمشق كانت متفوقة على مدن الآراميين ، واستطاع ملكها " بن هدد الثانى "(٢) تنظيم تحالف ضم اثنين وثلاثين ملكاً بمعداتهم الحربية ، واتجه بهم إلى السامرة ، لكنه تباطأ فى طريقه ونزل من هضبة دمشق إلى الجنوب فى أرض الحوران والباشان(٣) تجاه "راموت جلعاد" ، وأرسل رسله إلى "آحاب" فى السامرة ، على ماهو

---

١) האנציקלופדיה העברית, כרך ג', ערך אחאב.
انظر أيضاً الملوك الأول ٢٢ : ٢ - ٤ ، وأخبار الأيام الثانى ١٨ : ١ - ٤

٢) بن هدد : בֶּן־הֲדַד وهو "بر هدد الثانى" والذى يكتب اسمه فى النقوش أحياناً " بن هدد " . ويرد فى النقوش الأشورية باسم " أدد ادرى ADAD Idri وهو ابن وخليفة " بر هدد الأول "" ابن طاب رمون ابن حزيون" الذى حاول الاستفادة من النزاع القائم فى فلسطين بين مملكة إسرائيل وملكها " بعشا " ، ومملكة يهوذا وملكها " آسا " . أما " بن هدد الثالث " فهو ابن "حزائيل" الذى قتل ابن " بن هدد " الثانى وقاوم " شلمانصر " عام ٨٤١ ق.م .
انظر د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . ص ١٠٧ - ١٠٨ وأيضاً : الملوك الثانى ٨ : ١٥ .

٣) الباشان : הַבָּשָׁן : اسم عبرى معناه : " أرض مستوية أو ممهدة " وهى مقاطعة فى أرض كنعان واقعة شرقى الأردن بين جبلى " حرمون وجلعاد " (عدد ٢١ : ٣٣) وسميت " باشان " من جبل فى تلك البلاد (مزامير٦٨:١٥) وكانت " باشان " تشمل " حوران " و " الجولان " و"اللجاه " . وكان سكان "باشان" القدماء من الرفائيين (تكوين ١٤ : ٥ ؛ وتثنية ٣ : ١١) وأصابت الهزيمة " عوجا " ملكها فقتله الإسرائيليون (عدد ٢١ : ٣٣ ؛ ٣٢ ; ٣٣) واقتسموا أرضه . وذكرت "باشان" نحو ستين مرة فى العهد القديم .
انظر : قاموس الكتاب المقدس : ص ١٥٩

مفصل فى العهد القديم[1]، يطالبه بالخضوع له ، ويتضح من رد آحاب رغبته فى تهدئة الموقف ، ومهادنة " بن هدد " حتى يكسب الموقف إلى جانبه ، أو يتحاشى لقاء هذا الملك نظراً لماهو معروف عن قوته الحربية ، خاصة بعد تحالفه مع الملوك الآخرين . إلا أن " بن هدد " يبدو أنه قد فطن إلى ذلك فتحرك تجاه قلب مملكة إسرائيل فى يابيش جلعاد[2]، ومن هناك أتخذ مساره إلى سكوت[3]، وهى

---

١) راجع الملوك الاول ٢٠ : ٣ ، ٤ : ونحن نعرف حقيقة أسباب هذه الحرب لكن من الفقرة (٣٤) فى الإصحاح العشرين من سفر الملوك الأول يتضح لنا أن " بن هدد " كان قد انتصر على عمرى واقتطع من أرضه مدناً كثيرة واضطر عمرى للخضوع له . وقد وجد آحاب الفرصة مناسبة للتوقف عن دفع الجزية لآرام ولذلك جاء بن هدد للحرب ولاخضاع إسرائيل . ويبدو أن تفاصيل هذه الحرب كانت مذكورة فى " سفر حروب إسرائيل " الذى فقد ولم يتبق منه الا أجزاء صغيرة . هى التى وردت فى هذا الإصحاح .

انظر : ש.ל.גרדון , נביאים ראשונים , עמ' 118-119.

٢) يابيش جلعاد "יָבֵשׁ גִּלְעָד" مدينة مشهورة فى العهد القديم على جبال جلعاد شرقى الأردن على بعد حوالى عشرة أميال إلى الجنوب الشرقى من " بيت شان " وإلى الجنوب من (بيلا). ويظن انها " تل ابو خرز "תל אבו חַרַז" التى مكانها " وادى اليابس " "ואדי יאבס" والذى احتفظ كما يبدو باسمه القديم وربما هى " دير حلاوة "דיר חלאוה" التى تقع فى نفس المنطقة . وقد ورد ذكر " يابيش جلعاد " فى عدة مواضع فى العهد القديم ، وينسب إلى أهلها امتناعهم عن الصعود إلى مجمع بنى إسرائيل فى" المصفاة " (قضاة ٢١ : ٨) فتم تدمير المدينة على يد بنى إسرائيل ، ولم يتركوا الا أربعمائة فتاة عذراء أعطيت نساء لسبط " بنيامين " (عدد ١٤)، وارتبط اسمها فى العهد القديم بالملكين "شاؤل وداود" .

انظر (صموئيل الأول ١١ ؛ صموئيل الثانى ٢١ : ١٢ - ١٤ ؛ أخبار الأيام الأول ١٠ : ١١ ؛ وصموئيل الثانى ٢: ٥ - ٧)

انظر أيضاً לכסיקון מקראי , עמ' 331.

٣) سكوت סֻכּוֹת : اسم عبرانى معناه " مظلات " وهو المكان الذى رحل إليه يعقوب بعد أن ترك أخاه عيسو ، وقد أطلق عليه هذا الاسم بعد أن أقام فيه مظلات له ولبنيه ولمواشيه (تكوين ٣٣ : ١٧) وقد وقعت سكوت من نصيب سبط جاد . وقد عاقب جدعون أهلها بعد عودته من حروب " ذبح وصلمناع " ملكى المديانيين منتصرا (قضاة ٨: ٥- ٨ ؛ ١٤ - ١٦) ، وكان بين " سكوت " و" صرتان צָרְתָן " مسابك للنحاس سبكوا فيها آنية الهيكل فى أيام سليمان (الملوك الأول ٧ : ٤٦ ؛ أخبار الأيام الثانى ٤ : ١٧) وتقع سكوت شرق الأردن وشمال " مخاضة يبوق " ، ويظن أن مكانها اليوم " تل ==

أكبر مدن إسرائيل فى ذلك الوقت . ومرة أخرى يعاود " بن هدد " الاتصال بآحاب وتهديده ويطلب منه الاستسلام التام ، غير ان آحاب لجأ هذه المرة إلى أصحاب الرأى والمشورة من شيوخ إسرائيل وعرض عليهم الموقف ، فأجمعوا على عدم تنفيذ مايهدد به ملك آرام ، إلا ان آحاب لجأ أيضاً إلى المهادنة ، ورد عليه بصورة لم تعجبه ، ووفقاً لما جاء فى العهد القديم أقسم بن هدد بأن يغمر أرض السامرة بجنوده ، ولذلك رد عليه آحاب بمثل شائع : " لا يفتخرن من يشد كمن يحل יִתְהַלֵּל חֹגֵר כְּמַפְתִּחַ (١) ، وعندئذ ظهر أحد الأنبياء إلى آحاب وقال له : " هكذا قال الرب . هل رأيت كل هذا الجمهور العظيم ، ها أنذا أدفعه ليدك اليوم فتعلم أنى أنا الرب - כֹּה אָמַר יְהוָה הֲרָאִיתָ אֶת כָּל־הֶהָמוֹן הַגָּדוֹל הַזֶּה הִנְנִי נֹתְנוֹ בְיָדְךָ הַיּוֹם וְיָדַעְתָּ כִּי־אֲנִי יְהוָה . (٢) وطبقاً لنبوءة هذا النبى خرج آحاب وجنوده السبعة آلاف خلف " غلمان رؤساء المقاطعات נַעֲרֵי שָׂרֵי הַמְּדִינוֹת (٣) وانقضوا على كتائب الآراميين وألحقوا بهم خسائر فادحة ، وفر الآراميون من أمام الإسرائيليين ، الذين طاردوهم حتى مداخل الأردن وهرب بنهدد على فرسه ، وعاد

=) الاخصان "תל אל-אחצאן" كيلو متران شمال " نهر الزرقا (اليبوق) . ويذكر التلمود أنها ترعله (תרעלה) وهى (ديرعله תל דיר עלא) الذى كان مستوطناً من نهاية العصر البرونزى المتأخر ، وحتى القرن التاسع ق.م . انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 670 .

١) انظر الملوك الأول ٢٠ : ٩ . وهو مثل شائع عند الإسرائيليين ، ويعنى أن الذاهب إلى ميدان القتال لايحاول أن يفتخر بانتصاره كالأبطال ، إلا بعد عودته متوجاً بالنصر ، فليس الذاهب متمنطقاً بالسلاح إلى الحرب مثل العائد وقد فك عنه السلاح بعد انتصاره .
انظر : ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' 120 .

٢) الملوك الأول ٢٠ : ١٣ .

٣) ويذكر " موسى ميمون " أن التوراة أطلقت لفظة (غلام - صبى נַעַר) على عدة أشخاص بالغين كما فى (أرميا ٦/١) ، وتسمية " يوسف الصديق " غلاماً وهو ابن ثلاثين سنة ، وتسمية يشوع غلاماً وهو قد ناهز الستين (الخروج ١١/٣٣) . انظر دلالة الحائرين . ص ٣٩٥ الفصل ٣٢ .
وهناك رأى أخر يعتقد أن غلمان رؤساء المقاطعات هم المستجدون الملتحقون بالجندية ، والذين وقفوا بجانب رؤساء المقاطعات قادة الملك الذين أطلق عليهم נציבים مفوضون - مندوبون، فى أيام سليمان .
انظر : ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' 120 .

" آحاب" منتصراً إلى السامرة (١).

ومرة ثانية ظهر النبى أمام " آحاب" ليحذره قائلا : " اذهب تشدد ، واعلم ، وانظر ماتفعل لأنه عند تمام السنة يصعد عليك ملك آرام " לְךָ הִתְחַזָּק וְדַע (٢) וּרְאֵה אֶת־אֲשֶׁר תַּעֲשֶׂה כִּי לִתְשׁוּבַת הַשָּׁנָה מֶלֶךְ אֲרָם עֹלֶה עָלֶיךָ ".

حرب أفيـــق : אֲפֵקָה (٣)

عاود " بن هدد " الكرة فى العالم التالى بعد أن أعاد تنظيم جيوشـــه ، فقاد جيوشه فى طريق مختصره قصيرة من دمشق إلى " الباشان " ثم إلى "وادى أفيق". وفى أفيق عسكر " بن هدد " ثم اتجه جنوباً إلى وادى الأردن عند " بيت شـــان " و " وادى يزرعيئل" . وهناك خرج " آحاب" لملاقاته ، ومرة أخرى تقدم " رجل الله " من الملك ، وفى هذه المرة عرف " آحاب" أنه " ميخا بن يملة" מִיכָיְהוּ בֶן יִמְלָה" الذى تنبأ له خيراً فى السامرة ، بأن الله سينصره على الآراميين . قال له رجل اللـــه : כֹּה אָמַר יְהוָה יַעַן אֲשֶׁר אָמְרוּ אֲרָם ׀ אֱלֹהֵי הָרִים יְהוָה וְלֹא־אֱלֹהֵי־עֲמָקִים הוּא ׀ וְנָתַתִּי אֶת־כָּל־הֲמוֹן הַגָּדוֹל הַזֶּה בְּיָדֶךָ ׀ וִידַעְתֶּם כִּי־אֲנִי יְהוָה ". (٤)

هكذا قال الرب : من أجل أن الآراميين قالوا ان الرب إنما هو إله جبال ، وليس هو إله أودية . أدفع كل هذا الجمهور العظيم ليدك فتعلمون انى الرب " .

---

١) Leo.W. Shworz: The Jewish Caravan : Great Stories of twenty five centuries. New York. 1935. P. 61.

٢) الملوك الأول ٢٠ : ٢٢

٣) افيق אֲפֵקָה : وهو اسم المدينة (الهاء النهائية ليست هاء وجهـــة) ، كانت مدينة كبيره يجتازها الطريق الكبير من دمشق إلى وادى يزرعيئل وإلى يافا وإلى مصر . اسمها اليوم " فيق פִּיק " . وهى قرية عربية شـــرق طبرية . وهى ليست مدينة " افيق אֲפֵק " المطلة على جبل جلبـــوع (راجع صموئيل الأول ٢٩ : ١) مكان حرب شاؤل والفلسطينيين ، ويوجـــد مكانها الآن قرية صغيرة يسميها العرب " فقعة פֻּקְעָה " .
انظر : ש.ל.גרדון, נביאים ראשונים, עמ' 124.

٤) الملوك الأول ٢٠ : ٢٨ : كانت شعوب الشرق تحسب كل قوى الطبيعة وظواهرهـــا آلهة خاصة ، وكانت لهم آلهة جبال وآلهة غابات وماشابه ذلك ، وبسبب ان أرض إسرائيل هى أرض جبال . اعتقدوا ان قوة إله إسرائيل ليست إلا على الجبال .

خرج جيش "آحاب" فى معسكرين لملاقاة جيوش آرام ، اتجه المعسكر الأول منها نحو الأردن الشرقى ليعبر نهر اليرموك النازل من الباشان إلى الأردن ، أما المعسكر الثانى فقد عبر نهر الأردن من عند أرض نفتالى ، " وانقض جنود "آحاب" ، يتقدمهم غلمان رؤساء المقاطعات،على جيوش الأراميين المحتشدة عند " أفيق " ، وقتلوا منهم فى يوم واحد ألف جندى ، واستمر القتال على هذا الحال حتى منى جيش " بن هدد " بهزيمة ساحقة ووقع أسيراً فى يد "آحاب" (١).

والملاحظ أن نصوص العهد القديم التى تعرضت للحروب التى قامت بين كل من إسرائيل وآرام لم تشر إلى وقوف صيدون إلى جانب مملكة إسرائيل ، أو تقديم أية مساعدة لها . بل كانت إسرائيل وحدها فى الميدان تقف صامدة أمام الهجوم الخارجى . ولعل ذلك من العوامل التى جعلت "آحاب" يدرك أنه من الحكمة والحنكة السياسية أن يوافق على ابرام معاهدة صلح وسلام مع أسيره " بن هدد " فى مواجهة الضغط الآشورى بقيادة الإمبراطور " شلمانصر الثالث - שלמנאסר הַשְּׁלִישִׁי " (٨٥٩ - ٨٣٤ ق.م تقريباً) ليضمن بذلك أن تشكل آرام خطاً دفاعياً طبيعياً أمامياً يخفف كثيراً من الضغط الأشورى . وبسرعة أبرم "آحاب" تلك المعاهدة السلمية مع أسيره " بن هدد " ، والتى بمقتضاها فك أسره ، وأسر عبيده ، وقدم له مركبة وخيولاً ليعود إلى بلده ، وفى مقابل ذلك أعاد الأراميون تقريباً جميع المدن الإسرائيلية التى احتلوها من قبل ، وبالإضافة إلى ذلك خصصوا أسواقاً فى دمشق لتكون تحت تصرف التجار الإسرائيليين(٢).

وقد أحسنت إسرائيل انتهاز هذه الفرصة الاقتصادية التى سنحت لها،واستطاعت بمساعدة الفينيقيين السيطرة على طرق التجارة التى تصل أرض إسرائيل بسوريا ودول الفرات ، إلا أن وجود بعض المناطق مثل " راموت جلعاد " وغيرها فى أيدى الآراميين قد دفع بعض رجال الدين إلى مهاجمة "آحاب" واتهامه بالخيانة والضعف .

. ويعبر " ميخا بن يملة " عن هذا الهجوم ضد آحاب بقوله :

" כֹּה אָמַר יְהוָה יַעַן שִׁלַּחְתִּי אִת־אִישׁ־חֶרְמִי מִיָּדִי וְהִיְתָה נַפְשֶׁךָ

---

١) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 46-47.
٢) האנציקלופדיה העברית , ערך "אחאב".

תַּחַת נַפְשׁוֹ וְעַמְּךָ תַּחַת עַמּוֹ - (١) هكذا قال الرب : لانك أفلت من يدك رجلا قد حرمت قتله فتقتل بدلا منه ويقتل بدلا شعبه " .

ومرة أخرى نجد العهد القديم فى سرده لتلك الأحداث التى مرت بالمملكة فى عهد "آحاب" يتجاهل الدوافع التى أدت إلى إبرام تلك المعاهدة مع " بن هدد " والسماح بفك أسره ، ويبدو أن ذلك كان وضع مملكة إسرائيل بين الدول فى تلك الأيام ، بناء على ماجاء فى قصص العهد القديم ، وبخاصة فى سفر الملوك ، حيث تم تقييم الأحداث السياسية فيها من خلال إطار الرؤية الدينية المتطرفة (٢).

وبمقتضى المعاهدة الإسرائيلية الآرامية ظهر لأول مرة فى تاريخ المملكة تحالف " آرامى إسرائيلى " أمام الخطر الذى يهدد الطرفين ، ونتيجة لهذا التحالف أصبحت سورية الآرامية شريكة فى نفس المصير الذى تعرضت له إسرائيل وفينيقيا وهدفاً للزحف الآشورى إلى أن وقعت إسرائيل فريسة له حوالى عام ٧٣٢ ق.م (٣).وهكذا كثرت المعارك ومن أهمها :

موقعة قرقار : קרקר.

وفيها ألقى "آشور نصر بال" الفزع فى قلوب ملوك سورية بحملاته المتكررة سنوياً غرب الفرات ، وكان هدفه : سلب المغانم من الممالك الغنية شمال سوريا ، وبخاصة الذهب والفضة ، والمواد الخام اللازمة لبناء عاصمته "كلح" (٤). وقد خلفه

---

١) الملوك الاول ٢٠ : ٤٣

٢) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . כרך א . עמ' 73

٣) د. حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم . ص ١٠٨

٤) " كلح - כלח " : مدينة كبيرة فى أرض آشور بناها " نمرود " (تكوين ١٠ : ١١) وتسمى المدينة بالآشورية (כַּלְחּ) . وكانت قائمة فى أيام " حمورابى " فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ق.م . بينما يذكر "آشور نصر بال" ان المدينة تم بناؤها على يد "شلما نصر الأول" ١٣٠٠ ق.م تقريباً وربما يقصد اعادة بنائها . ومنذ ذلك الحين أصبحت عاصمة ثانية بجانب أشور ونينوى ، وقد بنيت " كلح " على أرض مثلثة عند التقاء " نهر الزاب" الكبير مع "نهر دجلة" ، وكانت محاطة بسور عظيم به حوالى ١٠٨ برجاً . وهى اليوم نمرود .
انظر: לבסיקון מקראי , עמ' 394.

على عرش آشور، ابنه شلما نصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م تقريبا) ، وكان محاربا مثل أبيه ، ففى فترة حكمه البالغة خمسة وثلاثين عاما قاد اثنتين وثلاثين حملة حربية . وترجع شهرة هذا الملك على وجه الخصوص إلى ماذكر عنه فى " المسلة السوداء " والتى صور عليها " ياهو " ملك إسرائيل ساجدا أمام شلما نصر ، وهو يدفع الجزية . ومنذ ذلك الوقت بدأ التاريخ الآشورى يلقى ضوءا على أخبار التوراة (١).

وقد قام شلما نصر باحتلال المدينة تلو الأخرى فى المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات ، ثم عبر بعد ذلك نهر الفرات - مستغلا مد النهر - على معابر خشبية ، وأعمل التخريب فى المدن : "בית עדן - بيت عدنى "(٢)، و " פתור فتور"(٣) و" כרכמיש كركميش "(٤) و " ארפד أرفاد "(٥)، وكانت أعمال التخريب

---

١) د. محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة . دار النهضة العربية . القاهرة سنة ١٩٦٨ . ص ٢٢٢ .

٢) بيت عدنى : "בית עדן " : مقاطعة تقع فيما بين النهرين ، وسميت فى عاموس (١ : ٥) " بيت عدن " ، واقترن اسمها " بجوزان " و " خازان " ، و" رصف " و " تلاسار " (راجع الملوك الثانى ١٩ : ١٢ ، أشعيا ٣٧ : ١٢) ، و "بحران" و"كنه" (راجع حزقيال ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤) . وقد ورد اسمها فى الآثار الآشورية " كبيت عدنى " . حيث كانت خاضعة لهم . فقد كانت تقع حول ضفتى الفرات ، شمال مصب نهر " البليخ " . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٦١٤ .

٣) فتور : פתור : مدينة قرب الفرات (راجع العدد ٢٢ : ٥) عند جبال آرام النهرين (راجع العدد ٢٣ : ٧ ؛ التثنية ٢٣ : ٤) . استولى عليها شلما نصر الثانى من الحثيين ، وكانوا يدعونها " بترو " . وقد ظهر اسمها قبل ذلك بزمان طويل فى قائمة تحتمس الثالث ضمن المدن السورية . وكانت تقع على الشاطئ الغربى من الفرات قرب نهر " الساجور " على بعد بضعة أميال من " كركميش " . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٦٧١

٤) كركميش : כרכמיש " : عاصمة الحيثيين الشرقية ، وكانت تقع غربى نهر الفرات . ولما كانت ذات موقع تجارى مهم ، فقد أصبح غناها عظيما . وقد استوفى منها آشور نصر بال ملك آشور جزية كبيرة جدا . ولما استولى عليها " سرجون " عام ٧١٧ ق.م . سقطت بسقوطها الامبراطورية الحثية (راجع أشعيا ١٠ : ٩). وقد هزم فيها " نبو خذ نصر " الفرعون " نخو " ملك مصر فى موقعة عظيمة وحاسمة عام ٦٠٥ ق.م (راجع أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٠) . وسميت كركيسيوم عند الرومان . وهى اليوم جرابلس .
انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٧٧٦

٥) أرفاد אַרְפָּד : وهى مدينة فى آرام " يرجح أن موضعها اليوم هو (تل أرفاد)==

والهدم على أشدها حيث يذكر بعض الباحثين فى شئ من المبالغة ، أن الدخان المتصاعد نتيجة حرق هذه المدن ، وتدميرها قد وصل مداه إلى كل من دمشق والسامرة والقدس . ولاشك أن آشور كانت تستند إلى قوتها العظيمة التى سبق لملوكها أن اعتنوا بها منذ القرن التاسع ق.م ، بالإضافة إلى ما أدخل على هذه القوة من تكنيك حديث فى التحصينات والتجهيزات وذلك بإنشاء سلاح للمركبات عظيم القوة . وقد كان لابد لهذه القوة العظيمة فى المنطقة من أن تواجه بمجموعة من الأحلاف من الدول المحيطة بها درءاً لقوتها ، وخشية احتلالها لأراضيهم ، وفعلاً قامت عدة أحلاف ، منها حلف "ملوك شمال سوريا" و"أناطوليا" ، ثم ذلك الحلف الذى جاء ذكره فى كتابات "شلمانصر" نفسه ونعنى به حلف ملوك " حاتى " الاثنى عشر . وفضلاً عن ذلك ماقام به "آحاب" من عقد معاهدة صلح مع " بن هدد " الآرامى ، بل إن الدول الصغيرة أنفسها قد اتخذت سبيل الحيطة شأنها شأن مدن فينيقيا ، و"دولة العرب" التى يذكر البعض ان كتابات شلمانصر تعد أول وثائق تاريخية تذكر هذه الدولة ، بالإضافة إلى قوة رمزية من مصر(١).

وقد بدأت المواجهة الفعلية بين القوة الآشورية وقوات الحلفاء فى مدينة "قرقار" بالقرب من نهر " العاصى " حيث خرجت جيوش الحلفاء فى جناحين ، الأول من "السامرة" ، والآخر من "دمشق" ، والتقى الجناحان فى وادى لبنان ، وعند "حماة" على نهر " الأورنت " انضم إليهم " أرخولانى : אַרְחוּלֵנִי " ملك حماة على رأس سبعمائة مركبة حربية ، وعشرة آلاف جندى إلا ان تأخر جيوش الحلفاء فى الدفاع عن " قرقار" أدى إلى سقوطها فى يد "شلمانصر"(٢). وطبقاً لما جاء فى السجلات الآشورية فإن السهل كان أصغر من أن يحتمل الأعداد الضخمة من الجثث ، غير أن الاحداث لاتؤيد هذا الإدعاء لتجدد الصدام ثانية(٣). حيث عاد "شلمانصر" إلى بلده ووضع المتاريس حول آشور ، أما جيوش الحلفاء فقد تفرقت بعد موت " هدد عزرى " وانسحاب " آحاب "

=) على مسافة ١٣ ميلاً شمالى " حماه " ، وتذكر عادة مع "حماه" فى العهد القديم . انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٥٠ .

١) תולדות עם ישראל , עמ' 120 .

٢) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 50.

٣) العراق فى التاريخ .. ص ١٤٩

من التحالف وعودته إلى السامرة [1]. وقد سجل شلمانصر بعد عودته إلى بلـــــده ، قائمة كاملة لجيوش الحلفاء وملوكهم ، على حجر من البازلت ، وذلك فى الســـــنة السادسة من حكمه (٨٥٣ ق.م تقريباً) - وهى نص مسمارى معروف باســـــــــــم " המונוליט מכורח " ، وهذا النص . موجود الآن فى المتحف البريطانى ، وفيه يصف المعركة الحاسمة بين جيوشه وجيوش الحلفاء فى " قرقار " فى شمال سورية علـــى نهر العاصى : وترجمتـــه مايلى: " خرجت من الفرات ، حتى اقتربت من " حلـــــب " - خاف رجال حلب محاربتى ، ودفعوا الجزية فضة وذهب ، ثم قدمت القرابين إلى "هدد " إله "حلب" . ومن "حلب" اتجهت إلى مدينة " ارحولينى אַרְחֻלֵנִי " ملك " حمـــــــاة " واستوليت على عواصمه : " ادينو אַדֵנִי " ، " برجا בַּרְגָא " ، و" اورجانا אֻרְגָנָה " وسلبت المغانم وأدوات الهيكل وأحرقت قصوره . من اورجانا اتجهت إلى "قرقـــار " دمرتها وضربتها ثم أحرقتها حيث دارت الحرب مع :

١٢٠٠ مركبة حربية و ١٢٠٠ خيّال و ٢٠،٠٠٠ من جنود " هدد عزر " الدمشقى .

١٧٠٠ مركبة حربية و ٧٠٠ خيال و ١٠،٠٠٠ من جنود " ارحولينى " الحموى .

٢٠٠٠ مركبة حربية و ١٠،٠٠٠من جنود " آحاب " الإسرائيلى .

و ٥٠٠ من جنود بنى جبيل

و ١٠،٠٠٠ من جنود مصـــــر

١٠ مركبة حربية و ١٠،٠٠٠ من جنود العـــراق

و ٢٠٠ من جنود " متن بعل מתן בעל הארודי "

و ٢٠٠ من جنود "أسنو אֶסְנִי "

و ١٠،٠٠٠ من جنود " أدونى بعل السيانى אדוני בעל הסיאני "

و ١٠٠٠ جمل وجمّال من جنود "جندبوا العربى גִנְדִבְא הערבי "

وقد جاءت هذه الجيوش لمحاربتى ، وخاضت ضدى معركة حاسمة . وبفضل القوة الهائلة الـــتى منحهـــا لى الإلـــه " آشـــور "[2]، والأســـلحة القـــوية التـــى منحهـــا لـــى

---

١) د. محمد عبد القادر محمد . الساميون فى العصور القديمة . ص ٢٢٤

٢) آشور אשור : الإله الرئيسى للأشوريين ، وهو إله الحرب ، وكانوا يمثلونـــه فى شكل رام للسهام داخل دائرة تمثل قرص الشمس وله أجنحة .

الإله " نرجل "[١] الذى يسير أمامى ، حاربتهم ، ومن " قرقار " حتى " جلـــــزاو גִּלְזָא " ألحقت بهم هزيمة ساحقة ، وقتلت منهم ١٤٫٠٠٠ وقد سحقتهم مثلمـــا فعل " أدد - אדד " ، وبعثرت جثثهم ، وملأت الوادى بأشلاء جيوشهم "[٢]. ونخرج من هذا النص المسمارى بعدة نتائج منها :

(١) أن هذه الحرب هى نهاية الطريق المسدود الذى يؤدى إلى هزيمة آشور .

(٢) انه بدخول إسرائيل معركة قرقار ، أدى ذلك إلى سقوطها هى ويهوذا فى دوامة مشاكل غرب آسيا [٣].

(٣) دلت هذه الحرب على تفوق قوة المركبات الحربية لأحاب على قوة باقى الملوك. وإن دل هذا على شىء فإنه يدل على القوة العسكرية والاقتصادية لإسرائيل فى ذلك الحين .

(٤) إن ملك آشور لم يحسم المعركة فى " قرقار" ، ولذلك عاد وحارب حلف الملـوك العشرة فى السنوات التالية : ٨٤٩ ، ٨٤٨ ، ٨٤٥ ق.م تقريباً ، ولكن ليســت لدينا مصادر مؤكدة عن ذلك[٤].

يحتمل أن آحاب انضم إلى حلف من ولايات سورية أخرى ضد الأشوريين ، فلايوجـد صديق أو عدو للملوك مثل آحاب الذى تميز بسرعة الدخول والخروج من أحلاف مـــع الملوك[٥].

---

١) نرجل : נרגל : اسم سومرى معناه : " ملك المدينة العظيمة " وهو إلـه الشمس عند البابليين ، وكان يتمثل بالقوة والقدرة على التدمير مثـــل أشعة الشمس المحرقة (راجع الملوك الثانى ١٧: ٣٠). وكان " نرجـــل " أيضاً إله الحرب وسيد العالم الآخر . وهو مثل مارس فى العالم الرومانى . وقد وجدت لنرجل آثار كثيرة فيما بين النهرين ، وكانت " كوث " مركـــز عبادته . انظر قاموس الكتاب المقدس : ص ٩٦٧

٢) תולדות עם ישראל , עמ' 120.

٣) Baron: Salo Wittmayer: A Social Religious History of the Jew, P. 67.

٤) תולדות עם ישראל , עמ' 121.

٥) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 50.

ومن عجب ان العهد القديم لم يذكر شيئاً عن معركة " قرقار " ، ولكن بناء على ماجاء فى سفر الملوك الأول (الإصحاح ٢٢) أن آحاب قد مات فى الحرب التى خاضها هو ويهوشافاط ملك يهوذا ضد " بن هدد " السورى لاسترداد رأموت جلعاد ، قد حدد وقوعها عقب فشلهم فى الدفاع عن قرقار ونقضهم الحلف الذى كان بينهما ، أى بعد سنة تقريباً من معركة " قرقار " . وليس لدينا مايؤكد إن كان هذا الحلف قد جدده " يهورام بن أحاب " (٨٤٩ ق.م تقريباً) أم لا ؟ وهل اشتركت إسرائيل فى حلف الملوك العشرة ، ملوك سوريا وشواطىء البحر ضد الامبراطورية الأشورية أم لا . وبالرغم من هذه التساؤلات إلا أن هناك نتيجة مهمة نستخلصها من هذه الحرب وهى ان معركة " قرقار " تعتبر نقطه تاريخية مؤكدة وثابتة فى تحديد تاريخ إسرائيل ويهوذا .. أى سنة ٨٥٣ ق.م (١).

حرب راموت جلعاد :

فى اعقاب معركة " قرقار " بعدة شهور استقبل " آحاب " " يهو شافاط " ملك يهوذا استقبالاً حافلاً فى السامرة ، حيث كان يهو شافاط يؤمن بضرورة تحالفه مع المملكة الشمالية ، ويبدو أن يهو شافاط قد قصد بهذه الزيارة تدعيم علاقات التحالف مع آحاب ، وقد انتهز آحاب هذه الفرصة السانحة ، وطلب من ملك يهوذا مساعدته فى حربه ضد " بن هدد " من أجل استرداد " راموت جلعاد " والتى كانت من أسباب ثورة رجال الدين عليه لبقائها فى يد الآراميين . وقد حدث ذلك بعد أن تفكك الحلف المشترك بينه وبين " بن هدد " ضد آشور ، وتجدد العداء بين

---

١) د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم " . ج ٣ . ص ٤٠١

السامرة ودمشق بعد فترة سلام دامت ثلاث سنوات ، وبعد أن رفض " بن هدد " إعادة " راموت جلعاد " إلى إسرائيل طبقاً للمعاهدة الآرامية الإسرائيلية (١).

ويبدو ان الدوافع التى دفعت " آحاب " إلى التفكير فى الحرب أن آرام لم تعد إلى قوتها المعهودة ، بعد انهاكها فى معركة " قرقار " واضطرارها إلى حشد معظم قوتها على حدودها الشرقية والشمالية المواجهة لآشور ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى للتخلص من الآراميين الموجودين فى " راموت جلعاد " ومن ضغطهم المستمر على الإسرائيليين فى وادى الأردن الشرقى(٢).

وقد استجاب " يهو شافاط " عند زيارته لإسرائيل إلى طلب آحاب ، ولكنه أراد سؤال أحد الأنبياء بشأن رضاء الرب عن الحرب . وهنا تظهر مرة أخرى شخصية " ميخا بن يملة -מיכיהו בן ימלה" هذا النبى الذى مارس عمله النبوى أثناء الحلف بين آحاب ويهو شافاط ، وقد ظهر مرة أو مرتين منفرداً فى العهد القديم ، لكن فى هذا الموقف يظهر معه للمرة الأولى فى العهد القديم أنبياء من نوع ثالث - بعد أنبياء الرب وأنبياء بعل - وهم أنبياء سلام مأجورون عاشوا فى بلاط الملك ، وتنبأوا أيضا باسم الرب ولكن بالخير فقط ، وذلك لكى يوطدوا مكانتهم عند الملك . هذا النوع من الأنبياء أصبح متواجداً وبكثرة منذ ذلك الحين ، وقد أطلق عليهم العهد القديم لفظ : " الأنبياء الكذبة - נְבִיאֵי הַשֶּׁקֶר "(٣) وكان يوجد فى بلاط آحاب أربعمائة نبى منهم . قام آحاب باستدعائهم ليتنبأوا له وليهوشافاط قبل الخروج لمحاربة الآراميين لاسترداد راموت جلعاد . وكان قولهم بالإجماع : " اصعد فيدفعها السيد ليد الملك - עֲלֵה וְיִתֵּן אֲדֹנָי בְּיַד הַמֶּלֶךְ "(٤) وكان على رأسهم النبى الكاذب " صدقيا بن كنعنة צדקיהו בן כנענה " الذى صنع لنفسه قرنى حديد وقدمهما لآحاب رمزاً لإنتصاره ، وقال له بهذه تنطح الأراميين

---

١) Leo W. Schwarz: The Jewish Caravan P. 64.

٢) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 54.

٣) ד"ר ב' בן יהודה , י'. שוחט . הנבואה בישראל , עבד . הרחיב והשלים ד"ר ב'.בן.יהודה , מסד עם ישראל ומורשת , ישראל 1974 , עמ' 52.

٤) راجع الملوك الأول ٢٢ : ٦

حتى يفنوا . ولكن "يهو شافاط" احتقر هؤلاء الأنبياء ولم يرغب فى الاعتماد على نبوتهم وسأل "آحاب" عن نبى آخر للرب يسأله فى أمر الخروج إلى الحرب ، فأرسل "آحاب" فى استدعاء " ميخا بن يملة " رغم أنه تنبأ عليه بالشر دائماً . وعند حضور "ميخا" أمام "آحاب" و"يهو شافاط" ورؤيته بنفسه مشهد الأنبياء الكذبة كرر قولهم المعروف : " اصعد وافلح فيدفعها الرب ليد الملك " . ولكن "آحاب" أدرك سخرية "ميخا" وطلب منه أن يتكلم بالحق فقط . عندئذ قال ميخا : " رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعى لها " - רָאִיתִי אֶת-כָּל יִשְׂרָאֵל נְפֹצִים אֶל-הֶהָרִים כַּצֹּאן אֲשֶׁר אֵין לָהֶם רֹעֶה " .. واستمر "ميخا" فى حديثه ، على ماهو مفصل فى سفر الملوك ، فى تصوير فنى ملىء بالسخرية : רָאִיתִי אֶת יְהוָה יֹשֵׁב עַל-כִּסְאוֹ, וְכָל-צְבָא הַשָּׁמַיִם עֹמֵד עָלָיו מִימִינוֹ וּמִשְּׂמֹאלוֹ. וַיֹּאמֶר יְהוָה מִי יְפַתֶּה אֶת-אַחְאָב וְיַעַל וְיִפֹּל בְּרָמֹת גִּלְעָד ? וַיֹּאמֶר זֶה בְּכֹה וְזֶה אֹמֵר בְּכֹה . וַיֵּצֵא הָרוּחַ וַיַּעֲמֹד לִפְנֵי יְהוָה וַיֹּאמֶר אֲנִי אֲפַתֶּנּוּ - וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלָיו בַּמָּה ? וַיֹּאמֶר אֵצֵא וְהָיִיתִי רוּחַ שֶׁקֶר בְּפִי כָּל-נְבִיאָיו . וַיֹּאמֶר תְּפַתֶּה וְגַם תּוּכָל צֵא וַעֲשֵׂה-כֵן ". (١)

" رأيت الرب جالساً على كرسيه .

وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره .

فقال الرب من يغوى آحاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد ؟

فقال هذا هكذا ، وقال ذاك هكذا . ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه ! وقال له الرب بماذا ؟

فقال : أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه .

فقال : انك تغويه وتقتدر . فاخرج وافعل هكذا "

هذا الأمر أغضب كل الحاضرين ، وجعل " صدقيا بن كنعنة " يضرب "ميخا" على فكه ، ثم أمر "آحاب" بالقبض على "ميخا" وايداعه السجن .

---

١) الملوك الاول ٢٢ : ١٧ - ٢٢

ويمكن القول ان نبوءة هذا النبى قد تحققت إذ انهزم آحاب عند راموت جلعاد ومات إثر إصابته بسهم طائش رغم تنكره ، وانتهت الحرب قبل أن تحسم وعاد الجنود إلى السامرة حيث تم دفن الملك ." וַיִּשְׁטֹף אֶת־הָרֶכֶב עַל בְּרֵכַת שֹׁמְרוֹן וַיִּלְקוּ הַכְּלָבִים אֶת־דָּמוֹ וְהַזֹּנוֹת רָחֲצוּ כִּדְבַר יְהוָה אֲשֶׁר דִּבֵּר "(١) وغسلت المركبة فى بركة السامرة فلحست الكلاب دمه . وغسلوا سلاحه . حسب كلام الرب الذى تكلم به " .

لكن الأمر المدهش والجدير بالاهتمام هو ما أدركه الباحثون والمفسرون من أن كلمات ميخا الأخيرة التى هى بمثابة نبوءة فى حد ذاتها فى قوله : " اسمعوا أيها الشعب أجمعين - שִׁמְעוּ עַמִּים כֻּלָּם " ، تتشابه مع نبوءة " ميخا المورشتى -מִיכָה הַמֹּרַשְׁתִי "(٢) التى تبدأ بنفس الجملة " اسمعوا أيها الشعب أجمعين " . وميخا نبى الكتاب يصف فى قسوة ، الأنبياء الكذبة الذين يتنبأون بحسب الأجر الذى يتقاضونه . حيث يقول " الأنبياء الذين يضللون شعبى ، والذين ينهشون بأسنانهم ، وينادون بسلام والذى لايجعل فى أفواههم شيئاً يفتحون عليه حرباً - הַנְּבִיאִים הַמַּתְעִים אֶת עַמִּי הַנֹּשְׁכִים בְּשִׁנֵּיהֶם וְקָרְאוּ שָׁלוֹם וַאֲשֶׁר לֹא־יִתֵּן עַל פִּיהֶם וְקִדְּשׁוּ עָלָיו מִלְחָמָה.(٣)

ويلاحظ فى نبوءة ميخا بن يملة أن الرب لايقوم بالأعمال بنفسه ، ولكنه يرسل روحاً ، فكلمة " الروح -הָרוּחַ " التى وردت فى سفر الملوك الأول ٢٢ : ٢١ ، تعنى روحاً حقيقية ، وهى ليست روح نبوة ، بل روحاً بمعناها البسيط حلت على أنبياء

---

١) الملوك الاول ٢٢ : ٣٧ - ٣٨

٢) ميخا المورشتى "מִיכָה הַמֹּרַשְׁתִי " سادس الأنبياء الصغار . ويسمى المورشتى نسبة إلى مسقط رأسه - " مورشة " - بالقرب من " جت " . تنبأ فى زمن " يوشام " و" آحاز " و " حزقيا " ملوك يهوذا سنة ٧٥١ - ٦٩٣ ق.م تقريباً. وكان معاصراً لأشعيا الذى يشبهه فى أسلوبه ونهج كتابته (أشعيا ٢ : ٢ مع ميخا ١١٤ ؛ واشعيا ٤١ : ١٥ مع ميخا ٤ : ١٣) ، ويتميز سفره بالشعر البديع ومعانيه العميقة المأخذ .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٩٣٦

٣) ميخا ٣ : ٥

"آحاب"، لتغويه بكلمات أنبيائه . ومن العجيب فى الأمر أن "ميخا" كشف للملك كلمة ربه، ولكن أظهر له أن الرب " يغوى " لا " يخدع " حتى يدرك الملك أن فى الأمر " غواية " وأن الروح التى أرسلت وحلت على أنبيائه هى " روح كاذبة " وهكذا يترك الرب القرار النهائى للإنسان لكى يحدد بنفسه طريق الخير . هذا هو الموقف النبوى البارز الذى يظهر بعد ذلك بمائة سنة عند أنبياء الكتاب(١).

مكانة "آحاب" بين ملوك إسرائيل :

إن ما اتفقت عليه أقوال بعض المؤرخين أن "آحاب" هو الوحيد الذى كان يماثل "سليمان" فى طموحه ، وهو الذى يسير فى نفس طريق "سليمان" من بين كل ملوك إسرائيل ويهوذا(٢). ويدل على ذلك وجود كثير من أوجه الشبه بينهما . من بينها :

١ - ان الملكين تسببا فى الغنى والثراء لبلدهما .

٢ - للملكين مصير واحد ، ففى عهد أبنائهما تم تدمير ماسبق أن انجزاه فى حياتهما ، إذ يذكر المؤرخون أن مانسب إلى "سليمان" من أخطاء كانت السبب فى التمهيد لانقسام المملكة من بعده فى عهد ابنه " رحبعام " ، وذلك ماحدث مع "آحاب" . إذ أن أخطاءه تسببت هى الأخرى فى تدمير بيت عمرى على يد " ياهو " فى عهد " يورام " ابن "آحاب" . وإن كانت الحقائق التاريخية تثبت أن ضعف الأبناء ورثة الملك هى دائماً السبب فى ضياع مجهودات آبائهم العظام ، وان قليلاً من الأبناء والأحفاد هم الذين نجحوا فى الوصول بالمُلك إلى مرتبة آبائهم .

٣ - كانت سياسة سليمان تقوم أساسا على المهادنة والمسالمة . وفتح الأسواق التجارية ، وإبرام معاهدات الصداقة والتعاون ، وذلك لكى ينهض بمملكته سياسياً واقتصادياً . وفى سبيل ذلك لجأ إلى ربط هذا التعاون وتدعيمه بالزواج من أكثر من واحدة من أميرات الممالك المجاورة له وهو ما أطلق عليه الباحثون " الزواج السياسى "(٣). أما آحاب وان كان قد خالف

---

١) מרדכי מרטין בובר, תורת הנביאים, ת"א, דפוס אופק ישראל הדפסה ג' 1975, עמ' 79.

٢) שמעון דובנוב. דברי ימי עם עולם. כרך א'. עמ' 102

٣) מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 50-51.

سليمان فى سياسته الخارجية وخاض معارك كثيرة إلا أنه كان يسعى دائماً للسلام ، حيث لم يبادر بشن الحروب ، فكل حروبه ، بما فيها حرب قرقار حروبا وقائية ، وذلك باستثناء حرب رّاموت جلعادّ التى مات فيها ، ويتفق آحابّ مع سليمانّ فى فتح أسواق ومجالات خارجية للمملكة حتى انتعشت الحياة الاقتصادية ، وكذلك يتفق آحابّ مع سليمانّ فى الزواج من الأجنبيات فان زواجه من ايزابل كان له أثر كبير فى سير الأمور بالمملكة .

٤ - اهتم كل من سليمانّ وآحابّ بالنهضة العمرانية ، وبالمقدسات . إذ نجد أنه فى عهد سليمان تم بناء وتشييد بيت المقدس - وقصر الملك - بيت وعرلبنان- بيت بنت فرعون - سور مدينة القدس - حصن أورشليم - وبناء كثير من المدن فى إسرائيل ، وبالإضافة إلى ذلك أنشأ سليمانّ اثنتى عشرة مندوبية إدارية بدلاً من النظام السبطى القديم . وفى عهد آحابّ تم بناء وتشييد : بيت العاج - قصر الملك فى يزرعئيل - بيت بعل فى السامرة - إعادة بناء "اريحا" المدمرة - وبناء مدن أخرى فى إسرائيل . وكذلك كان لآحابّ فرق " غلمان رؤساء المقاطعات " وهم نموذج للمندوبين الذين كانوا لسليمانّ .

٥ - أما من ناحية السياسة الدينية فنجد أن سليمانّ قد تلقى تعليمة الدينى على يد ناثان النبىّ ، وتربى فى بلاط داودّ الذى اتصف بالإيمان وعمل الإحسان ، ولكن سليمانّ بتأثير زوجاته الأجنبيات عبد الآلهة الوثنية ، أما آحابّ فقد تعلم فى نطاق عبادة العجول والآلهة الوثنية التى كانت سائدة فى عهد أبيه ، الذى علمه التعليم الدينى المتبع فى ذلك الحين ، وفيما يتعلق بزواجه من إيزابلّ التى كانت تخضع لعبادة بعل ، فقد كان ذلك سبباً فى إدخال هذه العبادة إلى البلاط الملكى ومنه إلى المملكة عامة ، وعلى الرغم من ذلك كله فاننا نجد بعض المصادر تشير إلى أنه كان عند آحابّ نزعة دينية تميل إلى التوحيد حيث أطلق على أبنائه أسماء تشير إلى إيمانه بإله إسرائيل " يهوه "[1] ويؤيد ذلك أيضاً ان لقاءه مع " إلياهو " قد خلق نوعاً من التعاون بينهما إذ يبدو أن آحابّ قد قدم المساعدة

---

١) المصدر السابق ص ٥١ .

لإلياهو للقضاء على أنبياء بعل . ثم ان آحاب هو الملك الوحيد الذى ذكر عنه أن نبياً ركض أمام مركبته ، فلا يوجد شرف أعظم من هذا لملك[١] ، وهذا كله يشير إلى أنه كان مؤمناً فى داخله بإله إسرائيل ، وانه انساق فقط وراء موجة الانحراف العام الذى جاء نتيجة الرخاء الاقتصادى والاندماج مع الشعوب الفينيقية . ولذلك نجد ان حكماء التلمود[٢] (חז"ל - الحكماء مباركى الذكر) والمدراشيم[٣] قد نظروا إلى آحاب نظرة خاصة ، فقالوا أنجب آحاب سبعين ابناً ، وكان لكل واحد منهم قصران ، قصر للصيف وآخر للشتاء ، وذلك فى تفسيرهم فقرة " اذا أنجب رجلا مائة - אם יוליד-

---

١) الملوك الأول ١٨ : ٤٦

٢) التلمود: "תלמוד " كلمة مشتقة من كلمة "למד" العبرية بمعنى "درس" والتلمود يعنى التعاليم أو الشرح . والتلمود هو أحد كتب اليهود الدينية وهو عبارة عن مجموعة من الشرائع والتفاسير والروايات المتعلقة بتاريخ ودين بنى إسرائيل نقلها أحبار اليهود مشافهة . وبمرور الزمن اتسع نطاق الدرس والتعليم فى التلمود إلى درجة عظيمة ، وعندئذ أصبح من الصعوبة بمكان حفظه فى الذاكرة . ومن أجل المحافظة على الأقوال والنصوص خوفاً من نسيانها وفقدانها دونها الأئمة من علماء الدين . وقد بدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحى ولم يتم ذلك إلا فى القرن الخامس (ويقال فى القرن الثانى عشر) ، أى ان تأليفه استغرق مايقرب من خمسمائة عام . والتلمود هو الاسم الجامع للمشنا والجماره . وهناك تلمودان: التلمود البابلى والتلمود الفلسطينى (الأورشليمى) وكلاهما مكون من المشنا والجماره . ووجه الاختلاف بينهما هو فى الجماره وليس فى المشنا ، لانها واحدة فى الاثنين أما الجماره فاثنتان احداهما كتبت فى فلسطين والأخرى فى بابل ، والجماره كلمة آرامية مشتقه من الفعل "גמר" أى شرح أو كمل . وهى مجموعة المناظرات والتعاليم والتفاسير . وكان الغرض منها دراسة المشنا دراسة مستفيضة لاستنباط أحكام جديده وصياغتها صياغة جديدة. وحيث ان الجماره البابلية أكمل وأشمل من الجماره الفلسطينية فاننا نجد ان التلمود البابل هو الأكثر تداولاً وهو الكتاب القياسى عند اليهود.
انظر : د. ألفت محمد جلال : الأدب العبرى القديم والوسيط . ص ٩٢٠
انظر أيضاً : د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٤١ .

٣) المدراشيم : كلمة عبرية تعنى الدراسات والدروس وهى مجموعة التفاسير ==

אִישׁ מֵאָה.(١)

ويقولون أيضاً ان الرجل الذى قتل آحاب بالسهم هو " هدد ريمون برطبريمون הדד רימון ברטבּרימון، وذلك وفقاً لترجمة " يوناثان " للفقرة:

"בַּיּוֹם הַהוּא יִגְדַּל הַמִּסְפֵּד בִּירוּשָׁלַיִם כְּמִסְפֵּד הֲדַד רִמּוֹן בְּבִקְעַת מְגִדּוֹן"

فى ذلك اليوم يعظم النوح فى أورشليم كنوح هدد ريمون فى بقعة مجدون". ويقابلها " كالنوح على آحاب بن عمرى الذى قتل ، يكون نوح هدد ريمون برطبريمون " (٢)

=) الحاخامية التى ألقاها الحاخامات فى " دور الدراسة " בתי המדרש " وحيث كانوا يجتمعون فيها للمناقشه و التدارس و الصلاة . وحسب رأى البروفسور ش.ر. تسيطلين : لم تكن هناك معابد فى فلسطين قبل عصر الحشمونائيم وخلال هذا العصر . وقبل خراب الهيكل الثانى بفترة قصيرة أسست المعابد التى كانت بمثابة مدارس وليست معابد للصلاة .

انظر : د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم و المصطلحات الصهيونية . ص ١١٤

انظر أيضا : د. رشاد الشامى : تطور وخصائص اللغة العبرية . القاهرة . مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٨ . ص ٢٠٠.

١) קהלת רבה , פ"ב.

٢) מסבת מועד קטן , 28.

ويقارن حكماء التلمود " آحاب " بنبو خذنصر (١) و" أحشويروش " (٢) فيقولون : إن " آحاب " ونبو خذنصر و" أحشويروش " قد حكموا العالم كله " . ويذكرون أيضاً أن آحاب قد كرم تكريماً عظيماً عند موته مثل التكريم الذى حظى به " حزقياهو " (٣) ، فقد سار وراءه ست وثلاثون ألف شخص كاشفين أكتافهم חלוצי כתף " رمزاً للحداد (٤) . إلا أننا نجد هؤلاء الحكماء فى مواضع أخرى قد أشاروا إلى الجانب الآخر من شخصية " آحاب " ،

---

١) بنوخذنصر " נבוכדנצר : اسم بابلى معناه " نبو حامى الحدود " وهو ابن " نبوپلاسر " وخليفته فى الجلوس على عرش بابل . ولمع اسم " نبوخذنصر " حينما دشن خبرته العسكرية بالتغلب على " نخو " وجيشه وممن معه من السوريين ، وقتل الآلاف منهم فى موقعة " قرقميش " سنة ٦٠٥ ق.م (راجع الملوك الثانى ٢٤ : ٧) ، وجاء إلى مدينة القدس وسبى بعض سكانها ، ومن بينهم " دانيال " ورفاقه (راجع دانيال ١ : ١ - ٤) ، وأخبار " نبو خذنصر " موجودة فى أسفار الملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأرميا ودانيال . وآثاره فى بابل ، ومما اكتشف له من آثار فى أماكن أخرى من إمبراطوريته الواسعة ، تعزز أخبار الأسفار عنه .

٢) احشويروش : אֲחַשְׁוֵרוֹשׁ : ملك فارس فى السنوات ٣٦٨ - ٣٥٤ ق.م . تزوج من " أستير " . ويمكننا التعرف على طباعه وأخلاقه من سفر أستير فقد كان صاحب نزوات متقلقلاً ، قصير النظر طاغية ، قاسياً . وهو أبو " داريوس " الذى حدث فى أيامه بناء البيت الثانى . طبقاً ليوسيفوس والترجمة السبعينية : " أحشويروش " هو " ارتكسيرزيس الثانى " (حوالى ٤٠٤ - ٣٥٨ ق.م) ، أو الثالث (٣٥٨ - ٣٣٧ ق.م تقريباً) لكن أخباره لا تتفق مع تراث الربانيين عن " احشويروش " الذى حكم فقط أربع عشرة سنة ويقول المفسرون المحدثون أنه زركسيس Xerxes (٤٦٥ - ٤٨٦ ق.م تقريباً) . وهناك من يعتقد بأن " احشويروش " يتساوى مع الاسم " كشويروش " الفارسى ، بإبدال الألف كافاً . انظر : אוצר ישראל, חלק ראשון, עמ' 246.

٣) حزقيا بن آحاز : ملك يهوذا ، اشترك مع أبيه فى الحكم فى عام ٧٢٨ ق.م (راجع الملوك الثانى ١٨ : ٢ وأخبار الأيام الثانى ٢٩ : ١) . كان خادماً مكرساً ليهوه ، وافتتح حكمه بترميم الهيكل وتطويره ، وأعاد تنظيم خدماته الروحية وموظفيه ، واحتفل بفصح عظيم دعا إليه ، ليس فقط يهوذا وبنيامين ، بل العشرة الأسباط الأخرى (راجع أخبار الأيام الثانى ٢٩ : ١ ؛ ٣٠ : ١٣) . ومات نحو ٦٩٣ ق.م . تاركاً ابنه منسى ليعتلى العرش (راجع الملوك الثانى ٢٠ : ٢١ وأخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٣٣) .

٤) בבא קמא 17 (מסכת בתלמוד בסדר נזיקין).

وهو الجانب السيء ، فربطوا بين ماجاء فى فقرة "וַיַּעֲבֹר הַרְנָּה בַּמַּחֲנֶה" وعمت الفرحة المعسكر " ، بماجاء فى فقرة : "בְּאָבוֹד רְשָׁעִים רִנָּה " فى دمار الأشرار ابتهاجا " وكذلك بفقرة "בְּאָבוֹד אַחְאָב בֵּן עָמְרִי רִנָּה " فى دمار آحاب بن عمرى ابتهاكا "(١). بالإضافة إلى ذلك نجدهم قد ذكروا صراحة مايعاب على آحاب ومايكتنف شخصيته من تناقضات ، وليس أدل على هذه التناقضات من أنهم قد فسروا اسمه " آحاب " אַחְאָב " بعد تقسيمه إلى " אַח " أى أخ للسماء ، و " אָב " أى أب للوثنية ، وذلك بسبب عواقب الوثنية الخطيرة (٢)، وذكروا أيضاً أنه كان رجلاً " מְצוּנָן عديم المبالاة " ، وقالوا إن ايزابل كانت تحرضه على فعل الشر ، ولذلك رأوا أن " כָּל הַהוֹלֵךְ בַּעֲצַת אִשְׁתּוֹ נוֹפֵל בְּגֵיהִנּוֹם כְּאַחְאָב" كل من يتبع مشورة زوجته يسقط فى جهنم كآحاب(٣). ولكنهم ذكروا أن آحاب شعر بذنبه عندما سمع كلمة الرب من النبى فصام أكثر من تسع ساعات ، وفى موضع آخر صام ثلاث ساعات ، لأنه اعتاد تناول طعامه فى السادسة ، ولكنه أكل فى التاسعة (٤)، ولذلك أكد النبى له أن الشر لن يحدث فى أيامه بل فى أيام أبنائه — ويذكر المفسرون أن آحاب كان يحب التوراة ويوقرها ، فكان يتعلم التوراة ويدرسها على يد خمسة وثمانين من الكهنة (٥). وتذكر المشنا ثلاثة ملوك ليس لهم نصيب فى العالم الآخر (الجنة) ويستثنى " رابى يهوذا "(٦) منهم : " منسى " ويستشهد بالفقرة التى تتحدث عن منسى بأنه " تواضع جداً أمام إله آبائه — וַיְכַנַּע מְאֹד מִלִּפְנֵי אֱלֹהֵי אֲבֹתָיו "(٧)

١) قارن الملوك الاول ٢٢ : ٣٦ فى مقابل سنهدرين ٣٩

٢) سنهدرين ٣٩

٣) בבא מציעא : 59.

٤) תענית 25.

٥) سنهدرين ١٤٠

٦) "רבי יהודה הנשיא" : رابى يهوذا هنّاسى . ويعرف أيضا بـ "רבינו הקדוש" كان رئيساً للكهنة عام ١٧٠ م . ويرجع إليه الفضل فى إتمام المشنا وترتيبها وقد بالغ التلمود فى مدحه وتقواه ومكارم أخلاقه وتواضعه حتى قيل عنه " من يوم وفاة رابى يهوذا انقطع التواضع " . وكان عالماً وعاملاً كثير النفوذ ذا ثروة طائلة وعظيمة وهو واضع المشنا .

٧) أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١٠ — ٢٠

ويبدو أن شخصية "آحاب" كانت فعلاً شخصية متناقضة مع نفسها حتى أنها حيرت من كتب عنها ، فالامورائيون[1] رغم ذكرهم لكثير من فضائله وصفاته إلا أنهم فى نفس الوقت ذكروا كثيراً من أخطائه ، فقد ذكر " رابى يوحنان "[2] "אין לך כל תלם ותלם בארץ ישראל שלא העמיד עליו אחאב עבודה זרה והשתחווה לו" لايوجد أى اخدود أو رقعة فى أرض إسرائيل لم يقم عليها آحاب آلهة وثنية ، وركع لها " . ثم عاد وأشار إلى ماتمتع به من صفات تناقض ماقاله عنه فقال :"מפני מה זכה אחאב למלכות כ"ב שנה. מפני שכבד את התורה שנתנה בכ"ב אותיות" بسبب مافاز آحاب بالملك اثنين وعشرين سنة ؛ بسبب انه يجل التوراة التى نزلت فى اثنين وعشرين حرفاً[3]". وقد استعان " رابى يوحنان " فى شرح ذلك بالفقرة التى تتحدث عن رسل بن " هدد " فى سفر الملوك الأول التى تقول : " כה אמר

---

١) الامورائيون :אמוראים : كلمة فى صيغة الجمع مفردها " أمورا אמורא " أو" أمورائى אמוראי " وهو لقب كان يطلق على كل حاخام من حاخامى التلمود بعد فترة الرواة . وهم الشراح أيضاً حيث كانوا يقومون بشرح المشنا التى وضعها جيل الرواة ، ودونها يهوذا هنّاسى ، ولذا فقد " اطلق عليهم بعض الباحثين لقب المفسرين لقيامهم بعمليات الشرح والتفصيل والتوضيح لنص المشنا . وكلمة الامورائيون تعنى بالعربية " المتكلمون". وتبدأ فترتهم بين القرنين الثالث والسادس الميلادى . وبعد شرحهم للمشنا تطور بهم الأمر بحيث أصبحت شروحهم فى منزلة المتن نفسه ، وقد سجلت أقوالهم فيما يعرف بالجمارا وهم يعتبرون استمراراً للتنائيين .
انظر . عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى مركز بحوث الشرق الأوسط سنة ١٩٨٤ ص ٥٧ ، ٥٩

٢) رابى يوحنان" רבי יוחנן " أحد شراح الامورائيين عاش فترة حياته معاصراً ليهوذا هنّاسى وتتلمذ على يديه وتأثر به كثيراً . ويختلف المؤرخون فى سنة الميلاد والوفاة . فتذكر دائرة المعارف العبرية أنه ولد عام ١٨٠م وتوفى ٢٧٩ م. بينما يذكر "واكسمان " فى "تاريخ الأدب اليهودى" . وأيضاً د. حسن ظاظا "فى" الفكر الدينى الإسرائيلى" انه ولد عام ١٩٩م. وعلى الرغم من أن يوحنان بن نفاحا لم يغادر فلسطين إلا أن التلمود البابلى يتضمن كثيراً من الآراء والتعليقات والتوضيحات التى تنسب إليه ، والتى كان ينقلها تلاميذه الذين يذهبون إلى بابل ويعودون منها .
انظر : د. عبد الرازق قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ٢٤ ، ٢٨

٣) سنهدرين ١٠٢ : ٧٢

בן הדד..:כַּסְפְּךָ וּזְהָבְךָ וְנָשֶׁיךָ וּבָנֶיךָ לִי תִתֵּן . כִּי אִם־כָּעֵת מָחָר
אֶשְׁלַח אֶת־עֲבָדַי אֵלֶיךָ וְחִפְּשׂוּ אֶת־בֵּיתְךָ וְאֵת בָּתֵּי עֲבָדֶיךָ
וְהָיָה כָּל־מַחְמַד עֵינֶיךָ יָשִׂימוּ בְיָדָם וְלָקָחוּ .....וַיֹּאמֶר
לְמַלְאֲכֵי בֶן־הֲדַד אִמְרוּ לַאדֹנִי הַמֶּלֶךְ כֹּל אֲשֶׁר־שָׁלַחְתָּ (١)
אֶל עַבְדְּךָ בָּרִאשֹׁנָה אֶעֱשֶׂה וְהַדָּבָר הַזֶּה לֹא אוּכַל לַעֲשׂוֹת"

- هكذا يقول بن هدد لى فضتك ، وذهبك ولى نساؤك وبنوك الحسان - فإنه فى نحو هذا الوقت غداً أرسل عبيدى إليك فيفتشون بيتك وبيوت عبيدك وكل ماهو شهى فى عينيك يضعونه فى أيديهم ويأخذونه . وقال آحاب لرسل بن هدد : قولوا لسيدى الملك أن كل ما أرسلت فيه إلى عبدك أفعله أولاً وأما هذا الأمر فلا أستطيع أن أفعله " . ولم يذكر العهد القديم ماهو الأمر الذى اشتهاه بن هدد ولم ينفذه له آحاب ، ولكن " رابى يوحنان " يقول " إنها التوراة ، رغم أنه لم يحافظ على وصاياها "(٢). أما رابى نحمان " فقد قال كان " آحاب متوازناً النصف آثام ، والنصف الآخر حسنات " .

وهكذا يتضح أن شخصية آحاب وتحليلها من الزاويتين الدينية أو السياسية كانت فى تفاسير حكماء التلمود شخصية يكتنفها الغموض والتناقض ، فتارة يمدحون أفعاله ، وتارة أخرى يجعلونه فى عداد المذمومين الخارجين على ديانة إلهه إسرائيل . ويبدو أن تفاسير هؤلاء المفسرين من حكماء التلمود بصفة عامة كانت تنقسم إلى نوعين فيما يتعلق بقصص المقرا عامة : الأول : يسهب فى تفصيل قصص المقرا بإضافات أو استخدامات دقيقة لحل الرموز ، ويرسمون على هذا الطريق صورة أكثر حدة للقصة المقرائية ، ويخلقون لها عمقاً مكتملاً بدون تغيير شىء فى التقييم الأساسى . هذا النوع من التفاسير أبقى على العلاقة بين الملك والنبى كما هى فى المقرا حيث الإتهام كل الإتهام ضد الملك ، والحق كل الحق فى جانب النبى ، أما النوع الثانى من التفاسير فهو لايوجه كل الإتهام للملك ، ولم يقل أيضاً بأن الحق فى جانب الأنبياء دائماً ، ولتوضيح ذلك استخدم هؤلاء الحكماء

---

١) الملوك الأول ٢٠ : ٦ - ١٠

٢) טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא , עמ' 59.

طريقة اعادة توزيع الضوء والظلال فى الصورة حيث القوا بحزم الضوء على الصورة المظلمة ، وبالظلال على الصورة الواضحة (١).

وهكذا بعد هذا الموجز المستفيض لفترة حكم آحاب ، وهى الفترة التى ظهر فيها إلياهو النبى ، يمكننا القول باطمئنان أن فترة حكم آحاب كانت أكثر فترة فى تاريخ إسرائيل قبل السبى تعرضت فيها الديانة الإسرائيلية للتأثيرات الأجنبية وتأثرت بها ، حيث تميزت هذه الفترة بالاضطرابات الفكرية والسياسية والدينية ، ولكن شخصية إلياهو استطاعت أن تتغلب على كثير من الفتن والمفاهيم الأجنبية ، وذلك كما سيتضح لنا عند الحديث عن شخصية هذا النبى .

آحازيا אֲחַזְיָה (٨٥٢ - ٨٥٠ ق.م تقريباً)

واسمه بالعبرية يعنى " يهوه يملك " ، وقد اعتلى العرش بعد موت أبيه آحاب حيث كان بكر أبنائه السبعين ، أما يورام وعثاليا فهما أخواه اللذين أنجبهما آحاب من زوجته الصيدونيه ايزابيل ، وتكاد المصادر كلها تجمع على أن بقية إخوته كانوا من نساء أخريات ، وإماء وخليلات (٢).

ويعتبر " آحازيا " ثامن ملوك مملكة إسرائيل الشمالية ، وقد استمر حكمه لمدة عامين ، وفى شبابه وقبل توليه الحكم أرسلته أمه إلى بلاط " اثبعل " ملك صور وهناك أطلق عليه اسم " آحاز بعل " ، وقد اشتهر بضعفه وانقياده وراء السحرة والعرافين والتصاقه بأمه وكهنتها وآلهتها الوثنية (٣)، ولعل ذلك ماجعل الأنبياء لايستريحون إليه (٤).

وقد اتحد " آحازيا " مع " يهو شافاط " ملك يهوذا فى بناء سفن ترشيش (٥)

---

١) المصدر السابق ص ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ .

٢) אוצר ישראל, כרך א' עמ' 338. راجع أيضاً املك ٢٢ : ٤٠ ، ٥١ .

٣) מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 57.

٤) דברי ימי עם עולם. כרך ראשון. עמ' 76

٥) תַּרְשִׁישׁ - ترشيش : يعتقد انها " ترتيسوس " فى جنوب أسبانيا قرب جبل طارق (هيرودوت،ج ٤ : ص ١٥٢) ، وقد كانت سفن سليمان وحيرام تأتى مرة كل ثلاث سنوات إلى ترشيش حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس (راجع املك ١٠ : ٢٢ ، وأخبار الأيام الثانى ٩ : ٢١) ولما كان يقتضى لتلك السفن ثلاث سنين للعودة من رحلتها ، يستنتج أن تكون ترشيش بلداً بعيداً (راجع أشعيا ٦٦ : ١٩) . أما عبارة " سفن ترشيش " فيقصد بها السفن ==

التى تم صنعها بمساعدة الصوريين ، لتذهب إلى " أوفير "[1] لأجل الذهب ، ولكن السفن تحطمت فى " عصيون جابر עציון גבר "[2] فاقترح "آحازيا" على "يهو شافاط" أن يحاولا القيام بهذا العمل مرة أخرى ، ولكن "يهو شافاط" رفض ذلك بناء على تحذير واحد من الأنبياء[3] ، ويبدو أن "يهو شافاط" قد تذكر هروب "آحازيا" من ميدان القتال فى حربه مع أبيه فى "راموت جلعاد"[4] ، الأمر الذى يدعو إلى الشك فى مقدرته واخلاصه له ومع ذلك فمن العسير الوقوف على الأسباب الحقيقية التى أدت إلى الخلاف بين يهوذا وإسرائيل فى أيام "آحازيا"[5] .

أما "ميشع" ملك موآب فقد انتهز هزيمة "آحاب" وموته فى "راموت جلعاد" وزاد من تمرده على مملكة إسرائيل التى لم تكن قد استعادت قوتها وسلطتها حتى بعد ان

=) المسافرة إلى "ترشيش" (راجع أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٣٦ ، واملك ٩ : ٢٨) وبمعنى آخر ربما يقصد "بسفن ترشيش" السفن الكبيرة التى تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ولها إتصال بالمناجم .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٢١٦ .

١) أوفير : يحتمل أنها كانت فى جنوب بلاد العرب ، أو اليمن فى الوقت الحاضر وقد سميت باسم " ابن يقطان " وقد اشتهر هذا المكان بذهبه (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٤ ؛ مزامير ٤٥ : ٩ ؛ أشعيا ١٣ : ١٢) . وقد ذكر البعض أن "أوفير" تقع على شاطىء أفريقيا الشرقى أو أنها فى بلاد الهند ، ولكن يرجح أنها تقع فى بلاد اليمن . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٨ .

٢) עציון גבר . عصيون جابر : مدينة على البحر الأحمر ، على الطرف الشمالى من خليج العقبة (راجع التثنية ٢ : ٨ ، املك ٩ : ٢٦ ؛ ١٠ : ٢٢ ؛ ٢٢ : ٤٨ ؛ ٢ أخبار ٨ : ١٧) ، ويعتقد ان ذلك المكان هو " تل الخليفة " على بعد ٥٠٠ قدم من ساحل البحر . وقد وجدت الاكتشافات الحديثة فيها آثار ازدهار تجارى كبير ، مما يدل على أنها كانت مركز تجارة الحديد والنحاس (راجع التثنية ٨: ٩) غير أن أهميتها الكبرى كانت فى أيام الملك "سليمان" حيث أراد استغلال موقعها الاستراتيجى المهم ، فبنى فيها اسطوله .
انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣١ .

٣) راجع املوك ٢٢ : ٤٨ ، ٤٩ ؛ أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٣٥ - ٣٧).

٤) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 57.
انظر أيضاً : (٢ اخبار : ٢٠ : ٣٦).

٥) לפסיקון מקראי , עמ' 32.

تولى "آحازيا" أمورها[١]، الأمر الذى جعل "ميشع" يتوقف عن دفع الجزية السنوية من الصوف[٢]، وقد أرسل رجاله لمهاجمة الحدود الإسرائيلية فى شمال "موآب"، فاحتلوا مدناً فى مقاطعات "جاد" و"راوبين"[٣]. وتذكر بعض المصادر أن "عمون" قد تحررت أيضا من يد إسرائيل فى أيام "آحازيا"[٤].

ومن رواية العهد القديم نعلم أن "آحازيا" عمل الشر فى عينى الرب وسار فى طريق أبيه وأمه، وطريق "يربعام بن نباط" الذى جعل إسرائيل تخطىء، وعبد "بعل"، وسجد له، وأغاظ الرب إله إسرائيل حسب كل مافعل أبوه. وفى أحد الايام سقط آحازيا من برج قصره فى السامرة، ومرض مرضاً شديداً فأرسل رسلاً إلى "بعل زبوب"[٥] إله عقرون على سبيل الاستشفاء والاستفسار، هل يبرأ من مرضه؟ ولكن فى الطريق التقى "إلياهو" بهؤلاء الرسل وأمرهم بالعودة واخبار الملك بحكم الرب

---

١) ٢ ملك ١ : ١ . انظر ايضا :

٢) المقصود بجزية الصوف هنا الأغنام التى كان يدفعها ميشع، فقد ورد فى الملوك الثانى ٣ : ٤ اشارة إلى أن ميشع كان يدفع جزية ضخمة إلى ملك إسرائيل مقدارها مائة ألف خروف ومائة ألف كبش إذ كان الموآبيون المقيمون فى وادى الأردن الشرقى يشتغلون بصورة خاصة فى تربية الأغنام.
انظر : שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם. כרך א. עמ' 76

٣) מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 57.

٤) לכסיקון מקראי, עמ' 32.

٥) בַּעַל-זְבוּב : بعلزبوب : أى إله الذباب وكان إله عقرون . والأرجح أنه كان إله الطب عندهم (راجع ٢ ملك ١ : ٣) . وأطلق عليه فى العهد الجديد (بعلزبول) ومعناه (بعل الأقذار) .
وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى فى سورة الحج (٧٣) منبهاً على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ) أى لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به (فَاسْتَمِعُوا لَهُ) أى انصتوا وتفهموا (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) أى لو اجتمع جميع ماتعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ماقدروا على ذلك ثم قال تعالى (وإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لايَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ) أى هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئاً من الذى عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك ، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ==

הַמִּטָּה אֲשֶׁר־עָלִיתָ שָׁם לֹא־תֵרֵד מִמֶּנָּה כִּי מוֹת תָּמוּת، "السرير الذى صعدت عليه لاتنزل عنه بل موتاً تموت" (٢ ملك ١ : ٤) . وقد تحققت نبوءة "إلياهو" ومات "آحازيا" من شدة مرضه حسب كلام الرب الذى تكلم به "إلياهو"(١)، ولم يكن له وريثاً من صلبه فجلس على العرش أخوه "يورام"(٢).

يورام "يورم" . (٨٥٠ - ٨٤٢ ق.م تقريباً)

آخر ملوك أسرة "عمرى" وهو الابن الثانى "لآحاب" . حكم فى السامرة بعد موت أخيه "آحازيا" ، لمدة اثنتى عشرة سنة ، ونعلم من مصادر العهد القديم أن "يورام" أخطأ فى حق الرب ولكن ليس كأبيه وأمه وبالرغم من أنه أزال تمثال "بعل" الذى صنعه أبوه إلا أنه لصق بخطايا "يربعام بن نباط"(٣). وقد امتازت سنوات

=) ولهذا قال (ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ) . قال ابن عباس : الطالب الصنم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال "السدى" وغيره (الطَّالِبُ) العابد (والمَطْلُوبُ) الصنم نفسه ، وهذا هو الأرجح .
انظر : - قاموس الكتاب المقدس . ص ١٨٣ .
- الامام الجليل الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ : تفسير القرآن الكريم ج ٣.دار المعرفة بيروت - لبنان سنة ١٩٨٢ م . ص ٢٣٥ .
- محمد على الصابونى : صفوة التفاسير المجلد الثانى . دار القرآن الكريم . بيروت . الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١ . ص ٢٩٩ .

١) ونعلم من مصادر العهد القديم (٢ ملك : ١) أن قصة مرض "آحازيا" وسؤاله بعلزبوب تتضمن معجزة للنبى "إلياهو" حيث نزلت نار من السماء وأحرقت القائد الذى أرسله "آحازيا" إلى "إلياهو" ليطلب منه النزول إليه وأحرقت النار أيضاً جنوده الخمسين وبعد أن احترقوا أرسل "آجازيا" إلى "إلياهو" مرة ثانية قائد آخر مع جنوده الخمسين إلى "إلياهو" ليطلب لقائه إلا أن "إلياهو" صنع معهم نفس المعجزه وأنزل ناراً من السماء فاحرقتهم وفى المرة الثالثه لبى "إلياهو" طلب رسل "آحازيا" ونزل معهم للقاء الملك وتنبأ له بموته راقداً فوق سريره .

٢) All the Men of the Bible, P. 38.

٣) راجع ٢ ملك ٣ : ١ ؛ ٢ ، ٣ .

حكمه الأولى بالقلق والقسوة ، حيث استمر "ميشع" ملك "موآب" فى عمليات احتلال المقاطعات الإسرائيلية شرق الأردن ، فاحتل "ديبون" و "יהץ يهص" و "עטרות عطروت" و "מידבא ميدبا" ، وحدث ذلك فى نفس الوقت الذى توقف فيه عن إرسال الجزية السنوية إلى مملكة إسرائيل ، وقد كانت "نبو" آخر المدن الإسرائيلية التى احتلها "ميشع" ، رغم كونها من المدن الإسرائيلية الحصينة والتى اشتهرت بوجود معبد للرب فيها ، وقد قام "ميشع" بقتل جميع سكانها الذين يقدرون بسبعة آلاف ، وقدمهم قرباناً " لعشتروت وكاموش " آلهته ، وهو الأمر الذى لم يحدث منذ هجوم جيوش آرام على السامرة فى أيام "آحاب" ، وبسقوط " نبو " أدرك "يورام" أن الطريق قد أصبح مفتوحاً أمام ملك موآب إلى وادى الاردن ، وعبور نهره ، والهجوم على حدود إسرائيل غرب الأردن(١). وعند ذلك قرر "يورام" معاقبة الملك المتمرد ، ولكنه تردد فى الخروج إلى المعركة بمفرده ، فاقترح على "يهو شافاط" ملك يهوذا الإنضمام بجيشه إليه لتدعيمه ، كما كان متبعاً من قبل فى حلف "آحاب - يهو شافاط" ، ويشير هذا الأمر إلى العلاقات الودية التى كانت فى عهده مع يهوذا(٢). وقد رأى "يورام" الخروج للقتال عن طريق صحراء " أدوم " ، جنوب البحر المالح لكى ينضم إليهم حاكم أدوم ، الذى كان خاضعاً لـ"يهوشافاط" ويدفع له الجزية السنوية(٣). أما "يهو-شافاط" فقد طلب هذه المرة أيضا استشارة أحد أنبياء الرب لأنه رأى أن الطريق طويل والمياه قليلة والانتصار غير مؤكد ، فاستجاب يورام لطلبه واستشار النبى "اليشع" الذى قال له: לוּלֵי פְּנֵי יְהוֹשָׁפָט מֶלֶךְ יְהוּדָה אֲנִי נֹשֵׂא אִם-אַבִּיט אֵלֶיךָ וְאִם-אֶרְאֶךָ " . - لولا أنى رافع وجه "يهو شافاط" ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك أو أراك " (٢ ملك ٣ : ١٤) ، وقد تنبأ له اليشع بالنجاة والانتصار ، وأشار عليه بحفر بعض الآبار للحصول على المياه كما ورد فى العهد القديم : " לֹא-תִרְאוּ רוּחַ וְלֹא-תִרְאוּ גֶּשֶׁם וְהַנַּחַל הַהוּא יִמָּלֵא מַיִם וּשְׁתִיתֶם אַתֶּם וּמִקְנֵיכֶם וּבְהֶמְתְּכֶם .. וַיְהִי בַבֹּקֶר כַּעֲלוֹת-

١) מלכי ישראל מפילוג עד גלות ، עמ' 59.
٢) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . כרך א' . עמ' 59
٣) ד"ר צבי גרץ : דברי ימי ישראל . כרך א . עמ' 91

הַמִּנְחָה וְהִנֵּה־מַיִם בָּאִים מִדֶּרֶךְ אֱדוֹם וַתִּמָּלֵא הָאָרֶץ אֶת הַמָּיִם . וַיִּרְאוּ מוֹאָב מִנֶּגֶד אֶת־הַמַּיִם אֲדֻמִּים כַּדָּם".

لاترون ريحاً ولاترون مطراً وهذا الوادى يمتلىء ماء فتشربون أنتم وماشيتكم وبهائمكم .. وفى الصباح عند اصعاد التقدمة إذا مياه آتية عن طريق آدوم فامتلأت الأرض ماء .. ورأى المؤابيون مقابلهم المياه حمراء كالدم " (٢ ملك ٣ : ١٧ ، ١٨ ، ٢٢) . وقد أشار البعض إلى أن حمرة هذه المياه الشديدة ربما ترجع إلى طبيعة أرض آدوم ، وأن امتلاء الوادى بالمياه بدون ريح أو مطر كان بسبب الفيضانات القادمة من الجبال بعد موسم الأمطار ، أما تشبيه المياه بالدم فى ضوء الشمس فيرجع إلى طبيعة الحجارة الرملية الحمراء للوادى(١) . وقد أدى هذا الأمر إلى انتصار جيوش الحلفاء على "ميشع" ملك "مؤاب" الذى هرب بعد هزيمته فى هذه الجولة إلى " قير حارسة קִיר חֲרֹשֶׁת "(٢)، بينما قام "يورام" بالانتقام من المؤابين فأعمل التخريب فى كل المدن التى مرت بها جيوش الحلفاء ، ومن مصادر العهد القديم نعلم أنها كانت حربا مدمرة: "וְהִכִּיתֶם כָּל־עִיר מִבְצָר וְכָל־עִיר מִבְחוֹר וְכָל־עֵץ טוֹב תַּפִּילוּ וְכָל־מַעְיְנֵי־מַיִם תִּסְתֹּמוּ וְכָל הַחֶלְקָה הַטּוֹבָה תְּכַאֲבוּ"- وتضربون كل مدينة محصنة ، وكل مدينة مختارة ، وتقتلعون كل شجرة طيبة ، وتطمون جميع عيون الماء ، وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة " (٢ ملك ٣ : ١٩) . أما مدينة "قير حارسة" التى لجأ إليها "ميشع" ، فقد حاصرتها أيضاً جيوش الحلفاء ، ولم يتمكن "ميشع" من النجاح

---

١) لفسيكون مكراي , ص 338.

٢) קִיר חֲרֹשֶׁת : قير حارسة : " قير " اسم سامى معناه " سور أو مدينة ذات سور " أما "قير حارسة" فتدعى " حصن الشقافة " راجع ٢ ملك ٣ : ٢٥ ؛ اشعيا ١٦ : ٧) ودعيت أيضا "قير خارس" (أشعيا ١٦ : ١١) ، ويظن أنها عاصمة مؤاب القديمة ، أما مكانها اليوم فهو مدينة كرك "קֶרֶךְ" فى الأردن ، وتبعد حوالى أحد عشر ميلاً شرقى الجزء الجنوبى من البحر الميت وتقع على هضبة صغيرة على ارتفاع ٤٤٠٠ قدم فوق سطح البحر .
انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٧٥٢ .

فى فك هذا الحصار ، ومع اشتداد بأسه أخذ ابنه البكر وقدمه قرباناً لكاموش إله موآب من أجل رضاه ومساندته له كما ورد فى "نقش ميشع"(١) - لوحة الخلاص - الذى تختلف روايته إلى حد ما عن رواية العهد القديم ، ويرجع الفضل لهذا القربان البشرى إلى بث القوة فى جنود ميشع ، فقاتلوا بشراسة حتى تمكنوا من فك الحصار واجبار المحاصرين على الانسحاب ويشير العهد القديم إلى نهاية هذه

---

١) מֵצֵבַת מֵשַׁע - نقش ميشع : ويطلق عليه أيضا حجر موآب ، وقد اكتشف هذا الحجر الموآبى فى عام ١٨٦٨ م فى مدينة " ديبان - Diban " (وهى "דִיבוֹן - ديبون " فى العهد القديم ، ودايبون - Daibon فى النقش) التى تقع على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال شمالى " أرنون " . والنقش عبارة عن حجر أسود من البازلت يبلغ طوله ثلاثة أقدام وثمانية بوصات ونصف وعرضه قدمان وثلاثة بوصات ونصف ، وسمكه قدم وقيراط وسبعة أعشار القيراط وفيه ٣٤ سطراً وقد أصابه التهشيم فى أكثر من موضع إلا ان العالم الفرنسى " كلرمان جانو " قام بترميمه ؛ والنقش محفوظ الآن فى متحف اللوفر بباريس . وهو مكتوب بالأبجدية الفينيقية ، ولغته فينيقية كنعانية ، وهى قريبة الشبه باللغة العبرية ، وهو يعد من أقدم النقوش الفينيقية ، وقد أقامه ميشع سنة ٨٥٠ ق.م تقريباً. تخليداً لذكرى انتصاراته على إسرائيل ، وأطلق عليه " لوحة الخلاص " لكاموش إله موآب ، وجدير بالذكر انه يلعب للموآبيين نفس الدور الذى كان ليهوه فى نظر الإسرائليين ، وذلك لأن كاموش خلصه من أعدائه وانتقم له من مبغضيه - ويعدد ميشع فى النقش المدائن التى استولى عليها من إسرائيل ومنها : בעל מעון - بعل معن ، מעין - معين ، קריתים - قريتان ، ثم الأسرى الذين تم أسرهم ، وكذا سارياتيهوه التى سحبها أمام كاموش . وبالرجوع إلى ترجمة النص نجد أنه يغاير ما أورده الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ، من حيث السير والنتيجة ، كما يشير إلى أن الحرب بين ميشع وإسرائيل وقعت فى عهد خليفة عمرى وابنه ، وهو آحاب ، وليس فى عهد يورام بن آحاب كما أشار إلى ذلك العهد القديم ، وبرغم معاصرة النص للأحداث وهو الذى لم يتوفر لسفر الملوك الذى دون بعد السبى أى بعد الأحداث بمئات السنين إلا أننا نميل إلى صدق رواية العهد القديم بأن يورام هو ملك إسرائيل الذى قام بغزو موآب ، ويستدل على ذلك من النقش نفسه الذى أشار إلى أن عمرى استعبد موآب طوال حكمه ونصف مدة حكم نسله) أى مدى أربعين عاماً ، ويبدو أنها عملية تقديرية فقط لأن مدة حكم عمرى اثنى عشر عاماً (١ملك ١٦ : ٢٣) وآحاب : اثنين وعشرين عاماً (١ملك ١٦ : ٢٩) وآحازيا عامين (١ ملك ٢٢ : ٥١) ويورام اثنى عشر عاماً ==

الحرب فى كلمات مقتضبة : "וַיְהִי קֶצֶף־גָּדוֹל עַל יִשְׂרָאֵל וַיִּסְּעוּ מֵעָלָיו וַיָּשֻׁבוּ לָאָרֶץ "(١) - كان هناك غيظ عظيم على إسرائيل فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم " . ومنذ ذلك الحين أصبحت موآب مستقلة ربما حتى عصر "يربعام" ومن ناحية أخرى يشير " جريتس " إلى " أن آدوم لم تكن مخلصة تماماً للحليفين ، ويدل على ذلك تمرد آدوم على يهوذا فى أعقاب موت "يهو شافاط "(٢).

أما عن علاقة "يورام" بالآراميين ، فقد استمر فى إتباع سياسة أبيه "آحاب" بعلاقته العدائية مع الآراميين ، بدلاً من توطيد العلاقة السلمية بينهما ،وفى السنة الثالثة لحكم "يورام" جمع "بن هدد" ملك "آرام دمشق كل جيوشه وحاصر السامرة ، ويتحدث العهد القديم عن قسوة هذا الحصار ، والبؤس الذى رآه أهل السامرة ، إلى الحد الذى جعل بعض الامهات يأكلن أولادهن : "וַיְהִי רָעָב גָּדוֹל בְּשֹׁמְרוֹן וְהִנֵּה צָרִים עָלֶיהָ עַד הֱיוֹת רֹאשׁ־חֲמוֹר בְּשְׁמוֹנִים כֶּסֶף וְרֹבַע־הַקַּב חֲרִיוֹנִים בַּחֲמִשָּׁה־כֶסֶף ...וַיְהִי מֶלֶךְ יִשְׂרָאֵל עֹבֵר עַל ה־חֹמָה וְאִשָּׁה צָעֲקָה אֵלָיו לֵאמֹר הוֹשִׁיעָה אֲדֹנִי הַמֶּלֶךְ ...וַיֹּאמֶר

=) (١ ملك ١٦ : ٢٩) ، وبذلك تكون مدة حكم "عمرى" ونصف مدة حكم أبناءه هى ١٢ + $\frac{٢٢ + ٢ + ١٢}{٢}$ = ٣٠ عاما ، ومعنى ذلك ان ماذكره النقش بخصوص سيادة إسرائيل على موآب قد استمرت طوال مدة حكم "عمرى" ونصف مدة حكم نسله ، أى مدى أربعين عاماً لاتنطبق مع عدد السنين التى ذكرها العهد القديم بخصوص فترات حكم هؤلاء الملوك . وانما صحة النقش فى ذكره مدة سيادة إسرائيل أربعين عاماً وذلك لأن مدة حكم "عمرى" و"آحاب" و"آحازيا" توازى ٢٢ + ١٢ + ٢ = ٣٦ عاماً أى ان نهاية مدة الأربعين عاماً التى ذكرها النقش تدخل فى فترة حكم يورام ، وبذلك نستنتج أن يورام هو ملك إسرائيل الذى غزا موآب .

انظر : נ.ה.טור־סיני (טורטשינר) , הלשון והספר , חלק א' ירושלים תש"ד , עמ' 61-62.

انظر أيضاً : د. نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ . ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩

١) الملوك الثانى ٣ : ٢٧

٢) ד"ר צבי גרץ דברי ימי ישראל . כרך א' .עמ' 92

לָה הַמֶּלֶךְ מַה לָּךְ וַתֹּאמֶר הָאִשָּׁה הַזֹּאת אָמְרָה אֵלַי תְּנִי
אֶת־בְּנֵךְ וְנֹאכְלֶנּוּ הַיּוֹם וְאֶת־בְּנִי נֹאכַל מָחָר ... וַנְּבַשֵּׁל
אֶת־בְּנִי וַנֹּאכְלֵהוּ וָאֹמַר אֵלֶיהָ בַּיּוֹם הָאַחֵר תְּנִי אֶת־בְּנֵךְ
וְנֹאכְלֶנּוּ וַתַּחְבֵּא אֶת־בְּנָהּ."(١)

وكان هناك جوع شديد فى السامرة عند حصارها حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القاب من زبل الحمام بخمس من الفضة ، وبينما كان ملك إسرائيل ماراً على السور استغاثت به امرأه وهى تقول خلّص ياسيدى الملك ... قال لها الملك : مالك . قالت : هذه المرأة قد قالت هاتى ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابنى غداً ... فسلقنا ابنى وأكلناه ثم قلت لها فى اليوم الآخر هاتى ابنك فنأكله فخبأت ابنها " . وقد حزن الملك حزناً شديداً عند سماعه كلام المرأة ، فمزق ثيابه وقال إن هذا من عمل الرب ، فأمر بتحطيم تمثال "بعل" الذى أقامه "آحاب" أبوه فى السامرة ، وحطم تماثيل الآلهة الوثنية الأخرى ، وأغلق "بيت بعل" فى أعلى المدينة ، لكن الحصار استمر واشتد الجوع من يوم لآخر(٢) ، مما أدى إلى اندلاع الخلاف بين الملك والنبى "اليشع"(٣) الذى أطلق على الملك لقب

---

١) الملوك الثانى ٦ : ٢٦ - ٢٧ . ومن الواضح فى هذا النص أن أكل لحم الأطفال كان نتيجة الأزمة التى يعيشون فيها ، وقد يبدو ذلك فى نظر البعض أمراً طبيعياً نظراً لأنه كانت هناك شعوب تبدو هذه العادة طبعاً أصيلاً من طباع أهلها ، بينما كان عند شعوب أخرى لايمارسون هذه العادة إلا فى مناسبات خاصة كالمناسبات الدينية ، فعند السكان الأصليين لفلوريدا (أمريكا الشمالية) لايؤكل لحم البشر إلا فى مناسبات تقديم القرابين الإنسانية ولايؤكل لحم إنسانى إلا من هذه القرابين ، وربما كانوا يفعلون ذلك بقصد التبرك بلحوم الأضحية الإنسانية والإفادة مما تلبست به فى أثناء تقديمها ، من قوى وخصائص وصفات .
انظر : د . على عبد الواحد وافى : غرائب النظم والتقاليد والعادات ج٢ مكتبة نهضة مصر . القاهرة . بدون تاريخ . ص ٥ - ١٧ .

٢) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 63.

٣) אֱלִישָׁע בֶּן־שָׁפָט : اليشع بن شافاط : اسم عبرانى معناه " الله خلاص " وهو "إلياهو" فى العمل النبوى فى المملكة الشماليه ، وهو من سبط " يساكر " . وقد أقام فى " آبل محولة " فى وادى الأردن . وكان ينتسب إلى أسرة ثرية ، لأن حقل أبيه كان يستلزم اثنى عشر زوجاً من الثيران لحرثه . وقد وجده "إلياهو" يحرث فدعاه للعمل النبوى إذ طرح عليه ==

" ابن السفاح " حيث قال لشيوخ إسرائيل : "הַרְאִיתֶם כִּי־שָׁלַח בֶּן הַמְרַצֵּחַ הַזֶּה לְהָסִיר אֶת־רֹאשִׁי - هل رأيتم ان ابن القاتل هذا قد أرسل لكى يقطع رأسى " (الملوك الثانى ٦ : ٣٢)[١]. ومع ذلك تنبأ "اليشع" بأنه فى الغد تكون كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل فى باب السامرة (الملوك الثانى ٧ : ١).

ويشير سفر الملوك إلى ان هذا الحصار قد تبدد بعد ذلك نتيجة للذعر الذى اجتاح معسكر الآراميين بعد أن أسمعهم الرب أصوات مركبات وصهيل خيول قادمة من كل ناحية ، فظنوا انها أقدام الجنود القادمين من فوق قمم الجبال ، الذين استأجرهم ملك إسرائيل من ملوك الحيثيين وملوك المصريين ، وبذلك تحقق كلام الرب الذى تكلم به على لسان النبى "اليشع" فاصبحت كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل[٢]. هذا وإن كان البعض يرى أن انتهاء حصار السامرة ربما يرجع فى أغلب الأمر إلى ماوصل الآراميين من أنباء عن هجوم آشورى كان لابد أن يواجهوه ، فاضطروا إلى الاستعانة بالجيش الذى يحاصر السامرة فانفك الحصار عنها[٣].

=) رداءه (راجع ١ ملك ١٩ : ١٦ ؛ ١٩ : ٢١) وعندما ذهب "إلياهو" إلى ماوراء الأردن لينقل إلى السماء ذهب "اليشع" معه وطلب منه أن يكون له نصيب اثنين من روحه عليه . وبعد أن حملت مركبة نارية "إلياهو" إلى السماء ، أخذ "اليشع" رداء "إلياهو" وضرب بالرداء مياه الأردن فانفلق الأردن وانشطر ، فعبر "اليشع" إلى الجانب الغربى من النهر (راجع ٢ ملك ٢ : ١ - ١٨) - ويختلف "اليشع" عن "إلياهو" فى المظهر والمسلك فقد كان "اليشع" أصلع الرأس (راجع ٢ ملك ٢ : ٢٣ مقارنة مع ٢ ملك ١ : ٨) وكان يرتدى ملابس عادية كبقية الناس (راجع ٢ ملك ٢ : ١٢ مقارنة مع ٢ ملك ١ : ٨) وكان يحمل عكازاً (راجع ٢ تلك ٤ : ٢٩) وتشير سيرته فى سفر الملوك إلى كثرة تواجده فى البلدان والمدن على عكس "إلياهو" الذى كان يسكن المغاور والجبال . (راجع ٢ ملك ٤ : ٢٩) .

انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 54

١) לפסיקון מקראי, עמ' 338.

٢) מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 65.

٣) د. نجيب ميخائيل . ج ٣ . ص ٤٠٤

والجدير بالذكر أن الحروب الكثيرة مع الآراميين قد أدت إلى زيادة صيحات الاحتجاج التى ضربت جذورها بين أوساط كبيرة من الشعب ضد حكم بيت عمرى منذ أيام "آحاب" فصاعدا ، مما ساعد الأنبياء فى استخدام هذا السخط لإثارة المعارضة القوية ضد البيت الملكى من أجل الثورة السياسية ، فقد رأت جماعة " بنى الأنبياء " وقائدهم "اليشع" ، أن الوثنية التى سار ورائها البيت الملكى هى سبب كل المشاكل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان سيطرة الملكة "ايزابل" على شئون الحكم وادارته بعد موت زوجها وأثناء حكم ابنائها ، كان يتعارض مع شخصية الأمة ومطمح وغاية "بنى الأنبياء"[١] .

النبى "اليشع" ومعارضة بيت عمرى :

من المعروف أن "إلياهو النبى" قام بإعداد من يشغل مكانه قبل صعوده إلى السماء[٢] ، فقام بتعيين "اليشع" رئيساً لتلاميذه " بنى الأنبياء " بعد تعليمه وإعداده ، وقد ذاعت شهرة "اليشع" فى أيام "يورام" حتى اضطر الملك لاستشارته فى أوقات الشدة[٣] ، ومع ذلك نجد أن "اليشع" قد تزعم الجبهة المعارضة لبيت عمرى ، وكان دوره فى مملكة إسرائيل أكبر من مجرد صانع معجزات[٤] ، فقد تميزت عن

---

١) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . כרך א׳ עמ׳ 78

٢) أنظر الملوك الثانى ٢ : ١ - ١٨

٣) انظر الملوك الثانى ٦ : ٨ - ١٢ - يحدثنا العهد القديم أن "يوشع بن نون" كان خليفة أعده "موسى" ليتولى أمر بنى إسرائيل من بعده . ومن هذا نعلم أن النبى لابد له من تابع يتبعه منه ويسلك مسلكه ، ويكون ذلك مقدمة ليحل محله إذا مات أو صعد إلى السماء كـ"إلياهو" ، ومن هنا نجد أن "إلياهو" قد قام على غرار مافعل "موسى" بإعداده لـ"اليشع" .

٤) ويسجل لنا العهد القديم معجزات قام بها "اليشع" أكثر من أى نبى آخر . وقد ساعدت بعض هذه المعجزات شعبه ضد أعدائه . وكانت من بينها أعمال رحمة ورأفة وشفقة ، حيث أبرأ المياه فى نبع عند أريحا بوضع ملح فيه (راجع ٢ ملك ٢ : ١٩ - ٢٢) ، وقد نطق بلعنة الرب على الأحداث الذين سخروا منه كنبى للرب (راجع ٢ ملك ٢ : ٢٣ - ٢٥) وانبأ بنجاح الحملة على موآب (راجع ٢ ملك ٣ : ١١ - ٢٧)وزاد زيت الأرملة على يديه (راجع ٢ ملك ٤ : ١ - ٧) وبصلاته عادت الحياة إلى ابن المرأة الشونمية (٢ ملك ٤ : ٨ - ٣٧) وذكر ترياقاً للسم الذى تناوله بعض الأنبياء فى ==

أستاذه إلياهو النبى ، بنشر أفكاره ، فبينما كان إلياهو غيوراً وواعظاً متحمساً أراد أن يحدث التغيير فى أفكار الشعب نفسه ، نجد اليشع زعيماً سياسياً وقائداً لمعارض بيت عمرى ، وفى الوقت الذى كان فيه إلياهو يعمل على ارشاد الملك وزعماء الشعب إلى الطريق الحق ، كان اليشع على عكس ذلك ، فقد يأس من هذا الأمل ورأى ان الانقاذ والخلاص لايأتى إلا بقيام ثورة سياسية ولذا عقد فى بداية الإعداد لهذه الثورة معاهدة سرية مع ياهو قائد جيش إسرائيل ليتولى قيادة الثورة (١).

موت يورام ونهاية بيت عمرى :

فى السنة الثانية عشر من حكم يورام فى مملكة إسرائيل حدث الانقلاب ضد أخر ملوك بيت عمرى ، وقبل الخوض فى الحديث عن تفاصيل هذا الانقلاب يجب أولاً الاشارة إلى ماحدث فى آرام من تغيير كان بداية لهذا الانقلاب ، فقد اعتلى العرش ملك جديد يدعى " حزائيل " بعد تنكره للملك بنهدد أثناء مرضه ، حيث قتله خنقاً وهو على فراش المرض ، وقد اشارت نصوص العهد القديم إلى نبوءة النبى اليشع بموت بنهدد ملك آرام ، ولكن الاشارة هنا لاتبين فى وضوح الدور الذى لعبه خلفه " حزائيل " الذى كان أحد قادة بنهدد وواحد من عبيده ، بينما يذكر تلاميذ النبى اليشع (بنى الأنبياء) ان اليشع هو الذى أعد التمرد فى قصر بنهدد (٢). ويرى البعض ان حزائيل ربما لجأ إلى آشور لتسانده فى اعتلاء عرش آرام دمشق ، ولكنه حينما أصبح ملكاً على دمشق ظل على مقاومته

=) الطعام (راجع ٢ ملك ٤ : ٣٨ - ٤١) وأطعم مائة رجل بعشرين رغيف شعير وبعض السويق (راجع ٢ ملك ٤ : ٤٢ - ٤٤) وأخبر نعمان قائد جيش ملك آرام بالاغتسال فى نهر الأردن فيبرأ من برصه (راجع ٢ ملك ٥ : ١ - ١٩) . وانبأ بان جيحزى غلامه ورفيقه سيصير أبرص بسبب طمعه وشهوته (راجع ٢ ملك ٥ : ٢٠ - ٢٧) ، وجعل حديد الفأس الذى سقط فى الماء ، يطفو إلى السطح (راجع ٢ ملك ٦ : ١ - ٧) . وآخر معجزاته حدثت بعد موته حيث أتى بميت ووضع فى نفس القبر مع اليشع فعادت الحياة إلى جسم ذلك الميت حينما مس جثمانه عظام النبى (راجع ٢ ملك ١٣ : ٢٠ - ٢١).

١) דברי ימי עם עולם . כרך א' . עמ' 79

٢) דברי ימי ישראל . עמ' 92 انظر أيضاً (٢ ملك ٨ : ٧ - ١٥) .

آشور بأمل تثبيت مركزه واظهار قوته ...[١]، وقد كان حزائيل رجلاً عسكرياً. فحكم دمشق بيد قوية ، وتجمع حوله الملوك الآراميون ، فأرسل بعضهم شمالاً لمواجهة آشور ، فنجح إلى حد ما فى تخفيف الضغط الآشورى على بلاده ، وعندئذ قرر استرداد المدن التى أخذتها مملكة إسرائيل فى أيام حكم بنهدد ، فأعلن الحرب على إسرائيل ، فى ذلك الوقت مات يهورام ملك يهوذا فى السنة الثانية عشر لحكم يورام ملك إسرائيل ، واعتلى عرش يهوذا آحازيا ابن عثاليا ، وأصبح التحالف بين إسرائيل ويهوذا بذلك تحالفاً أسرياً حيث ان أخت ملك إسرائيل أصبحت أماً لملك يهوذا ، ونتيجة لذلك أرسلت عثاليا ابنها للانضمام إلى يورام فى حربه ضد حزائيل ، من أجل الدفاع عن المقاطعات الإسرائيلية بوادى الأردن فى راموت جلعاد ضد الآراميين[٢].

ولكن هذه المرة لم تطل الحرب ، ولم يكن فيها منتصر ، فقد انسحب الجانبان لتضميد الجراح وعلاج الإصابات ، فعاد يورام إلى مدينة يزرعيل ليعالج فى قصر أبيه آحاب ، من الإصابات التى لحقت به أثناء المعركة ، وترك ياهو قائد جيشه فى راموت جلعاد ومعه آحازيا وجيشه ، وبعد أيام قليلة عاد آحازيا ملك يهوذا إلى يزرعيل لزيارة يورام ، بعد أن أعاد جيشه إلى مدينة أورشليم ، وفى نفس الوقت أسرعت ايزابيل بالحضور من السامرة لزيارة ابنها المريض ... وقد انتهز اليشع هذه الفرصة وأرسل نبياً شاباً ليمسح ياهو ملكاً على إسرائيل بدلاً من يورام [٣]، وليطلب منه العودة للقضاء على بيت آحاب وقد أسرع ياهو بالاستجابة لمباركة اليشع وتأييد الجيش لهذه المباركة ، فأغلق الطريق من راموت جلعاد إلى يزرعيل ، بدون أن يعلن عما حدث هناك ، وأخذ معه قوة من الجيش ، وعبر الأردن إلى يزرعيل ، حتى وصل إلى القصر الذى يعالج فيه يورام من إصابته ، وجاء ياهو يصحبه ضب شديد ، فنبه المراقبون

---

١) د. نجيب ميخائيل . ج ٣ . ص ٤٩٥ ، ٤٩٦

٢) מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 66.

٣) انظر ٢ ملك ٩ : ١ - ٣ وفى موضع آخر فى سفر الملوك الأول (١٩ : ١٦) - نجد ان اليا هو هو الذى مسح ياهو ملكاً على إسرائيل .

فى برج "يزرعئيل" كلاً من "يورام" و"آحازيا" بأن القادم هو "ياهو" قائد الجيش[١]. وعندما لم تعد الرسل التى أرسلها "يورام" لملاقاة "ياهو"، ثارت شكوكه وأمر بتجهيز مركبته والخروج لملاقاة "ياهو"، وقد خرج معه أيضاً "آحازيا" ملك يهوذا، فقد أرادا معرفة سبب عودة "ياهو" مسرعاً إلى يزرعئيل، وعندما اقترب الملكان من "ياهو" ناداه "يورام" قائلاً: "הֲשָׁלוֹם יֵהוּא - أسلام ياياهو" - فرد عليه "ياهو" بقوله: "מָה הַשָּׁלוֹם עַד זְנוּנֵי אִיזֶבֶל אִמְּךָ וּכְשָׁפֶיהָ הָרַבִּים" - أى سلام مادام زنا ايزابل أمك وسحرها الكثير" (٢ ملك ٩ : ٢٢). وأطلق عليه سهماً حاداً فأرداه قتيلاً، وطرحت جثته فى أرض "نابوت اليزرعئيلى"، ويذكر "بدقر בִּדְקַר" نائبه أنه فى هذا المكان سمع هو وملكه نبوءة "إلياهو" الرهيبة على بيت آحاب، وهكذا شعر "ياهو" بأنه الإنسان الذى اختاره الرب للقيام بإعلاء كلمته والدفاع عن كرامته المهدورة[٢]. أما "آحازيا" فقد حاول الهرب بعد قتل "يورام" ولكن طارده "ياهو" وأصابه عند "عقبة جور - מַעֲלֵה גּוּר"[٣] ولكنه وصل مصاباً حتى "مجدو" ومات هناك وقام عبيده بنقله إلى أورشليم ودفنه مع آبائه فى مدينة داود[٤]. وبذلك أصبح الطريق ممهداً أمام "ياهو" لدخول "يزرعئيل" دون صعوبات، وهناك وجد "ايزابل" تنتظره فى شرفة القصر وهى فى أتم زينة لها[٥]، حيث نادت عليه قائلة: "הֲשָׁלוֹם זִמְרִי הֹרֵג אֲדֹנָיו" - أسلام لزمرى قاتل سيده" (٢ ملك ٩ : ٣١) ولكن "ياهو" أمر بأن تلقى من الكوة، فألقيت وسال دمها

---

١) ٢ ملك ٩ : ١٩ - ٢٠ . حيث كان ياهو "يسوق بجنون - בְּשִׁגָּעוֹן יִנְהָג".

٢) ٢ ملك ٩ : ٢٢

٣) מַעֲלֵה גּוּר : جور أو عقبة جور : اسم عبرى معناه "شبل أسد" أو أى حيوان وهى منطقة تقع بالقرب من "بيلعام" وهو مكان على الطريق بين يزرعئيل وجنين الحديثة .

٤) راجع ٢ ملك ٩ : ٢٧ - ٢٨

٥) راجع ٢ ملك ٩ : ٣٠ حيث جاء : "וַתָּשֶׂם בַּפּוּךְ עֵינֶיהָ וַתֵּיטֶב אֶת-רֹאשָׁהּ - كحلت بالأثمد عينيها وزينت رأسها".

على حائط القصر وداستها الخيول ، وتركت على الأرض مدة طويلة[١] ، وعندما أمر "ياهو" بعد ذلك بدفنها لأنها ابنة ملك لم يجدوا منها سوى الجمجمة والقدمين وكفى اليدين حيث أكلت الكلاب جثتها ولحست دمها[٢] ، بعد ذلك قام "ياهو" بقتل اثنين وأربعين أميراً من بيت داود كانوا فى زيارة "يزرعئيل"[٣] ، ويحتمل أنهم أخوة "آحازيا" أو أقاربه الذين لم يعلموا بما حدث ، أو جاءوا لمساعدة "ايزابل" والانتقام من " ياهو " ثاراً للدم الذى سفك ، ويحتمل أن "عثاليا" أم "آحازيا" قد أبعدتهم من القدس لتنفرد بالحكم ، وحسب أوامر "ياهو" تم القبض عليهم وقتلوا عند "بئر بيت عقد - בּוֹר בֵּית עֵקֶד "[٤] . وكان "لآحاب" سبعون ابناً فى السامرة ، قام شيوخ يزرعئيل بقتلهم حسب أوامر " ياهو " ، وبعد ذلك قتل " ياهو " كل الذين بقوا لبيت "آحاب" فى "يزرعئيل" وكل عظمائه ومعارفه وكهنته

---

١) راجع ٢ ملك ٩ : ٣١ - ٣٧ . وقد أظهر كاتب سفر الملوك بغضاً شديداً لايزابل الصيدونية وأوضح انتقام الشعب منها بصورة وحشية حيث ذكر عنها : "וְהָיְתָה נְבֵלַת אִיזֶבֶל כְּדֹמֶן עַל־פְּנֵי הַשָּׂדֶה בְּחֶלְקַת יִזְרְעֶאל אֲשֶׁר לֹא־יֹאמְרוּ זֹאת אִיזֶבֶל" - وتكون جثة ايزابل كجثة على وجه الحقل فى قسم يزرعئيل حتى لا يقولوا هذه ايزابل " . ولكن حسب تفاسير حكماء التلمود "חז"ל " نجد ان ايزابل كانت لاتخلو من عنصر طيب ، وذلك لأنها كانت محسنة ومتصدقة تشارك الشعب أفراحه وأتراحه فقد كان بيتها يقع بجوار السوق وكلما مر من أمام بيتها ميت فى جنازة كانت تخرج من بيتها وتلطم بكفيها على وجنتيها ، وتولول بصوت عال وتسير عشر خطوات ، وعندما يمر زفاف فى السوق كانت تخرج من بيتها وتصفق بيدها وتسير عشر خطوات ، وبينما أنبأ "إلياهو" النبى بأن الكلاب ستلحس دم "ايزابل" فى حقلة يزرعئيل إلا أن " الذين أحسنوا لاتنهشهم الكلاب ، ويدفنون " (פרקי דר"א פ"ז)

انظر : אוצר ישראל , חלק א' עמ' 209.
דברי ימי ישראל . כרך א' . עמ' 93

٢) قارن ٢ ملك ١٠ : ١٤

٣) בּוֹר בֵּית עֵקֶד . بيت عقد : بلدة بين يزرعئيل والسامرة . ورد ذكرها فى ٢ ملك (١٠ : ١٢ و ١٤) ، وتسمى أيضاً " بيت عقد الرعاة " ، وهى " بيت قاد " الحالية . انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٢٠٤

حتى لم يبق له شارداً ، ثم توجه بعد ذلك إلى السامرة بصحبة "يهوناداب بن ركاب יְהוֹנָדָב בֶּן־רֵכָב "[1] وقام بمساعدته بقتل كل أتباع آحاب هناك .

وأخيراً جمع أنبياء بعل وعبدته ، مدعياً أنه يريد أن يقيم عيداً لبعل ، وقتلهم[2] ، ثم أخرج تماثيل بعل وأمر باحراقها ، وكسر تمثال بعل وهدم بيته ،

---

١) יְהוֹנָדָב בֶּן־רֵכָב يهوناداب بن ركاب : مؤسس أسرة الركابيين ، وهم قوم من القينيين أو المديانيين (راجع أخبار الأيام الأول ٢ : ٥٥) حتى جاء يوناداب (أو يهوناداب) بن ركاب (راجع ٢ ملك ١٠ : ٥) وتسموا باسم ركاب (راجع أرميا ٣٥ : ٢ - ١٩) وقد عاشوا بين بنى إسرائيل إلا انه كانت لهم شريعة خاصة بهم سنها لهم "يوناداب" ، لكى يظلوا شعباً مستقلاً ممتازاً وعشيرة معتزلة بعيدة عن عبادة الأصنام وتلخص هذه الشريعة فيما يلى : أولاً : الامتناع عن شرب الخمر وكل شراب مسكر ، ثانياً : عدم سكنى البيوت ، ثالثاً : الامتناع عن الزراعة ، رابعاً : السكن فى الخيام (راجع أرميا ٣٥ : ٦ ، ٧) . وكان القصد من ذلك أن يحتفظوا ببساطة عاداتهم البدائية . وقد أطاع الركابيون هذه الوصايا وظلوا شعباً مستقلاً محباً للسلام ، فسكنوا الخيام ، وكانوا يتنقلون من مكان لآخر حسب مقتضيات الظروف . وقد وعدهم الرب قائلاً : " لاينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف امامى كل الأيام " (راجع أرميا ٣٥ : ١ - ١٩) . ويقال انه لاتزال بقية منهم إلى الآن فى العراق واليمن ويعرفون بنى خيبر .

انظر : לכסיקון מקראי , עמ' 176.

انظر أيضاً : قاموس الكتاب المقدس . ص ٤١٠

٢) لجأ ياهو إلى حيلة هى غاية فى المكر والدهاء للقضاء على أتباع آحاب ، تلك الحيلة التى أتبعها بعض الحكام فيما بعد ، فقد تظاهر ياهو بأنه يعبد " بعل " كما كان يفعل الملك السابق وأنه يريد أن يقيم لهم حفلاً بهذه المناسبة . وأرسل فى كل إسرائيل يطلب جميع عبدة بعل ودخلوا بيت بعل .. وقال لهم ياهو فتشوا وانظروا لئلا يكون معكم ههنا أحد من عبيد الرب ، فلم يجدوا أحداً ، فدخلوا ليقربوا ذبائح ومحرقات ، وأما ياهو فاقام خارجاً ثمانين رجلاً وقال لهم : من ينجو من الرجال الذين أتيت بهم إلى أيديكم فأنفسكم بدل نفسه . ولما انتهوا من تقريب المحرقة قال ياهو للسعاة والشوالث ادخلوا اضربوهم . فضربوهم حتى قضوا عليهم جميعاً .

انظر : ٢ ملك ١٠ : ١٩ - ٢٦ .

حيث جاء فى سفر الملوك : "וַיַּשְׁמִידֵהוּ לְמַחֲרָאוֹת עַד הַיּוֹם הַזֶּה וַיַּשְׁמֵד יֵהוּא אֶת־הַבַּעַל מִיִּשְׂרָאֵל" - وجعلوه مزبلة إلى هذا اليوم ، واستأصل "ياهو" "بعل" من إسرائيل " (٢ ملك ١٠ : ٢٧ - ٢٨) ، ولكنه فى نفس الوقت سار فى طريق "يربعام" ولم يحد عن عبادة عجول الذهب(١) .

وبالرغم من أن هذه المذابح كانت من أجل تقديس اسم الرب والقضاء على العبادة الوثنية إلا أن ذكراها ظلت عالقة فى الأذهان على مدى قرن من الزمان .. وظل الناس يذكرونها والهلع يأخذ بقلوبهم حتى جاء على لسان "هوشع" النبى תְּחִלַּת דִּבֶּר־יְהוָה בְּהוֹשֵׁעַ וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־הוֹשֵׁעַ לֵךְ קַח־לְךָ אֵשֶׁת זְנוּנִים וְיַלְדֵי זְנוּנִים כִּי־זָנֹה תִּזְנֶה הָאָרֶץ מֵאַחֲרֵי יְהוָה. וַיֵּלֶךְ וַיִּקַּח אֶת־גֹּמֶר בַּת־דִּבְלָיִם וַתַּהַר וַתֵּלֶד־לוֹ בֵּן. וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלָיו קְרָא שְׁמוֹ יִזְרְעֶאל כִּי־עוֹד מְעַט וּפָקַדְתִּי אֶת־דְּמֵי יִזְרְעֶאל עַל בֵּית יֵהוּא וְהִשְׁבַּתִּי מַמְלְכוּת בֵּית יִשְׂרָאֵל. וְהָיָה בַּיּוֹם הַהוּא וְשָׁבַרְתִּי אֶת קֶשֶׁת יִשְׂרָאֵל בְּעֵמֶק יִזְרְעֶאל ".

- أول ماكلّم الرب "هوشع" ، قال الرب "لهوشع" : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب . فذهب وأخذ "جومر بنت دبلايم" فحبلت وولدت له ابناً. فقال له الرب : سمه "يزرعئيل" لاننى بعد قليل اعاقب بيت "ياهو" على دم "يزرعئيل" وأبيد مملكة إسرائيل ، وفى ذلك اليوم أكسر قوس إسرائيل فى وادى يزرعئيل " (هوشع ١ : ٢ - ٥) . وتشير مصادر العهد القديم إلى ان الرب وعد ياهو قائلاً : "יַעַן אֲשֶׁר־הֵטִיבְתָּ לַעֲשׂוֹת הַיָּשָׁר בְּעֵינַי כְּכֹל אֲשֶׁר בְּלְבָבִי עָשִׂיתָ לְבֵית אַחְאָב בְּנֵי רְבִעִים יֵשְׁבוּ לְךָ עַד־בְּסֵא ישראל " (٢) - من أجل أنك قد أحسنت بعمل ماهو مستقيم فى عينى ، وحسب كل مابقلبى فعلت ببيت آحاب فابناؤك إلى الجيل الرابع يجلسون على عرش إسرائيل " . وقد تحقق هذا الوعد ودامت أسرة "ياهو" قرناً من الزمان

---

١) انظر ٢ ملك ١٠ : ٢٩ و ٣١

٢) الملوك الثانى ١٠ : ٣٠

تحكم إسرائيل أى مايعادل نصف مدة الحكم فى المملكة الشمالية منذ انفصالها حتى انهيارها ، وكان عهد هذه الأسرة أطول عهود الأسرات فى هذه المملكة الكثيرة التغير ، فملك "ياهو" ثمانية وعشرين سنة (٨٤٢ - ٨١٤ ق٠م تقريباً) ثم خلفه ابنه " يهو آحاز " (٨١٤ - ٨٠٠ ق٠م تقريباً) ثم يهوآش أو (يوآش) (٨٠٠ - ٧٨٦ ق٠م) و " يربعام الثانى " (٧٨٥ - ٧٤٦ ق٠م تقريباً) " وزكريا "(حوالى ٧٤٥ ق٠م)[١].

وقد تميز النصف الأول من هذا القرن (٨٤٢ - ٨٠٠ ق٠م تقريباً) بالشدائد والمحن ، أما النصف الثانى فيمتاز بالتقدم ٠ ويبدو ذلك فى علاقة إسرائيل بالقوتين الخارجيتين التى كانت تتأثر بهما وهما "دمشق الآرامية" و"آشور" ٠ ففى خلال حكم الملكين الأولين للأسرة وهما " ياهو " و " ياهو آحاز " كانت دمشق تسود إسرائيل ، ثم حدث التغيير عام ٨٠٣ ق٠م حين "أُخضعت دمشق لآشور ، وفى خلال حكم "يربعام الثانى" ضعفت "آشور" وفقدت سلطانها على الغرب ٠ ونستطيع أن نقرر ان قوة إسرائيل ويهوذا لاتظهر إلا حينما يضعف جيرانهما أو يحدث لهؤلاء الجيران مايشغلهم عنهما[٢].

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

---

١) قاموس الكتاب المقدس ٠ ص ١٠٥٠

٢) د٠ نجيب ميخائيل إبراهيم ٠ مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ ٠ ص ٤٠٧

الفصل الثـــانى

النبـــــــــوة

النبوة الاسرائيلية وتطورها حتى عصر الياهو :

لاشك فى أن النبوة هى الركن الأساسى فى أى دين من الأديان ، فالنبوة هى الوساطة بين العابد والمعبود من ناحية ، وبين العباد أنفسهم من ناحية أخرى، إذ أن النبوة ترجيح وإدراك الواجبات التى يجب على الإنسان النهوض بها فـــى مجتمعه أولاً ، والعالم ثانياً ، لا للمعبود فحسب ، بل لسائر المخلوقات أيضاً ، وهذا الترجيح أو الإنباء مصدره الشعور الدينى المرهف والجلاء الروحى الوضـــاح لإدراك الأمور التى قد تؤدى إلى إنهيار المجتمع خلقياً وتجنبها[١].

النبى والنبوة فى اللغة :

تطلق لفظة "נְבוּאָה" على النبوة فى اللغة العبرية ، وهى تعنى رؤيـــة الأحداث التى تقع فى المستقبل أو فى آخرة الأيام ، وهى تعنى كلمات النبى[٢] . أما النبى فى اللغة العبرية فيطلق عليه لفظ "נָבִיא" ،وهو الإنسان الـــــذى يتحدث باسم الله وبرسالته إلى الشعوب أو إلى الأفراد . والمعنى الحرفـــــى للكلمة وعلاقتها باللغات السامية الأخرى مازال محل بحث ودراسة ، فهذه الكلمة من مادة لم يرد الفعل المجرد منها فى عبرية العهد القديم ، بل وردت صيـــغ الفعل المزيد منها فقط وهما :

(١) נָבָא [٣]: بمعنى تحدّث بكلمات النبوة ، ووردت فى أرميا (٢٣ : ٢١) ، وكذلك ورد اسم الفاعل منها فى أرميا (١٤ : ١٤): " שֶׁקֶר הַנִּבְּאִים נִבְּאִים בִּשְׁמִי .. וגו' " - بالكذب تنبأ الأنبياء باسمى ..."

---

١) د. فؤاد حسنين على : اليهودية واليهودية المسيحية . القاهرة . معهـــد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٨ . ص ١٨

٢) אברהם אבן שושן, המלון העברי המרכז, הוצאת קרית-ספר, ירושלים, תשמ"ר. עמ' 442

٣) أصلها فى العبرية " נִנְבָּא " بزيادة النون على الأصل الثلاثى "נבא" مثل نون " انفعل " فى العربية ، ووزنها فى العبرية נִפְעַל.

(٢) : הִתְנַבֵּא : بمعنى تنبأ[١] .وفى قصة تملك شاؤل جاء : וְהֵמָּה מִתְנַבְּאִים - وهم متنبئون "[٢]. وصيغة تفعل . أى " تنبأ " مشتقة من الاسم " נָבִיא " وليس مدلولها : " تكلم بكلام نبوة " ولكن " سلك سلوك الأنبياء " . " وعمل عمل نبى " . ولذلك فان صيغة " تفعل " هذه لم تستعمل فى العهد القديم قط لأعمال الأنبياء الكبار ، أنبياء الله المرسلين الذين حفظت لنا أسفار العهد القديم نبواتهم ، إذ أن عمل هؤلاء الأنبياء يعبر عنه دائماً بصيغة الانفعال[٣]. بينما وردت مرة واحدة فقط صيغة " تفعل הִתְנַבֵּא " مستعملة بكلام نبوى لحزقيال : וְהִנָּבֵאתִי - وأصلها قبل الادغام וְהִתְנַבֵּאתִי" أى وتنبأت [٤]. ومع ذلك فمن الجائز أن يكون النطق الأصلى هنا : "וְנִבֵּאתִי " كما هو فى نفس هذا الإصحاح فقرة (٧) ، وأنه تحول إلى صورته الحالية لمجاورته للفظتى הִנָּבֵא.. הִנָּבֵא " فى الفقرة التاسعة ، السابقة لهذه الصورة مباشرة . كما نجد صيغة הִתְנַבֵּא - تفعل مرة أخرى مستعملة لكلام نبوة ينسب لنبى الله فى أرميا (٢٦ : ٢٠) :" וְגַם אִישׁ הָיָה מִתְנַבֵּא בְּשֵׁם יְהוָה אוּרִיָּהוּ - وكان رجل يتنبأ أيضاً باسم الرب ، أوريا " ويشتَم من فحوى النص المكتوب أن أوريا لم يكن نبياً مسلماً به كما كان "أرميا" الذى خصه بكل تلك الفقرة ، مثلاً . ولذلك يمكن القول بأنه كان " يتنبأ " أى يتصرف تصرف نبى . أما عندما اتجه الحديث إلى ذكر نبوة نبى حق ، فان ذلك جاء فى نفس الفقرة بعد هذا וַיִּנָּבֵא (بصيغة الانفعال) .

كذلك توجد صيغة " تفعل הִתְנַבֵּא " للتعبير عن عمل الشيوخ الذين حلّت عليهم روح موسى[٥]. وإن كان هؤلاء الشيوخ لم يصبحوا أنبياء بحق بل

---

١) راجع (العدد ١١ : ٢٥ - ٢٧ ؛ والملوك الأول ٢٢ : ١)
٢) صموئيل الاول ١٠ : ٥
٣) (راجع عاموس ٣ : ٨ ؛ وحزقيال ٢١ : ٢ ، ٧)
٤) (راجع حزقيال ٣٧ : ١٠)
٥) راجع العدد ١١ : ٢٥ - ٢٧

" تنبأوا " أى تصرفوا كالأنبياء فى الساعة التى حلّت عليهم الروح لا أكثر..[١]

كذلك تستعمل صيغة " تفعل - הִתְנַבֵּא - تنبأ " مجازاً للتعبير عن غيبوبة الحواس العادية والوقوع تحت سلطان " حال " من " الأحوال " الروحانية ، حال فقدان الوعى ، والجنون ، كما فى صموئيل الأول (١٨ : ١٠) - قارن أيضاً أرميا (٢٩ : ٢٦) والملوك الثانى (٩ : ١١) وهوشع (٩ : ٧). حيث دعى النبى - استهزاءً به - مجنوناً ، بسبب وقوعه فى وجدانات عنيفة كانت تبدو فى عين الشخص العادى كالجنون[٢]. واستعملت صيغة "הִתְפַּעֵל - הִתְנַבֵּא "

---

١) م.ص. سيجال . حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل . ترجمة من العبرية وعلق عليه د. حسن ظاظا : منشورات جامعة بيروت العربية . بدون تاريخ . ص ٣٧ ، ٣٨ . وفى الحقيقة ان هؤلاء لم تحل عليهم روح القدس لتجعل منهم أنبياء ، بل لتكرسهم قادة للأمة - كما تشير إلى ذلك نصوص العهد القديم - كما حلت روح النبوة على شاؤل عندما مسح ملكاً ، وكما حلت روح الله على داود عندما مسح ملكاً. (راجع صموئيل الأول ١٠ : ١٠ ؛ ١٦ : ١٣) وعلى القضاة (راجع القضاة : ٣ : ٣٠ ؛ ١١ : ٢٩ ؛ ١٣ : ٢٥)

٢) ونلاحظ فى صيغة " تفعل הִתְנַבֵּא " تأكيد لمزاج " اكستازى אֶקְסְטָזָה Ekstasis " وهى لاتدل على نبوة حقيقية وإن كان معظم الباحثين يستخدمونها للتعبير عن حالة " الشطح " التى تصيب المتنبأ - وهى فى رأى أولئك الباحثين - غريبة تماماً عن طبيعة النفس السامية ، وأصلها من آسيا الصغرى ، ثم انتقلت من هنالك إلى سوريا فبلاد الكنعانيين ، وهذه الحالة تجعل من المتنبأ شخص ذا " شطحات " صاحب حرارة ، ووجد روحانى ، تصل به إلى حد التجرد عن المادة ، والانطلاق - لوقت ما - من مجال الحواس العادى ، وتشبه مايسمى فى المعتقدات اليهودية : דִּבּוּק - المسّ " وهى روح هائمة مؤذية ، تمس بعض الناس فيتخبطون ، وتصبح أحوالهم غير عادية . وهذه الكلمة من أصل يونانى وتتكون من : Ex بمعنى خارج - من خارج و " Hastamai " بمعنى يريح ، يطمئن - يهدأ . وسوف نستخدم نفس المصطلح مع تعريبه وذلك فى بقية فصول البحث "اكستازا" كما فعلت العبرية ونقلت نفس الكلمة " אֶקְסְטָזָה " وقد ترجمها بعض الباحثين " بالشطح " ، والانجذابية ، والبعض الآخر " بالانخطاف " والحقيقة إن هذه المعانى لن تؤدى المعنى تماماً كما يؤديه المصطلح الأصلى .
انظر : م.ص. سيجال . ص ١١ ، د. محمد بحر عبد المجيد : اليهودية . ص ٢٠

لنبوءة أنبياء " بعل " خاصة[١]. حيث ورد וַיִּתְנַבְּאוּ ، ولنبوءة الأنبياء الكاذبين[٢]. كذلك أستعملت صيغة הִתְנַבֵּא في الحديث عن نبوة نبى الله على لسان شخص لايؤمن بنبوته ، ويقف منه موقف العداوة والأستهزاء ، كما استعملها " آحاب " فى حديثه عن نبوة " ميخا بن يملة "[٣]،واستعملها " عدو " لأرميا وهو يتحدث عن نبوته[٤]. والواقع أن استعمال صيغة " تفعل - تنبأ " له لون واحد هو " صَنَعَ صُنع النبى دون أن يكون بحق نبياً ، أى ادعى النبوة " ، وقد جاءت على هذه الصيغة - تفعل - الأفعال التى تفيد ادعاء المرض[٥]. وادعاء الغنى[٦]. دون أن يكون الفاعل فى الحقيقة مريضاً أو غنياً[٧].

وفى الحقيقة أن صيغة " الانفعال נִבָּא - הִנָּבֵא " قد أستعملت هى أيضاً لأنبياء الكذب ، لكن مقترنة فقط بلفظة " נְבִיאִים أى أنبياء " من أجل المزاوجة الصوتية فى لفظهما (بالعبرية) مثل הַנְּבִיאִים נְבִיאִים " (النبيون المُنبّئُون) بدل :נְבִיאִים מִתְנַבְּאִים - النبيون المتنبئون[٨] .

---

١) راجع (الملوك الأول ١٨ : ٢٩)
٢) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ١٠ ؛ وأخبار الأيام الثانى ١٨ : ٩ ؛ وأرميا ١٤ : ١٤ ؛ وحزقيال ١٣ : ١٧).
٣) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ٨ : ١٨ ؛ وأخبار الأيام الثانى ١٨ : ٧ : ١٧)
٤) راجع (أرميا ٢٩ : ٢٦ : ٢٧)
٥) راجع (صموئيل الثانى ١٣ : ٥ : ٦)
٦) راجع (الأمثال ١٣ : ٧)
٧) م.ص. سيجال : ص ٣٨
٨) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ١٢ ؛ وأخبار الأيام الثانى ١٨ : ١١ ؛ وأرميا ٢ : ٨ ؛ ٥ : ٣١ ؛ ١٤ : ١٤).

ونجد فى هذه الفقرة الأخيرة : الصيغتين " נָבָא " ثم הִתְנַבֵּא (١) على التوالى وفيما عدا هذه المزاوجة مع لفظة נְבִיאִים - النبيين - جاءت صيغة الانفعال فى الحديث عن أنبياء الكذب بلامزاوجة - فقط(٢)، عندما يتلو ذلك مباشرة النص على أن نبوتهم كاذبه(٣). أما كلمة "نبى נָבִיא " فيتفق معظم الباحثين على اشتقاقها من الفعل الأكادى " נבו نبو "(٤) = "לקרוא " أى دعا ، نادى. ووفقاً لذلك فالنبى وفقاً لهذا التفسير هو الشخص : المدعو ، الداع ، المنادى المعلن ، المخبر : "הַקּוֹרֵא ,הַקָּרוּז , הַמּוֹדִיעַ "(٥). وهناك من الباحثين من يفضل الأصل "نبأ - נבא" الذى يوجد له مثيل فى العربية وفى الآشورية ، وهو فى السريانية ܢܒܐ : نبى من الفعل ܢܒܐ ،وفى الحبشية ናበለ مع معنى ان يكون فى "جيشان " أو " أن يفيض " ويستخدم خاصة مع ينابيع الماء ، ومن هنا يظن البعض أن كلمة نبى مشتقة من " نبع "؛ إشارة إلى صدور كلام الحكمة من النبع مثلما يتفجر الماء العذب من الينبوع،وعن طريق تخفيف الصوت على مر الاجيال تحولت كلمة نبع الى نبأ " ، ولكن يمكن بسهولة أن يتحول المعنى ليدل على الشخص الذى - وهو فى حالة إشارة - يجعل كلماته تتدفق وتفيض من فمه ،ويتحمس البعض الآخر لمعنى الجيشان باعطائه معنى مادياً أكثر ويرون أن هناك إشارة إلى الرغوة والزبد الذى يسيل من فم العرافين القدماء فى غيبوبتهم التكهنية أو الصرعية وكانوا يسمون " بالمزبدين " ، ومن ناحية

---

١) راجع (أرميا ١٤ : ١٥ - ١٦ ، ٢٣ : ١٦ ؛ ٢٥ : ٢٦ ؛ ٣٧ : ١٩ ،وحزقيال ١٣ : ٢ ، ١٦)

٢) راجع (أرميا ٢٧ : ١٤ - ١٦ ، ٢٩ : ٩)

٣) م.ص. سيجال . ص ٣٩

٤) وهناك من يعتقد ان " נבו - نبو " هو الكوكب السيار " عطارد " الذى كان يعبد فى ميزوفوتوميا . قارن (أشعيا ٤٦ : ١)

٥) אנציקלופדיה מקראית , כרך ה' , ערך נבואה,מוסד ביאליק , ירושלים תשכ"ח, עמ' 690.

أخرى هناك من يحاول أن يجد صلة بين كلمة נ ב י א والكلمة المصرية القديمة " نب " بمعنى " سيد "(١)

وفى العهد القديم وردت كلمة "نبى" بمعنى المفسر " פּוֹרֵשׁ " أو خطيب נוֹאֵם " أو " مفسر الله " كما يتضح مما ورد فى سفر الخروج (٧ : ١) حيث يقول الله لموسى "רְאֵה נְתַתִּיךָ אֱלֹהִים לְפַרְעֹה וְאַהֲרֹן אָחִיךָ יִהְיֶה נְבִיאֶךָ" أنظر أنا جعلتك رباً (الوهيم) لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك " وكأنه يقول لمّا كان هارون بتفسيره كلام موسى لفرعون ، يقوم بدور النبى ، تكون أنت (ياموسى) كإله فرعون ، أى من يقوم بدور الله(٢)، وفى الحقيقة أن وظيفة هارون إلى جانب موسى تم شرحها فى موضع آخر من سفر الخروج :"וְדִבֶּר הוּא לְךָ - אֶל-הָעָם וְהָיָה הוּא יִהְיֶה-לְּךָ לְפֶה וְאַתָּה תִּהְיֶה-לּוֹ לֵאלֹהִים. - وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون لك فماً ، وأنت تكون له رباً (الوهيم)"(٣). ومن ذلك نعلم أن النبى هو - إن جاز لنا هذا التعبير - فم ربه الذى يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام هذا " الرب " ، كما كان هارون بمثابة نبى لموسى ، فكان عليه أن يكون فماً له يبلغ كلامه إلى الشعب وإلى فرعون(٤). والحقيقة أن

---

١) ابراهيم مطر : الأنبياء والنبوة : مكتبة المشعل . بيروت ١٩٥٨ . ص ٩

٢) سبينوزا " رسالة فى اللاهوت والسياسة . ص ٤٨ .

٣) راجع (الخروج ٤ : ١٦)

٤) م.ص . سيجال . ص ١٩

وربما يرجع هذا إلى تقليد قديم حيث يذكر الأستاذ " العقاد " أنه كان يكثر بين الأمم التى تشيع فيها نبوءة "الجذب" أن يكون مع المجذوب " مفسر " يدعى العلم بمغزى كلامه ولحن رموزه واشاراته ، وقد كانوا فى اليونان يسمون المجذوب " مانتى - Manti " ويسمون المفسر Prophent أى المتكلم بالنيابة عن غيره . ومن هذه الكلمة نقل الأوربيون كلمة النبوءة بجميع معانيها ...

انظر : عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . المؤتمر الاسلامى . القاهرة . دار القلم . الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ ، ص ٦٢

النبى يكرس نفسه كلها لله ، ومن هنا كان يسمى فى كثير من الأحيان "رجل الله אִישׁ אֱלֹהִים "، والمفهوم الجديد لهذه التسمية جاء ليشير إلى التقارب الخاص إلى الله (١). ويقول هيتون " Heaton "(٢) " ان الصوت المنخفض الخفيف الذى سمعه إليا هو - فوق جبل حوريب - يهيء أذهاننا لفهم النبوة على أنها صداقة لله كما كان الحال مع موسى الذى قيل عنه :"וְדִבֶּר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה פָּנִים אֶל פָּנִים כַּאֲשֶׁר יְדַבֵּר אִישׁ אֶל-רֵעֵהוּ - ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه "(٣).

ويفيد التراث اليهودى بأنه قد تنبأ لإسرائيل بالإضافة إلى الأنبياء، عدد من النبيات ، وهن الإناث من الأنبياء(٤)؛ ويجدر بالذكر هنا أن العهد القديم يستخدم للنبى عشرة أسماء : " צִיר " بمعنى رسول(٥)،و " נֶאֱמָן " بمعنى الأمين(٦) و " חוֹזֶה " بمعنى حازى(٧).و " רוֹאֶה " بمعنى راء (٨) ، و " נָבִיא " بمعنى نبى(٩) و " עֶבֶד " بمعنى عبد(١٠). و " שָׁלוּחַ "

---

١) سبتينوموسكاتى . الحضارات السامية القديمة . ص ١٥٠ - ١٥١ .

٢) E.W. Heaton: The old Testament Prophets,Penguim Books, 1964, P. 51.

٣) الخروج ٣٣ : ١١ .

٤) وهن فى العهد القديم " مريم " اخت موسى وهارون (راجع الخروج ١٥ : ٢٠ و ٢١ والعدد ١٢ : ١٢) و " دبورة "(راجع القضاة ٤ : ٤ و ٥ : ١)و"حنه" أم صموئيل (راجع صموئيل الأول ٢ : ١) و " خلدة " امرأة شلوم (راجع الملوك الثانى ٢٢ : ١٤) .

٥) راجع (أمثال ١٣ : ١٧ ، ٢٥ : ١٣)

٦) راجع (أيوب ١٢ : ٢٠)

٧) راجع (عاموس ٧ : ١٢ والملوك الثانى ١٧ : ٣١)

٨) راجع (صموئيل الأول ٩: ٩ ، وأخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩)

٩) راجع (عاموس ٧ : ١٤)

١٠) راجع (الملوك الثانى ١٧ : ١٣ ؛ وعاموس ٣ : ١٧ ؛ وأشعيا ٥٤ : ١٧)

بمعنى "رسول"(١) و " צוֹפֶה " بمعنى "رقيب"(٢) و " מַלְאָךְ " بمعنى "ملاك"(٣). و " אִישׁ הָאֱלֹהִים " بمعنى "رجل الله"(٤).

ويرى سبينوزا أن كلمة نبى فى اللغة العبرية " נָבִיא " تدخل ضمن مجموعة من الكلمات مثل "מָשִׁיחַ " - (المسيح) أو "נָזִיר " (المخصص لـ - الناسك) أو "עָנִי " (الفقير) . ويقول أن أصل الكلمة تعنى الضجة الخارجية أو الضوضاء الداخلية ، أى أنها تشير إلى حالة الجذب التى يجد النبى نفسه فيها ، أو النداء الموجه منه أو إليه(٥). والحقيقة أنه على دارس أسفار العهد القديم ضرورة التمييز بين الأنواع المختلفة من الأنبياء ، ومعرفة الصفات التى تجمعهم غير لفظ النبى الذى وصفوا به ، وادعاء كل منهم أنه يتكلم بسلطان إلهى .

أما فى اللغة العربية . فكلمة " نبى " مشتقة من الفعل " نبا" أو"أنبأ" بمعنى أخبر ، ومنها" النبأ " بمعنى الخبر ، فكان النبى هو المُخبِر بأوامر الله ونواهيه ، وعن هذا الطريق أصبحت " الأنباء " عند المفسرين هى الحجج ، لأن الحجج أنباء عن الله عز وجل ، والنبى (النبىء) - بالهمز وبدونه ، فالابدال والادغام لغة فاشية - هو المخبر عن الله عز وجل لأنه أنبأ عنه(٦) . هذا كما رأى بعض المفسرين أن كلمة " النبى " يمكن أن تكون مشتقة من "النبوة والنباوة " . وهى الارتفاع عن الأرض ، أى أنه أشرف على سائر الخلق . ويذهب " الراغب الأصفهانى " فى كتابه " المفردات فى غريب القرآن " الى أن النبى سُمى بذلك من حيث انه ينبىء بما تسكن إليه العقول الذكية ، وان النبوة

---

١) راجع (أرميا ٤٩ : ١٤)
٢) راجع (أرميا ٦ : ١٧ ، وحزقيال ٣ : ١٧ ؛ وأشعيا ٢١ : ١١ ومابعدها)
٣) راجع (حجى ١ : ١١ ؛ وملاخى ٣ : ١)
٤) راجع (التثنية ٣٣ : ١ ؛ وصموئيل الأول ٩ : ٦)
٥) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ص ٤٨
٦) ابن منظور . لسان العرب . نبأ . ج ٦ . دار المعارف . القاهرة . بدون تاريخ . ص ٤٣١٦ .

سفارة بين "الله" و "ذوى العقول" من عباده لازاحة علتهم فى أمر معادهم ومعاشهم " . وفى القرآن الكريم اذا ورد لفظ النبى معرفاً بأل فإن المراد به يكون النبى العربى " محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام" ، أما إذا ورد منكراً ، أو معرفاً بالإضافة فإن المراد يكون غيره [١] . ورغم ماهو معروف من النبوة هى الرسالة ، وأن نبى الله هو رسول الله فإنهم يفرقون بين الرسول والنبى ، فيقولون : " والرسول أخص من النبى لأن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً " . فالرسول لغة تعنى الرسالة ، يؤنث ويذكر ، كما تعنى المرسل . والرسول هو : الذى يتابع أخبار الذى بعثه . أخذاً من قولهم جاء الإبل رسلاً أى متتابعة . وهكذا تكون " محمد رسول الله " فى الآذان بمعنى أن محمداً متابع للأخبار عن الله عز وجل . ويصبح المعنى فى التنزيل العزيز حكاية عن موسى وأخيه " فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِكَ " [٢] . بمعنى إنا رسالة رب العالمين أى أننا ذوا رسالة رب العالمين . وبناء على ذلك تكون تسمية الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أى ذو رسالة [٣] . وهكذا تعنى الرسالة النهوض ببلاغ معين ، بينما تعنى النبوة الشرف إلى جانب الإخبار عن الله عز وجل ، مما يكون بطريق الوحى . وبذلك تكون النبوة أشرف وأعم من الرسالة ، ولذلك قالوا - كما سبقت الأشارة - أن الرسول أخص من النبى ، لأنه كل رسول نبى وليس كل نبى رسول .

أما عن كلمة " المتنبى " فهى مأخوذة من الفعل " تنبأ " كما يقال تنبأ الرجل أى أدعى النبوة ، ومثلما يقال تنبأ " مسيلمة " (باثبات الهمز الذى يترك فى النبى) كما ينص على ذلك " سيبويه " ، هذا وإن كان " سيبويه " فى موضع آخر يتكلم عن نبوة "مسيلمة" ، التى يصفها بأنها نبوءة سوء ، محقراً

---

١) " د. محمد أحمد خلف الله " مفاهيم قرآنية " سلسلة " عالم المعرفة ". سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت . العدد ١٩٨٤/٧٩ . ص ١٩

٢) القرآن الكريم . سورة طه /٤٧

٣) ابن منظور . لسان العرب . ج ٣ . ص ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ .

شأنها فى صيغة التصغير ، وبناء على ذلك أمكن أن يقال أيضا تنبا الكذاب (بدون الهمز) إذا إدعى النبوة ، كما تنبأ مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبئين(١).

والحقيقة أن البون شاسع بين الأنبياء والمتنبئين ، فإذا كان الأصل اللغوى واحد لكل من كلمتى " النبى والمتنبى " مما سمح لبعض العلماء باستخدام الكلمتين بنفس المعنى مع إلحاق الصفة المناسبة لمقتضى الحال ، مثل الصدق أو الكذب ، فمما لاشك فيه أن الفارق بعيد بين ماهو دارج من مفهوم النبوة ومفهوم التنبؤ ، والحقيقة ان هذه الثنائية فى الموضوع ، أى ذلك التضاد أو التقابل العكسى بين طرفيه ، لمما يساعد على إلقاء المزيد من الضوء على الجانب الإيجابى منه ، ممايتمثل فى النبوة دون التنبؤ . فمن المفهوم أننا لن نعرف معنى الخير إذا غاب عنا معنى الشر ، وبضدها تتميز الأشياء كما يقال، والفلسفة الثنوية التى تفسر قيام العالم أو أسباب الوجود على ذلك التقابل بين الخير والشر أو بين النور والظلمة أى بين الفضيلة و الرذيلة ، قديمة قدم الإنسانية منذ أيام " آدم " أبى الخليقة الأول الذى تنسب إليه أول خطيئة عصيان أدت إلى خروجه من الجنة ، كذلك نسبت أول جريمة قتل فى التاريخ إلى ابنه " قابيل " فى حق أخيه " هابيل " . ومن هنا ظهرت مقولة أن الانسان مخطىء بطبعه وأنه فى حاجة إلى معونة إلهية تأخذ بيده ... وهكذا تبدأ قصص الأنبياء مع الإنسانية ، وهى فى طفولتها الأولى ، وذلك بغرض ارشاد بنى آدم إلى طريق الهداية ممثلاً فى النواميس الإلهية التى هى بحكم الضرورة : القوانين الطبيعية (٢).

ومن عجيب الاستقصاء أن القرآن الكريم قد أحصى النبوءات الغابرة بأنواعها فلم يدع منها نوعاً واحداً يعرفه اليوم أصحاب المقارنة بين الأديان ؛ ومن تلك الأنواع نبوءة السحر ، ونبوءة الرؤيا والأحلام ونبوءة الجذب ، أو الجنون المقدس ، ونبوءة التنجيم وطوالع الأفلاك . فقد نمت فى الإسلام فكرة النبوة كما

---

١) ابن منظور . لسان العرب . ج ٦ . ص ٤٣١٦

٢) القرآن والسيرة النبوية . مجلة عالم الفكر . المجلد الثانى عشر . مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الأعلام فى الكويت سنة ١٩٨٢ . ص ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ .

نمت فيه الفكرة الإلهية . فبرئت هذه الرسالة السماوية من شوائبها الغليظة التى لصقت بها عقائد الأقدمين من أتباع الديانات الوثنية والديانات الكتابية ونمت نبوة الإسلام نماءها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق والمغيبات ، وهى آية النبوة الكبرى فى عرف الأقدمين ... فما النبوة بقول ساحر . ولايفلح الساحرون ، وما النبى بكاهن ولا مجنون"(١).

النبوة الإسرائيلية :

يرى " دوفنوف דובנוב " أن النبوة فى صورتها الأولى كانت ظاهرة مشتركة فى المجتمع السامى القديم ، وأن كلمة النبى بمعنى " عراف " موجودة فى صور مختلفة فى جميع اللغات السامية تقريبا من الآشورية وحتى العربية ، وكانت الشعوب السامية تطلق هذه التسمية على من لديه قوة غامضة وموهبة خاصة لرؤية المستقبل وجلاء الغموض ، وتمهيد الطريق أمام الحركات الشعبية والثورات السياسية(٢). والحقيقة إن هذا التعريف يشوبه بعض القصور إذ لم تكن مهمة النبى قاصرة فقط على مثل هذه الأمور دائماً . فقد كان من مهمة النبى الأساسية التبشير بدعوة جديدة أو دين جديد ، أو المطالبة بالغاء تقاليد دينية لا تتلائم مع الطبيعة الإلهية التى بعث من أجلها .

هذا بينما يرى " فلهاوزن ולהויזן " وتلاميذه ، أن النبوة بدأت فى إسرائيل منذ أيام " شاؤل " على يد الأنبياء الاكستازيين ، وأن القصص عن موسى فهى تعود إلى أيام المملكة ، وأن التوحيد تم من خلال تطور بطىء ، وصل إلى قمته فقط فى أيام أشعيا الثانى(٣).

---

١) عباس محمود العقاد . حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . ص ٥٨ ، ٦١
وقارن . القرآن الكريم . سورة يونس : " أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ" (الآية ٧٧) . وسورة الذاريات : " كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ " (الآية ٥٢).

٢) שמעון דובנוב : דברי ימי עם עולם . כרך א . עמ' 110

٣) ישעיהו השני : أشعيا الثانى : يرى بعض النقاد المحدثين أن القسم الثانى من سفر " أشعيا بن آموص " ، قد كتبه كاتباً ثانياً اصطلحوا على تسميته " أشعيا الثانى " ، وهو يتكون من الإصحاحات (٤٠ - ٥٦) حيث ===

ولكن فى السنوات الأخيرة حدث تحول حاسم فى تقييم مصدر وبداية النبوة الإسرائيلية ، ففى سنة ١٩٤٦ نشر متحف اللوفر فى باريس ، مئات الوثائق المكتوبة باللغة الأكادية ، والتى تم اكتشافها من خلال السجلات الملكية لمدينة " مارى מארי " فى مابين النهرين ، والتى ترجع إلى نهاية الثلث الأول من الألف الثانى ق.م (حوالى ١٨٠٠ - ١٦٠٠ ق.م) وهى بداية فترة الآباء البطاركة ، حيث ينتسب معظم السكان الذين ذكرت سيرتهم فى وثائق مارى ، الى الأصل السامى الغربى ، الذى ينتمى إليه الآباء أيضاً ، ولذلك فإن وثائق مارى تشكل مصدراً مهماً للبحث فى تاريخ الآباء فى فترة المقرا ، ففى واحد من الموضوعات التى تناولتها ألواح مارى تبدو ظاهرة تجلى كلمة الرب إلى أشخاص " متنبئين " أصحاب وعى بالرسالة الملقاة عليهم . ويبدو من هذه الظاهرة أن التنبؤ فى " مارى " لم يكن وليد وسائل سحرية أو تنجيمية ، بل ثمرة تجلى الرب للإنسان ... من هنا يتضح لنا مصدر الخيال العظيم بين النبى المقرائى ، والعمق الفكرى الذى يفصل بين النبوة فى المقرا ، وبين تلك الموجودة فى وثائق " مارى " ، إلا أن بعض ملامح نماذج التنبؤ فى مارى قريبة الشبه جداً من النبوة المقرائية ... إذ يوجد فى وثائق مارى كلمات نبوة مصاغة فى أسلوب رسالة تقول : " الآن اذهب ها أنذا أرسلك " ... "الإله" "دا جن أرسلنى ... ارسل إلى سيدك لكى يصنع قربان فى الشهر القادم ..."(١)

=) لايوجد تقارب لغوى وفكرى بين كلمات" أشعيا الثانى " . وأيضاً بسبب البون الشاسع بين الخلفية التاريخية ، والموضوعات التى يتناولها هذا القسم . فأحداثه لاتقوم على أى استناد تاريخى أو على قضايا تاريخية ، والرأى الشائع عند المفسرين المحدثين أن " أشعيا الثانى " عاش فى نهاية فترة المنفى ، وفى بداية البيت الثانى . وقد رأى هؤلاء الباحثين أن كاتباً ثالثاً اصطلح على تسميته " أشعيا الثالث " هو الذى كتب القسم الثالث من السفر ، الذى يشمل الإصحاح ٥٦ إلى الإصحاح ٦٦ .
انظر : לפסיקון מקראי , עמ' 380.

١) قارن هذا الأسلوب النبوى مع أسلوب أنبياء بنى إسرائيل ، فقدورد: "אֲנִי שׁוֹלֵחַ אוֹתְךָ אֲלֵיהֶם וְאָמַרְתָּ אֲלֵיהֶם כֹּה אָמַר אֲדֹנָי יְהוִה" - أنا أرسلك اليهم . لتقول لهم هكذا قال الرب (حزقيال ٢ : ٤) . ويذكر " قوفمان " ان تخصيص النبى لايكسبه ==

وهناك نماذج أخرى لمتنبئين مارسوا عملهم فى أيام " זִמְרִילִים - Zimrilim زيمرلين " آخر ملوك ماري قبل خراب المدينة على يد حمورابى ، حيث يتضح منها أن المتنبىء هو رسول الله يأتى أمام الملوك ليخبرهم بوصايا الله ، وكان يطلق على هذا المتنبىء لقب " מוחום - Muḫam - موحوم " وهو يقابل المتنبىء الاكستازى(١) ... وذلك يتعارض مع ماذهب إليه " فلهاوزن " من ان النبوة لم تبدأ إلا فى عصر شاؤل .

وفى ميز وفوتوميا اعتقدوا بأن كل مايحدث فى العالم هو بمثابة علامات ترسلها الآلهة لكشف المستقبل للإنسان ، الذى يجب تدريبه فى نفس الوقت ليكون قادراً على حل تلك العلامات ،ولذلك خصص للعراف مكاناً بارزاً فى المجتمع الميزوفوتومى ، وللعرافة أهمية بارزة فى الحضارة الميزوفوتومية . وقد كانت أكثر الوسائل التنجيمية احتراماً هى : " قراءة كبد الحمل الذى يقدم كقربان" عن طريق الرائى ، وقد اعتاد الملوك ورجال الحكم التوجه إلى " رائى الكبد " فى أوقات معينة (والذى كان يطلق عليه بالأكادية اسم : " basû ") ذلك لاستشارته فى كيفية إدارة شئون الدولة فى أوقات الحروب وأيام السلم . وقد كان الرائى يصاحب الجيش البابلى والآشورى فى الحروب . ومن الوسائل التى كانت متبعة فى التنجيم والعرافه : التنجيم وفقاً لعلامات خاصة بالظواهر

=) فضيلة أو موهبة بل يلقى عليه مهمة ورسالة لأن يصبح رسول الله . وفى تجلى سيناء يقول الرب لموسى : اذهب فأرسلك إلى فرعون ،فيتوسل إليه موسى قائلاً : " שְׁלַח-נָא בְּיַד תִּשְׁלָח - ارسل بيد من ترسل " (الخروج ٤ : ١٣) . ويسمع أشعيا فى الرؤية : אֶת-מִי אֶשְׁלַח..... וְאֹמַר הִנֵּנִי שְׁלָחֵנִי - من أرسل ... ها أنذا أرسلنى " (أشعيا ٦ : ٤) . ويقول الرب لأرميا : "כִּי עַל-כָּל-אֲשֶׁר אֲשַׁלְּחֵךְ תֵּלֵךְ " إلى كل من أرسلك إليه تذهب " (أرميا ١ : ٧) .
هذا ويذكر " قوفمان " ان الفعل " שָׁלַח - أرسل " يشير إلى تجلى الحديث الإلهى إلى النبى الإسرائيلى .
انظر : תולדות האמונה הישראלית . כרך א' . עמ' 726

١) אברהם מלמט , ניצני נבואה בתעודות מארי , ארץ-ישראל , כרך ד' , ירושלים תשט"ז , עמ' 74-84 .

الفلكية (خسوف الشمس والقمر ، ورصد حركات النجوم)، والتنجيم وفقاً لتحليق العصافير ، وبقع الزيت على سطح الماء ، والتنجيم وفقاً لسحابة البخور[١].

وفى بلاط " اسرحدون אַסַּר־חַדּוֹן " ملك آشور (٦٨١ - ٦٦٩ق.م تقريباً) يظهر بعض المتنبئين والمتنبئات ، ولكن ظهورهم كان فردياً ، ولم يتكرر مرة ثانية ، أما فى مصر القديمة فقد كانت العرافة أكثر تحديداً عن مثيلتها فى ميزوفوتوميا ، حيث كان لها طريقتان أساسيتان . الأولى : سؤ ال الأوراكول - אור אקול - المتنبىء "[٢] اثناء طقوس العبادة ، والثانية الأحلام وقد كان السحرة هم مفسرو الأحلام الذين كان لهم أدب شامل مستقل ، وفى مقابلهم نجد فى المصادر الأدبية المصرية نبوءات تتضمن توبيخات لفرعون ، كان يطلق عليها " نبوءات بعد العمل " . وبالإضافة إلى ذلك فقد ترك لنا المصريون القدماء مؤلفات أدبية من نوع أدب الحكمة ، والتى خصصت للتعليم والارشاد[٣].

---

١) האנציקלופדיה העברית, ערך נבואה.

٢) الاوراكول - Oracul : الكاهن - المتنبىء - وهى كلمة لاتينيه مشتقه من كلمة " Oraculum " عند اليونان وروما فى العصور القديمة . والتى كانت تستخدم قديماً للدلالة على " مسكن الرب " الذى يرد فيه على سائليه ، وكذلك كانت تشير أيضاً إلى كلمات إجاباته . وأشهر "أوراكلوم" كان فى معبد أپولو (אַפּוֹלוֹן وباليونانية Apollon وباللاتينية Appolo وهو إله الشمس وإله الموسيقى والشعر والنبوءة والطب ، ويتم تصويره فى الفن فى هيئة غلام فى غاية الجمال) فى " دلفوى " فى وسط اليونان القديمة . وقد كان الإله يجيب على الأسئلة عن طريق كاهنة كان يطلق عليها اسم " Pythia - פִּיתִיָה " . وفى أيامنا هذه تشير كلمة " الأوراكلوم " الى " الأوريم " والتوميم " אורים ותומים", وهى العرافة والتنجيم بصورة عامة .
انظر : ראובן אלקלעי, לקסיקון לועזי-עברי חדש, עמ' 19.

٣) ويشير برستيد إلى ان الشريعة اليهودية استمدت كثيراً مما فيها من حكمة "أمينموبى" (وأصل الاسم "آمون أم أوبى" وهو حكيم مصرى دوّن حكمه وأمثاله حوالى ١١٠٠ ق.م) التى تزودها بالأفكار والأشخاص والمستويات الخلقية ، ثم فوق هذا كله بروح الرحمة الإنسانية .
انظر : جيمس هنرى برستد . فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن . مكتبة نهضة مصر . ص ٣٩١ .

ومن سوريا وفينيقيا وصلت إلينا مصادر متفرقة عن التنبؤ والعرافة ، حيث نجد شواهد لتنبؤ اكستازى فى بردية مصرية ترجع إلى القرن الحادى عشر ق.م تقريباً ، يذكر فيها " וּן- אמון - فين آمون " أنه رأى حاكم " جبيل גבל " يقدم القرابين ، وفى أثناء الطقوس حل الرب على أحد غلمان الحاكم وجعله اكستازياً ، وعندئذ جاء أمر الغلام للحاكم باسم الرب استقبال الرسول المصرى(١). ويستنتج " اوفنهيمر אופנהיימר " من ذلك أن النبوة الرسولية فى المقرا أخذت لها شكلاً جديداً فى التاريخ ، ولكن بدايتها وانطلاقتها راسخة فى التراث السامى الغربى الذى أتى به الآباء البطارقة معهم ، وقد توصل " أوفنهيمر " إلى هذه النتيجة لا من دراسة وثائق مارى فحسب ، بل أيضاً من تحليل لمصادر أخرى من مصر وحماة وميزوفوتوميا . ومن الاسانيد التى يستند عليها " أوفنهير " فى نتائجه ، شخصية " بلعام בִּלְעָם "(٢) حيث تبرز فيها خطوط مستمدة من كهنة " البارو בארו " البابليين ، بالاضافة إلى اننا نجد فى قوة " بلعام " وهزيمته للأعداء بواسطة اللعنات تأثير ثقافة الشعوب المتجولة المحيطة مثل مُوآبْ وعامونْ ، ومديانْ وقبائل العربْ ، أكثر من

---

١) האנציקלופדיה העברית, ערך נבואה, עמ' 799-800.

٢) בִּלְעָם בֶּן בְּעוֹר - بلعام بن بعور . من قرية " פְּתוֹר فتور " وهى تقع فيما بين النهرين وكان ساحراً (نبياً) مشهوراً فى جيله . وقد ذاع صيته بين أهل ذلك الزمان ، فعلا شأنه وصارت تقصده الناس من جميع أنحاء البلاد ليتنبأ لهم عن أمور متعلقة بهم ، أو ليباركهم ، ويبارك مقتنياتهم وما أشبه . وقد استدعاه " بالاق " ملك موآب ليلعن شعب إسرائيل . فسأل ربه ليلة قدوم رسل ملك موآب ، فلم يأذن له . فلما كان الصباح رفض طلب " بالاق " وان كان قد ذهب أخيراً وبارك بنى إسرائيل . (راجع العدد ٢٢ : ٩ ؛ ٢٤ : ٢٥) ، ولكنه دبر وسيلة للايقاع بهم فى شرك عبادة الأصنام . وقد قتل بلعام فى الحرب بين الإسرائيليين والمديانيين (راجع العدد ٣١ : ٨ و ١٦) ويستخدم الباحثون شخصية بلعام وقصته فى سفر العدد (٢٤ - ٣٤) دليلاً تاريخياً متعدد الأهمية على تحديد ماهية النبوة ووظائفها ، حيث يدرك منها أنه قبل خروج الجيش للحرب ، اعتادوا سؤال النبى ، وكان عليه تشجيع الجنود قبل القتال ، ولعن العدو .
انظر : לפסיקון מקראי , עמ' 160.

تأثير " البارو " البابلى . حيث تتضمن أشعار " بلعام " أمثالاً نبوية موجزة ، وهى عبارة عن رؤى تنجيمية ليست إلا تبريرات ، وتصريحات عن مصير شعبه ، والشعوب المجاورة . أما عن الأسس السحرية والاكستازية الممتزجة معاً ، والتى يتصف بها بلعام فهى تقربه من نموذج " رجال الله אַנְשֵׁי אֱלֹהִים (נֹפֵל - וּגְלוּי עֵינָיִם ساقط وهو مكشوف العين "[١]) أكثر من ثقافة القبائل المتجولة أو البارو البابلى ، أو " الموحوم " فى مارى . ويبدو إن " أوفنهيمر " قد استخدم قضية بلعام ليبين كيف انهزم الساحر أى " البارو " الوثنى متمثلاً فى النبى بلعام ، أى أن الرسالة السحرية المرغوبة والمطلوبة أصبحت رسالة نبوية غير مرغوبة وغير مطلوبة ، ولكن لم يكن منها مفر[٢].

ترمز هذه القصة إذاً إلى الطريق التاريخى الذى سلكته النبوة المقرائية التى أرادت الابتعاد والانفصال عن الجذور السحرية والتنجيمية لحضارات الشرق القديم ، والتى أصبحت أساساً للرسل الذين وضعت فى أفواههم كلمة الرب غير المرغوبة من الشعب ، ومن هنا نجد الشعب يلعن بلعام ويسميه ساحراً .

وإذا انتقلنا إلى وظيفة النبى فى العهد القديم نجد أنه يشار إليها بثلاث كلمات : " הָרוֹאֶה الرائى"[٣] ،و " הַחוֹזֶה - الحازى "[٤] ،والنبيء

---

١) راجع العدد ٢٤ : ١٦

٢) בנימין אופנהיימר : הנבואה הקדומה בישראל . עמ' 51-50

٣) فى العربية رأه - يَرَاهُ ، ويرآه (على قِلَّة) : ابصره بحاسة البصر.ورآه فى منامه رؤيا : حلم . وأَرْأَى : صار له رَئِىٌّ من الجنّ . والرَّئِىُّ : الجنّى يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب . ويقال فلان رَئِىُّ قَومه " بالفتح " : إذا كان صاحب رأيهم .
انظر : المعجم الوسيط ج ١ . ص ٣٢٠

٤) فى اللغة العربية : حَزَا يَحْزو حَزْوًا : الشىء حزره وقدّره بظنه ، وتكهن ، وكذلك تحزى . والحازى : الكاهن ، والذى ينظر فى الأعضاء ، وفى خيلان الوجه يتكهن . ويقال على الحازى هبطت : على الخبير . ويقال له أيضاً " الحزّاء " . وعلى ذلك يمكن وضع كلمة " الحازى " مكان " الرائى " التى استعملتها بعض الترجمات العربية للعهد القديم ، وكذلك كلمة العراف ..
انظر : المعجم الوسيط . ج ١ . مجمع اللغة العربية . مطبعة مصر سنة ١٩٦٠ ص ١٧١ . انظر أيضاً : م.ص . سيجال . هامش . ص ١٦

النبى ... وعن الرائى والحازى هناك بعض الباحثين يزعمون أن هذين التسميتين تميزان النبى المنجم ، الذى يرى المستقبل ويخبر به ، والذى مارس عمله فى كنعان قبل ظهور الأنبياء ، لكننا نجد فى العهد القديم تشابهاً كبيراً بين الرائى والنبى ، وبفضل مقدرة " صموئيل " على رؤية الغيب اطلق عليه " الرائى הָרוֹאֶה "(١).

بينما يرى " سيجال " أن كلتا التسميتين (الرائى - الحازى) من جهة ، و (النبى) من جهة أخرى لا تعنيان نوعين متميزين من " رجل الله " ، بل تعنيان اتجاهين ، وعلاقتين لنفس الرجل يكمل كل منهما الاخر،وهما معاً يمكنان " رجل الله " من القيام بوظيفته التى حددت له من قِبَل الله ... فالاسم " الرائى - الحازى " يعيِّن صلة رجل الله بالله ، و " الرائى - الحازى " يرى رؤيا الله وينظر نظر القدير(٢)، بينما الاسم " النبى " يعيِّن صلة " رجل الله " بالأمة ، و " النبى " أيضاً - ان جاز لنا هذا التعبير - فم الله الذى يتحدث ويسمع الشعب كلام الله الذى سمعه هو فى رؤيا النبوة . وعلى ذلك فان " رجل الله " الكامل ، مثل " موسى وصموئيل "، أو " عاموس وأشعيا " وأمثالهم ، كان " رائياً - حازياً " وكان نبياً معاً .... وهكذا جاء أن صموئيل تجلى له الله فى الرؤيا (חָזוֹן) ، ومن ثم عرف فى إسرائيل بأنه " نبى الله "(٣). ومع ذلك جائز جداً أنه على أيام صموئيل كان هناك من " رجال الله " من لم يصلوا إلى درجة الكمال التى وصل إليها صموئيل نفسه بالجمع بين طرفى المهمة النبوية ، فكانوا " رائين - حازين " أكثر منهم أنبياء دعاة ، أو أنهم كانوا فى أيامهم من " رجال الله " ، وعرفهم الشعب رؤاة أكثر مما عرفهم أنبياء ، أو ان الشعب قد خبرهم أكثر كرؤاة ،وهكذا استعمل الشعب فى حديثه العادى لفظ " الرائى " أكثر من لفظ " النبى "(٤) وبذلك يرمز تعدد الألقاب هذا إلى امتزاج لشخصيات ولوظائف مختلفة فى موضوع واحد ،

---

١) אנציקלופדיה מקראית, כרך ה', עמ' 690 - 730 .

٢) راجع العدد ٢٤ : ٤ - ١٦

٣) راجع (صموئيل الأول ٣ : ١ - ٢٠)

٤) م.ص . سيجال . ص ١٩ ، ٢٠

وحيث ينعكس هذا التعدد فى وظائف الأنبياء[١]. وللأستاذ العقاد وجهة نظر فى تعدد هذه الأسماء عند الإسرائيليين ، فيقول : " لقد عرفت قبائل العبريين نبوءات السحر والكهانة والتنجيم كما عرفتها الشعوب البدائية وابتكرت منها ما ابتكرت على سُنة الشعوب كافة ، واقتبست منها ما اقتبست بعد اتصالها بجيرانها فى المقام من أهل البادية ، أو أهل الحاضرة . ولكنها على خلاف الشائع بين المقلدين من كتاب الغربيين قد تعلمت النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب ، ولم تكن لهذه الكلمة عند العبريين لفظة توّديها قبل وفودهم على أرض كنعان ومجاورتهم للعرب المقيمين فى أرض مدين ... فكانوا يسمون النبى بالرائىّ أو الناظرّ أو رجل اللهّ ، ولم يطلقوا عليه اسم النبى إلا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب المذكورين فى التوراة ، وهم " ملكى صادق " ، و"أيوب" و " بلعام " و " شعيب " الذى يسمونه (يثرون) معلم موسى الكليم ، ويرجح بعضهم أنه الخضر عليه السلامّ للمشابهة بين لفظ يثرونّ وخثرونّ وخضرّ فى مخارج الحروف ، ولما ورد من أخبار الكليمّ مع الخضرّ عليهما السلام فى تفسير القرآن الكريم "[٢].

---

١) היסטוריה של עם ישראל, מראשית עד מרד בר כוכבא "מי המלובה", סדרה ראשונה, עורך משנה: ישראל-אפעל, הוצאת עם עובד, בע"מ ירושלים תשמ"ב, עמ' 74.

٢) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . ص ٦٣
ومن علماء الأديان الغربيين الذين ذهبوا إلى اقتباس العبريين كلمة النبوة من العرب : الاستاذ هولشر Holsher ، والاستاذ شميدت Schmidt ، اللذان يرجحان أن الكلمة دخلت فى اللغة العبرية بعد وفود القوم على فلسطين . بينما يقول " سيجال " ان الاسم " نبى " قديم جداً فى العبرية الإسرائيلية ، وأنه يرجع إلى ماقبل التاريخ من حياة بنى إسرائيل ، ولما كان هذا الاسم نفسه يميز عماداً حياً وفعالاً فى حياة الأمة فانه قد حفظ منذ تلك الحقب السحيقة بعد أن نسى الفعل المجرد " نبأ " الذى اشتق منه ، مع توالى العصور التاريخية ، وانتهى أمره ، واختفى من اللغة . وإذا كان الأمر كذلك فلا مجال للقول بأن " النبى " - فى موضع " الرائى " - معنى استحدث فى إسرائيل من أيام صموئيلّ فقط أو فى أيام " آحاب " ، إذ المعنى المستحدث يقتضى اسماً مستحدثاً لا اسماً قديماً اختفى أصل اشتقاقه من اللغة منذ أجيال .
انظر : م.ص. سيجال . ص ١٨

ومن الدراسة المقارنة لنصوص العهد القديم يتضح ان التسميتين (الرائى - الحازى) تترادفان مع كلمة " نبى " ، وربما يتميز " الرائى " بالأقدمية ، وربما أيضاً بالشعبية (١).

הָרוֹאֶה الرائى

وهو اسم فاعل من الفعل " רָאָה رأى " الذى يستعمل كثيراً للرؤية الإلهية التى يراها النبى (٢) وقد التصق لقب الرائى بصموئيل (٣)، ولكننا لانجد هذا اللقب كثيراً فى العهد القديم ، وبالإضافة إلى ذلك فإن المعطيات المقرائية لاتمكننا من التعرف جيداً على شخصية الرائى ومكانته الاجتماعية ووظيفته ، وكفاءته ... وعلى أية حال فإن التوجه إلى الرائى بالسؤال كان يشكل واحدة من صور سؤال الرب ، فهو يعلم ماسيحدث مستقبلاً ، وتذكرنا أوصافه فى بعض منها " بالبارو בָּרוֹא " الكاهن والمنجم البابلى ، أو بالكاهن العربى ؛ومع ان "الرائى" وظيفته ذات طابع كهنوتى إلا إنه ليس كاهناً ، فالكاهن مرتبط بالمعبد ، وتنتقل وظيفته بالوراثة من الأب إلى الابن ، وهذا مالايتوفر فى وظيفة "الرائى" ، ومع ذلك نجد أن الوظيفة الرئيسية لـ"الرائى" هى استمراراً لوظيفة " אורים ותומים - النرد "(٤) التى كان يستخدمها الكاهن كأداة

---

١) האנציקלופדיה העברית ,ערך נבואה, עמ' 800.

٢) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ٩ ، وأشعيا ٦ : ٢ و ٧ ؛ وأرميا ١ : ١١ و ١٣ وعاموس ٧ : ١ ، ومابعدها ، وحزقيال ١ : ١ ؛ و ٨ : ٢)

٣) راجع (صموئيل الأول ٩: ٩ ، العدد ١١ : ٢٤ ، عاموس ٧ ، أشعيا ٢٩ : ١٠)

٤) אורים ותומים. النرد . وهى أدوات مقدسة توضع فى " صديرى חֹשֶׁן " الكاهن الأكبر ، ويثبت بها أربعة صفوف من الحجارة الكريمة . وهى بمثابة حجارة للنرد ، وبها وبواسطتها يخبر الكاهن إجابة الرب إلى مايوجه اليه من أسئلة .
انظر : המלון העברי המרכז ,עמ' 13, 242.
وانظر أيضا האוראקול ص ١١٩

لإلقاء القرعة من أجل الحصول على الاجابة الإلهية سواء بالنفى أو بالإيجاب . كما حدث فى فترة متأخرة فى أيام الملك " آحاب " حيث تم سؤال الأنبياء سؤالاً يتضمن أحد أمرين مخير بينهما : " האלך על רמות גלעד למלחמה אם אחדל - أذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ؟[١].

وقد سأل الملك شاؤل ربه فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ، ولا بالأنبياء : וַיִּשְׁאַל שָׁאוּל בַּיהוָה וְלֹא עָנָהוּ גַּם בַּחֲלֹמוֹת גַּם בָּאוּרִים גַּם בַּנְּבִיאִים - فسأل شاؤل من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء "[٢]. إذاً فالحدث بالأحداث التى ستقع مستقبلاً بواسطة " النرد " كان وظيفة كهنوتية تتم بمساعدة أدوات تنجيمية ، بينما الحدس بالأحداث المستقبلية على يد " الرائى " كان يتم بالإتصال المباشر مع الحضرة الإلهية ، وهى صورة من صور الـ " מאנטיקה איטואיטיבית " أى " ادرك الحدس بالمستقبل مباشرة وبدون أية واسطة ، أى لايتم الادراك بمساعدة أدوات تنجيمية ، بل مصدره الرؤية المباشرة أو سماع كلمة الرب[٣].

ويبدو أن رؤية الرائى كان يوجد فيها أساس واضح لانعكاس القوى الواقعية من خلال البيئة اليومية للنبى ، والتى تشير التوافق مع العالم الفوقى ومع إرادة الرب . ومثال على ذلك "כְּלוּב קַיִץ - سلة الثمار الصيفية "[٤] عند عاموس و " מַקֵּל שָׁקֵד قضيب لوز "[٥] عند أرميا ، والحضرة الالهية التى رآها ميخا بن يملة[٦]. وكذلك توجد فى رؤى أشعيا ، وحزقيال ، وزكريا مقابلة بين العالم الأرضى ، والعالم السماوى (الإلهى) . أما عن كفاءة الرائى فقد كانت فى رؤية ماوراء الأمور المجردة من علامات ورموز لتجلى الرب . هذا ومن الصعب أن نقرر هل نسبوا للرائى قوة سحرية تؤثر على أحداث المستقبل ، أو حتى تعلن فقط عن المستقبل[٧]

---

١) راجع الملوك الأول ٢٢ : ٦
وانظر: י.א.זליגמן, ארץ ישראל, כרך ג', ירושלים, תש"ד עמ' 125 - 126.

٢) صموئيل الأول ٢٨ : ٦

٣) ويظهر الانتقال من التنجيم إلى الحدس بالمستقبل مباشرة فى قصة تجلى الرب لصموئيل راجع (صموئيل الأول . الإصحاح الثالث).

٤) راجع (عاموس ٨ : ١)

٥) راجع (أرميا ١ : ١١)

٦) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ١٠)

٧) ארץ ישראל, כרך ג', עמ' 128 - 130.

طابع النبوة الاسرائيلية بين التنبؤ والحديث الإلهى :

لم يكن التنبؤ الحماسي الملتهب معروفاً فى مصر أو آرام النهرين ، ولكنه قام بدور فعال فى عبادات سوريا وأرض كنعان ، حيث أخذ طابع العربدة الجنسية ، وقد أشار سفر الملوك الأول (١٨ : ٢٦ - ٢٩) إلى هذا التنبؤ الحماسى فى أسلوب أنبياء بعل الذين جلبتهم " ايزابل " من صيدون ، حيث أخذوا ثوراً وقربوه ودعوا باسم إلههم بعل من الصباح إلى الظهر ، وصرخوا فى صوت عال ، وتقطعوا حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ، هذا بالإضافة إلى أن الشهوة الجنسية احتلت مكاناً بارزاً فى طقوس الحفل ومآدب السكر والمشروبات الروحية المثيرة ، حيث حاول هؤلاء الأنبياء الفينيقيين الوصول إلى حالة الشرود والجنون من أجل الامتزاج الإلهى . ولذلك كان أكبر خطر على دين موسى هو أن يمتثل العبريون لعبادة " بعل " . وقد أدرك الأنبياء خطر هذه العبادة ، واستعدوا بكل قواهم لمحاربتها . وهنا يمكن أن نتساءل هل يقع الأنبياء فى أمور حاربوها بأنفسهم كما حدث فى سفر أشعيا الذى أدان الحماس والالتهاب النبوى نتيجة السكر : גַּם־אֵלֶּה בַּיַּיִן שָׁגוּ וּבַשֵּׁכָר נָתְעוּ מִן־הַיַּיִן תָּעוּ מִן הַשֵּׁכָר שָׁגוּ בָּרֹאֶה פָּקוּ פְּלִילִיָּה [1] - الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر وابتلعتهما الخمر . تاها من المسكر . ضلا فى الرؤيا قلقا فى القضاء " وقبل ذلك يورد سفر الملوك ماكان من تصادم بين النبى إلياهو ومافعله أنبياء بعل من عربدة ومساخر ، الأمر الذى يوحى بان إلياهو كان أسبق وأعنف فى محاربته لمثل هذه المفاسد ، من الأنبياء الذين جاءوا بعده [2] . والحقيقة ان جذور المحاولات الاكستازية فى الأديان القديمة تكمن فى ظمأ المؤمن إلى روح الله التى تنبض فيه ، وفى تطلعه للامتزاج مع الله فى كيان واحد . وهذا التطلع لم يكن مبالغاً فيه نظرياً ، فعند اليونانيين مثلاً لم يكن بين الله

---

١) أشعيا ٢٨ : ٧

٢) راجع الملوك الأول : ١٨ ؛ وقارن أشعيا ١٩ : ١٤ ؛ ٥ : ١١ - ١٢ ؛ وهوشع ٤ : ١١ ؛ وحبقوق ٢ : ٥ والأمثال ٢٠ : ١ ؛ ٢٣ : ٢٣ ، ويوئيل ٤ : ٣ .

والإنسان تعارض كبير وعميق يفصلهم تماماً هذا عن ذاك ، فالآلهة طويلة القامة ، وأجمل وأقوى من البشر ورجال الدين ، ولاتحل عليهم الشيخوخة أو الموت . وفيما عدا هذا فهى لاتختلف عن البشر لا من الناحية الروحية ، ولا من الناحية المادية فغرائز ودوافع البشر تسيطر عليهم ، وبسبب ذلك ينجرون وراء الشرور والآثام ، وكذلك كان لايوجد خط فاصل بين الآلهة والحيوانات ، فاحتمال تجسد الآلهة فى حيوانات الحقل أعطى الامكانية لاحتمال تجسيدها أيضا فى الإنسان(١).

ووفقا للمعنى الذى نستنبطه من دراسة أصل كلمة " אכסטזיס - Ekstasis " وتاريخها نجد أنها كانت تدل على وجود النفس البشرية خارج حالتها العادية ، ويبدو أن المقصود كان خروج نفس المتنبأ من جسده ، عن حالتها الطبيعية ، وهيامها فى عالم الأرواح أو امتزاجها بالألوهية ، حيث ارتبطت هذه الكلمة فى المصادر اليونانية بالامتلاء بالإلوهية أو أن يصبح الإنسان مأخوذاً من الله . ففى عبادة " ديونيسوس דיוניסוס (٢) " تشير الاكستازا إلى التهاب جماعى جنونى نتيجة للرقص العنيف على أنغام الموسيقى الصاخبة مع المشروبات الروحية المسكرة التى تؤدى إلى الدعارة الجنسية والتقطع بالسيوف والرماح . وعندما يصل عبيد " ديونيسوس " إلى درجة الاكستازا ينطرحون أرضاً على وجوههم ويرون الرؤى ويتلعثمون بالكلمات(٣).

---

١) א.י. השל, הנביא הישראלי ועמדתו כלפי אלהים והעם. מקור מצוטט ב"השקפת העולם של התנ"ך, מבחר מאמרים של כמה מחוקרי התנ"ך באירופה ובאמריקה במאה העשרים". ליקט וערך: צבי אדר, הדפסה ג', הוצאת מסדה, בע"מ, רמת גן, ת"א, ישראל, 1971, עמ' 215 - 216.

٢) ديونيسوس Dionysos : هو إله الاخصاب والخمر فى الميثولوجيا الاغريقية وحارس الخورس (الكورس) والدراما . وهو عند الرومان يدعى " باكوس בקחוס "
انظر : לקסיקון לועזי-עברי חדש, עמ' 104.

٣) אנציקלופדיה מקראית, ערך נבואה, עמ' 724.

ويرى علم النفس الحديث أن هذا النوع من السلوك ليس إلا اضطرابات سلوكية أو أمراض نفسية ، ويستخدم هذا السلوك دليلاً على أن الاضطرابات السلوكية والسلوك الشاذ ليس وليد العصر الحديث بحضارته المعقدة ، وإنما توجد كثير من الأدلة التاريخية على معاناة البشرية من الأمراض النفسية والعقلية منذ العصور الأولى للتاريخ ، غير أن نظرة الناس إلى هذه الأمراض وتفسيرهم لها ، وطرق علاجهم للمصابين بها قد تناولها كثير من التغير على مر العصور، ففى العصور الأولى من تاريخ البشرية كان الناس يفسرون الأمراض النفسية والعقلية على أساس وجود أرواح شريرة تدخل جسم الانسان وتسبب اضطراب وظائفه النفسية والعقلية.(١) هذا ويؤكد علم النفس أيضاً أن المدنيات العبرية والإغريقية القديمه لم تشهد إلا القليل من التقدم الملحوظ فى تصور الإنسان عن السلوك الشاذ . فالعهد القديم يتضمن عدة اشارات إلى أنواع السلوك التى نرى فيها اليوم أمارات على اختلال الشخصية ، والتى كان ينظر إليها عندئذ على أنها تأثير صوفى غامض ، من ذلك أن " شاؤل " كان يعانى من الاكتئاب ، والاندفاعات الانتحارية ، وهى اضطرابات كان يظن أنها تتسبب عن أرواح شريرة يرسلها الله ، كذلك يتضمن سفر اللاويين تلك العبارة المفزعة : " والشخص - رجلاً كان أو امرأة - الذى تحل فيه روح مألوفة ، أو الذى يكون ساحرا ، انما جزاؤه الموت " וְאִישׁ אוֹ־אִשָּׁה כִּי־יִהְיֶה בָהֶם אוֹב אוֹ יִדְּעֹנִי מוֹת יוּמָתוּ׃ (٢) . وهذه العبارة تعكس بداية التطير والخوف الذى كان يحيط بالمريض العقلى فى أيام المقرا ، كما أنها تزودنا بالسبب الذى من أجله كانت تحرق الساحرات فى العصور الوسطى كما كان يظن أن للصرع معانى صوفية طيبة ، كما كان يشار اليه " بالمرض المقدس " ، بل انه ظل عدة مئات من السنين يعد أمارة على أن الله قد اختص الفرد برحمة لم يجعلها لغيره ، وفى سنة ٤٠٠ ق.م تقريبا قام " ابقراط Hippocates " أبو الطب بتحدى هذا الخليط من التطير والخلط حين كتب عن

---

١) شيلدون كاشدان : علم النفس الشواذ . ترجمة د. أحمد عبد العزيز سلامة . مراجعة د. محمد عثمان نجاتى . بيروت . دار الشروق . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ . ص ١٣

٢) اللاويين ٢٠ : ٢٧

الصرع يقول " وهكذا يبدو لى أنه ليس أكثر قداسة أو أكثر ألوهية من سائر الأمراض الأخرى وأن له سبباً طبيعياً ينشأ عنه ، شأنه فى ذلك شأن سائر العلل[١]. وفى عبادة " أبولو Apollon "[٢] تأخذ الاكستازا صوراً أكثر هدوءاً حيث تؤدى الأبخرة والسموم المسكرة إلى الاكستازا الجماعية ، وهى غير مرتبطة بالعربدة الجنسية الجماعية ، وفى الحقيقة ان هذه الظاهرة تختلف سواء عند الكنعانيين أو الأغريق القدامى ، عن ظاهرة الشطح عند الصوفية المسلمين ، فالشطح " كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه ، مقرون بالدعوى ، وهو عبارة مستغربة فى وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته " فالشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة فى حضرة الألوهية[٣].

---

١) شيلدون كاشدان : علم نفس الشواذ . ص ٢٨ - ٢٩

٢) أبولو Apollon : هو إله الشمس والموسيقى والشعر والنبوة والطب عند الاغريق . انظر: לקסיקון לועזי-עברי חדש ,עמ' 47.

٣) د. عبد الرحمن بدوى " شطحات الصوفية " . ج ١ . وكالة المطبوعات. الكويت سنة ١٩٧٨. ص ٩ ، ١٠. ويذكر د. عبد الرحمن بدوى أيضاً ان هناك عناصر ضرورية لوجود ظاهرة الشطح ، وهى : أولاً : شدة الوجد ، وثانياً : أن تكون التجربة تجربة إتحاد ؛ وثالثاً : أن يكون الصوفى فى حال سُكر ؛ ورابعاً : أن يسمع فى داخل نفسه هاتفياً إلهياً يدعوه إلى الإتحاد . فيستبدل دوره بدوره ؛ وخامساً : أن يتم هذا كله والصوفى فى حال من عدم الشعور ، فينطق مترجماً عما طاف به متخذاً صيغة المتكلم وكأن الحق هو الذى ينطق بلسانه . أما الشطحة نفسها فتمتاز بعدة خصائص . منها أنها بصيغة ضمير المتكلم . وإن كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار وأنها تبدو غريبة فى ظاهرها ، لكنها صحيحة فى باطنها . أو على حد تعبير " السراج " "ظاهرها مستشنع، وباطنها صحيح مستقيم " . ومن هنا تظهر بمظهر الدعوى العريضة الكاذبة . ويهمنا فى بيان هذه العناصر بالتفصيل " شدة الوجد ، وحال السكر " . أما شدة الوجد فلأن الاتحاد يقع أول مايقع - بعد وجد عنيف . ولهذا كانت حال الشطح تمتاز بالاضطراب، والحركة ، والانفعال الجامح . و " السراج " يرد كلمة " الشطح " من الناحية اللغوية إلى معنى الحركة فيقول " إن الشطح فى لغة العرب هو الحركة ، يقال شطح يشطح : إذا تحرك ... فالشطح لفظة مأخوذة من الحركة ، لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوى وجدهم فعبروا عن وجدهم هذا بعبارة يستغرب سامعها " . والسر فى هذا الاضطراب أن الانفعال يغلب على الوجدان ==

أما الباحثون الذين بحثوا فى ظاهرة الاكستازا النبوية فقد أرادوا تشبيهها مع الاكستازا الديونيسوسية التى تتميز بالالتهاب الجنونى ، وقد اعتمد هؤلاء . على شواهد بعينها أدت إلى تأكيدهم على وجود هذه الاكستازا النبوية ، وهذه الشواهد فى رأيهم موجودة فى أسفار العدد (١١ : ٢٥ - ٣٠) ؛ وصموئيل الأول (١٠ : ٥ - ٦ ؛ ١٠ - ١٢ ؛ ١٩ : ٢٠ - ٢٤) والملوك الأول (٢٢ : ١١ - ١٢) والملوك الثانى (٣ : ١٥) وزكريا (١٣ : ٦)[1].

هذا ويحدد " هشل הֶגְשֶׁל " الفروق الجوهرية التى تفصل بين ظاهرة الاكستازا وطابع النبوة ، فيقول (أولاً) : الاكستازا النبوية كانت جزء من عبادة وثنية تخللها السُكر والعربدة الجنسية ، وقد حارب الأنبياء هذه الطقوس الوثنية كما جاء فى أسفار أشعيا (٢٨ : ٧ ؛ ٥ : ١١ ، ٢٢) وهوشع (٤ : ١١) والأمثال (٢٠ : ١ ؛ ٢٣ : ٣٣) ويوئيل (٤ : ٣) . (ثانياً) : فى الاكستازا يجتهد الإنسان من أجل الامتزاج مع الله فى كيان واحد ، وكما يسعى المتصوفون الكبار إلى الوحدة مع الله من خلال التغلب على الموانع العادية التى بين الفرد والمطلق، والحقيقة التى تلزم الناقد بالتوقف والتعمق أكثر فى هذه الظاهرة ، هى أن الكلاسيكيين من الصوفية ليس لديهم كما يقولون لا وطن ولا تاريخ ميلاد ، فهم يتحدثون دائماً عن اتحاد الإنسان مع الله وأن لغتهم تسبق كل الألسنة ، وأن الزمن ليس له سلطان عليهم ، ويقول " هشل " أن امتزاج كهذا لم يعرفه إنسان العهد

=) فلايقوى على احتماله . فيضطرب ويهتز ويتحرك بعنف . على أن الصوفية قد ميّزوا مع ذلك بين نوعين من الواجدين : الواجد الساكن والواجد المتحرك ، وحاولوا المفاضلة بينهما فقالوا" إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والانزعاج ، أما حال السُكر فهى حال يؤكدها الآخذون بمذهب الشطح والمنكرون له ، وخلاصة رأيهما أن السكر انما يقصد به هنا انتشاء الروح بمكاشفة الحق لها بسره وبأنه هو هى وهى هو ، فتطرب أشد الطرب لاكتشاف هذه الحقيقة : فسكرها إذاً شدة غبطتها بمعرفة سر وجودها . وهو أن وجودها هو وجود الله أو أنها هى الله . أو أنه ليس ثَمَّ إلا الله - وفقاً لاختلاف أنواع الإتحاد . وإذاً فلا مدخل فى هذا السُكر للهذيان أو الوساوس الشيطانية أو الهلوسة والتخليط ومايلابس السكر الجسمانى .
راجع د. عبد الرحمن بدوى . ص ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨

١) אנציקלופדיה מקראית , ערך נבואה ,עמ' 725.

القديم فهو يتوق إلى التقرب من الله ، لكنه لاينسى أبداً أن كيان وقدسية الله فريدة فى النوع وأن هناك هاوية بين الإنسان والله ، فالله يوصف بأنه " قدوس قدوس قدوس رب الجنود קָדוֹשׁ קָדוֹשׁ קָדוֹשׁ יְהוָה צְבָאוֹת "(١). وفى المقابل يوصف الإنسان بانه " تراب ورماد - עָפָר וָאֵפֶר "(٢)، فالإنسان " أشبه بالنفخة ، وأيامه كظل عابر אַךְ הֶבֶל כָּל אָדָם נִצָּב סֶלָה "(٣). والقول المراد أن الله هو إله ... وليس بإنسان " וְלֹא אִישׁ בְּקִרְבְּךָ קָדוֹשׁ - لا إنسان القدوس فى وسطك "(٤)، وأن الإنسان "בָּשָׂר וְלֹא-רוּחַ - جسد لاروح "(٥) وكذلك لأن الإنسان لايستطيع رؤية الله :לֹא יִרְאַנִי הָאָדָם וָחָי "(٦)، وحتى رؤيته للملاك فيها خطر(٧)، وعندما تجلى الله لموسى من داخل العليقة النارية ، حذره الله قائلاً :"אַל תִּקְרַב... וַיַּסְתֵּר מֹשֶׁה פָּנָיו כִּי יָרֵא מֵהַבִּיט - אֶל-הָאֱלֹהִים . لاتقترب إلى ههنا ... فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله "(٨). وعندما غلبت الرؤية على أشعيا فرأى الله فى الدخان الخارج من الجدار ، رأى فى ذلك تجاوزاً منه فوقف مذهولاً خائفاً وقال "אֲרִי-לִי כִּי נִדְמֵיתִי כִּי אִישׁ טְמֵא-שְׂפָתַיִם אָנֹכִי וּבְתוֹךְ עַם-טְמֵא שְׂפָתַיִם אָנֹכִי יוֹשֵׁב. כִּי אֶת-הַמֶּלֶךְ יְהוָה צְבָאוֹת רָאוּ עֵינָי ". ويل لى أنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود"(٩).

(ثالثاً) : أن ظاهرة الاكستازا تتطلب إلغاء الشخصية ، فمن أجل أن يصل الإنسان إلى البهجة الروحية الكاملة عليه أن يفقد هويته بأقصى انفعال وحماس له ، بينما النبى المقرائى لاتلغى شخصيته ، فعمله النبوى هو بمثابة حوار شخصى حقيقى مع إله حى ، ولذلك فشخصية النبى حاضرة بكامل كيانها ويقظة قواها

---

١) أشعيا ٦ : ٣
٢) التكوين ١٨ : ٢٧
٣) المزامير ١٤٤ : ٤
٤) هوشع ١١ : ٩
٥) أشعيا ٣١ : ٣
٦) الخروج ٣٣ : ٢٠
٧) راجع (القضاة : ٦ : ٢٢)
٨) الخروج ٣ : ٥ - ٦
٩) أشعيا ٥ : ٦

النفسية تجاه ماتنجزه ، فالنبى لايستقبل فقط ، هو أيضا يُرسل ، مع الادراك الكامل للزمن ، ولأحداث الماضى والحاضر . فهناك شخصيتان ، شخصية "الله" أمام شخصية "النبى" فالله بقوة مشاعره ، والنبى بوقوعه داخل العملية التاريخية وادراكه أنه صاحب رسالة إلى الشعب ، ولذلك فإن هويته الشخصية لاتلغى فى رؤياه ، بل على العكس يتم التعبير عنها فى تحمل ضغط العمل النبوى الحاسم ، ولكن إذا حل عليه العمل النبوى فجأة فإنه يظل متحرراً فى تأمله ومتحرراً فى رد فعله ، فلحظات الوحى تحل على النبى فجأة بدون أى مجهود منه أو استعداد أو تحفز ، ففجأة يستدعى لسماع الصوت ، فالنبوة هدف ، وهى تأتى كإ حسان وفضل يسبغه الله تعالى على النبى .

(رابعاً) : وتأكيداً للعامل السابق يذكر " هشل " أن الاكستازى لكى يحظى بالالهام ، عليه أن يخرج عن وعيه وادراكه ، أى إلغاء كل المفاهيم الدينية والدنيوية معاً فى حالة من " اللاشعور "[١] ، حيث يؤدى ذلك إلى تفريغ الروح من أى اهتمام إنسانى أو اجتماعى ، كل هذا يؤدى إلى حالة تلغى فيها تماما الهوية الشخصية[٢] . على عكس الوحى النبوى فينزل على مركز الادراك نفسه ، ووفقاً للفكر الدينى الإسرائيلى فان قداسة الله هى عكس تام لصوفية الإنسان ، ولذلك لايحتمل أى مزج صوفى للنبى ولله فى وحدة واحدة ، فالنبى الإسرائيلى لم يعرف إلغاء الادراك

---

١) اللاشعور : Unconscious : مصطلح فى التحليل النفسى يشير إلى عمليات نفسية يفترض وجودها فى الوقت الذى لايعترف فيه الفرد بها إعترافاً واضحاً . ومن الخطأ استخدام عبارة " العقل الباطن " كما جرى على ذلك كتاب الجماهير فى اللغة العربية ... " واللاشعور " كما يصوره فرويد وأصحاب التحليل النفسى عادة لا يستقبل شيئاً ، بل يصدر ماترسب فيه من خبرات على رموز تشير إلى المكبوتات المعتملة فيه ، ولكن هناك لاشعور إلهامى ، وهو نوع آخر من اللاشعور يتصف بصفة أخرى غير الصفة التى يتسم بها اللاشعور المرضى فاللاشعور الالهامى يتصف أساساً بالصفة الاستقبالية الإلهامية . فثمة إذن نوعان من الغطس إلى دخيلة المرء : غوص انسحابى انسحابية تامة حيث يكون الشخص منقطعاً تمام الانقطاع ومنسلخاً تمام الانسلاخ عن العالم المحيط به ، وغوص إلى الداخل حيث يكون المرء على جانب أكبر من القدرة على مشاهدة الحقائق جلية وواضحة . انظر :د. إسحق رمزى : علم النفس الفردى . أصوله وتطبيقه . دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٨١ . ص ٥١٧ .
وانظر : قاموس علم الاجتماع . ص ٤٩٣
وانظر أيضاً : يوسف ميخائيل سعد : " سيكلوجية الإلهام " دار غريب للطباعة القاهرة سنة ١٩٨٣ . ص ٤٧ - ٤٨

٢) השקפת העולם של התנ"ך ,עמ' 218-219 .

خلال هبوط الروح إلى أعماق الالوهية ، وهو يرى أنه من المستحيل إقامة جسر فوق هذه الأعماق ، وأن قيمة محاولته ليست فى حدث النبوة ، بل فى كلمة الله التى تصل إليه خلال هذا الحدث ، إذاً فشجاعة وقوة مشاعر النبى لاتستنزف قواه العقلية لأن الطابع العقلى للتجربة النبوية ينعكس أساساً فى الطابع العقلى الادراكى لكلمات النبى ، ومن ثمّ فإن كلمة النبى ليست كلعثمة صاحب الاكستازا ، بل " كالنار " و" كالمطرقه " التى تحطم الصخر .

(خامساً) : يرى " هشل " أن أسلوب الاكستازا يعتمد على اخفاء الأمور ، فهى لاتبلغ أى شىء جديد عن الكيان الإلهى وعن أوصافه ، ومساهماتها تأتى فى نطاق التجربة السلبية ، لا فى نطاق الإدراك والفهم الموضوعى ، إذاً فالعملية الاكستازية هى تجسيد لذاتها ، فى حين أن النبوة موجهة إلى ماوراء ذاتها ، فاستقبال كلمة الله على يد النبى يجب أن تقوده إلى تبليغ هذه الكلمة إلى الشعب ، لأن دور النبى هو دور الوسيط ، والوحى النبوى ليس إلا مرحلة فى عملية واسعة ، وهو جزء من دراما بدايتها الإجابة الإلهية عن حياة الشعب ، التى هى بمثابة قرار إلهى يفتقر إلى التوضيح ، ونهايتها جهود النبى لنقل الأمر الإلهى إلى الشعب ثم مواجهة رد فعل الشعب على هذا الأمر . ويضيف " هشل " أن صاحب الاكستازا يسعى لادراك حقيقة ماوراء حواجز الزمن للوصول إلى العالم السماوى ، بينما النبى لايهتم بما يحدث فى السماء ، بل بما يتم فى سوق المدينة ، فاهتمامه موجه إلى الشئون الاجتماعيه والسياسية . ولذلك فإن الحقيقة الحاسمة عند النبى ، ليست فى أنه يسمع ويتلقى الوحى ، بل فى ان الله يتصل به ، فليس النبى فقط الذى يعتوره شعور داخلى ، فالرب أيضاً يهيمن ويتصل بالأنبياء ... ويختم " هشل " رأيه بقوله : ليس النبى هو الذى يخرج من عالمه ، بل الله هو الذى يخرج ويرسل الأنبياء ، ويستشهد بما جاء فى سفرى عاموس والتكوين : כִּי לֹא יַעֲשֶׂה אֲדֹנָי יְהוִה דָּבָר כִּי אִם־גָּלָה סוֹדוֹ אֶל־עֲבָדָיו הַנְּבִיאִים (١) - أن السيد الرب لايصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء"

---

١) عاموس ٣ : ٧

وفى سفر التكوين : וַיהוָה אָמַר הַמְכַסֶּה אֲנִי מֵאַבְרָהָם אֲשֶׁר אֲנִי עֹשֶׂה[١]

" قال الرب أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله " .

هذا بينما يرى " قوفمان " أن البعد البارز للتنبؤ الوثنى على أنواعه ، يبدو كأنه نابع من مصدر قوة غيبية خاصة ، أى من خاصية نفسية أو من إحساس نبوى طبيعى أو مكتسب ، من مادة متنبأ ، ومن روح متنبأ ، وهى فيض روح نبى أو رب نبى ، بينما النبوة الإسرائيلية ليست كذلك ، فهى ليست نابعة من مصدر قوة غيبية خاصة ، سواء كانت إنسانية أو إلهية . وليس هذا فقط ، بل هى أيضاً ليست نابعة من مصدر روح نبوية خاصة ، وبالإضافة إلى ذلك لاتعتبر الروح عموماً المصدر الأول للنبوة ، بل ان النبى الإسرائيلى يعلن إرادة الرب وكلمته ، وهذا هو أسلوب النبوة الإسرائيلية ، فمن سفر الملوك نعرف أن الروح لاتحتل مكاناً بارزاً فى النبوة الشعبية فى هذه الفترة ، وأن عملية الروح احتلت مكاناً صغيراً فقط ، وهذا الأمر فى حد ذاته يعبر عن عمق طابع النبوة الإسرائيلية ، ففى أغلب قصص أنبياء عصر الملوك لم يتم ذكر روح كلية ، فالأنبياء يعملون بقوة " كلمة الرب " التى تنزل عليهم ، أى أن جوهر النبوة الحقيقية هو كشف كلمة الرب ، وليس ثمرة " روح نبوة " ، فالرب يكشف كلمته للنبى بدون وسيط أو ملك وسيط[٢] ، ولذلك يعتبر الحديث الإلهى بداية النبوة ، والروح لاتقوم فيها إلا بأدوار ثانوية ... ويزعم " قوفمان " أن النبوة الشعبية فى فترة الملوك مع كل ماهيتها الغيبية والتكهنية لم تتجسد فيها ظواهر الاكستازا الديونيسوسية أو الدلفية ،

---

١) التكوين ١٨ : ١٧
انظر أيضاً : השקפת העולם של התנ"ך . עמ' 221

٢) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ٢٢ ؛ ١٣ : ٢ ومابعدها ، ١٤ : ٥ ؛ ١٦ : ١ ؛ ١٧ : ١ ومابعدها ؛ ١٨ : ١ ؛ ١٩ : ١٩ - ١٨ ؛ ٢٠ : ٣٠ و ٢٨ و ٣٥ ؛ ٢١ : ١٧ ؛ وبواسطة ملك : الملوك الأول ١٣ : ١٨ ، ١٩ : ٥ و ٧ ، والملوك الثانى ١ : ٣ و ١٥).

أو حتى ظاهرة التنبؤ نتيجة " المسّ الشيطانى דִּבּוּק "[١]، تلك الظواهر التى تعمل خلال إلغاء الذات والكيان ، وتسيطر عليها روح تنزل بالمتنبأ إلى الدرك الأسفل المظلم من المشاعر النفسية مع سكر نفسى روحانى ، أما النبى الإسرائيلى فهو يكشف " كلمة الرب " التى أسبغها الله عليه برحمته الواسعة ، وهو فى زروة عمله النبوى لايقع تحت تأثير نشوى الروح ، بل يكون ممتلأبالمشاعر القوية السامية ، لأنه موكل بحفظ " الكلمة " ، " الوصية " وبمعنى آخر " توراة الرب " فعمله مرتبط فى جوهره ليس فقط بحالة جسدية معينة بل أيضاً بفكرة ، وبعقيدة دينية أخلاقية ، ولهذا السبب يرى " قوفمان " أن النبى الإسرائيلى هو فى كل العصور ، قبل أن يكون رسول إلهى ، فهو واعظ ومناضل اجتماعى[٢].

---

١) قارن قوله تعالى فى سورة البقرة : الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَايَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ، فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَاسَلَفَ ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (البقرة/٢٧٥) . وذلك لأنه كان من مزاعم العرب فى الجاهلية ، أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه ، وأن الجنّى يمسه فيختلط عقله ، فلذلك يقال جُن الرجل ، فصوّر الله حال المتعاملين بالربا حينما يبعثون يوم القيامة ، بصورة بشعة يعرفونها فى الدنيا ، وتتمثلها عقولهم مقيتة مخيفة - تلك الصورة هى أن الذين يتعاملون بالربا أخذاً أو إعطاء أو شهادة ، لايقومون من قبورهم يوم البعث ، إلا فى حال من الصرع والفزع ، يقومون فيسقطون ، وينهضون فيقعون ، ويهمسون ويصرخون ، ويضحكون ويبكون ، كمثل شخص يخبطه الشيطان فى كل جزء من جسمه ، فيصيبه بمس وصرع ، وهذيان وجنون ، فيتحرك فى غير إتزان أو استواء .. وقد جعل الله تلك الحال للمُربّين يوم القيامة ، لا لاختلال عقولهم ، أو لخبل أصابهم ، ولكنها سيمى لهم يعرفون بها بين أهل الحشر يوم القيامة تحقيراً لهم ، وسخرية بهم .

انظر : محمود محمد حمزه - حسن علوان - محمد أحمد برانق : تفسير القرآن الكريم . ج ٣ . دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٣ . ص ٤٤ .

وقارن (صموئيل ١٦ : ١٤ - ٢٣) . حيث مست الروح الشريرة شاوُل .

٢) תולדות האמונה הישראלית . פרק שני . עמ' 244_246

والعهد القديم صوّر مثله النبوى الأعلى بصورة خاصة فى حكايات "موسى" ، فموسى يعتبر نبياً " حقيقياً " وليس مجرد رائياً ، وهو سيد الأنبياء ، تحل عليه " الروح " فيوصلها إلى "الشيوخ" وإلى "يشوع" ، ولكن منزلته النبوية لاترجع إلى هبة الروح ، بل إلى سماع " كلمة الرب " التى تصل إليه بدون أى وسيط أو عامل مساعد من التنبؤ الاكستازى ، وبدون أى غموض نبوى معتاد ، فالرب يكلم "موسى" " وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه : פָּנִים אֶל פָּנִים כַּאֲשֶׁר יְדַבֵּר אִישׁ אֶל־רֵעֵהוּ "(١)..... ، وبدون قناع "יָסִיר אֶת הַמַּסְוֶה" ينزل البرقع "(٢)، فالرب (يهوه) ينزل فى السحاب إلى باب خيمة الاجتماع ويتحدث إلى "موسى" أمام كل الشعب(٣)، و"موسى" يسمع لقول الرب يتحدث إليه من بين الكروبين اللذين على التابوت(٤)، ومرة أخرى يناديه الرب ويتحدث إليه من خيمة الاجتماع(٥). وفى جميع هذه التجليات التى تتجسد فيها كلمة الرب لـ"موسى" ، لاتقوم روح القدس بأية وظيفة ، ولذلك فـ"موسى" ليس اكستازياً(٥).

علامة أخرى للنبوة المثالية يشير إليها " قوفمان " ، وهى قصة الوقوف فوق جبل سيناء ، ففى وضح النهار ، وبدون أى تأهيل اكستازى ، وبدون أى وسيط للتنبؤ بالروح ، تجلى الرب للشعب كله ، فى النار ، وفى الضباب ، ثم تحدث اليهم من فوق الجبل(٦). أو من السماء(٧)، والشعب خاف من النار ، ولكن النبى اقترب من " السحاب " ليسمع كلمة الرب(٨).

ووفقاً للمصدر التثنوى (سفر التثنية) لم تأت النبوة إلا لتحل محل تجلى الرب للشعب كله ، وأن نشوء النبوة الإسرائيلية كان نتيجة لطلب الشعب فى جبل

---

١) الخروج ٣٣ : ١١ وقارن التثنية ٣٤
٢) الخروج ٣٤ : ٣٤
٣) راجع (العدد ٣٣ : ٩ - ١١)
٤) راجع (العدد ٢٥ : ١٢ ، والعدد ٧ : ٨٩).
٥) תולדות האמונה הישראלית . כרך ראשון . עמ' 525
٦) قارن (الخروج ١٩ : ٢٠ ، والتثنية ٤ : ٥)
٧) قارن (الخروج ٢٠ : ٢٢ ، والتثنية ٤ : ٣٦)
٨) راجع (الخروج ٢٠ : ١٨ - ٢١)

سيناء بأن ترسل له كلمة الرب بواسطة نبى[١]... إذاً فالحديث الإلهى المباشر فوق جبل سيناء أصبح شعار الفكرة المثالية لجوهر النبوة ، حيث تجلت كلمة الرب بدون تنبؤ، وبدون حديث الروح إلى النبى ، وهناك علامة أخرى لتجلى كلمة الرب ، تمثلت فى لوحى الشهادة . لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله - נְשֵׁנֵי לֻחֹת-הָעֵדֻת לֻחֹת אֶבֶן כְּתֻבִים בְּאֶצְבַּע אֱלֹהִים [٢].

وفى هذه القصص - قصص التجليات - لايشغل التنبؤ أو الروح أى حيز ،فالشعب كله سمع الوصايا العشر ،حيث سمع موسى الكلمات من بين السحاب ، ثم قام بتبليغها إلى الشعب وتدوينها[٣].. ، وفى هذه التجليات يقوم النبى وفقاً للفكرة المثالية للنبوة ، بدور سلبى فقط ، فهو يسمع فقط مايقال له ، وإذا رأى رؤى وألغاز فإنه يقوم بتوضيح وحل ما أعطى له ، فهو لايصبح نبياً بفضل قوة رؤيته أو فهمه للغموض ، أو بقوة " تنبؤه " لكشف هذا الغموض بواسطة روح تمسه ، بل بفضل الكلام الذى سمعه من الرب ، ولذلك يعتبر هذا الكلام هو المصدر الأول والحقيقى للنبوة[٤].

وبنظرة فاحصة وموضوعية إلى أسفار العهد القديم يتضح لنا أن النبوة الإسرائيلية اندمجت كالتنبؤ الوثنى - بظواهر نفسية غير سوية ، تتعلق بجهد القوى النفسية الخاصة ، حيث كان بمقدورها رؤية الأحلام ورؤى النهار، ورؤى خلال حالة اكستازية وهوى جنونى (غيبى) بالمفهوم الافلاطونى ، وخلال أعراض جسمانية معينة ، إذاً فقد كان فى إسرائيل فى زمن معروف تنبؤ جماعى اكستازى ، حيث نجد سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل واقفين حول الخيمة فى اللحظة التى يتحدث فيها الله مع موسى ، فتحل عليهم " الروح " فيتنبأون معاً[٥]... ، وفى عصر صموئيل كان فى إسرائيل حركة من الاكستازا الجماعية ، ففى " جبعة גבעה "

---

١) راجع (التثنية ١٨ : ١٥ - ١٨)
٢) الخروج ٣١ : ١٨
٣) راجع (الخروج ٣٤ : ٣ - ٤)
٤) תולדות האמונה הישראלית . פרק ראשון . עמ' 525
٥) راجع (العدد ١١ : ١٦ - ٢٩)

تنبأ " زمرة أنبياء - חבל נביאים" وأمامهم رباب ودف وناى وعود[١].. والحركة تنبض ويلتقى بهم شاؤل ، وتحل عليه أيضا روح الله ، فيتنبأ معهم[٢]. كذلك فى " الرامة הָרָמָה " كانت هناك " فرقة أنبياء לַהֲקַת נְבִיאִים "،وصموئيل يترأسهم ، ثم ينضم إليهم رسل شاؤل القادمين للرامة ، ويتنبأون معاً ، وبعد ذلك انضم إليهم شاؤل ، وخلع ثيابه ، وانطرح عرياناً وتنبأ[٣].

إذاً هذه الحركات تعتبر حركات اكستازية جماعية نموذجية ، حيث كانت تحل الروح على المتنبأين بتأثير من ألحان أدوات الطرب فينبض التنبؤ داخلهم فيخلعون ثيابهم ، وينطرحون خلال حماس وانفعال كان يطلق عليه "الجنون المقدس ... وبالإضافة

---

١) ويذكر "م.ص. سيجال " أنه ليس هناك من شك فى أن تلك الآلات الموسيقية كانت لمصاحبة الترنم والأناشيد والأشعار ، وأن هذه الأشعار كانت من الشعر المقدس الذى بدأ الأنبياء فى ترتيله فوق المرتفعة نفسها ، وقبل هبوطهم منها ، ولم يوصف هذا العمل فى تلك القصة كما لوكان أمراً مستحدثاً لذلك اليوم المعلوم ، وإنما المستحدث فى القصة هو أن شاؤل عندما التقى بهذه الزمرة من الأنبياء تأثر بهم ، وتنبأ مثلهم ، ومن مشاركة شاؤل هذه للأنبياء جاء المثل السائر " أشاؤل أيضا بين الأنبياء " (صموئيل الأول ١٠ : ١٢) . وقد تواتر أن مافعلته زمرة الأنبياء هذه فوق المرتفعة على أيام صموئيل ، فعله أبناء الأنبياء أيضاً فى " بيت إيل " و" الجلجال" و " أريحا " ، و " السامرة " ، وسائر المعابد فى أيام إلياهو واليشع ، وفى الأجيال الأخيرة من عهد الهيكل الأول ... وكذلك نجد أن " مريم " وهى تتزعم جوقة النساء فى أنشودة البحر بمصاحبة الدفوف والرقص سميت نبية (راجع الخروج ١٥ : ٢٠ - ٢١) لأنها فى عملها هذا كانت تقوم بما يقوم به الأنبياء ، فهى إذن قد تنبأت ، ومن هنا يتأكد لنا أن التغنى بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى والرقص كان من عمل الأنبياء ، ومن أجل هذا أيضاً أطلق فى سفر أخبار الأيام ، على اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد فى المعبد على آلات الموسيقى ، اسم " الأنبياء " كما دعى فعلهم هذا " عمل نبوة "

- قارن (أخبار الأيام الأول ٢٥ : ١ - ٦)

- انظر م.ص. سيجال . ص ٢٩ - ٣٠

٢) راجع (صموئيل الأول ١٠ : ٥ - ١٣)

٣) راجع (صموئيل الأول ١٩ : ١٩ - ٢٤)

إلى ذلك نجد فى خصائص النبوة الإسرائيلية على مر العصور ، علامات بارزة تدل على زروة العملية الاكستازية ، كما تتجلى أيضاً فى التنبؤ الوثنى ، حيث يخرج النبى من حالته العادية خلال توتر داخلى ، يغرقه فى درك البهجة الروحية الشديدة ، فتنشط روحه وبدنه فى انفعال شديد غير عادى ، ومن هذه العلامات " يديهوه יַד יְהוָה " حيث كان لها دور كبير فى العملية النبوية [١] ، وجلوس النبى وحيداً وهو ممتلىء غضباً [٢] ، وسقوطه على وجهه [٣] ، ومن نتائج هذه العملية الاكستازية إنها تؤدى بالنبى إلى البكم والخرس [٤] ، وخوف وسبات يحلان عليه [٥] ، ويتغير مظهر وجهه ، وتهاجمه الآلام ، ثم تخور قوته ولايبق فيه نفس [٦] ، وصوت الضوضاء الداخلية يصم أذنيه [٧] ، ويشعر بنفسه محمولاً بالروح ، وينتقل من مكان إلى مكان [٨] . وبعد هذه النوبة الاكستازية يبهت ويمرض [٩] .

مما تقدم نلاحظ أن النبى الإسرائيلى هو شكل أكثر تطوراً للمتنبأ الوثنى ، فالنبوة الإسرائيلية عامة لم تخلق وجودها من لا شىء ، بل من مادة وثنية قديمة ، ثم خلقها فى شكل جديد بقوة المفهوم الإسرائيلى ، تلك المادة التى كانت متأصلة بشكل ماعند الآشوريين والكلدانيين والكنعانيين .

---

١) قارن (الملوك الأول ١٨ : ٤٦ ؛ والملوك الثانى ٣ : ١٥ ؛ وأشعيا ٨ : ١١ ؛ وأرميا ١٥ : ١٧ ؛ وحزقيال ١ : ٣ و ١٤ و ٢٢ ؛ ٨ : ١ ؛ ٣٣ : ٢٢ ؛ ٣٧ : ١ ؛ ٤٠ : ١) .

٢) راجع (أرميا ١٥ : ١٧)

٣) قارن (العدد ٢٢ : ٤ و ١٦ ؛ وحزقيال ١ : ٢٨ ؛ ٣ : ٢٣ ؛ ٩ : ٨ ؛ ١١ : ١٣ ؛ ٤٣ : ٣ ؛ ٤٤ : ٤ ؛ ودنيال ٨ : ١٧ - ١٨ ؛ ١٠ : ٩)

٤) قارن (حزقيال ٣ : ٢٦ - ٢٧ ؛ ٢٤ : ٢٧ ؛ ٣٣ : ٢٢ ؛ ودنيال ١٠ : ١٥)

٥) قارن (دنيال ٨ : ١٧ - ١٨ ؛ ١٠ : ٧ و ٩ ؛ والتكوين ١٥ : ١٢)

٦) راجع (دانيال ١٠ : ٨ ؛ ١٦ : ١٧)

٧) قارن (حزقيال ١ : ٢٤ - ٢٥ ؛ ٩ : ١٠ ؛ ١٠ : ٥ ؛ ودنيال ١٠ : ٦)

٨) راجع (حزقيال ٣ : ١٢ و ١٤ ؛ ٨ : ٣ ؛ ١١ : ١ و ٢٤ ؛ ٣٧ : ١ ، ٤٣ : ٥)

٩) راجع (دنيال ٨ : ٢٧)

وبعد استعراضنا لمفهوم الاكستازا فى أبحاث المقرا نجد أن باحثين مثل " هلشر גוסטוב הילשר " " والبرايت ג.פ. אולבריט " يرون أن النبوة ظاهرة شاذة اجتماعياً ونفسانياً ، جاءت إلى اسرائيل بتأثير البيئة الكنعانية ، وفى مقابلهم نجد باحثين مثل " ليندبلوم J.Lindblom " و " موبينكل מובינקל " قد قبلوا نظرية الاكستازا وتأثيرها فى النبوة الإسرائيلية ، لكن مع بعض التحفظات ، ولكن " بوبر בובר " و " قوفمان קויפמן " و" سيجل סגל " و " نهر נהר " قد شاركوا " هشل השל " فى رفضه النظرية الاكستازية رفضاً تاماً إلا ان " هشل " كما رأينا لم يكتف بالرفض السلبى ، بل أيضا تشجع وأعلن عن مفهوم جديد مقابل لها ، وخلاصته كما ذكرنا أن النبوة هى ظاهرة تعبر عن " المشاركة الوجدانية Sumpatheia " وأن "النبى" بمثابة " Homo Sympathetikos · شخص وجدانى متعاطف " يوجه نفسه بادراكه هو أمام الشفقة الإلهية وعالم المشاعر الإلهية خلال مجهود مستمر يُظهر فيه الإنسان حيويته ، بعكس "الاكستازى" فهو شخص غير مستقل بذاته بل تحركه وتدفعه قوى نفسية ليس له سيطرة عليها(١).

وظيفة النبى الإسرائيلى : المشرع التثنوى قدم لنا بعضاً من المؤسسات الرئيسية التى سادت المجتمع الإسرائيلى فى أرض كنعان ، مثل القضاة ، ورجال الشرطة ، والكهنة واللاويين ، ثم الملك(٢) ، وبعد ذلك يقدم لنا نموذجاً لزعيم من نوع آخر ، هو " النبى " ، بدون تقديم قانوناً نبوياً محدداً ، ولكنه يعرض لنا محاولة للتعريف بطريقة موضوعية للمؤسسة النبوية فى إسرائيل ، فيبدأ قانون هذه المؤسسة بالحظر الكامل لأرجاس الأمم غير الإسرائيلية :לֹא־יִמָּצֵא בְךָ מַעֲבִיר בִּנּוֹ־וּבִתּוֹ בָּאֵשׁ קֹסֵם קְסָמִים מְעוֹנֵן וּמְנַחֵשׁ וּמְכַשֵּׁף, וְחֹבֵר וְשֹׁאֵל אוֹב וְיִדְּעֹנִי וְדֹרֵשׁ אֶל־הַמֵּתִים" لايوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ولاعائف ولا متكهن ولا ساحر ولا يرقى رُقيه ولامن

---

١) תעודה :קובץ מחקרים של ביה"ס למדעי היהדות ע"ש חיים-רוזנברג.(ב).עיונים במקרא, ספר זברון ליהושע מאיר גרינץ, העורך :בנימין אופנהיימר, אוניברסיטת תל אביב, הוצאת הקיבוץ המאוחד תשמ"ב, עמ' 18-19.

٢) راجع (التثنية ١٦ : ١ ؛ ١٧ : ١٥ ؛ ١٨ : ٨)

يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى "[١]. وبدلاً من هذه الارجاس : נָבִיא- מִקִּרְבְּךָ מֵאַחֶיךָ כָּמֹנִי יָקִים לְךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֵלָיו תִּשְׁמָעוּן - نبياً من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون "[٢].

وقد ارتبط إزاحة الساحر وإحلال النبى مكانه ، بأمر الرب " תָּמִים תִּהְיֶה- עִם יְהוָה אֱלֹהֶיךָ - تكون كاملاً لدى الرب إلهك "[٣]. ويعلل المشرع التثنوى ضرورة وجود النبى حيث يذكر أن الشعب لايستطيع تحمل الوقوف أمام الرب وجهاً لوجه فوق جبل سيناء ، وهو يخشى سماع صوت الرب ورؤيته مباشرة ، لئلا يموته لذلك يجب أن يكون هناك نبيا وسيطاً بين الرب والشعب ، وواجب الشعب كله تنفيذ كلمة الرب التى حملها وبلّغها النبى[٤].

وهكذا أصبحت النبوة الإسرائيلية دائماً هى نقل رسالة عليا إلى جيل معين، وهى تتحدث إلى الحاضر باسم الخلود ، فتوبخ الشعب على خطاياه ، وتدعوه للتوبة وللحياة الحقة ، وأما كلمة الرب فهى مضمون النبوة ، التى يتم تبليغها للنبى فى لحظة فريدة فى نوعها، وهى لحظة تجلى الوحى ، وهى لحظة تحوّل فى الحياة ، فتجلى الوحى يهز النبى ويطهره ، ويثير فيه قوة خاصة ، قد تحدث وهو يتلقى مهمته على الفور (كما حدث مع أشعيا) ، وأحيانا يحاول التخلص منها فى البداية (موسى وأرميا) ، " فالوحى הִתְגַּלּוּת "Revelation إذاً هو كلام الله للبشر على لسان الأنبياء ، أو كشف الله لنفسه للأنبياء ، أى هو كشف أو رؤية : ففى الحالة الأولى يتم كشف الوحى للأنبياء بالكلمات ، وفى الحالة الثانية يكشف الله عن نفسه ، وعن الوحى بالرؤية ... ولذلك يقال إن مهمة النبى هى التبليغ والتعبير ، فالنبى يعيد صياغة الوحى ، أى المعانى الصرفة بأسلوبه ، وبطريقته وباستدلالاته الفطرية أو البيئية المكتسبة ، حسب

---

١) العدد ١٨ : ١٠ - ١١
٢) التثنية ١٨ : ١٥
٣) التثنية ١٨ : ١٣
٤) לפסיקון מקראי, עמ' 637.

فهم العامة[١]، وأحيانا يبلغ النبى كلمة الرب بأسلوب شعرى ، فالفكرة الشعرية من شأنها أن تؤثر على السامعين أكثر من الفكرة المجردة المصاغة بدقة ، وبناء على ذلك يتبين لنا السبب الذى جعل الأنبياء يدركون تعاليمهم ويعرضونها دائماً بلغة الأمثال أو الألغار[٢] ، وجعلهم يعبرون عن الحقائق الروحية بطريقة تجسيمية .

وفى الحقيقة كان هناك خوف من استمتاع المستمعين بكلمات النبوة كاستمتاعهم بالشعر ، ولكن يجب أن ندرك وجود عاملين يفصلان النبوة عن الشعر ، هما : (أولاً) كونها كلمة الرب ، (ثانياً) الهدف التعليمى لتغيير شخصية السامع ، فكلمة النبى ليست هدفاً فى حد ذاتها ، بل وسيلة لإثارة السامع ، لتنفيذ مايطلبه النبى ، لأن النبى نموذج سامى من المعلم ، والنبوة هى وسيلة هدفه التعليمى[٣].

أما طرفى مضمون النبوة فهما " العقاب والخلاص " . ففى النبوة يرتبط العفو بتوبة الشعب ، التى تؤدى إلى حياة جديدة ، ومن هنا فان نبوة الخلاص تظهر مدى حب النبى لشعبه . وهناك من يقترح التفرقة بين نبوة العقاب ونبوة الخلاص ، ولكنهما فى الحقيقة ليسا إلا طريقين مختلفين لتنفيذ الرسالة الواحدة ، كما جاء فى سفر أرميا:"לִנְתוֹשׁ וְלִנְתוֹץ וּלְהַאֲבִיד וְלַהֲרוֹס לִבְנוֹת וְלִנְטוֹעַ" - لتقلع وتهدم ، وتهلك وتنقض ، وتبنى وتغرس "[٤]. فنبوة العقاب جاءت لتمهيد الأرض للبناء الجديد ، ولذلك تأتى فى أعقابها نبوة الخلاص ، ولايوجد نبى يعاقب دون أن يخلص ، ولانبى يخلص بدون أن يعاقب ، والتأكيد على العقاب أو الخلاص ليس مصدره فقط " المزاج " الشخصى للنبى ، بل أيضاً موقف الشعب المعاصر له ، ولذلك يواجه النبى دائماً تياراً قوياً عنيفاً[٥].

---

١) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ص ٤٦ ، ٤٧

٢) לפסיקון מקראי, עמ' 637-638.

٣) צבי אדר, הערכים החינוכיים של התנ"ך, תל-אביב, תש"ד, עמ' 95-96.

٤) أرميا ١ : ١٠ .

٥) לפסיקון מקראי, עמ' 638 . وقارن (عاموس ٦ : ١ ؛ ٦ : ١٣ ؛ أرميا ٧ : ١٤ ؛ ميخا ٣ : ٩ - ١٢ ؛ أشعيا ٤٠ : ٢٧ ؛ حزقيال ٣٧ : ١١)

والواقع أنه كما ذكرنا من قبل أن النبى لم يكن فحسب - إن جاز هذا التعبير - فماً لله أمام الشعب ، بل كان أيضاً فماً للشعب أمام الله ، فهو الوسيط بين الخاص والعام وبين الله ، ويبدو أن الوظائف المنوطة بالنبى فى كافة العصور كانت الصلاة من أجل الأفراد والجماعات ، حيث كانوا يلجأون إلى النبى فى الضراء والبأساء ، ليقوم ضارعاً أمام الله حتى يأتى بالفرج(١).

ومن المعروف أن الأنبياء كانوا مرتبطين بالمعابد ، إذ كانوا يقيمون (٢) (٣) حولها ، وكان التجلى الإلهى يعتادهم داخل المعابد ، كما حدث لموسى ، ولصموئيل

---

١) وقد ورد فى حق "إبراهيم" " إنه نبى يصلى من أجلك فتحيا " (التكوين ٢٠ : ٧ وكذلك ١٧) ، وقد تضرع "إبراهيم" مراراً إلى الله كى لايخسف سدوم (راجع التكوين ١٨ : ٢٣) ؛ ونجد على الخصوص "موسى" يكثر صلاته إلى الله من أجل "آخرين" ، فمثلاً : من أجل "فرعون" و"المصريين" (راجع الخروج ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ١٨) ومن أجل "بنى إسرائيل" فيما كانوا فيه من الضراء (راجع الخروج ١٤ : ١٥ ؛ ١٥ : ٢٥ ؛ ١٧ : ٤ ؛ ٣٢ : ١١ ، ٣١ ؛ التثنية ٩ : ١٨ ، ٢٦ ؛ العدد ١١ : ٢ ؛ ١٤ : ١٣ ؛ ١٦ : ٢٢ ؛ ٢١ : ١٧) ومن "أجل" أفراد" (راجع العدد ١٢ : ١٣ ؛ التثنية ٩ : ٢٠) وكذلك صلى "صموئيل النبى" من أجل "بنى إسرائيل" (راجع صموئيل الأول ٧ : ٥ ، ٨ ، ٩ ؛ ١٢ : ١٩ ؛ ٢٣ ؛ وقارن أرميا ١٥ : ١) ومن أجل "شاول" (راجع صموئيل الاول ١٥ : ١١) ، كما صلى أنبياء آخرون من أجل "الأمة" ، ومن أجل "بعض الأفراد" كصلاة " رجل الله " من سبط يهوذا من أجل "يربعام" (راجع الملوك الأول١٣: ٦) و"إلياهو" (راجع الملوك الأول ١٧ : ٢١) و"اليشع" (راجع الملوك الثانى ٤ : ٣٣ ؛ ٦ : ١٧ ، ١٨) ؛ و"عاموس" (راجع عاموس ٧ : ٢ ، ٥) ، و"أشعيا" (راجع أشعيا ٣٧ : ٤) ؛ و"أرميا" (راجع أرميا ٧ : ١٦ ؛ ١١ : ١٤ ١٤ : ١١ ؛ ١٥ : ١ ؛ ٣٧ : ٤ ؛ ٤٢ : ٢ ، ٢٠) و"أيوب" (راجع أيوب ٤٢: ٦) وغيرهم . وقد وصلتنا أمثلة مختلفة من كلام الأنبياء فى صلواتهم من أجل الأمه مثل (هوشع ٦ : ١ - ٣ ؛ ١٤ : ٣ - ٤ ؛ وميخا ٧ : ١٤ ومابعدها ؛ وأرميا ١٠ : ٢٣ - ٢٥ ؛ ١٤ : ٧ - ٩ ؛ ٩ - ٢٢ ، وأشعيا ٦٣ : ١٥ ؛ ٦٤:١١ ويوئيل ١ : ١٩ - ٢٠ ؛ ٢ : ١٧) وهى صلوات تليت للجمهور فى المعبد فى أيام الصوم والأعياد الدينية (قارن كذلك صموئيل الأول ٧ : ٦ ويوئيل ٢ : ١٥). انظر : م.ص. سيجال . ص ٢١ ، ٢٢

٢) راجع (الخروج ٢٥ : ٢٣ ؛ ٣٣ : ٩ - ١١ ؛ اللاويين ١ : ١)

٣) راجع (صموئيل الأول ٣)

وقد إعتاد الأنبياء إلقاء نبوءاتهم على الشعب فى المعبد(١). وقد سكن صموئيل مدينة فيها منسك ومذبح ، وكان يرتاد الأماكن التى فيها معابد(٢)، كما كان مجمع الأنبياء على عهده فى (نايوت בְּנָיוֹת " التىفى " الرامة הָרָמָה (٣) " وكان أحياناً يمارس النبوة فى " شيلوه שִׁלֹה "(٤)، وقد بقى هناك مكان مقدس حتى بعد خراب معبد شيلوه فى أيام صموئيل(٥).

والحقيقة أن اقامة الأنبياء فى الأماكن المقدسة أمرمفهوم من تلقاء ذاته ، فالمعبد كان مكان إلتقاء واجتماع للأمة فى أيام الأعياد وأوائل الشهور والسبت ، ومن الطبيعى أن يوجد الأنبياء ثمة لإجابة الوافدين والمستفسرين عما خبأ لهم الغيب ، بل يبدو أن صلة الأنبياء بالمعبد كانت أقوى من ذلك بكثير ، فهناك مايدعو إلى الاعتقاد بأن الأنبياء - وبخاصة مجامع أبناء الأنبياء - كانوا يشتركون فى شعائر المعبد ، ولم يكن ذلك فى أوقات موقوته فحسب،كأيام الصوم وطقوس الجماعة ، بل كذلك ، وبانتظام ، فى كل شعائر الله التى كان يؤديها الجمهور ... والحق أنه فى المعابد الرئيسية كان الكهنة يؤمون الشعائر ، ولكن كان عملهم مقصوراً على القرابين وما إليها من

---

١) راجع (أرميا ٧ : ٢ ؛ ١٩ : ١٤ ؛ ٢٦ : ٢ ، ٧ ؛ ٢٨ : ١ ؛ ٣٦ : ٦ ، وقارن عاموس ٧ : ١٣)

٢) راجع (صموئيل الأول ٧ : ١٦ ، ١٧ ؛١٩ : ١٢) .

٣) راجع (صموئيل الأول ١٩ : ١٩ ، ٢٠)

٤) راجع (الملوك الأول ١٤ : ٢)

٥) وكذلك كان يسكن فى " بيت إيل " نبى شيخ (راجع الملوك الأول ١٣ : ١١) وسكن " بيت إيل " أيضاً أبناء الأنبياء كما سكنوا أريحا التى كانت مكاناً مقدساً . إذ فيها تجلى الملك ليوشع (راجع يوشع ٥ : ١٣ - ١٥) وفى جلجال (راجع هوشع ٤ : ١٥ وغيرها ؛ الملوك الثانى ٢ : ٣ ، ٥ ؛ ٤ : ٣٨) ؛ وقد أقام إلياهو واليشع فى جلجال (راجع الملوك الثانى ٢ : ١) ، وأقام اليشع أيضاً فى أريحا ، وفى بيت إيل ، وفى جبل الكرمل (الذى أقام به مذبحاً ، راجع الملوك الأول ١٨ : ٣٠ ومابعدها) ، وفى جلجال ، والسامرة (راجع الملوك الثانى ٢ : ١٨ ، ٢٣ ، ٢٥ ؛ ٤ : ٣٨ ؛ ٥ : ٣) ، وقد كان بالسامرة كذلك معبد (راجع هوشع ٨ : ٥ ، ٦).
انظر : م.ص. سيجال . ص ٢٤

العبادات ، ولم نجد قط مايفيد أن الكهنة كانوا يصلون من أجل آخرين ، بل كانوا عادة ،على أكثر تقدير ، يباركون الشعب[١] ، ولكن ذلك كان متصلاً بالقرابين أيضاً[٢] ، وحتى فى طقوس القرابين نجد أن " الرائى " كان من عادته أن يبارك الذبيحة قبل أن يبدأ المدعوون بالأكل منها[٣] ، ومن الواجب أن نذكر أن الشعائر فى المعابد لم تكن مقصورة على القرابين وحدها ، ففى أيام الصوم ، وفى أيام الضراء، كانت ترتفع من المعابد صلوات الأنبياء من أجل الأمة ، وفى أيام الأعياد والاجتماعات كانوا ينشدون المزامير وترانيم الشكر ، والابتهال بمصاحبة الآلات الموسيقية ، والرقص أيضاً[٤] .

وعلى ذلك ، فلما لم يرد فى العهد القديم مايفيد أن الكهنة كانوا يقومون بالصلاة والترتيل ، فأنه يمكن الاعتقاد ، بناء على ذلك ، أنه قبل أن يستقر فى بنى إسرائيل وضع خاص ، ووظائف محددة للمنشدين اللاويين ، كما هو موصوف فى سفر أخبار الأيام الأول ، فقد كان معهوداً للأنبياء لا أن يؤموا الصلاة فحسب ، بل أن يقوموا بالانشاد والموسيقى[٥] .

كذلك عندما أرادت المرأة الشونمية أن تذهب إلى " اليشع אֱלִישָׁע " النبى سألها زوجها: "מַדּוּעַ אַתְּי הֹלֶכֶת אֵלָיו, הַיּוֹם לֹא-חֹדֶשׁ וְלֹא שַׁבָּת"[٦] لماذا تذهبين إليه ؟ اليوم لا هو غرة شهر ولا هو سبت " ... ومفهوم من ذلك أن العادة قد جرت بالذهاب إلى النبى ، أى إلى المعبد الذى يمارس فيه النبى

---

١) راجع (العدد ٦ : ٢٢)
٢) راجع العدد (٩ : ٢٢ ، ابن سيراخ ٣ : ٢٠)
٣) راجع (صموئيل الأول ٩ : ١٣)
٤) قارن (الخروج ١٥ : ٢٠ ؛ وصموئيل الثانى ٦ :٥ ؛ وأيضاً الخروج ٣٢ : ١٩) ويقول عاموس أن التغنى بالأناشيد بمصاحبة الآلات الموسيقية كان عادة متبعة فى معابد "افرايم" على أيامه (راجع عاموس ٥ : ٢٣) ، والواقع أن الأمر كان على هذا النحو أيضاً فى معبد أورشليم فى تلك الأوقات (قارن أشعيا ٣٠ : ٢٩)
٥) راجع (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٤ - ٦ ؛ ٣٧ : ٤٢ ، والإصحاح ٢٥ بتمامه)
٦) الملوك الثانى ٤ : ٢٣

مهمته ، فى غرة الشهر والسبت . ولم تكن هذه الزيارة للتوسل إلى الله على يد النبى ، أو لسماع بركة النبى على الذبيحة ، بل كانت فى الواقع أيضاً لشهود شعائر الله فى تلك الأيام المقدسة ، حيث يؤم النبى الطقوس الإلهية بالصلاة ، والانشاد والموسيقى[١] . وهذا الافتراض المتعلق بوظيفة الأنبياء فى الطقوس الدينية التى كانت تقام فى المعابد والهياكل ، يوضح لنا هذا الازدواج بين الأنبياء والكهنة ، الذى تجده فى أسفار الأنبياء ، كما فى أشعيا ، " كاهن ونبى כֹּהֵן וְנָבִיא "[٢] ، وأرميا " الكهنة والأنبياء הַכֹּהֲנִים וְהַנְּבִיאִים "[٣] وغيرهما . ويذكر الكهنة دائماً أولاً فيما عدا المواضع التى يدور السياق فيها عن النبوة لأن الحديث فيها أكثر اتصالاً بالنبى منه بالكاهن[٤] ، وذلك لأن الكهنة كانوا أكثر أهمية فى المعبد ، وكان الأنبياء تبعاً لهم وملحقين بهم ، ومن أجل ذلك يقول " هوشع " أنه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبى أيضاً[٥] . ويتهم "أرمياً الأنبياء الذين تنبأوا كذباً بأنهم آلة فى أيدى الكهنة ليمدوا سلطانهم على الشعب ". " הַנְּבִיאִים נִבְּאוּ בַשֶּׁקֶר וְהַכֹּהֲנִים יִרְדּוּ עַל־יָדֵיהֶם "[٦] - الأنبياء يتنبأون كذباً والكهنة يحكمون على أيديهم" ، كما أن تبعية النبى للكاهن ، وكونه دون الكاهن فى المنزلة ، يظهر أيضاً فى أرميا: "כִּי מִקְּטַנָּם וְעַד גְּדוֹלָם בֻּלּוֹ בוֹצֵעַ בָּצַע וּמִנָּבִיא וְעַד־כֹּהֵן כֻּלּוֹ עֹשֶׂה שָׁקֶר "[٧] - لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم ، كل منهم مولع بالربح ، ومن النبى إلى الكاهن كل منهم يعمل بالكذب ". فجاء بالنبى فى مقابل" صغيرهم " وبالكاهن فى مقابل "كبيرهم "[٨].

---

١) م.ص. سيجال . ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦
٢) أشعيا ٢٨ : ٧
٣) أرميا ٢٦ : ٩
٤) راجع (أرميا ٢٣ : ٣٣ و ٣٤)
٥) راجع (هوشع ٤ : ٥)
٦) أرميا ٥ : ٣١
٧) ارميا ٦ : ١٣
٨) م.ص. سيجال . ص ٣٦

كذلك لايذكر العهد القديم ولو مرة واحدة اشتراك الأنبياء فى الحرب، كمحاربين ، كمجموعة أو كأفراد ، فقد كان اشتراك الأنبياء فى الحرب يشبه اشتراك الكهنة (حاملى التابوت) أى يعملون كرجال الله فقط ، كغيبيين ، وكمؤثرين ، أو كشعراء ، " فموسى " عليه السلام يؤثر على الحرب من فوق قمة الجبعة(١)، و " بلعام " يلعن قبل الحرب ،ومريم تنشد بعد المعركة(٢)، ودبورة تنشد الشعر كموسى(٣)، ولا مريم ولا دبورة تعتبرن ضمن جيش المحاربين(٤).

فى الحقيقة عندما يتلقى النبى الدعوة ، يذهب إلى السوق ، أو إلى المعبد ، أو القصر ، وينادى بما دعى إليه ، سواء أكان سامعه من عامة الناس ، أم كاهناً ، أم ملكاً . وكانت دعوته تدور حول محورين أساسيين : فكان من جهة يدعو فى إصرار إلى الوحدانية الخالصة ، ويرفض كل نوع من أنواع التساهل أو التراضى مع العبادات الأجنبية أو الوثنية ، وكان من جهة أخرى يدعو إلى صلاح الأخلاق ، ويندد بذلك التهاون الخلقى الذى لم يكن فى حقيقة أمره سوى نتيجة للتهاون الدينى . ولم يكن فى دعوته ،إلى نقاء العبادة أو صفاء السلوك، يغفل عن تأكيد دعوته بالتنبؤ بالعقاب الذى سيقع إذا لم يسمع قوله ، وهذه هى خلاصة نظرة الأنبياء إلى سير التاريخ(٥).

---

١) راجع (الخروج ١٧ : ٨ - ١٣)
٢) راجع (الخروج ١٥ : ٢٠ - ٢١)
٣) راجع (القضاة ٥ : ١٢)
٤) תולדות האמונה הישראלית . כרך ראשון . עמ' 713
٥) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ص ١٥٠ - ١٥١

الأنبياء حتى عصر إلياهو

موسى والآباء (١)

يؤكد قوفمان "קויפמן" أن " موسى " عليه السلام هو منشأ التوحيد ، وهو أول نبي رسول لبني إسرائيل ، وأن عقيدة التوحيد من بدايتها قد رفضت الوثنية بشكل قاطع ، بل والمثيولوجيا أيضاً ، ويؤكد ان عقيدة التوحيد لم تشهد انتقالاً أو تطوراً لمراحل وثنية (٢). أما " أوفنهيمر אופנהיימר "

---

١) الآباء הָאָבוֹת : هم أوائل شيوخ العبرانيين ، ويبدأ عصرهم مع أسرة "تارح" תרח أبي "إبراهيم" אברהם ، وتجوالها من أور " אור כשׂדים "في الجنوب وحتى "آرام النهرين" ، ويقف على رأس الآباء ، إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام ، وهؤلاء لم يكن لهم أي أثر سياسي يذكر ، فقد ظلوا ، كما كانوا بدواً رحلاً يعيشون على هامش المدن والبلدان الفلسطينية ، التي يسكنها أهل البلاد الأصليين . وتعتبر التوراة "إبراهيم" أول الأنبياء وإن كانت التوراة قد ذكرت قبله عدداً من الأنبياء ، منهم "أخنوخ" الذي عاش قبل الميلاد بنحو ٣٣٠٠ عام (راجع التكوين ٥ : ٢٢ و ٣٤) وكذلك "نوح" عليه السلام . وفي القصص المقرائية التي تحكي عن حياة وترحال الآباء ، يبدأ نسج المفهوم الأساسي للعهد القديم كله في تاريخ إسرائيل ، وهو فكرة العهد "הַבְּרִית" وهي نقطة البدء للعهد الأبدي "ברית עולם" حيث تذكر التوراة أن الله ظهر لإبراهيم (أبو الأمم) في رؤية أخبره فيها بأنه سيخرج من صلبه شعب قوي "ووعده " أن يورث هذا الشعب أرض كنعان ، وهذا ما أشير إليه بالعهد ، وكانت علامته الختان ، ولذلك يصور الفولكلور اليهودي "إبراهيم" جالساً على أبواب جهنم ليحمي أي يهودي مختن من الدخول فيها . وعموماً يطلق لفظ الآباء على الأسلاف ، وقد ورد ذكر "آباء" بمعنى الأسلاف عامة مايزيد على خمسمائة مرة في العهد القديم.
انظر : לכסיקון מקראי, אבות, עמ' 2-4.
انظر أيضاً : د. عبد الوهاب المسيري .." موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ". ص ٥٦ .

٢) " תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 37-38.

أنظر أيضا كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد " الله " حيث يذكر أن التطور في الديانات محقق لاشك فيه ، ولكنه لم يكن على سلم واحد متعاقب الدرجات ... فالديانات نشأت في شعوب كثيرة لا في شعب واحد ... ، وأن الإيمان بالأرواح شائع في جميع الأمم البدائية ، وأن الأمم التي جاوزت ==

فلايقبل فرضية " قوفمان " بخصوص الفجوة العميقة بين التوحيد وبين الثقافه الوثنية ، ويقول إن العالم فى الحقيقة خلق وفقاً للإرادة المطلقة للرب ، وبدون دراما حرب الآلهة ، ولكن من ناحية أخرى يصف لنا المقرا الرب فى تشبيهات مادية ، وفى تصويرات عديدة ، ولذلك نجد بين أسفاره توتراً جدلياً بين الاتجاه العقلانى الذى يرى أن وراء أى وجود وأى حدث،تكمن إرادة الرب ، والاتجاه الأسطورى ، الذى يصف الوجود من خلال اصطلاحات ذاتية فردية ، وبصورة خاصة فى الشعر ، فهناك شعراء وصفوا عملية الخلق بأوصاف صراع خيالى بين الرب ، و الْيَمّ وعائلته [1]، ولذلك نلاحظ فى بعض قصص المقرا بقايا من الأساطير الوثنية مثل " الجبابرة הנפילים " فى التكوين (٦ : ١ - ٤) ،

=) هذا إلى أطوار الحضارة وإقامة الدول لاتخلو من مظاهر العبادة الطبيعية أو عبادة الكواكب على الخصوص ، وفى طليعتها الشمس والقمر، والسيارات المعروفة ، وأن عبادة الأسلاف تتخلل هذه الأطوار المتتابعة على أنماط تناسب كل طور منها حسب نصيبه من العلم والمدنية . أما التوحيد فهو نهاية تلك الأطوار كافة فى جميع الحضارات الكبرى .. وأكبر دليل على هذا التطور هو ماتشير إليه قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام : " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الآفِلِينَ .فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ . فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَآ رَبِّى،هَذَآ أَكْبَرُ،فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . " (الآيات ٧٦ الى ٧٩)

انظر: عباس محمود العقاد : الله . الطبعة الثامنه - دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٠ . ص ٣٦ - ٣٧ .

وانظر أيضاً د. محمد خليفة حسن أحمد " خصائص الديانة اليهودية فى ضوء مقارنتها بالديانة السامية القديمة " . حوليات كلية الآداب قسم اللغات الشرقية جامعة القاهرة سنة ١٩٨٢ .

١) קאסוטו, שירת העליה ביישראל, ספרות מקראית וספרות כנענית, ירושלים, תשל"ב, עמ 62-90.

" وجند السماء - צְבָא הַשָּׁמַיִם " فى الملوك الأول (٢٢ : ١٩) ، وفى أيوب (١ : ٢) . إذاً لاتصمد فرضية " قوفمان " أمام النقد ، ولذلك لايقبل " أوفنهيمر " رأى " قوفمان " بأن موسىً هو منشأ التوحيد ، وأن الأسلاف (الآباء) لم يتعرفوا على الله - هذا ويعتقد " أولبرايت " אולברייט أن العصر البرونزى المتأخر (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م تقريباً) وهو عصر الآباء ، كان ذا طابع دولى وتبادل حضارى ، وقد أستخدم أرضية ملائمة لعقيدة التوحيد ، سواء فى ميزوفوتومياً ، أو فى مصر ، وأن أقرب رسالة إلى التوحيد هى نشيد الشمس لاخناتون (١٣٧٧ - ١٣٦٠ ق.م تقريباً) رغماً عن أنه لاتوجد فيه عقيدة توحيدية حقيقية لأن الإله فيه هو الشمس ، بينما فى " التوحيد " الشمس هى إحدى مخلوقات الله (١).

وقد عرف الآباء الخالق تحت أسماء عدة منها " الوهيم אֱלֹהִים " " وإل אֵל " ، " والشادای שַׁדַּי " ، " وأدوناى אֲדֹנָי " ... أما الرب فهو " يهوه " יְהוָה " ... وهو رب الشعب الجديد ، وهو اسم جديد لم يعرف قبل موسىً قد يعنى فى رأى البعض إعطاء صورة جديدة للمعبود القديم فى ضوء الظروف الجديدة ... ومع ذلك فإن الموسويةً تصر على أن " يهوه " هو نفسه " الوهيم " إله إبراهيم وإسحق ويعقوب(٢). وإن كنا نرى فروقاً واضحة بين الاثنين فى نصوص التوراة فكلمة " يهوه " تشير إلى حقائق تباين مايشير إليه لفظ " إله " فللإله قوة لايدركها البشر ولا يحدونها ، أما يهوه فهو كائن قوى يثبت وجوده بقوته . هذا إلى جانب أن " إلوهيم " فيها معنى الجمع وقد يعنى هذا أنه يجمع فى ذاته كل القوى والمعتقدات الميتافيزيقية فى أذهان الناس وله السيادة عليهم مهما بلغوا من قوة وسلطان ... وكل مايقترن به ... فالجبل ذو القمة العالية هو جبل إلوهيم(٣)، ونار إلوهيم هى البرق وصوته هو الرعد، (٤)

---

١) ב. אופנהיימר, הנבואה הקדומה בישראל, הוצאת מאגנס, ירושלים, תשל"ג, עמ' 69.

٢) راجع : (الخروج ٦ : ٣ ، ٧ ، ٨)

٣) راجع (المزامير ٣٦ : ٦ ؛ ٦٨ : ١٦)

٤) راجع (المزامير ١٠٤ : ١٦)

والنهر الجارف له ، والغيوث المنهمرة منه [١] ... فكل ماهو عظيم هو لله ... من ملوك وآلهة وأمراء وقضاة وأنبياء وناس [٢]، والاعتقاد فى " إلوهيم " هو أساس دين إسرائيل بوصفه القوة العظمى التى لا كفاء لها وهو خالق نفسه بنفسه، وحامى شعب إسرائيل وليس من حد لقوته أو قدرته ، وهو أبدىّ، لم يكن له مساو عند الخليقة، ومع ذلك فهناك محظوظون من البشر يمنحون اسمه ولقبه ويعرفون باسم " إله " يمنحهم بعض وظائفه واختصاصاته [٣].. أما يهوه فهو فريد لم يعرف باسمه غيره ولم ينل غيره اختصاصاته ..ويرى البعض أن الإسرائيليين استخدموا الكلمتين بنفس المعنى وإن فرقوا بينهما بعض التفريق فهم يتحدثون عن " الله " حين يكون خالقاً وسيداً للعالم، وهم يتحدثون عن " يهوه " بوصفه خيراً محسناً للبشر [٤].. ويرى " أولبرايت אולברייט " أن مفهوم " إله الآباء " ليس تشبيهاً مصطنعاً متأخراً تمتزج فيه آلهة مختلفة حسب رأى " آلط אלט " ، بل هو إله ثابت ومعروف وله اسم واضح ، وقد انتقل هذا الإله مع الآباء عندما كانوا يرتحلون من مكان إلى مكان ، ولكن من ناحية أخرى يشير " أولبرايت " إلى أن عقيدة الآباء لم ترفض حقيقة الآلهة الأخرى رفضاً تاماً ، حيث لم يذكر "موسى" من أين نشأت . أما استناد "موسى" على إله الآباء فهو ليس اكتشاف كتاب متأخرين ، فهناك فقرة واحدة لم تلغ شهادة سفر التكوين، وبقية أسفار المقرا ، وهذه الفقرة تشير إلى أنه بسبب العبودية فى مصر تم نسيان ذكر " إله الآباء " [٥]، ومن ناحية أخرى تشير أيضاً إلى أن " الله " لم يعرف بهذا الاسم لدى الآباء " וַאֲנִי יְהוָה וָאֵרָא אֶל-אַבְרָהָם אֶל-יִצְחָק וְאֶל-יַעֲקֹב בְּאֵל שַׁדָּי וּשְׁמִי יְהוָה לֹא נוֹדַעְתִּי לָהֶם - أنا الرب ، أنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شئ ، وأما باسمى يهوه

---

١) راجع (المزامير ٦٥ : ١٠)

٢) راجع (الخروج ٢١ : ٦ و ٢٢ : ٧ - ٨ ، والمزامير ٨٢ : ١ ، ٦ ؛ ٩٧ : ٧)

٣) راجع (الخروج ٤ : ١٦ ؛ ٧ : ١ ؛ ١٨ : ١٩ ؛ وأرميا ١ : ١٠)

٤) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . ج ٣ . ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

٥) ב. אופנהיימר. הנבואה הקדומה בישראל. עמ' 70

فلم أعرف عندهم "[١] وربما جاءت هذه الفقرة لضرورة ربط التاريخ الموسوى بتاريخ الآباء السابقين عليه ، فبما أن الإله الإسرائيلى إله يسيطر على التاريخ وحركته من البداية إلى النهاية ، إذاً لايمكن بداية هذا التاريخ بالعصر الموسوى ، بل يجب العودة إلى بداية الخلق ، لأن من أول وأهم صفات الإله الجديد أنه الإله الخالق للكون والتاريخ . وقد تمت عملية الربط هذه بتكرار العهد المعطى لموسى مع عدد من الآباء السابقين ، ومن أهمهم إبراهيم[٢] وإسحاق[٣] ويعقوب[٤] ، بل والعودة بفكرة العهد إلى نوح وآدم حتى يصبح التاريخ وحدة

---

١) الخروج ٦ : ٢ و ٣

٢) يقول سفر التكوين : " وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة ... وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (١٢ : ١ - ٣). وعن العهد مع إبراهيم أنظر كذلك :

Sabatino Moscati, The Face of the Ancient Orient, a Panarama of Near Civilization in Prechanssical times. Doubleaday,Co. New York, 1962,PP. 238-240.

وتتكرر صيغة العهد בְּרִית مع إبراهيم بصورة أوضح فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين : " أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم . فلايدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم . لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدى بينى وبينك ونسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً " לִבְרִית עוֹלָם " لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم" التكوين (١٧ : ٣ - ٨) .

٣) راجع التكوين (٢٢ : ٢٤ - ٢٥) وفيها يتجدد العهد مع إسحاق .

٤) راجع التكوين (٢٨ : ٣ - ٤) وفيها يتجدد العهد مع يعقوب . وفى الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين يرث يعقوب العهد المعطى لإبراهيم وإسحاق : " وظهر الله ليعقوب ... وقال له الله اسمك يعقوب لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل . فدعا اسمه إسرائيل وقال له الله أنا الله القدير . أثمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطى الأرض " . التكوين (٣٥ : ٩ - ١٢) .==

واحدة لا يتجزأ ، ويصبح الإله الإسرائيلى خالقاً لكل التاريخ(١).

ويذكر " بوبر " أن تعاليم الدين اليهودى أتت من سيناء ،فهى تعاليم "موسى" ، أما روح هذا الدين فهى أقدم من سيناء ، فالروح التى جاءت إلى سيناء ، وتسلمت هناك ماتسلمته من شرائع هى أقدم من موسى ، هى بطريكية ، أى من عصر البطاركة ،أو الأجداد الأقدمين ، هى روح "إبراهيم" ، أو بالأحق طالما أنها إنتاج عصر قديم جداً ، هى روح "يعقوب" ، و" يعقوب " هنا يرمز إلى "إسرائيل ישראל " أى إلى الشعب اليهودى نفسه (٢) إن صح هذا فإن جوهر عمل "موسى" ليس فقط التبشير بوجود إله واحد هو إله الآباء ، وهو إله العبرانيين بل أيضاً تأسيس نظام اجتماعى يحقق مطلب عبادته الوحيدة (٣).

ويذكر " هوسمرHosmer " أيضا أن مكانة "موسى" جاءت من كفاءته التى استطاع بها أن يقود بنى إسرائيل ويخرجهم من مصر ، ثم من مقدرته على إملاء التوراة التى كانت قانون هذه الجماعة بعد انكانت بدون قانون ، كما كانت

=) ويلاحظ التقارب الشديد فى الأسلوب والألفاظ المستخدمة فى هذه العهود المتكررة ،على الرغم من المسافة الزمنية الفاصلة بين كل أب من هؤلاء الآباء . وهذا يدل على أن هذه الصيغ المتكررة للعهد إنما وضعت جميعها بيد كاتب واحد . ويعتقد بعض الدارسين أنه موسى ، بينما يعتقد آخرون أنها من نتاج عصر النبوة فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .
انظر تفاصيل ذلك فى :
W.Eichrodt, Theology of the old testament, Vol. I, 1961, PP. 36-45.
وانظر كذلك
George E.Mendenhall, Covenant Forms in Israelite covenant, in the Bibical Archaeologist Reader, Vol.III, Edited by E.F. Campbell , JR and D.N. Freedman, Doubleday Co.N.Y., 1970, PP. 25-53.

١) انظر د. محمد خليفة حسن أحمد : التاريخ العبرى القديم : رؤية نقدية . قسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة القاهرة (حوليات) سنة ١٩٨١ . ص ٤ و ٥ .

٢) Buber, Martin, Israel and the World. Essays in a time of crisis, Schocken Books, New York, 1948, P. 28.

٣) ב. אופנהיימר : הנבואה הקדומה בישראל. עמ. 70

القاعدة التى قام عليها بناء الدولة من الناحية السياسية [١].

موسى والنبوة :

يعتبر "موسى" حسب التراث اليهودى - متلقى التوراة ، وقائد العبرانيين فى خروجهم من مصر ، وتذكر التوراة أن "موسى" هو النبى الوحيد الذى كلم الله وجهاً لوجه ، وقد اختاره الله ليتلقى الوحى وليقود الشعب من مصر دار العبودية [٢]. ومع ذلك فإن التوراة لم تطلق عليه لقب "ملك" أو "حاكم" أو "رئيس"، بل إن اللقب الشائع له كان " عبد الله " أو " عبد الرب "" עֶבֶד - יְהוָה " (راجع التثنية ٣٤ : ٥) وربما كان هذا اللقب المحترم جداً ذا مضامين متعددة ، أما لقب نبى " נָבִיא " فلم يطلق عليه إلا مرة واحدة ، حيث انتهى كتاب التوراة بهذا التعريف : " ولم يقم نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه "וְלֹא־קָם נָבִיא עוֹד בְּיִשְׂרָאֵל כְּמֹשֶׁה אֲשֶׁר - יְדָעוֹ יְהוָה פָּנִים אֶל־פָּנִים" (التثنية ٣٤: ١٠) [٣].

وأغلب الظن أن دعوة موسى بمجرد خروجها من مصر ، قد تعرضت لكثير من الخلل والانحراف ، حيث بدأت تتحول من عقيدة تحررية إلى نعرة عنصرية . ويشعرنا " فرويد Freud " بأن هذا التحول اقتضى تحويل شخصية موسى نفسه

---

١) د . أحمد شلبى . مقارنة الأديان. اليهودية . ص ١٧٠ نقلاً عن :
James Hosmer: The Jews, P. 14.

٢) ينقل " يوسفوس " عن " مانيتون " - وهو مؤرخ مصرى عاش فى القرن الثالث ق م - قوله إن سبب خروج بنى إسرائيل من مصر هو رغبة المصريين فى أن يتقوا شر وباء فشا بين اليهود المستعبدين المملقين ، وقوله إن موسى نفسه كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بين اليهود " المجذومين " وانه علمهم قواعد للنظافة على نسق القواعد المتبعة عند كهنة المصريين . وفى التوراة فقرة تؤيد قول " وارد " بأن الخروج لم يكن إلا إضرابا عن العمل ، وهى " فقال لهما ملك مصر لماذا ياموسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله اذهبا إلى اثقالكما " .
(خروج ٥ : ٤) .
انظر أيضاً :
William Smith: The New Smith's Bible Dictionary. New York, 1966, P. 248.

٣) راجع التثنية (٣٤ : ١٠) وانظر : דוד בן גורין, עיונים בתנ"ך, עמ' 226.

إلى هذا الوجه الأسطورى الذى تبرزه التوراة ، فإن شخصية البطل عند الساميين تنبنى على عناصر أهمها : أولاً: أن يكون من أب غير معروف ، أو أن يكون يتيماً .

ثانياً : أن تكون ولادته محفوفة بالمشاكل والمخاطر ، كأن يولد فى وقت مذبحة ، أو من أبوين طاعنين فى السن جداً ، أو من أم عاقر كانت لاتلد من قبل .

ثالثاً: أن يكون البطل ممن أحبوا العزلة فى الصحارى والجبال والاشتغال برعى الغنم ، مما يتيح له إطالة التأمل فى تعاقب الليل والنهار ، ومافى الكون الكبير من عجائب ، ومعجزات ، وهذا واضح فى شخصية "إبراهيم" و"يوسف" و"موسى" و"عيسى" .

أما شخصية البطل عند المصريين فأهم عناصرها : أ- أن يكون ربيب بيئة أرستقراطية ، نشأ فى القصور ونما وترعرع بين الملوك والأمراء .(ب) وأن يكون قوى البنية شديد البأس لايهاب المعارك . (ج) وأن يعيش فى الحضر بين قوم متمدينين منظمين ... وقد لاحظ "فرويد" أن "موسى" فى قصته المعروفة يبدو لنا مزيجاً من العناصر السامية والمصرية جميعاً (١) ، فهو رغم ولادته من أب غير معروف ووسط مذبحة رهيبة ، قد نما ونشأ فى بيت فرعون ، وربته ابنة فرعون نفسها وتبنته (٢). كذلك نجد العنصر المصرى الخاص بالقوة البدنية وعدم التهيب من

---

١) انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢١ ، ٢٢ وهو يقدم رأى فرويد الذى ورد فى كتابه المشهور :
Freud, Sigmund: Moise, Le Monothésim Traduit de l'allemand Par Anne Berman, Gallimard - Paris, 8e ed., 1948.

أما التوراة فتذكر أن موسى من سبط لاوى (راجع الخروج ٢ : ١ ؛ ٦ :٢٠) ، وأبوه " عمرام بن قهات " وأمه " يوكابد " واخواته هارون ومريم ،وقد تزوج موسى من " صفورة " ابنة كاهن مدين فولدت له ابنا دعا اسمه جرشوم " لأنه قال كنت نزيلاً فى أرض غريبة (راجع الخروج : الإصحاح الثانى) .

٢) يقول الأستاذ " جارستانج" عضو بعثة مارستن :
انه كشف فى مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن "موسى" قد أنجته (فى =

المعارك ، يبدو فى ضربه للرجل الذى وجده يؤذى واحدا من شيعته ، ضربة واحدة قاضية ، كما يبدو كذلك فى دفعه الرعاة عن البئر ليسقى لابنتى كاهن مديان الضعيفتين . ثم إنه بالرغم مما يلاحظ من إقباله على الانفراد والتأمل فى صحراء سيناء وبادية مديان أثناء قيامه برعى الغنم ، يبدو لنا فى مواقف كثيره يناقش فرعون مصر المتأله ، الجبار ، ويتحدى الكهنة والسحرة ويهزمهم (١).

=) ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق) الأميرة حتشبسوت (الملكة حتشبسوت فيما بعد). وأنه تربى فى بلاطها بين حاشيتها ، وانه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها "تحتمس الثالث" . وهو يعتقد كذلك أن المخلفات التى وجدت فى هذه القبور تؤيد قصة سقوط أريحا (يشوع ٦) . ويرجع سقوطها إلى حوالى (١٤٠٠ ق.م) كما يرجع الخروج إلى عام (١٤٤٧ ق.م) ولما كانت هذه التواريخ لاتعتمد إلا على ماورد منقوشا على الجعلان والخزف ، فإن من واجبنا أن نأخذها بالشك المقرون باليقين . والأكيد أن "موسى" حمل اسماً مصرياً صميماً عرفناه لأباطرة عصر الامبراطورية .. عرفناه فى " أحمس " أو " أح موسى " وفى " تحوتمس " أو " تحوت موسى " وفى "رعمسيس " أو "رع موسى "!. ومن هنا نرى أن هذا الاسم كان اسماً شائعاً فى عصر الإمبراطورية المصرية .. وقد أثبت ذلك " ب . مونتى P.Montet " فى كتابه " مصر والتوراه L'Egypt et le Bible حيث أثبت أن " مسو Mesw " أو " مسى Mesy " اسمان فى قائمة معجم أسماء الاشخاص فى اللغة الهيروغليفية " لرانك Rank " ، وموسى نقل لهذا الاسم . وتذكر " الموسوعة اليهودية Judaica " تعليلا أكثر حجة من التوراة نفسها " أنا انتشلته من الماء " (الخروج ٢ : ١٠) فلو كان ذلك صحيحاً لكان منطقيا أن تكون الصيغة " ماشوى Mashui מָשׁוּי " أى الذى أخرج من الماء وهى صيغة اسم المفعول فى العبرية ، وليست الصيغة " موشى Moshe מֹשֶׁה " أى الذى قام بالإخراج من الماء (اسم الفاعل). ولكن الطفل قام بعد ذلك بإخراج قومه من بحر الظلم والعذاب .

١) انظر Encyclopedia Judaica. Moses, P. 381.
انظر أيضاً " ول ديورانت . قصة الحضارة " . ص ٣٢٦

ولو أننا حاولنا أن نجمع محصول هذه الأفكار، لكان عندنا مزيج فى التوراة من مصادر كثيرة مختلفة ، ومزيج مماثل فى ماوعته الذاكرة الشعبية اليهودية عن صاحب هذه التوراة . ويبدو أن اليهود قد أرادوا بهذا التخليط أن يجعلوا من "موسى" ستاراً يخفون وراءه أشياء لم يقل بها ولم يدع إليها ، منها أنه لم يُرسَل بشريعته لا إلى فرعون ولا إلى قومه من المصريين ، بل لبنى إسرائيل وحدهم فهو لم يطالب فرعون ولا المصريين بالإيمان قط(١).

وتتميز القصص عن "موسى" بوجود خطوط دنيوية عديدة ، وضعت فى إطار من العقيدة الدينية للوسيط العظيم بين الرب والشعب ، وهناك قصص قليلة تخرج من إطار العقيدة الدينية خروجاً بارزاً .ومن بين هذه القصص تذكر التوراة أن الشعب تقبل بشارة الرب من فم "موسى" ، وسار وراءه ، ولكنها تضيف أن بنى إسرائيل يتراجعون ويندمون من حين لآخر ، حيث إن اتباعهم لموسى قد سبب لهم العناء والفقر ، فتذمروا ضده وتمردوا عليه ، وفى أثناء المفاوضات التى أجراها "موسى" مع "فرعون" ، وجه الشعب اتهامات شديدة إلى "موسى" لأنه بسببه أثقل "فرعون" نيرهم ثم كرروا هذه الشكاوى والاتهامات ضد "موسى" عندما افتقروا فى الصحراء بسبب نقص المياه والطعام واشتياقهم إلى وفرة أيام عبوديتهم فى مصر (٢).

ومن بين شكاوى الشعب المتميزة فى الصحراء نخص بالذكر التذمر فى قصة شق " بحر سوف יַם סוּף "

والخروج إلى الصحراء : "וַיֹּאמְרוּ אֶל־מֹשֶׁה הֲמִבְּלִי אֵין־קְבָרִים בְּמִצְרַיִם לְקַחְתָּנוּ לָמוּת בַּמִּדְבָּר מַה־זֹּאת עָשִׂיתָ לָנוּ לְהוֹצִיאָנוּ מִמִּצְרָיִם : הֲלֹא־זֶה הַדָּבָר אֲשֶׁר דִּבַּרְנוּ אֵלֶיךָ בְמִצְרַיִם לֵאמֹר חֲדַל מִמֶּנּוּ וְנַעַבְדָה אֶת־מִצְרַיִם כִּי טוֹב לָנוּ עָבְדֹ אֶת־מִצְרַיִם מִמֻּתֵנוּ בַּמִּדְבָּר" - وقالوا لموسى لأنه ليس

---

١) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

٢) راجع (الخروج ١٥ : ٤ ؛ ١٦ : ٢ - ٣) ؛ (١٧ : ٢ - ٧) ؛ والعدد (١١ : ٤ - ٦) ؛ (٢٠ : ٢ - ٥) ؛ (٢١ : ٤ - ٥)
انظر أيضاً : אנציקלופדיה מקראית, חלק ה', עמ' 494.

فى مصر قبور أخذتنا لنموت فى البرية، ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر . أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر، قائلين: كف عنا، فنخدم المصريين من أن نموت فى البرية "[1] وهكذا تصف لنا هذه الشكاوى ضيق الشعب ، والتوتر بين القائد الذى كرس حياته لفكرة سامية شجاعة ، والشعب الذى يتبعه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تصف لنا التطلع إلى حياة الاستقرار والرزق ، وبذلك فهذه القصص لايوجد فيها أساس دينى عقائدى فى حد ذاته ، ولكن التوراة هى التى وضعتها فى هذا الإطار العقائدى المسبوك ، فلافصل هنا بين التمرد على رسول الرب وبين التمرد على الرب نفسه ، ولكن من قوة الرب يستمد "موسىٰ" قوته مرة بعد أخرى ليواجه تمرد بنى إسرائيل[2].

فى الحقيقة أن سيرة حياة "موسىٰ" قد أحدثت تغييراً جذرياً فى الوعى الدينى والتاريخى عند العبريين ، وهو ليس ثمرة خيال الشعب كما يدّعى " أحاد هعام אחד העם "[3]. فـ"موسىٰ" لم يتقبل الرسالة النبوية بسهولة حيث نجد

---

١) راجع (الخروج ١٤ : ١١ - ١٢)

٢) ومن بين القصص التى لايبرز فيها الأساس الدينى، أو لا يعتبر غير جوهرى فيها ، نجد قصة نصيحة يثرو " יתרו " كاهن مديان ، والتى أعد بمقتضاها "موسىٰ" تنظيماً من القضاة ، وهذا العمل الذى قام به "موسىٰ" بناء على نصيحة بشر لامثيل له فى التوراة كلها .
وفى إطار القصص عن "مديان" ، ينسب طلب "موسىٰ" إلى " حوباب بن رعوئيل " المديانى חֹבַב בֶּן-רְעוּאֵל הַמִּדְיָנִי " باستخدامه مرشداً للشعب فى الصحراء ، ويبدو أن النصوص التوراتية سارعت برفض بقية النص حيث ذكرت أن الشعب تم إرشاده فى الصحراء بعمود من نار والسحابة والتابوت .
انظر (الخروج ١٨ : ١٣ - ٢٧) . انظر كذلك : אנציקלופדיה - מקראית, חלק ה' עמ' 494.

٣) أحاد هعام אחד העם : عبارة عبرية تعنى " أحد العامة " وهى اسم الشهرة " لآشر جينزبرج " ، ويعد "أحاد هعام" من أهم الكتاب والمفكرين فى أدب العبرية الحديث وفيلسوف الصهيونية الثقافية . (١٨٥٦ - ١٩٢٧ م) .وقد عرّف شخصية موسى بطريقة سلبية ، وهو فى البداية يرفض ثلاثة احتمالات :
أولاً : "موسىٰ" ليس رجل حرب ، فهو يقود الشعب إلى الحرب من أجل احتلال أرض كنعان ، لكن على رأس الجيش نجد " يشوع יהושע " .
ثانياً : "موسىٰ" ليس رجل سياسة - فقد احتاج لمساعدة " هارون אהרון "، ==

موتيف الرفض فى قصتى تجلّى الرب له ، والرب لم يتحدث إلى "موسىٰ" لا فى الحلم ولا عن طريق الألغاز التنجيمية ، ولكن فى اليقظة ،وبكلمات واضحة ومفسرة(١). ولذلك فإن انطباع التقديس لديه هو مزيج من الرؤية والسمع ، حيث أنه مرتبط فى أعماله ومعجزاته بما يخرج من فم الرب ، وبذلك يعتبر "موسىٰ" إنساناً عادياً ، ليس لديه أية مقدرة غير إنسانية ، فانطباعه النبوى جاء إليه من الخارج، وهو ليس ثمرة عالمه الداخلى(٢).

إن رفض "موسىٰ" قبول الرسالة النبوية يؤكد على أن نبوة "موسىٰ" ليست عملاً سحرياً أو تنجيماً ، بل ثمرة الارادة الربانية العليا(٣).

=) لكى يواجه فرعون ، أى أنه لم يكن دبلوماسياً أو سياسياً . ثالثاً: أيضاً "موسىٰ" لم يكن مشرعاً ، ولو أنه أعطى التوراة لشعبه . فالتوراة تحتوى على قوانين كثيرة لاتندرج تحت نطاق القوانين السياسية أو العقوبات وقسمها الأول يعتبر قوانين أخلاقية ، وقسمها الثانى وصايا للمستقبل . ويرى "أحاد هعام" أن "موسىٰ" مجرد نبى ، سيد الأنبياء ، وهو النموذج المثالى للنبوة الإسرائيلية ، وكنبى تميز "موسىٰ" بثلاث خصائص أساسية لشخصية النبى وهى (١) أن النبى رجل حق ، (٢) أن النبى رجل النهايات ، (٣) وتتملكه العدالة المطلقه ... ويشير "أحاد هعام" كذلك إلى أن التوراة لم تذكر شيئاً عن حياة "موسىٰ" حتى تجلى الرب له عند بلوغه الثمانين من عمره ، إلا ثلاث حوادث فقط وهى تشير إلى حربه المتطرفه من أجل العدالة : أولها : رجل مصرى ضرب رجلاً عبرانياً ، وثانيها : عبرانيان يتخاصمان، وثالثها : إنقاذ بنات يثرو وتشترك فى هذه الحالات الثلاثة خاصية واحدة وهى :" صدام النبى مع الحياة من أجل تطبيق العدالة ، انظر :

אחד העם, כל כתבי אחד העם, דביר תל אביב, 1943 עמ' שמב-שמז.

١) "וְדִבֶּר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה פָּנִים אֶל פָּנִים כַּאֲשֶׁר יְדַבֵּר אִישׁ-אֶל רֵעֵהוּ" - ويتحدث الرب إلى موسى وجهاً لوجه كما يتحدث الرجل إلى صاحبه" (الخروج : ٣٣ : ١١) وانظر أيضاً (العدد ١٢ : ٦ - ٨) .

٢) ב. אופנה "מר . הנבואה הקדומה בישראל. עמ' 9

٣) אנציקלופדיה מקראית, חלק ה', עמ' 695.

وقد اجتاز "موسى" حربين رئيسيتين من أجل رسالته النبوية ، الأولى حربه ضد فرعون مصر من أجل تحقيق الحرية ، والاستقلال العضوى لقومه ، والثانية حربه ضد مفاهيم شعبه بعد خروجهم إلى الصحراء ، أى من أجل تحقيق الاستقلال الروحانى لشعبه . وفى حرب "موسى" ضد فرعون احتاج "موسى" لثقة الشعب وقبوله لزعامته .... فالصراع بين "موسى" وفرعون لم يكن صراعاً بين أشخاص ، بل بين مفاهيم ، بين الموسوية والوثنية ، ففرعون ملك متكبر ، متعال ، مستعبد ، وفى مواجهته "موسى" بدون قوة عسكرية أو سياسية ولكن بقوة الرب[1] . ولذلك يعتبر الخروج من مصر تحقيقاً للوعد الإلهى ، وهو أيضاً رمز للخلاص الإلهى . وبهذا الشكل يتم لدينا تطوير مفهومى الوعد والخلاص ، واللذين أصبحا من أسس الديانة اليهودية . وحادثة الخروج تعتبر أيضا بداية الشعور القومى الحقيقى لدى الإسرائيليين ، فخروجهم من مصر فى شكل جماعة تحت قيادة "موسى" أعطاهم صفة القومية ، وكانت فى نفس الوقت بداية للاحساس بالشعور التاريخى . ولأن حادثة الخروج معجزة إلهية ، فقد أضافت بعداً دينياً إلى الاحساس القومى التاريخى ... ولهذه الأسباب كانت حادثة الخروج أهم أحداث التاريخ الإسرائيلى القديم نظراً لما لها من تأثير على الفهم التاريخى الدينى لدى الإسرائيليين ، وعلى أساس هذه الحادثة يفسر بقية التاريخ الإسرائيلى[2] بعد انتصار "موسى" ونجاحه فى الخروج من مصر ، بدأت الحرب الأصعب ، وأعنى حربه ضد مفاهيم شعبه ، ولذلك فهى تعتبر عملية تعليمية تربوية عظيمة وليست حرباً سياسية ، وفيها لم ينجح موسى بالقدر الكافى ، ففى أوقات عديدة كما فى قصة عبور " بحر سوف - יַם סוּף " تحمس الشعب وآمن بالرب وبموسى عبده . "וַיַּאֲמִינוּ בַּיהוָה וּבְמֹשֶׁה עַבְדּוֹ"[3] " لكن بعد الحماس الشديد ، هبطت روح الشعب بسبب صعوبات الحياة اليومية فاشتكى وتذمر ، وبكى من الظمأ والجوع ، واشتاق إلى قِدَر اللحم ، حتى وصل به الحال إلى الالتفاف والرقص حول عجل الذهب ، وقد أدت خطيئة العجل إلى رد فعل عنيف

---

١) Encyclopedia Judaica, Moses, PP. 381-382.

٢) د. محمد خليفة حسن أحمد . التاريخ العبرى القديم : رؤية عامة . ص٦

٣) راجع (الخروج ١٤ : ٣١)

جداً سواء من قبل "الربّ" أو من "موسىٰ" . حيث قام "موسىٰ" بتحطيم الألواح بعد أن رأى أن الشعب غير جدير بها ، وحطم العجل وكل مايتعلق به ، ثم أمر بقتل ثلاثة آلاف رجل من أجل تطهير الشعب ... وهكذا فعل "موسىٰ" بسبب الغيرة المتطرفة ، التى أدت إلى فناء جزء من الشعب لأجل إنقاذ بقية الشعب من الفناء . ولكنه بعد ذلك يتوجه إلى الرب ويطلب العفو باسم الشعب . وهذه صورة للموقف الثنائى للنبى الإسرائيلى ، فهو من ناحية يعنف ويؤدب الشعب باسم الرب ، ومن ناحية أخرى يثير فضيلة الرحمة عند الرب ويتوسل إليه من أجل العفو عن شعبه ... وهكذا يقدم سفر الخروج من خلال معالجة موسى لقضية خطيئة العجل ، مثلاً أعلى ونموذجاً سامياً للقيادة الروحانية فى العهد القديم كله (١).

وتعتبر مرحلة الوحى فى سيناء ، وإعطاء التوراة، وبناء الحياة الاجتماعية لليهود ، مكملة لمرحلة الخروج وامتداداً لأحداثها ، وتأكيداً للجانب الدينى فى الأحداث السابقة حيث تلقى "موسىٰ" الوصايا العشر (٢) والتى تكونت من قسمين رئيسيين:

---

١) انظر الخروج (١٦ : ٣) وانظر أيضاً
Encyclopedia Judaica , Moses, PP. 381-382.

٢) עֲשֶׂרֶת הַדְּבָרִים : الوصايا العشر ، وتسمى " دكالوك דֶּקָלוֹג : Dekalogos " فى اليونانية أى الكلمات العشر (خروج ٣٤ : ٢٨؛ وتثنية ٤ : ١٣ و ١٠ : ٤)٠ وهى مانطق به الله فى سيناء وكتبت على لوحى حجر (راجع الخروج ٣١ : ١٨) ٠ ويجب التمييز بينها وبين الوصايا الطقسية أو الشعائرية (راجع الخروج ٣٤ : ١ - ٦ والإصحاحين ٢٢ و ٢٣)٠ وتدعى أيضاً " كلمات العهد דִּבְרֵי הַבְּרִית " (راجع التثنية ٢٨ : ٦٩) ،" ولوحى الشهادة "לֻחֹת הָעֵדֻת (راجع الخروج ٣١ : ١٨) ، " والشهادة" (راجع الخروج ٢٥ : ١٦) ٠ وقد صيغت الوصايا فى شكلين : الشكل الأول فى الخروج (٢٠ : ٢ - ١٧) ٠ والشكل الثانى فى التثنية (٥ : ٦ - ٢١) ٠ وتتباين الروايتان فى إشارتهما إلى حفظ السبت ٠ فبينما تشدد الرواية الواردة فى التثنية (٥ : ١٤ و ١٥) على ضرورة استراحة العمال والبهائم اعترافاً بخروج الشعب من أرض العبودية ، تشدد الرواية الواردة فى الخروج (٢٠ : ١١) على تقديس يوم الرب بالانقطاع عن العمل والاستراحة ، لأن الله خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع ٠
ويشك علماء نقد الكتاب المقدس فى نسبة الوصايا العشر إلى "موسىٰ" ويعتقدون أن نسبتها إلى موسى قد تمت فى عصر متأخر ٠ فى هذا يقول" روبرت ==

قسم خاص بالعقيدة ينص على عبادة الإله الواحد وعدم تجسيد الإله ، أو تشبيهه بشيء من خلقه . وهي الوصية التي فصلت بين التفكير الطبيعي ، والتفكير التاريخي فيما يتعلق بفكرة الألوهية . وهي الخطوة الفاصلة بين الألوهية عند الساميين القدماء ، وتبلور فكرة التوحيد في اليهودية . فهي دعوة إلى عدم تصوير الإله في صورة طبيعية مأخوذة من الطبيعة ، وبداية التفكير في الإله تفكيراً نظرياً مجرداً من خلال أعمال الإله في الطبيعة والتاريخ ، وربما نتج لأول مرة الفصل التام بين الإله وبين الطبيعة والتاريخ ، ويصبح الإله خالقاً للاثنين، ومستقلاً بذاته عنهما . وقد شهدت هذه المرحلة أيضاً التعرف على الإله من خلال أقواله . إذ لم يكن هذا معهوداً من قبل ، فالوحي لم يأخذ شكلة الأساسي في الدين السامي القديم إلا بعد أن أصبح أساسياً في العقيده اليهودية خلال هذه المرحلة . والجزء الثاني من الوصايا خاص بالبناء الاجتماعي للجماعة اليهودية الخارجية ، وأُسس هذا البناء الاجتماعي ، كما يتضح من هذه الوصايا ، أُسس أخلاقية ، هدفها تنظيم المجتمع والحفاظ عليه ، وضمان استمراره عن طريق تنظيم العلاقات بين أفراده ، وربطها بالدين والوحي ، وعدم تركها للظروف الطارئة أو متغيرات الحياة (١).

هذا ولم يحظ موسى بالدخول إلى أرض كنعان لعدة أسباب؛حيث رأت التوراة في هذا الأمر عقوبة على خطيئة المياة المريبة . إذ ضرب موسى الصخرة مرتين

=) فايفر Robert H. Pfeiffer " ، : أما عن الأصل الموسوى للوصايا الأربع الأولى فيجب أن ننظر إليه على أنه مجرد تخمين لايقوم على أساس تاريخي... فهو (موسى) لم يكن مشغولاً بالتماثيل أو الصور أو بالسبت ... أما بالنسبة للوصايا الست الأخيرة فوصفها مثل الأربع الأولى ... وفي الحالتين النسبة إلى موسى أمر افتراضي ، ويرى " فايفر " أن بعض هذه الوصايا قديم ،وبعضها الآخر دخل اليهودية في وقت متأخر على موسى . انظر تفاصيل ذلك في

- Robert H. Pfeiffer, Introducion to the old Testament, Harber Pub. New York, 1941, PP. 228-232.

-Julius A. Btwer, The Literature of the Old Testament. 3rd edition. Columbia Univ. Press, New York, 1962, pp. 33-46.

١) د. محمد خليفة حسن أحمد : التاريخ العبري القديم - رؤية عامة . حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٨١ . ص٧

بعصاه بدلا من أن يكلماها هو وهارون كما أمر الرب . فحرمهما الرب من الدخول إلى أرض كنعان(١). ولم تبين التوراة بصورة دقيقة هذا الخطأ،ولكنها تؤكد بذلك فكرة أساسية تنبض في التوراة كلها ، وهي أنه لايوجد إنسان صادق على الأرض ، لا يخطأ ،حتى موسى ، سيد الأنبياء ، فهو يعاقب أيضا على خطئه ، فهو ليس إلهاً أو ملاكاً للرب ، بل بشراً يموت ، فقد ولد كإنسان ومات ككل البشر. وهكذا أدت عقوبة موسى إلى موته في موآب وعدم معرفة مكان قبره ،وهذا الأمر كان له هدف واحد ، وهو ألا تنشأ عبادة "موسى" بين الشعب ، وعدم جعله شخصية غير بشرية (٢) .

وحيث إن جوهر خطيئة موسى غير واضحة بدقة في التوراة ، فقد أجتهد " חז"ל - حكماء التلمود" ، في البحث عن حلول جديدة لهذه المسألة العويصة . فيرى " ליוונשטאם ليفنشطام " أن خطيئة موسى ليست هي التي يحيطها الغموض فقط بل أيضاً وصف موته ، فقد ورد في سفر التثنية (٣٤ : ٥ - ٦) أنه دفن في الجواء مقابل بيت فعور ... ، ولذلك لم يعرف أحد مكان دفنه . ويعتقد "אוריגינס أورجينيس " أن الرب أخفى مكان قبر "موسى" لكي لايعبده الشعب مثل الإله . ويرى " نوت נות " أن الشعب نسي مكان دفن "موسى"،حيث إنه دفن في أرض موآب . ويرى بعض حاخامات اليهود أن "موسى" لم يمت ، بل صعد إلى السماء. ويعتقد " يوسف بن متتياهو יוסף בן מתתיהו " أن قصة موت "موسى" وردت في التوراة لكي تخرج من قلب الشعب الإيمان بأن موسى أُصعِد إلى السماء،وأن الرب نفسه دفن "موسى" . والحقيقة أن "موسى" عليه السلام مات ودفن في الوادي لا في الجبل ، على طريقة دفن البشر العاديين(٣).

وقد واصل عمل "موسى" " يشوع بن نون . יְהוֹשֻׁעַ בִּן-נוּן " وقد أطلق عليه لقب " خادم موسى מְשָׁרֵת מֹשֶׁה "(٤). ولم يطلق عليه ولو مرة واحدة

---

١) راجع (العدد ٢٠ : ٨ - ١٣)

٢) אנציקלופדיה מקראית, כרך ה' ,עמ' 494.

٣) المصدر السابق ص ٤٩٥ .

٤) راجع (الخروج ٣٤ :١٣ ، ويشوع ١ : ١)

لقب " نبى " נָבִיא " لكن أُكِّد له باسم الرب : " كما كنت مع موسى أكون معك لا أهملك ولا أتركك .. لاترهب ولا ترتعب لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب: כַּאֲשֶׁר הָיִיתִי עִם מֹשֶׁה אֶהְיֶה עִמָּךְ לֹא אַרְפְּךָ וְלֹא אֶעֶזְבֶךָּ ...אַל-תַּעֲרֹץ וְאַל-תֵּחָת כִּי עִמְּךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ בְּכֹל אֲשֶׁר תֵּלֵךְ.(١)

ومع أنه قد ذُكِر فى عدة مواضع فى سفر يشوع أن الرب تحدث مع يشوع، إلا أن هذه القصص تبرز بالذات المسافة الروحية التى بين "موسى" و"يشوع"(٢).

وورد فى سفر التثنية عن يشوع أنه امتلأ روح حكمة ، إذ وضع موسى عليه يديه ، فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى(٣)، لكن لقب " نبى " أو " رجل الله " لم يعط له لا فى سفر يشوع أو فى أى سفر آخر فى العهد القديم. ومع ذلك حدث قبل عبوره الأردن أن الرب قال له : " اليوم ابتدئ أعظمك فى أعين جميع إسرائيل لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك : הַיּוֹם הַזֶּה אָחֵל גַּדֶּלְךָ בְּעֵינֵי כָּל-יִשְׂרָאֵל אֲשֶׁר יֵדְעוּן כִּי כַּאֲשֶׁר הָיִיתִי עִם מֹשֶׁה אֶהְיֶה עִמָּךְ.(٤) وبعد أن عبر الأردن قيل: " فى ذلك اليوم عظم الرب "يشوع" فى أعين جميع إسرائيل فهابوه كما هابوا موسى كل أيام حياته " : בַּיּוֹם הַהוּא גִּדַּל יְהוָה אֶת-יְהוֹשֻׁעַ בְּעֵינֵי כָּל-יִשְׂרָאֵל וַיִּרְאוּ אוֹתוֹ כַּאֲשֶׁר יָרְאוּ אֶת-מֹשֶׁה כָּל-יְמֵי חַיָּיו ".(٥)

النبوة فى عصر القضاة :

شهد المجتمع الإسرائيلى، منذ احتلال أرض كنعان فى القرن الثالث عشر ق.م تقريباً ، وحتى بداية عصر الملكية فى نهاية القرن الحادى عشر ، حكم رجال أبطال أطلق عليهم فى العهد القديم لقب " القضاة " ، وهو نظام حكم فريد فى نوعه بين شعوب الشرق القديم ، حيث ظهر من موقف العداء المستمر بين

---

١) يشوع ١ : ٩

٢) عيونيم בתנ"ך, עמ' 226 - 227.

٣) راجع (التثنيه ٣٤ : ٩)

٤) يشوع ٣ : ٧

٥) يشوع ٤ : ١٤

إسرائيل وجيرانها ... هذا وعندما نتعرض للمواصفات الرئيسية ، التى يبرزها سفر القضاة ، نجد أن سلطة القاضى لم تكن سلطة ثابتة ومستمرة ، بل فى وقت الشدة يظهر رجل شجاع وملهم يقوم بتنظيم آلاف الفلاحين المتطوعين لمواجهة العدو ، وبانتهاء الحرب يعود كل فلاح إلى أرضه ، وكذلك يعود القاضى إلى محراثه ... وهكذا كانت أولى مميزات حكم القاضى أنه كان وقتياً ، ومن أجل مهمة محددة ومعينة .. وثانيها : لم يشمل حكم القاضى الشعب كله ، بل يعتبر فى نطاق سبط أو عدة أسباط ، وبذلك لم ينجح أى قاضى فى توحيد الأسباط فى شعب واحد ، حيث لم يكن للقاضى جيش مستقر ولا إدارة رسمية ثابتة .. وثالثها : لم تنتقل قيادة القاضى بالوراثة ، فبعد موته يظل الشعب بلا زعيم ، وبظهور أزمة جديدة يظهر قاضى جديد ينقذ الشعب .. ورابعها : كان القاضى أيضا زعيماً روحانياً ، فجانب قيادة الشعب وقت الحروب ، نجده أيضاً قد قام بالزعامة الروحانية . وهذا النمط من الزعامة الروحانية يتضح فى شخصيات " دبورة דבורה " ، " وجدعون גִדעון " وقد قيل عن " عتنئيل بن قناز עתנאל בן קנז " فى القضاة (٣ : ١٠) ،وعن " يفتاح יפתח " (١٢ : ٧) ، وعن شمشون שמשון (١٦ : ٢٠) أنهم قضوا بين الشعب ... ومن ناحية أخرى فإن الصلاحية القضائية للقاضى لم تلغ زعامة " الشيوخ הזקנים " آباء بيوت الأسباط ، لكنها مارست عملها بتفويض فاق المؤسسات الأسرية والسبطية .. وخامسها كما يتضح لنا أيضاً من سفر القضاة :أن الشعب لم يقم باختيار القضاة ، بل إن الرب هو الذى يرسل القضاة إلى إسرائيل ، فالقاضى يعمل بروح الرب ، وبإلهامه وبقوته ، فقد قيل عن " عتنئيل بن قناز " "ותהי עליו רוח יהוה וישפט את ישראל (١)" ـ وكانت عليه روح الرب فقضى لإسرائيل " ، وقيل عن " اهود بن جيرا אהוד בן גרא " : ויזעקו- בני ישראל אל יהוה ויקם יהוה להם מושיע, את אהוד בן גרא (٢)" ـ وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فاقام لهم الرب مخلّصاً اهود بن جيرا " ... وكذلك يظهر ملاك الرب إلى جدعون ، ويرسله لإنقاذ إسرائيل : "לך בכחך זה והוש- עת את ישראל מכף מדין. הלא שלחתיך (٣)".

---

١) القضاة (٣ : ٩ - ١٠)
٢) القضاة (٣ : ١٥)
٣) القضاة (١١ : ٢٣)

اذهب بقوتك هذه وخلّص إسرائيل من كف مديان " ... أيضا كانت روح الرب على " يفتاح " (١)، وملاك الرب هو الذى أعلن لامرأة " منوح מנוח " عن ولادة " شمشون " ، وعندما كبر الطفل شمشون بدأت تنبض فيه روح الرب(٢). وسادسها : كانت زعامة القاضى زعامة كاريزماتية (٣) من ناحيتين (أ) أنها لم تنشأ بالوراثه أو بالانتخاب ، بل بواسطة إلهام إلهى وفضل إلهى ، (ب) لم يكن القاضى إنساناً عادياً ، بل شخصاً أسبغت عليه مزايا نفسية وروحية جعلته جديراً بالزعامة ، وبسبب تميزه فى القتال وإيمان الشعب بفيض روحه (كاريزماتيته) حظى القاضى بثقة وتأييد الشعب ، فقد آمن الشعب بأن القاضى يعمل بروح وقوة الرب ، ولذلك أضفى عليه طابعاً روحانياً ودينياً ، فلم يكن هناك قلق أو خوف من أن يصبح حاكماً مستبداً طاغية يحكم الشعب فى وحشية ، فالقاضى مزيج من المقاتل البطل ورجل الروح الفيّاضة (٤).

ومع كل هذا فلم يكن الحكم فى فترة القضاة فى إسرائيل حكماً إلاهياً كاملاً بل يمكن القول وفقاً لرأى " قوفمان " بوجود " ثيوقراطيا (٥) نبوية " - מַלְכוּת אֱלֹהִים נְבִיאִית ، حيث لم يكن هناك نظام سياسى ثابت من الكهنة الملوك أو مملكة مباشرة لحكم الرب ، بل حكم يقوم به " رجال روح אַנְשֵׁי - רוּחַ " يرسلهم الرب لإنقاذ إسرائيل ولقضائها ، أى أن النظام السياسى لأسباط إسرائيل فى الفترة التى سبقت تأسيس المملكة كان نظاماً يقوم على الإيمان

---

١) راجع (القضاة ١١ : ٢٣)

٢) راجع (القضاة ١٤ : ٦)

٣) كاريزما Charisma כאריזמה : وهى كلمة يونانية تعنى هبة ، منحة وهى فيض روحى وتفوق يكسبان الإنسان نفوذاً وثقة بين الشعب لتؤهله ليكون زعيماً . انظر : לקסיקון לועזי-עברי חדש , עמ' 185.

٤) מ.דובשני , שאלות ונושאים בתנ"ך , הוצאת זק' , ירושלים 1976 , חלק ב' , עמ' 129-134 .

٥) ثيوقراطيا Theokratein תיאוקרטיה مملكة الرب على يد الكهنة ، وهى كلمة يونانية مركبة من Theos بمعنى رب ، إله و Kratein بمعنى حكم أى مملكة تحكم بسلطان الدين.
انظر : לקסיקון לועזי-עברי, עמ' 395 .

بأن الرب يرسل إلى إسرائيل فى كل جيل أنبياء قضاة ؛ وقد رمز " عاموس " إلى هذه الشيوقراطية بقوله : וָאָקִים מִבְּנֵיכֶם לִנְבִיאִים וּמִבַּחוּרֵיכֶם לִנְזִירִים (١) - وأقمت من بنيكم أنبياء ومن فتيانكم نذيرين " .

بين القاضى والنبى :

يرسم لنا " قوفمان " الخطوط المشتركة بين القاضى والنبى ، فيقول إن القاضى-مثل النبى - رسول من قبل الرب يعمل بروح الرب(٢) ، وهو بذلك يكون

---

١) תולדות האמונה הישראלית, כרך א', עמ' 698.
وانظر : عاموس ٢ : ١١

٢) كان من عادة اليهود نسبة كل شئ يجهلون علّته المباشرة ، إلى الله ، بل يعتبرون وقائع الطبيعة كلها أعمال الله ،خاصة خوارق العادات أو الأشياء غير المألوفة عادة ، فالرجل الطويل " نبى الله " ، ومن هذه الناحية لايختلف اليهود عن الوثنيين ... إذ لاتعنى " روح الله " أى معنى حقيقى ، بل تعنى عدة معان مجازية . فكلمة " روح רוח " فى اللغة العبرية تعنى اشتقاقيا ريح - نسمة - نفخ - تنفس - قوة - طاقة - استعداد قيمة - رأى - رغبة - دافع ... الخ ، كما تستعمل للتعبير عن الانفعالات مثل التواضع ، والغرور ، والمحبة ، والكراهية ، وتقلّب المزاج، والطبيعة ، كما تستعمل أيضاً للدلالة على روح الإنسان ، خاصة وأن اليهود كانوا يعتبرون الجسد مصدر الشر ، والروح مصدر الخير ، وقد استعملت هذه المعانى المجازية كتشبيهات على طريقة التوراة التى لايمكنها التعبير عن الحقائق الإلهية إلا بالصور الإنسانية . فعندما يذكر الكتاب أن روح الله كانت فى النبى ، أو أن الله أنزل روحه على البشر ، فإن ذلك يعنى أن الأنبياء كانوا بشراً ممتازين يؤمنون بالله إيماناً صادقاً ، ويعبدونه عن حق ، ويستطيعون ادراك الأحكام الإلهية ، إذ تدل الروح على النشاط الذهنى أو على الحكم ، ولذلك سميت الشريعة روح الله ، وكذلك يمكن تسمية خيال النبى فكر الله ... والحقيقة أن فكر الله مطبوع فى البشر جميعاً كالمعرفة الفطرية تماماً ، ولكن اعتقاداً من العبرانيين أنهم اصفياء الله ادعوا أن روح الله قد حلّت فى أنبيائهم ، لأن العامة تجهل العلل المباشرة للمعرفة النبوية ، وتعتريها الدهشة أمامها لذلك نسبوا هذه المعرفة إلى الله كما تعودوا أن ينسبوا إليه كل شئ غريب عنهم .
انظر : سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ترجمة وتقديم د. حسن حفنى ، مراجعة د. فؤاد زكريا . القاهرة . الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧١ . ص ٤٥ - ٤٦ .

زعيماً روحانياً ، فوفقاً لرؤية سفر القضاة ، قام القضاة بالتأثير على الشعب لترك عبادة الأوثان ، والرجوع إلى الرب : "וְהָיָה בְּמוֹת הַשּׁוֹפֵט יָשֻׁבוּ וְהִשְׁחִיתוּ מֵאֲבֹתָם לָלֶכֶת אַחֲרֵי אֱלֹהִים אֲחֵרִים לְעָבְדָם וּלְהִשְׁתַּחֲוֹת לָהֶם"(١) - وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها وليسجدوا لها " . وقد حطم " جدعون " مذبح بعل كما فعل "إلياهو النبى" ، وكان شعاره : " للرب و لجدعون - ליהוה ולגדעון" حيث جمع رجاله فى " عين حرود עין חרוד"(٢) وبعد أن انقص عددهم إلى ثلاثمائة رجل ، حسب طلب الرب ، لكن يدرك الشعب أن الرب هو منقذ إسرائيل ، وحتى ينسب مجد الانتصار للرب ، لا للإنسان(٣) . وقد قيل كذلك عن " دبورة " فى صورة واضحة انها " امرأة نبية אִשָּׁה נְבִיאָה " وقصيدتها ماهى إلا ترنيمة للرب(٤) .

ونلاحظ من عرضنا لموقف النبى والقاضى أن وظيفة الاثنين لا تنتقل بالوراثة حيث إن النبوة والقضاء ليستا مؤسسات ثابتة ، بل يظهران بفضل الرب وإلهامه ، فعندما تنتهى مهمتهما يعود القاضى والنبى إلى حياتهما العادية ، وكذلك لاينتمى القاضى والنبى إلى طبقة خاصة ، وهما غير ملتزمين بأن يكونا أصحاب ثروة وجاه ،أو من " نسل الآباء " ... هذا ويختلف النبى عن القاضى فى أن النبى ليس مقاتلاً أو محارباً ، وهى صفة بارزة للقضاة ، حيث لم نجد نبياً خرج على رأس كتائب إسرائيلية لخوض الحرب ، فلا "دبورة" ولا "صموئيل" ؛ وحتى "موسى" لم يحارب " عماليق " (٥) ، فقد وقف على رأس الجبعة ، و"يشوع" هو الذى هزم العماليق . وقد حظى "يشوع" بتجلى الرب ولكنه لم يكن نبياً ، ولكن نلمس فيه طابعاً نبوياً بنفس القدر الذى كان للقضاة (٦) .

---

١) القضاة (٢ : ٩)

٢) عين حرود עין חרוד : ينبوع . نصب جدعون خيامه بالقرب منه بينما كان أعداؤه المديانيون عند تل موره ، فى الوادى (راجع القضاة ٧:١) ويعتقد البعض انها " عين جالود " على الجانب الشمالى العربى من جبل جلبوع ، نحو ميل شرقاً للجنوب من يزرعئيل وبالقرب من بيسان .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٣٠٠ .

٣) راجع (القضاة : ٦ : ٣ ، ٧ : ١)

٤) راجع (القضاة الاصحاح الخامس)

٥) راجع (الخروج ١٧ : ٨ - ١٣) . ٦)- שאלות ונושאים בתנ"ך, עמ' 130.

هذا ويميز قوفمان بين نوعين من القضاة : (أ) قضاة أنبياء حقيقيين : يتجلى لهم الرب فى الرؤية ويرسلهم لتحقيق رسالته مثل " דְּבוֹרָה دبورة " و " صموئيل שְׁמוּאֵל " ، كما يوجد كذلك أساساً نبوياً قوياً عند " جدعون " وإشارة لرسالة نبوية فى القصه عن " أهود אֵהוּד " الذى يقول " لعجلون עגלון" ملك موآب : דבר אלהים אליך [١] - كلام الله إليك " . (ب) قضاة ليسوا أنبياء بحق ، ولكنهم يعملون بروح الرب مثل : " عتنئيل עתניאל " و"يفتاح יפתח " ، و " شمشون שמשון " .. ويشترك قضاة هذين النوعين فى أن الرب هو الذى يرسلهم لقيادة الشعب عند الشدة [٢].

صموئيل النبى שְׁמוּאֵל הַנָּבִיא :

فى نهاية فترة القضاة امتزجت إلى حد ما الملكية والنبوة فى شخصية صموئيل ، التى يعرفها جيداً كل باحث مدقق فى العهد القديم ، حيث تم تعليمه حسب رغبة أمه وأبيه فى بيت " عالى الكاهن עלי " .. وبينما كان صموئيل يضطجع فى هيكل الرب دعاه الرب مرة بعد مرة ، وصموئيل يظن أن " عالى " هو الذى يدعوه إليه ، ذلك لأن " كلمة الرب " كانت عزيزة فى تلك الأيام ، ولم تكن هناك رؤى كثيرة [٣]... فلما كانت الدعوة الثالثة نبهه " عالى " إلى إجابة الرب ، وقد تحدث إليه الرب وأنذره بالقضاء على بيت عالى إلى الأبد ، فخشى صموئيل أن يخبر " عالى " بالرؤيا حتى سأله "عالى" ، فاضطر صموئيل إلى اخباره بكل ما قاله الرب ... وعندما كبر صموئيل كان الرب معه ، ولم يَدَعْ شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض ، وعرف جميع بنو إسرائيل من "دان" إلى "بئر سبع" أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب ، وقد كان صموئيل نبياً كبقية الأنبياء الجوالين الذين يحملون لقب " رائى " قبل أن يظهر لقب " نبى " ولكنه كان يمتاز عمن سبقوه بشخصيته ومظهره [٤]، وهكذا صار صموئيل قاضياً على بنى إسرائيل : " וַיִּשְׁפֹּט -

---

١) راجع (القضاة ٣ : ٢).

٢) תולדות האמונה הישראלית, כרך א', עמ' 699 - 700 .

٣) راجع (صموئيل الأول ٣ : ١٩ - ٢١)

٤) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٣ . ص ٣٥٥

שְׁמוּאֵל אֶת יִשְׂרָאֵל כֹּל יְמֵי חַיָּיו (١)- وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته " ، وهكذا كان "صموئيل" آخر من لُقب بالقاضى والنبى معاً ... وقد رزق "صموئيل" بحفنة من الأبناء جعل منهم قضاة لإسرائيل وكان ابناه " يوئيل " וְשֵׁם בְּנוֹ הָרִאשׁוֹן יוֹאֵל " وابيا " וְשֵׁם הַשֵּׁנִי אֲבִיָּה " قاضيين فى "بئر سبع" لم يسلكا فى طريق الله بل مالا وراء الكسب : " וַיִּקְחוּ שֹׁחַד וַיַּטּוּ מִשְׁפָּט (٢). وأخذا رشوة وعوجّا القضاء " ... هذه الحقيقة التى عرفها الشعب خلقت تحولاً جوهرياً فى حياة مجتمع الأسباط ، ووضعت النهاية لحكم القضاة ، الذى كان فى أساسه نظاماً فوضوياً ، كما ورد فى نهاية سفر القضاة בַּיָּמִים הָהֵם אֵין מֶלֶךְ בְּיִשְׂרָאֵל אִישׁ הַיָּשָׁר בְּעֵינָיו יַעֲשֶׂה . (٣). فى تلك الأيام لم يكن ملك فى إسرائيل . كل واحد عمل ما حسن فى عينيه " ..... وحيث إن "صموئيل" كان آخر القضاة ، الأمر الذى جعل شيوخ "إسرائيل" يذهبون إليه فى "الرامة" ، ويطلبون منه أن يجعل عليهم ملكاً يقضى لهم كسائر الشعوب ، فساء الأمر فى عين "صموئيل" ، فصلى للرب ، وقد أجابه الرب أن الشيوخ لم يرفضوه هو بل رفضوا الرب حتى لايملك عليهم . فأنذرهم "صموئيل" بغضب الرب إن هو رضى فملك عليهم ملكاً (٤). وهناك من يتسائل: لماذا أصبح الأمر سيئا فى عين "صموئيل" ؟ وهناك فقرة فى سفر التثنية تشير إلى أهمية تنصيب ملك : "כִּי-תָבֹא אֶל-הָאָרֶץ אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לָךְ וִירִשְׁתָּהּ וְיָשַׁבְתָּה בָּהּ וְאָמַרְתָּ אָשִׂימָה עָלַי-מֶלֶךְ כְּכָל-הַגּוֹיִם אֲשֶׁר סְבִיבֹתָי. שׂוֹם תָּשִׂים עָלֶיךָ מֶלֶךְ אֲשֶׁר יִבְחַר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ בּוֹ מִקֶּרֶב אַחֶיךָ תָּשִׂים עָלֶיךָ מֶלֶךְ לֹא תוּכַל לָתֵת עָלֶיךָ אִישׁ נָכְרִי אֲשֶׁר לֹא-אָחִיךָ הוּא ؛" (٥)

---

١) صموئيل الأول ٧ : ١٥

٢) صموئيل الأول ٨ : ٣

٣) القضاة ٢١ : ٢٥

٤) راجع (صموئيل الأول الإصحاح الثامن)
وانظر : עיונים בתנ"ך , עמ' 228 .

٥) التثنية ١٧ : ١٤ - ١٥

متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها . فإن قلت اجعل علىَّ ملكاً كجميع الشعوب الذين حولى ، فإنك تجعل عليك ملكاً، الذى يختاره الرب إلهك من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً " ... وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أبدى صموئيل معارضته لطلب الشعب ؟.... هناك احتمال أن سفر التثنية لم يكن معروفاً بعد لصموئيل ، أو أنه لم يأخذ كلمات التوراة فى الاعتبار ، لإدراكه أن تعيين ملك سيجرده هو من حكم الشعب ، فحاول أن يبث الرعب والخوف فى قلب الشعب من " قضاء الملك - מִשְׁפַּט הַמֶּלֶךְ "، " זֶה יִהְיֶה מִשְׁפַּט הַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר יִמְלֹךְ עֲלֵיכֶם אֶת־בְּנֵיכֶם יִקַּח וְשָׂם לוֹ בְּמֶרְכְּבֹתָו וּבְפָרָשָׁיו וְרָצוּ לִפְנֵי מֶרְכַּבְתּוֹ ... וְאֶת־בְּנוֹתֵיכֶם יִקַּח לְרַקָּחוֹת וְלִטַּבָּחוֹת וְלֶאֱפוֹת ... וְאַתֶּם תִּהְיוּ־לוֹ לַעֲבָדִים (١) .

هذا يكون قضاء الملك الذى يملك عليكم . يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه ولمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ... ويأخذ بناتكم عطّارات وطبّاخات وخبّازات .... وأنتم تكونون له عبيداً ".

فى الحقيقة لم يكن هناك " قضاء ملكى " فى إسرائيل ، كما وصفة صموئيل لشيوخ الأسباط ويتضح ذلك من قصة نابوت اليزرعيلى مع الملك آحاب وزوجته إيزابل ، وثورة إلياهو النبى ضد هذا الظلم الاجتماعى الذى وردت تفاصيله فى سفر الملوك(٢).

وعلى الرغم من هذه الرؤية القاسية " لقضاء الملك " فإن الشعب أبى أن يسمع كلام صموئيل ، حيث أكد له الشعب رغبته : לֹא כִּי אִם־מֶלֶךְ יִהְיֶה עָלֵינוּ (٣) لابد أن يكون علينا ملك " فأمره الرب قائلاً : "שְׁמַע בְּקוֹלָם וְהִמְלַכְתָּ לָהֶם מֶלֶךְ (٤)- اسمع لصوتهم وملّك عليهم ملكاً " .. عندئذ اضطر صموئيل أن يلبى رغبتهم فمسح " شاؤل بن قيس " ملكاً(٥).

---

١) صموئيل الأول ٨ : ١١ - ١٧

٢) راجع (الملوك الأول ٢١ : ١٩)

٣) صموئيل الأول ٨ : ١٩

٤) صموئيل الأول ٨ : ٢٢

٥) עיונים בתנ"ך, עמ' 289.

وهكذا كان اختيار ملك على هذه الصورة أمراً حذر منه رب إسرائيل شعبه ، وحاول الحد من رغبتهم فى تنصيب ملك عليهم ، ولكنهم أصرّوا على مايطلبون ، فلم يسعه إلا التسليم بذلك منذراً متوعداً حتى لنراه فى " هوشع " يبرأ من تنصيب ملك عليهم قائلاً : "הֵם הִמְלִיכוּ וְלֹא מִמֶּנִּי הֵשִׂירוּ וְלֹא יָדַעְתִּי." (١) - هم أقاموا ملوكاً وليس منى ، أقاموا رؤساء وأنا لم أعرف " ، ثم يسخر منهم بعد بقوله : " אֱהִי מַלְכְּךָ אֱפוֹא וְיוֹשִׁיעֲךָ בְּכָל עָרֶיךָ וְשֹׁפְטֶיךָ אֲשֶׁר אָמַרְתָּ תְּנָה־לִּי מֶלֶךְ וְשָׂרִים. אֶתֵּן־לְךָ מֶלֶךְ בְּאַפִּי וְאֶקַּח בְּעֶבְרָתִי. (٢)

فأين هو ملكك حتى يخلّصك فى جميع مدنك وقضاتك حيث قلت أعطنى ملكاً ورؤساء . أنا أعطيك ملكاً بغضبى وأخذته بسخطى " ... والأمر على هذه الصورة بالغ الوضوح ... ذلك أن إله إسرائيل رأى أنه يكفى أن يكون هو ملكاً على إسرائيل وأنهم ليسوا ، فى حاجة إلى أن يكونوا كغيرهم من الشعوب ، ولكنهم آثروا إغضابه ... فأعطاهم ملكاً بغضبه ، وبذا حلت عليهم نقمته ... ولعل قيمة هذه القصة فيما يتصل بها من أحداث لاتظهر إلا بمقارنتها بما أورده " هوشع " ومدرسته فيما بعد بشأن الملكية ومركزها فى إسرائيل ، ومسحة العداء التى تتسم بها تجاه " الملك رب الجنود " والتى سلبت منه إحدى صفاته لتمنحها لرجل من البشر ... ولعل تجربة الملوك الشماليين فى نصف القرن الأخير من تاريخ المملكة الإسرائيلية ليبرر لنا هذا العداء السافر ... كما أن هذا المظهر هو الذى مهد الأمل فى المسيح المرتقب حين يوضع فى كفة مقابل المثل الأعلى لما يجب أن تكون عليه الملكية (٣).

وبعد أن اختار صموئيل شاؤل ليكون أول ملوك بنى إسرائيل ، انهارت آماله التى كان يعلقها عليه ، ونستطيع أن نترسم خيبته تلك فى حدثين يصوران تلوث

---

١) هوشع ٨ : ٤

٢) هوشع ١٣ : ١٠ - ١١

٣) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٣٥٧

العلائق بين الرجلين : الحدث الأول كان فى ليلة الهجوم على الفلسطينيين[١] ، ذلك أن "شاؤل" أصعد المحرقة بعد أن انتظر عبثاً قدوم "صموئيل" ليفعل ذلك ، ولكنه عندما انتهى من إصعاد المحرقة وجد صموئيل مقبلاً ، وعليه فهو يعتبر هذا عملاً لايتفق مع الخضوع " ليهوه " وأن ثمن ذلك الإثم هو ضياع الملكية وانتقالها إلى يد أخرى[٢] ، وأما الحدث الثانى فكان مخالفة الله فى أمره بصدد حرب العماليق، وتحريم كل مالهم ، ويشير "صموئيل" هنا إلى أن الرب قال له : إنه ندم على أنه جعل من "شاؤل" ملكاً لأنه رجع من ورائه ولم يقم كلامه[٣] ، ومهما يكن من نصيب تلك القصص من الصحة والصدق من الناحية التاريخية - فليس لنا من مصدر سوى نصوص العهد القديم التى ترويه بعد قرون تناولت القصص خلالها فنون التحوير بما يتفق وأهداف معينة ، ومهما يكن الأمر فان "شاؤل" لم يستطع على الأغلب أن يكون النبى الملك الذى أمله "صموئيل" ، أو بمعنى آخر لم يستطع "صموئيل" أن يصوغ شخصية تجمع بين الكهانة والقيادة ، ولم يستطع أن يمزج بين رجل الدين ورجل الحرب فى ذات واحدة ، وكان من نتيجة ذلك أن أول ملكية فى "إسرائيل" .. أعطاها " يهوه " بغضبه ، ثم أخذها بسخطه ... ففشلت فشلاً ذريعاً ولم يسعها تأدية رسالتها على الوجه المأمول[٤].

وليس هذا مما يغمط قدر ما قدم "صموئيل" ومابذل من جهد ، فيرى" Güthe " أن التاريخ والقصص جميعا تضع صموئيل فى المقدمة فى كل المراحل التى تهيء لشخصية مهمة فى هذه العصور كسيد" وكاهن" وقاضى" ونبى" وهو برهان واضح يدل على أنه فى الفترة التى بين "موسى" وقيام الملكية لم يكن هناك رجل يضارعه أهمية "[٥] ...

---

١) راجع (صموئيل الأول ١٤ : ١٠ - ٣١)

٢) راجع (صموئيل الأول ١٤ : ١٠ - ٣١)

٣) راجع (صموئيل الأول ١٥ : ١ - ٣٥)

٤) يرى " أوفنهيمر . אופנהיימר " أن الخلاف بين "صموئيل" و"شاؤل" قد اندلع فى البداية نتيجة للأزمة النفسية التى تشير إليها فترة الانتقال من مملكة الرب الى مملكة البشر ، تلك الأزمة التى تبلورت من خلالها شخصية النبى فى كونه ليس فقط معنفاً للملك ، والشعب باسم الرب ، بل أيضاً كتجسيد فكرى للمعارضة المحاربة
انظر : הנבואה הקדומה בישראל, עמ' 154.

٥) د. نجيب ميخائيل إبراهيم . مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٣ . ص ٣٥٩

هذا وتتحدث الموسوعة العبرية أيضا بصورة إيجابية عن صموئيل ، فتقول إنه فضلاً عن كونه النبى القائد وآخر القضاة ، إلا أنه قد امتزجت فيه أيضاً شخصية الرائى الشعبى الذى يقوم بمساعدة الأفراد ، وقد تجسدت فيه الشخصية النموذجية للنبى الإسرائيلى :רואֶה גלוי עֵינַיִם הַמְבִין בְאותות [1]- رائى مفتوح العينين يفهم الإشارات " ... وهو أول نموذج لنبى غاضب يوجه رجال السلطة بكلام الرب ، ولايخشى بطشهم . وقد لخص العهد القديم مميزاته فى التسمية التى رمزت أيضاً من قبل إلى موسى : "נֶאֱמָן שְמואֵל לְנָבִיא לַיהוָה "[2]- اؤتمن صموئيل نبياً للرب ".

بنو الأنبياء : בְנֵי הַנְבִיאִים .

لم يفهم بنو إسرائيل رسالة الأنبياء على أنهم مختارون من الله لتبليغ مشيئته ، وانما اعتبروا الأنبياء ، كما كان يعتبرهم معاصروهم من الوثنيين ، طائفة من المشعوذين الذين يتلقنون علوم التنجيم والعرافة وقراءة الغيب ومعرفة الطالع فى مدارس مخصصة ،لذلك يسمى أساتذتها " آباء " أو " سادة " ويسمى تلاميذها " بنى الأنبياء " ، وكانت أشهر هذه المدارس فى أريحا والجلجال وبيت إيل [3].

وفى أيام صموئيل يظهر لأول مرة " بنى أنبياء " وصفوا بانهم " חֶבֶל-נְבִיאִים יורְדִים מִהַבָמָה וְלִפְנֵיהֶם נֵבֶל וְתֹף וְחָלִיל וְכִנּור וְהֵמָה מִתְנַבְאִים [4]- زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى و عود ، وهم يتنبأون "... وفى الحقيقة ليست هذه نبوة بل تنبؤ اكستازى يجتهد فيه " بنو الأنبياء " من أجل الوصول إلى حالة نفسية خاصة ،

---

١) راجع (صموئيل الأول ٩ : ١١ - ١٩)

٢) قارن (صموئيل الأول ٣ : ٢٠ مع العدد ١٢ : ٧ والمزامير ٩٩ : ٦)
وانظر : האנציקלופדיה העברית, ערך נבואה,עמ' 801.

٣) زكى شنودة : المجتمع اليهودى . ص ٨٩

٤) صموئيل الأول ١٠ : ٥

ومن أجل الارتفاع عن الواقع وعن العالم المادى يعمدون إلى طريقة من العيش خاصة : فيعيشون فى جماعة ، ويمارسون الرقص على ايقاع الموسيقى ، ويزاولون بعض الأعمال والممارسات التى تؤدى إلى نوع من الانخطاف . ويشير العهد القديم إلى أن "صموئيل" وقف على رأس فرقة من الأنبياء المتنبئين فى الرامة (١)، ويحتمل أن صموئيل أسس هناك مدرسة أنبياء ، تخرّج منها " ناثان נָתָן " ،و"جاد גָּד (٢) "، وقد حلّت روح الرب على "شاؤل" فتنبأ وسطهم ، ويبدو أن انضمامه إلى فرقة بنى الأنبياء كان بداية بروزه الجماهيرى تجاه تنصيبه ملكاً (٣). ويبدو أيضاً أن البذرة التى تم زراعتها فى أيام "صموئيل" ، وبتشجيع منه ، لتأسيس جماعة " بنى الأنبياء " قد أثمرت ، فهم استمروا فى الظهور جيلاً بعد جيل ، والقارئ للعهد القديم يلتقى بهم مرة تلو الأخرى ، وبذلك كان عدد الأنبياء كبيراً جداً بهذا المفهوم فى المجتمع الإسرائيلى (٤).

هذا ويفرق " قوفمان " بين " المتنبئين " و " بنى الأنبياء" فيقول لم يكن لبنى الأنبياء ذكر مع المتنبئين فى أيام صموئيل ، فبنى الأنبياء ليسوا بوثنيين أو فرق من المعربدين والاكستازيين ، ولاتوجد روح " تنبؤ " تلتصق بمن يتصل بهم ، وعملهم غير مرتبط بلحن أداة موسيقية ، فعندما طلب "اليشع" " אלישע " استدعاء " ملحن " لكى يتنبأ بلحنه (٥)، لم يكن هذا الملحن من بنى الأنبياء ، بل أيضا لم يسمع "اليشع" اللحن ولم يتنبأ وهو تحت " يد يهوه "

---

١) راجع صموئيل الأول ١٩ : ٢٠ - ٢١

٢) מ.דובשני, עיקרי הנבואה, שעורים בנביאים אחרונים בדרך ראשון, הוצאת יבנה, תל אביב, תשל"ה, עמ' 22.

٣) האנציקלופדיה העברית, ערך נבואה, עמ' 801.

٤) הנבואה בישראל, עמ' 30.

٥) راجع الملوك الثانى ٣ : ١٥ .

وسط جماعة بنى الأنبياء ، والمتنبؤن فى أيام صموئيل ليسوا إلا رجالاً اكستازيين أصحاب وجد ، ولم ينسب إليهم أى عمل تنجيمى أو رسولى ، فقد كان عملهم الوحيد هو " التنبؤ " ! أما صموئيل فهو فقط الذى يعمل رائياً ونبياً ورسولاً، وطبقاً لذلك اختلفت العلاقة بين بنى الأنبياء والنبى الرئيسى عن العلاقة بين المتنبئين والنبى قبل ذلك ، فالعلاقة الآن أصبحت " عقلانية " ثابتة ومنظمة ، وليست " ألوهية "[١]. ويؤكد قوفمان أن الظاهرة المميزة للنبوة الإسرائيلية بوجه عام ليست الفرق الاكستازية بل "الخادم" ، "الغلام التلميذ" ، ويقول بان هذا هو أيضا أساس بنى الأنبياء ، فهم ليسوا إلا خادمين وتلاميذ للنبى ، وهم كثرة من الخدم ، وليسوا بمتنبئين . وهم " عبيد עֲבָדִים " النبى ، وغلمانه " נְעָרִים "[٢]. والحقيقة أن العلاقة بين المتنبئين والنبى ليست علاقة ثابتة ومستقرة ، وهى ليست كذلك مع بنى الأنبياء فهم بمثابة مساعدون للنبى يجتمعون حوله ويجلسون أمامه[٣]، ومع أنهم يعيشون حياة أسرية ، إلا أنهم يتجولون معه من مكان إلى مكان[٤]، وهم بذلك يشبهون جماعة من المتسولين الذين يتم إعالتهم من الهدايا والصدقات المقدمة للنبى ، وهم يتناولون الطعام سوياً ، ويبنون لهم مقراً مشتركاً[٤]. أما عن أعمالهم ، فهم يقومون بحكاية أعمال النبى ومعجزاته[٦]، وأداء المهام له[٧] ، ويساعدونه فى أعماله كرسول للرب ... إذاً فبنو الأنبياء نوع منظم من القادة ، وعلاقتهم ببعضهم البعض وكذلك علاقتهم بالنبى ليست علاقة " تنبؤ " مشترك[٨].

---

١) תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 243.
٢) راجع (الملوك الثانى ٥ : ٢٢ ؛ ٦ : ٣ ؛ ٩ : ٤ ، وقارن ٤ : ١ و ٢٥ ؛ ٥ : ٢٠ ؛ ٦ : ١٥ و ١٧ ؛ ٨ : ٤ ، وقارن الملوك الأول ١٩ : ٢١ ، والملوك الثانى ٢ : ٣ و ٥ ؛ ٣ : ١١).
٣) راجع (الملوك الثانى ٤ : ٣٨ ؛ ٦ : ١)
٤) راجع (الملوك الثانى ٦ : ١ - ٤)
٥) راجع (الملوك الثانى ٤ : ٣٨ - ٤٤ ؛ ٥ : ٢٢ - ٢٤ ؛ ٦ : ١ - ٤)
٦) راجع (الملوك الثانى ٨ : ٤ - ٥)
٧) راجع (الملوك الثانى ٤ : ٢٩ ؛ ٩ : ١ ومابعده)
٨) תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 244.

ناشـــان נָתָן :

عاش ناشان النبى ، وهو من سبط يهوذا ، فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد تقريباً فى عهد الملكين "داود" و"سليمان" ، وكان مستشاراً لهما ورسولاً يحمل إليهما نصائح الرب وتحذيراته ، وكاتباً عندهما يؤرخ حياتهما (١)، وقد استشاره "داود" فى بناء الهيكل إلا أن الله ألهمه بأن يفهم داود أن الله يفضل عدم بناء الهيكل فى زمن داود ، وترك ذلك إلى أيام "سليمان" (٢)، .. و"ناشان" هو الذى سمّى "سليمان" عند ولادته (٣)، وهو الذى أشار بوضع المغنيين والموسيقيين من اللاويين فى الهيكل (٤) وقد اشترك مع " صادوق الكاهن " فى مسح "سليمان" ملكاً وإعلانه إعلاناً رسمياً (٥) ، أما أبناه " زابود זָבוּד " و" عزريا עֲזַרְיָהוּ " ، فقد كانا وزيرين فى بلاط "سليمان" ... ويشير العهد القديم إلى ان "ناشان" قد قام بتبجيل "داود" وتأييده فى كل أعماله : "וַיֹּאמֶר נָתָן אֶל־הַמֶּלֶךְ כֹּל אֲשֶׁר בִּלְבָבְךָ לֵךְ עֲשֵׂה כִּי יְהוָה עִמָּךְ" (٦) وقال ناشان للملك : اذهب فافعل كل مابقلبك لأن الرب معك " وبالإضافة إلى ذلك فإنه يتنبأ لـ"داود" بقيام ملكه وملك ابنه إلى الأبد ، وبهذا يكون "ناشان" قد وضع برؤيته هذه أساس أبدية بيت داود : "וְנֶאֱמַן בֵּיתְךָ -

---

١) زكى شنودة : المجتمع اليهودى . ص ١٠٨

٢) قارن (صموئيل الثانى : الإصحاح السابع مع أخبار الأيام الأول ١٧ : ١ -١٥) وهناك سببان مختلفان لهذا الامتناع . الأول فى صموئيل (٧ : ٧) " ليس داود الراعى ... ليس هو المناسب ليبنى لى بيتاً " وفى مقابل هذا الامتناع يعد "ناشان" "داود" بأن عرشه سيكون ثابتاً إلى الأبد (راجع صموئيل الثانى ٧ : ١٣) ، وفى أخبار الأيام الأول (٢٢ : ٨) هناك سبب آخر لهذا الامتناع وهو : " قد سفكت دماً كثيراً ، وعملت حروباً عظيمة فلاتبنى بيتاً لاسمى لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى "

٣) راجع (صموئيل الثانى ١٢ : ٢٥)

٤) راجع (أخبار الأيام الثانى ٢٩ : ٢٥)

٥) راجع (الملوك الأول ١ : ٨ - ٤٥)

٦) صموئيل الثانى ٧ : ٣

וּמַמְלַכְתְּךָ עַד־עוֹלָם לְפָנֶיךָ כִּסְאֲךָ יִהְיֶה נָכוֹן עַד־עוֹלָם.(١)

ويامن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك . عرشك يكون ثابتاً إلى الأبد " .. وبالرغم من ذلك لم يكن ناشان " نبى بلاط נָבִיא חָצֵר" محترفاً للنبوة ومرافقاً للملك من أجل إقرار أعماله (٢)، ولم يكن نبياً شعبياً ، بل نبياً حمل راية النقاء الأخلاقى ومحاربة الفساد الملكى بدون خوف أو رهبة (٣)، فهو ليس مثل "صموئيل" الزعيم الشعبى والقاضى النبى ، الذى لم يحتج إلى شجاعة كبيرة لتعنيف " شاؤل " الملك الشاب الذى قام هو بتمليكه ، ولكن "ناشان" احتاج إلى هذه الشجاعة لتعنيف ملك عظيم كداود فى قصة " بتشبع בַּת שֶׁבַע "(٤). وفى الحقيقة، إن عمل "ناشان" الشجاع هو نموذج لنبى حقيقى يعنّف ويوبّخ الملوك المخطئين على أعمالهم الظالمة، وبذا يعتبر "ناشان" أول نبى يعبر عن موعظته فى صورة فنية خلال مثال أدبى "כִּבְשַׂת הָרָאשׁ - نعجة الفقير " ، فهى ليست مثالاً خياليا كمثال " يوثام יוֹתָם "(٥) بل قصة واقعية مقتبسة من حياة المجتمع الإنسانى ، ففى البداية

---

١) صموئيل الثانى ٧ : ١٦ - وتوضح رؤية أبدية بيت "داود" التى عبر عنها "ناشان" ، التغيّر العميق الذى حدث فى موقف الأنبياء من الملكية بتأثير انتصارات "داود" الباهرة ، حيث اختفى تردد "صموئيل" تجاه الملكية . ويرى " أوفنهيمر " أن قضية العدل الاجتماعى التى كانت رئيسية فى تعنيف الأنبياء الكلاسيكيين لم تحتل مكاناً بارزاً فى تعنيف الأنبياء أيام "داود" و"سليمان" .

انظر: הנבואה הקדומה בישראל, עם 190.

٢) עיקרי הנבואה, עם 22.

٣) הנבואה בישראל, עמ' 32.

٤) بتشبع בַּת שֶׁבַע: اسم عبرى معناه " ابنه القسم " أو " ابنة اليوم السابع" وهى ابنة اليعام وامرأة أوريا الحثى (راجع صموئيل الثانى ١١) وقد شغف بها "داود" الملك واحتال على زوجها فقُتل ، فتزوجها وجعل ابنها "سليمان" وريث ملكه (راجع : الملوك الأول ١ : ١١ - ٥٣)

انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٦٢ .

٥) يوثام : "יוֹתָם " : وهو ابن " يربعل " أو " جدعون الصغير" (راجع القضاة ٩ : ٥) وهو وحده من اخوته الذى نجا من القتل فى " عفرة " واختبأ فى بئر (راجع القضاة ٩ : ٢١) . وعندما ملك أهل شكيم أخاه أبيمالك الذى قتل اخوته السبعين ، صعد إلى جبل جرزيم وخاطب أهل شكيم بمثله المشهور عن انتخاب الاشجار ملكاً عليها .

انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ١١٠٥

قص على داود حكاية نعجة الفقير : "שְׁנֵי אֲנָשִׁים הָיוּ בְּעִיר אֶחָת. אֶחָד עָשִׁיר וְאֶחָד רָאשׁ. לֶעָשִׁיר הָיָה צֹאן וּבָקָר הַרְבֵּה מְאֹד. וְלָרָשׁ אֵין־כֹּל כִּי אִם־כִּבְשָׂה אַחַת קְטַנָּה אֲשֶׁר קָנָה וַיְחַיֶּהָ וַתִּגְדַּל עִמּוֹ וְעִם־בָּנָיו יָחְדָּו מִפִּתּוֹ תֹּאכַל וּמִכֹּסוֹ תִּשְׁתֶּה וּבְחֵיקוֹ תִּשְׁכָּב וַתְּהִי־לוֹ כְּבַת. וַיָּבֹא הֵלֶךְ לְאִישׁ הֶעָשִׁיר וַיַּחְמֹל לָקַחַת מִצֹּאנוֹ וּמִבְּקָרוֹ לַעֲשׂוֹת לָאֹרֵחַ הַבָּא־לוֹ וַיִּקַּח אֶת־כִּבְשַׂת הָאִישׁ הָרָאשׁ - וַיַּעֲשֶׂהָ לָאִישׁ הַבָּא אֵלָיו (١) كان هناك رجلان فى مدينة واحدة، واحد منهما غنى والآخر فقير . وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جداً . وأما الفقير فلم يكن له شىء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً . تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام فى حضنه وكانت له كابنة ، فجاء ضيف إلى الرجل الغنى فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيىء للضيف الذى جاء اليه، فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذى جاء إليه " . وعندما حمى غضب داود على ظلم الغنى اندفع قائلاً : "חַי־יְהוָה כִּי בֶן מָוֶת הָאִישׁ הָעֹשֶׂה זֹּאת. וְאֶת־הַכִּבְשָׂה יְשַׁלֵּם אַרְבַּעְתָּיִם (٢) . حى هو الرب، إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ، ويرد النعجة أربعة أضعاف " ... على الفور يتضح لداود أنه حقر نفسه ، بينما اكتفى ناثان بكلمتين جديّتين " אַתָּה הָאִישׁ (٣) - أنت هو الرجل " ... وتكشف لنا هذه الصورة التى واجه بها ناثان داود ، عن حكمته وفطنته ، ولكنها من ناحية أخرى تظهر احترامه الشديد للملك ، فهو لايقول له كما قال إلياهو لآحاب : "הָרָצַחְתָּ וְגַם־יָרָשְׁתָּ (٤) - اقتلت وورثت أيضاً "، ولكنه يسبق تعنيفه بقصة تجعل داود يتهم نفسه ، فيعلن له هو ماينتظره فقط بعد أن يبين له فضل الله عليه "אָנֹכִי מְשַׁחְתִּיךָ לְמֶלֶךְ עַל־יִשְׂרָאֵל וְאָנֹכִי הִצַּלְתִּיךָ מִיַּד שָׁאוּל. וְאֶתְּנָה לְךָ אֶת־בֵּית אֲדֹנֶיךָ - וְאֶת־נְשֵׁי אֲדֹנֶיךָ בְּחֵיקֶךָ וָאֶתְּנָה לְךָ אֶת־בֵּית יִשְׂרָאֵל וִיהוּדָה - וְאִם־מְעָט וְאוֹסְפָה לְךָ כָּהֵנָּה וְכָהֵנָּה ---. וְעַתָּה לֹא־תָסוּר-

١) صموئيل الثانى ١٢ : ١ - ٥
٢) صموئيل الثانى ١٢ : ٥ - ٦
٣) صموئيل الثانى ١٢ : ٧
٤) الملوك الأول ٢١ : ١٩

חבר מִבֵּיתְךָ עד־עולם[١] - أنا مسحتك ملكا على إسرائيل وأنقذتك من يد شاوُل ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا ... والآن لايفارق السيف بيتك إلى الأبد . وهنا يسرع داود بالاعتذار والتوبة : חָטָאתִי לַיהוָה [٢] . قد أخطأت إلى الرب " ... لقد استخفت القصة الرمزية داود فقضى بقتل الجانى ، فلما علم بأن " الجانى " إنما يرمز به إليه ، نكص على عقبيه كما فعل يهوذا بن يعقوب الذى حكم بحرق أرملة ابنه لأنها حملت من سفاح ، حتى إذا ما علم أنه هو الذى فعل بها ذلك نقض حكمه [٣] ، والمفاجأة هنا هى اعتراف داود لناشان باثمه كما يعترف الكاثوليكى للقس، وغفر ناشان لداود كما يغفر القس للكاثوليكى : "וַיֹּאמֶר נָתָן אֶל־דָּוִד גַּם־יְהוָה הֶעֱבִיר חַטָּאתְךָ לֹא תָמוּת. אֶפֶס כִּי־נִאֵץ נִאַצְתָּ אֶת־אֹיְבֵי יְהוָה בַּדָּבָר הַזֶּה גַּם הַבֵּן הַיִלוד לְךָ־מוֹת יָמוּת [٤] - فقال ناشان لداود : الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك . لاتموت . غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت " ... وقد تم كل شىء حسب نبوة ناشان ، وبقى مَثَل " نعجة الفقير كدرة فنية أخلاقية فى العهد القديم [٥] ، ولكن لنا فيها بعض الملاحظات التى تؤخذ عليها : (أ) أن ناشان يرى النساء يتشابهن جميعاً كما تتشابه النعاج ، وأنه لم يزر على الملك اغتصابه زوجة الرجل الذى يقاتل فى سبيل وطنه واقترافه بذلك خطيئة الزنا وانتهاكه حرمة الوصية السابعة من الوصايا العشر [٦] ، بل نعى عليه استهتاره باغتصاب النساء حتى إنه لم يعف عن الزوجة الوحيدة التى لأوريا على وفرة مافى حوزته هو منهن ، ولو أنه كان عزباً أو ذا زوجة واحدة لانتفى الذنب، أو هان ولما كان لهذه القصة الرمزية معنى على

---

١) صموئيل الثانى ١٢ : ١٠

٢) صموئيل الثانى ١٢ : ١٣

٣) عصام الدين حفنى ناصف . الأسطورة والوعى . ص ١٦٢

٤) صموئيل الثانى ١٢ : ١٣ - ١٤

٥) הנבואה בישראל, עמ' 32.
وانظر أيضاً : עיקרי הנבואה, עמ' 23.

٦) قارن (الخروج ٢٠ : ١٧ والتثنية ٥ : ٢١)

الاطلاق . (ب) إن كلمة " كذا وكذا " لايمكن أن تكون هى مقول القول ، ولكنها إشارة موجزة إلى مايمكن أن يكون قد قيل فى هذا المقام . (ج) إن داود لم يصنع ماصنع بزوجة أوريا فى السر،بل على مرأى ومسمع من كثيرين . (د) إن فقرة العقاب السماوى لداود تشير إلى الانتقام منه فى أشخاص نساء الأسرة - وهن بريئات - فهى تقضى بأن ينكبن فى أعراضهن ويسمن أبشع الإذلال ، وكأنه لاوزن لأشخاصهن ولا عبرة بآلامهن(١).

هذا وقد جمعت نبوءات ناشان فى سفر דִּבְרֵי נָתָן הַנָּבִיא - أخبار ناشان النبى " والذى تم الإشارة إليه مرتين فى سفر أخبار الأيام ، وهناك من يعتقد أن ناشان أول من لقب بالنبى حيث كان صموئيل يلقب بالرائى وجاد بالحازى(٢) .

جاد גָּד

عاش جاد النبى فى القرن الحادى عشر تقريباً فى عهد الملك داود ، حيث كان صديقاً ومستشاراً له ، فحين كان داود مختبأ فى مغارة " عدلام " هرباً من الملك شاول ، نصحه " جاد " بمغادرة المغارة إلى أرض يهوذا(٣)، وبعد أن أصبح داود ملكاً على إسرائيل ، قام جاد بدور نبى بلاط عنده ، وحمل لقب " חוֹזֵה דָּוִד - حازى داود"(٤)، وحينما غضب الرب على داود لتعداده الشعب بدون أمره ، وهى المعصية التى يشير إليها الباحثون بصعوبة فهمها(٥) أرسل الرب إليه " جاد " ليخبره بأن يختار لنفسه أحد ثلاثة جزاءات ذكرها له عقاباً على معصيته واختار داود أن يسقط فى يد الرب : " נִפְּלָה-נָּא בְיַד-יְהוָה כִּי-רַבִּים רַחֲמָו וּבְיַד אָדָם אַל-אֶפֹּלָה - (٦) فلنسقط فى يد الرب لأن مراحمه كثيرة ولا أسقط فى يد إنسان " ، هذا وعندما صلى داود من

---

١) عصام الدين حفنى ناصف . الأسطورة والوعى . ص ١٦٢ ، ١٦٣

٢) راجع (أخبار الأيام ٢٩ : ٢٩) وانظر לפסיכון מקראי ,עמ' 662.

٣) راجع (صموئيل الأول ٢٢ : ١ - ٥)

٤) راجع (صموئيل الثانى ٢٤ : ١٢)

٥) תולדות האמונה הישראלית ,כרך שני ,עמ' 186.

٦) صموئيل الثانى ٢٤ : ١٤

أجل وقف الوباء الذى أسقط سبعين رجلاً من الشعب وتوسل إلى الملاك الضارب قائلاً :
הִנֵּה אָנֹכִי חָטָאתִי וְאָנֹכִי הֶעֱוֵיתִי וְאֵלֶּה הַצֹּאן מֶה עָשׂוּ. תְּהִי נָא יָדְךָ בִּי וּבְבֵית אָבִי. (١) - ها أنذا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا ؟ فلتكن يدك علىَّ وعلى بيت أبى " .. فجاء جاد إليه وطلب منه أن يقيم مذبحاً للرب فى حقل " أرونة اليبوسى אַרַוְנָה הַיְבוּסִי " (٢) حتى يصفح الرب عنه ويوقف الوباء عن الشعب(٣).

هذا وقد ساهم جاد فى ترتيب الخدمة الموسيقية فى الهيكل(٤)، كما ساهم مع النبيين صموئيل وناثان فى تدوين سيرة الملك داود(٥).

أحيا الشيلونى אֲחִיָּה הַשִּׁילֹנִי

وهو النبى الذى يلقب بالشيلونى نسبة إلى مدينته " شيلوه " وقد عاش أحيا فى القرن العاشر ق.م فى عهد الملك سليمان ، وقد تنبأ ليربعام بن نباط بنبوءتين الأولى فى أيام سليمان الأخيرة وبعد شيخوخته وميله إلى عبادة الأوثان ، حيث التقى أحيا بيربعام وكان يربعام يرتدى رداءً جديداً فمزق أحيا رداءه إلى اثنتى عشرة قطعة ، وأعطى ليربعام عشر قطع إشارة إلى أنه سيملك على عشرة أسباط فقط (٦). أما نبوة أحيا الثانية فكانت أيضا ليربعام ، فبعد أن ملك يربعام على الأسباط العشرة ، اتجه إلى عبادة العجول ، وفى ذلك الوقت مرض ابنه فأرسل امرأته متخفية لتسأل أحيا فيخبرها بأمر مرض ابنه ، ويبدو أن أحيا كان

---

١) صموئيل الثانى ٢٤ : ١٧

٢) أرونه - أُرْنان : هو اسم لرجل يبوسى ، ولايعرف معنى اللفظ العبرى على وجه التحقيق ، وقد اشترى منه داود بيدره على جبل الموريا . وفى نفس هذا الموقع بنى سليمان هيكله (راجع أخبار الأيام الثانى ٣ : ١) ، ويحتمل أن هذا البيدر كان على الصخرة التى تقوم عليها الآن قبة الصخرة . وقد ورد اسم هذا الرجل بصيغة " أرونه אַרַוְנָה " فى سفر صموئيل، وبصيغة " أرنان אָרְנָן " فى سفر أخبار الأيام .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٥٧

٣) ويشبه " قوفمان " هذه القصة بقصة ضلالة شعب اسرائيل وراء بنات موآب ومديان وبعل فعور فى " شطيم " وعقوبتهم بالوباء الذى راح ضحيته أربعة وعشرين ألفاً من الشعب ، ووقف الوباء على يد فنحاس بن اليعازار .
(راجع العدد ٢٥ : ١ - ٩) وانظر : תולדות האמונה הישראלית. כרך ב׳ עמ׳ 464

٤) راجع (أخبار الأيام الثانى ٢٩ : ٢٥)

٥) راجع (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩)

٦) راجع (الملوك الأول ١١ : ٢٩ - ٣٩ ؛ ١٢ : ١٥)

يتنبأ بالأجر فقد أحضرت له امرأة يربعام: "עֲשָׂרָה לֶחֶם וְנִקוּדִים וּבַקְבּוּק דְּבַשׁ (١) - عشرة أرغفة وكعكعاً وجرة عسل " ، ولكن هذا لايمنع ان أحياً كان يتنبأ أمام امرأة يربعام بأمر الرب كنبى رسول ينبىء بالعقوبات على أخطاء الملك والشعب(٢)، فقد تنبأ بفناء بيت يربعام ، عقوبة سماوية على عبادته العجول : "הִנְנִי מֵבִיא רָעָה אֶל־בֵּית יָרָבְעָם וְהִכְרַתְתִּי לְיָרָבְעָם מַשְׁתִּין בְּקִיר עָצוּר וְעָזוּב בְּיִשְׂרָאֵל וּבִעַרְתִּי אַחֲרֵי בֵּית־יָרָבְעָם כַּאֲשֶׁר יְבַעֵר הַגֶּלֶל עַד־תֻּמּוֹ (٣) - ها أنذا جالب شراً على بيت يربعام وأقطع ليربعام كل بائل بحائط محجوزاً ومطلقاً فى إسرائيل ، وانزع آخر بيت يربعام كما ينزع البعر حتى يفنى " . وقد تحققت هذه النبوءات بالفعل، وأما عن بقية نبوءاته فقد تم تدوينها فى سفر خاص به ولكنه لم يصل إلينا(٤)..، وهكذا تدخل أحياً تدخلاً فعالاً فى حياة المملكة ، وكان له تأثير عظيم على انقسام المملكة فى إسرائيل ، ولكنه من ناحية أخرى لم يقم بدور النبى الواعظ، الذى يحاول إعادة الشعب إلى طريق الصواب ، حيث إن تعنيفه وجه لأفراد،سليمانً ويربعامً ، وبهذا فهو يشبه ناثانً الذى قام بتعنيف داودً فقط (٥).

شمعيا " رجل الله " : שְׁמַעְיָה " אִישׁ הָאֱלֹהִים :

وهو من أنبياء القرن العاشر ق.م ، وقد عاصر الملك " رحبعام بن سليمان" ملك يهوذا ، وكان مستشاراً له ، الا انه قام بتعنيفه هو ووزراء يهوذا(٦) وقد نصح رحبعام بالرضوخ لانقسام المملكة وعدم محاربة يربعام،لأن هذه هى ارادة الله ،فسمع له الملك والشعب ورجع كل واحد إلى بيته (٧)وعندما غزا شيشق ملك مصر مملكة يهوذا، أعلن شمعيا للملكأن هذا الغزو ماهو الا عقاب له ولشعبه على آثامهم

---

١) الملوك الأول (١٤ : ٣)
٢) תולדות האמונה הישראלית ,כרך שני ,עמ' 247-250 .
٣) الملوك الأول (١٤ : ١٠ - ١١)
٤) راجع (أخبار الأيام الثانى ٩ : ٢٩)
٥) עיקרי הנבואה , כרך ראשון ,עמ' 24.
٦) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥ - ٨)
٧) راجع (الملوك الأول ١٢ : ٢٤)

" כֹּה אָמַר יְהוָה אַתֶּם עֲזַבְתֶּם אֹתִי וְאַף־אֲנִי עֲזַבְתִּי אֶתְכֶם בְּיַד־שִׁישַׁק(١): هكذا قال الرب : أنتم تركتمونى وأنا أيضاً تركتكم ليد شيشق " ... هذا وقد قام شمعيا بتسجيل سيرة الملك رحبعام ، مثله مثل ناثان وجاد فى تسجيلهما لأخبار داود ، وقد أطلق على شمعيا ألقاب " رجل الله אִישׁ הָאֱלֹהִים(٢)، و " نبى נָבִיא "(٣)، وهكذا اختلطت مفاهيم الألقاب رائى רֹאֶה، ونبى נָבִיא ، و " رجل الله אִישׁ אֱלֹהִים " فى هذا العصر(٤).

عِدّو النبى עִדּוֹ הַנָּבִיא :

وهو أيضا من أنبياء القرن العاشر قبل الميلاد فقد عاصر رحبعام وأبيا ملكى يهوذا ، ويربعام ملك إسرائيل ، وهو من الأنبياء الذين أطلق عليهم لقب " حازى חוֹזֶה "(٥) وقد قام عدو بتدوين سيرة معاصريه من الملوك فى مدراشه الذى سمى باسمه " מִדְרָשׁ הַנָּבִיא עִדּוֹ "(٦).

عزر ياهو بن عوديد עֲזַרְיָהוּ בֶן־עוֹדֵד :

وهو نبى عاش فى عهد آسا ملك يهوذا فى القرن العاشر ق.م ، وكان لايفتأ يحضه على عبادة الرب ويحذره من عبادة الأوثان ، وقد استمع إليه آسا وعمل بنصيحته ، فهدم المعابد الوثنية فى مملكته وألزم شعبه بعبادة ربهم وحده (٧).

---

١) أخبار الأيام الثانى (١٢ : ٥)
٢) راجع (أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢)
٣) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥)
٤) עיקרי הנבואה , עמ' 24.
٥) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٢ : ١٥)
٦) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢٣)
٧) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٥ : ١ - ٨)

حنّانى الرائى : חֲנָנִי הָרֹאֶה :

أبو النبى ياهو[١]، وكان هو نفسه رائياً ، وقد قام بتوبيخ آسا ملك يهوذا ، ونتيجة لذلك وضع فى السجن وفقاً لأمر الملك[٢]، وإلى هنا يتوقف العهد القديم عن ذكر شئ عنه .

ياهو بن حنانى יֵהוּא בֶן־חֲנָנִי :

وهو نبى عاش فى عهد بَعشا ملك إسرائيل (٩٠٩ - ٨٨٦ ق.م تقريباً) وأعلن احتجاجه عليه وعلى بيته لمخالفتهم إرادة الرب ولاستمرارهم فى ارتكاب المعاصى التى ارتكبها يَربعام بن نباط[٣]، وقد تنبأ بنهاية ملك بعشا ، وكما وبّخ بَعشا ، قام أيضاً بتوبيخ يَهو شافاط ملك يهوذا لمساندته الملك آحاب[٤]، وكتب يَاهو سفراً روى فيه أعمال يَهوشافاط ملك يهوذا[٥]، وقد كان هذا العمل أحد وظائف الأنبياء من أيام صموئيل وحتى أيام إلياهو ، حيث كان الأنبياء يقومون بتسجيل أحداث زمنهم ، وبالأخص أحداث الملك وأقواله وأفعاله ، ولذلك كانوا محتاجين للتواجد بجوار الملك[٦].

اليعازر بن دوداوهو אֱלִיעֶזֶר בֶּן־דֹּדָוָהוּ :

نبى من مريشه מָרֵשָׁה[٧]، تنبأ بغرق سفن يهو شافاط لأنه اتحد مع آحزيا

---

١) راجع (الملوك الأول ١٦ : ١)
٢) راجع (أخبار الأيام الثانى ١٦ : ٧ - ١٠)
٣) قارن (الملوك الأول ١٦ : ١ و ٧ و ١٢)
٤) راجع (الملوك الثانى ١٩ : ٢)
٥) راجع (الملوك الثانى ٢٠ : ٣٤)
٦) עיקרי הנבואה , עמ' 25.
٧) مريشة מָרֵשָׁה : اسم عبرى ربما كان معناه " مكان الرأس والقمة " وهو اسم مدينة فى الأراضى الواطئة فى يهوذا (راجع أشعيا ١٥ : ٤٤) ، وقد حصّنها رَحبعام بعد انقسام المملكة (راجع أخبار الأيام الثانى ١١ : ٨) وموقعها عند " تل سندخنة " على بعد ميل إلى الجنوب الشرقى من بيت جبرين . انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٨٥٦ .

ملك إسرائيل وهو ابن آحاب وإيزابل ، وبعد أن تحطمت السفن الذاهبة إلى " ترشيش " فى " عصيون جابر " اقترح آحزيا على يهو شافاط أن يحاولا القيام بهذا العمل مرة أخرى ، إلا أن يهو شافاط رفض ذلك بناء على تحذير هذا النبى .(١)

أنبياء عهد آحاب :

من أيام موسى وحتى صموئيل لم تكن النبوة ظاهرة واسعة الانتشار ، ولكن من أيام صموئيل أصبحت النبوة ظاهرة اجتماعية ، وكان تراث الأفراد هو أرفع صور الوعظ النبوى الرسولى ، وتظهر فى عهد آحاب درجة عالية من التنبؤ الاكستازى قد شاعت بين جماعات من الأنبياء ، " فعوبديا " وزير آحاب يقول لإلياهو أنه أخفى مائة نبى من أنبياء الرب(٢) ، وورد فى سفر أخبار الأيام أن ملك إسرائيل جمع الأنبياء (أربعمائة رجل) ليستشيرهم فى حربه من أجل راموت جلعاد(٣) ، ولما كان أغلب هؤلاء الأنبياء غير مرسلين من الله فقد كانت أغلب نبواتهم كاذبة فيما عدا ثلاثة أنبياء : إلياهو وميخا ، ونبى آخر مجهول الاسم ،(٤) وعن إلياهو سنتحدث فيما بعد بشكل تفصيلى ، ونتحدث فيما يلى عن النبيين الآخرين .

رجل من بنى الأنبياء אִישׁ אחד מִבְּנֵי הַנְּבִיאִים :

وهو نبى مجهول الاسم ، قام بتعنيف آحاب لأنه أطلق سراح بن هدد(٥) ، هذا ويرى حكماء التلمود أن هذا النبى هو " ميخا بن يملة " .

---

١) راجع الملوك الأول ٢٢ : ٤٨ و ٤٩ ؛ وأخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٣٥ - ٣٧
٢) راجع (الملوك الأول ١٨ : ٤ - ١٣)
٣) راجع (أخبار الأيام الثانى ٨ : ٥)
٤) עיקרי הנבואה, עמ' 25.
٥) راجع الملوك الأول ٢٠ : ٣٥ - ٤٣

ميخا بن يملة وأنبياء الكذب : מִיכָיְהוּ בֶן יִמְלָה וּנְבִיאֵי הַשֶּׁקֶר :

ويعنى اسمه بالعبرية " من كيهوه ؟ "(١)، وقد شذ عن بقية أنبياء "آحاب" حيث تنبأ عليه بالشر ، فى حين تنبأ أنبياء "آحاب" وعلى رأسهم "صدقياهو بن كنعنه" بالخير والانتصار فى الحرب ... ويصف لنا العهد القديم قصة لقاء "صدقياهو" و"ميخا" أمام "آحاب" وهو شافاط ، فى تصوير رائع ، حيث تشتمل على مشهدين دراميين يتميزان بالحبكة والتصوير ، حيث يجلس ملك إسرائيل وملك يهوذا كل واحد على كرسيه لابسين ثيابهما فى الساحة أمام مدخل باب السامرة ، وجميع الأنبياء الأربعمائة يتنبأون أمامهما ، ويقترب قائدهم "صدقياهو" من الملكين ويلوح بقرنى حديد صنعهما لنفسه ، لكى يدعم أقواله بعرض مسجل ، ويقول هكذا قال الرب بهذه تنطح الآراميين حتى يفنوا ، وتنبأ معه جميع الأنبياء هكذا قائلين : اصعد إلى "راموت جلعاد" وافلح "فيدفعها الرب ليد الملك ؛ وهنا يظهر "ميخا" ويتهم جميع الأنبياء بالكذب ، عندئذ يقترب "صدقياهو" ويضرب "ميخا" على فكه أمام الملكين وبحضور جماهير الشعب ، لكن "ميخا" ظلت روحه قوية ، ولم يرد الضربة لأنه لايحتاج لذلك فهو واثق من نبوءته التى ستتحقق خلال أيام ، أما ضربة "صدقياهو" فهى تثبت فى حد ذاتها عدم ثقة "صدقياهو" فى حقيقة كلامه ، فهل من شأن الضربة على الفك أن تكون إثباتاً للحق ؟(٢)، بعد ذلك أمر "آحاب" بوضع "ميخا" فى السجن حتى عودته

---

١) William Smith: The New Smith's Bible Dictionary Completely Revised by Revel G. Lemmons in Association with virtus Gideon, Robert F. Gribble. J.W. Roberts. Doubleday, Company inc., New York, 1966, P. 240.

٢) עיקרי הנבואה, עמ' 26.
وراجع (الملوك الأول : الاصحاح ٢٢) ، ومن ناحية أخرى يعتقد بعض الباحثين أن ارتباط النبوة بالسلطة قد أدى إلى الخضوع لها ، فهؤلاء الأنبياء تجمعوا حسب أوامر "آحاب" ولم يرسلهم الرب له ، ولذلك فإن بشارتهم لم تأت لتقديس كلمة الرب ، وإنما لنجاح الملك فقط ، هذا والقرنان اللذان صنعهما صدقياهو فهما ليسا لإله إسرائيل بل " لمولك" الإله الوثنى . انظر : היסטוריה של עם ישראל, סדרה ראשונה, "ימי המלוכה", ערך משנה: ישראל אפעל, הוצאת עם עובד בע"מ, תל אביב, תשמ"ב, עמ' 81.

من الحرب منتصرا[١].

أما المشهد التصويرى الثانى فهو أقل صخباً وضوضاءً ، ولكنه ملىء بالمشاكل الموضوعية : فميخا يصف الحضرة الإلهية قائلاً : "רָאִיתִי אֶת־יְהוָה יֹשֵׁב עַל־כִּסְאוֹ וְכָל־צְבָא הַשָּׁמַיִם עֹמֵד עָלָיו מִימִינוֹ וּמִשְּׂמֹאלוֹ"[٢] . رأيت الرب يجلس على عرشه ، وكل جند السماء يقف عن يمينه وعن شماله .." هذا هو أول تصوير فى العهد القديم يصف " بطانة السماء " ، وبهذا يسبق ميخا وصف أشعيا[٣] . ونرى فى هذا الوصف جند السماء يحيط بعرش الرب ، والرب يسألهم : מִי יְפַתֶּה אֶת־אַחְאָב וְיַעַל וְיִפֹּל בְּרָמֹת גִּלְעָד. וַיֹּאמֶר זֶה בְּכֹה וְזֶה אֹמֵר בְּכֹה. וַיֵּצֵא הָרוּחַ וַיַּעֲמֹד לִפְנֵי יְהוָה וַיֹּאמֶר: אֲנִי־אֲפַתֶּנּוּ. וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלָיו בַּמָּה . וַיֹּאמֶר אֵצֵא וְהָיִיתִי רוּחַ שֶׁקֶר בְּפִי כָּל־נְבִיאָיו. וַיֹּאמֶר תְּפַתֶּה וְגַם תּוּכָל. צֵא וַעֲשֵׂה־כֵן[٤] : "من يغوى آحاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد فقال هذا هكذا ، وقال ذاك هكذا ، ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه . وقال له الرب بماذا ؟ فقال أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه ، فقال إنك تغويه وتقتدر ، فاخرج وافعل هكذا " . وهنا تثار مشكلة خطيرة جداً : فالأقوال الكاذبة التى تنسب لأنبياء آحاب تعتبر كلمات روح وضعها فى أفواههم برغبة الرب ، وبذلك يستخدم الرب نفسه ، الروح الكذب كوسيلة لغواية آحاب ، ولذلك لانجد ميخا يتهم الأنبياء بالكذب عمداً حيث إن الكلمات الكاذبة قد وضعت فى أفواههم بإرادة الرب ، لكى يجلب على آحاب الشر الذى تكلم

---

١) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ٢٧) . هذا وهناك من يعتقد أن أمر الملك ينطبق على الوصية الواردة فى سفر التثنية (١٨ : ٢٠ - ٢٢) ، أى أن النبى يودع فى السجن حتى يتحقق إذا كان قوله حق أم لا .
انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 512.

٢) الملوك الأول (٢٢ : ١٩)

٣) قارن (الخروج ٣ : ٧ ؛ والقضاة ١٣ : ٢٢ ؛ وأشعيا ٦ : ١ ؛ وحزقيال ١ : ١، و ١٠ : ١)

٤) الملوك الأول (٢٢ : ٢٠ - ٢٢)

به على لسان نبيه "إلياهو" قبل ذلك(١).

أمامنا إذاً تصوير رائع لنبى يكذب بإرادة الرب . ويؤكد " يابين" - أن الأنبياء الكذبة قد آمنوا بأنهم يتحدثون باسم الرب ، حيث نرى "صدقياهو" يتعجب من "ميخا" قائلاً: "אֵי־זֶה עָבַר רוּחַ יְהוָה מֵאִתִּי לְדַבֵּר אוֹתָךְ" (٢)- من أين عبر روح الرب منى ليكلمك ". يوجد إذاً فى العهد القديم مفهوم النبى الذى يتحدث كذباً بإرادة الرب ، لكى يختبر شعب إسرائيل أو لكى يجلب عليهم الشرور ، وحسب هذا المفهوم فإن الملك وأفراد الشعب لايعرفان بشكل قاطع أيهما على صواب ، هل هو نبى الحق أم نبى الكذب إلا بتحقيق النبوة فى المستقبل(٣) . وفى الحقيقة يتحدث العهد القديم عن النبى الذى يصنع المعجزات ويغوى الشعب بالسير وراء آلهة أخرى ، حيث يحذر الشعب قائلاً : "לֹא תִשְׁמַע אֶל־דִּבְרֵי־ הַנָּבִיא הַהוּא אוֹ אֶל־חוֹלֵם הַחֲלוֹם הַהוּא כִּי מְנַסֶּה יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם אֶתְכֶם לָדַעַת הֲיִשְׁכֶם אֹהֲבִים אֶת־יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם בְּכָל־לְבַבְכֶם וּבְכָל־נַפְשְׁכֶם..והנביא..חֹלֵם הַחֲלוֹם הַהוּא יוּמָת" (٤) لاتسمع الكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم،لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ..... النبى ... الحالم ذلك الحلم يقتل " .. هذا ويصف " ميخا المورشتى " أنبياء الكذب بقوله : "כֹּה אָמַר יְהוָה עַל־הַנְּבִיאִים הַמַּתְעִים אֶת־עַמִּי הַנֹּשְׁכִים בְּשִׁ- נֵיהֶם וְקָרְאוּ שָׁלוֹם וַאֲשֶׁר לֹא־יִתֵּן עַל־פִּיהֶם וְקִדְּשׁוּ עָלָיו מִלְחָמָה- هكذا قال الرب على الأنبياء الذى يضلّون شعبى والذين ينهشون بأسنانهم ، وينادون : سلام .. والذى لايجعل فى أفواههم شيئاً يفتحون عليه حرباً"(٥)... ويدافع

---

١) عيقري הנבואה ,עמ' 27.

٢) الملوك الأول (٢٢ : ٢٤)

٣) عموס חכם : עיונים בספר ירמיה ,חלק ב' ,דברי ה- עיון בתנ"ך בבית נשיא המדינה ז.שזר ז"ל , ירושלים , תשל"ב , עמ' 220 .

٤) التثنية ١٣ : ٤ - ٦

٥) ميخا ٣ : ٥

" بوبر בובר " عن هؤلاء الأنبياء فيقول : لايوجد نموذج لنبى كذب يكذب عمداً، بل خطأ ، لأنه يقول مايراه حقاً حيث يعيش ويتغذى على الحلم ، ويتصرف كأن الحلم هو الحقيقة ، وهو يحب ويبجل النجاح الذى هو محتاج إليه دائماً . ومن ناحية أخرى يتوق هذا النبى إلى الاستقامة من أجل توفيق الشعب ، ولكن هذه الاستقامة هى وهم بالنسبة له ، ويؤكد " بوبر " ان أنبياء الكذب ليسوا بخادعين بل مخدوعين(١).

هذا بينما يفرق " أدر אדר " بين أنبياء الحق وأنبياء الكذب فيقول أن المجهود التربوى والتعليمى الذى يقوم به نبّى الحق فى مواجهة تيار الفساد وتيار الرأى العام ، هو علامة مميزة بارزة بين نبى الحق ونبى الكذب ، وليست كلمة الرب هى المقياس الخارجى إذا ما تحققت نبوته ، فنبى الكذب ، يقول لأفراد الشعب مايريدون سماعه ، أما نبى الحق فهو يحتاج إلى استماع الشعب له ، وأن نبوءات الغضب والتعنيف لايطلقها النبى لأنه يكره شعبه العاصى ، بل على العكس فالتأديب نابع من الألم ومن الحب ، حيث نجد كبار المعنفين " هوشع وأرميا " هم أيضاً أكثر الأنبياء حباً للشعب ، فالتعنيف يكون قاسياً على النبى أكثر من قسوته على النبى ، فالنبى يتبنى موقفاً ثنائى التكافؤبين الشعب والرب ، حيث يقوم بتبليغ كلمات الاتهام القاسية إلى الشعب ؛ والتى يرسله بها الرب ؛ ثمّ بعد ذلك يتوجه بالدفاع عن شعبه أمام ربه(٢).

ويعترف " قوفمان " ان قصة ميخا وأنبياء الكذب ، قد سببت الحيرة للمدافعين عن النبوة المقرائية من حيث إنها تفترض أن نبوة الرب يمكن أن تكون نبوة كاذبة ، ويذكر " قوفمان " أن هذه الحقيقة تناقض كل مفهوم النبوة المقرائية ، ولكنه يقول إن القصة يسيطر عليها التمييز الظاهرى بين " كلمة

---

١) מרדכי מרטין בובר, דרכו שׁל מקרא, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים 1964, עמ׳ 119-122.

٢) צבי אדר, הערכים החינוכיים שׁל התנ״ך, תל אביב, תש״ד, עמ׳ 108.

يهوه דבר יהוה " التى هى المصدر الحقيقى للنبوة ، و"الروح הָרוּחַ " التى هى ظاهرة ثانوية للنبوة ، ويمكن بها توليد الشكل الظاهرى للنبـــــوة ، وتؤدى أيضاً إلى " التنبؤ" ، فشاؤل تنبأ أيضاً من عملية الروح الشـــريرة (١) ، وكذلك أيضا كهنة بعل الاكستازيين فهم " متنبؤن " وهم أيضا " أنبياء(٢)، لكن النبوة الحقيقية ليست إلا كلمة الرب ، فالرب لم يتجل لأنبياء آحاب ليضع فى أفواههم كلاماً كذباً ، ولم يرسل لهم ملائكة لتضليلهم ، بل إن " الروح " هى التى جعلت منهم أنبياء ظاهرياً ، مع أنهم لا يعرفون كلمة الرب ، بينما ميخا تنبأ بفعل " كلمة الرب " وليس بقوة الروح ، وعندما نظر إلى أنبياء آحاب عـــرف " نزول الروح الكاذبة "(٣).

وعلى أية حال فإن أهمية " ميخا بن يملة " فى العهد القديم خاصة ، وفى تاريخ النبوة الإسرائيلية عامة ترجع إلى أنه أول من رسم صورة لمحكمة السماء، وبكلماته ظهرت لأول مرة فى العهد القديم قضية التصادم بين نبى الحق ، ونبـــى الكذب .

موقف حكماء التلمود من قصة ميخا وأنبياء الكذب :

فى الحقيقة سنستخدم تقييم حكماء التلمود للعلاقة بين الملك والنبـــى لكشف الغموض الذى يحيط بقصة النبى ميخا مع الأنبياء الكذبة ، حيث يستخـــدم حكماء التلمود الإصحاح (٢٢) من سفر الملوك الأول كأرضية للبحث فى قضية الملك والنبى ، وهذا الإصحاح يعالج العلاقة بين نبى الحق والملك ونبى الكذب ، ومـــن تفسيرات حكماء التلمود يمكننا الوقوف على الرؤية الشاملة والإجمالية لهـــذه العلاقة ... وفى الحقيقة يتم فى هذا الإصحاح وصف الأنبياء الكذبة بأنهم كانـوا

---

١) راجع (صموئيل الأول ١٨ : ١٠)

٢) راجع (الملوك الأول ١٨ : ١٩ ومابعده)

٣) תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 246.

أنبياء للرب - كما ذكرنا من قبل - وليسوا أنبياء لبعل ، حيث يبدأون نبوتهم بـ "כֹּה אָמַר יְהוָה [١]- هكذا قال الرب " ، وهم يتنبأون بالإجماع بالخير للملك : "וְכָל-הַנְּבִיאִים נִבְּאִים כֵּן לֵאמֹר: עֲלֵה רָמֹת גִּלְעָד וְהַצְלַח וְנָתַן יְהוָה בְּיַד הַמֶּלֶךְ [٢]- وتنبأ جميع الأنبياء هكذا قائلين: اصعد إلى راموت جلعاد وافلح فيدفعها الرب ليد الملك " . هذا الإجماع المشترك الذى أعلن عنه الأنبياء الأربعمائة ، استخدم مفتاحاً لحل غموض التساؤلات المثارة ، وهى : ماذا أشار الملك يهو شافاط للشك فى كلام الأنبياء ؟ ، وما الأمر الذى جعله يسأل آحاب عن نبى آخر للرب ، ألم يكتف بكلام هؤلاء الأنبياء الأربعمائة ؟ وما العلاقة التى وجدها فى كلامهم وأثارته للشك فى نبوتهم ؟. الأمور ائى المفسر " رابى إسحاق רַבִּי יִצְחָק " أورد على لسان يهو شافاط ملك يهوذا هذه الكلمات : هذا ماتعارفت عليه من بيت أبى : أسلوب واحد يوجد لدى بعض الأنبياء، ولايوجد أنبياء يتنبأون بأسلوب واحد "[٣]. وهكذا يحدد أنبياء الحق عبارة واحدة ، ولكنهم لايصفون الرؤية بنفس الكلمات ، فالنبى عكس المنجم لايفقد وعيه وشخصيته أثناء النبوة ، ولكن عندما يتكلم الجميع بنفس اللغة فإن ذلك يكون علامة على أن الكلام لايدخل فى نطاق التفسير النبوى أو فى نطاق الرؤية ، بل يكون بمثابة " تكهن " ... وهكذا فإن أسلوب نبوة الأنبياء الأربعمائة هو الذى أشار شكوك يهو شافاط فيهم ، وأن موافقتهم بالإجماع على فلاح الملكين فى الحرب هى السبب فى عدم تصديقهم ، والسبب فى فشلهم ، وعندما سأل آحاب " ميخا عن فرصته فى الحرب ، أجابه فى البداية بأسلوب الأنبياء الآخرين: עֲלֵה וְהַצְלַח וְנָתַן יְהוָה בְּיַד הַמֶּלֶךְ [٤] - اصعد ، انجح فيدفعها الرب ليد الملك " .. ويحتمل تفسير هذه الفقرة كمباركة للملك ،

---

١) راجع (الملوك الأول ٢٢ : ١١)
٢) الملوك الأول ٢٢ : ١٢
٣) סנהדרין (89 : 71)
٤) الملوك الأول (٢٢ : ١٥)

وتحقيقاً لرغبة الرسول الذى ذهب لاستدعائه والذى قال له : "הִנֵּה־נָא דִבְרֵי הַנְּבִיאִים פֶּה־אֶחָד טוֹב אֶל־הַמֶּלֶךְ יְהִי־נָא דְבָרְךָ כִּדְבַר אַחַד מֵהֶם וְדִבַּרְתָּ טוֹב." (١) - هوذا كلام جميع الأنبياء بالإجماع خير للملك . فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير ". ويحتمل أيضاً أن نبوة "ميخا" الأولى ترمز إلى السخرية من الملك وأنبيائه (٢) ، ولكن عندما يستحلفه الملك "آحاب" ويقول له : "עַד־כַּמָּה פְּעָמִים אֲנִי מַשְׁבִּיעֶךָ אֲשֶׁר־תְּדַבֵּר אֵלַי רַק אֱמֶת בְּשֵׁם יְהוָה" (٣) - كم مرة استحلفتك ان لاتقول لى إلا الحق باسم الرب " فيستجيب "ميخا" ويصف الرؤية التى رآها ؛ ونجد حكماء التلمود قد اعتمدوا فى تفسير هذه الفقرة على الإصحاح العشرين من سفر الملوك الأول ، ومن تفسير المواقف الثلاثة التى تعرض لها ثلاثة أنبياء أشار الأصحاح إليهم دون ذكر اسمائهم وانما استخدم العبارات : "נָבִיא אחד" أحد الأنبياء (الفقرة : ١٣) ،و " אִישׁ הָאֱלֹהִים " رجل الله "(الفقرة ٢٨) و "אִישׁ אֶחָד מִבְּנֵי הַנְּבִיאִים" رجل من بنى الأنبياء " (الفقرة :٣٥) حيث يرى حكماء التلمود أن هؤلاء الأنبياء الثلاثة ليسوا الا "ميخا" نفسه ... هذا ولكن من خلال الأحداث التى تصف المواجهة بين الأنبياء الثلاثة ، والملك "آحاب" ، نجد اختلافاً فى مواقف النبى والملك ، فمرة النبى هو الشخصية الأكثر قوة ، والملك ليس إلا رجل سياسة ؛ ومرة أخرى نرى النبى ضعيفاً مسالماً معارضاً للحرب ، بينما الملك هو الشخصية القوية التى تعتمد على مقدرتها فى توسيع حدود البلاد وحماية أو استرداد مدن الحدود ، وفى الوقت الذى يصل فيه الملك

---

١) الملوك الأول (٢٢ : ١٣)

٢) אפרים א' אורבך, טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא מלך ונביא בעיני חז"ל, יום עיון לרגל מלאת שמונים וחמש שנים לדוד בן-גוריון, ישראל 1973, עמ' 57-58.

٣) الملوك الأول (٢٢ : ١٦)

إلى اليأس التام ، فنجد النبى يمتلأ ثقة ، والعكس أيضاً ، ففى الوقت الذى يستحوذ فيه الانتصار على الملك ، وتبلغ ثقته حد الفخر والكبرياء ، يتنبأ له النبى بالكارثة القريبة ... ويتضح من كلمات آحاب ليهو شافاط " הֲלֹא — אָמַרְתִּי אֵלֶיךָ לֹא־יִתְנַבֵּא עָלַי טוֹב כִּי אִם־רָע (١) - أما قلت لك إنه لايتنبأ علىَّ خيراً بل شراً " إنه غلب عليها نغمة التحدى ، ومن ناحية أخرى تشير إلى أن ذهاب آحاب إلى راموت جلعاد ليس إلا إغراء له ليلقى حتفه وعقوبته (٢).

وفى تفسير " الروح " التى قالت أنا أغويه " אֲנִי אֲפַתֶּנּוּ " : يقول الأمورائى " رابى يوحنان רַבִּי יוֹחָנָן " : هذه روح نابوت(٣) ؛ وبهذا التشبيه يحل " رابى يوحنان " المشكله العقائدية التى أثارتها رؤية النبى بأن آحاب تم إغوائه وخداعه بناء على أوامر من الرب ، فماذنبه ؛ إذاً فهذه الروح الكاذبة لم ترسل على أنها روح شريرة تضلل القلوب لنجاح مؤامرة أو خطة (Agent provcateur) بل هى الروح التى تسبب آحاب فى انفصالها عن جسد نابوت(٤).

ولكن العلاقة بين نهاية أحاب وخطيئته تجاه نابوت لم يكتشفها " رابى يوحنان " ، بل يظهر هذا الموتيف (٥) فى الإصحاح الثامن عشر من سفر أخبار

---

١) الملوك الأول (٢٢ : ١٨)

٢) טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא ,עמ' 58.

٣) מסכת שבת , קמט .ע"ב.

٤) والحقيقة أن هذه الروح ليست مجرد شخصية درامية ، حيث لم يكن ظهورها من أجل عرض قضية فسيولوجية ، فهى ليست مثل روح " بانكو באנקו " فى قصة " ماكبث " لوليم شكسبير ، فالروح لم تظهر لآحاب كلية ، بل النبى فقط هو الذى عرف أن روح نابوت هى التى أغوت آحاب ، وبذلك تكون الروح قد أدت رسالتها - وهى رسالة دينية - لكى يدخل آحاب الحرب ويلقى جزاءه .
انظر : טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא ,עמ' 58.

٥) الموتيف Motif : وهى كلمة فرنسية تعنى أصغر وحدة فكرية تظهر فى الحكايات والقصص المختلفة لمناطق ثقافية مختلفة وشعوب متنوعة .
انظر : לקסיקון לועזי-עברי חדש ,עמ' 210.

الأيام الثانى ، وهو الأمر الذى كان معروفاً " ليوسف بن متتاياهو "יוסף בן־מתתיהו " الذى يقول : " غرق آحاب فى أفكاره بعد سماعه لرؤية ميخا ، ولكن اقترب منه صدقياهو وقال له لاتهتم بقول ميخا لانه ليس لديه دليل لكلامه ، حيث تذكر صدقياهو نبوة إلياهو الذى تنبأ وقال فى يزرعئيل:فى حقل نابوت تلحس الكلاب دم آحاب كما لحست دم نابوت ، ولذلك تأكد لصدقياهو أن كلام ميخا بموت الملك خلال ثلاثة أيام ليس إلا اكذوبة ، لانه يناقض كلام النبى الأعظم منه ، فيقول صدقياهو للحاضرين ، ستعرفون الآن إذا كان ميخا نبى حق أم لا ، وذلك عندما أضربه ، ولم يلحق الضرر بيدى مثلما شلت يمين يربعام فى اللحظة التى أراد فيها القبض على " عِدّو " رجل الله [1]. إذاً فالأمر الذى جعل آحاب يسترد شجاعته ، ويخرج لمحاربة الآراميين ، هو رؤيته صدقياهو يضرب ميخا ولم يحدث له أى ضرر [2].

وعلى الرغم من الفرق الواضح فى استخدام موتيف " روح نابوت " بين " يوسف بن متتياهو " ورابى يوحنان إلا أن هذا يثبت أن إدخال موتيف "روح نابوت " فى قصة ميخا لم يكن من صنع رابى يوحنان ، بل إن المقابلة بين كلمات ايزابل لآحاب : אַתָּה עָשִׂיתָ הָרַע מִכֹּל אֲשֶׁר לְפָנֶיךָ וַתֵּלֶךְ וַתַּעַשׂ־לְךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים וּמַסֵּכוֹת לְהַכְעִיסֵנִי וְאֹתִי הִשְׁלַכְתָּ אַחֲרֵי גַּוֶּךָ ..... קוּם רֵשׁ אֶת־פֶּרֶם כָּבוֹת הַיִּזְרְעֶאלִי אֲשֶׁר מֵאֵן לָתֵת לְךָ בְּכֶסֶף כִּי אֵין נָבוֹת חַי כִּי־מֵת [3] - انت الآن تحكم على إسرائيل ... قم رِث كرم نابوت اليزرعئيلى الذى أبى إعطاءه إياك بفضة لأن نابوت ليس حياً ، بل هو ميت " وبين كلمات إلياهو لآحاب " הֲרָצַחְתָּ וְגַם־יָרָשְׁתָּ [4] - هل قتلت وورثت أيضاً " تشير إلى موت جسد نابوت ، ولكن روحه حية ، وهذه الروح ستنجح فى غواية آحاب مثلما نجحت إيزابل فى غوايته [5].

---

١) راجع (الملوك الأول ١٣ : ٤)

٢) קדמוניות , ח' , 406 - 410.

٣) الملوك الأول (٢١ : ٧ و ١٥)

٤) الملوك الأول (٢١ : ١٩)

٥) טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא ,עמ' 59.

هذا التشبيه بين " الروح المضللة " ، " وروح نابوت " يكشف لنا أحد الخطوط المميزة جداً لعلاقة أنبياء بنى إسرائيل مع ملوكهم ، وإلى أن السياسة الداخلية والخارجية ، والعلاقات داخل المجتمع هى جزء لايتجزأ .

وهكذا أسهب حكماء التلمود فى تفسير اللقاء بين "آحاب" و"ميخا" ، والذى ورد فى العهد القديم فى كلمات موجزة ، وقد جاء هذا التفسير فى صورة تشبيه رجال مجهولين فى العهد القديم بـ"ميخا" ، أما قضية غواية "آحاب" فى القصة فقد أخذت مغزى عميقاً فى تفسير حكماء التلمود حيث تم تشبيه الروح التى أغوته بروح نابوت ، وهكذا ساهمت تفاسير حكماء التلمود فى حل مشكلة لاهوتية صعبة ، حيث نجد " رابى داود قمحى רבי דוד קמחי " يقول عن هذه القصة " إنها متاهة كبيرة لمن يريد فهما حسب مفهومه ، والحقيقة أن الرب أيقظ روحاً نبوية كاذبة لغواية "آحاب" بالخروج إلى "راموت جلعاد" بسبب التزام السماء بموته ، ولم يرسل الرب روح نبوة ، بل أيقظ روحاً ... لأن روح النبوة لاتكون إلا حقيقية باسم الرب "(١).

النبوة عند فقهاء اليهود :

بعد أن بحثنا مايتعلق بالنبوة والأنبياء لغة واصطلاحاً ، وتحدثنا عن مفهوم النبوة ومظاهر التنبؤ وحقيقة الأنبياء وسلوكهم وأحوالهم ، وبيان الملامح المشتركة بينهم ، والخصائص المميزة لكل منهم ، منذ "موسى" وحتى عصر "إلياهو" ، نبدأ بالحديث عن مفهوم النبوة عند أشهر فقهاء اليهود أمثال "يهوذا هاللىفى" و"موسى بن ميمون" ، وذلك حتى نتمكن من التعرف على حقيقة دعوة "إلياهو" ونبوته .

---

١) עיקרי הנבואה, עמ' 27.

اولا : رأى يهوذا هاللیفی[1] فی النبوة :

عرض اللاوی آراءه فی النبوة من خلال کتابه الفلسفی " الکوزاری הכוזרי "[2]

---

١) یهوذا هاللیفی :"יהודה הלוי" : شاعر وطبیب من یهود الأندلس ، ویکنی فی العربیة بأبی الحسن اللاوی ، ولد فی نهایة القرن الحادی عشر المیلادی بالأندلس الإسلامیة (حوالی ١٠٨٠م) ، وقد اعتنی والده بتربیته وتنشئته تنشئة دینیة کعادة یهود هذا العصر ، فأرسله لتلقی العلم فی الیسانه فی مدرسة الحبر الفقیه إسحق الفاسی ، هذا إلی جانب الجو الفکری العربی الذی کان یسود الأندلس بفنونه المختلفة وکل هذا خلق فی اللاوی شخصیة مشغوفة باللغة العربیة وفکرها وأدبها وبصفة خاصة الشعر العربی، ولم یشأ اللاوی أن یحصر نفسه فی نطاق نوعیة فکریة واحدة ، ومن هنا اتجه إلی الإلمام بالفکرین الدینی والعلمانی ، فدرس الطب والمنطق والفلسفة والفلک حتی أصبح أحد أعلام المدرسة الفلسفیة الیهودیة التی استمدت مقوماتها من الفلسفة الإسلامیة السائدة . هذا ویعد اللاوی أشهر الشعراء الیهود فی العصور الوسطی ، إلی درجة أن کُتُبَ الصلوات الیهودیة تحوی بعض أشعاره . وتقول الأساطیر الیهودیة إن اللاوی ترک " قرطبة " لیحج إلی فلسطین ، وحینما لاحت له مشارف القدس قتله عربی برمحه وداس علیه بسنابک فرسه .

انظر : عبد الوهاب محمد المسیری : موسوعة المفاهیم والمصطلحات الصهیونیة . ص ٤٥٠

٢) الکوزاری הכוזרי " : من أهم مؤلفات یهوذا هاللیفی والذی تأثر فیه کثیرا بالاتجاه الفکری للغزالی ، وقد کتب هاللیفی کتابه هذا باللغة العربیة وکان عنوانه " الحجة والدلیل فی نصرة الدین الذلیل " وهذا الکتاب نقله إلی اللغة العبریة أشهر مترجمی الیهود فی العصر الوسیط وهو یهوذا بن تبون وکان ذلک فی عام ١١٦٧ م تحت عنوان " الکوزاری ". وکما هو معروف کتب هاللیفی مؤلفه هذا فی شکل حوار بین ملک الخزر وحاخام یهودی وممثلین عن الدین المسیحی والدین الإسلامی بالإضافة إلی فیلسوف یونانی . وفی مقدمة الکتاب یذکر هاللیفی أن ملک الخزر حلم حلماً واحداً مرات عدیدة ، وفی هذا الحلم بلغه الملاک أن نیته مرغوبة فی عین الرب ، لکن عمله غیر مرغوب . أدی هذا الأمر بملک الخزر إلی البحث والتقصی فی العقائد والأفکار المختلفة . والحقیقة أن هاللیفی بدأ کتابه بحلم ملک الخزر لکی یجعلنا نتعرف أولاً علی فکرته القائلة بأن الإنسان لایتقبل الحقیقة الدینیة عن طریق عقله ، وذلک لأن الحلم أول مراحل ==

فى صورة شبيهة بالمسرحيات ، وقصة الكتاب تدور حول اعتناق ملك الخزر[1] للدين اليهودى ، وتفضيله إياه على الدينين ، المسيحى والإسلامى . وفى هذا الكتاب رغم أنه كتاب فلسفى إلا ان هاللّيفىّ يرفض فيه كل تفكير فلسفى ، وقال أنه من عبث العقل . ويمكننا من خلال مقدمته لكتابه ، الوقوف على الأسس العامة لفلسفته ، حيث تبين لنا ان أهم هذه الأسس هى أن جوهر الدين ليس فى النية الحسنة ، وإنما فى العمل بالوصايا ، وأن الحياة الدينية تقوم على التجلى ، لا على العقل ، ويقول هاللّيفى إن " النبوة لا تنبع ، كما يعتقد الفلاسفة ، من نفس الإنسان التى تطهرت من أفكاره ، والتصقت بعقله الفعالْ ، وإنما من الحديث الإلهى[2] .

ويمكن تلخيص آراء هاللّيفىّ وأفكاره الأساسية عن النبوة فى النقاط التالية أن النبوة عند هاللّيفى تسمى " הָעִנְיָן הָאֱלֹהִי Ha-inyan Ha-Elohi الأمر الإلهى " ، وهى بمثابة قوة تم غرسها فى قلب " آدم " ثم انتقلت بعد ذلك مع تعاقب الأجيال إلى انسان واحد فقط ، وهو من كان مختاراً فى جيله ، حتى انتقلت فى النهاية إلى كل نسل يعقوب ؛ فابراهيم " كان " فضيلة " " عابر " ،"وعابر " كان " فضيلة " " نوح"

=) النبوة ، فالملاك يبلغ الملك أن نيّته مرضىّ عنها من الناحية الأخلاقية والعقلية ، ومع ذلك فأعماله ليس مرضىّ عنها لأن طريق الأعمال المرغوبة للوصول إلى الله ، لايستطيع الإنسان إدراكه بقوة عقله ونواياه الحسنة ، بل بواسطة التجلى والنبوة .

انظر : מנשה דובשני , נביאים ומנהיגים במקרא , יהוש אורנשטיין , הוצאת יבנה , ת"א תשכ"ח , עמ' 73.

١) الخزر : قبيلة من أصل تركى عاشت فى منخفض الفولجا جنوب روسيا وبلغت أوج عظمتها وقوتها مابين القرن الثامن والعاشر . وأثناء هذه الفترة حدثت فى هذه القبيلة حركة تهويد . حيث اعتنق ملكهم " بولان "(٧٨٦ - ٨٠٩) ومعه بضعة آلاف من النبلاء ، الديانة اليهودية ، وأصبحت الديانة الرسمية للدولة ... ونتيجة لذلك تخيل هاللّيفى حواره الفلسفى والذى ضمّنه كتابه الكوزارى بين الحبر اليهودى وملك الخزر ، وممثلين عن الديانة المسيحية والديانة الإسلامية .

انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٧٧

٢) נביאים ומנהיגים במקרא, עמ' 74.

ومن نسل إبراهيم (فضيلته)ومن بين أبنائه كان " إسحاق " ثم من نسل إسحاق كان يعقوب ، الذى اجتمعت فى ابنائه جميعاً فضيلة "الأمر الإلهى " .

هذا ويذكر هاللیفى فى المقالة الأولى من كتابه فى الفقرة "צה" قول الحبر إلى الملك : أمهلنى لحظة وسأثبت لك عظمة هذا الشعب ، فيكفى الشهادة التى أشارت إليها التوراة فى أن الله اختار له شعباً من بين كل أمم العالم ، وأن " الأمر الإلهى " قد حل فى جميع جماهيره حتى أصبحوا كلهم جديرين بسماع الحديث الإلهى ، ومنهم انتقلت هذه " الفضيلة " إلى جميع نسائهم لأنه أيضاً قامت بينهن نبيات(١).

والحقيقة أن هاللیفى كان يتصور أن الإسلام والمسيحية يرتكزان إلى شخصيتى محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والمسيح (عليه السلام)...
أما اليهودية فهى تدور حول فكرة " الشعب " الذى اختصه الله بالتوراة دون شعوب الأرض ، وأن تعدد الأنبياء واختلاف رسالاتهم يرجع إلى سمة خاصة باليهودية تميزها عن غيرها من الأديان. فالوحى ليس مقصورا على نبى أو رسول كما هو الحال فى المسيحية والإسلام ، بل نجده ينتقل من نبى إلى نبى ، وقد تمنى موسى على الله أن يكون كل أفراد شعبه من الأنبياء ... والشعب اليهودى يوصف فى العهد القديم بأنه " خادم الله " و " كنز الله الغالى " ، وهذه أوصاف تستخدم لوصف الأنبياء وحدهم . وهذا مايمكن تسميته " بتقاليد النبوة المفتوحة "(٢).

الشروط الطبيعية للنبوة عند هاللیفى :

يذكر هاللیفى أن" الأمر الإلهى " مرتبط بشعب إسرائيل وأرض إسرائيل ، فهو يرى أن " الشعب المختار لايستطيع الالتصاق بالأمر الإلهى إلا فى حدود هذه الأرض " (المقالة الثانية .الفقرة "ב") ويشبه هاللیفى شعب إسرائيل

---

١) רבי יהודה הלוי, סֵפֶר הַכּוּזָרִי, תַּרגוּם מֵאֵת יהודה ב"ר שְׁמוּאֵל אִבֶּן שְׁמוּאֵל, הוצאת דביר תל אביב, תשל"ג, 1972, עמ' לא'.לב'.

٢) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٣٩٤

" بكرمة محمودة قادرة على أن تثمر فقط بعد عناية عظيمة وفى أرض ملائمة . هذه العناية تتمثل فى تطبيق الوصايا ، والأرض الملائمة هى" أرض إسرائيل " . وملك الخزر يسأل الحبر : ألم يتنبأ الكثيرون فى أماكن أخرى منذ" آدم" وحتى" موسى" ؟ ويجيب الحبر : كل من تنبأ لم يتنبأ إلا فى هذه الأرض أو من أجلها . فقد حظى " ابراهام " بنبوته الأولى عندما أمر بالذهاب إلى هذه الأرض ، وكذلك تنبأ حزقيال ودنيال (مع كونهمافى بابل) لانهماتنبئا من أجلها ... هذا ومع أن نبوة" موسى" و"هارون" و"مريم" كانت فى " سيناء " وفى " فاران " إلا أن" هاللليفى" يرى أن" سيناء" و"فاران" ضمن حدود هذه الأرض ... كذلك يرى" هاللليفى" أن" الأمر الإلهى" ليس مرتبطاً فقط بالله الوهّاب الفيّاض ، بل أيضاً بالإنسان الذى يستقبل هذا الأمر، فيقول : " إن الأمر الإلهى لا يحل على الشخص إلا بحسب تهيؤه له ، سواء أكان قليلاً أم كثيراً "(١).

نخرج من هذا العرض إلى أن شروط استقبال " الأمر الإلهى " هى نسل إسرائيل وأرض إسرائيل وتنفيذ وصايا التوراة . وهذه الشروط تعطى " للأمر الإلهى" " شكلاً طبيعياً " إلا أن الأساس غير العقلانى لهذه النظرية بقى مع ذلك فى المبدأ القائل بأن لشعب إسرائيل فقط هناك وِصَال مع الله ، وهذا الوِصَال لايخضع للقوانين الطبيعية بل ، للعناية الإلهية فوق الطبيعية ، وأرقى صور هذا الوصال لايعطيها الله إلا للأنبياء الذين لايدركون الله من خلال إدراك عقلى وإنما من خلال بهجة روحية داخلية خاصة (٢).

---

١) ספר הכוזרי, עמ' נג.
٢) נביאים ומנהיגים במקרא, עמ' 75.

ثانيا : رأى موسى بن ميمون[1] فى النبوة :

ترجع الأهمية الخاصة لقضية النبوة عند "موسى بن ميمون" إلى سببين مهمين : الأول داخلى والآخر خارجى ،فالأول هو الاعتقاد بان تجلّى الله لـ"موسى" ولبقية

---

١) רַבֵּנוּ מֹשֶׁה בֶּן מַיְמוֹן : موسى بن ميمون : مفكر وفيلسوف يهودى ، ولد فى "قرطبة" بالأندلس عام ١١٣٥م وتوفى عام ١٢٠٤ فى "القاهرة" ، ثم نُقل رفاته إلى طبرية بعد ذلك . وقد عرف باسم " رمبام - רמב"ם " وهى الحروف الأولى من اسمه ولقبه . ومن الأقوال المأثورة بين اليهود قولهم " لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلى موسى " ، وذلك لأنه كان بارعاً فى آداب الدين والعهد القديم والطب ، والعلوم الرياضية والفلسفه ، وقد كان "موسى بن ميمون" يعمل طبيباً خاصا لـ"نور الدين علىّ" أكبر أبناء "صلاح الدين الأيوبى" ، وقد ألف "ابن ميمون" معظم كتبه أثناء إقامته بالقاهرة ، ومن بينها عدة كتب فى الطب . ومن أهم كتبه "משנה תורה" أو تثنية الشريعة . الذى رتب فيه فى نظام منطقى وإيجاز واضح كل ماحواه العهد القديم من القوانين ، بالإضافة إلى جميع قوانين المشنا والجماراء . وفى المقدمة العامة لتفسير المشنا يتناول " الرمبام " شرائع الأنبياء . ويقول : " إن البحث الكامل فى هذا الموضوع يحتاج كتاباً فى حد ذاته ، ولعل الله يساعدنى على ماهو جدير بالتأليف فى هذا الموضوع". ولذلك أجل بحثه الأساسى لقضايا النبوة إلى مؤلفه الفلسفى الكبير " دلالة الحائرين מורה הנבוכים " الذى أتم تأليفه فى سنة ١١٩١ م ، وكتبه باللغة العربية ثم ترجمه إلى العبرية بعد ذلك " صموئيل بن تيبون שמואל אבן תיבון " ؛ ويشرح فى مؤلفه هذا فكرة وحدانية الله ويدحض الفكرة الأرسطية الخاصة بأزلية الكون ، وفى هذا الكتاب يبدو أثر التفكير الإسلامى واضحاً وجلياً ، حيث حاول التوفيق بين العقل والدين ، لأن العقل قد خلقه الله عز وجل فى الإنسان ؛ أما قضايا النبوة فقد خصص لها الفصول من ٣٢ الى ٤٨ من الجزء الثانى ، أى سبعة عشر فصلاً ! ولكنها من ناحية أخرى لاتتصل بإحدى قضايا الأنبياء أو تفسير أقوالهم . ومع كل هذا فاننا لاندرى حتى الآن مدى أهمية "موسى بن ميمون" ومكانته فى الفكر العربى فى عصره ، فـ"ابن رشد" أهم فلاسفة وعلماء عصره لم يسمع عنه ولم يقرأ أيا من كتبه ، كما لم يسمع أحد عن "ابن ميمون" فى الحوار الفلسفى الذى دار فى عصره . ولاندرى إن كان هذا يرجع إلى أن فكر "ابن ميمون" ليس فيه أصالة ، أم إلى أن الثقافة العربية اليهودية فى الأندلس كانت ثقافة تابعة للحضارة الأم لدرجة كبيرة ، أم أنه يرجع أساساً إلى أن مؤلفاته قد كتبت بحروف عبرية فظلت كتبه مجهولة لجمهرة القراء والمثقفين ؟؟

==

الأنبياء هو من أسس الدين . والاعتقاد بأن " التوراة من السماء " مرتبط بقضية النبوة ، والثانى : مواجهة العقيدة الإسلامية التى طالبت بالاعتراف والإقرار بنبوة النبى محمد " صلى الله عليه وسلم " ، فالجدل بين اليهودية والإسلام دار حول هذا الاعتراف ، وقد رأى ابن ميمون أنه ملتزم بأن يعطى لنفسه ولشعبه مقياساً صادقاً للفصل بين النبوة الحقيقية والنبوة الكاذبة ، فقد رأى أن قضايا النبوة أربعة ، أولاً : ماهية النبى وأوصافه ، ثانياً : ماهية النبوّة ودرجاتها ، ثالثاً : مضمون النبوة وهدفها ، رابعاً : النبوة الحقّة والنبوّة الكاذبة (١).

أما الهدف العام لبحث ابن ميمون لقضية النبوّة فهو إثبات أن اليهودية هى دين الحق حيث تمثلت فيها الوحدة التامة مع حقائق العقل ، ومع الفلسفة ؛ إذاً:فقد سعى ابن ميمون من ناحية إلى توضيح النبوة كظاهرة يمكن تعريفها فى إطار مفاهيم فلسفية ، ومن ناحية أخرى إمكان إدراجها ضمن إطار العالم الطبيعى ، ولكن فى نفس الوقت أيضاً أراد الحفاظ على الطابع الدينى التقليدى للنبوّة ... وفى كتابه " دلالة الحائرين " يقدم ابن ميمون ثلاثة آراء للإجابة على السؤال الآتى : مَنْ المؤهل ليكون نبيّاً ؟ فيقول : الرأى الأول : " وهو رأى جمهور العوام ... وهو أن الله تعالى يختار من يشاء من الناس فينبّيه ويبعثه ، ولا فرق أن يكون ذلك الشخص عالماً أو جاهلاً ، كبير السن أو صغير السن ، ولكنهم يشترطون فيه أيضاً خيرية ما ، وصلاحية أخلاق ... لأن الناس إلى هذه الغاية ماقالوا انه قد ينبئ الله رجلاً شريراً إلا بأن يرده خيراً أولاً بحسب هذا الرأى(٢). إذاً يرى هذا الرأى - الذى يقول ابن ميمون انه رأى العوام من الناس - أن النبوة كإحدى المعجزات وظاهرة، ليس لها أسباب " إنسانية " أو " طبيعية " حيث إنها لاترتبط بالإنسان فالله يختار من يريد ،

=) انظر : دلالة الحائرين : تأليف الحكيم الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبى الأندلسى . تحقيق : حسين آتاى . جامعة أنقره سنة ١٩٧٤ . ص XXIII , XXIV , XXV , XXVI .

١) מ. דובשני, הרמב"ם חייו ומשנתו, הוצאת "דביר", תל-אביב 1955, עמ' 105-108.

٢) دلالة الحائرين . ص ٣٩٣

ونحن لانعرف سبب اختياره ، ومن المهم التأكيد على أن هذا الرأى لايربط النبوّة بالمرتبة العقلية للإنسان ، فحتى الأحمق ممكن أن يختاره الله رسولاً ، ولذلك يشير "ابن ميمون" إلى أن هذا "هو " رأى الحمقى " سواء كان بينهم " جمهور شريعتنا " ممن يتمسك به"(١).

الرأى الثانى : وهو رأى الفلاسفة : وهو أن النبوّة كمال ما، فى طبيعة الإنسان ، وذلك الكمال لايحصل للشخص من الناس إلا بعد " ارتياض " يخرج ما فى قوة النوع للفعل إن لم يعق عن ذلك عائق مزاجى ، أو سبب ما، من خارج، كحكم كل كمال يمكن وجوده فى نوع ما ، فإنه لايصح وجود ذلك الكمال على غايته ونهايته فى كل شخص من أشخاص ذلك النوع ، بل فى شخص ما . ولابد ضرورة وإن كان ذلك الكمال مما يحتاج فى حصوله لمخرج ، فلابد من مخرج(٢).

إذاً فالرأى الأول يربط النبوّة بالله ، وليس بالإنسان ، بينما الرأى الثانى يربط النبوة فقط بالإنسان وليس بالله . وهذا الرأى يرفضه "ابن ميمون" أيضاً ، لأن هذا الرأى يرى ضرورة ظهور أنبياء فى كل العصور ، وكل الشعوب ، ولذلك يصبح غير ممكن توضيح توقف النبوّة وظهورها فى إسرائيل فقط(٣).

الرأى الثالث : وهو رأى "ابن ميمون" نفسه ، وهو يمزج بين الرأيين السابقين ، وبحسب كلامه " هو رأى شريعتنا وقاعدة مذهبنا ، وهو مثل هذا الرأى الفلسفى بعينه إلا فى شىء واحد.وذلك نعتقد أن الذى يصلح للنبوّة المتهيىء لها قد لا يتنبأ . وذلك بمشيئة إلهية ، وهذا عندى هو شبه المعجزات كلها وجار فى نسقها . فإن الأمر الطبيعى أن كل مايصلح بحسب جبلته وارتاض بحسب تربيته ، وتعليمه ، سيتنبأ . والممنوع من ذلك إنما هو بمن منع تحريك يده كيربعام"(٤)، أو منع الأبصار كعسكر ملك آرام عند قصده "اليشع"(٥)، أما كون قاعدتنا التهيؤ

---

١) הרמב"ם חיין ומשנתו, עמ' 109.
٢) دلالة الحائرين . ص ٣٩٣
٣) הרמב"ם חיין ומשנתו, עמ' 110 .
٤) راجع (الملوك الأول ١٣ : ٤)
٥) راجع (الملوك الثانى ٦ : ١٨)

والكمال فى الخلقيات والنطقيات ، ولابد فهو قولهم : انما النبوّة تستند على الحكيم والقوى والغنى : " אין הַנְּבוּאָה שורָה אֶלָּא על החכם - גִּבּור ועשיר "(١) . وأما كون المتهيىء قد يمنع ولايتنبأ فتعلم ذلك من قصة باروك بن نيريا בָּרוּךְ בֶּן-נֵרִיָּהוּ (٢)، لانه تبع أرمياً ، وارّضه وعلّمه وهيّاه ، وكان يطمع نفسه بانه يتنبأ . فمنع كما قال : "יָגַעְתִּי בְאַנְחָתִי וּמְנוּחָה לֹא מָצָאתִי(٣)- أعييت فى زفيرى ولم أجد راحة " ، فقيل له على يد أرميا כֹּה אָמַר יְהוָה.. וְאַתָּה תְּבַקֵּשׁ לְךָ גְּדלות אַל תְּבַקֵּשׁ "(٤). - هكذا قال الرب . وأنت تلتمس لك عظائم لاتلتمس ، ولذلك كان يقال إن قوله : גַּם-נְּבִיאֶיהָ לֹא מָצְאוּ חָזון מיהוה(٥) . حتى أنبياؤها لا يصادفون رؤيا من لدن الرب " ، ومن أجل كونهم فى المهجر كما تبين ، لكن نجد نصوصاً كثيرة منها نصوص كتب ، ومنها كلام حكماء ، كلها مستمرة على هذه القاعدة : وهى أن الله ينبىء من يشاء متى شاء ، لكن للكامل الفاضل فى الغاية . أما الجهال من العوام فلايمكن ذلك عندنا ، أعنى أن ينبىء أحدهم إلا كإمكان أن ينبىء حماراً أو ضفدعاً . هذه قاعدتنا أنه لابد من الارتياض والكمال . وحينئذ يكون الإمكان الذى تتعلق به قدرة الإله ، ولايغلطك قوله : "בְּטֶרֶם אֶצָּרְךָ בַּבֶּטֶן - יְדַעְתִּיךָ וּבְטֶרֶם תֵּצֵא מֵרֶחֶם הִקְדַּשְׁתִּיךָ."(٦) - قبل أن

---

١) مسكت شبت , 92 : 1 , مسكت نذرים 38-1 .

٢) باروك بن نيريا : كان كاتباً محباً ومخلصاً للنبى أرميا (راجع أرميا ٣٢ : ١٢) . حيث سلّمه صك الحقل الذى اشتراه . وفى سفر أرميا الاصحاح (٣٦) استدعاه أرمياً النبى فكتب كلام الله الذى تنبأ به أرميا فى درج وقراه على مسامع الشعب فى بيت الرب ثم قراه بعد ذلك على رؤساء اليهود فاضطربوا اضطراباً عظيماً... ومن أعمال باروك التى تستحق الذكر ، ذهابه إلى بابل حاملاً رسالة من النبى أرمياً تنبىء بما كان مزمعاً أن يحل بتلك المدينة العظيمة من القصاص الإلهى والعقوبة . وينسب لباروك سفراً من الاسفار الخارجية .حيث يزعم فى السفر أن باروك كاتب أرميا كتب الاصحاحات الخمسة الأولى منه .

انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٥٨

٣) أرميا (٤٥ : ٣) (٤) أرميا (٤٥ : ٤ و ٥)

٥) ايخا (٢ : ٩) (٦) أرميا (١ : ٥)

أصورك فى البطن عرفتك وقبل أن تخرج من الرحم قد ستك " ... لأن هذه حال كل نبى - لابد له من تهيؤطبيعى فى أصل جبلته كما يبين . ولايغلطك أيضاً ماجاء فى "المواعيد" فى قوله : " אֶשְׁפּוֹךְ אֶת־רוּחִי עַל־כָּל־בָּשָׂר וְנִבְּאוּ־בְנֵיכֶם וּבְנוֹתֵיכֶם (١) - أفيض روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ". وذلك لأنه فسر ذلك وأخبر ماتكون تلك النبوة فقال : " זְקֵנֵיכֶם חֲלֹמוֹת יַחֲלֹמוּן בַּחוּרֵיכֶם חֶזְיֹנוֹת יִרְאוּ. (٢)

ويرى شبانكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما " ، وذلك لأن كل مخبر بغيب من جهة التكهن والشعور كان ذلك ، أو من جهة رؤية صادقة : فإنه يتسمى أيضاً نبياً ، ولذلك يسمون أنبياء "بعل" وأنبياء "عشتروت" أنبياء ، كما جاء فى سفر التثنية : "כִּי יָקוּם בְּקִרְבְּךָ נָבִיא אוֹ חוֹלֵם חֲלוֹם (٣) - إذا قام بينكم متنبىء أو رائى حلم " ، وأما الوقوف فوق جبل سيناء " מַעֲמַד הַר סִינַי " وإن كانوا كلهم مشاهدين النار العظيمة سامعين الأصوات المهولة المفزعة على جهة المعجز . فلم يحصل فى درجة النبوة إلا من يصلح ، وعلى مراتب أيضاً ، الا ترى قوله : עֲלֵה אֶל־יְהוָה אַתָּה וְאַהֲרֹן,נָדָב וַאֲבִיהוּא וְשִׁבְעִים מִזִּקְנֵי יִשְׂרָאֵל (٤) : اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل " . أما موسى عليه السلام فهو فى أعلى مرتبة . كما قال : וְנִגַּשׁ מֹשֶׁה לְבַדּוֹ אֶל יְהוָה וְהֵם לֹא יִגָּשׁוּ (٥) : ثم يتقدم موسى وحده إلى الرب ، وهم لايتقدمون " ، "هارون" دونه "وناداب" و"أبيهو" دون "هارون" ، وسبعون من الشيوخ دون "ناداب" و"أبيهو" وسائر الناس دون هؤلاء على حسب كمالاتهم ، وكما يقول الحكماء : " موسى أمة وحده ، وهارون أمة وحده "(٦).

---

١) يوئيل (٢ : ٢٨ أ)
٢) يوئيل (٢ : ٢٨ ب)
٣) التثنية ١٣ : ٢
٤) الخروج ٢٤ : ١
٥) الخروج ٢٤ : ٢
٦) دلالة الحائرين . ص ٣٩٦

ماهية النبوة فى رأى ابن ميمون :

بما أن النبى يجب أن يكون صاحب كمال عقلى فإنه يجب أن تكون للنبوّة علاقة بعقل الإنسان . ويذكر ابن ميمونّ ماهية النبوّة فيقول " اعلم أن حقيقة النبوة وماهيتها هو فيض يفيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعّال (الإلهى) على القوة الناطقة أولاً ثمّ على القوة المتخيلة بعد ذلك ، وهذا أمر لايمكن فى كل إنسان بوجه ، ولا أمر يصل إليه بالكمال فى العلوم النظرية ، وتحسين الأخلاق حتى تكون كلها على أحسن مايكون. وعن علاقة الحلم بالنبوة يقول ابن ميمونّ : قد علمت ترادف قولهم : " חֲלוֹם אחד מִשִּׁשִּׁים בִּנְבוּאָה [1] : الحلم واحد من الستين من النبوة " . ولايقع التقدير بين شيئين مختلفين بالنوع مايسوغ أن يقال كمال الإنسان كذا وكذا ضعف من كمال الفرس وقد كرروا هذا المعنى فى بّريشيت رابا وقالوا : " נְבוּלַת נְבוּאָה חֲלוֹם [2] : إن الحلم فج النبوة " . وهذا تشبيه عجيب وذلك أن الفجة هى الثمر بعينه وشخصه ، غير أنه سقط قبل كماله وقبل أن يحين له . كذلك فِعْل القوة المتخيلة فى حال النوم هو فعلها فى حال النبوة ، إلا أن فيها تقصيراً ولم تصل إلى غايتها. فقد جاء فى التوراة " אִם יִהְיֶה נְבִיאֲכֶם יְהוָה בַּמַּרְאָה אֵתְוַדָּע בַּחֲלוֹם אֲדַבֶּר בּוֹ [3] - أن يكن فيكم نبى للرب فبالرؤيا استعلن له. فى الحلم أخاطبه "[4].

فقد أخبرنا الله بحقيقة النبوة وماهيتها ، وأعلمنا أنها كمال يأتى فى الحلم أو الرؤيا ، والرؤيا مشتق من " ראה " وهو أن يحصل للقوة المتخيلة من كمال الفعل حتى ترى الشىء كأنه من خارج، ويكون الأمر الذى ابتداؤه منها كأنه جاءها على طريق الاحكام الخارج . وهذان القسمان أعنى بمرأى النبوة أو فى الحلم " מַרְאֶה הַנְּבוּאָה או בַּחֲלוֹם " فيهما مراتب النبوة [5].

---

١) מסכת ברכות 57.ב.

٢) בראשית רבה 17,4.

٣) العدد ١٢ : ٦

٤) دلالة الحائرين . ص ٤٠٤

٥) المرجع السابق. ص ٤٠٥ - ٤٠٦

إن القول القائل بأن النبى يحتاج إلى ثلاث خصال من الكمال يعطينا المفتاح لفهم درجات الأنبياء ومراتبهم ، " فالأنبياء درجات ومراتب فكما أن فى الحكمة هناك حكيم أعظم من زميله ، كذلك فى النبوة يوجد نبى أعظم من نبى" فهناك أشخاص درجة عقلهم تكمل فقط ذاتيتهم ، وهناك أشخاص يحصلون على فيض عقلى كبير يكمل الأشخاص الآخرين . فإذا كان الفيض فى العقل وأيضاً فى الخيال فهذه نبوّة ، وإذا كان الفيض فى الخيال فقط فهذا تنجيم ، وأحلام ، من هنا كان الفرق الحاسم بين النبى والمنجم ، فالمنجم أو الحالم أُعطى فقط قوة خيال متقدمة ، لكنه ليس صاحب كمال عقلى(١).

مراتب النبوة فى رأى ابن ميمون :

قبل أن يذكر ابن ميمون مراتب النبوّة يقول : " ولايغلطك فى هذه المراتب كونك تجد فى كتب النبوّة نبياً أتاه الوحى بصورة احدى هذه المراتب ، ويبين فى ذلك النبى بعينه أنه أتاه الوحى بصورة مرتبة أخرى . وذلك أن هذه المراتب التى أذكرها قد يكون وحى ذلك النبى أتاه بقصة بحسب صورة منها ، ويأتيه وحى آخر ، فى وقت آخر بحسب مرتبة دون مرتبة الوحى الأولى . لأنه كما أن النبى لايتنبأ طول عمره باتصال ، بل قد يتنبأ وقتاً وتفارقه النبوة أوقاتاً . كذلك يتنبأ وقتاً ما بصورة مرتبة عالية ثم يتنبأ وقتاً آخر مرتبة دونها . وربما لاينال تلك المرتبة العالية إلا مرة واحدة فى عمره ، ثم يسلبها ، وربما بقى على مرتبة دونها إلى حين انقطاع نبوّته ، لأنه لابد من ارتفاع النبوّة من سائر النبيين قبل موته ، إما بمدة يسيرة أو كبيرة ، كما تبين فى أرميا بقوله " לִכְלוֹת דְּבַר־יְהוָה מִפִּי יִרְמְיָה (٢) - عند تمام كلام الرب من فم أرميا " ، وكما تبين فى داود فى قوله " וְאֵלֶּה דִּבְרֵי דָוִד הָאַחֲרֹנִים (٣) - وهذه كلمات داود الأخيرة " . وهو القياس فى الكل . وأما مراتب النبوة فهى :

---

١) הרמב"ם חייו ומשנתו, עמ' 111-112 .
٢) عزرا (١ : ١)
٣) صموئيل الثانى (٢٣ : ١)

المرتبة الأولى : أن تصحب الشخص معونة إلهية تحركه وتنشطه لعمل صالح عظيم ذى قدر ، مثل تخليص جماعة فضلاء من جماعة أشرار ، أو تخليص فاضل كبير، أو إفاضة خير على قوم كثيرين ، ويجد من نفسه لذلك محركاً وداعياً للعمل، وهذه تتسمى روح الله . والشخص الذى تصحبه هذه الحالة يقال عنه أنه : "وَتَصْلَحُ عَلَيْهِ رُوحُ يَهْوَهْ (١) - حلّت عليه روح الرب " ، أو " وَرُوحُ يَهْوَهْ لَبِسَتْ جِدْعُونَ (٢) - وروح الرب لبست جدعون " ، أو " وَنَحَتْ عَلَيْنَا رُوحُ يَهْوَهْ (٣)- واستقر عليه روح الرب " . وهذه هى درجة قضاة إسرائيل كلهم الذين قيل فيهم على العموم : وَكِي־הֵקִים יְהוָה לָהֶם שֹׁפְטִים וְהָיָה עִם הַשּׁוֹפֵט וְהוֹשִׁיעָם " (٤)- فلما أقام الرب قضاة عليهم وكان الرب مع القاضى فكان يخلّصهم ".

المرتبة الثانية : وهى أن يجد الشخص كأن أمراً ما حلّ فيه وقوة أخرى طرأت عليه فتنطقه ، فيتكلم بحكم أو بتسبيح ، أو بأقاويل وعظائم نافعة ، أو بأمور تدبيرية أو إلهيه . وهذا كله فى حال اليقظة وتصرف الحواس على معتادها . وهذا هو الذى يقال عنه إنه مدبر بروح القدس . وبهذا النحو من روح القدس ألّف داودَ المزامير . وألّف سليمانَ الأمثالَ والجامعةَ ونشيد الأناشيدَ ، وكذلك دانيالَ وأيوبَ وأخبار الأيامَ وسائر الكتب بهذا النحو من روح القدس أُلفت ، ولذلك يسمونها كتباً ، يعنون أنها مكتوبة بروح القدس .

المرتبة الثالثة : وهى أولى مراتب من يقول : إن كلام الرب صار إلى ، حيث يرى النبى مثالاً فى الحلم ، وبتلك الشروط كلها التى تقدمت فى حقيقة النبوّة ، وفى نفس ذلك الحلم للنبوة يبين له معنى ذلك المثل وتفسيره ، مثل أكثر أمثال زكريا .

---

١) القضاة (١٤ : ٦ و ١٩)
٢) القضاة (٦ : ٣٤)
٣) أشعيا (١١ : ٢) ، وقارن العدد (١١ : ٢٧ - ٢٨)
٤) القضاه (٢ : ١٨)

المرتبة الرابعة : أن يسمع كلاماً فى الحلم للنبوة مشروحا مبيناً ولايرى قائله .كما اعترى صموئيل فى أول وحى أتاه (١).

المرتبة الخامسة : وهى أن يكلمه شخص فى الحلم ، كما قال فى بعض نبوات حزقيال : "وַיְדַבֵּר אֵלַי הָאִישׁ בֶּן־אָדָם" (٢)- فقال لى الرجل يا ابن البشر " .

المرتبة السادسة : وهى أن يكلمه ملاك فى الحلم . وهذه حالة أكثر النبيين كقوله : "וַיֹּאמֶר אֵלַי מַלְאַךְ הָאֱלֹהִים בַּחֲלוֹם" (٣)- فقال لى ملاك الرب فى الحلم " .

المرتبة السابعة : وهى أن يرى فى الحلم للنبوة كأن الله يكلمه . كقول اشعيا : "וָאֶשְׁמַע אֶת קוֹל אֲדֹנָי אֹמֵר אֶת מִי אֶשְׁלַח... וָאֹמֶר הִנֵּנִי שְׁלָחֵנִי" (٤)- فسمعت صوت الرب يقول : من أرسل ... فقلت ها أنذا أرسلنى " . وكقول ميخا بن يملة " רָאִיתִי אֶת יְהוָה יוֹשֵׁב..." (٥)..رأيت الرب جالساً ... الخ " .

المرتبة الثامنة : وهى أن يأتيه وحى بمرأى النبوة ، ويرى أمثالاً ، كإبراهيم فى الرؤيا بين القطع ، لأن تلك الأمثال كانت فى الرؤيا نهاراً (٦).

المرتبة التاسعة : وهى أن يسمع كلاماً ما فى الرؤيا كما جاء عن إبراهيم (٧) : "וְהִנֵּה דְבַר־יְהוָה אֵלָיו לֵאמֹר לֹא יִירָשְׁךָ זֶה" - فإذا بكلام الرب إليه قائلا لايرثك " .

---

١) راجع (صموئيل الأول ٣ : ٥ - ٨)
٢) حزقيال (٤٠ : ٤)
٣) التكوين (٣١ : ١١)
٤) اشعيا (٦ : ٨)
٥) راجع (الملوك الاول ٢٢ : ١٩)
٦) راجع (التكوين ١٥ : ٩ - ١٠)
٧) التكوين (١٥ : ٤)

المرتبة العاشرة : وهى أن يرى شخصاً يكلمه فى مرأى النبوة كإبراهيم أيضا عند بلوطات ممرا(١).

المرتبة الحادية عشرة : وهى أن يرى ملكاً يكلمه فى الرؤيا كإبراهيم فى وقت الإيشاق בְּשָׁעַת הָעֲקֵדָה (٢). وهذه هى أعلى مراتب النبيين الذين شهدت الكتب،بمالهم بعد تقرير ما تقرر من كمال نطقيات الشخص(٣).

وهكذا من العرض السابق يتضح أن " الرمبام " اجتهد فى توضيح مفهوم النبوة توضيحاً طبيعياً وعقلياً بقدر الإمكان ، والحفاظ على تعلق النبوّة بالله وبالإنسان فى نفس الوقت . وكما ذكرنا من قبل فإن الدافع الذى دفع " الرمبام " إلى البحث فى ظاهرة النبوّة ، لم يكن تاريخياً أو فلسفياً ، بل كان هدفه الأساسى إظهار الوحدة بين الحقيقة النبوّية ، والحقيقية العقلية . وخلاصة رأيه أن النبوة هى الطريق الذى يكشف به الله تعالى الحقيقة للإنسان .

---

١) راجع (التكوين ١٣ : ١٨)

٢) راجع التكوين ٢٢ : ١ - ١٨)

٣) دلالة الحائرين . ص ٤٤٤ - ٤٤٥

وفى العصر الحديث حاول كثير من المفكرين اليهود التقليل من أهمية التقاليد النبوية فى اليهودية،ولكن التفكير اليهودى بعث الاهتمام بفكرة النبوّة ، فيرى الحاخام كوك أن النبوة هى ضرب من الاتحاد الصوفى " بالحضرة الالهية הַשְׁכִּינָה " . وأن الإنسان يصل إلى الاستنارة والشفافية من خلال هذا الاتحاد ، حتى يصل إلى أعلى درجات النبوّة ، وبذا تصبح النبوّة هدف أية تجربة دينية ".

انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٣٩٥ .

البَابُ الثَانِى

إلياهو النبى وأثره فى الفكر الدينى اليهودى

١ - تمهيـــد
٢ - الفصل الأول : شخصية إلياهو ودعوته النبوية
٣ - الفصل الثانى : إلياهو فى الفكر الدينى اليهودى

تمهيـــــــد :

أعطانا الباب الأول فكرة عن الأوضاع التاريخية والاجتماعية التى صاحبت ومهدت لشخصية الياهو النبى ، الأمر الذى كان لابد من التركيز على دور هذه الشخصية وأثرها فى الفكر الدينى اليهودى . ومن هنا رأينا تناول هذه الشخصية من زاويتين ، الأولى وهى تدور حول شخصية الياهو خلال النصوص المقرائية ، مع دراسة لهذه النصوص التى ترسم تواجدا تاريخيا محددا لها ، ومن هنا كان لابد من التعرض لدراسة القصص الخاصة بالياهو دراسة أدبية تقوم على ابراز المشاهد الدرامية ، وماتعكسه من فكر دينى وعقائدى وظفه كاتب السفر لخدمة الأفكار النبوية الرئيسية عند الياهو ، والتى يمكن ان نقول انها تدور حول الخطيئة والعقاب ، فأخطاء الملك والشعب نجم عنها عقاب الرب الذى يعتبر الياهو ممثلا له على الأرض من وجهة نظر الكاتب ولذا كان الجفاف والجوع . ومع ذلك فلم يكن هذا العقاب دائما ومستمرا وانما كانت رحمة الرب ماثلة أيضا وذلك من أجل البقية الباقية من القلوب المؤمنه ضمن هذا الشعب ومن أجلها توقفت العقوبة . أما الزاوية الثانية فى شخصية الياهو النبى فقد جاءت فى فترة متأخرة عقب تدوين نصوص العهد القديم وهى الفترة التى نشأ فيها الأدب التلمودى والمدراشى الذى يوضح مدى فهم كتاب التلمود لشخصية الياهو والدور الكبير الذى منحته له فى هذا الأدب حتى انها جعلته شريكا فى كثير من الطقوس الدينية الواجب اتباعها فى العقيدة اليهودية كالختان والفصح والسبت ، كما خلقت له دورا مهما فى العقيدة اليهودية مايزال الكثيرون يؤمنون به الى الآن وهو دور المبشر بالمسيح المخلص الذى سينزل الى الأرض فى نهاية العالم ومن هنا يتضح اثره فى الفكر الدينى اليهودى .

الفصل الأول

شخصية إلياهو ودعوته النبوية

إلياهو النبى אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא (١)

لكى ندرك مدى العلاقة الوثيقة بين بعدى الدراسة ، وهما النبوة والشخصية (نبوة إلياهو وشخصيته) نفضل كما فعلنا سابقاً بالنسبة لموضوع النبوة- أن نشير إلى ماهية الشخصية وتعريفها الدقيق . فالشخصية ، كما يحددها قاموس علم الاجتماع " هى صيغة منظمة نسبياً لنماذج السلوك والاتجاهات والمعتقدات والقيم النمطية المميزة لشخص معين ، والتى يعترف بها هو والآخرين ، وتعتبر الشخصية محصلة الخبرات الفردية فى بيئة ثقافية معينة ، ومن خلال تفاعل اجتماعى متميز" ولهذا تحدد بناء شخصية الفرد عن طريق ملاحظة نموذج سلوكه العام ، وطريقة تفكيره ومشاعره ، وأفعاله (بما فى ذلك سلوك دوره ونسقه القيمى) ، حيث ان الشخصيات الفردية تعكس بناء مجتمع الشخصية وثقافته والعمليات الكامنة فى هذا البناء.(٢)

وعلى هذا فلكى نصل إلى تكوين فكرة شاملة ودقيقة عن " إلياهو النبى " ودعوته النبوية يجب أن نتناول شخصيته من النواحى الآتية :

أولاً : السمات الخاصة بشخصيته .

ثانياً: أفكاره ورسالته .

ثالثاً: مكانته بين أنبياء بنى إسرائيل .

---

١) اللقب الشعبى لإلياهو هو " إلياهو النبى "،ولكن فى الأدب التلمودى والمدراشى يطلق عليه غالبا أسم " الياهو " فقط ، أما البركة " مبارك الذكر זכור לטוב فهى فى الغالب زائدة على اسمه ، كما أضيفت ايضاً إلى اسم " موسى"عليه السلام .
انظر: מסכת ברכות, ג, א ; ירושלמי, דפוס קראטאשין תרכ"ו ; תרומות פ"א, מ; פסיקתא דרב כהנא, מהד' בובר, ליק 1860, פי"ח, קלו, א.
وانظر: الخروج ٧ :٢٨

٢) د. محمد عاطف غيث : " قاموس علم الاجتماع " الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة سنة ١٩٧٩ . ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

رابعاً : دوره فى تطور مفهوم النبوة الإسرائيلية.(١)

أولاً : السمات الخاصة بشخصيته :

يعتبر " إلياهو النبى " من طليعة " الأنبياء الأوائل "(٢) فى مملكة إسرائيل.حوالى القرن التاسع ق.م ، هذا وسيرته مدونة فى سفر الملوك الأول فى الإصحاحات من السابع عشر وحتى العشرين ، وفى الإصحاح الأول والثانى من سفر الملوك الثانى ، غير إنها دونت بإيجاز ، لذا فإننا لانعلم الكثير عن شخصيته ، (٢) ويعنى الاسم אֵלִיָּהוּ فى العبرية " إلهى يهوه " أو " الله يهوه " . والصيغة اليونانية لهذا الاسم هى " إلياس - Elias " وهى المستعملة فى العربية(٣)، ويكتب " إلياس " ايضاً فى الترجمة الإنجليزية للعهد القديم ، المعتمدة على ترجمة الفولوجاتا اللاتينية ، وهى الترجمة التى يطلق عليها " دواى Doyey " حيث أنها طبعت فى " دواى " فى فرنسا عام ١٦٠٩م ، ويكتب " إلياس Elias " أيضاً فى رسالة يعقوب فى العهد الجديد(٤). وهناك اعتقاد بان هذا لم يكن اسمه منذ ولادته ، بل لُقِبَ به كعلامة لفكرته الأساسية ورسالته فى الحياة(٥). ويكتبه العهد القديم أيضاً بالتشبى : תִּשְׁבִּי " نسبة إلى موضع غامض قد يكون فى

---

١) צבי אדר, הערכים החינוכים של התנ"ך, תל אביב, תש"ד, עמ' 150 - 157.

٢) ينقسم أنبياء اليهود إلى قسمين : الأنبياء الأول وهم مؤلفو أسفار " يوشع " والقضاة " ، " وصموئيل الأول والثانى " ، " والملوك " - وإليهم ينتمى " إلياهو " ، والأنبياء الأخر الذين يقسمون بدورهم إلى أنبياء عظام وصغار ، أما الأنبياء العظام فهم " أشعيا " ، " وأرميا " ، " وحزقيال" أما الصغار فهم " هوشع " " ويوئيل " ، " وعاموس " " وعوبديا " " ويونس" " وميخا " " وناحوم " "وحبقوق" " وصفنيا" " وحجاى" " وزكريا" "وملاخى ". انظر : د. عبد الوهاب محمد المسيرى . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٣٩٤.

٣) سبتينوموسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ص ١٤٥

٤) Encyclopedia Americana: Vol.10 , International Edition Manufactured in the U.S.A 1980. Elijah,P.236.
وانظر : رسالة يعقوب ٥:١٧ - ١٨

٥) אנציקלופדיה מקראית, כרך ראשון, עמ' 337.

أرض جلعاد[1] . ويرى بعض الباحثين وجود أساس للافتراض بان " إلياهو " لم يسكن في مكان محدد في " جلعاد " ، بل انتمى إلى فرقة " الركابيين בְּנֵי־רֵכָב "

---

١) راجع الملوك الأول (١٧ : ١ ، ٢١ : ١٧ ، ٢٨) ، الملوك الثاني (١ : ٣، ٨ ، ٩ : ٣٦) . وربما يرجع تسميته " بإلياهو التشبي " نسبة إلى مكان يدعى " تشبه " ، وتذكر الموسوعة العبرية إن الصيغة المقرائية מִתִּשְׁבִּי גִלְעָד " غير واضحة ، ويحتمل إنها نسخت بصورة خاطئة أو انها صيغة مزدوجة ، وعلى أي حال فان التنقيط في كلمة " מִתִּשְׁבִּי " تنقيط غامض ، أما في الترجمة السبعينية فقد نسخت " תִּשְׁבּוֹן " وكذلك عند يوسف بن متتاياهو (קדמונות, ח, ג, ב) الذي يذكر إن إلياهو من سكان " تشبون " في جلعاد . وكذلك في تفسيرات " راشي " "وربي داود قمحي " . ولكن لم يستدل على وجود مدينة بهذا الاسم في جلعاد ولذلك يكون " يوسف بن متتاياهو " " وراشي " " وداود قمحي " قد نقلوا عن الترجمة السبعينية ، ورأوا في هذه الصيغة محاولة لتفسير فقرة الملوك الأول (١٧ : ١) . . بينما يرى " كلوسطرمان קלוסטרמן " ومن بعده " چليك גליק " إن إلياهو الجلعادي كان من " يابيش جلعاد יבש גלעד وان الصيغة " הַתִּשְׁבִּי " هي تشويه للصيغة " הַיּוֹשְׁבִי " . ويستدلون على ذلك بأن بني إسرائيل قتلوا أهل يابيش جلعاد بعد قصة الخليلة في جبعة (راجع قضاة ٢٠ و ٢١) ولم يتركوا في يابيش جلعاد إلا القليل من أهلها الساكنين في المدينة ، لأن جميع الباقين كانوا من بسطاء الناس ، ولذلك يشير النص المقرائي إلى ان إلياهو كان من السكان القدماء لجلعاد وهناك تقليد يرجع إلى العصر البيزنطي يحدد مكان إلياهو " بالاسطيب אל-אסתיב " وهي اليوم " חירבת לסתב " في جلعاد، وبدايتها تعود إلى الاستيطان البيزنطي ، وهي تقع على بعد خمسة كيلومترات شمال غرب عجلون ، وبجانب " חירבת לסתב " يوجد مكان مقدس لإلياهو. بينما يرى " סמברי – سمبري " ان محل ميلاد إلياهو هو احدى القرى القريبة من القاهرة وذلك على ضوء الافتراض المقبول بان إلياهو هو "פינחס בן אלעזר בן אהרון הכהן فنحاس بن اليعازر بن هارون» فيكون من الطبيعي جداً تحديد محل ميلاده بمكان ما في مصر .

انظر : דברי ר' יוסף סמברי בקובץ של נויבואר, I 147-149, وهو المصدر الوحيد الذي يقول ذلك .

انظر : תוספות, תענית ג, א, דיבור המתחיל ב"ויאמר" - האנציקלופדיה העברית, ערך תשבי.

أو " القينيين קֵינִים "[١] الذين عاشوا حياة الترحال والتجوال، والحقيقة اننا عندما نستعرض تاريخ " الركابيين " نجد انهم كانوا من الدوائر التى تحركت بشدة - كما يتضح مما جاء عنهم فى العهد القديم - ضد التحول الكنعانى من أجل المحافظة على العادات والتقاليد الإسرائيلية الأصيلة . وكما نعرف ، كان مؤسس هذه الجماعة هو " يوناداب بن ركاب יְהוֹנָדָב בֶּן רֵכָב " الذى أيد " ياهو יֵהוּא " فى حربه ضد " بيت آحاب " ، وضد عبادة "بعل הַבַּעַל "[٢] وهو الأمر الذى يعتمد عليه هؤلاء الباحثين فى انتماء " إلياهو " إلى هذه الفرقة ، والحقيقة ان هؤلاء الركابيين كانوا يعيشون وسط مجتمع زراعى ، ويصرون على الحياة بوسائل المعيشة البدوية ، حيث كانوا ينادون بتحريم شرب الخمر وبناء المنازل وبذر البذور أو زراعة الكروم ، معتمدين فى ذلك على مشهد لقاء " إلياهو " مع " اليشع אֱלִישָׁע " وترك الأخير حقل أبيه وذهابه وراء " إلياهو "[٣] عاملاً ثانياً لانتماء " إلياهو " إلى هذه الفرقة واعتناقه أفكارهم .[٤]

والحقيقة ان رد فعلهم ضد الحياة الكنعانية كان قوياً وكاملاً ، فقد ظلوا على رفضهم اتخاذ أى شئ كنعانى ماعدا كما يظن - اللغة - وكانوا يعيشون فى خيام ولايشعرون بملكية للأرض فهم مجرد " גֵּרִים - متغربين "[٥] ، ومن ثم حافظوا على مادون الطابع الكنعانى فى الحياة كبدو وشبه بدو ، وكانوا على صلة بالرعاة وصغار

---

١) הַקֵּינִים القينيون : قوم من سبط القينيين (راجع أخبار الأيام الأول ٢ : ٥٥) وهم سكان " قادش - קָדֵשׁ " قبل أن يرحل " أبراهام إلى مصر (تكوين ١٥ : ١٩) وهم ينسبون إلى قاين الذى تميز بعلامة من الرب (راجع تكوين ٤ : ١٥) ومن هنا جاء الافتراض بأنهم أول من عبدوا الرب - (يهوه) وهم الذين علّموا " موسى " ومن بعده بنى إسرائيل عبادة الرب (راجع التثنية ٣٣ : ٢ ، القضاة ٥ : ٤ ؛ زكريا ٩ : ١٤ ؛ حبقوق ٣ : ٣ - ٧)- وقد انضم جزء منهم إلى سبط يهوذا وهاجروا معاً إلى النقب (راجع القضاة ١ : ٦؛ صموئيل الأول ٢٧ : ١٠ ؛ ٣٠ : ٢٩) وقد حافظت عائلات هؤلاء السكان ، كما يبدو لأسباب دينية وخلال الالتصاق بالرب ، على نمط حياتهم الترحالية وعارضوا الحضاره الزراعية للشعوب الكنعانية التى ترتبط بعبادة أرباب الطبيعة والخصوبة .

انظر : לפסיקון מקרא , עמ' 786.

٢) راجع (الملوك الثانى ١ : ١٥ ومابعده)

٣) راجع (الملوك الأول ١٩ : ١٩ - ٢١)

٤) Encyclopedia Judaica. Elijah. PP. 632_633.

٥) راجع (أرميا ٣٥ : ٢ - ١١)

المزارعين . وقد ألقى الركابيون بعض الضوء على تصورات تاريخ إسرائيل ، لأنهم أكدوا - فى صورة بسيطة ومباشرة - الإتجاه الذى نصادفه فى الحركة النبوية دائماً، والذى نجد بدايته مع شخصية " إلياهو " النبى واستمراره عند الأنبياء الكتابيين- وهو جاذبية الرجوع إلى الماضى ونحو الحياة التى سبقت الاختلاط بالكنعانيين ، وهذا الاتجاه هو الذى جعل من عصر البرية (التيه) عصراً مثالياً أوجدت فيه الشريعة ، وهو أيضاً العصر الذى يلهم الأنبياء فى مقاومتهم ضد الممارسات الكنعانية وعليه فانه لايوجد أساس لهذا الافتراض فى مصادر العهد القديم ، فحسب تنقلات " إلياهو " - كما تم وصفها فى سفر الملوك - لم ينعزل " إلياهو " عن السكان لأسباب وعلل تعود لمبدأه فى الحياة ، بل تنفيذاً لأمر الرب ، فإنه ينتقل من مكان إلى مكان لتأدية دوره النبوى أو ليجد مايعال عليه فى أيام الجفاف . هذا بالاضافة إلى ان " إلياهو " جنح إلى العدل الاجتماعى[1] وهو الأمر الذى لم يعرج إليه الركابيون المتعصبون ، وفى هذا الجنوح إلى العدل الاجتماعى استخدام لتفكير يتضمن رموزاً أخلاقية ، تلك الأمور التى ترجح أنه من الصعب على الركابيين التفكير فيها لرفضهم أية طريقة أخرى سوى البداوة ، ولذلك قد نقبل فقط رأى الباحثين فى أن هناك خط مشترك فى حرب " إلياهو " الغيورة ضد عبادة " بعل " ، يتصل بأفكار الركابيين والقينيين وهو اتخاذ عصر البرية مثالاً وقدوة فى دعوته النبوية[2].

ان ماذكر فى العهد القديم عن " الياهو " النبى وعن تاريخه وسيرة حياته ، وأعماله وأفعاله فى أيام آحاب ملك إسرائيل ويورام خليفته ، لايكفى لوضع تصور كامل عن هذه الشخصية ، فالعهد القديم كتم أكثر مما أفصح ، فمصادره لم تكشف إلا عن مكانه حيث أطلقت عليه "إلياهو الجلعادى " ولكنها لم توضح هل كان كاهناً أم لا ، وهل هو نفسه "فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن - פִּינְחָס בֶּן אֶלְעָזָר בֶּן אַהֲרֹן הַכֹּהֵן"[3]، الذى كان كاهناً عظيماً ونبياً كل أيام القضاة ، كما لم يذكر

---

١) راجع قصة نابوت فى الملوك الأول الإصحاح ٢١

٢) Encyclopedia Judaica. Eljah, P. 634.

٣) פינחס فينحاس : هو " ملاك الرب מלאך ה' " الذى ورد ذكره فى القضاة ٢ : ١ ، وهو نفسه " الرجل النبى אִישׁ נָבִיא " الذى ذكر فى القضاة ٦ : ٨ .

راجع : סדר עולם, פרק כ' . ויקרא רבה (מדרש) קדמונות, ה', ב, א.

العهد القديم أيضاً السبط الذى ينتمى إليه " إلياهو" مما أدى إلى تعارض الآراء بشأن حيقة نسبه (١).

مما سبق يتضح انه تجمعت فى شخصية إلياهو دور الناسك المتشدد والمقاتل المتحمس، والواعظ الشعبى، قد نجده أحياناً منعزلاً فى الصحراء بعيداً عن صخب المدن، وأحياناً أخرى يظهر فى السامرة كالعاصفة المفاجئة، حيث يوبخ الملك والشعب(٢)، والحقيقة ان إلياهو النبى كان ذا نفس ثائرة، مستعد فى كل وقت للتضحية بنفسه من أجل عقيدته، بدون أن يضعف لحظة. ولذلك اعتبر فى نظر الأجيال التالية له، رمزاً للغيرة للرب، ورمزاً للاستقامة والحق وكل فضيلة (٣).

---

١) راجع מסכת בבא מציעה, קיד, ב, و תוספתא, תר' للملوك الأول ١٧ : ١٣ حيث يعتقدون إن " إلياهو " كان كاهناً، ولكنهم لم يذكروا ان " فنحاس " هو " إلياهو ". وهو رأى بعض آباء الكنيسة أيضاً؛ أما تشبيه "إلياهو" بفنحاس فبدايته فى פסידו-פילון 48, 1-2, 48, ويوجد بكثرة فى المدراشيم المتأخرة؛ قارن פרק דרבי אליעזר הגדול. פרק מ"ד, ת"י للخروج ٦ : ١٨؛ والعدد ٢٥ : ١٢؛ والتثنية ٣٠:٤، ويكنى " إلياهو " أيضاً " بتلميذ موسى " : תלמידו של משה. ولكن لايعنى ذلك تلميذاً حقيقياً بل هو مثل باقى الأنبياء الذين يعتبرون تلاميذاً لموسى" أبى النبوه אבי הנבואה.

راجع : בראשית רבה עא, טו; שמות רבה מ, ד; סדר אליהו רבה. פרק י"ח, 97; و סדר אליהו זוטא, מה' איש-שלום פרק י"ח, 199.

وراجع أيضاً: תוספתא-מהד' צוקרמנדל, סוטה ד, ה، وحول نسبه تتنافس أسباط " جاد " " وبنيامين " مع سبط " لاوى " فى مسألة انتسابه إليهم، وورد فى (זוהר חדש רות ב - א) ان " إلياهو " لم يتزوج قط ولذلك لم يذكر شئ عن أسرته فى العهد القديم. وعن تعليمه فقد جاء فى ירושלמי-מסכת ע"רובין פרק ה' כב, א. דפוס קראטאשין, תרכ"ו ان "أحيا الشيلونى אחיה השילוני" هو أبرز معلم " لإلياهو " النبى.

٢) שמעון דובנוב, דברי ימי עם עולם, כרך ראשין, עמ' 78.

٣) אנציקלופדיה מאיר נתיב. להליכות, מנהגים, דברי-מוסר ומעשים טובים. מאת שלמה זלמן אריאל. נדפס בישראל 1960, עמ' 34.

اما عن مظهره وهيئته فقد اشتهر " إلياهو " بعاداته وبلباسه ، فقد وصفه رسل " أحازيا אחזיהו " بأنه رجل مشعر ، أى يلبس رداءً من الشعر (مسوحاً) ومنطقة من الجلد على حقويه ، فقد جاء فى الملوك الثانى ١ : ٨ :

" אִישׁ בַּעַל שֵׂעָר וְאֵזוֹר עוֹר אָזוּר בְּמָתְנָיו וַיֹּאמֶר אֵלִיָּה הַתִּשְׁבִּי

הוא - رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه . فقال هو إيليا التشبى " . وبذلك أمكن معرفته بسهولة من ملابسه وهيئته المتواضعة ، وذلك على عكس أنبياء وكهنة " بعل " الذين كانوا يرتدون الملابس النسائية الفخمة ، أما إلياهو فقد كان يترك شعر رأسه لدرجة أن الموسى لم تقرب من رأسه أبداً ولم تعرف الخمر الطريق إلى فمه ، وفى الحقيقة ان الآثمين فى مملكة إسرائيل لم يسخروا من دعوة " إلياهو " فقط بل سخروا أيضاً من هيئته ومظهره ، فيحفظ لهم قولهم له :" הָרִיהוּ מְסַלְסֵל קוֹוֹשׁוֹתָיו " - هوذا المجعد الشعر"(١)

وهناك من الباحثين من يصف " إلياهو " بأوصاف خارقة ، فيقولون انه كالبرکان العنيف المفاجىء فى ظهوره وفى اختفائه ، ويقولون أيضا ان " إلياهو " لم يمت قط ولم يولد كما نولد نحن ، " فإلياهو " أتى من عند الرب وذهب إلى الرب، حيث أبقاه حياً فى حضرته الإلهيه ، وقد اعتمدوا فى وصفهم هذا على ماورد فى العهد القديم بشأن وفاة " إلياهو " التى يصورها على انها احدى المعجزات فيذكر ان " إلياهو " لم يمت وإنما صعد فى مركبة نارية إلى السماء ، ولذلك تمادى هؤلاء الباحثين فى تصوراتهم فقالوا ان " إلياهو " عبارة عن الأب والأم معاً ويكمن ذلك فى الاسم " إلياهو אליהו " - أى " אלי - יהו - إلهى - يهوه " فقلوب الآباء والأمهات تمتد إلى خارج نطاق نفسها بما يعطونه لأطفالهم من أسماء ، ولذلك فهم يرون ان " إلياهو " اسم سماوى ذا طبيعة بشرية ، أى انه يخضع للمشاعر الإنسانية ، ولكنها مشاعر معقدة تضفى عليه غموضاً وملائكية(٢)،هذا

---

١) פסיקתא רבתי ,מהד' איש שלום ,וינה1880 ,פרק כ"ו, קכט, א.

٢) Alexander whyte: Bible Characters. Volume one. Old Testament. London, 1970.PP.362-363

وتصور لنا الأجاداه[١] " إلياهو " كشخصية عظيمة قادرة على تخطى جميع العقبات ، ولو عن طريق المعجزات ، فالأجاداه أضفت عليه أو صورته بمظهر يبدو خيالياً فى كثير من الأحيان ، حيث أحاطته بهالة من الخوارق والمعجزات ، فتذكر ان اسم " إلياهو " فى السماء هو " سندلفون סנדלפון "[٢] وهو أحد ملائكة جنود السماء القديرة والجليلة جداً ، يقف وراء كرسى العرش يكيل المديح لله ويبلغه صلوات الإسرائيليين،وتتمادى بعض المصادر فى تصوراتها الخيالية له فتذكر أنه يقرب القرابين يومياً فى بيت المقدس الذى فى السماء ،والذى لم يتمكن الأغيار

---

١) الأجاداه אַגָּדָה : احدى قسمى الجمارا (التى تتناول شرح ماجاء فى المشنا) والقسم الثانى هو " الهلاخاه הֲלָכָה " وتقرن الأجاداه والهلاخاه دائماً ، فتعرف الأجاداه بأنها ذلك القسم من التعاليم الحاخامية الذى لايعالج الهلاخاه أو الجوانب القانونية أو التشريعية . وحتى عندما تتعرض الأجاداه لمثل هذه الجوانب فهى تقتصر دائماً على الحديث عن الحكمة من إرسال القوانين ، فالأجاداه هى من باب التفسير القصصى ، والاجاداه (ومرادفتها هجاداه הַגָּדָה) تشير إلى الفقرات والقطع التلمودية التى تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية أو الدعوات أو الصلوات أو المديح فى الأرض المقدسة أو عن الأمل فى وصول المسيح المنتظر ، كما تشير إلى الأجزاء التى تغطى التاريخ والسير والطب والفلك والتنجيم والسحر والتصوف . وقد قيل عن الأجاداه : " וְתַעֲנֻגוֹת בְּנֵי הָאָדָם - אֵלוּ הָאַגָּדוֹת שֶׁהֵן עֲנוּגוֹ שֶׁל מְקוֹמָא " : متع الإنسان - كذلك أيضاً الأجادوت التى تعطى للمقرا طعم وبهجة ومتعة " (קוהלת רבה,ב׳). انظر : ח״נ ביאליק ו״ח רבניצקי , סֵפֶר הָאַגָּדָה ״. מבחר האגדות שבתלמוד ובמדרשים . חלק א׳, הוצאת דביר , תל-אביב . תש״ל, עמ׳ א׳.

٢) סנדלפון : سندلفون وقد فسر هذا الاسم على انه مركب من סן=עִם و דלפון = אח أخ أى ان " إلياهو " أخو " حنوك חֲנוֹךְ " لأن كلاهما أصبحا ملكين بعد صعودهما إلى السماء . انظر : עמק המלך . קעה ,ג .

من تخريبه ، فهو مستقر فى السماء ولكن البشر لايرونه [١] . وفى تراث " القبالا הקבלה "[٢] يعتبر " إلياهو النبى " هو المرحلة التى تؤدى إلى " الشخيناه " وهى المرحلة العاشرة من مراحل التجسد أو الفيض الإلهى . وهى أيضاً التعبير الأنثوى عن الخالق ، وهى الوعاء (الأنثوى) الذى تفيض فيه رحمة الله لتوزع على العالمين .

والمراحل العشرة (הַסְּפִירוֹת) التى يجتازها الخالق للكشف عن نفسه هى :

١ - הַכֶּתֶר التاج الأعلى .

٢ - החכמה الحكمة .

٣ - הבינה الذكاء .

٤ - האהבה الحب .

٥ - הגבורה - הדין القوة أو العدالة الصارمة .

---

١) זוהר , ח״ב , נח , א׳ . وقد استند فى ذلك على الكلمات الموجزة فى חגיגה יג , ב ; רש פסיקתא רבתי פרק כ׳ לט׳ , א׳ . وفى المصادر القديمة لايوجد أية إشارة عن علاقة إلياهو بسندلفون .
انظر : אגדות היהודים , חלק א׳ . רנה .

٢) القبالاه : علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود ، والمعنى الأصلى لكلمة " قباله " فى اللغة العبرية هو التراث الشفوى المتناقل لليهودية والذى يعرف باسم الشريعة الشفوية ، ثم أصبحت من أواخر القرن الثانى عشر الميلادى تعنى الأشكال المتطورة للتصوف " والعلم الحاخامى" فى اليهودية إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً على كل المذاهب الباطنية فى اليهودية منذ بداية العصر المسيحى ومنذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى . وشعار التراث القبالى هو " كما فى السماء،فى الأرض ، كما فى الداخل،فى الخارج " . وأهم كتب التراث القبالى هو كتاب " الزوهار זוהר " وهو تعليق صوفى مكتوب بالآرامية والعبرية على المعنى الباطنى للعهد القديم ، وينسب الكتاب الى الحاخام " شمعون بن يوحاى" الذى عاش بعد ثورة بركوخبا ، ولكن يقال ان موسى بن ليون مكتشف الكتاب فى القرن الـ ١٣ هو مؤلفه الأصلى .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٢٠٦ ، ٢٩٠ .

٦ - הרחמים . الرحمة ٠

٧ - הנצח . الأبدية ٠

٨ - ההוד . الجلالة ٠

٩ - היסוד . الأساس ٠

١٠- המלכות . الملكوت ٠ أو الوعاء الذى يفيض فيه الله من خلاله للعالم ، وهذه مرادفة "للشخيناه" أو الوجود الإلهى بمفهوم أنثوى ٠ ولكن كل هذه المراحل هى فى الواقع شئ واحد متصل ، فأعلى درجات التعبير عن الله (האין סוף - اللانهائى) يعبر عن نفسه فى درجات متصلة إلى أن يصل إلى أقل الدرجات (الشخيناه) ٠٠٠ هنا لابد وأن يتحد - האין סוף - اللانهائى (التعبير الذكورى عن الله) مع الشخيناه (التعبير الأنثوى) حتى تفيض الحياة المقدسة ٠ وهذا الاتحاد لابد وأن يمر بروح " إلياهو " ٠

والرسم التالى يوضح المراحل العشرة (הספירות) التى يجتازها الخالق للكشف عن نفسه :

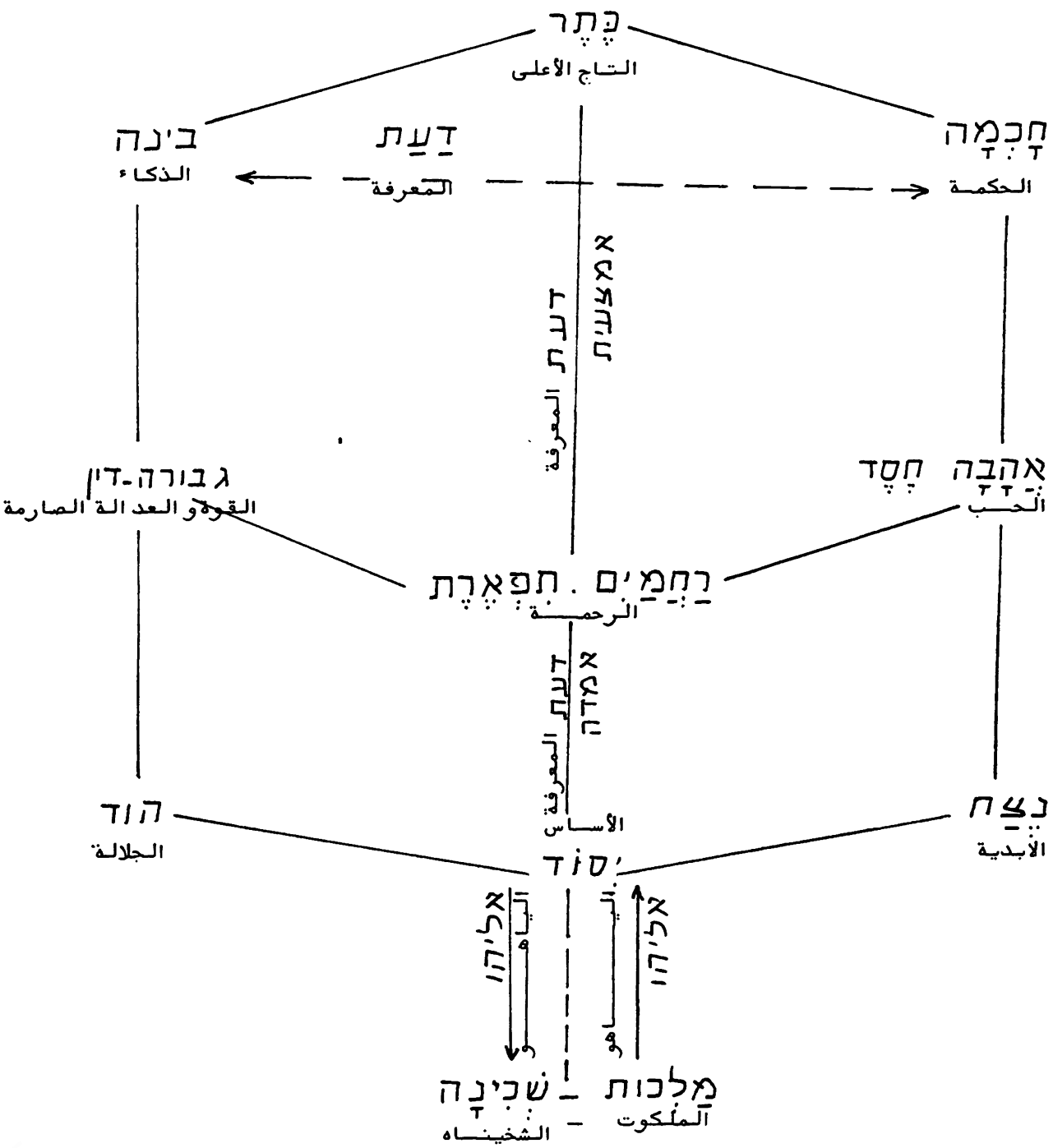

وهذا الرسم يوضح فكرة الإنسان الأول أو الأصلى (*האדם הקדמון*) الذى كان يتوجه "التاج" وعند قدميه "الملكوت" وإلى يساره كل الصفات السلبية وعلى يمينه كل الصفات الإيجابية أى أنه يشبه الإله فى كثير من الوجوه (١).

---

(١) Aharon. Wiener: The Prophet Elijah in the Development of Judaism. PP. 102-104.

هذا ويرى القبالى " فيتال R.Vital " أن روح " إلياهو " مرت بأربع مراحل ، حيث انتقلت من " الإنسان الأول האדם הקדמון مع خطيئتها إلى " قايين קין " ، ثم إلى " جاد גד " " وبنيامين בנימין " ثم انتقلت إلى جسد " إلياهو " لتكون روحه الأصلية ، ثم اندمجت بعد ذلك فى روح " فنحاس פינחס " ، وهى التى استوعبت من قبل روحا " ناداب " " وآباهو " ابنا " هارون " .

ويرى التراث القبالى أيضاً أن الترجمة المعروفة لاسم " إلياهو " وهى "إلهى אלי - יהו " أى تتكون من قسمين ، القسم الثانى منه يشير إلى الثلاثة الأحرف الأولى التى تكون اسم الرب وهى فى التراث القبالى تشير إلى المراحل التسعة العلوية من السفيروت " הספירות " والحرف الرابع الذى يكمل اسم الرب יהו(ה) يشير إلى المرحلة العاشرة الداخلية ، ولذلك يعتبر التراث القبالى الحرف الأول من كلمة " (ה)נביא . النبى " ، الذى يكنى به " إلياهو " ، هو الحرف الرابع الذى يكمل اسم الرب " יהו(ה) - يهوه "(١).

ومن السمات البارزة فى شخصية " إلياهو " رداءه الذى تركه لتلميذه وخليفته " اليشع " وينسب إلى هذا الرداء قوة صنع المعجزات ، فيقول صاحب كتاب " אדרת אליהו " - والذى ترجمه إلى " شعار الخضر " - : ان المقصود بذلك هو رداء " إلياهو النبى " ويذكر سبب اختيار هذه التسمية لكتابه فيقول : " انه كان رداء مباركاً كان به (للخضر) ماكان من الآيات والمعجزات فضلاً عن أنه وهو صاعد إلى السماء تركه لصاحبه سيدنا " اليسع " بعد أن تعلق به فكان له به أيضاً ماكان من المعجزات "(٢).

---

١) المرجع السابق . ص ٩٠

٢) مراد فرج - تعريب وشرح " شعار الخضر " فى الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين - طبع بمطبعة الرغائب بمصر ١٩١٧ . ص ٥ . ويذكر صاحب الكتاب أنه اختار " شعار " بدل " رداء " لما فى الكلمة من لياقة المعنى وتمام الغرض أكثر ، فان الشعار بمعنى العلامة أو العلم أو الطريقة ، فضلاً عن أنه أيضاً كناية عن أول ملبوس على الجسد مباشرة ولذا قيل له شعار نسبة للشعر . وفى الحقيقة هناك كثير من الباحثين يرون أن " إلياهو " هو ==

ويبدو أن سر قوة " إلياهو " لم يكن راجعا بوجه عام إلى شخصيته أو إلى البيئة التى عاش فيها ، فقد كان متواضعاً ، ولم يكن قد تلقى دراسة خاصة ؛ ولكن " إلياهو " يذكر ثلاثة أدلة لمصدر قوته ، وهى:

(أ) חַי־יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל [1] - حى هو الرب إله إسرائيل " . فقد كان يؤمن إيماناً راسخاً بان الله حى .

(ب) אֲשֶׁר עָמַדְתִּי לְפָנָיו [2] - الذى أنا واقف أمامه " ، فقد كان يقف فى حضرة آحاب ملك إسرائيل ، ولكنه كان واثقاً من أنه واقف فى حضرة من هو أعظم من أعظم ملوك العالم ، أى فى حضرة الرب .

(جـ) ان لفظة " إلياهو " تعنى كما أسلفنا " الرب إلهى " إلا انها يمكن أن تحمل معنى آخر ، وهو " الرب قوتى " .

وهذه توضح لنا سر حياته . فقد كان الله حصن حياته فممن يرتعب ؟وهكذا الحال مع كل الأبرار فقد جاء فى سفر المزامير " יְהוָה אוֹרִי וְיִשְׁעִי מִמִּי אִירָא יְהוָה מָעוֹז־חַיַּי מִמִּי אֶפְחָד. בְּקָרֹב עָלַי מְרֵעִים לְ־אֱכֹל אֶת־בְּשָׂרִי. צָרַי וְאֹיְבַי לִי הֵמָּה כָּשְׁלוּ וְנָפָלוּ. אִם־תַּחֲנֶה עָלַי מַחֲנֶה לֹא יִירָא לִבִּי [3] - الرب نورى وخلاصى

=) الخضر عليه السلام فى الفكر الدينى الإسلامى ، وفى المقابل هناك من يؤكد تشابه شخصية إلياهو مع إلياس عليه السلام الذى وردت أخباره فى سورة الصافات . وعموما سوف نستعرض هذه الآراء فى الفصل الأخير من البحث .

١) الملوك الأول ١٧ : ١ (أ) .

٢) الملوك الأول ١٧ : ١ (ب) . وهذا التعبير لايمكننا تفسيره كدليل على حالة تجلى معينة ، ويمكننا توضيح ذلك بربطه بالنصوص الأخرى التى ذكر فيها . (قارن الملوك الاول ١٨ : ١٥ ، الملوك الثانى ٣ : ١٤ ؛ ٥ : ١٦) ومن دلالاته أيضاً (أ) אֲשֶׁר אֲנִי עֲבָדוֹ - الذى أنا عبده " (قارن صموئيل الأول ١٦ : ٢٢ ؛ الملوك الأول ١ : ٢ ؛ ١٢ : ٦ ؛ أرميا ٥٢ : ١٢) (ب) ان النبى يكون محاطاً بأسرة علوية ، أو مكلفاً بدوره النبوى . (قارن الملوك الأول ٢٢ : ١٩ ؛ أرميا ١٥ : ١٩).

٣) مزامير ٢٧ : ١ - ٣ .

ممن أخاف . الرب حصن حياتى ممن آرتعب . عندما اقترب إلى الأشرار ليأكلوا لحمى. مضايقى وأعدائى عثّروا وسقطوا ".

ذلك موجزاً لما تتسم به شخصية " إلياهو النبى " والذى يصفها هو بقوله : " קנא קנאתי ליהוה אלהי צבאות "(١). غيرت غيرة للرب إله الجنود " ، أى ان الغضب والغيرة لله وتعاليمه ، هى السمات البارزة فى شخصية " إلياهو النبى " ، الأمر الذى دفع بعض الباحثين لأن يقولوا عنه : اننا نكاد نشعر من غضبه بقوة عظيمة ترتفع فوق القوى البشرية ، وتسيطر بجبروتها على قوى الطبيعة ، بفضل قوة الرب (يهوه) ، ونشعر فى غيرته الشديدة بالحب العظيم لإله إسرائيل . ولذلك علت منزلة إلياهو النبى علواً عظيماً بين أنبياء بنى إسرائيل حيث يحتمل انه تحدث مع الرب فى اللحظة التى كان يمتلىء فيها بنار الغيرة .(٢)

ثانياً : أفكاره ورسالته :

يمكننا القول أن ظهور الأنبياء بصورة ملموسة بدأ بعد أن انقسمت المملكة إلى قسمين ، وكان ظهورهم فى المملكة الشمالية أكثر منه فى الجنوبية ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى كثرة انحراف ملوكها ، كما يصورهم العهد القديم ، ولنا تحفظ على بعضهم ، وبخاصة "سليمان" ، الذى وردت قصته بصورة مشوهة فى العهد القديم والذى أخذه آحاب مثالاً وقدوة يحتذى بها ،وفترة الملوك هذه ، هى أكثر فترة تعرضت فيها الديانة الإسرائيلية للتأثيرات الأجنبية ، إذ انه مع بداية حكم سليمان كانت إسرائيل أكثر نشاطاً فى مجال الاختلاط بالشعوب المجاورة وفى الاندماج والتشبع بالعناصر غير الإسرائيلية فى فلسطين ، ولايخفى علينا فى هذا الصدد تأثير سياسة سليمان الدولية والاقتصادية والداخلية على طبيعة الديانة والمجتمع

---

١) الملوك الأول ١٩ : ١٤ .

٢) راجع الملوك الأول ١٨ . وانظر :
ש.ל. גרדון. נביאים ראשונים ... עמ' XV

ومما لاشك فيه ان الاتصال السياسى والاقتصادى بين إسرائيل والشعوب المجاورة قد أدى إلى بعض التغييرات الحتمية فى حياة المجتمع الإسرائيلى بمظاهره المختلفة. ولاشك أيضاً فى أن طبيعة الأحوال الدينية فى عصر " سليمان " وبعده تختلف بصورة مميزة عن طبيعتها فى عصر القضاة ، وفى عصر صموئيل وشاوُل . فإذا كانت الفترة التى تمتد من عصر القضاة إلى عهد " داود " قد تميزت بطابع حربى ودموى قبلى فى المجالات المختلفة كما بيّنا من قبل (١) ، وبخاصة فى مجال الدين ، فان السلام والعلاقات الودية بين إسرائيل وغيرها من الشعوب فى عصر سليمان من أهم العوامل التى ساعدت على انفتاح العقلية الدينية الإسرائيلية للأفكار الأجنبية ، الحضارية عامة والدينية خاصة . فمنذ عصر " سليمان " برز الميل نحو التسامح والتساهل فى الدين واستيعاب الأفكار الدينية الأجنبية ، وأدى الاختلاط الشديد - إن لم يكن الاندماج - للعناصر الإسرائيلية بغير الإسرائيلية إلى انتشار المعبودات والممارسات الدينية الكنعانية ، وساعد على ذلك بصفة خاصة الزواج بين الإسرائيليين وغير الإسرائيليين وأبرز مثال لذلك هو آحاب نفسه بزواجه من " ايزابل " ابنة ملك " صيدون " ، حيث يعتبر هذا المثال فى الوقت نفسه عاملاً مهما فى تثبيت صحة هذا التطور ، الذى بدأ " بسليمان "؛ واعطاوُه الطابع الرسمى ، ولانغفل أهمية الدور الذى لعبته " إيزابل " فى المملكة الشمالية فى تسهيل دخول الحضارة الفينيقية إلى المملكة ، وتبرز أهمية هذا الدور فى أن العبادات غير الإسرائيلية قد أصبحت تتخذ طابع الرسمية لوجود سند قوى لها فى البلاط الملكى ، والمثال البارز لذلك بناء " آحاب "

---

١) من الملاحظ عن فترة القضاة التى سبقت بداية الملكية إن الانحرافات الدينية بصفة خاصة كانت من أولى العوامل التى تجعل الرب يغضب على الشعب وبالتالى كان الأمر يستدعى من يصحح هذا المسار لبنى إسرائيل ، ومن هنا يظهر القاض الذى يتولى قيادة الشعب فى الطريق الصحيح والعودة به إلى عبادة الله الواحد .

معبداً ومذبحاً فى السامرة لإله ملقارت بعل صور " בעל מלקרת "[1]، والسماح بوجود ٤٥٠ نبياً لبعل و ٤٠٠ نبياً للأشيراة فى السامرة[2]، وحتى إذا كان هذا العدد من أنبياء العبادات الوثنية تبدو فيه المبالغة من أجل رسم صورة سيئة " لإيزابل " فى سفر الملوك ، فان مجرد وجود أنبياء لإله أجنبى فى معبد ومذبح فى عاصمة المملكة ، وتحت رعاية قوية من البلاط تكفى للتدليل على مدى تأثر الشعب فى ذلك الحين واستيعابه للعبادات الأجنبية ، وبالإضافة إلى ذلك إذا اعتبرنا الإشارة فى سفر الملوك الأول (٢٢ : ٦) إلى أربعمائة نبى ليهوه صحيحة[3]، فان فى ذلك قدر معين من التأثر بالحقيقة السابق ذكرها ، ولو على الأقل تأثر على مستوى التقليد والمحاكاة فقط . وهذا الأمر يؤدى بنا إلى تشديد الإشارة إلى نتيجة حتمية ومهمة لهذا التأثر وهى تدعيم فكرة التشكك فى " يهوه " ، وتدل على ذلك تجربة إلياهو كما سنعرض لها بالتفصيل فيما بعد ، لاختبار قوة " يهوه " ضد قوة " بعل " فوق جبل الكرمل ، تلك التجربة التى كان الهدف منها محاولة تثبيت الإيمان " بيهوه " وتفنيد صحة الإله الأجنبى . ويشكل دور إلياهو فى هذه الفترة مرحلة مهمة فى تاريخ الديانة الإسرائيلية عامة وتاريخ النبوة خاصة ، حيث تمثلت رسالة " إلياهو " فى مطلبين عظيمين ، أولهما مواجهة تغلغل عبادة " بعل " فى إسرائيل ، فقد حاول رد الشعب عن هذه العبادة واصلاح المسار الدينى والمناداة بعبادة الرب الخالصة ، والمطلب الثانى هو دوره الاجتماعى والمطالبة بالقضاء العادل ، ويظهر ذلك من موقفه المتشدد فى قضية " نابوت اليزرعيلى " ... هذا بالاضافة إلى رسالة فردية روتها لنا سيرته فى سفر الملوك الأول (الاصحاحات ١٧ ، ١٨ ، ١٩) والتى بينت أنه أقام

---

١) وقد حسم " اوفنهيمر " المشكلة الخاصة بهوية الإله " بعل " الذى أطلق عليه العهد القديم اسم " بعل " مجرداً بدون تشخيص لهويته ،لصالح الافتراض الذى يقول انه " بعل ملقارت" إله " صور " . وقد استند فى ذلك على الإشارة الواضحة للنص المقرائى الذى يربط عبادة " بعل " فى أيام آحاب " " بايزابل " الصورية (راجع الملوك الأول ١٧ : ٣١) . وقد فضل اوفنهيمر" هذا الاستناد عن التشخيصات الفكرية التى تميل أكثر الى " بعل كرمل "، " وبعل هدد" أو " بعل السماء "
انظر : בנימין אופנהיימר, הנבואה הקדומה בישראל, עמ' 200.

٢) راجع الملوك الأول ١٨ : ٤ - ١٩

٣) يبدو من سياق النص الوارد فى هذا الإصحاح انهم كانوا أنبياء لبعل وليس ليهوه .

خارج إسرائيل فى " صرفة " عند أرملة صيدونية ، وقد تخللت هذه الرسالة معجزتين له : تكثير الخبز والزيت للأرملة فى صرفة ، وبعث ابنها من الموت . معجزتان هما لدى المرأة عنوان رسالته وبرهانها حيث قالت : " עַתָּה זֶה יָדַעְתִּי כִּי אִישׁ אֱלֹהִים אַתָּה וּדְבַר יְהוָה בְּפִיךָ אֱמֶת (١) - الآن علمت انك رجل الله وان كلام الرب فى فمك حق " . ويمكن تفصيل هذين المطلبين فيما يلى :

- تغلغل عبادة بعل فى إسرائيل :

لقد هدفت دعوة " إلياهو " النبى إلى انقاذ بلاده من اختلاط عبادة "الرب" (يهوه) ، بعبادة " بعل " التى جاءت لتكون ديانة البلاط الملكى ،ورأى "إلياهو" ان القضاء على هذه العبادة الوثنية يجب أن يكون فعالاً ومؤثراً حتى لاتصبح ديناً عاماً ولذلك كرس " إلياهو" لهذه الرسالة أو المطلب كل حياته ، ومن أجلها وقف فى وجه " آحاب " ملك إسرائيل وأتباعه الذين يحتفلون ويقيمون الأعياد والطقوس " لبعل ملقارت " ويسجدون له ويذبحون ،ويقدمون قرابينهم من أجل أن يمنحهم بركة السماء : الطل والمطر (٢).

وقد جذب " إلياهو " وراءه بقوة روحانيته وبشجاعته وحماسة حديثه ، المترددين والمتشككين الذين كانوا مستعدين للدفاع عن الكيان العقائدى القديم من أجل استقلال الشعب وانقاذه من براثن الوثنية (٣). ولكن هل كانت فعلاً عبادة " بعل " الوثنى عبادة جديدة فى إسرائيل ؟ وهل كان العبريون الذين رحلوا من مصر إلى كنعان يؤمنون بتعدد الآلهة أم يؤمنون بإله واحد ؟ .

فى الحقيقة ان الدين الإسرائيلى فى كنعان يعود إلى منابع متأخرة ، ومن السهل تمييز العناصر البارزة التى توارثوها خلال فترة الترحال الصحراوى ، من

---

١) الملوك الأول ١٧ : ٢٤

٢) - ד"ר צבי גרץ , דברי ימי עם ישראל , כרך א', עמ' 84.
- מלכי ישראל מפילוג עד גלות , עמ' 34.
- الأب ديلى . تاريخ شعب العهد القديم . ص ٢٤٨

٣) George foot Moore: History of Religions. P. 5.

العناصر الكنعانية والتى تبنوها من السكان الموجودين فى أرض كنعان بعد استيطانهم فيها إلا ان العناصر الصحراوية أصبحت جوهر عبادة " يهوه " الذى يسير أمامهم فى ترحالهم بالصحراء .

ولتوضيح هذه العناصر الكنعانية فى الدين الإسرائيلى نقول أنه مع حياة الاستيطان الجديد فى أرض كنعان ظهرت ظاهرة ذات ماهية جديدة تتعارض مع ماهية الإله القادم مع المستوطنين الجدد ، وهذه الظاهرة الجديدة التى تبدو بوضوح فى حياة الفلاحين البدائيين هى : سر خصوبة الأرض! فهذه الظاهرة العجيبة التى يستند عليها العمل الزراعى كلية ، لاتنتهى بمجىء موسم الأمطار المعروف عندهم إلى حد ما ، بل تكمن أيضاً فى أعماق الأرض التى هى سبب هذا التكاثر ، فهم يرون حدوث تزاوج بين الذكر والأنثى أى " بعل وبعلة " بالإضافة إلى أزواج أخرى لا حصر لها من الآلهة التى يتم التمييز بينها حسب أسماء المصادر - مصب المياه والمطر وعين الماء ومياه الغمر - حيث يتم اخصاب الأرض وينتج نبات وفير(١).

بعل وعشتر :(٢)

ربط الكنعانيون عبادة " عشتر " (عشيرة - عناة) بعبادة الإله " بعل "

١) מרדכי מרטין בובר, תורת הנביאים, דפוס אופק. הדפסה ג', תל אביב. ישראל 1975, עמ' 68.

٢) عشتر : اختلف العلماء فى أصل اشتقاق عشتر أو عشتر أو عشيرة. فمنهم من يرى أن الأصل ليس سامياً وانه مشتق من كلمة سومرية معناها " اجتمع " أو مكان الاجتماع للعبادة وأن عبادتها دخيلة على الساميين، والصحيح ان الأصل سامى بدليل وجود العين فى اسم هذه الآلهة فى جميع اللغات السامية الا فى البابلية والآشورية . ومن العلماء من يشتق الاسم من " آشور " أو من " حشر " أو من " عشر " بمعنى " كثر " أو من الأصل الآرامى " عشر ". والراجع أنه مشتق من " عشر " أى من الأصل العربى المشتق منه كلمة " عاشور " بمعنى القناة التى تحفر لسقى النخل " كبعل " . وقد قرنت " عشتر " بعبادة النخل والأشجار عند الساميين منذ قديم الزمان حتى أنهم كانوا يطلقون اسمها على كل صنم مصنوع من خشب ...وكان الإسرائيليون يعتقدون أن الشجر ينطق ويتكلم ويفعل مايفعل الإنسان (القضاة ٩ : ٨) وكثيرا ماحدث فى أوقات الشدة والأزمات أن أنصرف الإسرائيليون عن عبادة ==

وصاروا يعبدونه زوجاً لتلك الإلاهات الثلاث . وقد كانت " عشتر " هى إلاهة الخصب والنتاج ممثلة فى النخل والماء . وقد وردت بهذا المعنى فى النقوش المعينية . وكانت " عشتر " تدعى فى البابلية " منتجة الخضرة والنبات " ، وكانت تمثل عند الكنعانيين الماء والخصب . فلما قرن الكنعانيون عبادتها بعبادة الإله " بعل " ، أخذ " بعل " وظيفتها وصار هو إله الخصب وماء السقى بأنواعه كماء المطر والآبار والعيون(١) .

وعندما ننظر إلى مغزى وجوهر هذا الأمر ندرك ان الانسان لايكون فقط مجرد شاهد عيان على هذا الزواج المقدس ، بل يقوم أيضا بتقليد الآلهه المحتاجة لبعضها البعض ، وهو يستطيع بذلك أن يزيد من قوة وعمل هذا الاخصاب الذى هو أصلا من عمل الآلهه ، وذلك عندما يتشبه بها . وهذا الاخصاب المرتبط بالمكان والراسخ فى الحضارة الكنعانية قد تأثر العبرانيون أيضا بمفاهيمه هذه عند دخولهم أرض كنعان(٢) ، ومن صداه أن الأرض التى تسقى بماء الطبيعة كماء المزن

=) إلههم " يهوه " وعادوا إلى عبادة " عشيرة "" أى عشتر " فى صورة من الأشجار والأعواد . وقد نعى عليهم ذلك "أرميا النبى" ونعى عليهم قولهم للعود" أنت أبى" وللحجر" أنت ولدتنى " (أرميا ٢ : ٢٧) أنظر: محمد محمود جمعه : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٤٩ . ص ١٣٣ - ١٣٦ .

١) محمد محمود جمعه : النظم الاجتماعيه والسياسية . ص ١٣٤.

٢) תורת הנביאים , עמ' 68.

ولكننا نرى ان الآلهه الكنعانية تحتل مكاناً بارزاً أيضاً عند الشعب السورى المتحضر ، فهم يعتبرون " البعليم " أرواحاً مجردة من الشخصيات ، تميل إلى الاندماج واتخاذ هيئة شخصية ، ويطلقون عليها اسم " بعل " ففى سمأل نجد الإله " بعل " (فى نقش كلمو : س ١٥ - ١٦) باسم " بعل صمد" -" وبعل حمان " . وقد تكون " עמד - صمد " بمعنى الزوج من دواب الجر أو الحمل مثل " עמד " العبرية أو بمعنى " المكان المرتفع الغليظ" مثل " الصمد עמד " فى العربية فيكون معنى اسم الإله (مع بعض التصرف) " سيد المركبة " أو " سيد التل " ، ومن الممكن أيضاً أن تكون " صمد " اسم مكان يعبد فيه هذا البعل - أما " حمان " فى " بعل حمان " فهو اسم جغرافى يقصد به جبل Amanus (حمان) الذى تقع عند قدميه قرية " زنجيرلى " ، فيكون معنى " بعل حمان : سيد (الجبل) حمان ". وهو غير الإله " بعل حمان " فى النقوش الفينيقية والبونية - كما نجده فى ==

والآبار تدعى فى المشنا والتلمود باسم " بيت بعل " أو " حقل بيت بعل " وكذلك فرقوا فى خراجهم بين زرع هذه الأرض وبين مايجلب إليه الماء بالرى الصناعى(١) وهكذا أصبح " بعل " هو الإله الرئيس فى البلاد التى تتمتع بوفرة المياه، وأخذ صورة الإله الذى يمنح المطر وأصبح مقره فى أعالى السماء(٢). وعندما دخل المتجولون العبرانيون أرض كنعان لم يجدوا فقط تغلغل هؤلاء " البعليم - בְּעָלִים " فى قلوب أبناء البلاد، بل هم أيضاً بدوا كما لو كانوا منتظرين اشارة بسيطة من أبناء أو بنات هذه البلاد لعبادة هذه " البعليم "، ومما ساعد على تقبلهم السريع لهذه العبادة انهم باستقرارهم فى هذه البلاد وشرائهم لأرضها الزراعية كان عليهم بالضرورة عبادة هذه الآلهه، وذلك حتى تظل بركتها باقية فى هذه الأرض، ولكنهم فى نفس الوقت رأوا ان عملهم هذا لايمس عبادتهم

=) حماة (فى نقش زكر)باسم " בעל שמין - سيد السموات " . " وبعل " هو الإله الأكبر فى تدمر - ويرجع نقش زكر الأرامى القديم الذى يرد فيه ذكر " בעל שמין "، إلى النصف الأول من القرن الثامن ق.م. ونجد " בְּעַל שמין " أيضاً لدى بعض " النبط "، وقد أقاموا له معبداً فخماً فى " سيع " على السفح الغربى من جبل حوران، ولاتزال آثاره باقية، وقد استغرق بناؤه الثلث الأخير من القرن الأول ق.م.
انظر : سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ص ١٨٤ .

١) وفى المخطوطات الأوجارتية الأسطورية نجد الإله " בעל " أو " אלאין الأين " وهو يشبه إله العاصفة " הדד " (هدد) الذى عرفته تلك البلاد قبل مجىء الفينيقيين إليها، وتذكر هذه المخطوطات ان الإله " אלאין " هو " سيد الآبار العميقة " ويسكن فى أعماق الأرض " ويفتح"- فى هيئة " بعل السموات בעל השמים " - سدود السماء "، وهو يظهر مثل أبيه " אל إيل " فى هيئة ثور و"يحب " فوق المراعى " إيلة אילה التى تظهر فى هيئة بقرة .فتلد له ثور .
انظر: תורת הנביאים, עמ' 65.

٢) وقد انحدرت هذه الفكرة إلى قدماء العرب وعلى ضوئها نستطيع أن نفسر بعض مظاهر نظم الخراج التى وجدت طريقها إلى الإسلام . فقد ورد فى كتب الفقه الإسلامى أن مايجبى عليه العشر هو كل ماسقى بماء السماء والآبار والبعل . وورد فى البخارى أن كل ماسقى بماء السماء والآبار فهو عشرى وبمقارنة اللفظين نرى العلاقة واضحة بين بعل وعشر (أو عشتر) هذه العلاقة القديمة التى ترجع إلى عصر الكنعانيين .
انظر محمد محمود جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية . ص ١٣٤ .

لالههم الصحراوى " يهوه " ، حيث كانوا يتوجهون اليه فى وقت الشدة والأزمات ، أما شئون زراعة الأرض واخصابها ، وسحرها وأسرارها فانهم لايتوجهون إلى هذا الإله المتجول الصحراوى القديم(١)، بل إلى طقوس الزراعة الكنعانية التى توارثوها من أهل البلاد الأصليين ، والدليل على ذلك ان " هوشع " سلم بالطقوس الكنعانية كمن يتبنى طفلاً(٢)، وهكذا عبد الإسرائيليون آلهة الأرض والمطر وقدموا إليها - مثل الكنعانيين - من محاصيل الأرض كالحنطة والكتان والخمر والزيت والصوف(٣).

وهكذا يرى معظم الباحثين فى التاريخ الدينى الإسرائيلى ان العبادة الوثنية كانت ظاهرة متأصلة الجذور فى العقيدة الشعبية الإسرائيلية ، أى ان الإسرائيليين تلقوا عبادة " بعل " سوياً مع الثقافة الكنعانية ، وذلك عندما اختلطوا بالكنعانيين عند دخولهم أرض كنعان ، ويمكننا القول ان عقيده " يهوه " قد " تكنعنت " ، وأصبحت تتألف من امتزاج الأسس الدينية لـ יהוה - בעל يهوه - بعل " ، وفى عهد " آحاب " " وايزابل " تكشف هذا الامتزاج الدينى، واوشكت عقيدة " بعل " أن تنسى تماماً عقيدة " يهوه " القديمة .

ومن ناحية أخرى يتشدد " قوفمان " فى ادعائه بان العبادة الوثنية لم تظهر علانية إلا فى عهد " آحاب " وذلك بتأثير زوجته الصورية التى عملت على ادخال عبادة بعل الصورى إلى المملكة الإسرائيلية ، وهو يرد على الباحثين الذين يخالفونه الرأى والذين يقولون ان عبادة " بعل " متأصلة الجذور فى العقيدة الشعبية الإسرائيلية ، فيقول ان هذا الرأى ليس إلا تحريفاً للحقائق التاريخية ، يظهره لنا تحليل مصادر العهد القديم حتى الملوك الأول (١٧ : ٢٨) . فبين صموئيل الأول (١٣ : ١) ، وحتى الملوك الأول (١٦ : ٢٨) لم يتم ذكر لعبادة " بعل " إلا مرة واحدة ! ولم يتم اتهام ملك قبل آحاب بعبادة " بعل " حيث ان

---

١) תורת הנביאים , עמ' 69.

٢) هوشع ١١ : ١ - ٣

٣) George foot Moore : History of Religions, P.6.

هذا الإله الوثنى لم يذكر لا فى قصة مرتفعات " سليمان "[1] ولا فى تمثال "معكة"[2] بل ورد ذكره فقط فى سفر الخروج كواحد من أسماء " يهوه " ، كذلك لاتوجد أية إشارة لتواجد بعضاً من الكنعانيين عبدة " بعل " حتى يقوموا بالتأثير الوثنى على الإسرائيليين ، وكذلك أيضاً فى عصر القضاة لانجد فى المصادر الأصيلة بين الاصحاح الأول من سفر القضاة وحتى الإصحاح الثانى عشر من صموئيل الأول ، أية إشارة أو ذكر لعبادة " بعل " . والحقيقة ان " بعل " ورد ذكره فقط فى سفر القضاة فى الإصحاحات السادس (٢٥ - ٣٢) ، والثامن (٣٣) ، والتاسع (٤) لكن هذه المصادر المقرائية تشير إلى الاسم " بعل " الخاص " بيهوه " ، وإذا افترضنا ان المقصود هناك هو عبادة " بعل " الكنعانى فانها تخرج على أية حال من المقارنة مع بقية المصادر التى تشير إلى أن هذه العبادة قد ازدهرت

---

١) الملوك الاول (١١ : ٧ - ٨) : " אָז יִבְנֶה שְׁלֹמֹה בָּמָה לִכְמוֹשׁ שִׁקֻּץ מוֹאָב בָּהָר אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי יְרוּשָׁלִַם וּלְמֹלֶךְ שִׁקֻּץ בְּנֵי עַמּוֹן . וְכֵן עָשָׂה לְכָל־נָשָׁיו הַנָּכְרִיּוֹת מַקְטִירוֹת וּמְזַבְּחוֹת לֵאלֹהֵיהֶן " .
حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتن " .

٢) מַעֲכָה בַּת־אֲבִישָׁלוֹם : " معكة ابنة ابشالوم " او بنت ابنته وثالثة نساء " رحبعام " وأم " آبيا " وجدة " آسا " (الملوك الأول ١٥ : ٢ ، وأخبار الأيام الثانى ١١ : ٢٠ - ٢٢) وتسمى أيضاً " מִיכָיְהוּ בַּת־אוּרִיאֵל מִן־גִּבְעָה " - " ميخايا بنت أوريئيل " من جبعة (أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢) . وفى بداية ملك "آسا" كان لها وظيفة والدة الملك ، وقد عملت تمثالاً للآلهة " أشيرة " (الملوك الأول ١٥ : ١٣ ؛ أخبار الأيام الثانى ١٥ : ١٦) .

فى أيام " جدعون "(١)" وأبيمالك "(٢)، والتى اختفت بعد فترة قضاءهم(٣).

ويتساءل " قوفمان " ويقول : " انه إذا افترضنا وجود تأثير وثنى كنعانى على عقيدة " يهوه " ، فهل كانت هناك ديانة مستقلة " لبعل وعشتروت" وتاموز ، " وعنات " " وموت " ، وبقية الآلهة الكنعانية ،هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هل أثرت المفاهيم الدينية الكنعانية على التصور الشعبى ليهوه". ويجيب " قوفمان " على هذا التساؤل بقوله : " ان تعدد الألهة أو اختلاط الآلهة ممكن حدوثة بمرور الوقت من خلال التأثير المتبادل للديانتين ، لكن فى المصادر المقرائية لانجد اشارة الى عبادة مستقلة لبعل ، وخاصة فى أيام " אהוד (٤)_ اهود " ، و" דבורה (٥)_ دبورة " و" יפתח (٦)يفتاح"

---

١) גדעון בן יואש " جدعون " اسم عبرى معناه " حاطب أو قاطع بشدة " وهو ابن " يوآش الابيعزرى " من " عفرة " ، دعاه ملاك الرب ليخلص شعبه من المديانيين (قضاة ٦ : ١١ - ٢٤) وفى الحال قدم ذبيحة ، وفى تلك الليلة هدم مذبح " بعل " الذى لأبيه ، وبنى مذبحاً للرب(يهوه) (قضاة ٦ : ٢٥ - ٢٧) . وطلب أهل المدينة موته ، لكن أباه ألح على أن " بعل " يدافع عن نفسه ، ومن هنا صار اسم " جدعون " : " يربعل - يربعل " أى " ليقاتله بعل " . أنظر) قضاة ٨ : ٤ - ٢٧)

٢) אבימלך בן גדעון " أبيمالك بن جدعون " : ملك شكيم وضواحيها (قضاة ٨ : ٣١) تقريباً عام ١١٥٠ ق.م . بعد موت أبيه حرص أبناء أسرة أمه " وأصحاب شكيم على مساعدته فى قتل أبناء أبيه السبعون ، ولم ينج منهم إلا الابن الأصغر " يوثام " (قضاة ٩ : ١ - ٥) بعد ذلك نصبوه ملكاً فى ألون موصاب " " فى شكيم .
انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 5.

٣) תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 224.

٤) אהוד בן- גרא أهود بن جيرا : كان قاضياً لنبى إسرائيل وهو من سبط بنيامين . وقد قتل " عجلون " ملك موآب الذى أذل بنى إسرائيل ، وقاد شعبه إلى النصر على الموآبيين (قضاة ٣ : ١٥ - ٣٠) .

٥) דבורה دبورة : اسم عبرى معناه " نحلة " . وهى نبية وكانت زوجة " لفيدوت " . وكانت تقيم تحت شجرة نخيل سميت باسمها ، وهناك كانت تقضى لبنى إسرائيل . وقد دعت " باراق " ليقوم بمحاربة " سيسرا " ورافقته فى هذه الحرب (قضاة ٤ :٩) وبعد الانتصار على " سيسرا " ، ترنمت " دبورة " بترنيمتها المشهورة الواردة فى قضاة الاصحاح (٥).

٥) יפתח : يفتاح : ابن جلعاد وأحد قضاة إسرائيل . أبغضه اخوته الشرعيون لأنه لم يكن أخاً شرعياً وطردوه من بيت أبيه فأقام فى أرض طوب (قضاة ١١ : ٣) . وهناك جمع حوله أتباعاً أقوياء . وعندما نشبت حرب بين بنى إسرائيل وعمون، أقامه شيوخ جلعاد قائداً عليهم (قضاة ١١ : ٤ - ١١) . وعلى الرغم من أن حياته لم تخل من الشوائب ، فقد رأى صموئيل دليلاً على أمانة " يهوه " فى اتمام وعده باقامة منقذ لبنى إسرائيل (صموئيل الأول ١٢ : ١١) .

٦) راجع الملوك الأول ١٨ : ١٩

وكذلك منذ أيام " شاوُل " وحتى أيام " عمرى ". ولم تكن هناك اشارة فى أسفار القضاة وصموئيل الأول والملوك الأول حتى الإصحاح (١٧) إلى أنبياء " لبعل " أو تنبوُباسم " بعل " من خلال التقطع بالسيوف والرماح ، والرقص على المذبح وماشابه ذلك " .

ومن تحليله هذا يستنتج " قوفمان " ان عبادة " بعل " فى عهد " آحاب " كانت ظاهرة جديدة تماما فى تاريخ إسرائيل حيث بنى " آحاب " معبداً ومذبحاً لبعل فى السامرة لأجل زوجته الصيدونية التى أحضرت من بلدها أنبياء لإلههما الوثنى وهم " נְבִיאֵי בַעַל " أى مجموعة من الكهنة الإكستازيين (الانجذابيين) والتى كانت تقوم بإعالتهم [1]. وعليه انتشرت عبادة بعل فى عهد " آحاب " فى أبهىوأفخم صورة فى العاصمة السامرة ، ويذكر " قوفمان " بان هذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها عن عبادة كهذه فى إسرائيل ، وهى بدورها التى ألهبت روح الغيورين على دين الرب (يهوه) ، وكانت السبب المباشرة فى القضاء على حكم أسرة بيت عمرى[2]. والواقع اننا إذا رجعنا إلى مصادر العهد القديم نفسها وأعدنا قراءتها فانه يمكننا الوقوف على المنابع المتأخرة لعقيدة " يهوه " فى أرض كنعان[3]، فوفقاً للقصة المقرائية فى سفر العدد[4] والتى يؤكدها هوشع[5] أن

---

١) راجع الملوك الأول ١٨ : ١٩

٢) תולדות האמונה הישראלית, כרך שני, עמ' 224-225.

٣) George foot Moor: History of Religious. P. 5.

٤) " וַיֹּאכַל הָעָם וַיִּשְׁתַּחֲווּ לֵאלֹהֵיהֶן, וַיִּצָּמֶד יִשְׂרָאֵל לְבַעַל פְּעוֹר ".
فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن . وتعلق إسرائيل ببعل فعور " (العدد٢٥:٢-٣)

٥) " כַּעֲנָבִים בַּמִּדְבָּר מָצָאתִי יִשְׂרָאֵל כְּבִכּוּרָה בִתְאֵנָה בְּרֵאשִׁיתָהּ רָאִיתִי אֲבוֹתֵיכֶם הֵמָּה בָּאוּ בַּעַל-פְּעוֹר וַיִּנָּזְרוּ לַבֹּשֶׁת וַיִּהְיוּ שִׁקּוּצִים כְּאֲהֲבָם "
وجدت إسرائيل كعنب فى البرية . رأيت آباءكم كباكورة على تينة فى أولها .
أما هم فجاءوا إلى بعل فعور ونذروا أنفسهم للخزى وصاروا رجساً كما أحبوا " (هوشع ٩ : ١٠).

بنات موآب أغوين العبريين قبل دخولهم أرض كنعان بأن يعبدوا معهن " בַּעַל פְּעוֹר - بعل فعور "(١). أما تقاليد الطقوس الجنسية فقد تعلمها بنو إسرائيل بعد تعلمهم الزراعة وفلاحة الأرض من شعب كنعان ، وجدير بالذكر ان " كنعان بن حام " ورد ذكره فى قصة " سكر نوح "(٢). وعلى الرغم من أن جوهر القصة لايمسه هو بل يمس أبيه الذى كشف عورة " نوح " ، إلا أنه فى النهاية يلعن كنعان حيث قال : אָרוּר כְּנָעַן עֶבֶד עֲבָדִים יִהְיֶה לְאֶחָיו (٣) - ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته " .

ونجد أيضاً تكراراً " لعودة الأب " - עֶרְוַת הָאָב " فى القوانين الواردة فى سفر اللاويين (١٨ و ٢٠) ففى بدايتها يوصى الرب بدون ذكر تفاصيل حكاية عمل أرض كنعان " כְּמַעֲשֵׂה אֶרֶץ־כְּנַעַן אֲשֶׁר אֲנִי מֵבִיא אֶתְכֶם " (٤) كعمل أرض كنعان الذى أنا آت بكم إليها " . وهذه القوانين هى التى تختص بالعورات ؛ أما هذا التعبير " עֶרְוַת הָאָב - عورة الأب " . فهو لم يرد إلا فى هذين المصدرين فقط(٥). ويبدو ان هذه الفقرات فى سفرى التكوين و اللاويين تعود فى صياغتها إلى مصدر واحد حيث يظهر التحذير (بين السطور) من الاختلاط الجنسى الخاص بديانة كنعان ، وربما كان المقصود بها ذنب الأموريين עֲוֹן הָאֱמֹרִי (٦)"

---

١) בַּעַל - פְּעוֹר : بعل فعور " : إله فى موآب كان يعبد فى " جبل فعور " وهو جبل فى موآب يشرف على البرية ، وهناك أتى " بالاق " ببلعام" إلى رأس الجبل ليلعن بنى إسرائيل (العدد ٢٣ : ٢٨)وقارن (العدد ٢٥ : ٣ و ١٨ و ١٣ : ١٦ وأشعيا ٢٢ : ١٧) . وفى أيام " يوسيبيوس " " وجيروم" كان جبل يحمل ذات الاسم مقابل موقع " أريحا " على طريق " حشبون " فوق تل الرامة أو شرقيها . وعليه يكون " فعور " احدى قمم سلسلة جبال عباريم قرب وادى حسبان . انظر قاموس الكتاب المقدس . ص ٦٨٢ .

٢) "וַיָּחֶל נֹחַ אִישׁ הָאֲדָמָה וַיִּטַּע כָּרֶם. וַיִּשְׁתְּ מִן־הַיַּיִן וַיִּשְׁכָּר וַיִּתְגַּל בְּתוֹךְ אָהֳלֹה. וַיַּרְא חָם אֲבִי כְנַעַן אֶת עֶרְוַת אָבִיו וַיַּגֶּד לִשְׁנֵי־אֶחָיו בַּחוּץ" وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً . وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه . فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً" (تكوين ٩ : ٢٠ - ٢٢)

٣) תורת הנביאים , עמ' 69.

وانظر التكوين ٩ : ٢٥

٤) اللاويين ١٨ : ٣

٥) راجع التكوين الإصحاح التاسع ، واللاويين الإصحاح الثامن عشر

٦) راجع التكوين ١٥ : ١٦

والذى بسببه " تنجست الأرض - וַתִּטְמָא הָאָרֶץ "(١). " ولفظت الأرض ساكنيها - והקיאה את יושביה ". ولذلك فعلى إسرائيل أن تأخذ حذرها لئلا تلفظهم الأرض أيضاً(٢).

تلك هى إحدى الشواهد التى تجمعت لنسج خيوط الاحتجاج ضد عبادة " بعل " فى مصادر العهد القديم ولكن لم يصرح بالحديث عن الطقوس الجنسية الإخفية ورمزاً فقط فتذكر " בָּמוֹת - مرتفعات " والمقصود بها مايتم عمله هناك ، ثم يستخدمون مسميات متغيرة مثل : التعلق ببعل " וַיִּצָּמֶד יִשְׂרָאֵל לְבַעַל "(٣) أو تسمية متفق عليها مثل التى أطلقت على بنات كنعان " וְלָקַחְתָּ מִבְּנֹתָיו לִבָּנֶיךָ וְזָנוּ בְנֹתָיו אַחֲרֵי אֱלֹהֵיהֶן וְהִזְנוּ אֶת בָּנֶיךָ אַחֲרֵי אֱלֹהֵיהֶן "(٤) وتأخذ من بناتهم لبنيك . فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن " .

وبخصوص الدعارة المقدسة فقد أشير إليها بشكل مختصر جداً فى القوانين التورانية : " לֹא תִהְיֶה קְדֵשָׁה מִבְּנוֹת יִשְׂרָאֵל וְלֹא־יִהְיֶה קָדֵשׁ מִבְּנֵי יִשְׂרָאֵל, לֹא־תָבִיא אֶתְנַן זוֹנָה וּמְחִיר כֶּלֶב בֵּית יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לְכָל־נֶדֶר כִּי תוֹעֲבַת יְהוָה אֱלֹהֶיךָ גַּם־שְׁנֵיהֶם "(٥) « لاتكن زانية من بنات إسرائيل ولايكن مأبون من بنى إسرائيل . لاتدخل أجرة زانية ولاثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نذر مالاً فهما كليهما رجس لدى الرب إلهك "(٦). وهناك من الباحثين من يدحض الرأى القائل بان " التوافقية الدينية " كانت ذات طابع بلاطى أكثر منه شعبى بقوله : المثل الشعبى الشائع " الناس على دين ملوكهم "(٧)

---

١) اللاويين ١٨ : ٢٥
٢) اللاويين ١٨ : ٢٨
٣) العدد ٢٥ : ٣
٤) الخروج ٣٤ : ١٦
٥) التثنية ٢٣ : ١٧ - ١٨
٦) תורת הנביאים, עמ' 69 — 70.
٧) A Dolple Lods: Histoire de la Litterature Hebraique Et Juive. Payot, Paris, 1950. P. 186.

وعليه فان المؤمنين بدين " يهوه " من الإسرائيليين يعترفون بالتناقض التام بين ماهية " يهوه " ، وماهية " بعل " ولكننا نجدهم فى البداية قد أطلقوا على إلههم " يهوه " نفسه اسم " بعل " ، وربما ساعد هذا الأمر على اختلاط المفاهيم الدينية عندهم ، حيث نجد أن شاؤل وهو لم يعبد الأصنام يطلق على ابنه اسم " אִישְׁבַּעַל - اشبعل " أى " رجل بعل " ثم تغير اسمه بعد أن تبين لهم كراهية اسم " بعل " ، وأصبح " אִישׁ בֹּשֶׁת - ايشبوشت " أى " رجل الخزى "(١). وقد أطلق داود على ابنه اسم "בַּעְלְיָדָע - بعليادع " أى " بعل يعلم " ثم غير اسمه بعد ذلك أيضاً إلى " אֶלְיָדָע - إليداع "(٢).

ان شعار " يهوه ضد بعل " يلزم بالضرورة تقويض الأساس الدينى للطقوس الزراعية عند الساميين الغربيين ، حيث يكمن الأساس الجنسى فى سر الخصوبة عند لقاء المياه بالأرض ، وهو مايلزم اقتلاعه تماماً . ان الرى الطبيعى للأرض ليس أساسه تزاوج الذكر الذى يوفر العطاء ، مع الأنثى التى تحصل عليه ، بل هو ثمرة عطية الرب الذى يعطى لأنه سيد كل إخصاب ومنه جاء كل شىء . هذه هى فى الحقيقة ماهية التسبيح فى نبوة " إلياهو النبى " الذى عاش بعد داود بمائة سنة ، وقبل يشوع بمائة سنة ، ولكن إذا ترجمنا هذا الكلام السابق من لغة العقيدة ذاتها إلى لغة تاريخ العقيدة ، تتضح الايجابية التى تعلق عامل الاخصاب الطبيعى ببركات الرب التى رمزت لها بركة " يعقوب " " ليوسف " : " מֵאֵל אָבִיךָ וְיַעְזְרֶךָּ וְאֵת שַׁדַּי וִיבָרְכֶךָּ בִּרְכֹת שָׁמַיִם מֵעָל בִּרְכֹת תְּהוֹם רֹבֶצֶת תָּחַת בִּרְכֹת שָׁדַיִם וָרָחַם(٣) - من إله أبيك الذى يعينك ، ومن القادر على كل شىء الذى يباركك تأتى بركات السماء من فوق ، وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم " .

---

١) قارن صموئيل الثانى ٢ : ٨ وأخبار الأيام الأول ٨ : ٣٣ و ٩ : ٣٩

٢) قارن أخبار الأيام الأول ١٤ : ٧ ، وصموئيل الثانى ٥ : ١٦ ؛ وأخبار الأيام الأول ٣ : ٨

انظر

W. Robertson Nicoll: The Expositor's Bible . Volume two W.M.B.ERD. Mans Publishing Company Grand Rapids. Michgan1956, P. 298.

٣) תורת הנביאים, עמ' 72.

وانظر (التكوين ٤٩ : ٢٥)

وعليه فان بلورة " البعليم " المحلية الكثيرة فى " سيد الأرض" (אדון האדמה) هو الذى مهد للحرب ضد نزوات " بعل والأشيراه " "בעל ו- אשרה" التى أساسها عبادة " הקדשים והקדשות " ، والتى سميت على لسان "ياهو" " ذنا ايزابل " - זְנוּנֵי אִיזֶבֶל (١).

ويرى كثير من الباحثين ان عبادة " السوارى " ليس لها أى أساس تاريخى؛ لكن هذا الرأى ليس له مايستند عليه ، بل على العكس من ذلك فان ذكر السوارى بلقب " سوارى الصوريين " "אשרה של הצורים" (٢) فى الكتابات الأوجاريتية ، يؤكد حقيقة عبادة " السوارى " التاريخية فى محيط " إيزابل " الصورية وأتباعها وهى بالتأكيد التى جرحت المشاعر الأخلاقية فى قلب " إلياهو " وأتباعه من أهل القرى البسطاء(٣).

" إلياهو " ابن الصحراء ، هذه الشخصية التاريخية العظيمة التى تبرز من وراء ستار الأسطورة - ففى البداية يكسوه الغموض(٤)، وفى النهاية صعود إلى

---

١) ישראל כהן , אישים מן המקרא , הוצאת מחברות לספרות , דפוס הפועל הצעיר , ת"א , ישראל 1964 , עמ' 238 .
وربما توافق هذه الفقرات طقوس الاحتفال بعيد عشتار (عشتر) التى كانت تقام فى فصل الاعتدال الربيعى فى حرارة تكاد تبلغ حد الجنون ، وكان يستغرق سبعة أيام وكان من شعائره المهمة سعى النساء وراء البحث عن الإله المختفى ، وعندما يبشرهم الكهنة ببعثه من الأموات تقوم النساء بنذر عفافهن ؛ ولقد نشأت هذه " الدعارة الدينية " أو " البغاء المقدس" مع عبادة " عشتار " . وتركت لنا الأساطير الدينية فى بابل مايشير إلى قيام طبقة تعرف باسم " بغايا المعبد " أو " عاهرات الآلهة " وكانت هذه الدعارة الدينية من أهم العناصر فى عبادة الخصب فى المجتمعات القديمة . انظر : د. نجيب ميخائيل إبراهيم . مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٣ ص ٧٨

٢) לוח אז . 198 ، 201 . "אתרת צרם".

٣) אנציקלופדיה מקראית , ערך אליהו , עמ' 338.

٤) راجع الملوك الأول ١٧ : ١

السماء ، وهو يذكرنا بالبطل البابلى " انجيدو - אנ ג'ד / " فى ملحمة " جيلجامش "[١] إلا ان " انجيدو " انقاد للإغراء المقدس ، بينما " إلياهو " لم تمسه غواية " بعل " أو الخوف من مواجهة " آحاب " ، ففى مواجهة تاريخية عظيمة مع ملك إسرائيل يعلن " إلياهو " عقوبة الجفاف ، على مسامع ملك إسرائيل، وهنا يسجل العهد القديم وقفة دينية سياسية خطيرة تصمد بكامل شموخها فى وجه محاولات تغليفها بالبهاء الأسطورى ، لكننا يمكن أن نتصور المضمون القصصى الدينى التاريخى إذا أزلنا الخطوط الأسطورية من قصص " إلياهو " ثم نرتب أحداثها الجوهرية وفقاً لمغزاها الحقيقى ، والتنسيق البنائى والأسلوبى لأحداثها .[٢]

ان قضية " إلياهو " هى اثبات أنه لاتوجد أية سلطة لبعل على مياه السماء وعلى خصوبة الأرض ، وتلك هى ماهية ومغزى معجزة الجفاف التى أعلن عنها نبى الله[٣] وبذلك أثبت " إلياهو " أن معجزته وهى خرق لقوانين البشر الذى لايقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ، فهو الذى وضع هذه القوانين ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى جاءت معجزته لتتحدى مقدرة " بعل " فى إنزال المطر ، وذلك حتى يكون للتحدى قيمة .. ويكون له معنى فيمن يثبت أنه الحق ، الله سبحانه وتعالى أم " بعل " الإله الوثنى[٤] . وهكذا سيتبين لنا من رواية العهد القديم ، ان النبى " إلياهو " قد أخذته الغيرة على الديانة اليهودية فى مواجهة عبادة بعل والانحلال والفساد الذى تفشى فى إسرائيل ممثلاً فى الملك " آحاب " نفسه ، بنفس الطريقة التى أسس بها " سليمان " عبادة " عشتورت עשתורת " إلهة

---

١) ملحمة بطولية مدونة على اثنى عشر رقيماً طينياً كشف عن معظمها فى مكتبة آشور بانيبال (٦٨٦ - ٦٢٦ ق.م تقريباً) وتناولت فى أسلوب أدبى فلسفى رائع صراع الإنسان الدائم مع الموت ومجادلته فى الحصول على الخلود دون جدوى ، كما ضم الرقيم الأخير منها قصة الطوفان المعروفة .

٢) Histoire De La Litterature Hebraique Et Juive.pp. 191-192.

٣) תורת הנביאים , עמ' 73.

٤) قارن محمد متولى الشعراوى : " معجزة القرآن " ج ٣ . كتاب اليوم . القاهرة ١٩٨١ . ص ٨

الصيدونيين ، " وملكوم "[١] رجس العمونيين لزوجاته الأجنبيات طبقاً لرواية العهد القديم، كذلك فتح " آحاب " أبواب السامرة أمام عبادة " بعل ملقارت " من أجل زوجته الصورية ، إلا ان " سليمان " لم يسجد للآلهة الوثنية - وهذا يؤكد نظرة الفكر الإسلامى لسليمان ويوضح تناقض العهد القديم فى سرد سيرته - اما آحاب فقد سجد بنفسه لبعل : "וַיַּעֲבֹד אֶת־הַבַּעַל וַיִּשְׁתַּחוּ לוֹ"[٢] - وعبد البعل وسجد له " رغماً عن مظاهر إيمانه بيهوه حيث أطلق على أبنائه أسماء تشير إلى عبادته له ، واستشارته أنبياء الرب وقت الحرب ، إلا ان " آحاب " يعتبر على رأس ملوك المملكة الذين خانوا واجبهم تجاه إله إسرائيل، ولذلك قام " إلياهو " النبى ليطهر العقيدة اليهودية من الدخيل ولم يقم بذلك إلا عن طريق المعارضة القوية للنظام الملكى[٣].

دعوة " إلياهو النبى " وحربه ضد عبادة " بعل " (الملوك الأول ١٧ ، ١٨)

لاشك أن أسفار الملوك[٤] تحمل طابعاً خاصاً ، وتختلف فى شكلها وطابعها عن

---

١) מַלְכָּם : ملكوم (الملوك الأول ١١ : ٥) اى ملككم وهو اسم كنعانى ويطلق عليه أيضا מֹלֶךְ " مولك " أى " ملك " (لاويين ١٨ : ٢١). وهو إله للعمونيين ، كانوا يذبحون له ذبائح بشرية ولاسيما الأطفال . ومع ان الأنبياء نددوا تنديداً شديداً بهذه العادة الشنيعة إلا ان اليهود سقطوا مراراً فى عبادة هذا الصنم ومارسوا عبادته هذه فى " توفة " فى وادى بنى هنوم (الملوك الثانى ٢٣ : ١٠) وفى أماكن أخرى (حزقيال ٢٠ : ٢٦). وقد سمى هذا الإله أيضاً " بعل " (أرميا ٣٢ : ٣٥) وظن البعض أن "مولك" "وملكوم" كراهة بنى عمون مختلفان إذ يقال عن الأول ان عبادته كانت فى وادى هنوم" وفى الثانى انها كانت على جبل الزيتون (الملوك الثانى ٢٣ : ١٠ و ١٣) غير أنه يظهر من الملوك الأول ١١ : ٥ ان " ملكوم " رجس المؤابيين هو " مولك " رجس بنى عمون (الملوك الأول ١١ : ٧) . ومما تقدم يستدل على امتداد عبادة هذا الصنم ، واستمرارها بين العبرانيين - ويظهر ان مولك كان "ملك جهنم" حسب رأى الكنعانيين الوثنيين .
انظر : قاموس الكتاب المقدس : ص ٩٣٤ - ٩٣٥

٢) الملوك الأول ١٦ : ٣١

٣) فؤاد حسنين على : اليهودية واليهودية المسيحية . ص ١٩

٤) لايعرف بالتأكيد مؤلف هذين السفرين ، وقد ذكر التلمود انه " أرميا " وظن بعضهم انه "عزرا" او "باروخ" وكانا فى الأصل سفراً واحداً لكن فصلتهما الترجمة السبعينية التى سمت سفرى صموئيل سفرى الملوك الأول والثانى ،==

أسفار صموئيل السابقة لها . فمرتب أسفار صموئيل أستخدم فى وصف أحداثه مصادر مختلفة ، حيث يمكن أن نرى بوضوح اجتهاده فى استخدام المصادر السابقة لعصره ، وكيف أدخلها إلى سفره لكى يقدم للقارئ صورة كاملة وشاملة من خلال رؤية ثيوقراطية تبرز أبطال هذه الفتره بكل مالهم وماعليهم ، ليس هذا فقط بل قدم الحدث الواحد بأساليب مختلفه حتى ولو ناقضت بعضها البعض ، ولذلك تعتبر أسفار صموئيل سفراً كاملاً شاملاً يتضمن كل المصادر والقوائم والكتب السابقة له بشكل لايحتاج فيه القارئ الرجوع إلى سفر آخر للوقوف على أخبار هذه الفترة (١). هذا الأمر لانجده فى سفر الملوك حيث أن من قام بترتيب السفر لم يرد أن يقدم لنا كل المادة التاريخية التى تضمنتها المصادر السابقة له ، فهو لم يكن فى نيته تقديم سفر تاريخى شامل ، وذلك لأنه ينهى سيرة كل ملك بقول ثابت دائماً " וְיֶתֶר־ דִּבְרֵי ... וְכָל־אֲשֶׁר עָשָׂה הֲלֹא־הֵמָּה כְּתוּבִים עַל סֵפֶר דִּבְרֵי הַיָּמִים לְמַלְכֵי (٢) وبقية أخبار .. وكل الذى عمل ، أليست هى مكتوبة فى كتاب أخبار الأيام للملوك." ولذلك يذكر لنا أخبار الملوك فى إيجاز بسبب عدم أهميتها فى نظره ، بل انه فى فترة مهمة كفترة " سليمان " لم يستفد من كل المادة التاريخية التى كانت أمام عينيه ، حيث يقول فى نهاية هذه الفترة : " וְיֶתֶר דִּבְרֵי שְׁלֹמֹה , וְכָל־ אֲשֶׁר עָשָׂה וְחָכְמָתוֹ הֲלֹא־הֵם כְּתֻבִים עַל סֵפֶר דִּבְרֵי שְׁלֹמֹה " . (٣) وبقية أمور سليمان وكل ماصنع وحكمته هاهى مكتوبة فى سفر أمور سليمان " . إذاً يكشف لنا المرتب أنه لم يأت لتقديم تاريخ مفصل كانت مصادره تحت يديه ، بل جاء ليوضح فقط ماكان جوهرياً فى نظره ، وماكان مطلوباً ليخدم هدفه وطابعه ، الذى يغلب عليه الطابع الدينى أكثر من التاريخى .

=) وسفرى الملوك؛سفرى الملوك الثالث والرابع ، ويؤكد البعض أنه تم ترتيب سفرى الملوك مرتين : مرة فى فترة " ياشياهو " اى بين سنة ٦٢١ وسنة ٥٩٧ ق.م ، ومرة أخرى فى فترة شتات بابل . أما المرتب الأول فهو المؤلف الأصلى لهذه الاسفار فى حين ان المرتب الثانىجاء ليضيف وليكمل بعد أن سار على هدى المرتب الأول . وهكذا أكملها وهذبها على هيئة أسفار تاريخية دينية نبوية كماهى أمامنا الآن .

انظر : ש.ל.גרדון ,נביאים ראשונים, עמ' XXVII.

١) نفس المصدر السابق ، עמ' XXII .

٢) الملوك الأول ١٤ : ٢٩

٣) الملوك الأول ١١ : ٤١

لأجل هذا الهدف يذكر المرتب ويؤكد بصورة خاصة فى بداية أخبار كل ملك إن كان عمل الشر أم الخير فى نظر الرب ، ثم يذكر بطولته وأعماله ، والمدن التى بناها ، وإن كان فى بعض الأحيان لم يلتزم بتقديم هذه الأخبار ويعتبرها من بقية الأخبار " ، ونجده أحياناً يسهب فى تقديم تاريخ أحد الملوك ، ويوجز مع ملك آخر ، ولكن ليس على أساس الأحداث السياسية المهمة فى عهده ، بل على أساس قيمتها الدينية . على سبيل المثال ، نجده يسهب فى وصف أحداث بيت آحاب بسبب " قصص إلياهو واليشع " التى ترتبط به ، وكذلك الأمر مع " ياهو " بسبب الأعمال التى فعلها لتنفيذ " كلام الرب الذى تكلم به عبده " إلياهو التشبى " ، وفى نفس الوقت يختصر الأحداث السياسية القاسية التى مرت على إسرائيل فى عهد "ياهو".(١)

هذه الرؤية الدينية التاريخية قدمت لبنى إسرائيل ، بعد وصف ماضيهم ، تحذيراً وانذاراً لمستقبلهم وهكذا أدلت هذه الرؤية الدينية التاريخية بشهادة لنبوة خفية ربما كانت أعظم أثرا وأكثر قوة من النبوة الظاهرة(٢).

من المغزى الدينى للسفر ، ومن الإطار الثابت له فى مقدمة ونهاية كل إصحاح ، يمكننا الاستنتاج بشكل مؤكد ان السفر كله من نتاج مؤلف واحد ؛ ولكن من ناحية أخرى تواجهنا مشكلة عدم اتحاد السفر حيث نجد اختلافات كثيرة من موضع لموضع بخصوص الأسلوب والإلقاء ، وكذلك بخصوص الرؤية الدينية ، فعلى سبيل المثال مسألة تقديم القرابين فى مذابح خارج معبد أورشليم تعتبر فى نظر المؤلف عبادة وثنية.(٣)

لكننا نجد فى موضع آخر ان " إلياهو " قدم القرابين على المذبح فوق جبل الكرمل ، وقام بتعنيف بنى إسرائيل الذين هدموا المذابح(٤).

---

١) راجع الملوك الثانى ٦ : ٣٢

٢) ש.ל. גרדון, נביאים ראשונים, עמ' XXIII.

٣) راجع الملوك الأول ١٤ : ٢٣ ؛ ١٥ : ١٤ ، الملوك الثانى ١٧ : ٩ .

٤) الملوك الأول ١٨ : ٣٠ ؛ ١٩ : ١٠ - ١٤

اما بخصوص " آحاب " فهو فى نظر المؤلف شخصية شريرة ، لكننا مع هذه الرؤية المتطرفة من قبل المؤلف تجاه " آحاب " نجده يناقض هذه الرؤية برؤية مناقضة تماماً حيث يصف " آحاب " فى موضع آخر بانه ملك محسن وبطل يهتم بشعبه وعلى استعداد لأية تضحية من أجله ، ويصف موته خلال عمل بطولى رائع ، عندما " وقف فى مركبته - וְהַמֶּלֶךְ הָיָה מְעֻמָּד בַּמֶּרְכָּבָה " وهو مصاب لكى يحافظ على الروح المعنوية لجنوده [1] . ومما لاشك فيه أن من يسرد كلاما كهذا ، يرتبط بالتأكيد بعلاقة حب واخلاص واعجاب إلى حد كبير بملك إسرائيل ، ولذلك يمكننا القول ان هذه القصص مستمدة من مصدر خاص ربما كان يطلق عليه " أخبار أيام آحاب " مثل " أخبار أيام سليمان " المذكور فى الملوك الأول ١١ : ٤١ . هذا بالإضافة إلى مصادر أخرى ذكرها مؤلف السفر منها : " أخبار أيام ملوك يهوذا " " وأخبار أيام ملوك إسرائيل " ، " وأخبار شمعيا النبى " " وعدو الرائى"، وأيضاً " مدراش النبى عدو " ويبدو أنه كان هناك مصدراً ربما كان يطلق عليه " أخبار أيام إلياهو " و" قصص اليشع " التى يفترض انها أقحمت داخل مصدر " أخبار أيام آحاب " بحيث أصبحت شخصية النبى فى هذه القصص هى الشخصية المركزية وفى مقابل هذه القصص نجد قصصاً أخرى لم يرد فيها ذكر " إلياهو " كلية وخاصة قصص حروب " آحاب " مع آرام (الاصحاحات ٢٠ و ٢٢) [2]، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى الاتجاه العام الذى كان سائداً فى تلك الفترة من تاريخ إسرائيل حيث كان هناك من بين " الأنبياء الكاذبين " من ملكوا ناصية الكتابة بشكل لايقل من الناحية الأدبية عن الكتبة من " الأنبياء الحقيقيين " والذين احتوى العهد القديم على نبوءاتهم ، والذين لم تكن نبوءاتهم مناسبة للعقائد والآراء التى كانت شائعة بين زعماء الشعب وحكمائه فى فترة تحديد الإرث المقرائى . [3]

---

١) מ. צ. סגל . מבוא המקרא , ספר ראשון , הדפסה תשיעית הוצאת "קרית-ספר" בע"מ , ירושלים תשל"ז , עמ' 29

وراجع الملوك الأول ٢٢ : ٣٥

٢) ש.ל. גורדון , נביאים ראשונים , עמ' XXIV .

٣) د. رشاد الشامى : تطور وخصائص اللغة العبرية . مكتبة سعيد رأفت . القاهرة سنة ١٩٧٨ ص ٣٥.

إلياهو ومعجزة الجفاف (سفر الملوك الأول الإصحاح ١٧)

القسم (المشهد) الأول من قصة الجفاف (١ - ٧)

* וַיֹּאמֶר אֵלִיָּהוּ הַתִּשְׁבִּי מִתֹּשָׁבֵי גִלְעָד אֶל־אַחְאָב חַי־יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל אֲשֶׁר עָמַדְתִּי לְפָנָיו אִם יִהְיֶה הַשָּׁנִים הָאֵלֶּה טַל וּמָטָר כִּי אִם־לְפִי דְבָרִי

وقال " إلياهو التشبى " من مستوطنى جلعاد " لآحاب " : حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه . أنه لايكون طل ولامطر فى هذه السنين إلا عند قولى " .

ولكى نفهم هذا البيان الموجز الذى ألقاه " إلياهو " فى وجه " آحاب " ليعلن له عن الجفاف الوشيك الذى سيحل على أرضه ، يجب معرفة الخلفية التى تتحدث عن أخطاء " آحاب " فى عبادته لبعل ، وعن زواجه من " ايزابل " ابنة ملك صيدون والتى تحتل جوهر القصة (١)... يبدأ هذا الاصحاح بحرف الواو ، فهو إذاً إضافة لما سبقه ، ... وعندما نتأمل فيما ورد فى هذا السفر - الملوك

---

١) راجع الملوك الأول ١٨ : ٤ ، ١٣ ، ١٩ ، ١٩ : ١ - ٢ وانظر
אוריאל סימרן, משה גושן-גוטשטיין, עיונים מקרא ופרשנות. מנחות זיכרון לארי טוויג. הוצאת אוניברסיטת ברלין. רמת-גן נדפס בישראל בדפוס מנחם ירושלים, תש"ם 1920, עמ' 66.
لقد تم تصوير الجفاف فى الملوك الاول ١٧ قياساً على الضربات العشر فى خروج ٩ . فعمل النبى فى احداثه وانتهائه يقابل أعمال موسى عليه السلام فى مصر ، حيث نجد اعلاناً نبوياً مسبقاً ، واحساس بعجز السحرة فى مقابل عجز أنبياء بعل ،وتعليق ايقاف الضربات والجفاف على كلمة النبى ، من خلال الادراك بان هدف الضربات هو معرفة " כִּי לַיהוָה הָאָרֶץ - ان للرب الأرض " (خروج ٩ : ٢٩) ، وفهم كلمات " إلياهو " :"כִּי לְפִי דְבָרִי بل حسب قولى " كإنتماء إلى اعلاناته المستقبلية عن المطر الذى سوف يأتى (١ ملك ١٨ : ٤١ ، ٤٤) مع المقارنة باعلان موسى لفرعون بان ضربة الضفادع ستزول فى اليوم التالى لإعلانه ، حيث ذكر " וַיַּעַשׂ יְהוָה כִּדְבַר מֹשֶׁה וַיָּמֻתוּ הַצְפַרְדְּעִים - ففعل الرب كقول موسى . فماتت الضفادع . (خروج ٨ : ٩) . كل هذا ليس إلا حلقة أولى فى المقابلة الوثيقة بين " إلياهو " " وموسى " والتى وضحتها لنا قصة الجفاف والتى اكدها المدراش " וְאֶת מוֹצֵא שְׁמֹשֶׁה וְאֵלִיָּהוּ שָׁוִין זֶה לְזֶה בְּכָל־דָּבָר " وانت تجد ان موسى وإلياهو يتساويان هذا مع ذاك فى كل شئ "
פסיקתא רבתי, מהדורת איש שלום, וינה, תר"ס, פרק, ד', עמ' י"ג.

الأول - حتى نهاية الإصحاح السابق نجد تصويراً للحالة المخزية التى وصلت إليها الأسباط العشرة ، وكيف سادتها العبادة الوثنية بشكل عام[١]. لذلك يجب الأخذ فى الاعتبار الفقرات (٣١ - ٣٢) من الإصحاح السادس عشر فى سفر الملوك الأول ، حيث توضح لنا لماذا أقسم " إلياهو " برب إسرائيل ألا تسقط أمطاراً إلا عند قوله[٢]. لكن الفجوة الأسلوبية العميقة بين لغة تبليغ المعلومات الموجزة لهذه الفقرات، واللغة الأدبية للإصحاحات (١٧ و ١٨ و ١٩) ، تجعلنا نستنتج نقص البداية الأصلية لقصة الجفاف ، وتجعلنا نأخذ فى الإعتبار الافتراض بأن حذف التفاصيل الأصلية للقصة ، قد حدث وقت تدوين سفر الملوك ، وذلك لأن المرتب اهتم بالمعلومات الضرورية فقط ، حيث أوجز التفاصيل التى كانت تتضمن أصل ومنشأ إلياهو واختصرها فى جملته التوضيحية " מתשבי מגלעד - من مواطنى جلعاد " ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يحتمل أن هذه التفاصيل الأصلية لم تتضمن شيئاً عن كيفية إعداد النبى إلياهو لكفاحه العظيم ضد العبادة الوثنية !وان التواترات الشفوية أصبحت قصة مسلسلة ذات موضوع واحد تبدأ بالفقره الأولى من الإصحاح السابع عشر كافتتاحية لما سيُسرد بعد ذلك داخل الإصحاح استكمالاً لقصة الجفاف . إذاً هناك ثلاث نقاط حيوية يجب التوقف عندها .وهى أولاً : إثبات الوحدة الأسلوبية والبنائية للإصحاح السابع عشر .

ثانياً : بيان توضيحى منطقى لتكويناته من ناحية وصف الصعود التدريجى لدرجات النبوة عند " إلياهو " .

ثالثاً : أهمية الربط الأسلوبى والبنائى والموضوعى والفكرى بين المشاكل الرئيسية التى تجمع بين الإصحاح السابع عشر والإصحاح الثامن عشر ، والتى يمكننا بحلها أن نرى فى الأول مقدمة مناسبة للثانى[٣].

---

١) ف . ب . ماير : حياة إيليا . ترجمة مرقس داود . طبعة ثالثة - القاهرة سنة ١٩٨٠ . ص ٩

٢) לפסיקון מקראי, עמ' 51.

٣) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 64-65.

فى هذه الافتتاحية لم يشر العهد القديم بدقة أين حدثت المواجهة بين " إلياهو " " والملك "[1]، أكانت فى قصر الملك الصيفى فى يزرعئيل وبجانبه

---

١) تذكر الأجاداه وبعض كتب التفاسير ان أول لقاء بين إلياهو وآحاب كان فى بيت حيئيل (חי אל מבית הגלי) فقد كان " حيئيل " قائداً لجيش آحاب،وأمره " آحاب " ببناء أريحا ، وعندما أتم بناءها مات ابناؤه وأمر الرب " إلياهو " بالذهاب إليه لتعزيته فى مصابه ، فقد كلم الرب " إلياهو " قائلاً : حيئيل رجل مهم ، احترمه وواسيه . قال إلياهو : رب العالم : لا أرغب فى الذهاب إلى هذا المخطىء الذى خالف وصيتك وبنى أريحا، فإذا تعدى الأن بالسب والشتم ضدك فلن أتحمل . قال له الرب : اذهب وواسيه وإذا سبنى فان ماتحكم به عليه أنا انفذه . فذهب إلياهو إلى حيئيل ووجده يردد هذه الفقرة : " וַיִּשְׁבַּע יְהוֹשֻׁעַ בָּעֵת הַהִוא לֵאמֹר, אָרוּר הָאִישׁ לִפְנֵי ה' אֲשֶׁר יָקוּם וּבָנָה אֶת־הָעִיר הַזֹּאת אֶת־יְרִיחוֹ, בִּבְכֹרוֹ יְיַסְּדֶנָּה וּבִצְעִירוֹ יַצִּיב דְּלָתֶיהָ " - وحلف يشوع فى ذلك الوقت قائلاً : ملعون قدام الرب الرجل الذى يقوم ويبنى هذه المدينة أريحا . ببكره يؤسسها وبصغيره ينصب أبوابها " (يشوع ٦ : ٢٦) ويبرر هذا الحكم على نفسه ويقول : " مبارك رب الأبرار الذى ينفذ كلمات الأبرار ". وعند حيئيل التقى إلياهو "بآحاب" الذى كان يسخر من كلمات " حيئيل " ويقول للحاضرين : مَنْ أعظم مِنْ مَنْ : موسى أم يشوع ؟ فقد جاء فى توراة موسى : " הִשָּׁמְרוּ לָכֶם פֶּן־יִפְתֶּה לִבַבְכֶם וְסַרְתֶּם וַעֲבַדְתֶּם אֱלֹהִים אֲחֵרִים וְהִשְׁתַּחֲוִיתֶם לָהֶם - וְחָרָה אַף־יְהוָה בָּכֶם וְעָצַר אֶת־הַשָּׁמַיִם וְלֹא־יִהְיֶה מָטָר " فاحترزوا من أن تنغوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها . فيحمى غضب الرب عليكم ويغلق السماء فلايكون مطر ... (تثنية ١١ : ١٦ - ١٧) ولم تتحقق كلمات موسى مع أن جميع بنو إسرائيل يعبدون الأوثان . ، بينما تحققت كلمات يشوع ، فقال له إلياهو : بسبب انك لم تترك أية عبادة وثنية إلا وعبدتها : " حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لايكون طل ولامطر فى هذه السنين إلاعند قولى"

انظر : פירוש רב' יוסף קרא לנביאים ראשונים, מהדורת פרופ' שמעון עפנשטיין (ז"ל) על פ' כתב"יד קרכה"ם. הוצאת מוסד הרב קוק. ירושלים 1972. דפוס מ' גרינברג תל אביב. ישראל. עמ' 139.

انظر أيضاً: לוי גינצבורג, אגדות היהודים, כרך שלישי תרגם וערך הרב מרדכי הכהן. הוצאת מסדה בע"מ, רמת גן תשל"ו, נדפס בישראל 1975, עמ' 11.

زوجته الصيدونية ؟ ، أم فى السامرة وسط وزرائه وأتباعه ؟ ومهما يكن المكان الذى حدثت فيه المواجهة ، فإنها كانت تحتاج إلى منتهى الحكمة والذكاء من جانب " إلياهو " ، فإن المواجهة بين النبى والملك كانت تمثل الديانة القديمة التوحيدية أمام العبادة الوثنية ، والقوة الأدبية الفطرية أمام الفساد الأخلاقى(١).

هذا ويمكننا من فقرة " לך מזה ופנית לך קדמה " (١٧ - ٣) " انطلق من هنا واتجه نحو المشرق ، أن نستنتج التقاء إلياهو بآحاب فى السامرة أو يزرعئيل ، ولكن المرتب رأى فى ذكر المكان صراحة شيئاً زائداً . ويحتمل ان هذا الصمت عن ذكر المكان ينبع من الطابع المقطع للمقدمة الافتتاحية(٢). كذلك أيضاً لم يوثق النص المقرائى كلام النبى عن التجلى الإلهى الذى سبق ظهوره وإعلانه الجفاف للملك(٣)، مما أدى إلى إمكانية القول بان " إلياهو " جلب جفافاً قاسياً جداً على إسرائيل بمبادرة منه ، ولكن يبدو أن المرتب لم يصف إعطاء الأمر الإلهى " لإلياهو " بأن يقول للملك كذا وكذا ، بسبب أن وصف هذا الأمر كان سيؤدى إلى صعوبة صياغة التبليغ النبوى فى صورة قسم شخصى " حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه أنه لايكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قول "(٤)، ويبدو أيضاً إن " إلياهو " بكلامه هذا قد مثل أمامه ذلك التهديد نطق به " موسى " عليه السلام منذ أجيال مضت مهدداً شعبه بأنهم ان ابتعدوا عن الله ، وعبدوا آلهة أخرى ، اشتعل غضب الرب عليهم ، وأغلق السماء عنهم : " הִשָּׁמְרוּ לָכֶם פֶּן־יִפְתֶּה לִבַבְכֶם וְסַרְתֶּם וַעֲבַדְתֶּם אֱלֹהִים

---

١) ف . ب . ماير . حياة إيليا . ص ١٤ ٢) عيون מקרא ופרשנות, עמ' 64.

٣) يثبت W.Baumgartner الشرعية الأسلوبية فى هذا الوصف الناقص ويقدم بعض النماذج لوصف تنفيذ العمل بدون أن يسبقه وصف إعطاء الأمر ومنها : صموئيل الثانى ٢٤ : ١٨ ؛ الملوك الاول ٢٠ : ٤ ، ٢٢؛ قضاة ١٨ : ٦ الملوك الثانى ٨ : ١ . انظر : عيون מקרא ופרשנות, עמ' 65.

W.Baumgartner: "Ein Rapitel von hebräischen Erzälungstil" Euch-aristerion-Gunkel Festscchrift, Gottingen 1923., PP. 148-149.

٤) عيون מקרא ופרשנות, עמ' 65.

אֲחֵרִים וְהִשְׁתַּחֲוִיתֶם לָהֶם וְחָרָה אַף־יְהוָה בָּכֶם וְעָצַר אֶת־הַשָּׁמַיִם וְלֹא־יִהְיֶה מָטָר (١). فاحترزوا من أن تنغوى قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها ، فيحمى غضب الرب عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر .."

فإعلان الجفاف الذى هدف فى الحقيقة إلى اظهار عدم قدرة " بعل " على منح المطر ، قد التزم بأن يبدأ وينتهى بكلمة نبى الرب وذلك من أجل استخلاص الدرس بأن اشتراط منح المطر بكلمة " إلياهو النبى " فيه دعوة للمبارزة وللمناظرة ليس فقط مع " بعل " بل أيضاً مع أنبيائه ، حيث ان فشلهم المستمر فى اسقاط المطر هو الذى سيجعل الملك يستمع لكلمة النبى ويعود إلى عبادة الرب (٢) .

ويتبين لنا من نصوص العهد القديم ان الجوع كان على رأس اللعنات فى العهد القديم ، أما الوفرة الزراعية فكانت على رأس البركات حيث ورد فى سفر الملوك " בְּהֵעָצֵר שָׁמַיִם וְלֹא יִהְיֶה מָטָר כִּי יֶחֶטְאוּ־לָךְ וְהִתְפַּלְלוּ אֶל־הַמָּקוֹם הַזֶּה ... וְאַתָּה תִּשְׁמַע הַשָּׁמַיִם וְסָלַחְתָּ ... וְנָתַתָּה מָטָר עַל־אַרְצְךָ ... רָעָה כִּי־יִהְיֶה בָּאָרֶץ דֶּבֶר כִּי יִהְיֶה שִׁדָּפוֹן יֵרָקוֹן אַרְבֶּה חָסִיל (٣).

إذا اغلقت السماء ولم يكن مطر لأنهم أخطأوا إليك ، ثم صلوا فى هذا الموضع ... فاسمع أنت من السماء واغفر ... واعط مطراً على أرضك ... إذا صار فى الأرض جوع ، إذا صار وباء ، إذا صار سناح (آفة زراعية) أو يرقان ، أو جراد جردوم . فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر ، واعمل واعطى كل إنسان حسب طرقه . ويبدو ان هذا الجزء من الصلاة الرائعة لسليمان أثناء تدشين بيت المقدس ، يعبر عن الرؤية التى انتشرت بين الشعب فى تلك الأيام بأن الجوع عقوبة على أخطاء

---

١) التثنية ١١ : ١٦ - ١٧ وانظر ف . ب . ماير . حياة إيليا . ص ١٤

٢) עיון מקרא ופרשנות , עמ' 66.

٣) الملوك الأول ٨ : ٣٥ - ٣٩

بنى اسرائيل(١).

---

١) מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 34.
هذا ويعتبر الجوع من أفظع اللعنات التى عرفها الجنس البشرى ، ونتيجة له تحل معظم الكوارث الأخرى . وهذه بعض قصص الجوع فى العهد القديم :
(أ) حدث أول جوع فى أيام " إبراهيم " عليه السلام " وحدث جوع فى الأرض . فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك . لأن الجوع فى الأرض كان شديداً " (تكوين ١٢ : ١٠) .
(ب) الجوع الثانى حدث فى أيام " إسحاق " : " وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم . فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين .. إلى جرار .. فأقام إسحاق فى جرار "(تكوين ٢٦ : ١ - ٦)
(ج) الجوع الثالث حدث فى أيام " يعقوب " : " قال يعقوب لبنيه انى سمعت أنه يوجد قمح فى مصر . انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولانموت . فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا . لأن الجوع كان فى أرض كنعان " (تكوين ٤٢ : ١ - ٥)
(د) الجوع الذى كان فى أرض مصر : " فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون . إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم . فصارت الأرض لفرعون" (تكوين ٤٧ : ٢٠) .
(هـ) الجوع فى الصحراء أثناء فترة التيه : " ليتنا متنا فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم ... إنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا هذا الجمهور بالجوع ، فقال الرب لموسى : هاأنا أمطر لكم خبزاً من السماء. فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها ، لكى امتحنهم ، أيسلكون فى ناموسى أم لا " . (خروج ١٦ : ٢ - ٤) .
(و) الجوع كعقوبة على أخطاء الملك :
(أ) " وكان جوع فى أيام " داود " ثلاث سنين ، سنة بعد سنة فطلب داود وجه الرب . فقال الرب هو لأجل شاؤل ، ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين .." (صموئيل الثانى ٢١ : ١)
(ب) " وضرب داود قلبه بعد ماعد الشعب ... كان كلام الرب إلى جاد النبى رائى داود قائلاً : ثلاثة أنا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك ... أتأتى عليك سبع سنى جوع فى أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك ، وهم يتبعونك . أم يكون ثلاثة أيام وباء فى أرضك ؟ " (صموئيل الثانى ٢٤ : ١٠).
(ز) الجوع فى السامرة عقوبة على أخطاء السامرة (الملوك الأول ١٧ و ١٨)
(ح) الجوع الثانى فى السامرة أثناء حصار " بن هدد " : " وكان جوع شديد فى السامرة ، وهم حاصروها حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القاب من زبل الحمام بخمس من الفضة "(الملوك الثانى ٦ : ٢٥)
انظر : מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 34.

وبعد أن أعلن النبى للملك عن منع المطر وماسيحل بالبلاد من جفاف ، أمره الرب بالذهاب والاختباء عند نهر كريث " נַחַל כְּרִית "[١]، كما أوجز مرتب سفر الملوك فى سرده لافتتاحية قصة الجفاف (لقاء إلياهو بآحاب) نجد أيضاً أنه لم يجد ضرورة لذكر رد فعل الملك على التحدى الخطير للنبى ، الأمر الذى يجعلنا نستنتج بأن آحاب لم يبد أى رد فعل تجاه إعلان النبى فهو لم يجبه من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يهدده[٢]، كذلك أيضاً لم يشر العهد القديم إلى أن"إلياهو " ذهب إلى وادى كريث هروباً من خطر يهدده ، بل أشار إلى أنه ذهب إلى هناك حسب كلام الرب له . وبذلك يبرز العهد القديم طاعة النبى فى صياغة واضحة عن طريق المقابلة بين الأمر وتنفيذه :

---

١) נַחַל כְּרִית نهر كريث : مجرى مائى مقابل الأردن سكن " إلياهو" بقربه (الملوك الأول ١٧ : ٣ و ٥) وقد ظن بعض الباحثين أنه "وادى قلت" واعتقد غيرهم أنه " وادى فصيل " أو وادى آخر شرقى الأردن . وعادة ما يرتبط نهر كريث فى الروايات الشعبية بوادى الصلت الذى ينحدر شرقاً من فلسطين ، وينفتح على سهل الأردن غير بعيد عن أريحا . وسواء أكان هذا الربط بين النهر والوادى من قبل المؤرخين صحيحاً أم غير صحيح ، فليس هناك شك فى أن هذا المنظر الطبيعى ملائم للأسطورة كل الملاءمة . فهذه الوهدة تعد أكثر الوهاد قفراً وأكثرها سحراً فى فلسطين ، وربما لجأ " إلياهو " إلى هذا المكان الأعزل الموحش الذى قلما تسقط فيه الأمطار على مدار السنة ، إلى أن تنقضى سنوات القحط التى أوحى بها الرب إليه . وربما لم يخالط إلياهو أحداً فى هذا المكان سوى الوحوش والطيور البرية .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٧٨٠
انظر أيضاً : جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم ج ٢ . ترجمة : د. نبيلة إبراهيم . مراجعة د. حسن ظاظا الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٧٤ . ص ١٣٠ .

٢) قارن هذا الموقف مع رد فعل فرعون على أولى الضربات العشر التى ذكرها موسى وهارون أمامه " فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب . ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضاً " (خروج ٧ : ٢٢ - ٢٣) .

"וַיְהִי דְבַר־יְהוָה אֵלָיו לֵאמֹר:
לֵךְ מִזֶּה וּפָנִיתָ לְךָ קֵדְמָה וְנִסְתַּרְתָּ בְּנַחַל כְּרִית אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי הַיַּרְדֵּן:
וַיֵּלֶךְ כִּדְבַר יְהוָה
וַיֵּלֶךְ וַיֵּשֶׁב בְּנַחַל כְּרִית אֲשֶׁר עַל־פְּנֵי הַיַּרְדֵּן-

وكانت كلمة الرب إليه قائلاً :

انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبىء عند نهر كريث الذى هو مقابل الأردن .. فانطلق وعمل حسب كلام الرب ،

وذهب وأقام عند نهر كريث الذى هو مقابـــــــل الأردن".

ويبدو ان اختفاء النبى بعيداً عن متناول يد الملك هو وجه دفاع (٣)، لكن الأرجح ان هذا الجانب امراً ثانوياً ، وان اختفاء النبى يعتبر مكوناً ايجابيـــاً لعمله النبوى ، وهو يهدف إلى جعل إرادة الرب أمراً ملموساً، ومن حيثيات ذلك انه طالما ان الرب قوى فانه سيخفى من يحمل كلامه ، وعندما يحين الوقت فى المستقبل يظهر النبى مع إعلان نهاية فترة الجفاف(٤)، كذلك نجد ان اختفاء النبى يعطـــى للجفاف بعداً آخر : وهو أن غلق السماء يلازمه قطع الاتصال بالنبى إلى أن يتلقى أمراً واضحا من الرب بفتح السماء مرة ثانية (٥). وفى الحقيقة ان أمر الاختفـــاء

---

١) "אהרליך - اهرليخ ، "ومونتجمرى מונטגומרי " يبرران فـــى تفسيرهما وجود " וילך " الأولى فى هذا الموضع بأنه إعداد لـ" וַיַּעַשׂ- ـ وعمل " وليس دليلاً على اختلاف المكان . وقد لاحظ مونتجمرى هذا الاستخدام أيضاً مع استمرار القصة (١٧ : ١٥) . وهناك أمثلة أخرى لذلك فـــى (التكوين ٣٥ : ٢٢ ؛ الخروج ٢ : ١ ؛ تثنية ١٧ : ٢ - ٣ ؛ الملوك الأول ١٧ : ٣١ ، الملوك الثانى ٣ : ٧ .
ويبدو ان هذه الكلمة " الزائدة " تستخدم كعاملاً اضافياً للتأكيد على ان " إلياهو " لم يذهب بمبادرته الشخصية بل خلال اطاعة الأمر الإلهى .
انظر : עיון מקרא ופרשנות, עמ' 67.

٢) الملوك الأول ١٧ : ٢ - ٥

٣) قارن أرميا ٣٦ : ٢٦

٤) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 67-68

٥) وهناك نماذج مختلفه لقطع الاتصال بين نبى وملك مثل : صموئيل الأول ٢٨: ٦ ؛ ١٥ - ١٦ ، الملوك الأول ١٣ : ٧ - ١٠ ؛ الملوك الثانى ٣ : ١٣ - ١٤

قد صاحبه التأكيد (باستثناء موضوع السكن) بان الرب سيقوم باعالته بواسطة الغربان[1] التى ستحضر له خبزاً ولحماً ، مع شربه من النهر ."

---

١) הָעֹרְבִים : الغربان : تتحدث الموسوعة العبرية عن الغراب فتقول انه طائر نجس يعد من الطيور التى يحظر تناولها (لاويين ١١ : ١٥ ؛ تثنية ١٤ : ١٤) والغراب تسمية سامية عامة ففى الآرامية " עוֹרְבָא " وفى العربية " غراب " وفى الأكادية " aribu " و " éribu"،وللغراب أهمية خاصة فى الأعمال السحرية فقد أشير إليه فى وثائق مكتبة " آشور بنيبال " فى نينوى كطائر يقوم بالمعجزات ، بالإضافة إلى ماكتب عنه فى قصة الطوفان فى العهد القديم (تكوين ٩) ، أما ماكتب عن الحمامة والسنونو والغراب فى قصة الطوفان الأكادية فإنه يشير إلى عادة الملاحين فى إرسال الغربان لكى يعرفون هل اقتربوا من اليابسة أم لا . على ان الغربان فى نهر كريث قد قدمت للنبى " إلياهو " فى البرية خدمة غير مألوفة ، ذلك لأن الناس كثيراً ماينظرون إليها بوصفها مصدراً للتكهن ، بل انهم كانوا يعتقدون انها تمتلك قدرة على التنبوء ، فالأغريق كانوا يقدسون هذا الطائر ، ويربطون بينه وبين " أبولو " إله النبوءة . كما كان العرافون الإغريق يستمدون النبوءة من نعيبه . وفضلاً عن ذلك فإن من كان يرغب فى اكتساب قوة ألوهية ، كان يأكل قلب الغراب معتقداً بذلك ان قلبه يحتوى مقدرة على النبوة . كما كان الرومانيون يعتقدون ان الغراب يستدعى سقوط الأمطار ، وهو يمشى متبختراً ذهاباً وايباباً على الرمال . ومازال الناس فى بعض جهات أوربا يعدون نعيب الغراب نذيراً بالموت . ويرجع السبب فى خلع هذه الفتنة السحرية وهذه القدسية على الغراب ، إلى سلوك هذا الطائر الأفحم الذى يتسم بالحكمة والرزانة . وتذكر الموسوعة المقرائية احتمال ان قصة إعالة الغربان لإلياهو قد اعتمدت على صفة الغراب فى اخفاء الطعام فى أماكن خفية . بينما يرى "סקינר - سكينر - " ان معجزة إعالة الغربان لإلياهو هى عمل مستحيل منطقياً ولكنه حاول أن يجد له تبريراً عقلانياً بالاستناد على " בראשית רבה, ל"ג, ח " التى نرى انها " غرباناً حقيقية " كما يشير بذلك النص المقرائى الصريح . وهناك من يفسر ==

וְהָיָה מֵהַנַּחַל תִּשְׁתֶּה וְאֶת־הָעֹרְבִים צִוִּיתִי לְכַלְכְּלְךָ שָׁם...
וְהָעֹרְבִים מְבִיאִים לוֹ לֶחֶם וּבָשָׂר בַּבֹּקֶר וְלֶחֶם וּבָשָׂר בָּעָרֶב
וּמִן הַנַּחַל יִשְׁתֶּה ...(١)

=) הָעֹרְבִים بانهم قوم أو جماعة أو اسم لمدينة ، وهذا ماذهب إليه " رابى يوسف كارا - ר' יוסף קרא " الذى فسر הערבים ב: אַנְשֵׁי־עִיר עוֹרֵב שֶׁאֵצֶל הַיַּרְדֵּן - رجال مدينة عوريب عند الأردن " وهو ماذهب اليه أيضاً ربى آدابر منيومى فى חולין, ע"א استناداً على قضاة : ٧ : ٢٤ ، ٢٥ ": فارسل جدعون رسلاً إلى جبل افرايم قائلاً انزلوا للقاء المديانيين وخذوا منهم المياه إلى بيت بارة والأردن فاجتمع كل رجال افرايم وأخذوا المياه إلى بيت بارة والأردن . وامسكوا أميرا المديانيين " غراباً " " وذئباً " وقتلوا " غراباً " على صخرة غراب وأما ذئب فقتلوه فى معصرة ذئب " . أما " رابى يونا بن جناح ר' יונה אבן גנאח" فوجد فى تفسير " הרוכב ערבות - الراكب فى القفار "(مزامير ٦٨ : ٥) وفى " בְּנֵי הַתַּעֲרֻבוֹת - الرهناء " (الملوك الثانى ١٤ : ١٤) ، وفى الجذر ערב' " دلالة قريبة من العزة والسمو ،واستنتج من ذلك بان " הָעֲרָבִים " هم عظماء ووجهاء ذلك المكان ، ذلك بينما فسر " رابى داود قمحى רד"ק " الـ " עֲרָבִים " بـ " التجار" واستند فى تفسيره هذا على (حزقيال ٢٧ : ٢٧) " וערב' מערבך - والمتاجرون بمتجرك " . ولكنه تراجع واقتنع بانهم " غربان حقيقية " لأنه خشى تقييد المعجزات الواضحة والصريحة فى التفسير السفارادى .
والحقيقة يجب أن ننظر إلى صمت النص المقرائى عن ذكر دوافع الغربان لإعالة النبى من زاوية الرؤية الأدبية واطاعة الرب حيث المقابلة بين " צִוִּיתִי לְכַלְכְּלֶךָ أمرت لاعالتك (١ ملك ١٧ : ٤) ثم بعد ذلك " הִנֵּה צִוִּיתִי אִשָּׁה אַלְמָנָה לְכַלְכְּלֶךָ - أمرت هناك امرأة أرملة لاعالتك (١ ملك ١٧ : ٩) ومن خلال هذا التشابه الأسلوبى يبرز الفرق بين إطاعة الطيور العمياء لأمر الرب ، وبين ضرورة إقناع الأرملة لتحقيق رغبة الرب .
انظر : אנצ'יק' מקר', ערך עֹרֵב, עמ' 362 - 364.
وانظر جيمس فريزر : الفولكلور فى العهد القديم . ص ١٣٢ - ١٣٣ .
وانظر أيضاً : פירוש' רב' יוסף קרא, עמ' 140.

١) الملوك الأول ١٧ : ٤ و ٦ .
وانظر : עיון מקרא ופרשנות, עמ' 62.

تشرب من النهر . وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك ... وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً وكان يشرب من النهر " . وبعد فترة من الزمن جف النهر نتيجة لاشتداد الجفاف ، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على ان النبى المنعزل لم ينقطع عن المشاركة المصيرية مع أبناء شعبه المعذبين،فالنبى وهو فى داخل البنية الإعجازية لم يستأصل من تعداد الوجود الإنسانى ، حيث انه بجفاف النهر لايستطيع " إلياهو " البقاء فى مخبأه . وهكذا يمكننا بهذا الحدث أن نحدد انتهاء (القسم) المشهد الأول من قصة الجفاف خلال توقع أكيد لتطور جديد.(١)

القسم الثانى : (٨ - ١٥)

"וַיְהִי דְבַר־יְהוָה אֵלָיו לֵאמֹר. קוּם לֵךְ צָרְפַתָה אֲשֶׁר לְצִידוֹן וְיָשַׁבְתָּ שָׁם הִנֵּה צִוִּיתִי שָׁם אִשָּׁה אַלְמָנָה לְכַלְכְּלֶךָ."

" وكان كلام الرب إليه قائلاً : قم اذهب إلى صرفة التى لصيدون واقم هناك . هوذا قد أمرت امرأة أرملة هناك أن تعولك " .

وهكذا فافتتاحية المشهد الثانى ، الذى خصص لاختباء إلياهو فى صرفة ،تمت صياغتها فى قالب أسلوبى وموضوعى يقابل بداية المشهد الأول ، فالفقرة الثامنة تقابل حرفيا الفقرة الثانية ، كذلك أيضاً أسلوب الأمر بالقيام والذهاب إلى صرفة التى للصيدونيين ، والعيش هناك يقابل أسلوب الأمر بالذهاب والاختباء عند

---

١) هناك نماذج أخرى نجد فيها نهاية " مفتوحة " من هذا النوع ، وتشير فى السامعين رغبة الانتظار والتوقع المستمرة ، كما فى (التكوين ٣٧ : ٢٦ ؛ خروج ١ : ٢٢ ؛ قضاة ١٣ : ٢٠ ؛ ١٥ : ٨ ؛ ١٧ : ٢٢ ؛ صموئيل الثانى ١١ : ٢٦ ؛ ١٣ : ٣٩ ؛ ١٤ : ٢٤ ؛ روث ٣ : ١٨) . والحقيقة ان هذه النهاية مندمجة ومرتبطة بشكل عضوى بما سبقها (الفقرات ٣ و ٤ و ٦ الخاصة بالنهر) وتشير إلى ان الاستمرارية التى بين الفقرات ٢ - ٧ والفقرات ٨ - ١٦ ليست اجراء ثانوياً ولكنها متداخلة فى جوهر القصة .
انظر : עיונ מקרא ופרשנות , עמ' 68.
انظر أيضاً : معارضة "جونكل" الذى يرى أن المشاهد الثلاثة للإصحاح السابع عشر مرتبطة ببعضها البعض برباط هش وضعيف . وذلك فى كتابه :
H.Gunkel, Elias, J.und Baal. Tübingen, 1906, P. 11.

نهر كريث الذى هو مقابل الأردن ؛ وأمر الرب للغربان بإعالة إلياهو (١٧ : ٤) فى المشهد الأول يقابله فى المشهد الثانى الفقره التاسعة " צִוִּיתִי שָּׁם אִשָּׁה אַלְמָנָה לְכַלְכְּלֶךָּ - أمرت هناك امرأة أرملة لاعالتك " .

أيضاً يحاول النص المقرائى إبراز تأكيد إطاعة النبى من خلال أسلوب الأمر : " קוּם לֵךְ צָרְפַתָה " - قم اذهب إلى صرفة - וַיָּקָם וַיֵּלֶךְ צָרְפַתָה - فقام وذهب إلى صرفة " (١٧ : ٩ و ١٠) .

فى الحقيقة فى المشهد الأول نجد تأكيداً بارزاً على طاعة النبى من خلال تكرار " וילך " لكن فى المشهد الثانى لم يحتج النص المقرائى هذا التأكيد ، ربما لجفاف النهر وضرورة الانتقال من هذا المكان .[1] ورغم ذلك يمكننا القول بأن هذين المشهدين بما يحتويا من طابع أسلوبى واحد ، وبما يتضمنه مركزهما من موتيف واحد مشترك (الإعالة الاعجازية) قد تم تشكيلهما كمرحلتين تدريجيتين فى ارتقاء " إلياهو " كشخصية نبوية[2] ، ولتوضيح ذلك نبين أن " إلياهو " عندما وصل إلى مدخل المدينة كان واقع تحت تأثير أعباء الحالة النبوية النموذجية ولو أنها ضئيلة الأبعاد " فالمُرْسَلُ إليه " كلمة الرب لم يكن ملك أو شخصية عامة ، بل أرملة صيدونية ، فكان على النبى الذى أطاع أمر الرب أن يكشف للأرملة كلمة الرب حيث انها لم تكن واعية لأمر الرب له .

ويرى " راشى " ان " إلياهو " تعلم من " אליעזר اليعازر "[3] عبد

---

١) עיונ מקרא ופרשנות , עמ' 69.

٢) אליעזר : اليعازر : اسم عبرى معناه "الله عون " وهو وكيل بيت إبراهيم وخادمه الأمين (تكوين ١٥ : ٢) . وقد أرسله إبراهيم لاحضار زوجة لإسحاق، فذهب إلى فدان آرام وأحضر "رفقة" من هناك .
انظر (تكوين الاصحاح ٢٤)

٢) وتذكر الأجاداه فى تفسيرها لفقرة :"ויהי מקץ ימים ויבש הנחל : وكان بعد مده من الزمان ان النهر يبس"، (١ ملك ١٧ : ٧) ان الرب جعل النهر يجف ليثير شفقة إلياهو على بنى إسرائيل حيث دارت العجلة وعادت عليه بما حكم به بخصوص منع الأمطار ، أما بخصوص انتقاله إلى صرفه ودوره فى ارتقاء شخصيته النبوية فتقول الأجاداه ان الرب رأى ان إلياهو مازالت عنده النية فى عدم الرجوع فى حكمه بمنع الامطار ولذلك أمره بالذهاب إلى صرفة والاقامة هناك . حتى يأسف على موت ابن الأرملة التى أعالته باخلاص ، وهذا الأسف من شأنه ان يثير فى قلبه رحمة كبيرة على العالم كله .
انظر: אגדות היהודים , כרך ג' , עמ' 12 .

إبراهيم ؛ وفى الحقيقة ان أعمالهما تتشابه فى ثلاث نواحى :

أولاً : قدر الأشنان تحديد هوية المرأة بواسطة المحاولة

ثانياً : حدد الاثنان فى محاولتهما على ان المرأة " المرشحة " تناسب مطالبهما حسب رؤيتهما لها ، ففى قصة اليعازر نجد :

" וְהַנַּעֲרָה טֹבַת מַרְאֶה מְאֹד בְּתוּלָה וְאִישׁ לֹא יְדָעָהּ "

- فتاة حسنة المظهر جداً وعذراء لم تعرف رجلاً - (تكوين ٢٤ : ١٦)

وفى قصة إلياهو :

"אִשָּׁה אַלְמָנָה מְקַשֶּׁשֶׁת עֵצִים"

- امرأة أرملة تجمع حطباً - (١ ملك ١٧ : ١٠)[1].

---

١) لم يعلل القاص سبب كون المرأة التى تعول النبى مستقبلاً هى امرأة أرملة بالذات ، لكن محتمل أنه افترض فهم القراء لمقصده ، كما فهموا بدون توضيح منه سبب كون العروس المنتظرة حسنة المظهر وعذراء . ويتضح إذاً ان " אלמנה - أرملة " تدل هنا على وضع اجتماعى أكثر مماتدل على حالة عائلية . ونخرج من ذلك ان الفكرة التى تضمنتها معنى الفقرة " צויתי שם אשה אלמנה לכלכלך " ١ ملك ١٧ : ٩.هى تاكيد أن المرأة فقيرة جداً وتحتاج إلى من يحميها . قارن خروج ٢٢ : ٢١ - ٢٣ ؛ تثنية ٢٤ : ١٧ - ٢٢ ؛ ٢٦ : ١٢ - ١٣ ؛ اشعيا ١ : ١٧ ، ٢٣ ؛ ايوب ٢٩:١٣. أما كونها " تجمع حطباً " فاحتمال أنه تعبير إضافى عن فقر الأرملة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يحتمل أيضاً ان هذا ليس إلا علامة لارشاد النبى إلى أن الأرملة التى تقف عند مدخل المدينة على وشك أن تخبز خبزاً. وربما كانت كلمة " الأرملة " العبرية "אַלְמָנָה " تتصل فى أصلها بصفة تعنى " الخرس " فمن المحتمل ان كلمة الأرملة تتصل بكلمة אִלֵּם " وتعنى " البكم ، الخرس " . ويبدو أن مؤلفى معجم اكسفورد العبرى يفضلون هذا الأصل لكلمة الأرملة ، حيث انهم يرجعون الكلمتين إلى أصل واحد . وإذا كان تحليل اللفظ على هذا النحو سليما ، فإنه يبدو حينئذ ان المعنى العبرى لكلمة الأرملة هو " المرأة الصامته " . وهنا يتسنى لنا أن نتساءل : لماذا يتحتم أن ترتبط كلمة الأرملة بالصمت ؟ والافتراض المقبول ان هذه التسمية يمكن أن يفسرها انتشار العادة التى تفرض الصمت على الأرملة لبعض الوقت ، وربما كان لوقت طويل ، بعد وفاة زوجها .
انظر : جيمس فريزر . الفولكلور فى العهد القديم ج ٢ . ترجمة د . نبيلة ابراهيم . مراجعة د. حسن ظاظا . الهيئة المصرية العامه للكتاب القاهرة سنة ١٩٧٤ . ص ١٢٠
وانظر : עיוני מקרא ופרשנות , עמ' 69.

ثالثاً : كوّن الاثنان انطباعا بأن هذا اللقاء يبشر بالنجاح ، فيما بين لحظة وصولهما إلى البئر ووقت ظهور " المُرَشَّحة " : ففى قصة " اليعازر " :

" וַיְהִי־הוּא טֶרֶם כִּלָּה לְדַבֵּר וְהִנֵּה רִבְקָה יוֹצֵאת "

- وكان أنه لم يفرغ بعد من الكلام وإذا رفقة خارجة " (تكوين ٢٤ : ١٥)

وفى قصة إلياهو :

" וַיָּבֹא אֶל־פֶּתַח הָעִיר וְהִנֵּה־שָׁם אִשָּׁה אַלְמָנָה "

" وجاء إلى باب المدينة وإذا بامرأة أرملة هناك " (١ ملك ١٧ : ١٠).

ومن ناحية أخرى كانت أهدافهما مختلفة " فاليعازر " طلب عروس لابن سيده ، ولذلك أدخل الفتاة فى إمتحان أخلاقى (راجع التكوين ٢٤ : ١٧ - ٢٧) ، بينما إلياهو يبحث عن المرأة التى يمكن اقناعها باطاعة أمر الرب ، ولذلك أدخل الأرملة فى امتحان عقائدى ، ذلك انه حينما أدرك ان الأرملة مستعدة لوقف جمع الحطب لكى تسقى الغريب بالماء ، أسرع بوضعها أمام تحدٍ صعب وهو : إعطاء كسرة خبز لجائع فى وقت المجاعة ، وحسبما أنه تعرف عليها من علاماتها الخارجية التى لم يهتم القاص بذكرها[1]. كذلك هى أيضاً أدركت أنه نبى الرب أو على أية حال إسرائيلى من عبدة الرب[2]، فقد اقسمت بربه بأنه ليس لديها إلا القليل ، وتقصد كسرة خبزها الأخيرة ولذلك فهى غير ملتزمة بإكرام الضيف " וַתֹּאמֶר חַי־יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אִם יֶשׁ־לִי מָעוג כִּי אִם־מְלֹא כַף־קֶמַח בַּכַּד וּמְעַט־שֶׁמֶן בַּצַּפַּחַת- فقالت:"حى هو الرب إلهك انه ليس عندى كعكة ولكن ملء كف من الدقيق فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز " (١ ملك ١٧ : ١٢)[3].

---

١) عن ملابس الترمل ، قارن تكوين ٣٨ : ١٤ ؛ صموئيل الثانى ١٤ : ٢ و ٥ ؛وهو أيضاً فى الخروج ٢ : ٦ لم يذكر على أى أساس حددت ابنة فرعون أنه " من أولاد العبرانيين " .

٢) عن الهيئة النبوية لإلياهو انظر الملوك الثانى ١ : ٨ ، وعن رداءه النبوى انظر الملوك الأول ١٩ : ١٩ ، الملوك الثانى ٢ : ١٣ - ١٤ .

٣) يبدو أن كونها أرملة يعطى انطباعا بانها أكثر ضرراً - من أى شخص آخر - من أزمة الجفاف ، ولذلك يتضح لماذا لم يتبق لها ولابنها مايكفى لوجبة واحدة فقط ، ويرى " جونكل H. Gunkel " فى هذا الأمر وسيلة لتضخيم المعجزة فيقول : " ان الرب يحب أن يحدث معجزاته بواسطة وسائل صغيرة وغير ملحوظة ، من أجل أن ندرك عظمته وقوته فى وضوح شديد " . وفى الحقيقة ==

فى الحقيقة لم يبد إلياهو أى تذمر حيث لم ير فى رفضها أية مرارة ، بل على العكس أحسن من التعامل مع خوفها وضائقتها :" וַיֹּאמֶר אֵלֶיהָ אֵלִיָּהוּ אַל־תִּירְאִי " وقال لها إلياهو لاتخافى " (١ ملك ١٧ : ١٣)[١] . ولذلك قلل إلياهو من طلبه لكى يدفعها إلى الاستجابة له : אַךְ עֲשִׂי לִי־מִשָּׁם עֻגָה קְטַנָּה - لكن اعملى لى منها كعكة صغيرة " . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أكد لها ان أمر الرب يشمل تعريفها بحق الأولوية لنبيه " עֲשִׂי לִי ---- בָּרִאשׁוֹנָה -- וְהוֹצִיאת לִי וְלָךְ וְלִבְנֵךְ תַּעֲשִׂי בָּאַחֲרוֹנָה - اعملى لى ... أولاً واخرجى بها إلىّ ، ثم اعملى لك ولابنك أخيراً " (١٧ : ١٣) ، وهكذا نجد فى هذا الأمر اختباراً للتعبير عن الاعتراف بأن الرب إله إسرائيل وليس " بعل "، هو الذى يمنح المطر : " כִּי כֹה אָמַר יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל כַּד הַקֶּמַח לֹא תִכְלֶה וְצַפַּחַת הַשֶּׁמֶן לֹא תֶחְסָר עַד יוֹם תֵּתֵן־יְהוָה גֶּשֶׁם עַל־פְּנֵי הָאֲדָמָה : لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل إن كوار الدقيق لايفرغ وكوز الزيت لاينقص إلى اليوم الذى فيه يعطى الرب مطراً على وجه الأرض " (١٧ : ١٤) .

وعليه فاختبار عقيدة الأرملة كان اختبار لنبوة إلياهو ، وبطاعتها لكلامه أصبح نجاحها نجاحا لنجاحه ، وقد تحققت معجزة تكثير القمح والزيت بنفس الطريقة التى تحققت بها من قبل معجزة إعالة " إلياهو " على يد " الغربان "، لكن عند نهر كريث وقعت المعجزة فقط للنبى ، بينما تكثير القمح والزيت وقع للأرملة ولابنها من أجل النبى وبواسطته . "וַתֵּלֶךְ וַתַּעַשׂ כִּדְבַר אֵלִיָּהוּ וַתֹּאכַל הוּא־וָהִיא וּבֵיתָהּ יָמִים. כַּד הַקֶּמַח לֹא כָלָתָה וְצַפַּחַת הַשֶּׁמֶן לֹא חָסֵר כִּדְבַר יְהוָה אֲשֶׁר דִּבֶּר בְּיַד אֵלִיָּהוּ"[٢] - فذهبت وفعلت حسب قول إلياهو

=) ربما لو كان لدى الأرملة قدور مليئة بالطعام ، ولم كان هناك داع للمعجزة كما سيتضح فيما بعد أنه لايجب رؤية جوهر هذا المشهد فى معجزة القمح والزيت ، بل فى طاعة أمر الرب ، وهذه الطاعة مرتبطة ربما بالخنوع المميز لأرملة فقيرة .

انظر : H.Gunkel: Elias, J.und Baal, P. 10.

١) עיון מקרא ופרשנות , עמ' 70.

٢) الملوك الأول ١٧ : ١٥ - ٦

وأكلت هى وهو وبيتها أياماً . كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذى تكلم به عن يد إ ليا هو " . وفى ختام هذا المشهد ومن خلال التنسيق البنائى ، نلاحظ قمة الوضوح فى الانتقال من سلبية " إليا هو " إلى فعاليته حيث تم الانتقال من ارتباطه بمياه نهر كريث إلى ارتباطه باستجابة الأرملة الأجنبية ، علاوة على ذلك حرص القاص على توضيح ان الأرملة عملت حسب قول إليا هو : "וַתַּעֲשֶׂה כִּדְבַר אֵלִיָּהוּ - " (١٧ : ١٥) ، وإن تكثير القمح والزيت قد تم "כִּדְבַר יְהוָה - حسب قول الرب " (١٧ : ١٦) ، وهذا التوضيح من القاص يعيدنا إلى تذكر إعلان النبى للملك الذى ينتهى بالكلمات " כִּי אִם-לְפִי דְבָרִי - بل حسب قولى " (١٧ : ١) ، هذا الربط المصاحب للحدثين هدف إلى تحويل اهتمامنا إلى التماثل الأساسى بين الحالتين ، وهو بذلك يقدم لنا أول إشارة إلى أن المواجهة بين " إليا هو - الأرملة " ليست إلا نسخة مصغرة للمواجهة الحاسمة - التى تأخذ استمراريتها من هذه الخلفية - بين النبى وملك إسرائيل . وبمفهوم آخر ان " آحاب " سيحظى ببركة المطر عندما يصل به " إليا هو " إلى درجة إيمان الأرملة الصيدونية ، فيعترف بواجباته والتزاماته تجاه إله إسرائيل الذى يمنح بركة المطر .

وهكذا ينتهى هذا المشهد بكلمة " יָמִים - أيام " (١٧ : ١٥) مثلما انتهى المشهد الأول بها (١٧ : ٧) فنهاية فقرات المشهد الأول : וַיְהִי מִקֵּץ יָמִים וַיִּבַּשׁ הַנַּחַל - وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس . ونهاية فقرات المشهد الثانى : וַתֹּאכַל הוּא-וְהִיא וּבֵיתָהּ יָמִים - وأكلت هى وهو وبيتها أياماً - وبالرغم من هذا التنسيق الأسلوبى إلا اننا نجد ان نهاية فقرات المشهد الأول نهاية " مفتوحة " بينما نهاية فقرات المشهد الثانى مغلقة .(١٧ : ١٥).[1]

فقرات القسم الثالث : (١ ملك ١٧ : ١٦ - ٢٤)

على الرغم من توقعنا - الذى قام على نهاية فقرات القسم الثانى - بأن التعايش بين النبى والأرملة سيستمر حتى نهاية فترة الجفاف بدون شىء يعوقه إلا اننا نفاجأ بملك الموت ينقض عليهم :

---

١) עיון מקרא ופרשנות. עמ' ١٢.

וַיְהִי אַחַר הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה (١) חָלָה בֶּן־הָאִשָּׁה בַּעֲלַת הַבַּיִת (٢) וַיְהִי חָלְיוֹ חָזָק מְאֹד עַד אֲשֶׁר לֹא־נוֹתְרָה־בּוֹ נְשָׁמָה - وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم يتبق فيه نسمة " (١٧ : ١٧) وهكذا حدثت الأزمة بين الأرملة والنبى ، وخطورة هذه الأزمة فى ان الأرملة ربطت موت ابنها بمجيء " إلياهو " إلى بيتها حيث ذكرها بإثمها ، الذى لم يجد القاص ضرورة لتفصيله)(٣): וַתֹּאמֶר אֶל־אֵלִיָּהוּ מַה־לִּי וְלָךְ -

---

١) " ויהי אחר הדברים האלה " وهذا التعبير يستخدم للربط الثانوى الإعدادى للقصص المستقلة (انظر : ١ ملك ٢١ : ١ ، يهوشع ٢٤:٢٩) لكنه ورد هنا أيضاً من أجل الانتقال من مرحلة إلى اخرى داخل الاستمرار القصصى (انظر تكوين ٣٩ : ٧ ، ٤٠ ، ١) . وأيضا التعبير "ויהי אחרי כן" ورد فى المقرأ باستخدامين : صموئيل الثانى ١٩ : ١٨ وهو نموذج بارز للربط الإعدادى (وانظر أيضا صموئيل الثانى ٨ : ١)؛ بينما ورد فى بداية صموئيل الثانى ١٥ : ١ (وربما أيضاً صموئيل الثانى ٢ : ١) منتسبا إلى جوهر القصة .

٢) لانعرف لماذا أطلق هنا على الأرملة " הָאִשָּׁה בעלת הבית " (١٧ : ١٧)، لكن واضح اننا لانرى فى ذلك بقايا لاستقلال المصدر الخاص بمسألة الإحياء ، لانه فى استمرار القصة يطلق عليها أيضاً " האלמנה (١٧ : ٢٠) والحقيقة أنه بعد ذلك يتحدث النص القرائى عن " المرأة " " הָאִשָּׁה " (١٧ : ٢٤) وهذا يشير إلى ان القاص استخدم أسلوب متنوع غير قابل للتوضيح . وربما نفهم من ذلك أيضاً التغيير "מעוג / עוגה كعكة " الذى ورد فى المشهد الثانى (الفقرة ١٢ - ١٣) .

٣) لربط مدلول الذنب بمفهوم قوة ماهيته . قارن بشكل خاص تعريف التقدمة المقدمة من الزوج الذى يغير على زوجته بـ (تقدمة تذكار تذكر ذنباً - عدد ٥ : ١٥) ؛ وكما ان القوة الدينية للإثم الخاص بالسوطا (المرأة المنحرفة) هو شرط مسبق لعقابها ، كذلك تلقى بنو إسرائيل الأمر على مر الأجيال بتذكر مافعله بهم العماليق ، على أساس ان الذكرى الحية للاثم ستؤدى إلى إحياء ماقام به الآثمين (تثنية ٢٥ : ١٧ ؛ وقارن أيضاً حزقيال ٢١ : ٢٩) ومن المتعارف عليه ان النبى الذى يعنف بنى إسرائيل على خطاياهم ، ويبشرهم بالعقوبة القريبة يذكر الآثام والذنوب بواسطة كلامه ، بينما " إلياهو " فعل ذلك فى بيت الأرملة بواسطة وجوده عندها (قارن ذلك مع القصة التالية) : اثنان من بنى آدم قالوا كلام واحد : وهما " لوط " " وصرفيت " : صرفيت قالت : حتى قبل مجيئك عندى كان الرب يرى أعمالى وأعمال مدينتى ، وكانت أعمالى أكثر من أعمال مدينتى، الآن بعد مجيئك ذكرت أثمى وأمِتّ ابنى ! لوط قال : حتى قبل ذهابى عند إبراهيم ==

אִישׁ הָאֱלֹהִים בָּאתָ אֵלַי לְהַזְכִּיר אֶת־עֲוֹנִי וּלְהָמִית אֶת־בְּנִי-

فقالت إلياهو مالى ولك يارجل الله . هل جئت إلى لتذكير إثمى وإماتة ابنى " (١٧ : ١٨) . هذا الرد من جانب الأرملة ينكر تماماً استجابة النبى الأولى ويبين ان الأرملة فى داخلها لم تكن تريد إدخاله بيتها ، ويؤكد ذلك انها بجانب البئر استحلفته أن يتركها هى وابنها فى حالهما ،لأن مشاركته لهما فى كسرة خبزهما الأخيره ستكسر - فى رأيها - من موتهما المنتظر ، حيث قالت" וְאֹכְלֶנָּהוּ וָמֵתְנוּ- - وناكله ثم نموت " (١٧ : ١٢) وهو أجابها "אַל־תִּירְאִי - لاتخافى " (١٣:١٧) وإجابته هذه تلقى الضوء الآن على الفزع الذى اجتاح الأرملة " בָּאתָ אֵלַי --- לְהָמִית אֶת־בְּנִי - جئت إلىّ لإماتة ابنى "(١).

فى رد إلياهو على الأرملة " תְּנִי לִי אֶת־בִּנֵךְ - اعطنى ابنك "(٢)

=) كان الرب يرى أعمالى وأعمال مدينتى ، وكانت أعمالى أكثر من أعمال مدينتى ، الآن بذهابى عند إبراهيم ، فان أعماله كثيرة وأنا لا أستطيع مضاهاته (اى التغلب على توهجه).

انظر : בראשית רבה, מהדורת טהעאדאר - אלבעק, ירושלים תשכ"ה, נ', י"א .

وفى الإصحاح (١٨) ستظهر العلاقة بين تذكير الإثم فى الإصحاح (١٧) واتهام النبى بـ " معكر إسرائيل " من قبل آحاب .

١) وضع الأرملة هنا هو وضع الإنسان الذى تعرض وجوده وكيانه للخطر ، لذا فان أهمية القيم تتغير أمام عينيه ، ودائرة اهتمامه تنحصر بالضرورة فى المشاكل الحياتية للإنسان - ومن هنا كانت هذه الزاوية فوق الزمان والمكان وكل التحديدات فى تصويرها للكفاح الأبدى المستمر بين الخير والشر ، بين الحقيقة والكذب ، بين السلبية والإيجابية ، بين كل ماهو أبدى وكل ماهو عابر .

٢) وتذكر الأجاداه (ירושלמי, דפוס קראטאשין, תרכ"ו, סוכה פ"ה, נה, א) ان هذا الأبن هو الذى أشتهر فيما بعد باسم "יונה הנביא - يونا النبى " ، ويؤكد ذلك " הירונימוס - هيرونيموس " فيقول فى مقدمة تفسيره لسفر "يونا" ان الاسم " אמיתי - أمتاى " له علاقة بكلمة " אמת " المذكوره فى (١ ملك ١٧ : ٢٤) . (وجدير بالذكر ان النبى يونا قد عاصر يربعام الثانى ملك إسرائيل فى القرن الثامن ق.م) . وفى مقابل ذلك ورد فى مدراش قوهيلت زوطا (קהלת זוטא, מדרש, מהד' בובר, ברלין, 1894, עמ' 8, 10) إن ابن الأرملة الصيدونية كان خاطئاً ، بينما تؤكد مصادر ==

(١٧ : ١٩) نلمس امتناعه عن الدخول معها فى خصام أو نزاع بسبب كلامها العنيف وأيضا استجابته العملية لها التى لم تصاحبها هذه المرة تأكيد بوعد أياً كان ، ولكن كان عنده بصيص من الأمل تمثل فى قدرته على الصلاة والنضال مع ربه من أجل إحياء الولد ، لكن عودة الأرملة إلى أسلوبها العدائى تجاه النبى ووصفه كمن يحمل الموت على أجنحته ،وضع النبى أمام امتحانه النبوى الثانى والأكثر صعوبة من الأمتحان الأول ، فاتهامات الأرملة (الفقرة : ١٨) ترجع صدى الاتهامات التى وجهت إلى موسى عليه السلام مع بداية عمله النبوى فى مصر (راجع الخروج ٢ : ١٤ ؛ ٥ : ١٢) ومرات أخرى كثيرة أثناء الأزمه فى الصحراء (راجع الخروج ١٤ : ١٢ ؛ ١٧ : ٣ ؛ عدد ١٧ : ٦) وفى الحقيقة إن رد فعل النبيان فى المواجهة الأولى كانت متشابهة ففى البداية التزام الصمت تجاه المتذمرين (خروج ٥ :٢٢) ثم صرخة للرب بعد ذلك ؛ هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فان لغة ومضمون صلاتهما متشابه إلى حد كبير :

- موسى " אֲדֹנָי לָמָּה הֲרֵעוֹתָה לָעָם הַזֶּה לָמָּה זֶּה שְׁלַחְתָּנִי . וּמֵאָז בָּאתִי אֶל פַּרְעֹה לְדַבֵּר בִּשְׁמְךָ הֵרַע לָעָם הַזֶּה , וְהַצֵּל לֹא־ הִצַּלְתָּ אֶת עַמֶּךָ. ربى لماذا أسأت إلى هذا الشعب . لماذا أرسلتنى ؟ فإنه منذ أن جئت إلى فرعون لأتكلم باسمك . أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك " (خروج ٥ : ٢٢ - ٢٣) .

=) اخرى (ירושלמי, פרק' דברי אליהו) ان الارملة كانت من سبط " آشير אשר " وبعلها الراحل كان من سبط " زبولون זבולון " اما بخصوص الرأى الذى يقول بان ابن الأرملة هو الذى سيصبح مستقبلاً " المسيح بن يوسف משיח בן יוסף (מסכת גיטין, שצח' ملاحظة 38) فانه يقوم أساساً على الكلمات التى ذكرها إلياهو للأرملة : אף עשי לי משם עוגה קטנה בראשונה - لكن اعملى لى منها كعكة صغيرة أولاً "(١ ملك ١٧ : ١٣) ويذكر التفسير ان فى هذه الكلمات اشارة إلى أن إلياهو سيكون فى آخرة الأيام المبشر الذى يسبق بمجيئه مجيء المسيح . لكن وفقاً لـ תוספתא תרגום للملوك الأول : ان إلياهو قال لها انه كاهناً ولذلك عليه أن يأخذ نصيبه أولاً (انظر : عدد ١٥ : ٢٠) أى على الأرملة تخصيص فطيرة من العجينة له ثم بعد ذلك يمكن للابن الأكل منها .

انظر : סדר אליהו רבה, מהד' איש שלום, וינה 1900 פרק 18, עמ' 97-96.

- إلياهو: " יְהוָה אֱלֹהָי הֲגַם עַל-הָאַלְמָנָה אֲשֶׁר-אֲנִי מִתְגּוֹרֵר עִמָּהּ הֲרֵעוֹתָ לְהָמִית אֶת-בְּנָהּ - ربى إلهى أيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها ؟ (١ ملك ١٧ : ٢٠) .

نسب النبيان الإساءة التى حلت على رعيتهم الى من أرسلهما، خلال تأكيد العلاقة السببية بين هذه الإساءة ورسالتهما : "מֵאָז בֹּאתִי " منذ أن جئت ... אֲשֶׁר אֲנִי מִתְגּוֹרֵר עִמָּהּ التى أنا نازل عندها " ، من ناحية أخرى لم ينسق موسى وراء لغة الخوف فى شكوى جنود بنى إسرائيل " לְהָרְגֵנוּ - لقتلنا - (خروج ٥ : ٢١) . بينما " إلياهو " أعرب عن إنحيازه المطلق للأرملة حيث كرر كلامها فى صلاته : " לְהָמִית אֶת-בְּנָהּ - لإماتة ابنها " (١٧ : ٢٠) أما كلمة " גַּם - أيضاً " التى وردت على لسانه فقد جاءت كما يبدو لتدل على الشمولية الكاملة للإساءة[1]، أما قوله " אֲשֶׁר אֲנִי מִתְגּוֹרֵר עִמָּהּ - التى انا ساكن معها " فهو يبرز الفرق بين الموت نتيجة للجفاف وكارثة المرأة الجديرة بالانفراد بالخير لأنها تعوله .

وقد استجاب الرب لكلمات " موسى " بكلمات واضحة (خروج ٦ : ١) بينما تطلع " إلياهو " إلى اصلاح الآثام من أجل إحياء الولد ، ولذلك أدمج العمل بالحديث وحاول بكل مافى وسعه إعادة الغلام إلى الحياة ، فتمدد ثلاث مرات على الغلام ، ولما لم يكن ذلك كافياً ، دعا ربه ، وهذه المرة خلال نغمة مختلفة تماماً " יְהוָה אֱלֹהָי תָּשָׁב-נָא נֶפֶשׁ-הַיֶּלֶד הַזֶּה עַל קִרְבּוֹ - يارب . إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه " (١٧ : ٢١)[2] وفى هذا الدعاء اختفى تماماً

---

١) الباحثون الذين يفصلون هذا المشهد عن قصة الجفاف لايبحثون كلية فى وجود كلمة " גַּם " التى تنتسب بوضوح إلى الإساءة العامة ، سواء أكانت الكلمة هنا بمعنى " בנוסף ל .. بالإضافة إلى " . أو بمعنى " אֲפִילוּ حتى (قارن أشعيا ١ : ١٥) . لكن بصعوبة كبيره ممكن أن تناسب هنا الدلالة النادرة " דַּוְקָא - بالذات " (قارن عدد ٢٢ : ٣٣) .

٢) مما يفصل بين صلاتى النبى ودعوته هو محاولته للعلاج العملى ، وتكرار القاص للكلمات : "ויקרא אל יהוה ויאמר " (الفقرة : ٢١) ،وتكرار النبى لكلمات دعوته : " יהוה אלהי " يجعلنا نلمس الفجوة بين صلاتى النبى حينما نقارنها مع شكوى موسى " לָמָּה הֲרֵעוֹתָה - וגו' " (خروج ٥ : ٢٢) وعند مرض أخته المجذومة " אֵל נָא רְפָא נָא לָהּ " اللهم اشفها " (عدد ١٢ : ١٣) .

==

عبء ذكر احسان الأرملة ومصير النبى ، حيث ان كل شئ يتركز فى تضرع النبى من أجل احياء هذا الولد ، وهذا التركيز يبدو من وجود كلمة " הַזֹּאת هذا" التى تمنح صلاة الياهو كامل قوتها . وفى الحقيقة هذه الصلاة تم قبولها ، واستجابة الرب لدعاء نبيه أكدت كما أكدت من قبل استجابة الرب لقول نبيه : "וַיִּשְׁמַע יְהוָה בְּקוֹל אֵלִיָּהוּ וַתָּשָׁב נֶפֶשׁ־הַיֶּלֶד עַל קִרְבּוֹ וַיֶּחִי־ فسمع الرب صوت " الياهو " فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش". (١٧ : ٢٢)(١). ولم يذكر النص المقرائى شيئا ما عن مشاعر النبى ازاء احياء الولد ، وربما افترض القاص ان القارىء سيتهمه بالاطالة أو وضع أحداث ثانوية فى القصة ،ولذلك أهتم القاص بذكر كيفية أخذ الياهو الولد ، ونزوله به من العليه واعطائه لأمه

=) هذا وقد كان " الياهو " عرضة للخطأ ، حيث ظن ان الرب أساء إلى من عمل معه خيراً ، غير أنه تبين له بعد ذلك ان ماظنه سوءاً كان خيراً لأنه لولا الجوع لما تعرفت المرأة على رجل الله . ولولا موت الولد لماعرفت المرأة قوة الله وقدرته وعظمته . فالحياة وحدها من الله،وهو وحده القادر على أن يبعث من الموت . أما " إلياهو " فيعتبر رجل الله وخادمه والواسطة التى بها أقام الله الولد من الموت .

١) وتذكر الأجاداه ان الرب قال لإلياهو بعد صلاته من أجل إحياء ابن الأرملة : هل تعرف ان الاموات لايحيييون إلا بالمياه ؟ فاعرف أيضاً أنه إن فتحت السماء للطل والمطر فإنى أحى ابن الأرمله بالطل (ירושלמי, דפוס־קראטאשין, תרכ"ו, ברכות פרק ה', ב, תענית, פרק־ד', סג, ד') ، وهناك صيغة أخرى لهذه الأجادات تقول : ثلاثة مفاتيح لاتسلم للرسول : (أ) مفتاح المولدة . (ب) مفتاح الأمطار (ج) مفتاح إحياء الموتى . وقد سلم الرب مفتاح الأمطار إلى إلياهو،أى لاتسقط أمطار إطلاقاً إلا حسب قوله . وعندما مات ابن الأرملة طلب إلياهو من الرب اعطائه مفتاح إحياء الموتى ، فقال له الرب : هل يجوز مفتاحين عند التلميذ ومفتاح واحد عند المعلم ؟ بل اعد مفتاح الأمطار ـ وخذ مفتاح إحياء الموتى ـ فأعاد إلياهو مفتاح الأمطار .

انظر : מסכת סנהדרין, ק'ג, א; דברים רבה, ז, ו; פס־קתא רבתי, מהד' איש שלום, וינה 1880, פרק מ"ב, קעח, א; מדרש תהלים, מהד' בובר, מדרש תהלים המכונה שוחר טוב, וילנה 1891, עמ' 346.

وقد ذكر فى مدراش تنحوما انه لاتسلم أربعة مفاتيح للرسول :
(أ) مفتاح الاعالة ،(ب) مفتاح الامطار ،(ج) مفتاح القبور ،(د) ومفتاح العقم (פיקוד עקרות)

انظر : מדרש תנחומא הקדום והישן, מהד' בובר, וילנה 1885, בראשית, 106.

وقوله لها : "רְאִי חַי בְּנֵךְ" - انظرى ابنك حى" (١٧ - ٢٣) ؛ هذا الاهتمام من القاص يدفعنا إلى الملاحظة بأن تركيز النبى كان على الولد وأمه ومعجزة الإحياء ، مثلما حدث نفس الأمر مع موسى بعد شق بحر سوف (راجع خروج ١٤ : ٣٠ - ٣١) : ومن المثير للجدل ان " إلياهو " قد حظى مرة ثانية باعتراف الأرملة بانه " رجل الله " ، ومن المثير أيضاً تناقض قول الأرملة فى الفقرة (٢٤) "עַתָּה זֶה יָדַעְתִּי כִּי אִישׁ אֱלֹהִים אַתָּה" - هذا الوقت عرفت انك رجل الله " . مع قولها له فى صورة تحدى فى الفقرة (١٨) "מַה-לִּי וָלָךְ אִישׁ הָאֱלֹהִים" - مالى ولك يارجل الله " . لكن هذا التناقض يبدو ظاهرياً فقط أو وهمياً لأن الأرملة لم تشكك فى قدرته غير البشرية فى اللحظة الحاسمة التى نسبت فيها موت ابنها إلى حقيقة كونه رجل الله . لانها بعد ذلك أدركت تماماً ان قوته ليست مخصصة للإساءة ، وأنه رجل الله بالمفهوم الكامل لهذه الكلمات (١) .

---

١) ليس نادرا فى لغة المقرا ان تأتى كلمة واحدة مرتين فى نفس السياق بتنوع واضح فى دلالتها ، ففى المرة الأولى تأتى بالدلالة الرئيسية الأساسية وفى المرة الثانية تأتى بدلالة مهبة مستعارة ،على سبيل المثال : אוֹלַי יִשְׁמַע (= יַפְנִים וַיַּגִּיב) יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֵת כָּל דִּבְרֵי רַבְשָׁקֵה ... וְהוֹכִיחַ בַּדְּבָרִים אֲשֶׁר שָׁמַע (= שָׁמַע מָמָשׁ) יְהוָה אֱלֹהֶיךָ - لعل الرب إلهك يسمع جميع كلام ربشاقا ... فيوبخ على الكلام الذى سمعه (الرب إلهك) . (٢ ملك ١٩ : ٤ ، وقارن أيضاً هناك ؛ ١٦ ؛ ٢١) .وكذلك וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אֶל הָעָם: אַל תִּירְאוּ (במיבן שֶׁל פַּחַד מָמָשׁ) כִּי לְבַעֲבוּר נסות אתכם בא האלהים ، ובעבור תהיה יראתו (במובן של יראת שמים) על פניכם לבלתי תחטאו - فقال موسى للشعب لاتخافوا (اى يقصد خوفاً حقيقياً) لان الله جاء لكى يمتحنكم ؛ ولكى تكون مخافته (بمعنى مخافة السماء) أمام وجوهكم حتى لاتخطئوا "(خروج ٢٠ : ٢٠). هذه السيولة الدلالية تعكس الاستخدامات التى نطلق عليها "تكراراً فكرياً".وكذلك فقرتنا (١ ملك ١٧ : ٢٤) اتخذت هذه الطريقة فى التعبير عن فكرتها ، أى "أرادت القول : " إنك رجل الله حقاً وكاملاً " .

انظر : עיונ מקרא ופרשנות , עמ' 75.

أما قولها " וּדְבַר־יְהוָה בְּפִיךָ אֱמֶת - كلام الرب فى فمك حق " (١٧ : ٢٤) فهى هنا لاتقصد الإشارة إلى الوفاء بوعده بخصوص تكثير القمح و الزيت فهذا لم يكن إلا برهاناً شكلياً لحقيقة رجل الله ، ولكنها كانت تقصد هنا إحياء الولد الذى أكد حقيقة اليقين الداخلى بأنه رجل الله ، أى انها أرادت القول بأن " מִשְׁפְּטֵי־יְהוָה אֱמֶת - أحكام الرب حق عادلة - (مزامير ١٩ : ٩)؛وبكلام الأرملة وصل هذا المشهد (القسم) إلى نهايته وهو يذكرنا بالنهاية المغلقة للمشهد (للقسم) الثانى من ناحية الارتباط القوى على المستوى الشكلى،من حيث انتسابه إلى " דְּבַר־יְהוָה - كلمة الرب"ليختتم بها المشهدين ، واتصال المشهد الأول بالمشهد الثانى بواسطة العامل الزمنى " יָמִים - أيام " فى نهايتهما يشير إلى الاستمرارية بين مشاهد القصة أو أجزاءها[1].

وقد ظهرت قوة روح " إلياهو " وزروة انجازاته فى النتائج الباهرة التى حصلت للأرملة وابنها ، فالأرملة أدركت خطيتها وقبلت حق الله ، والابن بعد ان مات قام من بين الأموات . وهكذا نجح إلياهو فى هذا التحدى العظيم الذى مهد إلى عودته المنتظرة لشعبه ، واعتراف "احاب وبنى إسرائيل بالرب وبإلياهو عبده.[2]

بعد استعراضنا للإصحاح (١٧) يمكننا القول بأن هذا الاصحاح متماسك من ناحية الأسلوب و البناء و الموضوع ، وقد استخدم فيه الجفاف كنقطة البدء وخلفية للمشاهد الثلاثة (١ - ٧ ؛ ٨ - ١٦ ؛ ١٧ - ٢٤) أما جوهر حقيقة كلمة الرب ومقدار طاعته فانهما يشكلان موتيفاً مركزياً وحد هذه المشاهد (الفترات ٢ ؛ ٥ ؛ ٨ ؛ ١٠ ؛ ١٤ ؛ ١٦ ؛ ٢٤) ، وربطها بالحبكة الرئيسية للقصة (١٧ - ١ ؛ وكذلك الإصحاح ١٨ : ١) ، أما الوحدة الموضوعية فان إلياهو بإعلانه عن الجفاف فى وجه الملك ليس إلا مجرد رسول ينقل كلمة الرب - وهو هنا يشبه " واحداً من بنى الأنبياء " الذى أرسله اليشع لمسح " ياهو " : (الملوك الثانى ٩ :١ - ١٢)ولكن

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 75.

٢) The Expositor's Bible, PP. 303-304.

هذا الموقف استدعى من النبى شجاعة واقدام ، ثم هو باختبائه عند نهر كريث يكرس حياته الخاصة لمتطلباته الرسالة النبوية كمصير الأنبياء قبله وبعده ، بينما وهو فى صرفة أصبح فعالاً ومستقلاً بشكل ملحوظ ،فعندما أطاعت الأرملة أوامره، وعندما استجاب الرب لصلاته ، أدرك إلياهو - ومعه القارىء أيضاً - أنه يُعتمد عليه نبياً للرب .

إلياهو ومعجزة المطر (١ ملك الإصحاح ١٨)

تبدأ فقرات الجزء الثانى من قصة الجفاف بالفقرة الأولى من الإصحاح (١٨)، وقد اختلف معظم الباحثين فى محاولاتهم لتقسيم هذا الفصل إلى مشاهد درامية[١]. حتى ان التقسيم المقبول الذى يفترض ان التغييرات فى تجميع شخصيات هذا الجزء تشير خطوط تقطيعها إلى ستة مشاهد قد أخطأت فى الربط بين استمرارية هذه المشاهد واتجاهاتها : ١ - (الرب - إلياهو ١ - ٢) ٢ - (آحاب - عوبديات ٣-٦) ٣ - (إلياهو - عوبديا ٧ - ١٥) ٤ - (إلياهو - آحاب ١٦ - ٢٠) ٥ - (إلياهو - جموع الشعب - وأنبياء بعل ٢١ - ٤٠) ٦ - (إلياهو - آحاب؛ إلياهو والغلام ٤١ - ٤٦).

ولكن استعراضنا لهذه المشاهد من ناحية الأسلوب والبناء والموضوع سيقودنا إلى التقييم الصحيح لأحداثها ورؤية مدى وحدة هذه العناصر الثلاثة[٢].

---

١) يرى جونكل إن التقسيم يجب أن يكون : (١ - ٦) ؛ (٧ - ١٥) ؛ (١٦ - ٢٠) ؛ (٢١ - ٤٠) ؛ (٤١ - ٤٦) بينما يرى جرسمان غير ذلك حيث اتبع تقسيم آخر (١ - ٢ אַ) ؛ (٢ בַ - ١٥) ؛ (١٦ - ١٩) ، (٢٠ - ٤٠) ، (٤١ - ٤٦) وقد سار " فورر " فى أعقابه، إلا أنه قسم المشهد (٢ בַ - ١٥) إلى مشهدين : (٢ בַ - ٦) ، (٧ - ١٥). وهؤلاء الثلاثة لم يستندوا فى تقسيمهم هذا على مبادىء واضحة ونقط الخلاف بينهم مازالت تتطلب البحث .

انظر: × עיון מקרא ופרשנות, עמ' 76 . نقلاً عن

- H. Gunkel, Elias, J. und Baal,P. 31.
- H. Gerssmann, Die älteste Geschichtsschreibung und Prophetie Israel . Gottingen 1921, PP. 258-260.
- G.Fohrer: Elia, Zürich 1957, PP. 8-16.

٢) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 76.

فقرات المشهد الأول : ١ ملك ١٨ : ١ - ٢

(١)
וַיְהִי יָמִים רַבִּים וּדְבַר־יְהוָה הָיָה אֶל־אֵלִיָּהוּ בַּשָּׁנָה הַשְּׁלִישִׁית
(٢)
לֵאמֹר לֵךְ הֵרָאֵה אֶל־אַחְאָב וְאֶתְּנָה מָטָר עַל־פְּנֵי הָאֲדָמָה.

١) الخلاف بين ١ ملك ١٨ : ١ ؛ ولوقا ٤ : ٢٥ من حيث مدة انقطاع المطر ، ففى الاول كلم الله " إلياهو " فى السنة الثالثة لانقطاع المطر وأمره بالذهاب ليتراءى لآحاب لأن الله سيعطى مطراً على وجه الأرض . وفى الثانى ان انقطاع المطر كان لمدة ٣ سنين و ٦ أشهر . ولحل هذه الخلاف يمكن القول بانه فى سفر الملوك لم يقل ان مدة انقطاع المطر كانت ٣ سنين فقط كما فى لوقا ، بل أن الرب كلم إلياهو فقط ،وقوله فى "السنة الثالثة " أى مدة اقامته فى صرفة ، ولايخفى أنه توجه للإقامة فيها بعد انقطاع المطر بمدة (قارن ١ ملك ١٧ : ١ - ٨) كذا قد مرت مدة بعدما كلم الله إلياهو وقال له انى سأعطى مطراً . وهناك من الباحثين من يرى فى الإشارة الزمنية غير المحددة " יָמִים רַבִּים أيام كثيرة " . مع التحديد الدقيق لـ השנה השלישית السنة الثالثة " ثمرة الإسهاب فى التفصيل ، وفى مقابل هذا يحتمل ان المقصود بهذا التعبير استمراره فى نظر إلياهو .

انظر منسى يوحنا " حلول مشاكل الكتاب المقدس - الطبعة الرابعة ١٩٨٢ ، القاهرة ص ٨٢ .

وانظر
- O.Eissfeldt, Der Gott Karmel. Berlin,1953,P.27.
- O.Steck, überlieferung und zeitgeschichte in den Elia Erzählungen, Neukirchen, 1968.
- Halley's Bible Handbook, P. 198.

٢) " הֵרָאֵה " : صيغة الأمر من وزن נִפְעַל تظهر فى المقرا هنا فقط ، والقاص استمر فى تاكيد هذا الأمر مع استمراره فى سرد القصة וילך אליהו להראות אל אחאב (٢) ، " כי היום ארא אליו (١٥) ," ויהי כראות אחאב את אליהו" (١٦) . يبدو إذن ان لغة " הראה " تم اختيارها هنا بصورة خاصة من أجل المقابلة الدقيقة مع : ונסתרת - واختبأ (١ ملك ١٧ : ٢).

٣) وتذكر الأجاداه ان الرب كان يحث إلياهو فيقول له : לך הראה - וגו' (١ ملك ١٨ : ١)فيقول له إلياهو : كيف أذهب وهو إلى الآن لم يتب ؟ فيقول له الرب : حينما كنت أسقى عالمى وكان فيه إنسان واحد فقط ، فإننى كنت أسقيه من أجله ، ولذلك اذهب وتراءى لآحاب واعطيه المطر .

انظر: מדרש תהלים, מהד' בובר, מדרש תהלים המכונה שוחר טוב. וילנה, 1891, מקי"ז 480.

וַיֵּלֶךְ אֵלִיָּהוּ לְהֵרָאוֹת אֶל-אחאב וְהָרָעָב חָזָק בְּשֹׁמְרוֹן"

وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى الياهو فى السنة الثالثة قائلاً : اذهب وتراء لآحاب فاعطى مطراً على وجه الأرض . فذهب إلياهو ليتراءى لآحاب . وكان الجوع شديداً فى السامرة " .

وهكذا كعادة القاص فى الإصحاح السابق (والجزء الأول من قصة الجفاف) أبرز تنفيذ النبى لأمر الرب بواسطة استخدام متكرر فى حرفيته (١٧: ٥و١٠ فى مقابل ١٨ : ٢)، ولكن من ناحية أخرى ليس من عادة القاص التمهيد لذلك بوصف الجفاف الفظيع " והרעב חזק בשמרון وكان الجوع شديداً فى السامرة"(١٨ : ٢) . (١)
وهذا القول المفصل يعتبر من الناحية التقنية ، وسيلة لنقل المشهد إلى السامرة حتى يصل إلى هناك البطل الرئيسى للقصة ، ومن الناحية الموضوعية تُعد هذه الكلمات القارىء لاستقبال التغيير الذى سيحدث مستقبلاً فى موقف ملك إسرائيل .
وهكذا ننتقل إلى المشهد الثانى وهو لقاء آحاب مع عوبديا (٣ - ٦) "

וַיִּקְרָא אַחְאָב אֶל-עֹבַדְיָהוּ אֲשֶׁר עַל-הַבָּיִת וְעֹבַדְיָהוּ הָיָה יָרֵא אֶת יְהוָה מְאֹד. וַיְהִי בְּהַכְרִית אִיזֶבֶל אֶת נְבִיאֵי יְהוָה וַיִּקַּח עֹבַדְיָהוּ מֵאָה נְבִיאִים וַיַּחְבִּיאֵם חֲמִשִּׁים אִישׁ בַּמְּעָרָה וְכִלְכְּלָם לֶחֶם. וַיֹּאמֶר אַחְאָב אֶל עֹבַדְיָהוּ לֵךְ בָּאָרֶץ אֶל-כָּל-מַעְיְנֵי הַמַּיִם וְאֶל-כָּל-הַנְּחָלִים אוּלַי נִמְצָא חָצִיר וּנְחַיֵּה סוּס וָפֶרֶד וְלֹא נַכְרִית מֵהַבְּהֵמָה וַיְחַלְּקוּ לָהֶם אֶת-הָאָרֶץ לַעֲבָר-בָּהּ אַחְאָב הָלַךְ בַּדֶּרֶךְ אֶחָד לְבָדוֹ וְעֹבַדְיָהוּ הָלַךְ בְּדֶרֶךְ אֶחָד לְבָדוֹ."

" فدعا آحاب عوبديا الذى على البيت . وكان عوبديا يخشى الرب جداً. وكان حينما قتلت إيزابل أنبياء الرب ان عوبديا أخذ مائة نبى وخباهم خمسين رجلاً فى مغارة وعالهم بخبز وماء . وقال آحاب لعوبديا اذهب فى الأرض إلى جميع عيون الماء وإلى جميع الأودية لعلنا نجد عشباً فنحى الخيل والبغال ولانعدم البهائم كلها . فقسما بينهما الأرض ليعبرا بها . فذهب آحاب فى طريق واحد وحده وذهب عوبديا فى طريق آخر وحده "(٢).

---

١) قارن الملوك الثانى ٦ : ٢٥
٢) ومن هذا النص يمكننا أن نستنتج ان ايزابل كانت المحركة ، والمتسلطة على الملك ، كما انها تسلطت على الشعب بأكمله . ولكنها لم تنجح كل النجاح فقد نجا مائة نبى بواسطة عوبديا . والأرجح أن ايزابل لم تضطهد جميع الكهنة فى بيت إيل ودان،ولا كهنة المرتفعات .

يبدأ هذا المشهد بدعوة آحاب لأهم وزرائه - عوبديا - المشرف على خزائن المملكة وعلى اقتصادها بعد أن تم ربط هذا المشهد بالمشهد السابق له والذى انتهى بذهاب إلياهو إلى السامرة - التى خفف الجوع الشديد من كبريائها وتمردها - مما جعل هذه النهاية : " وكان الجوع شديداً فى السامرة " عنواناً للمشهد الثانى . وبين دعوة آحاب لعوبديا وطاعة الوزير له ، أفرد لنا القاص تقييماً مطولاً ومميزاً لشخصية عوبديا، فيصفه بأنه يخشى الرب منذ صباه ، ثم الاستمرار فى تجسيد هذه الشخصية على لسان عوبديا نفسه الذى أعطى برهاناً ناطقاً على تقواه ؛ إذ عندما اكتسحت إيزابل السامرة وبقية مدنها باضطهاد عنيف ، وطاردت أنبياء الله لقتلهم جميعاً بلا تمييز ، قام عوبديا ، ونجى مائة منهم، وخبأهم خمسين فى مغارتين وأعالهم بالخبز والماء[1].

وقد زعزع " جونكل " الثقة فى عرض هذا المشهد (٣ - ٤) استنادا على ان عوبديا سيحكى كل ذلك مستقبلاً إلى إلياهو (١٢و١٣) ؛ وفى رأيه ان القاص نجح فى استخدام سرد عوبديا أحداث الموقف لإلياهو ليعطى له صورة صادقة عن ماحدث فى السامرة وقت اختباء النبى ، من خلال التبرير النفسى المقنع فى كلام النبى الخائف ، وربما شعر القاص بضرورة أن تسبق هذه المعلومة لقاء عوبديا وإلياهو مما أدى إلى حدوث هذه الازدواجية المعيبة ، وهكذا خالف القاص هنا الإتجاه العام عند الكتاب المقرائيين فى الامتناع عن سرد المشاهد المطولة وتفضيل دمج المعلومة الضرورية داخل الحبكة القصصية ، أو ذكرها على لسان الأبطال ، ولكن ستتضح لنا إيجابية ذكر هذه المعلومة قبل لقاء " إلياهو - عوبديا " ، عند استعراضنا التفسير العام لمشهد اللقاء بينهما . أما رأى " جونكل " فهو متأثر جدا بمفهومه تجاه لقاء " إلياهو - عوبديا " حيث يرى ان هذا اللقاء ليس إلا " نسخ " - דובליקאציה - للقاء الرئيسى بين إلياهو وآحاب ، ووفقا لهذا المفهوم فان القاص استخدم حوار عوبديا مع نفسه ليقدم للقارئ معلومات مفصلة ، ولكن من ناحية أخرى أدى هذا الحوار إلى عدم

---

١) אנציקלופדיה מקראית, כרך ו', ערך "פקידות", ירושלים 1971, עמ' 547.

تماسك هذا المشهد حيث أدى إلى جعل مخافة عوبديا للرب هى جوهر وحبكة المشهد ، فى مقابل الحبكة الثانوية التى أظهرت صفات آحاب الحقيقية بتأثير المجاعة ، فهو لم يكرس نفسه من أجل التخفيف من بؤس شعبه وشقائه ، والرجوع إلى الله ، بل حصر كل تفكيره فى خيله وبغاله ، ووجه كل اهتمامه إلى إنقاذ مايمكن إنقاده منها ، ولأجل هذه الغاية قام برحلة للبحث عن العشب(١).

يبدأ القاص فقرات المشهد الثالث بلقاء إلياهو - عوبديا (٧ - ١٥)ليؤكد ماذكره فى المشهد الثانى من ان إيمان عوبديا بالرب وبأنبيائه ليس وليد هذه اللحظة فقط أو حتى استعراض له فى الماضى ، بل أيضاً مازال مستمراً حيث برز عند لقائه بإلياهو : וַיְהִי עֹבַדְיָהוּ בַּדֶּרֶךְ וְהִנֵּה אֵלִיָּהוּ לִקְרָאתוֹ וַיַּכִּרֵהוּ וַיִּפֹּל עַל-פָּנָיו וַיֹּאמֶר הֲאַתָּה זֶה אֲדֹנִי אֵלִיָּהוּ -
وفيما كان عوبديا فى الطريق إذا بإلياهو قد لقيه ، فعرفه وخرّ على وجهه وقال : أأنت هو سيدى إلياهو " (١٨ : ٧) .

فى الحقيقة إن موقف عوبديا يتطلب منا مقارنته بموقف الأرملة الصيدونية تجاه النبى وربه ، فهذه المرأة الأجنبية لم تخف الرب(٢)فقد وثقت فى كلمته ، وعرفت حقيقة نبيه وأنقذته ، ولذلك فإن أعمال هاتين الشخصيتين ليست متشابهة فقط،بل أيضاً يكمل بعضهما البعض ، فعمل الأرملة التى أسقت النبى وأطعمته بالخبز وأوته فى علية بيتها ، يقابل عمل عوبديا الذى خبأ مائة نبى فى مغارتين وأعالهم أيضاً خبزاً وماء (الفقرة (٤) فى مقابل الفقرة (١٣)) ؛ هذا بالإضافة إلى ان الياهو التقى بالاثنان فى ظروف مشابهة تماماً - فعندما اشتد الجفاف والجوع فى صرفة خرجت الأرملة إلى مدخل المدينة ، وعند بوابتها وبالقرب من عين الماء أو البئر أخذت تجمع الحطب لتخبز كسرة خبز أخيرة لها ولابنها ، وعندما اشتد الجوع فى السامرة خرج ملك إسرائيل وأهم وزرائه كل واحد فى طريق منفردة

---

١) עיונ מקרא ופרשנות , עמ' 78.

٢) وهى بموقفها هذا تختلف عن " نعمان الآرامى " الذى أعلن " הנה נא ידעתי כי אין אלהים בכל הארץ כי אם בישראל"هوذا قد عرفت انه ليس إله فى كل الأرض إلا فى إسرائيل " (٢ ملك ٥ : ١٥).

للبحث عن العشب عند عيون الماء والأنهار من أجل إحياء الخيل والبغال[١]. هذا التماثل بين اللقاء عند مداخل السامرة واللقاء عند بوابة صرفة - الذى تطور مع استمرار القصة - يؤكد على ان أحداث إلياهو فى بيت الأرملة كانت بمثابة اعداد لدوره المنتظر فى إسرائيل .

ومن العجيب ان النبى الذى ذهب لتنفيذ أمر الرب ليتراءى للملك الظالم، بدون أن يعرف كيف ومتى سيتمكن من ايجاده ، يلتقى مصادفة بوزير الملك ، وبناء على أن الوزير قُدم لنا كمنقذ خفى لأنبياء الرب ، فإننا نتوقع منه تقديم المساعدة لإلياهو للقاء الملك - على طريقة مساعدة الأرملة له - ويؤكد قوة توقعنا لهذه المساعدة سجود عوبديا أمام النبى، والحكاية عن تقواه فى المشهد الثانى، والتى لولا ذكرها لافترضنا ان الوزير مثل ملكه ، وهذه المساعدة تتمثل فى ان وزير الملك يكون رسول النبى[٢]، وهذا ماقام به إلياهو ، فقد

---

١) الذهاب منفرداً ثم تبريره جيداً من الناحية الواقعية : ויחלקו להם את הארץ לעבר בה - فقسما بينهما الأرض ليعبرا بها "(١ ملك ١٨:٦) أى أنه أراد القول : مضاعفة فائدة التجول ، وفى نفس الوقت تزيد من الاذلال الذى يبدو فى هذا الموقف : "אחאב הלך בדרך אחד לבדו" - فذهب آحاب فى طريق واحد لوحده " وهذا مالم يفعله من هو أقل من ملك (قارن : صموئيل الأول ٢١ : ٢؛ عدد ٢٢ : ٢٢) ومن ناحية الحبكة القصصية . فهو بهذا الموقف يمهد ويخدم احتياجات الحبكة من تقديم لقاء "إلياهو - عوبديا" فى مقابل "النبى مع الملك". وفى الحقيقة صَوّر هذا الموقف قسوة الجوع الرهيب وأثره على الحكام ، حيث تنازل الملك ووزيره عن مكانتهما مثلهما مثل الأرملة الفقيرة التى خرجت للبحث عن العشب . واستكمالا للملاحظة رقم ١ ص ٢٧٢، التى ذكرنا فيها بعض المقابلات بين ضربة الحفاف وضربات مصر ، نستطيع الآن أن نضيف اليها موقف فرعون ووزرائه بالمقارنة مع موقف آحاب وعوبديا ، فقد أصابت الضربات أيضاً فرعون ووزرائه (انظر خروج ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) . أما المقارنة بين موقف آحاب والأرملة الصيدونية فقد تم تصويره بصورة غير مباشرة فقط ، وجاءت هذه المقارنة من قوة التناظر الوظيفى ؛ بينما فى ضربات مصر ذكر فى وضوح ان مصير فرعون كمصير الجارية التى خلف الرحى وكمصير كل بهيمة (خروج ١١ : ٥)

٢) ومن النماذج التى تتحدث عن حماد رسل الملك : بيد صموئيل (صموئيل الأول: ١٩ : ٢٠ - ٢١) وبيد ياهو (٢ ملك ٩ : ١٧ - ٢٠) وجعل رُسل أجازيا رسلاً للنبى بيد إلياهو عند خروجهم لسؤال بعل ذبوب (٢ ملك ١ : ٣ - ٦)

اتبع نفس الأسلوب الذى اتبعه مع الأرملة التى رضيت سقيه بالماء ، مع عوبديا وزير الملك : " לֵךְ אֱמֹר לַאדֹנֶיךָ הִנֵּה אֵלִיָּהוּ " - اذهب . قل لسيدك هوذا إلياهو " (١ ملك ١٨ : ٨) وهكذا وضع إلياهو عوبديا أمام اختبار בְּחִינָה صعب جداً ، فعلى عوبديا ترجمة تقواه واعترافه بنبى الرب، إلى لغة الواقع والدخول فى مخاطرة شخصية عظيمة، حيث ان طلب إلياهو لم يكن مرافقة عوبديا والذهاب إلى الملك ، بل دعوة الملك - الذى عليه التنازل عن مكانته - للحضور إلى النبى[1]. ولابد ان عوبديا كان يجده أمراً شاقاً على نفسه أن يوفق بين واجبه لإلهه وواجبه لسيده الآخر - آحاب . وعندما طلب إلياهو من عوبديا أن يخبر سيده بأنه ينتظره . شك عوبديا فى صدق هذا الكلام ، لأنه كان يعرف كيف كان آحاب يحتدم غضباً وغيظاً من جهة إلياهو . ولذا فقد كان يبدو فى نظره بأنه من الغباوة والجنون أن يزج إلياهو بنفسه وسط هذه النيران المتأججة . وظن بأنه أما إن إلياهو يجهل كيف كان الملك يفتش عنه باهتمام ، أو ان روح الرب قد تختطفه قبل أن يتلاقيا . لأنه لم يخطر بباله أن يتجاسر إلياهو للقاء الملك لوكان بعلم بحقيقة الأمر.[2]

المعارضة الشديدة غير المتوقعة من الوزير الذى يخشى الرب لأمر إلياهو النبى ، تشبه إلى حد كبير معارضة الأرملة الصورية لأمر النبى سواء فى المضمون أو الأسلوب أو العلاقة النفسية تجاه نبى الرب . فرغم استجابتهما الأولى للنبى فقد رفضا تنفيذ ماطلبه منهما النبى ، لانهما رأيا أنفسهما واثقين من أن طلبه منهما ليس له مايبرره ، وقد عبّرا عن رفضهما فى كلمات واضحة وفى صياغة أسلوبية متشابهة تبرز العامل المشترك فى معارضة هذا الطلب غير المعقول:

---

١) هذا الطلب للاعتراف بسيادة النبى يقابل الطلب الاستبدادى فى طلبه للأرملة بأن تصنع له "עוגה קטנה בראשונה - كعكة صغيرة له أولاً" (١ ملك ١٧ : ١٣) . وقارن هذا الموقف بالصراع المرير بين "موسى " " وداثان " " وأبيرام " على مَنْ يصعد إلى مَنْ (العدد ١٦ : ١٢ - ١٥ ، ٢٥) وكذلك موقف احترام الملوك الثلاثة لاليشع بنزولهم إليه (٢ ملك ٣ : ١٢) انظر : עיון מקרא ופרשנות, עמ' ٥٨.

٢) ف . ب . ماير . حياة إيليا . ص ٦٠

וַתִּאמֶר (האלמנה)

" חַי־יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, אִם־יֶשׁ־לִי מָעוֹג ---

וְהִנֵּנִי מְקַשֶּׁשֶׁת שְׁנַיִם עֵצִים וּבָאתִי וַעֲשִׂיתִיהוּ לִי וְלִבְנִי וַאֲכַלְנֶהוּ וָמָתְנוּ "

וַיֹּאמֶר (עובדיהו)

מֶה חָטָאתִי, כִּי־אַתָּה נֹתֵן אֶת־עַבְדְּךָ בְּיַד־אַחְאָב לַהֲמִיתֵנִי ! (١)

חַי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ, אִם־יֶשׁ־גּוֹי וּמַמְלָכָה ---

וְעַתָּה אַתָּה אֹמֵר: "לֵךְ אֱמֹר לַאדֹנֶיךָ (٢) הִנֵּה אֵלִיָּהוּ" !

וְהָיָה אֲנִי אֵלֵךְ מֵאִתָּךְ וְרוּחַ יְהוָה שָׂאֲךָ ---

וּבָאתִי לְהַגִּיד לְאַחְאָב וְלֹא יִמְצָאֲךָ וְהָרָגֵנִי "

فقالت (الأرملة

" حى هو الرب إلهك ، انه ليس عندى كعكة

وها أنذا أقش عودين لآتى وأعمله لى ولابنى لنأكله ثم نموت " (١٧ : ١٢)

فقال (عوبديا)

"ماهى خطيتى حتى انك تدفع عبدك ليد آحاب ليميتنى !

حى هو الرب إلهك انه لاتوجد أمة ولامملكة ...

والآن أنت تقول اذهب قل لسيدك هوذا إلياهو .

ويكون إذا انطلقت من عندك ان روح الرب يحملك ..

فإذا أتيت وأخبرت آحاب ولم يجدك فإنه يقتلنى ! (١٨ : ٩ - ١٢) .

---

١) بناء على مقابله لغوية غير ملائمة يرى "جرسمان" ومن بعده "فورر" أن فى حلف اليمين بالشعوب المجاورة يوجد موتيف أجادى (وفى الحقيقة أخذ هذا الموتيف أبعادا أجادية فى المدراش الذى يرى آحاب ملكاً عالمياً طاغية "הַמּוֹשֵׁל בְּכִפָּה" ، كنبوخذنصر وكاحشوروش أثناء حكمهم .
انظر (מגילה י"א ע"א). و עיונ מקרא ופרשנות, עמ' 82.

٢) يطلق عوبديا على إلياهو وآحاب لقب " سيدى " ومشكلته كعبد لهذين السيدين قللت من قوة أمر إلياهو ، لان تنفيذه فى رأيه سيجلب عليه عقوبة الموت بيد ملكه . وكلمات عوبديا ترجع صدى احتجاج جنود بنى إسرائيل مع بداية أعمال موسى وهارون : ==

حيث نرى من هذه المقابلة ان الأرملة وعوبديا استحلفا النبى بربه ليؤكدان على ثقة ماورد على لسانهما من وصف لماسيحدث لهما فى المستقبل القريب ،وليؤكدان أيضاً فى وصف درامى أن تنفيذ أمر الرب سيعرض حياتهما للخطر ، وكما هو واضح اختلفت الظروف بين الاثنان ولذلك فإن إدعاء الوزير عوبديا جاء أكثر قوة وتماسكاً من الناحية الموضوعية واللغوية عما كان بالنسبة للأرملة الصورية ، فهى اكتفت بوصف فقرها الرهيب الذى أوشك أن يفرض عليها وعلى ابنها الموت جوعاً بدون أن تذكر مقاومتها الأخيرة للجوع ، بينما عوبديا يبدأ بتساؤل بلاغى "מה חטאתי - ماهى خطيتى " ثم يعقبه باتهام واضح אַתָּה נֹתֵן אֶת-עַבְדְּךָ בְּיַד אַחְאָב לַהֲמִיתֵנִי - إنك تدفع عبدك ليد آحاب ليقتلنى "(١). لقد كان عوبديا مقتنعاً تماماً إن أمر النبى له بالذهاب إلى آحاب يكمن فيه فخ الموت ، لأنه أدرك ان النبى قصد من ذلك السخرية من الملك،والتى يدفع هو ثمنها لانه يعرف آحاب سيكون فتاكاً بعد جهوده المضنية وفشله المتكرر وإحباطه الشديد فى العثور على النبى .وإذا كان الأمر كذلك فكيف يدفع نبى الرب إلى الموت المؤكد إنساناً يخشى الرب مثله ، وهو الأمر الذى لم يكن يتوقعه عوبديا أيضاً لأنه من نغمة كلامه بدا انه وقع تحت تأثير الدهشه الشديدة على مكافأته لصدقه ، علاوة على ذلك فانه يثور ويتكلم كما لو

=) الخروج ٥ : ٢١

" יְרְאֶה יְהוָה עֲלֵיכֶם וְיִשְׁפֹּט
אֲשֶׁר הִבְאַשְׁתֶּם אֶת רֵיחֵנוּ בְּעֵינֵי פַרְעֹה
וּבְעֵינֵי עֲבָדָיו לָתֵת חֶרֶב בְּיָדָם
לַהַרְגֵנוּ

- ينظر الرب إليكما ويقضى لانكما انتنتما رائحتنا فى عين فرعون وفى عيون عبيده حتى تعطيا سيفاً فى أيديهم ليقتلونا .

الملوك الأول ١٨ : ٩

" מָה חָטָאתִי
כִּי אַתָּה נֹתֵן אֶת עַבְדְּךָ
בְּיַד אַחְאָב - ماهى خطيتى
حتى انك تدفع عبدك ليد آحاب ليقتلنى

١) كذلك نجد فى كل كلام عوبديا مايقابله فى الإصحاح ١٧ ،جزء فى حكاية الاختبار عند بوابة صرفة (٨ - ١٦) والجزء الآخر فى حكاية إحياء الولد (١٧ - ٢٤) . هذه الحقيقة فى حد ذاتها إثبات للوحدة الأدبية لهاتين الحكايتين . وعلى أى حال ممكن أن نستنتج من هذه المقابلات ان حكاية عوبديا يصعب تسجيلها بدون تجميع الحكايتين كحكاية واحدة . ويناقض " فورر " هذا الرأى حيث يؤخر حكاية الإحياء بعد حكاية عوبديا ، حيث ان الأولى نسخ لحكاية الإحياء الخاصة باليشع (٢ ملك ٤ ،٨ - ٣٧) وبسبب أنه يطلق فيها على إلياهو "אִישׁ אֱלֹהִים - رجل الله " وكذلك فى الملوك الثانى ١ : ٩ -١٦ .

كان يدرك أن هذا الأمر ليس قاعدة مستحيلة وهو الاحتمال بان نبى الرب يأتى بالكارثة والموت أيضاً على من يخشى الرب . ولذلك قدم لنا النص المقرائى الحوار الطويل والملىء بالمشاعر على لسان عوبديا فى أسلوب متماسك وقوة عظيمة الاقناع(١). أما التكرار الثلاثى للموت المنتظر لمن يقوم بتنفيذ أوامر النبى (الفقرات ٩ ، ١٢ ، ١٤) فانه يدعم الصدق النفسى فى الحديث المباشر ويعمق الشعور بالخوف الشديد(٢) . إلا انه على الرغم من ذلك كله فان القارىء يعرف طول الوقت ان كلمات عوبديا مغندة من أساسها لان الياهو بعودته إلى السامرة فانه لايحمل معه الموت بل الحياة ، وأصبح هدفه الظهور لا الاختباء فمن أجل ماذا إذاً يطيل القاص إلى هذا الحد فى تصوير مخاوف عوبديا عبثاً ؟ الإجابة على هذا التساؤل وجدت تعبيرها فى إبراز تمييز قوة النبى عن قوة الوزير ، ويتضح هذا التعبير أكثر عندذكر المقابلة الأسلوبية بين مشهد " إلياهو - عوبديا " والمشهدين فى صرفة ، حيث هدفت هذه المقابلة إلى تركيز الاهتمام بالمشكلة المزمنة - وهى عدم فهم نبى الرب - بالإضافة إلى ان استعداد إلياهو للحظة التى سيقابل فيها ملك إسرائيل الذى يتهمه بـ"*עוכר ישראל* معكر إسرائيل " (١٨ : ١٧) قد بدأ فى صرفة واستكمل عند مداخل السامرة مع لقاء عوبديا وذلك لان من يقومون بانقاذ الأنبياء وإعالتهم يستطيعون أن يروا فى إلياهو " معكرهم " "*מה-לי ולך*" (١٧ : ١٨) و"*מה חטאתי*" (١٨ : ٩) وعلى النبى كبح إهانته وإهانة رسالته والتغلب على آلامه ازاء الأبعاد المذهلة لشكوك منقذيه . إذاً فسوف تستمر المقابلة الموضوعية والأسلوبية بين الأرملة والوزير مع وصف تغلب النبى على مخاوفهما وشكوكهما :

וַיֹּאמֶר אֵלָיָה אֵלֶיהָ אַל-תִּירְאִי בֹּאִי עֲשִׂי כִדְבָרֵךְ --- כִּי כֹה אָמַר יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל כַּד הַקֶּמַח לֹא תִכְלֶה וְצַפַּחַת הַשֶּׁמֶן לֹא תֶחְסָר עַד יוֹם תֵּת-יְהוָה גֶּשֶׁם עַל פְּנֵי הָאֲדָמָה . וַתֵּלֶךְ וַתַּעַשׂ כִּדְבַר אֵלִיָּהוּ .(٣)

" فقال لها إلياهو لاتخافى . ادخلى واعملى كقولك ... لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل إن كوار الدقيق لايفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذى يعطى الرب مطراً على وجه الأرض ، فذهبت وفعلت حسب قول إلياهو " .

---

١) *עיונים מקרא ופרשנות עמ' 64* .

٢) تستخدم القصة المقرائيه فى حديث مباشر ايضا ، خلفيات من هذا النوع من بينها : أ) للتعبير عن توتر الشاعر والحيره الشديدة أو غضب المتحدث(١ صم ١٧/٣ ، ١٦/٤ ، ٢ مل ١٨/٥) . ب) كوسيله بلاغيه فى كلمات الاقناع (٢صم ١٣/٣١- ٣٢) ونلاحظ وجود هذين العاملين معا فى كلام عوبديا .

٣) الملوك الاول ١٧/١٣- ١٥

וַיֹּאמֶר אֵלִיָּהוּ חַי יְהוָה צְבָאוֹת אֲשֶׁר עָמַדְתִּי לְפָנָיו כִּי הַיּוֹם אֵרָאֶה אֵלָיו. וַיֵּלֶךְ עֹבַדְיָהוּ לִקְרַאת אַחְאָב.(١)

" فقال إلياهو حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه انى اليوم اتراءى له . فذهب عوبديا للقاء آحاب " .

احتاج إلياهو للقسم بالرب من أجل طمأنة الأرملة وعوبديا كما احتاجا هما أيضاً من قبل للقسم بالرب من أجل إقناع إلياهو بحقيقة وضعهم الخطير المقبلين عليه . وفى الحقيقة إن استجابة الأرملة وعوبديا لأمر إلياهو لم تتم فقط من قوة وعود النبى لهما ، بل أيضاً بسبب مشاعره الإنسانية العميقة بجانب مطلبه النبوى .

ولذلك فعلى ضوء التفصيل الذى قدمناه لمشهد لقاء إلياهو وعوبديا فإنه يمكننا ايجاز هذه النتائج :

(أولا) : إصالة المشهد (١٨ : ٣ - ٤) الذى يحكى إيمان عوبديا بالرب لأنه لولاه لكنا نفاجأ بتكريم وزير آحاب النبى الرب ،وبدلاً من مشاركة إلياهو فى دهشته ازاء معارضة عوبديا الذى يخشى الرب منذ صباه ، لأمره ،ومن هنا فليس هناك مجال لزعزعة إصالة مصدر خاتمة الفقرة الثالثة : "וְעֹבַדְיָהוּ הָיָה יָרֵא אֶת־יְהוָה מְאֹד وعوبديا كان يخشى الرب جداً .

(ثانياً) : ظلت هذه الخاتمة باهتة وغير مقنعة لانه لم يصاحبها تفسير كيف تم التعبير عن مخافة الرب بالعمل السرى فقط عندما حاول القاص ربطها بصورة متقطعة من الناحية الأسلوبية بالفقرة الخامسة التىتتحدث عن معاونة عوبديا لآحاب .

(ثالثاً) : نجد فى الفقرة الرابعة أول إشارة إلى ناحية المساواة بين الوزير والأرملة " לֶחֶם וּמַיִם - خبز وماء " . ويبدو ان هذا التعبير استمد فعاليته من خلفية معلومات القارئ تجاهه .

(رابعاً) : الصياغة الأسلوبية للفقرة الرابعة لم تتفق مع الصياغة الأسلوبية للفقرة الثالثة عشر ، حيث عمد القاص إلى هذا التباين ليعكس مشاعر أدبية دقيقة ، فعوبديا استخدم لغة " בַּהֲלֹג אִיזֶבֶל אֶת נְבִיאֵי יְהוָה " (الفقره :١٣) من أجل المقابلة المعارضة لخاتمة الفقرة (١٤) " וַיַּהַרְגֵנִי " وهدف استخدام هذا الجذر " הרג " أيضاً إلى تدعيم الإدعاء القائل : " זוֹ תוֹרָה וְזוֹ שְׂכָרָהּ - هذه صدقة وهذا أجرها " . بينما استخدم القاص فى الفقرة الرابعة

١) الملوك الاول ١٨/١٥ - ١٦ .

لغة - " וַיְהִי בְּהַכְרִית אִיזֶבֶל אֶת נְבִיאֵי יְהוָה - وكن حيثما قتلت ايزابل أنبياء الرب " - لتكون بمثابة خلفية لكلمات آحاب المتواضعة : " וְלֹא נַכְרִית מֵהַבְּהֵמָה - ولا نقتل البهائم " ، وهكذا نشأت بين الفقرتين علاقة : "מִדָּה כְּנֶגֶד מִדָּה - العين بالعين "(١).

فقرات المشهد الرابع (إلياهو - آحاب - ١ ملك ١٨ : ١٦ - ٢٠)

"וַיֵּלֶךְ עוֹבַדְיָהוּ לִקְרַאת אַחְאָב וַיַּגֶּד-לוֹ וַיֵּלֶךְ אַחְאָב לִקְרַאת אֵלִיָּהוּ. וַיְהִי כִּרְאוֹת אַחְאָב אֶת-אֵלִיָּהוּ וַיֹּאמֶר אַחְאָב אֵלָיו הַאַתָּה זֶה עֹכֵר יִשְׂרָאֵל. וַיֹּאמֶר לֹא עָכַרְתִּי אֶת-יִשְׂרָאֵל כִּי אִם-אַתָּה וּבֵית אָבִיךָ בַּעֲזָבְכֶם אֶת-מִצְוֹת יְהוָה וַתֵּלֶךְ אַחֲרֵי הַבְּעָלִים. וְעַתָּה שְׁלַח קְבֹץ אֵלַי אֶת-כָּל-יִשְׂרָאֵל אֶל-הַר הַכַּרְמֶל וְאֶת-נְבִיאֵי הַבַּעַל אַרְבַּע מֵאוֹת וַחֲמִשִּׁים וּנְבִיאֵי הָאֲשֵׁרָה אַרְבַּע מֵאוֹת אֹכְלֵי שֻׁלְחָן אִיזֶבֶל. וַיִּשְׁלַח אַחְאָב בְּכָל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וַיִּקְבֹּץ אֶת הַנְּבִיאִים אֶל-הַר הכרמל

فذهب عوبديا للقاء آحاب وأخبره . فسار آحاب للقاء إلياهو . ولما رأى آحاب الياهو قال له آحاب: أأنت هو مكدر إسرائيل . فقال لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بتركككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم . فالآن ارسل واجمع إلىَّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء بعل الأربعمائة وخمسين وأنبياء السوارى الأربعمائة الذين يأكلون على مائدة إيزابل . فأرسل آحاب إلى جميع بنى إسرائيل وجميع لأنبياء إلى جبل الكرمل ".

---

١) עיונ במקרא ופרשנות, עמ' 85.

يحتمل ان التكرار المزدوج للكلمات "נְבִיאֵי יְהוָה - أنبياء الرب " فى الفقرة (١٣) ، مقابل ذكرها مرة واحدة فى الفقرة (٤) ، وهو وسيلة إضافية فى تصوير حديث عوبديا المشحون بالتوتر .وهناك فرق ثالث فى تمييز شخصية عوبديا حيث يقول القاص فى الفقرة (٣) :"ועבדיה היה ירא את יהוה מאד وعوبديا كان يخشى الرب جداً " بينما فى شهادة عوبديا عن نفسه قيل "עבדך ירא את יהוה מנעוריו وأنا عبدك أخشى الرب منذ صباى" (الفقرة ١٢) ؛ ويبدو ان التغير هنا محسوب جيداً فالقاص الذى اعتمد على صلاحيته كراوى يشير مباشرة إلى شدة مخافة الرب (מאד - جداً) فى حين ان البطل يسمح لنفسه فقط بالحديث عن استمرار إيمانه بالرب الذى لم يتوقف .

يحكى هذا المشهد اجتياز آحاب للإختبار الذى وضعه له إلياهو ، وهو يتلائم مع النموذج الوحيد الذى نجده فى الاختبارات التى وضعها إلياهو للأرملة ولعوبديا ، ففى البداية استجابة تلاها معارضة شديده ثم تعاون مع النبى . فعندما سمع آحاب من عوبديا عن ظهور إلياهو وعن هدفه ليتراءى له - من خلال رفض شديد للمثول أمام الملك - فانه وافق على الذهاب إليه ، وهذه الموافقة تعتبر بداية تغيير العلاقة بينه وبين النبى ، وربما أيضاً بداية الاستجابة للنبى بعد أن وصل به الأمر بسبب شدة الجفاف القاسى إلى الاستعداد للمثول أمام النبى مع اننا لم نر فى دعوة النبى أية تأكيدات أو وعود صاحبتها ، الأمر الذى يجعلنا نعود إلى إعلان إلياهو عن الجفاف والذى اشترط سقوط المطر بكلمته (١٧ : ١) . ورغم استجابة الملك للقاء النبى إلا انه عندما وقع نظره على إلياهو اتهمه بأنه أعظم مكدر لإسرائيل[١] . هذا الاتهام تم تصويره من الناحية الأسلوبية الشكلية كتعارض قطبى لتكريم عوبديا للنبى : האתה זה אדני אליהו - أأنت هو سيدى إلياهو " ، ولكن من الناحية الموضوعية المبدئية فانه يقابل ديالوج رفض عوبديا ، والذى استمر خلال دعوته للنبى بلقب " سيدى " (١٨ : ١٣) ولكنه عبر عن اتهامه له بأنه معكره فى تورية مدغمة[٢] . وقد هدفت هذه المقابلة المركبة من وصف اللقائين إلى تحديد المواقف والعلاقات بشكل دقيق مع الإشارة إلى تعقيدات الدور النبوى ؛ لكن النبى الذى أحى ابن الأرملة والذى رجع حاملاً معه بشارة سقوط الأمطار ، لم يخف ولم يجفل عند سماعه ملك إسرائيل يعبر فى قوة شديدة عن هذه الكراهية[٣] ، ولكن على عكس تعامله مع إدعاء

---

١) وبعد ذلك بسنوات قال آحاب هذا نفسه عن نبى آخر من أنبياء الرب إذ طلب يهوشافاط مشورته " انى أبغضه لأنه لايتنبأ علىَّ خيراً بل شراً "(١ ملك ٢٢ :٨) انظر Histore De La Litterature Hebrique Et Juive Payot, Paris, 1950, PP. 192-193.

٢) أى أنه أراد القول " تحل عليه كارثة " . قارن يشوع ٧ : ٢٥ "מָה עֲכַרְתָּנוּ יְעָכֶרְךָ יְהוָה - كيف كدرتنا . يكدرك الرب .

٣) فى مسرحيته " אויב העם " التى نشرت عام ١٨٨٢ م (والتى ترجمها الى العبرية פ' גינזבורג , תל אב"ב - תרפ"ח) عبّر " أبسن איבסן " عن الكراهية الشديدة ؛ وتعتبر هذه المسرحية نسخ علمانى لـ "עוכר ישראל - معكر إسرائيل " النبوى . ولكننا لانعرف بدقة هل كان مؤلف المسرحية يعلم التقارب الواضح فى الطابع وفى المصير بين "ד"ר שטוקמן - د. شتكمان " بطل المسرحية والنبى المقرائى ، ولكن المهم هنا هو إن تكوين عداء الجماهير==

الأرملة ، وتفهمه لهلع عوبديا ، نجده قد رفض تماماً اتهام آحاب : "לֹא עָכַרְתִּי אֶת יִשְׂרָאֵל : لم أكدر إسرائيل " . ثم وجه إتهامه إلى الملك المتسبب في حدوث هذه الكارثة ، ولكنه استخدم في صياغته أسلوب التصوير غير المباشر ، فبدلاً من رد الاتهام إلى صاحبه - " אַתָּה עֹכֵר יִשְׂרָאֵל أنت مكدر إسرائيل " - نجده قد قلل من قيمة هذا الاتهام بتأكيده على خلفية أن الجفاف ليس شراً أراده النبي أو الملك ، بل عقوبة الرب لشعبه الذي أخطأ على يد البيت الملكي :

כִּי אִם אַתָּה וּבֵית אָבִיךָ בַּעֲזָבְכֶם אֶת-מִצְוֹת יְהוָה , וַתֵּלֶךְ אַחֲרֵי הַבְּעָלִים بل أنت وبيت أبيك بتركككم وصايا الرب ، وبسيرك وراء البعليم" (الفقرة : ١٨) ، ثم واصل إلياهو حديثه وأسرع يقترح على الملك - حتى لا يعطيه الفرصة للاستمرار في الجدل والأخذ والرد في هذا الشأن - النتيجة الطبيعية لهذا الاتهام ،قائلاً : "וְעַתָּה שְׁלַח קְבֹץ אֵלַי אֶת-כָּל יִשְׂרָאֵל אֶל-הַר הַכַּרְמֶל" فالآن أرسل وأجمع الى كل اسرائيل الى جبل الكرمل"[1]. (الفقرة : ١٩)

=) ضد الطبيب المتمسك بالحق ، والذي يرفض الاستعباد للمصالح الاقتصادية للمدينة ، يختلف عن تكوينه ضد إلياهو ، ولكن من ناحية أخرى فان الميكانيزم النفسي للجماهير متشابه إلى حد كبير .

انظر : עיוני מקרא ופרשנות , עמ' 82.

١) הַר הַכַּרְמֶל : جبل الكرمل : سلسلة جبلية في فلسطين ، وتم وصفها في أشعيا ٣٥ : ٢ : " بهاء الكرمل والشارون " . ومثلما تمتد في الجانب الشمالي الشرقي لوادي يزرعئيل جبال جلبوع ، كذلك تمتد في الجانب الشمالي الغربي جبال الكرمل ، وهي جبال محدبة جرداء تنتهي بجوف ينحدر إلى البحر المتوسط (أرميا ٤٦ : ١٨) وتوجد في هذه الجبال مغاير كثيرة ، من أشهرها " مغارة إلياهو " التي تقع في الجانب الغربي من الكرمل ، والتي يبلغ طولها (٢٠) قدماً وعرضها (١٥) قدماً . وسمي " الكرمل " (مثمر - أو كرم الرب) لأنه كان أكثر إخصاباً وبركة . ولاشك إن كاتب نشيد الانشاد عندما قال في الإصحاح السابق الفقرة الخامسة : " رأسك عليك مثل الكرمل ، وشعر رأسك كارجوان " فإنه كان يقصد ان الشعر كان يغطي رأس حبيبته وينسدل عليها كما كانت الأشجار المثمرة تغطي رأس الكرمل ومنحدراته .

انظر : שערי דמעה השלם עם מענה לשון . פעה"ק ירו-שלם תובב"א. בדפוס הר"ש הלוי צוק ערמן . עמ' 3.

لقد كانت الخطة التى رسمها " إلياهو " " لآحاب " مطابقة كل المطابقة لظروف الحال ، فقد كانت تتضمن دعوة بنى إسرائيل بأمر ملكى إلى جبل الكرمل المشرف على سهل اسدرايلون ، وهذا الجبل كان فى نظر إلياهو أنسب مكان لاجتماع شعبى ، وبالإضافة إلى ذلك - رأى إلياهو أنه يجب أن تبذل عناية خاصة لضمان حضور ممثلى تلك العبادة الباطلة وهم : נְבִיאֵי הַבַּעַל אַרְבַּע מֵאוֹת וַחֲמִשִּׁים וּנְבִיאֵי הָאֲשֵׁרָה אַרְבַּע מֵאוֹת - أنبياء بعل الأربعمائة والخمسين ، وأنبياء السوارى الأربعمائة " . (الفقره : ١٩ ب)[1] . فى هذه الخطة عاد إلياهو ووضع آحاب أمام إختبار ثانى له أصعب من الأختبار الأول الذى اجتازه الأن ، فقد طلب إلياهو من الملك (كما حدث من قبل مع عوبديا) باحضار ممثلى الشعب إلى النبى بدون التأكيد منه على شىء محدد ، وبمعنى آخر يريده إرسال رُسل يعلنون فى أنحاء المملكة : "הִנֵּה אֵלִיָּהוּ ها هوذا إلياهو"[2] . وهكذا نجد أن الملك الذى تخلى

---

١) وبخصوص هذه الفقرة نجد بعض الباحثين يحذفون منها ذكر أنبياء السوارى الأربعمائة ، وذلك بسبب عدم ذكرهم فيما بعد فى الفقرات (٢٢)و(٤٠) ، (حيث تم ذكرهم فى الترجمة السبعينية فى الفقرة (٢٢) فقط ، الأمر الذى يزعزع ورودهم فى هذه الفقرة) وبسبب عدم وجود كلمة (אֶת) أداة المفعولية قبل ذكرهم فى هذه الفقرة . وقد اقترح "רד"ק : رابى داود قمحى " فى تفسيره للسكوت عن عدم ذكرهم مع استمرار القصة، تعبيراً عن فيتو لإيزابل يمنع حضورهم إلى الكرمل ، وهو الأمر الذى يصعب من فهم صمت القاص من حيث أنه تكنيك للتعبير غير المباشر ازاء الصياغة غير المحددة " הַנְּבִיאִים - الأنبياء " فى الفقرة (٢٠)، ومن ناحية أخرى فإنه من الصعب فهم أعمال المفسر القديم الذى تطلع إلى تضخيم انتصار " إلياهو " فاضاف أنبياء السوارى الأربعمائة فى الفقرة (١٩) فقط ، وامتنع عن ذكرهم فى المكان المناسب والحاسم فى الفقرة (٤٠) - أَوَلَمْ يكن من الأصوب عدم ذكرهم فى الفقرة (١٩) وذكرهم فى الفقرة (٤٠).

انظر : עיון מקרא ופרשנות , עמ' פפ .

٢) وكذلك وضع النبى موسى عليه السلام فرعون مصر أمام إمتحان عقائدى مشابه لإمتحان إلياهو لآحاب ، فقد رأى ان أضرار ضربة البرد العظيم ستحدد إيمان الملك والامتناع عن العبادة الوثنية بعد تحذير نبى الرب له حيث قال له : "וְעַתָּה שְׁלַח הָעֵז אֶת־מִקְנְךָ וְאֶת כָּל־אֲשֶׁר לְךָ בַּשָּׂדֶה .. הַיְרֵא אֶת־דְּבַר יְהוָה מֵעַבְדֵי פַרְעֹה הֵנִיס אֶת־עֲבָדָיו וְאֶת מִקְנֵהוּ .. - والآن ارسل أحم مواشيك وكل مالك فى الحقل ... فالذى خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرّب عبيده ومواشيه " (خروج ٩ : ١٨ - ٢٠). وكما نرى فهذه ليست مجرد " نصيحة طيبة " (كما فسرها بعض الباحثين) بل إحدى ==

عن مكانته بخروجه للبحث عن العشب فى البرية ، قد التزم بالعمل ضد أنبياء بعل والسوارى ،وضد كل بنى إسرائيل كاستمرار لعمل عوبديا ، حيث أصبح الملك الآن رسولاً (" עכר' ישראל - معكر اسرائيل " الذى تعلقت به كل فظائع الجفاف[1] ،

=) الحلقات فى سلسلة الاختبارات التى وضعها موسى لفرعون . ونخلص من ذلك إلى أن التشابه بين موقف موسى وقضيته وموقف إلياهو ليس موضوعياً فحسب بل لغوياً أيضاً ، ففى مقابل " ועתה שלח העז - والآن ارسل احم" - خروج ٩ : ١٩ - على لسان موسى ، نجد "ועתה שלח קבץ - والآن ارسل اجمع - (١ ملك ١٨ : ١٩) - على لسان إلياهو .

١) تتعلق الوحدة الأدبية للاصحاح (١٨) بتقييم الثقة الموضوعة فى الفقرات (١٧ - ١٩) من حيث انها تربط بين " قصة الجفاف " وقصة " المناظرة فوق الكرمل " ، ففى تقييم " الط Alt "(الذى شكك فى وحدة هذا الاصحاح) نجده يعتقد ان خاتمة الاصحاح (١٨) هى اضافة تثنوية ، هدفت الى الربط بين قصة " المناظرة فوق الكرمل " وقصة " الجفاف " بواسطة تقديم تعليل دينى للجفاف . بينما يرد"أيسفلدت Eissfeldt " على ذلك بقوله : أنه حتى بدون هذه الخاتمة فانه يبقى هناك اتصال بين القصتين مع اتهام آحاب " بمعكر اسرائيل " ، لأن هذا الاتهام لايكون له أى معنى الا عند ربطه بقصة الجفاف . وفى مقابل هذا الرأى نجد " شطق Steck " يدعى ان اتهام آحاب كمتسبب فى الجفاف الذى حل على اسرائيل ، يناقض تماما اتهام الياهو للشعب فوق الكرمل بانهم المتسببون فى كارثة الجفاف (الفقرات ٢١ ،٣٩) ويدعى " شطق " أيضا ان الفقرة (١٩) ليس لها الا أهمية ثانوية فقط ، وهذا افتراض مبالغ فيه لانه يرى ان مشهد الجفاف الأصلى (١٨ : ١ - ٢) قد جاء بعده وصف تفصيلى على لقاء الياهو - آحاب ، ثم تلاه مباشرة مشهد اعطاء المطر (٤٠ - ٤٦) . وفى الحقيقة أنه عقب اضافة لقاء الياهو - عوبديا ، ومشهد المناظرة فى الكرمل ، تم اختصار مشهد لقاء الياهو - آحاب ، ثم تم اعداده من جديد ليربط بين المشاهد ، ولذلك يمكننا الرد على هذه التفسيرات بمايلى : أولا : حتى اذا فسرنا - وهذا أمر مستبعد - كلمات الياهو للشعب فى الفقرة (٢١) بانها اتهام غير مباشر بحدوث الجفاف ، فانه ليس فى ذلك أى تناقض مع اتهام آحاب بخطاياه . ثانيا : ازاء الاستمرارية الموضوعية والشكلية بين الأمر الموجه لعوبديا ، والأمر الموجه لآحاب ، فانه ليس هناك مجال لحديث (ليس له مايدره) عن الأهمية الثانوية للفقرة (١٩). لأنه بعد ذكرها وجدنا فى هذه الاستمرارية اثباتاضافى لاصالة مشهد لقاء لياهو - عوبديا . انظر : עיון מקרא ופרשנות ، עמ' 67 - 70

نقلا عن

- A. Alt: Das Gottesurtial auf den Karmel, PP.2-3.

==

وخاصة ان " الياهو " لم يذكر شيئاً عن هدف الاجتماع ، مما أدى إلى صعوبة استجابة " آحاب " ، ولكن من ناحية آخرى نجد فى كلمات " إلياهو " رموزاً كثيرة يحتمل ان آحاب استوعبها و استحسنها رغم مافيها من اتهام البيت الملكى بدفع الشعب إلى الخطأ ، إذ يحتمل أن صيغة الأمر : שְׁלַח קְבֹץ - ارسل اجمع " قد جعلت آحاب يستنتج إن النبى سيضطرلدخول مواجهة مباشرة مع " كل إسرائيل " ، هذا بالإضافة إلى ان دعوة الأنبياء الوثنيين إلىمكان بارز للعبادة كجبل الكرمل (١) تشير بوضوح إلى توقع حدوث صراع بينهما وبين نبى الرب . إذاً واجه آحاب صعوبة شديدة للغاية فى تنفيذ أمر النبى ، ولكن طاعته للنبى تشير إلى ان النبى قد نجح هذه المرة أيضاً (كما نجح من قبل مع الأرملة الصيدونية ومع عوبديا) فى موائمة مطالبه مع القدرة النفسية و الأخلاقية للمختبر . ولتوضيح ذلك نقول إن الملك عندما طلب القبض على النبى ، كان يعرف جيداً ان مفتاح الأمطار لايوجد إلا عند إلياهو فقط ، إلا ان أمله كان استخلاصه منه بالقوة وبالإكراه (٢)، إلا إن المقابلة

(= Der Gott Karmel, P. 34.

- Uberlieferung und Zeitgeschte in den Elia, PP. 9-13?

١) وهناك شواهد عديدة على ان الكرمل كان مكان للعبادة ، تعود بدايتها إلى طقس مصرى يرجع إلى منتصف الألف الثالث ق.م ، وتنتهى بماذكر عنه فى القدم المرمرية لتمثال " زيوس " التى ترجع إلى نهاية القرن الثانى الميلادى ، والتى اكتشفها " م. ابى يونا מ. אב' 'ונה " . ومن الاستنتاجات المبالغ فيها ان إلياهو اختار هذا المكان بالذات لأنه كان مخصص للعبادة الوثنية ، ولكى ينتصر على ممثلها " بعل " فوق أرضه ، ولكن هذا الرؤية تناقض تماماً التقابل المتناسق مع معجزات الطعام والإحياء فى صرفة الصيدونية ، وبصورة خاصة مع الفقرة " וירפא את מזבח 'הוה ההרוס " - ورمم مذبح يهوه المنهدم " (١٨ : ٣٠ وقارن أيضاً ٢ ملك ٢ : ٢٥ ؛ ٤ : ٢٥) ولذلك فمن الأفضل الاكتفاء بفرضية ان إلياهو هدف إلىأن تجرى المناظرة فى مكان مقدس لكلا الجانبين .

انظر : אנצ'ק' מקר' ,ברד' ,ערך "כרמל".

J.A. Montgomery, The Books of Kings . ICC. Edinburgh,1951.P.301

- הנבואא הקדומה בישראל ,עמ' 192-198 .

٢) قارن الملوك الأول ١٣ : ٤ ، ٢٢ : ٢٤ ، مع الملوك الثانى ١ : ٩ ، وذلك بخصوص الاعتقاد بان الاضرار بالملك يصيب أيضا كلمته +

المفاجئة (فى توقيتها ، ومكانها ، وظروفها) جعلته يدرك ان أختفاء النبى لم يكن هروباً أو فراراً ، وان ظهوره وحضوره للقائه لايعنى إعطاء الفرصة للملك للسيطرة على النبى ، بل ظهوره يعنى ان السيادة والسلطة أصبحتا فى يد النبى ، ويعنى أيضاً اعادة الثقة وإعطاء الأمل من جديد ، إذ يبدو لنا ان " إلياهو " قد ترك إحساساً قوياً لدى الملك - مثله مثل الأرملة الصيدونية ، ومثل عوبديا - بان نبى الرب ليس " معكر إسرائيل " بل هو " الأمل لإسرائيل " .

وتبرز لنا الصياغة الأسلوبية التى اتبعها القاص ، مدى طاعة الملك لأمر النبى ، حيث استخدم نفس الكلمات التى استخدمها إلياهو فى توجيه أوامره للملك ، عند وصفه تنفيذ آحاب لذلك الأمر : וַיִּשְׁלַח אַחְאָב בְּכָל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל, וַיִּקְבֹּץ אֶת-הַנְּבִיאִים אֶל הַר הַכַּרְמֶל "

- فأرسل آحاب إلى جميع بنى إسرائيل ، وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل " (الفقرة ٢٠)[1].

المواجهة بين إلياهو والشعب :

تبدأ فقرات المشهد الخامس (٢١ - ٤٠) باقتراب إلياهو من الشعب: " וַיִּגַּשׁ אֵלִיָּהוּ אֶל-כָּל-הָעָם " . ويبدو من السياق ان إلياهو أتى من ناحية أخرى غير تلك التى أتى منها الشعب ، فان كان الشعب قد أتوا من كل نواحى البلاد فلعله قد خرج إليهم من إحدى المغاير التىتكثر فى جبل الكرمل حيث كان يقضى فترة الانتظار لحين استدعاء جميع الشعب ، ثم بدأ إلياهو حديثة إلى الشعب ، والذى اكتفى فيه بالتوبيخ فقط بدون أن يصاحبه مطلب عمل محدد،لأن هدفه هذه المرة كان أصعب ،ووضعه كان أسوأ ، فقال لهم : " עַד מָתַי אַתֶּם פֹּסְחִים

---

١) نلاحظ فى الفقرة (٢٠) عدم وجود كلمة " אֵלַי " إلىَّ الموجودة فى صيغة الأمر فى الفقرة (١٩) ، ويحتمل نتيجة لذلك ان طاعة الملك للنبى لم تكن كاملة ، حيث لم يجد الملك فى نفسه الجرأة ليعلن مسبقاً ان إلياهو النبى سيقف فى مركز الاجتماع فوق الكرمل ؛ ولكن من ناحية أخرى فان عدم وجود أى ذكر عن مفاجأة الشعب لرؤية النبى تشير إلى ان هذا الاحتمال بعيد عن الواقع .

עַל שְׁתֵּי הַסְּעִיפִים - حتى متى تسيرون على الفرعين "[1]. وفى الحقيقة ان هذا المثل الذى استخدمه إلياهو للتعبير عن احتجاجه المشبع بالتوبيخ ، لم يتم

---

١) ويفسر بوبر هذا المثل فى تشبيه جميل مأخوذ من الطبيعة حيث يشبه الشعب بعصفور يسير فوق أحد الأغصان حتى يصل إلى مكان يتفرع فيه الغصن إلى فرعين فيضع العصفور احدى رجلية فوق فرع والرجل الأخرى فوق الفرع الآخر ، وهذا الأمر مستحيل من الناحية العملية وهى استعارة عن التوافقية الدينية الشعبية ، ومن ناحية أخرى تذكرنا كلمات إلياهو للشعب بموقف دينى عظيم ، يحدده التراث المقرائى بأيام يشوع فى منطقة شكيم حيث أنذر يشوع الشعب بان " يهوه " إله قدوس وإله غيور ، وان اختيار الشعب له كإله كان يلزم " انتزاع " كل الآلهة الوثنية الأخرى من البلاد حيث يجب أن تكون الطاعة والإيمان ليهوه فقط. انظر: תורת הנביאים, עמ' 74.
انظر أيضاً: אנציק' עבר', ערך "אליהו".
ورابى ياشيا ר' יאשיה :"מכילתא דר' שמעאל". מס' דפסחא ז, מהדורת הורוביץ - רבין, עמ' 25. يقول لاتقرأ" ופסחתי על'הם " (خروج ١٢ : ١٣) ولكن اقرأ " ופסעתי " أى ان الرب مر على بيوت بنى إسرائيل فى مصر . ولذلك يؤكد דב ירדן ان الجذر " פסח " يعنى " הגנה ומחסה - وقايه ودفاع " فى (الخروج ١٢ : ١٣ ، ٢٧ ، واشعيا ٣١: ٥) ، ولكنه فى قمة الكرمل يعنى " דלג " - قفز - أغفل - وثب ". وربما اشتق هذا المعنى من لغة " פסח " اى הילוך הפיסח = דילוג بمعنى : ذهاب الفصح أو عبوره " . انظر أشعيا ٣٥ : ٥ - ٦
انظر : הנבואה הקדומה בישראל, עמ' 203.

وقد استبعدنا رأى " דב ירדן " الذى يرى ان סעף = במה أى مرتفعة مكان للعبادة .
انظر : דב ירדן, "פשט ודרש במטבעות לשון" לשוננו לעם, תל אביב, תש"ט, עמ' 189-195.

تفسيره حتى الآن تفسيراً يرضى العقل فقد وجدت الترجمات القديمة صعوبة فى ترجمتها، فيوناثان " ונתן " ترجمها ترجمة حرة " עד מתי אתון פליגין לתר-תין פלגוון = עד מתי אתם נפלגים שני פלגים " أى حتى متى تنقسمون إلى قسمين " ، كذلك ترجم " הירונימוס " كلمة סעיפים = Partes أقسام "، ولكن لانجد أية إشارة فى هذا التشبيه لوجود انقسام داخل الشعب . أما المفسرون العبريون فى القرون الوسطى فقد شرحوا " סעיפים ב- מחשבות " أى أفكار ، استناداً على ماورد فى أيوب ٤ : ١٣ ؛ ٢٠ : ٢ . لكن هذا المعنى مزعزع أيضاً فى سفر أيوب حيث ان " שענף " قريبة من الجذر العربى " شغف " أى اضطرب قلبه وخاف ، وقد استخدم " طور سيناى טור סיני " هذه المقابلة وفسرها: עד מתי אתם מדלגים על שני פחדים أى تنتقلون بين مذبحين خوفاً من آلهتها، والأقرب للصواب هو تفسير שעפים = סעיפים (قارن أشعيا ١٧ : ٦ ؛ ٢٧ : ١٠ وغيرها) أى " עַנְפֵי הָעֵץ - فروع الشجر " . أى استحالة التنقل بين فرعى شجرة فى وقت واحد وهى استعارة بلاغية للتوافقية الدينية الشعبية (١).

وحسب تفسير " Eichrodt ايكرودت " ان إلياهو يناشد الشعب فى نداء حاسم " קריאה לְהַכְרָעָה " تحديد هويتهم الدينية (٢). لانه اتبعه بقوله: "אִם יְהוָה הָאֱלֹהִים לְכוּ אַחֲרָיו וְאִם־הַבַּעַל לְכוּ אַחֲרָיו" (٣) إن كان الرب هو الله فاتبعوه ، وإن كان بعل فاتبعوه " (١٨ : ٢١) ويبدو من السياق ان إلياهو استخدم نفس اللغه التى استخدمها فى اتهام " آحاب "וַתִּלֶךְ אַחֲרֵי הַבְּעָלִים (الفقره ١٨) إلا إنه مع الشعب قد استخدم أسلوب المهادنة معهم ، فهو لايتهمهم باحداث الجفاف لأنه يدرك أنهم لايستطيعون التحديد هل فى قوة بعل

---

١) הנבואה הקדומה בישראל, עמ' 202 .

٢) W.Eichrodt Theology of the O.T.E.T., Vol.II, London,1967. P.277.

٣) استخدمت لغة הלך אחרי فى هذه الفقره مع انها لغة نادرة فى المقرا ، ويعتقد Preuss فرويس " أنه تم استخدامها هنا لتكون بمثابة "القسم" ، وفى نفس الوقت الإعلان أنه لايجوز السير إلا وراء إله واحد فقط .
انظر : עיון מקרא ופרשנות . עמ' 90 ونقلا عن
H.R. Preuss, Verspottung fremder Religionen im A.T. stuttgart, 1971, PP. 95-97.

انقاذهم ، بالإضافة إلى ان استخدام لغة " עַד מָתַי "[1] - حتى متى - تبرز تسامح إلياهو تجاه الشعب الذى نتج عن تقديره لمدى استجابة الشعب لما يطلبه منهم فى هذه الظروف ، ولذلك نجده مستعداً للتحلى بالصبر ازاء صمت الشعب الذى لم يجبه بكلمة : וְלֹא עָנוּ הָעָם אֹתוֹ דָּבָר [2]. وفى مقابل هذا الصمت أقترح عليهم إلياهو اقتراحاً مغرباً بإجراء مناظرة تتم أمامهم بدون أن يتحملوا أعبائها حيث انهم لم يكن لديهم بعد المقدرة على اجتياز اختباره لهم ، وهو بهذه المناظرة يقدم لهم العون من أجل الوصول من طريق مختصرة إلى العقيدة الحقة .

المناظرة فوق الكرمل :

عمد " إلياهو " أولاً إلى تحديد العلاقة بين نسب القوى التى ستتنافس فى المناظرة المقترحة ، فقال : " נוֹתַרְתִּי נָבִיא לַיהוָה לְבַדִּי וּנְבִיאֵי הַבַּעַל אַרְבַּע־מֵאוֹת וַחֲמִשִּׁים אִישׁ - بقيت نبياً للرب وحدى ، وأنبياء بعل أربعمائة وخمسون رجلاً " (الفقرة ٢٢) ويبين هذا التحديد قوة ادراك إلياهو للعداء الشديد لأنبياء الرب الذى تمثل فى التصفية الجسدية لهم حيث لم يبق منهم إلا واحد فقط [3].

---

١) إن تعبير " עַד מָתַי - حتى متى " يستخدم عادة فى الجمل التوبيخية لكنه يعبر عن ان الاستمرار فى العمل يزيد من خطورته (قارن : صموئيل الأول١:١٤) ويستخدم أيضاً من أجل استخلاص نتائج من ظاهرة مستمرة (قارن : خروج١٠: ٧) ولذلك يمكن القول ان هذا التعبير يشير إلى كارثة الجفاف التى لم يذكر عنها شيئاً فى مشهد المناظرة (الفقرات ٢١ وحتى ٤٠) الأمر الذى يثير الشك فى وحدة الإصحاح الـ ١٩ .
انظر : עיון מקרא ופרשנות, עמ' 90.

٢) أيضاً نجد موقف مشابه لذلك الموقف فى عدم رد بنى إسرائيل على موسى عندما كانوا فى مصر : וְלֹא שָׁמְעוּ אֶל מֹשֶׁה מִקֹּצֶר רוּחַ וּמֵעֲבֹדָה קָשָׁה " - ولم يسمعوا لموسى لضيق النفس ، ومن العبودية القاسية " (خروج ٦ : ٩) ، ولذلك قلل موسى من مطالبه لهم حيث رأى أن صراعه مازال مستمراً مع فرعون .

٣) يرى " أرليخ Ehrlich " فى اقتراحه لتبرير التناقض الواضح بين فقرة " נוֹתַרְתִּי נָבִיא לַיהוָה לְבַדִּי " - بقيت نبياً للرب وحدى " والفقرة (١٣) التى تتحدث عن اخفاء عوبديا لمائة نبى ، ان إلياهو لم يذكرهم فى نسب القوى بين المتنافسين ، لأنه رأى أنهم باختباءهم لم يصبحوا أنبياء فعالين. ==

وقد نجح الياهو فى أن يفرض على خصومه شروط المناظرة ، عن طريق امتناعه عن الجدل والنقاش معهم(١)، فقد توصل إلى اتفاق مع الشعب الذى أيده بالاجماع فى قول ملتهب : " טוב הדבר الكلام حسن " (الفقرة : ٢٤) وبذلك نجح "إلياهو" أيضاً فى أن يجعل الشعب من متهمين إلى قضاة ملتزمين باصدار قرار حاسم ، بعد أن عرض عليهم ملامح هذه المناظرة الدينية :"וְיִתְּנוּ־לָנוּ שְׁנַיִם פָּרִים וְיִבְחֲרוּ לָהֶם הַפָּר הָאֶחָד וִינַתְּחֵהוּ וְיָשִׂימוּ עַל־הָעֵצִים וְאֵשׁ לֹא יָשִׂימוּ וָאֲנִי אֶעֱשֶׂה אֶת־הַפָּר הָאֶחָד וְנָתַתִּי עַל־הָעֵצִים וְאֵשׁ לֹא אָשִׂים. וּקְרָאתֶם בְּשֵׁם אֱלֹהֵיכֶם וַאֲנִי אֶקְרָא בְּשֵׁם־יְהוָה וְהָיָה הָאֱלֹהִים אֲשֶׁר־יַעֲנֶה בָאֵשׁ הוּא הָאֱלֹהִים." - فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب،ولكن لايضعوا ناراً وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع ناراً(٢). ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم

=) انظر עיונ מקרא ופרשנות ,עמ' 19

١) فى كلمات إلياهو إلى الشعب انتقل فجأة فى حديثه عن أنبياء بعل قائلاً فى صيغة الخطاب : " וקראתם בשם אלהיכם - وتدعون باسم آلهتكم " . ومن المدهش هنا ليس فقط تغير الحديث إلى صيغة الخطاب ، بل أيضاً إن الحديث غير منطقى من الناحية الموضوعية ، لانه مع حصوله على موافقة الشعب (الفقرة ٢٤) اتجه مباشرة إلى أنبياء بعل وقال لهم نفس الكلمات ولكن فى صيغة الأمر : וקראו בשם אלהיכם "وادعوا باسم إلهكم " (الفقرة ٢٥) . ولذلك كان لابد وهو يتحدث الى الشعب ان يتحدث عن أنبياء بعل فى صيغة الغائبين وليس المخاطبين .

٢) ورد فى سورة آل عمران الآية ١٨٣ قوله تعالى " الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ : قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ ، فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُم إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ؟" . يجادل اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون له : إن الله قد عهد إلينا فى التوراة ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فلانؤمن لك حتى تأتينا به ،وهو مايتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإنقبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقى مكانه،وعهد إلى بنى إسرائيل ذلك إلا فى المسيح ومحمد ، فقال تعالى لمحمد قل لهم قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم كزكريا ويحيى فقتلتموهم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين . ==

الرب . والإله الذى يجيب بنار فهو الله " (الفقرات ٢٣ و ٢٤) . وهكذا بعد أن فرض " إلياهو " أسلوب المناظرة على أنبياء بعل ، خلال شجاعته وسمو عقيدته ،نجده يمنحهم ، من خلقه الحميد ، حق الاختيار بين الثورين ، وكذلك أسبقية تقديم القربان ، حيث رأى أنهم الأكثر عدداً(١)، الأمر الذى أدى إلى سرعة موافقة أنبياء بعل الواثقين من الاستجابة السريعة لإلههم ، بدون أن يفهموا دوافع " إلياهو "، الذى كان يرى ان اثبات عجز " بعل " هو عنصر ضرورى للمناظرة المصيرية مع أنبيائه ، ويتضح من تخطيط " إلياهو " لهذه المناظرة أن التأثير النفسى الزائد كان لازماً لأنه كان واثق تمام الثقة ان استجابة ربه لن تأتى إلا بعد بذل مجهود متواصل وشاق من أنبياء بعل ، لكى يعترف جميع الحاضرون بان الرب هو الله ، وليس " بعل "، وبذلك يتضح إذاً لماذا كان ضرورياً أن يؤجل " إلياهو " دعوته لربه إلى مابعد أن

=) والحقيقة إننا نرجع إلى التوراة بما تضمنت من كتب موسى وأنبيائهم من بعده ، وهى أجمع كتبهم بشأن تاريخهم الدينى وتجاربهم مع أنبيائهم، فلانقع منها على خبر بذلك إلا فيما جاء عن "إلياهو النبىّ ثم لانقع على شاهد بعد ذلك من قبله ولامن بعده ، أما موسى عليه السلام فلم نجد فى الأسفار المنسوبة إليه ، وهى اللب والصميم من شريعتهم مايشير إلى اتخاذ القربان للفصل فى دعوى النبوة بل نجده يرصد الإصحاحات السبعة الأولى من سفر اللاويين لتفصيل شريعة القربان ، فلا تند منه كلمة واحدة بالتحاكم إليه فى هذا الأمر ، وإنما غايته أما للشكر ، أو التكفير عن الخطايا والآثام .

وقد ورد فى سفر التثنية معيار الفصل فى دعوى النبوة حيث جاء : " وأما النبى الذى يطغى ، فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى . وأن قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ، ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى ، فلاتخف منه " (التثنية ١٨ : ٢٠ - ٢٢) أى إنه حصول ، أو عدم حصول مايدعى المتنبىء مما ينسب إلى ربه القول به .

أما خبر " إلياهو " فلايستطيع مدع أن يدعى أن "إلياهو " قد أخذ ذلك عن موسىّ ، لأننا لانجد فى أسفاره شاهداً بذلك .والذى يصح تقريره إذن أنه فعله ابتداء ، لم يقتد فيه بسابق عليه ، ولم يلزم به لاحقاً من بعده . ولذلك فهو اختصاص خص به . انظر : حسنى يوسف الأطير : على هامش الحوار بين القرآن واليهود . الطبعة الأولى - دار الأنصار - القاهرة ١٩٨٤ . ص ٩٠ - ٩٢.

١) راجع الملوك الأول ١٨ : ٢٥ .

يثبت للجميع الفشل التام لخصومه [١].

وعندما نستعرض أسلوب النص المقرائى نجد ان القاص قد عمد إلى إبراز مهارة " إلياهو " فى التأثير على الغير ، وذلك فى وصفه أنبياء " بعل " وهم ينفذون أوامر " إلياهو " لهم . حيث اتسمت أعمالهم بالسرعة فى التنفيذ ، فقد أمرهم قائلاً : " בַּחֲרוּ לָכֶם הַפָּר הָאֶחָד וַעֲשׂוּ רִאשֹׁנָה .. וְקִרְאוּ בְּשֵׁם אֱלֹהֵיכֶם ... וַיִּקְחוּ אֶת־הַפָּר ... וַיַּעֲשׂוּ וַיִּקְרְאוּ בְּשֵׁם הבעל

اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقربوا أولاً - .. وادعوا باسم آلهتكم .. فأخذوا الثور ... وقربوه ودعوا باسم بعل " (الفقرات ٢٥ - ٢٦). وعندما امتد بهم الحال إلى الظهر ولاهجيب لهم ، حثهم إلياهو على مضاعفة جهودهم خلال سخرية شديدة قائلاً :" קִרְאוּ בְקוֹל - גָּדוֹל - ادعوا بصوت عال " (الفقرة : ٢٧ أ) ومرة أخرى يطيعه أنبياء بعل : " וַיִּקְרְאוּ בְקוֹל גָּדוֹל - فدعوا بصوت عال" [٢] (الفقرة ٢٧ ب)، بل تقطعوا بالسيوف والرماح حسب عادتهم حتى سالت منهم الدماء.

وهكذا يتضح لنا من خلال استعراض أسلوب القاص أنه جعل " إلياهو " يتمكن من جعل خصومه يشاركونه فى إثبات عدم جدوى إلههم " بعل " ، لان نفاذ جهدهم هو أعظم إثبات على عجزه [٣]، ومن ناحية أخرى جاء تنفيذهم لأوامره وطاعتهم له متمشياً لما حدث مع " الأرملة " الصيدونية ثم بعد ذلك مع " عوبديا " وزير الملك ، ثم مع الملك نفسه ، لكن فى حين ان هؤلاء الثلاثة قد أطاعوه برغبتهم وارادتهم ، نجد ان أنبياء بعل قد أطاعوه مرغمين . [٤]

---

١) تذكرنا هذه السخرية المبالغ فيها فى تحديد نسب القوى المتنافسه ،والتعبير المهذب (الجنتلمانى) تجاه الخصم ، بطريقة شمشون وموقفه فى صراعه مع ثلاثين من رفاقه . (قضاة ١٤ : ١٢ - ١٣ ، ١٨ - ١٩)

٢) " וַיִּתְגֹּדְדוּ כְּמִשְׁפָּטָם בַּחֲרָבוֹת וּבָרְמָחִים עַד שְׁפָךְ־דָּם עֲלֵיהֶם " (الفقره ٢٨ ق)

٣) قارن هذا الموقف مع جهود سحرة مصر عند تصديهم لموسى ولهارون فى احداث الضربات حيث زادت انتصاراتهم الأولى من تحمل المصريين ، ولكن من ناحية أخرى تعبر هذه الانتصارات عن تهكم وسخرية موسى منهم ، لأنهم بفشلهم التام فى ضربة القمل وماتلاها من ضربات كان أعظم اثبات على تفوق رب موسى .

٤) فى هذه القضية نجد فرقاً بارزاً بين شروط المناظرة كما تم تحديدها فى البداية مع الشعب (الفقرات ٢٣ - ٢٤ أ) والاجراءات التى اقترحها إلياهو بعد ذلك على أنبياء بعل (الفقرة : ٢٥) ففى اقتراحه للشعب نجده يتحدث ==

سخرية إلياهو من أنبياء بعل :

וַיְהִי בַּצָּהֳרַיִם וַיְהִתֵּל בָּהֶם אֵלִיָּהוּ וַיֹּאמֶר קִרְאוּ בְקוֹל־גָּדוֹל כִּי־
אֱלֹהִים הוּא כִּי שִׂיחַ וְכִי־שִׂיג לוֹ וְכִי־דֶרֶךְ לוֹ אוּלַי יָשֵׁן הוּא וְיִקָּץ.
וַיִּקְרְאוּ בְקוֹל גָּדוֹל - וגו'".

وعند الظهر سخر بهم إلياهو ، وقال ادعوا بصوت عال لأنه إله . لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فيتنبه . فصرخوا بصوت عال .." (الفقرات ٢٧ - ٢٨). عندما نتعمق في فهم هذه الفقرات التي تشير إلى ما قام به " إلياهو " من تحفيز لأنبياء بعل على بذل مجهود أكبر ، ولو كان ادراكنا لهذه الفقرات ينصب على ماتعنيه هذه الإشارة ، فإنه من الصعب الآن الموافقة على فرضية " رابي يوناثان- ר' יונתן " الذي فسر كلمة : " וַיְהִתֵּל - وسخر " بان إلياهو وضع بعل وعبدته موضع سخرية واستهزاء . والحقيقة ان السخرية المخزية من شأنها أن تؤدي بالمسخر منه إلى مزيد من بذل الجهد بعد بداية العمل ، ولكن ليس من المعقول في ضوء دراستنا الأسلوبية والبنائية السابقة ، أن يكون رد فعل أنبياء بعل هو

=) عن مرحلتين ، الأولى : تقطيع الثورين وترتيبهما على الحطب (ويفعل الطرفان ذلك وراء بعضهما البعض) ، الثانية : دعاء الطرفين إلى إلههما (ويتم ذلك وهما متقابلين) بينما في مخاطبته لأنبياء بعل بعد ذلك يقترح إلياهو عليهم تنفيذ كل هذه الأعمال بصورة متتالية حتى ينتهوا منها تماماً ، وفي أثناء ذلك يقف منتظراً . والإثبات إن ذلك التغيير كان مقصوداً، مانجده في بداية الفقرة (٢٣) حيث يلحق إلياهو تحذيره من استخدام النار إلى مرحلة الاستعدادات ، بينما بعد ذلك (الفقره : ٢٥) نجده يسبق هذا التحذير بموضوع دعوة إلههم ، وبذلك فهو يضم المرحلتين في عمل متواصل . ويرجع عدم اقتراح هذه الإجراءات في البداية إلى ان إلياهو قد فضل أن يعبر انتظاره ، عن تنازله الذي يقدمه مباشرة لخصومه ، أما على مستوى القصة فيشير هذا العمل في التمويه المحكم إلى أي مدى كان مهم عند إلياهو الامتناع عن تشتيت ذهن واهتمام الحاضرين بين المذبحين ، والتأكيد على ان استجابة الرب (يهوه) تأتي على أساس صمت بعل . بينما على المستوى الأدبي فإن هذا التغير يجعلنا ندرك إلى أي مدى كان مهم في نظر القاص التأكيد على إظهار مدى حكمة النبي في التخطيط لمهمته وعظمة إدراكه في تعامله مع الشر .

انظر : עיוני מקרא ופרשנות , עמ' 92.

نتيجة ثانوية لم تشر إليها كلمات إلياهو ، إلا إننا ندرك أن المناظرة فوق الكرمل هدفت إلى أن تثبت - فى شكل اختبار - إفلاس " بعل " بواسطة عدم استجابته لدعاء أنبيائه . إذاً فمن المعقول جداً ان القاص سيؤكد على ان النبى سيفعل كل مابوسعه لتضخيم عملية الاختبار ولذلك لم يذكر على لسانه كلمة واحدة تدل على تعرضة للخطر. وقد وجد كلاً من " يوناشان " ، " وراشى " ، " ورابى يوسف كارا " فى تعبيرى "שִׂיג לוֹ - فى خلوة " و " דֶּרֶךְ לוֹ - فى سفر " إشارة تعبر عن ان "بعل" قد ذهب ليقضى حاجته (١)، وعلى هذا الأساس بنى " رابى داود قمحى " تفسيره للسخرية من الأنبياء الوثنيين ، حيث قال انه أمر معقول تجاه عبدة بعل بحيث تكلم إلياهو بنفس لغتهم (٢) .

أما تفسير "כִּי אֱלֹהִים הוּא" - لأنه إله " (الفقره : ٢٧) فانه فى ضوء كلمات إلياهو فى الفقرة (٢١) : " إن كان الرب هو الله فاتبعوه ، وإن كان بعل فاتبعوه " ، يمكننا القول بان إلقاء " إلياهو " لهذه الكلمات " لأنه إله " كان ضرورياً أن يتم بأسلوب تهكمى ، لان كلمة " וַיִּתְעַל وسخر " الواردة بعد هذه الفقرة ،لم ترد لتذكرنا بان كلام إلياهو السابق فى الفقره (٢١) هو استهزاء ، بل

---

١) راجع : נ.ה. טורטשינר (טור-סיני) : פשוטו של מקרא , ירושלים תשכ"ה , כרך ב' , עמ' 238.
وراجع أيضا : ב'. אופנהיימר , הנבואה הקדומה בישראל. עמ' 124.
Fohrer: Elia., Zürich 1973. P.14.

٢) ويؤيد " רַבִּי לֵוִי בֶּן גֵּרְשׁוֹם رابى لاوى بن جرشوم (فيلسوف معروفه ومؤلف كتاب מלחמות השם- حروب الرب - وأحد مفكرى القرن السادس عشر) هذا الرأى ويقول ان أنبياء بعل كانت لهم عادات وتقاليد تنجمية ، كانت تعتبر فى زمنهم أمور علمية ، ويمكن الآن الوقوف على مفهوم كلمات الياهو الموجهه الى سامعيه بالاستناد على الطقوس الميثيولوجية والعبادية من الشرق القديم .
انظر : מ"ד קאסוטו ," האלה ענת" ירושלים תש"א, עמ' 40.
ولمزيد من التفصيل راجع :
R. de Vaux: The prophets of Baal on Mount Carmel; in the Bible and the Ancient Near East, E.T. London, 1972. PP. 238-251.

وردت لتمنع القارئ من الوقوع فى الخطأ بإيمان النبى بماقاله لخصومه عن عقيدتهم (١)، لذا وجب أن يصاحب حديثه إليهم ، نغمة صوتية تعبر عن انه تحدث حسب أسلوبهم " לְשִׂיחָתְכֶם " ، لأنه لم يكن باستطاعته أن يقول عن بعل " انه إله "(٢) .

والحقيقة ان الفقره (٢٧) هى الوحيدة فى العهد القديم التى يفسر فيها الجذر " התל - תלל " ليدل على "ללעוג" - أن يسخر - " حيث استندت هذه الدلالة على مفهوم السياق(٣)، فالمعنى الأصلى للجذر هو : " לשקר " - أن يكذب " (قضاة ١٦ : ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ؛ أرميا ٩ : ٤ حيث ورد الجذر مرادفاً لـ " כזבים " ولـ " שקר " - " كذبة ، كاذب ") وقد أخذت دلالته أحياناً معنى " לרמות - أن يغدر - أن يخدع " (تكوين ٣١ : ٧ ؛ خروج ٨ : ٢٥) وأحياناً أخرى معنى " להטעות - أن يضل " (أشعيا ٤٤ : ٢٠) وهذا المعنى الأخير قريب جداً من دلالة التعبير : "לְדַבֵּר בְּלֵב וְלֵב - الحديث بغير الصدق " (أشعيا ٣٠ : ١٠؛ أيوب ١٣ : ٩ . ففى هذه المواضع قصد الحديث عن التظاهر بالخوف من ردود فعل السامعين)،ويبدو أن هذا الحديث غير الصريح هو أنسب الدلالات السابقة لهذه الفقرة . إذاً يمكننا القول أن كلمة " ו' התל " ليست إلا بدل قصصى (נָאראטִיב) عن نغمة الصوت التى تعبر عن السخرية (٤). وبعد أن رأى أنبياء بعل تدفق كلام إلياهو استجابوا له بسرعة وصرخوا بصوت عال ، بينما التحفظ الملىء بالسخرية من قِبَل النبى مهد طريق حديثه إلى الجموع الغفيره حوله وإعدادها لاستقبال الفشل القريب لبعل عن طريق كشف ماهيته بعد أن صارت عبثاً عملية تعليل الصمت المخجل

---

١) للتصدى لاحتمال قلق وشكوك القارئ ، قارن الجملة الافتتاحية فى(פרשת העקדה - قصة تقريب إبراهيم لابنه على المذبح (تكوين ٢٢ : ١). قارن أيضاً ملاحظة القاص عن النوايا الحقيقية لـ"إلياهو" فى قصة استئصال بعل من إسرائيل (٢ ملك ١٠ : ١٩) والكلمات " כחש לו " وكذب عليه "(١ ملك ١٣ : ١٨) التى وردت لتؤكد على ان الرب لايقول أمراً وعكسه لنبيين .

٢) עיוני מקרא ופרשנות, עמ' 93-94.

٣) دلالة السخرية والاستهزاء كانت مألوفة فى لغة القرون الوسطى ، وقد أتت قبل ذلك فى ترجمة " يوناثان " للفقره (٢٧) حيث وردت بمعنى " וחייך - وابتسم" وفى أمثال " ابن سيرا " ١١ : ٤ جاءت התל" مقابلة קל"ס (سخر من - هزأ بـ)

٤) עיוני מקרא ופרשנות , עמ' 94.

لهذا الاله الذى يصرخ إليه ٤٥٠ نبياً بكل قوتهم بعد اعتقادهم انه غائباً أو فى غفوة مؤقته(١)، بينما " الرب " الإله الحق ، لايغفو ولاينام ، لايسافر ولا يبتعد(٢)، فقط تأتى منه الشرور والخيرات(٣). وحينما زاد أنبياء بعل من صراخهم عقب كلمات إلياهو لهم ، فانهم بذلك أعطوا - مرة ثانية رغماً عنهم - ثقتهم فى صحة هذا العرض لعقيدتهم ، ومن ناحية أخرى أكدوا أن " بعل " الذى لم يستيقظ من غفوته رغم صراخ أنبيائه لحظة نزالهم المصيرى ، هو صنم له آذان ولايسمع .(٤)

---

١) من أجل توضيح التفسير المقبول (" וי התעל " بدلالة " וילעג وهزأ بـ " مع استجابة أنبياء بعل لتحفيز إلياهو لهم ، اضطر " Preuss - فرويس " الى الافتراض انهم تعاملوا بجدية مع النصيحة الساخرة ، وبذلك أظهروا كم هم يبعثون على السخريه مثل إلههم .

انظر : Verspottung fremder Religionen in A.T. Stuttgart, 1971, P. 88.

٢) كما ان التعبير : " שדה בעל - حقل بعل " بمجيئه فى لغة حكماء التلمود חז"ל (على سبيل المثال בבא בתרא ג ,ע"ב) يشير إلى ان غريزة الشر لهذه العبادة الوثنيه قد تم الفتك بها فى زمنهم ، كذلك يجب ألا نغفل عدم التهاون فى التعامل مع الاستعارات التى تنسب النوم والابتعاد لإله إسرائيل (مزامير ٣٥ : ٢٢ - ٢٣ ؛ ٤٤ : ٢٣ ؛ ٥٩ : ٥ - ٦؛ ٧٨ : ٦٥) تعبيراً عن تعاظم عقيدة التوحيد . فى هذا الصدد يرى " ש.ליברמן " ليبرمان " ان اتجاه رفض الدعوة فى المزامير ٤٤ : ٢٣ فى بيت المقدس قد حظت حسب اعتقاده نتيجة لتجدد الإحساس بالخطر المنعكس عن التقرب من طرق الأغيار وعقائدهم فى أيام بيت ثان .

انظر : ש.ליברמן ,"יונית ויונות בארץ ישראל" ,ירושלים תשכ"ג ,עמ' 253- 256.

٣) انتساب الشر، مثله مثل الخير، إلى الرب ، هو بمثابة كمال منطقى لانكار النسبية الوثنية ،وإلياهو قد عبر عن ذلك بشكل واضح فى صلاته (الفقرات ٣٦ - ٣٧)

٤) قارن هذا الوصف فى مزامير ١٥ : ٤ ؛ ٨ : ٥ " أصنامهم فضة وذهب . عمل أيدى الناس . لها أفواه ولاتتكلم . لها أعين ولاتبصر. لها آذان ولاتسمع . لها مناخر ولاتشم . لها أيد ولاتلمس . لها أرجل ولاتمشى،ولاتنطق بحناجرها مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها " .

وتذكر الأجاداه ان انبياء بعل قد حفروا حفرة أسفل المذبح ، واختبأ بداخلها " חִיאֵל - حيئيل " وبيده مجارة نارية ليشعل النار على المذبح فى اللحظة التى ينادى فيها زملاؤه باسم بعل ، إلا ان الرب أمر ثعباناً بلدغه فمات على الفور.بينما أنبياء بعل الذين لم يعرفوا بموت زميلهم ، نادوا بصوت مرتفع : يابعل اجبنا ، يابعل اجبناوهم يسيرون حول المذبح ولامجيب ولاصوت ولانار ، وزادتهم الهزيمة حيرة ، فقد اسكت الله العالم كله ، العالين والسافلين ، لانه إذا انطلق صدى صوت أياكان ، لقال أنبياء بعل : بعل أجبنا ، ولذلك لم يكن هناك صوت .(١)

وبعد أن أصبح مؤكداً فشل أنبياء بعل(٢) ، حان الوقت لعمل إلياهو ، وكانت

---

١) انظر : "לקוט ל מל"א יח ,כו ; שמות רבה (מדרש) טו ,טו ; ו : פסיקתא רבתי ,מהד' איש-שלום ,וינה ,1880 , פי"ד יג ,א.
ويشير مدراش " שמות רבה " فى نهاية الفصل ٢٩ إلى سكوت شبيه بالسكوت الذى حدث لبعل ، وهو السكوت الذى حدث وقت الخلق .

٢) وفقاً لهذا المفهوم فإن هزيمة " بعل " أصبحت مادة مساوية فى وصفها مع انتصار " يهوه " ، وقد تم التعبير عنها فى المدراش من خلال قصة تصويرية ساحرة : قال إلياهو لآحاب ولانبيائه : اختاروا لكم ثورين متساويين فى كل شئ ، توأمين من أم واحدة ، كَبَرُوا على علف واحد وفى مرعى واحد ، ثم ألقوا عليهم القرعة أيهما للرب وأيهما لبعل . ففعلوا حسب قوله واختاروا لهم أحد الثورين . الثور الذى وقعت عليه القرعه لتقريبه للرب سار من نفسه وراء إلياهو وأتى بنفسه إلى المذبح بينما الثور الذى صعد من أجل بعل ، وقف فى مكانه ، وفشلت محاولات أنبياء بعل وأنبياء الأشيراه (٨٥٠ رجلاً) فى تحريك قدميه من على الأرض ، حتى بادر إلياهو وقال له : اذهب معهم ، فأجابه الثور أمام كل الشعب : أنا ورفيقى خرجنا من بطن واحدة ، وكبرنا فى مرعى واحد وعلى علف واحد ، وهو كان من نصيب الرب ، واسم الرب تقدس فوقه ، وأنا كنت من نصيب بعل،ليغضب الرب خالقى ، فقال له إلياهو : اذهب معهم ولن توجه لك تهمة ، وكما تقدس الرب على رفيقك ، كذلك فإنه يتقدس عليك أيضاً. فقال له الثور : وبما انك مستشارنا فاقسم اننى لا اتحرك من مكانى حتى تسلمنى بيدك إليهم ، فقام إلياهو على الفور وأخذ الثور وسلمه ليد أنبياء بعل .

انظر : מדרש תנחומא הקדום והישן ,עם מבא גדול ,מהד' בובר ,וילנה 1885 ; במדבר רבה כ"ג ,ט.
==

أولى أعماله هى توجيه الدعوة الى الشعب بالاقتراب منه : "גשו אלי - تقدموا الى" (الفقرة : ٣٠) وحظى منهم باستجابة تامة : וַיִּגְּשׁוּ כָּל הָעָם אֵלָיו - فتقدم جميع الشعب اليه " (٣٠ ب) . ونخلص من هذه الاستجابة ان تحول كل الشعب عن مذبح " بعل " كان بمثابة حكم سلبى على ألوهيته (ذلك الحكم الذى أخذ ينمو وينضج طوال سنوات الجفاف) ، هذا عن علاقتهم ببعل وبانبيائه ، أما عن علاقتهم بنبى الرب فقد حدث أيضا تغييرا ملحوظا ، حيث كان الياهو فى البداية يحتاج الى الاقتراب من الشعب (الفقرة ٢١) . بينما الآن هم الذين يقتربون اليه ، وتقابل استجابة كل الشعب لدعوة النبى ، الاستجابة الأولى للأرملة وعوبديا ثم آحاب ، لكن فى حين كانت استجابة هؤلاء الثلاثة قد أتت فى البداية ثم أعقبتها معارضتهم ، نجد ان الوضع كان معكوسا عند كل الشعب ، ففى البداية كان التراجع الصامت ، الذى اعقبته الموافقة على شروط المناظرة ، ثم بعد ذلك بداية الطاعة للنبى .(١)

=) أما " راشى " فيفسره بانه مسند ينقصه المسند إليه " אשר נתן להם - الذى أعطى لهم" (الفقره : ٢٦) وعلى أساس هذا المدراش وبدون استيعاب الشرح كموعظة ، وبهذه الخلفية لمفهوم "راشى" لهذا المدراش يمكننا فهم التحفظ الشديد لـ"رابى يوسف كارا" الذى أمسك عن عرض المدراش وقال عنه فقط : " رأيت مدراش أجاداه دارج على لسان الجميع ، وقد اندهشت من هذه الشيران التى ذبحت من أجل الوثنية ، حيث لم يعرقل احداها هذا الأمر ، وهذا ما أراه مختلفاً عند الجميع ؟ ! إلا عدم اعادة كلمات الأجاداه " . كذلك "رابى داود قمحى" تحفظ منها وقال إنها : كلمات أجاداه " حيث يوجد فيها " أشياء بعيدة عن العقل " لكنه بعد ذلكيستشهد بها فى تفصيل كبير ، حيث انه لم يستطع الصمود أمام سحرها وحقيقتها ، فقد رأى أنه توجد فيها حقيقة شعائرية ليس فقط فى ادراك طرفى المناظرة ، بل أيضاً فى تكوين المحادثة بين إلياهو والثور حيث يتوافر فيها التقابل التناسبى مع المأمورين السابقين (الأرمله - عوبديا - الملك) فأولاً : علاقة إيجابية (الثور مستعد لتقديس اسم الرب) ، ثم ثورة ضد عدم الصدق فى الأمر،ثم الإنحياز المتفهم للنبى بعد الإعلان والتأكيد باسم الرب الذى ينتهى بطاعة النبى .

انظر: אגדות היהודים, כרך שלישי, עמ' 12

انظر أيضاً : עיון מקרא ופרשנות, עמ' 92-93.

١) المرجع السابق ص ٩٥

وبينما كان الدعاء لبعل والدوران حول مذبحه والتقطع بالسيوف والرماح قد تم وصفها فى تطويل نسبى (الفقرات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) ، إلا إن بناء مذبح بعل وإعداد الذبيحة تم الإشارة إليها بصورة عابرة فقط (بداية الفقره ٢٦ ونهايتها) . فى مقابل ذلك نجد ان هذه النسب انعكست على الجزء الخاص بإلياهو فى القصة ، فإن صلاته التى ستؤثر مستقبلاً بسيطرتها وبترنيمتها واستمراريتها تم تصويرها بصورة مختصرة ، بينما الاستعدادات التى سبقتها ذكرت بتفصيل كبير ، ويمكن أن نعتبر ذلك تعطيل هدف إلى زيادة لحظة التوتر الدرامى ؛ ولكن من ناحية أخرى يبدو هذا التأثير العقائدى والنفسى أمراً ثانوياً فإلياهو تم تصويره كمن لايخشى عدم استجابة الرب له (ولذلك فهو لا يتعجل الدعاء) ولكنه منزعج فقط لئلا تفشل المعجزة بواسطة شكوك وارتياب الناس[١] . وقد سعى القاص من ناحية أخرى إلى إطالة عبرة هذا الحدث إلى ماوراء لحظته ، فأبرز وسائل الحذر التى استخدمها النبى ليسبق بها أى إدعاء محتمل ضد واقعية وحقيقة المناظرة[٢] . بالإضافة إلى ذلك فإن إلياهو لم يبدأ فى إعادة بناء مذبح الرب المتهدم[٣] ، بل استمر فى إعطاء الأسبقية لخصومه من أجل تحفيزهم

---

١) قارن مدراش " בהכות ו' ,ע"ב " حيث يبحث فى ازدواجية اللغة فى صلاة إلياهو : ענני יהוה ענני - استجبنى يارب استجبنى " (١ ملك ١٨ : ٣٧) - فيذكر " إن الأولى من أجل أن تنزل نار من السماء واستجبنى الثانية : حتى لايقول جمهور الحاضرين إن هذا الأمر من أعمال السحرة " . وهناك دراشاه أخرى تبحث أيضا فى ازدواجية اللغة فى صلاة الياهو فتذكر " : قال إلياهو للرب ؛ استجبنى يارب بفضلى ، استجبنى يارب بفضل تلاميذى " . انظر : ירושלמי, דפוס קראטאשין, תרכ"ו, מסכת תענית פ"ב סה,ד.

٢) وجدير بالذكر إن واقعية أو حقيقة المناظرة مقيدة بالحقيقة التاريخية للقصة . فنجد " مونتجمرى Montgomery " قد أخذ حذره من واقعية المعجزة ، فاقترح ان إلياهو أمر بصب نفط على المذبح ثم أشعله بأشعة الشمس التى تجمعت فى بؤرة مرآة كان يستخدمها . ويقول " إن هذه الواقعية أرادت انقاذ تاريخية القصة بثمن اخلاقيتها ".
انظر :
The Books of Kings, P. 307.

٣) يذكر المدراش إن المذبح الذى قرّب عليه إلياهو قربانه ، هو المذبح الذى كان شاؤل قد بناه بعد عودته متوجاً بالنصر فى حربه ضد عماليق ، ثم دمره الإسرائيليون الآثمين بعد ذلك فى السامرة . وعاد إلياهو وبناه ليقرب عليه ،==

على بذل المجهود . وحتى لاتقترب منه جموع الشعب وتراقب كل حركة من حركاته ، قام بحفر قناة واسعة حول المذبح ، وامتنع عن صب الماء الغزير على القربان والحطب بيديه ، حيث أمر بعض أفراد من الشعب القيام بهذا العمل،وقد أبرز القاص تنفيذ الأمر بدقةبدون أن يصحبه بالتأكيد على الطاعة ، بل تكثيف جهود النبى من أجل إزالة الشك فهو لم يكتف بأربع قدور ماء ، ولا ثمانية ، ولم يسترح قبل أن يصب كل شيء مغطى بالمياه (١): וַיֹּאמֶר מִלְאוּ אַרְבָּעָה כַדִּים מַיִם וַיִּצְקוּ עַל-

---

=) وهو المذبح الذى ذكر عنه : "וַיִּבֶן אֶת-מִזְבַּח יְהוָה הֲרוּס" - فرمم مذبح الرب المنهدم " (١ ملك ١٨ : ٣٠) . وبتقريب إلياهو لقربانه فوق جبل الكرمل يكون بذلك قد خالف حظر الذبح خارج المعبد ، إلا إن الرب أعطاه صلاحية مؤقته للذبح خارج المعبد ، فتذكر الأجاداه " لايوجدنبى يخول له أن يبطل وصية أبدا ، لكن " إلياهو " قد خول له مخالفة ذلك كتصرف وليد الساعة " (ירושלמי, מסכת תענית, פ"ב, סד, א ; מדרש תנחומא הקדום והישן, ולנה 1885 ; במדבר רבה, 41 ; ירושלמי, מסכת זבמות צ, ב) ووفقاً لمدراش مجهول جاء فى تفسيره لسفر التثنية ١٢ : ٩ : " إن الياهو سمح لنفسه بمخالفة حظر الذبح خارج المعبد لأنه تصرف حسبما يقتضى منه الموقف أن يفعله فى ذلك الوقت ، وبفضل الكلمات التى قالها الرب ليعقوب عندما بشروه بقرب ميلاد بنيامين . حيث قال له الرب : גוי וקהל גוים יהיה ממך - أمه وجماعة أمم تكون منك" (تكوين ٣٥ : ١١) وفسروا " גוי " بمعنى أمه أو شعب ، و " קהל " بمعنى جماعة شعوب من أشرار إسرائيل . وبهذه الكلمات أكد الرب ليعقوب أنه فى المستقبل سيخرج من ذرية بنيامين ابن (والمقصود بذلك هو إلياهو الذى يعتقدون أنه من سبط بنيامين) يصنع معجزة بين جماعة الشعوب (= من أشرار إسرائيل) فوق جبل الكرمل ويقرب مقدسات خارج المعبد .

انظر : מדרש תהלים, המכונה שוחר טוב, מהד' בובר, ולנה 1891 מס"ח . 318 .

١) بعض الباحثين يرى فى عمل صب المياه عملاً سحرياً له مشاركة وجدانية أُعد لإنزال المطر (انظر : ר' פטאי, "המים", תל אביב, תרצ"ו, עמ' 56-57.

D.R.Ap-Thomas,"Elijah on Mount Carmel, PEQ 92. 1960, PP. 153-156.

T.H. Gaster: Myth, Legend and Customs in the O.T. New York. 1969, PP. 509-510.

الا ان هذه الروءية قد فندتها الحقيقة المذكورة فى الفقرة (٣٣) والتى تقول بإن النبى لم يصب المياه بيديه ؛ وفى الحقيقة إن الاحتياج لأيدى ==

"הָעֹלָה וְעַל-הָעֵצִים וַיֹּאמֶר שְׁנוּ וַיִּשְׁנוּ וַיֹּאמֶר שַׁלֵּשׁוּ וַיְשַׁלֵּשׁוּ - וַיֵּלְכוּ הַמַּיִם סָבִיב לַמִּזְבֵּחַ וְגַם אֶת-הַתְּעָלָה מִלֵּא-מָיִם"

"وقال املأوا أربع قدور ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ثم قال ثنوا فثنوا ، وقال ثلثوا فثلثوا ، فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضاً ماء" (٣٣ - ٣٥) . بعد ذلك فإننا نتوقع فى سياق الحديث عن المياه أن يشير الكاتب من أين أتوا باثنتى عشر قدرة ماء ، أو أن يعالج هذه المشكلة التى تحدث فى السنة الثالثة للجفاف . ولكن الكاتب لم يشر على الإطلاق إلى مصدر هذه المياه ، ولذلك يرى " ألط Alt " فى هذه الصمت : "أحد الاثباتات على انفصال أحداث المناظرة عن قصة الجفاف "[1] ولكن لاينبغى أن نستنتج استنتاجات مبالغ فيها نتيجة لهذا الصمت بخصوص كيفية احضار المياه[2] ، وخلاصة الأمر إن جفاف نهر كريث لا يعنى أن الآبار والعيون قد جفت أيضاً ، على العكس ، ففى

=) أجنبية لصب المياه قدتم تبريره جيداً عندما تحدثنا عن الوسائل التى استخدمها النبى فى حذره ضد أى إدعاء بخداع من جانبه . لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو:لماذا يمتنع النبى عن أن يفعل بذات يديه عملاً سحرياً أو طقساً دينياً ؟ وإجابة هذا السؤال لاتحتاج إلى أى عناء.لأن فعالية عمل كهذا مرتبطة مباشرة بماهية العمل نفسه (قارن ٢ ملك ٤ : ٢٩ - ٣٠) . أما المفسرون اليهود (רש"י, ר' יוסף קרא , רד"ק ורלב"ג) ، فقد فسروا عملية صب المياه بأنها هدفت الى تضخيم (على طريق معاكس) معجزة النار . أيضا " جونكل Gunkel " فسر فهم كذلك موتيف المياه ، لكنه رأى فى ذكره مرتين (٣٥ و ٣٨) إضافه زائدة . ويبدو أن إحساسه الأدبى ألزمه بأن ينسب هذا الموتيف إلى شوق (حماس) الأجيال المتأخرة إلى معجزات تخرق القوانين الطبيعية وتتعارض مع الظواهر الطبيعية .

انظر : Elias, J. und Baal, PP. 18-19

أما الأجاداه فتذكر إن النبى "اليشع" تلميذ إلياهو هو الذى صب المياه على يد إلياهو وأصبحت له معجزة مع سيده حيث خرجت عشرة عيون ماء من الأصابع العشرة لسيده حتى امتلأت القناة بالمياه .

انظر : אגדות היהודים ,עמ' 13.

١) עיון מקרא ופרשנות , עמ' 88 נמל"ן :

A.Alt, Das Gottesurtiel auf den Karmel , G,Beer Festschrift, Stuttgart 1935, P. 2.

٢) كذلك يكفى أن نذكر ان القاص لم يقدم أى توضيح عن كيفية وجود ثورين فوق الكرمل من أجل المناظرة . (١ ملك ١٨ : ٢٣)

وصف أهوال الجوع فى صرفة ، والسامرة فإن مصادر العهد القديم تتحدث عن نقص القمح والكلأ، فى حين انها لم تتحدث عن نقص مياه الشرب (١ ملك ١٧ : ١١ ؛ ١٨ : ٥) ، ولقد اعتمد الكاتب على معرفة القارئ لنمط الحياة فى أرض إسرائيل حيث لايحتمل اجتماع جماهيرى ليوم كامل بدون التذود بقدور وقرب المياه سواء مع وجود عين ماء معروفة ومشهورة فى مكان المناظرة (בּ'ר אל-מוחרק - بئر المحرق)[1] وان كان ذلك غير معقولاً إلا أننا نفترض إن الكاتب رأى فى مسألة احضار اثنتى عشر قدرة ماء مسألة تكنيكية فقط،وهو معفى عن بحثها . ولكن أيضاً على المستوى التعبيرى الأدبى يوجد سؤال ملح يطرح نفسه ، وهو : هل موتيف ملأ القدور بالمياه تطلب مقابلته مع استجابة الأرملة الصيدونية لطلب إلياهو بإحضار ماء فى إناء (١ ملك ١٧ : ١٠ - ١١) وهل هذه المقابلة من صنع الكاتب ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تبدو غير أكيدة ، حيث يحتمل إن القاص أراد القول بان " الشعب " وصل فى مشهد ملأ القدور وصب الماء إلى المرحلة التى وصلت إليها الأرملة عند بوابة صرفة ، وهى الاستجابة الطبيعية والمشاركة الوجدانية بدون أية مشاكل . إلا إن الوصف فى الفقرة (٣٤) ركز على الأوامر المفاجئة للنبى وعلى مغزاها تجاه المناظرة ، ولذلك فإنه باستثناء هذه المقابلة البنائية بين الشعب والأرملة فإنه لايوجد ما يحوّل انتباهنا إلى المنفذين المجهولين ، فمن الواضح إن الشعب مازال فى طور الإختبار وإن لحظة إختباره الحقيقية لم تحن بعد،ولذلك بذل إلياهو النبى كل جهده لزيادة فعالية المناظرة وتوضيح مغزاها بالتركيز على مذبح الرب المنهدم الذى كان فى حد ذاته بمثابة تذكرة للإثم وتلميح إلى التعنيف الشديد على مطاردة أنبياء الرب (الفقرة ١٥ ص ١٩) وقد أدى ترميم هذا المذبح القديم إلى إظهار مادى لقوة عبادة الرب فى هذا المكان قبل الانغماس فى العبادة الوثنية ، ومن ناحية أخرى إظهار الإهمال الحاضر له كنقيض للإيمان بالرب . وقد أوضح القاص استخدام إلياهو لاثنى عشرة حجر فى بناء المذبح ليشير إلى العهد القديم الذى بين الرب وأسباط إسرائيل الاثنى عشر

---

١) بئر المحرقة : وقد أطلق هذا الاسم على هذا المكان بعد أن نزلت نار من السماء والتهمت المحرقة التى قدمها إلياهو للرب ، ويدعى المكان الآن "المحرقة" وهى الترجمة العربية " لقرن الكرمل " الذى كان فيه مذبح الرب المنهدم الذى رممه إلياهو النبى . وربما هو نفس المكان الذى قدسه الكنعانيون وعبدوا فيه بعل" وأطلقوا عليه " رأس القدس " ، وقد وصل الأشوريون إلى هذا المكان فى حملاتهم على المنطقة .

انظر : מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עמ' 39.

وبذلك تصبح الأسباط وحدة واحدة مثلما أصبحت الأحجار مذبح واحد[١]. وربما أيضاً ليقيم حاجزاً بين الحاضرين من أبناء شعبه والأنبياء الوثنيين وإلههم . ومن خلال مجموعة من الرموز التى يصعب تفسيرها ، أخذ القاص يصف النبى الذى يقوم باستعداداته فى صمت تام، والذى ينجح خلال هذه الرموز فى إقامة جسر فكرى متين مع أفراد الشعب الذين يحيطون به ، فمن الناحية الفكرية والموضوعية نجح القاص فى إيجاد استمرارية معقولة ومنطقية للأحداث ، لكن على المستوى الأسلوبى التعبيرى فإن ترميم المذبح المنهدم (الفقرة : ٣٠) لايتمشى بسهولة مع أخذ اثنى عشر حجراً وبناء المذبح : וַיִּקַּח אֵלִיָּהוּ שְׁתֵּים עֶשְׂרֵה אֲבָנִים כְּמִסְפַּר שִׁבְטֵי בְנֵי־יַעֲקֹב אֲשֶׁר הָיָה דְבַר־יְהוָה אֵלָיו לֵאמֹר יִשְׂרָאֵל יִהְיֶה שְׁמֶךָ . וַיִּבֶן אֶת־הָאֲבָנִים מִזְבֵּחַ בְּשֵׁם יְהוָה" - وأخذ إلياهو اثنى عشر حجراً بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب إليه قائلا : إسرائيل يكون اسمك ، وبنى الحجارة مذبحاً باسم الرب " (١٨ : ٣١ - ٣٢ أ) ، ولذلك عملت الترجمة السبعينية على إزالة هذا الانطباع المقصود بوجود مذبحين فنقلت خاتمة الفقرة (٣٠) من بداية الوصف إلى نهايته فوضعتها بعد بداية الفقرة (٣٢) لتكون خاتمة للوصف (بعد حذف كلمة מִזְבֵּחַ - مذبح من بداية هذه الفقرة) ؛ بينما اتفق " راشى " " ورابى يوسف كارا " ، " ورابى داود قمحى " " ورابى لاوى بن جرشوم " فى حل هذه المسألة حيث قالوا إن مذبح الرب المنهدم ماهو إلا استعارة بلاغية للمذبح الأصلى، حيث عمل إلياهو على إطالة عبادة الرب المهملة ، لكن الرأى المقبول اليوم يرى وجود وصفين لمذبحين مختلفين ويحاول تحديد أيهما الأصلى ولماذا أضيف مذبح آخر[٢]. والحقيقة إن السبب الجذرى لهذه

---

١) أيضاً هنا يشبه إلياهو موسى : ויבן מזבח תחת ההר ושתים עשרה מצבה לשנים עשר שבטי ישראל - وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر " (خروج ٤ : ٤ ب)
انظر : תורת הנביאים, עמ' 74.

٢) يؤكد كثير من الباحثين Stech, Fohrer, Gunkel, Gerssman, Eissfeldt على اصالة خاتمة الفقرة (٣٠) ، وإن الفقرتين (٣١و ٣٢ أ) ماهما إلا إضافة زائدة ، ويرون ان هاتين الفقرتين كانتا بمثابة تواتر علمى للدفاع عن الاتهام بان بناء المذبح كان تصرف وليد الساعة ذو تحويل مؤقت . وقد هدف صاحب هذه الإضافة إلى أن يعرض مذبح إلياهو كإنما هو مذبح جديد تم بنائه فى لحظة ==

المسألة يرجع إلى التشبيه المسهب للمذبح كأنه صنع من الحجارة المنحوته ، وتقول الموسوعة المقرائية أنه من المنطقى الافتراض إن المذابح الشعبية كمذبح الرب فى أعالى الكرمل ، أو المذبح الذى أقامه إلياهو أسفله ، كانت تصنع من حجارة الحقل التى توضع فوق بعضها البعض حتى تقيم قاعدة مسطحة مرتفعة قليلاً عن الأرض بدون وضع حديد لهذه القاعدة ، ويبدو ان هذا المذبح الحجرى كان يبنى فوق تل ترابى متماسك (لكى يصبح طبقة ثانية فوق المذبح الأرضى) ولذلك افترض القاص إن هذا التقليد المستخدم فى بناء المذابح معروف جيداً ولذلك عالج الجزء الخاص بالمذبح فى القصة بصورة عابرة ، ففى وصفه لنار الرب التى سقطت على مذبح إلياهو قيل :

"וַתִּפֹּל אֵשׁ יְהוָה וַתֹּאכַל-אֶת הָעֹלָה וְאֶת-הָעֵצִים וְאֶת-הָאֲבָנִים וְאֶת-הֶעָפָר וְאֶת-הַמַּיִם אֲשֶׁר-בַּתְּעָלָה לִחֵכָה - فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة " (٣٨)[1] إذاً فى هذا

=) المناظرة التى أقيم من أجلها فقط ، ولذلك أسرعت نار الرب بإحراقه تماماً مع اكتمال المعجزة ، وحسب هذا الرأى لاتدخل ضمن هذا التفسير الكلمات الواردة فى الفقرة (٣٨) : ואת האבנים ואת העפר - والحجارة والتراب " . فى مقابل هذا التفسير يؤكد Würthwein على وجود الفقرتين (٣١ - ٣٢ أ) ويفسر الفقره (٣٠) بانها: "גלוסיא דוגמא'ת تفسير نموذجى " جاء ليقول : إن إلياهو لم يقم مذبحاً خارج أورشليم ولكنه رمم فقط مذبحاً قديماً . بينما يفضل " Montgomery " الفرضية التى تقول أنه يوجد نصين متقابلين عن المذبح لم يحسم القاص أمرهما ، بل حاول مزجهما فى نسيج واحد . هناك " Sanda " فقط - وبعده " Gray - حاولا تسوية مابين الوصفين من خلاف حيث افترضا إن مذبح إلياهو كان يتكون من مستويين يكونان ارتفاع مقداره ذراعان ونصف على الأقل ، وقد ظلت أساس المذبح القديم محفوظة ، وهى التى رممها النبى فى البداية ثم بنى فوقها بعد ذلك الجزء العلوى مستخدماً الاثنى عشر حجراً .

انظر : עיונ' מקרא ופרשנות , עמ' 98.

١) جاء فى סדר אלי'הו רב ה أنه حينما رأى بنو إسرائيل معجزة النار (أو بدقة أكثر ، المعجزات - لأنه بالإضافة إلى معجزة إنزال النار من السماء ، كانت هناك أيضا معجزة المياة القليلة التى صبها اليشع على أيدى إلياهو فاصبحت مياه غزيرة تخرج من بين أصابعه كإنما أصابعه عشرة عيون ماء تتدفع منها المياه) التى قام بها إلياهو سلموا بأمر النبى وتابوا إلى ربهم وبدأ الخوف من الرب يسيطر على قلوبهم .

انظر: סדר אלי'הו רבה וסדר אלי'הו זוטא , מהד' איש-שלום , ו'ינה 1900 , פ"א , 87.

الوصف رتب القاص عناصر المذبح من أعلى إلى أسفل حيث نرى بين طبقة حجارة المذبح والقناة التى حوله : " التراب " الذى وضعت فوقه الحجارة ، والذى أُعتبر جزءاً من المذبح ؛ أما الحجارة التى تستخدم فى بناء هذا النوع من المذابح فانها تنتشر مبعثرة هنا وهناك عقب الإهمال أو الهدم ، ولذلك فإن من يأتى للترميم بعد ذلك فإنه من الضرورى أن يستخدم حجارة ملائمة - والآن إذا كانت هذه الفرضية تجاه نوعية المذبح صحيحة فيمكننا القول : إن الياهو عندما بدأ ترميم المذبح المنهدم قد بدأ بإصلاح القاعدة الترابية أولاً (رفعها وتوثيقها وصبها) ثم أخذ فى تجميع الأحجار الاثنى عشر (بين ماهو قديم وماهو جديد) ومنها بنى هيكل المذبح مع حرصه على تأكيد أن عددها كعدد أسباط بنى يعقوب (١).

وقد جاء فى الأجاداه أنه من أجل أن يكون النهار كافياً ليقوم إلياهو بكل الاستعدادات المطلوبة ، أى لبناء المذبح المنهدم ، بالحجارة وترتيب الحطب بعد ذلك ، وحفر القناة وملأها بالمياه ، وليثنى وليثلث ، من أجل ذلك كله أوقف إلياهو الشمس فى وسط السماء فى ذلك اليوم . حيث قال للشمس : " فى أيام " يشوع "הוֹשֻׁעַ" وقفت من أجل بنى إسرائيل (٢) الذين انتصروا على أعدائهم ، والآن قفى ، لا من أجل

---

١) אנצ'ק' מקר' ,חלק ד' ,ערך "מזבח" — ،وتشير الموسوعة إلى أنه لاتوجد أية بقايا لهذه المعابد قامت باكتشافها البعثات الأثرية فوق الكرمل،ولذلك علينا الاعتماد على فهم نصوص العهد القديم والآراء المتزنة فقط .

٢) راجع يشوع١٠ : ١٣ - ١٤ . ويذكر العهد القديم إن الله الذى خلق الكون يستطيع حفظ الكون حتى ولو وقفت الشمس ، أو بمعنى أدق لو وقفت الأرض على محورها ، فبدت الشمس كأنها واقفة لاتتحرك . ويقولون أيضاً ان المدقق فى النص العبرى يتضح له انه لم يقل عن الشمس انها وقفت لاتتحرك ، فالأمر الذى وجهه يشوع (راجع يشوع ١٠ : ١٢) وهو : " שֶׁמֶשׁ בְּגִבְעוֹן דּוֹם ياشمس جبعون دومى " ، ومعنى ذلك : "اسكتى" ، وقوله " وقفت الشمس (١٣) "וַיִּדֹּם - הַשֶּׁמֶשׁ" يعنى حرفياً : "سكتت" . ويتضح من ذلك ان الشمس والقمر تأخر غروبهما ، أى إنهما لم يقفا بدون حركة ، بل تأخر إفولهما عن المعتاد . ومما يجدر ملاحظته إن التاريخ يشهد بحوادث مماثلة ... فيقول "هيرودوت" إن كهنة المصريون أطلعوه على وثائق تتحدث عن يوم أطول من المعتاد . وكذلك تفيد الكتابات الصينية انه كان هناك يوم مماثل لهذا فى عهد امبراطورهم " يو " ، وهو معاصر ليشوع ، وفى المكسيك وثائق تثبت ان يوماً طويلاً حدث فى إحدى السنين ،==

يشوع ، ولا من أجل بنى إسرائيل ، بل من أجل تقديس اسم الرب ، واعلمى إن كل هذا من أجل سيدنا وسيدك . وبعد أن قال إلياهو ذلك وقفت الشمس فى وسط السماء على الفور حتى أتم كل استعداداته .(١) وبعد ان اكتملت استعدادات النبى يصف القاص موقف النبى فى كلمات مختصرة : "וַיְהִי בַּעֲלוֹת הַמִּנְחָה וַיִּגַּשׁ אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא"(١). وكان عند إصعاد القربان إن إلياهو النبى تقدم " (١٨ : ٣٦ أ) ولم يذكر إلى أين اقترب النبى(٣)، وهذا يجعلنا نفترض إن الجذر " נָגַשׁ " دل هنا على معناه الدينى(٤)، أى إن إلياهو تقدم من المذبح ، ولكن بعد أن رأينا جهود النبى المبالغ فيها لمنع أى شك فى تدخل من جانبه ، ووفقاً لما سيرد بعد ذلك من حديث عن الصلاة لاعن تقطير أو ماشابه ذلك ، فمن الأفضل الافتراض بإن إلياهو اقترب من الرب ؛ ونخلص من هذا الافتراض إلى ان " וַיִּגַּשׁ "وردت هنا بالمعنى الشائع لها فى العهد القديم حيث تدل على قوة الاتصال التى تسبق قول الاقناع (تكوين ٤٣ : ١٩ ؛ ٢ ملوك ٥ : ١٣)،أو الصلاة (تكوين ١٨ : ٢٣) . وهكذا نجح هذا الوصف الذى يتكون من ثلاث كلمات " וַיִּגַּשׁ אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא " والذى لاتوجد له أهمية كبيرة فى حد ذاته ، فى أن يزيد بإيجازه من علاقة التعارض مع الوسائل العنيفة التى احتاج اليها أنبياء بعل من أجل سرعة اتصالهم ببعل ، فنبى الرب لم يحتج إلا إلى الاقتراب من ربه ، بينما احتاج أنبياء بعل إلى تقطعهم بالسيوف والرماح وإلى الرقصات العنيفة من أجل اتصالهم " ببعل " وفى حين ان دعواتهم الملتهبة أطلقوها بصوت عال

=) وهى توافق نفس السنة التى كان فيها يشوع يخوض حروبه .وهناك بعض المفسرين ممن يعتقدون إن المعركة كانت حامية الوطيس لدرجة انه خيل لبنى إسرائيل ان النهار كان أطول من المعتاد ... ومن مصادر الحديث النبوى الشريف . قال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا اسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس ".

١) אגדת בראשית ,מהד' בובר ,קרקאו 1902 פע"ד, 148 .

٢) وعن صلاة العصر تذكر الأجاداه إن الإنسان يكون دائماً يقظاً وحذراً فى صلاة العصر التى تعتبر أهم الصلوات ، ولذلك لم يُستجب لإلياهو إلا فى صلاة العصر . انظر : אגדות בראשית , עמ' 148 - 149 .

٣) قارن أرميا ٤٢ : ١ - ٢

٤) قارن الخروج ١٩ : ٢٢ ، أرميا ٣٠ : ٢١ ،حزقيال ٤٤ : ١٣ .

إلا إن نبى الرب كان يثق فى قوة كلماته فتحدث بصورة عاديه " וַיֹּאמֶר " - وقال " (الفقرة ٣٦) ، وقد هدفت صلاة إلياهو إلى التعبير المباشر والواضح لنواياه وتوقعاته ، حيث ألقت الضوء على قمة الكرمل كلها ، ولكى نفهم هذه الصلاة يجب علينا أن نحللها جيداً : فأولاً التشابه الواضح بين الفقرتين (٣٦ و ٣٧)، مما أثار الشكوك تجاه وضعهما الأصلى ، ولكى نبرر هذه الشكوك نعقد المقارنة بين الفقرتين :

الفقرة (٣٦ ب) (١)	الفقرة (٣٧)
יְהוָה אֱלֹהֵי אַבְרָהָם יִצְחָק וְיִשְׂרָאֵל	עֲנֵנִי יְהוָה עֲנֵנִי
הַיּוֹם יִוָּדַע	וְיֵדְעוּ הָעָם הַזֶּה
כִּי־אַתָּה אֱלֹהִים בְּיִשְׂרָאֵל	כִּי־אַתָּה יְהוָה הָאֱלֹהִים
וַאֲנִי עַבְדֶּךָ	
וּבִדְבָרְךָ עָשִׂיתִי אֶת כָּל הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה	וְאַתָּה הַסַּבְתָּ אֶת־לִבָּם אֲחֹרַנִּית.

الترجمه	الفقرة (٣٦ ب)	الفقرة (٣٧)
	أيها الرب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل	استجبنى يارب استجبنى
	ليعلم اليوم	ليعلم هذا الشعب
	إنك أنت الله فى إسرائيل	إنك أنت الرب الإله
	وإنى عبدك	وإنك أنت حولت قلوبهم
	وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور	رجوعاً

وبخصوص اصالة الفقرة (٣٧) فإن العلاقة الأسلوبية الوثيقة بين"עֲנֵנִי יְהוָה עֲנֵנִי" و " הַבַּעַל עֲנֵנוּ يابعل أجبنا "(الفقرة ٢٦) ،و"כִּי אַתָּה יְהוָה הָאֱלֹהִים " سواء مع "אִם יְהוָה הָאֱלֹהִים - إن كان الرب هو الله " (الفقرة ٢١) عندما طلب إلياهو من الشعب اتخاذ قرار حاسم - ، أو مع دعوة الشعب كله :" יְהוָה הוּא הָאֱלֹהִים الرب هو الله " (الفقرة : ٣٩) تبدد أى شك بالنسبة لاصالة

---

١) تذكر الأجاداه إن إلياهو بدأ صلاته بقوله " יְהוָה אֱלֹהֵי אַבְרָהָם יִצְחָק וְיִשְׂרָאֵל"(= יעקב) أى : " الرب إله ابراهيم وإسحاق وإسرائيل " ولم يقل " אֱלֹהֵי אַבְרָהָם , אֱלֹהֵי יִצְחָק וֵאלֹהֵי יַעֲקֹב " أى إله إبراهيم وإله إسحاق وإله إسرائيل " لكى لايخطىء الإسرائليون ويقولون إن الرب له ثلاث سلطات ، مثل المسيحيين الذين يؤمنون بالتثليث . حتى قال إلياهو : لربه : اذا لم تستجب لى بحق الآباء أجيبنى بحق الأسباط .
انظر : אגדת בראשית , מהד' בובר , עמ' 148-149.

الفقرة (٣٧) وانتسابها لقضية المناظرة فوق الكرمل ، ونستنتج من هذه العلاقات الأسلوبية الوثيقة أنه إذا كانت توجد إضافة فإنها تكون فى الفقره (٣٦) ، وإن كانت تهدف إلى تقوية العلاقة بين قضية المناظرة فوق الكرمل وقضية الجفاف من ناحية ومن ناحية أخرى ، معالجة مسألة شرعية رسالة إلياهو " וְאָנֹכִי עַבְדֶּךָ - وأنا عبدك " تلك المسألة التى شغلت من قبل الأرملة الصيدونية ، والملك آحاب ؛ وبالإضافة إلى كل ذلك فإن لغة هذه الفقرة مرتبطة بصورة واضحة بالكلمات التى قالتها الأرملة بعد إحياء ابنها :

١٧ : ٢٤ : עַתָּה זֶה יָדַעְתִּי כִּי אִישׁ אֱלֹהִים אַתָּה, וּדְבַר יְהוָה בְּפִיךָ אֱמֶת "

: " الآن علمت انك رجل الله وان كلام الرب فى فمك حق "

١٨ : ٣٦ : הַיּוֹם יִוָּדַע כִּי אַתָּה אֱלֹהִים בְּיִשְׂרָאֵל, וַאֲנִי עַבְדֶּךָ "

" ليعلم اليوم انك أنت الله فى إسرائيل وإنى عبدك "(١)

وبالرغم من هذه المشاركة اللغوية فانها لاتنجح فى عدم إظهار الفرق الواضح بين اعتراف الأرملة الصيدونية بعقيدة رجل الله وحقيقة كلمة الرب فى فمه ، وبين التطلع العظيم فى أن يعترف بنو إسرائيل بالرب وبإلياهو عبده (٢). إذاً فعملية الربط لم تتم إلا بشكل فنى فقط،ولذلك فمن غير المعقول أن تكون الفقرة (٣٦) من صنع المفسر فقط . ولكى نحدد موقفاً نهائياً تجاه معنى ودور الفقرة (٣٧) فى قضية الكرمل يجب أن نبحث أولاً التفاسير التى قدمت لهذه الفقره ، والتى تجد صعوبة فى فهم صلاة إلياهو . والتى قال عنها " رابى يوسف كارا " انها تفاسير معيبة لايجوز ذكرها . إذ يبدو إن معظم هذه التفاسير تدور حول مفهوم كلمات الفقرة (٣٧ ق) " וְאַתָּה הֲסַבּוֹתָ אֶת-לִבָּם אֲחֹרַנִּית - وأنت حولت قلوبهم رجوعاً" فهذه الفقرة تشير إلى إن الرب هو الذى أخطأ شعب إسرائيل ، والسؤال الذى يطرح نفسه

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 100.

٢) قارن خروج ١٤ : ٣١ حيث يتضح لنا ان القاص استخدم نفس الطريقة التى جعلت بنى إسرائيل يؤمنون بالرب وبموسى عبده وهى شق بحر سوف .

هو كيف تم ذلك ؟ وتجيب التفاسير : بواسطة أنه غرس فيهم غريزة الشر[١]. ويقول " الرمبام רמ ב"ם " إن الرب جعل قلوب بنى إسرائيل قاسية وذلك عقوبة لهم على أخطائهم السابقة ، ويذكر " رابى داود قمحى " . إن امتناع الرب عن منح معجزة واضحة لشعبه يبدو كأنه أخطأهم . ولذلك رأى " رابى يوسف كارا " إن هذه التفاسير جميعاً يصعب ذكرها لأنها أخطأت تماماً تجاه السياق ، لأنها تحتمل إن إلياهو يطلب معجزة من السماء لكى يدرك الشعب ان الرب هو الذى قادهم إلى الخطيئة . وقد تبنى مونتجمرى أيضا هذا الرأى حيث افترض ان نسبة خيانة بنى إسرائيل إلى العناية الإلهية (وليس إلى قوة جذب بعل) تساهم فى تعظيم اسم الرب.ويبدو انه اضطر إلى ذلك لثقته فى ان صيغة الزمن التام " הֻסַּבְתָּ " ، وكذلك مفهوم الظرف " אֲחֹרַנִּית " (الذى لم يأت اطلاقاً بمعنى " בחזרה إلى الخلف)تمنع التفسير بهذا المعنى : " لأنك الذى تجعلهم يتوبوا "[٢]، ولكن عند تحليلنا للغة هذه الفقرة نجد ان هذين التفسيرين بخصوص صيغة الفعل " הֻסַּבְתָּ "،والظرف " אֲחֹרַנִּית " غير مقنعين تماماً ، فبخصوص صيغة الفعل " הֻסַּבְתָּ " فانه يمكن فهمها " كمستقبل تام " حيث ان الفعل سيصبح تاماً فى لحظة معينة فى المستقبل عندما يستجيب الرب بالنار فسيعرف هذا الشعب إنك ... حولت (قبل ذلك فى الماضى) قلبهم إلى الوراء[٣]. أما بخصوص الظرف " אֲחֹרַנִּית " فيمكننا القول أنه ورد هنا بمعنى " בחזרה " حيث ان التواجد المكانى فى العهد القديم لايقوم بالضرورة على نقطة ثابتة ، فقد ورد عن " حام " " ويافث "וילכו אֲחֹרַנִּית ـ أى بعكس اتجاههم .. וּיכסו את ערות אב'הם ופנ'הם אחֹרַנִּית

---

١) מסכת ברכות . לא . ב - לב , א . حيث قيل بعد ذلك ان الرب عاد واعترف لالياهو بعد فترة بواسطة انبياء أخرين أنه الذى تسبب فى ذلك لانه خلق فيهم غريزة الشر حيث جاء فى (ميخا ٤ : ٦) " וַאֲשֶׁר הרעותי " والتى أضررت بها ".

٢) The Books of Kings. P. 309

٣) S.R. Driver: A treatise on the use of the tenses in Hebrew, Oxford, 1969, P. 17.

أى بعكس إتجاه سيرهم "[1]. إذاً يمكن تفسير " הֲסִבֹתָ־לָכֶם - لشعب إسرائيل - אֲחֹרַנִּית " بالحالة التى هم واقعين فيها ، وحيث انهم تحولوا بوجوههم عن الرب (قارن أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٢) فإن : " הֲסִבֹתָ לָכֶם אֲחֹרַנִּית " تعنى إتجاهها نحوه . ووفقاً لهذا التفسير تكون دلالة الفقرة كما يلى " عندما تنزل النار على مذبح الرب ، سيعرف هذا الشعب ليس فقط إنك الله ، بل أيضاً أنت الذى حولت قلبهم نحوه "[2]. وقد أقحم القاص كلمة " אַתָּה أنت " لتدل على ان الرب - وليس النبى - هو الذى كاشف معهم من أجل إيمانهم ، هذا الكفاح الذى وصل اليوم إلى قمته فى جبل الكرمل يقوم على عنصرين متضادين: الغضب بالجفاف الطويل من ناحية واسباغ الفضل من ناحية أخرى . أما قول إلياهو : ואני עבדך ובדברך עשיתי את־כל־הדברים האלה - أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور " (الفقره ٣٦ ب) فإنه يدور حول سنوات العقوبة الثلاث ، ويقصد به بصورة خاصة اتهامه " كمعكر إسرائيل עוכר ישראל "(الفقرة ١٧) حيث يطالب مرسله بتكذيبها ، وبهذه الكلمات استعرض النبى رسالته النبوية بمراحلها المتعددة بداية بتحذيره :" כי אם לפי דברי " - حسب قولى "(١٧ : ١) مروراً باختفائه الغامض وانتهاء بظهوره العجيب ، وبهذه الكلمات أيضاً يصل النبى بكفاحه إلى قمته، ولذلك فهو يطلب التدخل الإلهى المباشر ليثبت إن عمل

---

١) " ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء " (تكوين ٩ : ٢٣) . وكذلك يستخدم الجذر " הפך " فى العهد القديم بمعنى الاحتلال سواء بالإشاره إلى الانسحاب : ויהפך איש ישראל במלחמה - وانقلب رجال إسرائيل فى الحرب " (قضاه ٢٠ : ٣٩) أو الإشارة إلى توقفها " ואיש ישראל הפך ויבהל איש בנימין - ورجع رجال إسرائيل وهرب رجال بنيامين " (قضاه ٢٠ : ٤١) ، كذلك يستخدم التعبير השבת פנים بمعنى صرف النظر : ומעל כל־תועבתיכם השיבו פניכם - وعن كل رجاساتكم أصرفوا وجوهكم "(حزقيال ١٤ : ٦ - وقارن حزقيال ٧ : ٢٢) بينما يستخدم التعبير " שיבת - לב عودة - رجوع " بمعنى عودة العلاقه أو استئنافها : " וישב לב העם היה אל־אדניהם אל־רחבעם " ويرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم ، إلى رحبعام " (١ ملك ١٢ : ٢٧)

٢) ربما لو جاء النص " ואתה השיבות את־לבם אליך " لكان أكثر وضوحاً وبساطة ، ولكن يبدو إن القاص لم يستخدم هذه اللغة لان لها ابعاد أكثر مما يجب ، فالرب أبعدهم عن السير وراء بعل ولكن عودتهم إليه مازالت مفروضة عليهم .

" כָּל־הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה " (١) - كل هذه الأمور " قد تمت بكلمة الرب وبقوته .

من الناحية البنائية فإن المقابلة (الكاملة أو الجزئية) بين خاتمة الفقرة (٣٦) و الفقرة (٣٧) تعيدنا إلى مسألة اصالة الفقرة (٣٦) التى طرحت نفسها بعد الازدواجية العجيبة فى كلمات صلاة إلياهو التى تبرز التعارض بين التقطع بالسيوف من قبل أنبياء بعل ، و الصلاة الكلامية لنبى الرب ، وكما تم وصف جهود أنبياء بعل التى ذهبت سدى فى مرحلتين (الفقرتان ٢٦ و ٢٨) تتدخل بينهما كلمات خصمهم الذى يثيرهم لبذل مجهود أكبر (الفقرة ٢٧) كذلك أيضاً تم وصف صلاة إلياهو فى مرحلتين ولو لم تتدخل بينهما أية مرحلة تؤكد فشل المرحلة الأولى ، بل هناك استئناف للجهد الروحانى النفسى الذى لم يأت فقط من قوة المناشدة المتجددة فى بداية الفقرة (٣٧) بل من نغمة الخشوع و الرهبة فى صيغتها : " עֲנֵנִי יְהוָה עֲנֵנִי استجبنى يارب استجبنى " وعندما نستعرض صلاة " إلياهو " اليائسة لإحياء ابن الأرملة نجد أيضاً كما ذكرنا من قبل وجود مرحلتين يفصل بينهما وصف الصراع الثلاثى للنبى من أجل الولد ، ومن الغريب إن المرحلة الأولى فى هذه الصلاة لم يتم الاستجابة إليها ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى انها كانت شكوى على الشر الذى أتى من عند الرب ، فى حين ان الصلاة فى المرحلة الثانية لم تكن إلا توسل من أجل إحياء روح الولد . كذلك نجد أيضاً بين صلاتى إلياهو فى أعالى الكرمل، انفصال بين نغمة الصلاة و القصد منها ، (ولكن هذا الانفصال لم يصل فى درجته إلى التعارض التام ، ولذلك فهو انفصال شكلى)، ففى حين ان الدعوة فى بداية الصلاة الأولى شعائرية هادئة : " יְהוָה אֱלֹהֵי אַבְרָהָם יִצְחָק וְיִשְׂרָאֵל " إلا انها فى الثانية، شخصية ومؤثرة " עֲנֵנִי יְהוָה עֲנֵנִי " ولذلك اتخذ النبى فى البداية لغة موضوعية مجردة : " הַיּוֹם יִוָּדַע כִּי אַתָּה אֱלֹהִים בְּיִשְׂרָאֵל " ثم بعد ذلك تعامل النبى بشكل مباشر وفورى مع الجمهور المتداخل و الواقف معه فوق جبل الكرمل:

---

١) ويبدو ان كلمات " موسى عليه السلام " قبل شق الأرض فى قصة " قورح " تُرجع صداها فى الفقرة (٣٦) وتقوى نغمة التبرير الذاتى فى كلمات إلياهو - حيث ورد فى قصة قورح : " וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה בְּזֹאת תֵּדְעוּן כִּי יְהוָה שְׁלָחַנִי לַעֲשׂוֹת אֶת כָּל הַמַּעֲשִׂים הָאֵלֶּה כִּי לֹא מִלִּבִּי - فقال موسى : بهذا تعلمون ان الرب قد أرسلنى لأعمل كل هذه الأعمال و انها ليست من نفس " (عدد ١٦ : ٢٨).

: " וידעו העם הזה כי אתה יהוה אלהים " ، ولكن جوهر التغيير الذى حدث فى الصلاة الثانية هو فى غياب معالجة قضية النبى التى تركزت وسط الصلاة الأولى " ואני עבדך . ובדברך עשיתי את כל הדברים האלה - وأنا عبدك وبأ مرك فعلت كل هذه الأمور ". وهذا هو نفس ماحدث فى صرفة ، فكما استجاب الرب للتضرع الطاهر الذى تمركز كله فى إحياء الولد " הילד הזה " ،كذلك أيضاً فى الكرمل استجاب الرب للصلاة الخاشعة التى سمت فوق كل قضية شخصية والتى تعاملت فقط مع معالجة الأزمة بين " هذا الشعب העם הזה وإلهه .(١)

ولقد كانت استجابة الرب لنبيه فورية وعظيمة القوة " ותפול אש־יהוה ותאכל את העלה ואת־העצים ואת־האבנים ואת העפר ואת־המים אשר־בתעלה לחכה(٢) - فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة "(الفقرة ٣٨)

---

١) עיון מקרא ופרשנות , עמ' 102 - 103 .

٢) يأتى الجذر " ל ח " ך " فى العهد القديم بدلالة محددة وهى اللحس فقط (أشعيا ٤٩ : ٢٣ ؛ مزامير ٧٢ : ٩) ويرد أيضاً بدلالة أوسع وهى الأكل ("כלחך השור את יריק השדה - كما يلحس (يأكل) الثور خضرة الحقل " - عدد ٢٢ : ٤) ولو أفترضنا ان " לחכה " استخدمت فى الفقرة (٣٨) بدلالتها المحددة فسيحدث بذلك تعارض غير مناسب بين أكل المحرقة والحطب والأحجار والتراب التى وردت أولاً ، ولحس المياه بواسطة ألسنة النار التى وردت فى الخاتمة . وبما ان المياه لاتصمد أمام النار أكثر من الحجارة والتراب ولذلك فانه يجب الافتراض ان تسبق كلمة التراب كلمة الحطب. أما ترتيب الكلمات المختلفة فى الترجمة السبعينية (" ותאכל את העלה ואת העצים ואת המים אשר בתעלה ואת האבנים ואת העפר לחכה האש") فإنه ليس بإمكانه أن يكون سنداً لفهم الفقرة بهذه الصورة .ومن الأفضل إذاً الافتراض ان كلمة " לחכה " جاءت فى هذه الفقرة فى تقابل كامل مع " ותאכל "، ودورها لايفيد المعجزة بل على العكس يعظمها : فلم تأكل النار جسم المذبح فقط بل هى تغلبت أيضاً على المياه ذلك العنصر المتناقض للنار ، الذى تم وضعه حول المذبح وقاية من النار الغريبة .

وبالنظر إلى هذه المبالغة فى أعمال النار نجد أنها هدفت إلى تقوية وتدعيم نتائج المناظرة بواسطة تبديد أى شك محتمل بخصوص نوعية هذه النار فالجميع أدركوا ان البرق الذى سقط على المذبح هو حقاً " نار الرب - אֵשׁ יְהוָה " (قارن أيوب ١:١٦) ولايرجع ذلك إلى دقة توقيتها فقط بل أيضاً إلى ان هذه النار قد اختصت بقوة عظيمة، كان من نتيجتها أن سقط الجميع على وجوههم للرب الذى استجاب لبعده بالنار وأعلنوا فى صوت عال انه هو الله : " וַיַּרְא כָּל-הָעָם וַיִּפְּלוּ עַל-פְּנֵיהֶם וַיֹּאמְרוּ יְהוָה הוּא הָאֱלֹהִים יְהוָה הוּא הָאֱלֹהִים - فرأى جميع الشعب ذلك فسقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو الله . الرب هو الله " (الفقره : ٣٩) (١)

وبهذه الفقرة وصل القاص إلى قمة التكنيك الفنى فى القصة ، والتى سخر لها شتى الوسائل الفنية للوصول إلى هدفه ، فهذا السجود يقابل تكريم الأرملة ، وآحاب ، وخاصة عوبديا لإلياهو : "ויכירהו ויפל על פניו - فعرفه وخرّ على وجهه - (الفقرة ٧) " ، كما ان إعلان الشعب : الرب هو الله ، يقابل اعتراف الأرملة بنبى الرب عقب إحياء ابنها : " עַתָּה זֶה יָדַעְתִּי כִּי אִישׁ אֱלֹהִים אַתָּה וּדְבַר יְהוָה בְּפִיךָ אֱמֶת - الآن علمت انك رجل الله وان كلام الرب فى فمك حق " (١٧ : ٢٤) وأثبت الشعب بتكريمه واعترافه للرب بإلتزامه بشروط المناظرة التى عرضها عليهم النبى من قبل . ولكن مازال أمام القاص أمراً ما لدى الشعب يتساوى (يتقابل) مع موقف الأرملة وموقف آحاب وعوبديا فى تعاملهم مع التجارب الصعبة التى عرضها عليهم النبى ، فقد طلب إلياهو من هؤلاء الثلاثة مساعدته فى القيام برسالته النبوية ،وذلك بالتغلب على مخاوفهم بقوة الإيمان به وبمن أرسله ، والآن حان الوقت ليطلب ذلك أيضاً من جموع الشعب المجتمعين فوق الكرمل . وبذلك نجح القاص فى أن يجعل هذه الفقرة تتقابل أسلوبياً وموضوعياً مع الأحداث التى جرت

---

١) تتضح من هذه الفقرة القرابة اللغوية بينها وبين فقرة وصف رد فعل بنى إسرائيل على معجزة النار التى تمت على يد موسى وهارون فى زروة الاحتفال بتدشين المعبد " וירא כל העם וירנו ויפלו על פניהם - فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم " (لاويين ٩ : ٢٤) ويبدوان هذه القرابة اللغوية قد قصدها الكاتب . (وقارن أيضاً أخبار الأيام الثانى ٧ : ٣).

بين إلياهو وكلاً من الأرملة وعوبديا وآحاب ، فقد طلب إلياهو من الأرملة قائلاً : בֹּא׳ עֲשֵׂה כִדְבָרֶךָ - تعالى واعملى كقولك " (١٧ : ١٣) فأطاعته : "וַתֵּלֶךְ וַתַּעַשׂ ה - فذهبت وفعلت (١٧ : ١٥) ، وهو أمرَ عوبديا قائلاً לֵךְ אֱמֹר לַאדֹנֶיךָ (١٨ : ٨) فأطاعه أيضاً وذهب لإخبار آحاب : וַיֵּלֶךְ עֹבַדְיָהוּ -- וַיַּגֶּד-לוֹ فذهب عوبديا .. وأخبره " (١٨ : ١٦) ، أما آحاب فلم يجتاز التجربه (الإختبار) فقط وذهب للقاء إلياهو، بل طلب منه النبى أيضاً أن يرسل ليجمع الشعب : שְׁלַח קבֹץ - ارسل اجمع " (١٨ : ١٩) واستجاب آحاب للنبى : וישלח וי׳קבץ - فأرسل - وجمع " (١٨ : ٢٠) ، والآن جاء دور الشعب للاستجابة للنبى ، ويبدو ان النبى قد نادى قبل إجراء المناظرة على مسامع كل الشعب باتخاذ قرار مبدئى : אִם יְהוָה הָאֱלֹהִים לְכוּ אַחֲרָיו - إن كان الرب هو الله فاتبعوه " ، ولذلك لم يندهش النبى عندما أعلنوا ان الرب هو الله - التى تعبر عن ان الازدواجية الدينية قد وصلت إلى نهايتها - فهب النبى داعياً الشعب فى طلب حاسم يستخلص منه نتيجة واقعية وملموسة وفورية لإيمانهم العقائدى : וַיֹּאמֶר אֵלִיָּהוּ לָהֶם תִּפְשׂוּ אֶת-נְבִיאֵי הַבַּעַל אִישׁ לֹא-יִמָּלֵט מֵהֶם" - فقال لهم إلياهو امسكو أنبياء بعل ولا يفلت منهم رجل " (٤٠ أ)[1] بهذا الطلب أراد إلياهو النبى المشاركة الفعلية من الشعب كله فى حرب الابادة التى قام بها ضد عبادة بعل ، ويبرز الكاتب المقرائى الاستجابة التامة للشعب : וי׳תפשום - فامسكوهم " رغم التحفظ الشديد فى بداية المناظرة . ومع ذلك فمن الصعب تقدير نسبة المخاطرة التى واجهها الشعب بمساعدته فى القبض على أنبياء بعل فى مملكة تم فيها قتل أنبياء الرب بشكل منظم بأمر من المملكه (١ ملك ١٨ : ٤ و ١٣ - بالمقارنة بـ ١٩ : ٢ - ٣) ورغماً عن ان الشجاعة والجرأة التى طلبهما النبى من الشعب لم تنقص عن تلك التى طلبها النبى من الأرملة وعوبديا، ثم من الملك ، ورغم التعاون بين الشعب والنبى إلا ان نصوص العهد القديم تلقى بكامل المسئولية على ماتم لأنبياء بعل فوق عاتق النبى : וַיּוֹרֵדֵם אֵלִיָּהוּ אֶל-נַחַל קִישׁוֹן וַיִּ-שְׁחָטֵם שָׁם - فنزل بهم إلياهو إلى نهر قيشون وذبحهم هناك " (٤٠ ب) -

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ׳ 105.

(قارن ١٩ : ١) وقد أتفق معظم المفسرين اليهود أمثال " راشى " " ورابى يوسف كارا" " ورابى دواد قمحى " " وابرنبئيل " على أن ذلك أمراً بسيطاً[١]، ولم يناقشوا عملية القتل من الناحية الأخلاقية والتشريعية . لاعتمادهم على فقرة الخروج (٢٢ : ١٩) : " זֹבֵחַ לָאֱלֹהִים יָחֳרָם בִּלְתִּי לַיהוָה לְבַדּוֹ - من ذبح لآلهة غير الرب وحده يقتل ، وعلى التثنية (١٣ : ١٠ - ١١)[٢]. ويبدو ان جملة " וישחטם " يمكن الفهم بانها طبقت بطريقتين : الأولى : إن هذه العملية تمت بأوامر من النبى والأخرى أن النبى قام بهذا العمل بذات يديه[٣]. وقد اعتمد " رابى داود قمحى " على الطريقة الأولى فى تفسيره لهذه الجملة ، وربما يرجع ذلك إلى عدة اعتبارات منطقية ،منها تفسيره لفضل إلياهو فى الفقرة (١٣) فى الإصحاح ١٩ من سفر الملوك الأول . بينما اختار " ابن كسفى " الطريقة الثانية،ويبدو ان لغته المتشددة جاءت لترد على أصوات التحفظ الأخلاقى التى أثيرت حول تفسير هذه الجملة ، ويقول:" وذبحهم هناك - هو بنفسه - ولماذا لا ؟ " ، ويقول " رابى يوحنان " : " الغريب الذى يبحث فى التوراة يلزم موته " (سنهدرين ٥٩ ، ٧١) . أما " رابى لاوى بن جرشوم" فقد عرض الطريقتين ، إلا انه ذكر ان إلياهو قتلهم بنفسه بسبب غيرته للرب وبذلك لم يحسم " رابى لاوى " الأمر فى تفسيره لهذه الجملة ، ويرجع تحفظه هذا إلى مفهومه

---

١) يقول "رابى ابربنئيل" والذى استمد كثيراً من " עקידת יצחק تقريب إسحاق " والذى اعتمد على كلمات رابى لاوى بن جرشوم - : " ان إلياهو أراد قتلهم بنفسه ، فكما فعل "صموئيل" مع " آجاج" ، "وفنحاس" مع "زمرى" بغيرته للرب ، فعل هو أيضاً " ، ويبدو ان عدم ذكر تفسير بديل واستخدام لغه " أراد לעשה " تدلان على ان هذا قرار متكافىء أكثر منه تفسير حاسم .
انظر: עיון מקרא ופרשנות , עמ' 106.

٢) " כִּי הָרֹג תַּהַרְגֶנּוּ יָדְךָ תִּהְיֶה-בּוֹ בָרִאשׁוֹנָה לַהֲמִיתוֹ וְיַד כָּל-הָעָם בָּאַחֲרֹנָה . וְסָקַלְתּוֹ בָאֲבָנִים וָמֵת כִּי בִקֵּשׁ לְהַדִּיחֲךָ מֵעַל יְהוָה אֱלֹהֶיךָ" - بل قتلاً تقتله . يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً ، ترجمه بالحجارة حتى يموت . لأنه أراد ابعادك عن الرب إلهك "

٣) قارن التخبط الذى وقع فيه رابى " إبراهيم بن عزرا" نحو تفسيره لإقامة موسى للهيكل המשכן " فى تفسيره الطويل للخروج (٢٦ : ٣٠ ؛ ٤٠ : ٢) .

للروح والزلزلة والنار (١ ملك ١٩ : ١١ - ١٢) كرموز للعقوبة الهدامة التى لايريدها الرب والتى انتقلت إلى النبى لتحفزه على طلب الرحمة لشعبه . أما " رابى إسحاق عرامه ר' יצחק עראמה " فيستنتج من السلبية التامة لموسى ازاء قضية الزنا وراء " بعل فعور " وبنات مدين (العدد ٢٥ : ١ - ٩) ان إلياهو كان عليه أيضاً أن يترك الحكم على أنبياء بعل ليد السماء حيث يذكر : " وهنا أيضاً لم يفعل عليه السلام بيده لانه كان المحكمة العليا فى إسرائيل " وقوله ليست طريقة الملوك ورؤساء إسرائيل والأنبياء أن يقتلوا بأيديهم ولا يرضى الفكر السليم بذلك "(١).

ويشير " رابى إسحاق " إلى ان تعنيف الرب لإلياهو جاء نتيجة إلى عدم مسلكه مسلك سيده عليه السلام (موسى)(٢)، وقتل بيده أنبياء بعل ... ولذلك أتعبه أربعين يوماً حتى وصل إلى موضع بيت مدراش سيده موسى عليه السلام ... لكى يلقنه هناك ذلك الدرس ... ان الرب لايوجد فى الريح ، ولافى الزلزلة ، ولافى النار، اى أن الرب لايوافق على ان كل مايطرأ على النفس تفعله سواء وهى فزعة (الزلزلة) أو غاضبة (النار) ، ثم تلى بعد ذلك صوت منخفض خفيف ليشير إلى ان الذى يبغيه الرب هو العمل الذى يتم فى هدوء وترو فى أمر حق يفتقر الصدق ..." . هكذا نجد ان رابى "يوسف بن كسفى " ، ورابى" لاوى بن جرشون" ورابى "إسحاق عرما" قد وجدوا حلاً لمسألة تشدد النبى ، وفى مقابلهم نجد ان المفسرين المحدثين يتحفظون بشدة على عملية سفك الدماء عند نهر قيشون وذلك عند بحثهم فى المظاهر الخارجة لمبدأ حرية العبادة (٣).

---

١) עיון מקרא ופרשנות , עמ' 106 .

٢) وفقاً لهذا الرأى : فإن الرب عنف نبيه فى حوريب على ثلاثة أمور فعلها النبى من تلقاء نفسه : (١) الإتيان بالجفاف (وإليه تنسب الريح)، (ب) إحياء ابن الأرملة الصيدونية (وإليه تنسب الزلزلة . قارن حزقيال ٣٧ : ٧) (ج) وإنزال النار فى الكرمل (النار) . وبسبب ذلك أخفى الرب وجهه عن نبيه وامتنع عن الكلام معه منذ عودته إلى أرضه (صوت منخفض خفيف) . أما قتل أنبياء بعل فقد تم حسب تفكير النبى الذى اهتدى إليه بنفسه ، ولكن الرب لم يعنفه على ذلك .

٣) The Books of Kings, P. 310.

ومن وجهة النظر الفسيولوجية يرى عالم النفس " أهارون وينر A.Wiener " ان الأسلوب النبوى لإلياهو قد أخذ فى البداية صورة تضخم " الأنا " التى نتجت عن الانتماء الزائد للرب، والذى عبر عنه فى تطلعه للخروج من حدود شخصيته الإنسانيه (إحياء الولد ، وطلب معجزة النار) وفى حروبه الغيورة من أجل الرب خلال قمع حبه للإنسانية (ويذكر " وينر " ان قتل أنبياء بعل بهذه الصورة الوحشية ليس له مايبرره خصوصاً أنه جاء بعد الإنتصار ، ويبدو أن فيه شيء من العمل الانتقامى مقابل قتل أنبياء الرب[١]، وقد أخذ تضخم " الأنا " فى الإنهيار بعد أن أدى الشعور بالإتهام ، بالذنب المقاتل الجرئ ، إلى الخوف من " إيزابل " والهروب إلى الصحراء ، وهو يغمره الإحساس بالفشل والإحباط النفسى . وقد جاءت الرؤى الثلاثة لتعلمه ألا يطابق الله مع المخلوقات والقوى الهدامه التى فى الطبيعة ، وانه لايمكن الوصول إلى الله نفسه بالحواس الإنسانية فقط بل بالعدم الموجود فى السكون التام والتى تصبح فيه كلمات الرب فقط هى المسموعة ، ومن أجل ذلك أيضاً توقف نشاطه الروحى وسكنت كل حواسه لكى يسمع الصوت المقدس . هذا الظاهرة تختلف من الناحيه الفسيولوجية عن تأثير النزعة الداخلية ، بواسطة سلبية " الأنا " الكاملة ، حيث أصبحت " الأنا " أرق وقابلة لاستيعاب النفس التى أميط عنها اللثام . ومن هذه الرؤى أيضاً تعلم إلياهو كيفية التحول من الكفاح المستمر والمتواصل لإصلاح المجتمع إلى اكتمال التطور الروحانى الذاتى له ، ومن أجل هذا التطور (الارتقاء) جاء التبشير بان الجميع غير مرتبطين به ، وان هناك بقية من الشعب تقدر بسبعة آلاف مؤمن[٢] ، وسيظل الإيمان بالرب باقياً بين الإسرائيليين. إلياهو وغيرته الشديده فى الفقرة (٤٠) ، هو عدم أخذ هذا العمل كنموذج نقتدى به فى زمننا ، أو نفهمه على انه عملاً ليس له إثبات تاريخى ، لأن تاريخية هذا العمل هى فى الاعتراف أنه بتغير واختلاف الأزمنة تتغير القيم ، وهو الاعتراف الذى يستلزم منا ألا نقيس الماضى بمقاييس الحاضر ، وألا نطلب من الحاضر أن يتبنى بالكامل قيم الماضى[٣].

---

١) يؤكد " Von-Rad – فون راد " انه لاينبغى ان نرى فى عملية قتل انبياء بعل ، عملا انتقاميا أو حماسيا قام به الياهو فى التهاب وحماس شديد ، بل تنفيذ وتطبيق لقانون قديم (خروج ٢٢ : ١٩) تم نسيانه . انظر :

٢) G?Von-Rad, Theologie des ATS, II Mü nchen 1960. PP.31-32.

٣) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 107.

تقييم عمل إلياهو :

يتسم المشهد الخامس بإنجاز مهمة فكرية عظيمة وضعها القاص نصب عينيه وسخر لها شتى الوسائل الفنية من أجل الوصول إلى هدفه وأهمها أسلوب المقابلات والتضادات التى مرت فى تعاقب خلال المشاهد كلها كما ذكرناها من قبل ، وقد ساعدت هذه المقابلات على ارتباط وإتصال المشاهد بعضها ببعض ولذا فإن القارئ لايستشعر اصطناعية فى تشابك خطوط مضمون هذه المشاهد ، أما هدف القاص هو أن يجعل القارئ يفهم ان إلياهو ليس وحده بين الأنبياء الذين واجهوا العبادة الوثنية بهذه القسوة ، وليس هو فقط الذى تلقى الأمر الإلهى باستئصال الوثنية من بلاده (قارن تثنية ١٢ : ٣) او إبادة عبدتها،سواء كانوا من الشعوب السبعة (تثنيه ٢٠ : ١٧ - ١٨) أو من إسرائيل (تثنية ١٣ : ١٣ - ١٩) أو كانوا أفراد منعزلين (تثنية ١٧ : ٢ - ٧) أو جماهير الشعب (تثنية ١٣ : ١٣ - ١٩)٠ وازاء الرفض التام للوثنية ودورها فى فساد الدين والأخلاق (لاويين ١٨ : ٢٤ ؛ ١٩ : ٤ ؛ الملوك الأول ٢١ : ٢٥ - ٢٦) فلاعجب إذن أن يتعامل إلياهو مع أنبياء بعل بهذه القسوة٠

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل القتل الجماعى بدون أى إجراء قضائى يعتبر خروجاً عن المعايير المقرائية ؟ والإجابة على هذا السؤال تجعلنا نعترف بان إلياهو النبى قد سار فى اثر " موسى عليه السلام " ، فمطلب الحسم من الشعب كان واضحاً : "לְכוּ אַחֲרָי" : اتبعوه " ، أما الأمر النبوى العظيم : תִּפְשׂוּ אֶת נְבִיאֵי הַבַּעַל - امسكوا أنبياء بعل " (الفقره : ٤٠) فقد انطلق كصدى واضح لنداء موسى فى حربه ضد عبادة العجل : "מִי לַיהוָה אֵלָי וַיֵּאָסְפוּ אֵלָיו כָּל-בְּנֵי לֵוִי ... כֹּה אָמַר יְהוָה אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל שִׂימוּ אִישׁ-חַרְבּוֹ עַל-יְרֵכוֹ... וְהִרְגוּ אִישׁ-אֶת-אָחִיו וְאִישׁ אֶת-רֵעֵהוּ וְאִישׁ אֶת-קְרֹבוֹ "(١) - من للرب فإلىّ ٠ فاجتمع إليه جميع بنى لاوى ٠٠٠ هكذا قال الرب إله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه٠ واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد قريبه " ، لكن فى حين ان إلياهو لم يستند على

---

١) الخروج ٣٢ : ٢٦ - ٢٧

كلمة الرب فى أوامره بالقبض على أنبياء بعل إلا انه قد عالج هذا الأمر بعد ذلك بإعلان غيرته للرب (١٩ : ١٠) ، أما موسى عليه السلام فقد قال فى وضوح :" هكذا قال الرب .." ولكن فى قضية العجل لم يذكر موسى أنه قبل نزوله من الجبل تلقى أمراً من الرب للقيام بهذا العمل ، ولذلك انقسم حكماء التلمود فى فهمهم لهذه الكلمات ، فالبعض افترض ان موسى استنتج ذلك من حكم عبدة الوثنية واعتمدوا على الفقرتين ١٩ و ٢٠ من الإصحاح ٢٢ من سفر الخروج : " כֹּל שׁוֹכֵב עִם-בְּהֵמָה מוֹת יוּמָת ... זֹבֵחַ לָאֱלֹהִים יָחֳרָם בִּלְתִּי לַיהוָה לְבַדּוֹ " - كل من اضطجع مع بهيمة يقتل قتلا ، من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك " .

ويرى البعض الآخر ان موسى اعتمد على أمر خاص تلقاه وهو فوق الجبل لكنه لم يذكر له بوضوح حيث يفسرون " לֵךְ רֵד اذهب انزل " (خروج ٣٢ : ٧) بقولهم : ماهى "רֵד"؟ מרדות הם צריכין - أى هى العقوبات الضرورية لهم "[١] . وهكذا يستند الرأى الأول على أن عمل موسى له سند قضائى مألوف،وان الاجراءات التى اتخذها كانت شائعة فالمتهمين تم تقديمهم للقضاء فوفقاً لتفسير " רבי יונתן בן עוזיאל رابى يوناثان " ان " משער לשער במחנה " (خروج ٣٢ : ٢٦) تعنى " من باب السنهدرين إلى باب المحكمة مباشرة " ولذلك فقد حكم عليهم حسب قانون البينات وعوقبوا طبقاً لمقدار جرمهم[٢]- أما " الرمبان רַבִּי מֹשֶׁה בֶּן נַחְמָן " فى تفسيره (لفقرة الخروج ٣٢ : ٢٧) فانه لم يستطع أن يرى ذلك أمراً بسيطاً فى العهد القديم ويقول : " إن فى قتل ثلاثة آلاف من عبدة العجل عملاً شاذاً لابد له من أمر خاص به ، وهو بمثابة أمر وقتى من أجل تقديس اسم الرب .. ؛ هذه الآراء المنقسمة فى فهم عمل موسى تجتهد بآرائها المختلفة من أجل الوصول إلى هدف واحد وهو عدم رؤية القتل الجماعى أمراً طبيعياً يلتزم به الأجيال ، ويبدو من تفسير " الرمبان " الذى يعترف فيه بالطابع الشاذ لهذا العمل الرهيب ، أنه يساعدنا على استدلال نقطه اتصال أخرى بين غيرة موسى وغيرة إلياهو ، حيث نفهم من تفسيره (מלי הוה אלי من للرب فإلىّ " بناء على

---

١) שמות רבה "כי תשא" פרשה מ"ב - ד'.
٢) מסכת יומא , ס"ו , ע"ב.

الإبادة الجماعية التى حكم بها على الشعب ، إن موسى نجح فى إلغاء حكمها ، وكذلك أيضاً يجب علينا أن نفهم " תפשו את נביאי הבעל - امسكوا أنبياء بعل" على لسان إلياهو ، كحكم مؤقت "הוָאֶת שָעָה" يعكس خوف النبى على مصير شعبه ، وفى ضوء تكرار غيرته فى الإصحاح ١٩ (وخاصة الفقرات ١٠ ، ١٨) فإن غيرته العظيمة لاتبدو فقط كعقوبة على ماسببته عبادة بعل من شرور كثيرة على إسرائيل (١٨ : ١٨) بل أيضاً كصراع فى وجه الخطر الذى يهدد إسرائيل من هذه العبادة الوثنية ، فعندما استجاب الرب لنبيه بالنار وعاد الشعب للاعتراف بإلهه " يهوه " فإن الغيرة تملكت روح النبى فطلب من الساجدين المشاركة فى عقوبة مضلليه ومعكريه كل ذلك من أجل استئصال عبادة بعل من إسرائيل،وعليه فإن القاص لم يوضح لنا لماذا امتنع " إلياهو " عن إتمام هذه العقوبة فوق جبل الكرمل ، وما الذى ألزمه بإنزال مئات من أنبياء بعل من أعالى الجبل إلى وديان النهر أسفله ، ولكى نفهم هذه المسألة علينا الاستعانة بحكم "עגלה ערופה - عجلة مقطوعة الرأس " فلو كان حقاً المقصود بقطع رأس العجلة هو تطهير أرض الواد بدم الشهيد النقى : וְהוֹרִדוּ זְקֵנֵי הָעִיר הִיא אֶת־הָעֶגְלָה אֶל־נַחַל אֵיתָן אֲשֶׁר לֹא־יֵעָבֵד בּוֹ וְלֹא יִזָּרֵעַ (١)- وينزل شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع " ، عندئذ يحتمل جداً ان " إلياهو " خشى أيضاً من سفك دم أنبياء بعل فى حقول الكرمل وفضل عمل ذلك فى الوهدان غير القابلة للزراعة على جانبى نهر قيشون(٢). وبالطبع ليس المقصود بدمائهم الطاهرة ، بل العكس ، حتى لاينجسوا الكرمل الخصيب ، بالإضافة إلى احتمال ان " إلياهو " أدرك إن تأخير قتل شخص محكوم عليه بالإعدام أمر محظور :

"וְכִי־יִהְיֶה בְּאִישׁ חֵטְא מִשְׁפַּט־מָוֶת וְהוּמַת וְתָלִיתָ אֹתוֹ עַל־עֵץ.

---

١) التثنية ٢١ : ٤

٢) קִישׁוֹן قيشون : اسم عبرى معناه "المنحنى " (مزامير ٨٣ : ٩) وهو نهر يسقى مرج ابن‌عامر تجرى إليه المياه من جبل طابور وتلال الناصرة وجبل حرمون الصغير وجلبوع . والعرب يسمونه (نهر المقطّع) تذكاراً لذبح أنبياء بعل هناك . ومما اشتهر به هذا النهر قديماً حادثة انهزام سيسرا (قضاة ٤ : ٧ و ٥ : ٢١) لان النهر جرف سيسرا وجيشه .
انظر قاموس الكتاب المقدس : ص ٧٥٣ - ٧٥٤ .

לֹא תָלִין נִבְלָתוֹ עַל־הָעֵץ כִּי־קָבוֹר תִּקְבְּרֶנּוּ בַּיּוֹם הַהוּא כִּי־קִלְלַת אֱלֹהִים תָּלוּי וְלֹא תְטַמֵּא אֶת־אַדְמָתְךָ אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לְךָ נַחֲלָה" (١) وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، يقتل وتعلقه على خشبة ، ولاتبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم . لان المعلق ملعون من الله . فلاتنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً " .

والحقيقة إن القاص لم يخصص فقرة تشرح ماحدث فى واد قيشون وفضل الإشارة إلى ذلك بكلمتين فقط : " וַיִּשְׁחָטֵם שָׁם " وذبحهم هناك " وربما يعكس ذلك تقديراته لنسب الأهمية فى أعمال النبى فى ذلك اليوم ، أو رغبته فى إثارة خيال القارىء بالنسبة لإنزال النار وإعطاء المطر ، والاكتفاء بمعلومة أدنى بالنسبة لعقاب عبدة بعل (٢).

فقرات المشهد السادس : (إلياهو - آحاب - الغلام : ٤١ - ٤٦)

וַיֹּאמֶר אֵלִיָּהוּ לְאַחְאָב עֲלֵה אֱכֹל וּשְׁתֵה כִּי־קוֹל הֲמוֹן הַגָּשֶׁם. וַיַּעַל אַחְאָב לֶאֱכֹל וְלִשְׁתּוֹת וְאֵלִיָּהוּ עָלָה אֶל־רֹאשׁ הַכַּרְמֶל וַיִּגְהַר אַרְצָה וַיָּשֶׂם פָּנָיו בֵּין בִּרְכָּיו. וַיֹּאמֶר אֶל־נַעֲרוֹ עֲלֵה־נָא הַבֵּט דֶּרֶךְ־יָם וַיַּעַל וַיַּבֵּט וַיֹּאמֶר אֵין מְאוּמָה וַיֹּאמֶר שֻׁב שֶׁבַע פְּעָמִים. וַיְהִי בַּשְּׁבִעִית וַיֹּאמֶר הִנֵּה־עָב קְטַנָּה כְּכַף־אִישׁ עֹלָה מִיָּם וַיֹּאמֶר עֲלֵה אֱמֹר אֶל־אַחְאָב אֱסֹר וָרֵד וְלֹא יַעַצְרָךְ הַגָּשֶׁם. וַיְהִי עַד־כֹּה וְעַד־כֹּה וְהַשָּׁמַיִם הִתְקַדְּרוּ עָבִים וְרוּחַ וַיְהִי גֶּשֶׁם גָּדוֹל וַיִּרְכַּב אַחְאָב וַיֵּלֶךְ יִזְרְעֶאלָה. וְיַד־יְהוָה הָיְתָה אֶל־אֵלִיָּהוּ וַיְשַׁנֵּס מָתְנָיו וַיָּרָץ לִפְנֵי אַחְאָב עַד־בֹּאֲךָ יִזְרְעֶאלָה..

الترجمة : وقال إلياهو لآحاب اصعد كل واشرب لأنه صوت دوى المطر ، فصعد آحاب ليأكل ويشرب وأما إلياهو فصعد إلى رأس الكرمل وخرّ إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه . وقال لغلامه اصعد تطلع نحو البحر . فصعد وتطلع وقال لايوجد شىء .

---

١) التثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣ وقارن الملوك الثانى ٩ : ٣٤

٢) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 106-107.

فقال ارجع سبع مرات . وفى المرة السابعة قال هوذا غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر . فقال اصعد قل لآحاب اشدد وانزل لئلا يمنعك المطر،وكان من هنا إلى هنا ان السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم . فركب آحاب ومضى إلى يزرعئيل وكانت يد الرب على إلياهو فشد حقويه ،وركض أمام آحاب حتى مجيئه إلى يزرعئيل " .

الحقيقة انه : منذ جمع " آحاب " الأنبياء وممثلى الشعب إلى جبل الكرمل (الفقرة : ٢٠) لم يشر إليه القاص بإشارة واحدة ، وربما أراد القاص أن يجعل القارئ يستنتج من هذا الصمت ان الملك لم يحضر نهائياً الصراع بين إلياهو وأنبياء بعل ، وهنا يفاجئنا القاص بدون تقديم أية ملاحظة توضيحية ، بحديث إلياهو إلى آحاب : " أصعد كل واشرب لانه صوت المطر " . إذاً هل بهذه الطريقة يريد القاص أن يعلن لنا ان ملك إسرائيل لم يكن فقط شاهداً على فشل أنبياء بعل ونجاح نبى الرب ، بل أيضاً كان مشاركاً الشعب كله فى سجوده للرب وندائه العظيم : " الرب هو الله " ويبدو ان القاص استخدم لغة الأمر : "עֲלֵה اصعد ، وتنفيذه : ויַּעַל فصعد " من أجل أن تعود على لغة : " וַיְהִי فأنزلهم " (الفقرة : ٤٠) ،وبهذا التضاد الأسلوبى يشير القاص بصورة غير مباشرة إلى ان آحاب إنضم أيضاً للنازلين إلى " واد قيشون " بدون التحفظ من الدلالة البعيدة بإن وجوده هناك يعطى التبرير والتصديق على ذبح أنبياء بعل . ويرى الباحثون إن غياب هذه المعلومات التى تعطى خلفية عن أعمال آحاب فى الكرمل وفى قيشون ، وعن ماهية الغلام الذى يظهر فجأة ليساعد النبى فى أعالى الكرمل (الفقره : ٤٣) إثبات قوى لربط غير متصل لقصتين مستقلتين (قصة الجفاف - التى تتوقف عند الفقرة ١٨ وتتجدد فى الفقرة ٤١ - وقصة المناظرة فى الكرمل (٢١ - ٤٠) ويرى هؤلاء الباحثين أيضاً إن حذف جزء كبير من وصف لقاء إلياهو وآحاب ، الذى ذكر فيه أمر الغلام المرافق للنبى ، قد تعمده القاص ليبرر امتناع الملك عن الأكل والشرب[1]؛ ولكن من ناحية أخرى نجد إن تجاهل القاص لآحاب قد تجدد فى بداية الإصحاح (١٩)، فعند عودة آحاب إلى يزرعئيل حكى

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 105.

لايزابل كل أعمال إلياهو فى الكرمل وفى قيشون (١٩ : ١) وبذلك ينتهى بشكل مفاجىء دور آحاب فى القصة حيث لم يذكر لنا القاص موقف آحاب تجاه تهديد الملكة بقتل إلياهو ، وهكذا نجد إن هذا الصمت من القاص قد تكرر عدة مرات فى الوقت الذى كان عليه أن يقدم لنا تصويراً مفصلاً عن علاقات الملك بالملكة وتوزيع الاختصاصات بينهما ويبرز ذلك بصورة خاصة فى قصة كرم نابوت اليزرعيلى مع الفارق بانه فى قصة نابوت استخدم التصوير المسرحى ، بينما فى بداية الإصحاح (١٩) استخدم أسلوب التبليغ فقط ، وقد أراد القاص بذلك إبراز انسياق الملك وراء النشاط الإجرامى لزوجته فاستخدمه موضوعاً رئيسياً فى قصته ، فجعل إلياهو يتجه مباشرة إلى الشعب باتهامه بعبادة بعل ، بينما يوظف الملك كعنوان فقط للإعلان عن الجفاف وعن انتهائه وممهداً لاجتماع " كل الإسرائيليين " وأنبياء بعل فى الكرمل . ومن هنا فإن الصمت المزدوج للقاص تجاه أعمال آحاب فى الكرمل وفى يزرعيل جاء ليشير إلى سلبية آحاب وإلى أنه لم يتدخل بشكل حقيقى فى الحبكة الدرامية ،ولذلك فضل القاص الالتزام بالصمت حيث رأى إن ردود فعل آحاب تجاه العمل الدرامى لإلياهو ولايزابل لاتنتسب إلى موضوع القصة (١).

---

١) إن عدم اهتمام القاص بشخصية رئيسية فى القصة كآحاب ووضعها فى ركن مظلم يعارض النماذج الأدبية المعتادة فى الرواية الغربية مثلاً . فالقاص لايهتم بسلبية آحاب ؛ ولايعتبرها مادة للبناء الفنى المباشر . والحقيقة ان هذا الأسلوب ليس بغريب على القاص الذى تجاهل من قبل ذكر إمداد المذبحين ببقرتين كاملتين وكيفية إحضار أربع جرار ستماء كما لم يوضح فى المشهد السادس كيف انضم " الغلام " إلى إلياهو ، ومتى التصق بسيده بعد ركضه إلى يزرعيل ، كما لم يخبرنا القاص من قبل احتضان الأرملة لابنها الميت حتى أخذه منها إلياهو (١٧ : ١٩) ، كذلك لم نسمع إن الغلام رافق إلياهو عند هروبه من يزرعيل حتى تركه إلياهو فى بئر سبع (١٩ : ٣) . ويبدو أن هذا الصمت لم يكن نتيجة غفلة من المعد الذى جمع وربط بين القصص المختلفة ، بل يرجع إلى أسلوب القصة المقرائية التى تميل إلى التخلى عن الإيضاح " البصرى חזותית" من أجل تركيز المضمون .

انظر : עיון מקרא ופרשנות, עמ' 111 .

وكما إن القاص تجاهل آحاب عندما تحدث عن المواجهة بين إلياهو والشعب ، كذلك تجاهل الشعب عندما تحدث عن استئناف الإتصال بين النبى والملك . فعل الأمر " עֲלֵה " الذى جاء على لسان إلياهو ليطلب من الملك الذهاب لتناول الطعام والشراب يمكن فهمه بدلالة لاترتبط بتغير المكان،أى ذهاب لايصحبه تغيير فى العلو (١) . لكن بعد ذكر طاعة الملك " וַיַּעַל " - فصعد " ذكر عن إلياهو : " ואליהו עלה על ראש הכרמל وصعد إلياهو إلى رأس الكرمل " (٤٢) . وهنا يتضح إن الفعل " עלה " قد أشار إلى صعود النبى من وادى قيشون إلى أعالى الكرمل حيث كان حديثه للملك أسفل الجبل عند وهدان النهر . ويستنتج " رابى داود قمحى " " ومونتجمرى " ، " وجراى " من هذه الدلالة المزدوجة ومن عودة إلياهو مع الملك إلى يزرعئيل ، إلى انه فى يوم المناظرة العظيم فوق الكرمل تم الإعلان عن صيام عام بين الجماهير (قارن يوئيل ١ : ١٤) ثم ذكر النبى للملك انه باستطاعته كسر صومه قبل الجماهير ، عندما يصل إلى أسماعه صوت دوى المطر . هذا وإن صحت هذه الفرضية لوجب أن يذكر شيئاً عن إلغاء الصوم الذى لم يشر إليه ، ولكن ماورد يتمشى مع الأسلوب الموجز الذى تميزت به القصة المقرائية (٢). ومن ناحية أخرى يمكن توضيح هذه الفرضية بصورة أخرى تربطها ، بقوة أكبر ، بخلفية القصة أو بنائها بوجه عام ، هذا التوضيح يأتى من مصادر العهد القديم نفسها حيث نجد إن الامتناع عن تناول الطعام والشراب فى يوم سيء يأتى للتعبير عن المشاركة العميقة مع المصابين (راجع : صموئيل الثانى ١ : ١٢ ؛ ٣ : ٣٥) ، كذلك نجد أيضاً من ناحية أخرى إن التجاهل الشديد لضرر الغير ، يتم التعبير عنه بتناول الطعام والشراب بشكل مبالغ فيه (٣). إذاً يحتمل إن بشارة المطر على لسان إلياهو هى

---

١) قارن " עלה לך היערה ובראת לך - اصعد الى الوعر واقطع لك" (يشوع ١٧ : ١٥) وكذلك أيضاً : עלי אתי בגרלי ונלחמה ". اصعد أيضاً أنا معك فى قرعتك : (قضاة ١ : ٣)

٢) The Books of Kings , P. 301.

٣) راجع : (تكوين ٣٧: ٢٤ - ٢٥) حيث جلس أخوة يوسف لتناول الطعام بعد إلقائه فى الجب ، و (أستير ٣ : ١٥) حيث جلس الملك احشويروش وهامان ليحتسيا الشراب بعد ارتباك مدينة شوشن . ؛و(الملوك الثانى ٩ : ٣٣ - ٣٤) حيث جلس ياهو ليأكل ويشرب بعد أن داست خيوله إيزابل .

تعبيراً عن أمره للملك ليبدد أى شك نحو موافقته التامة على قتل أنبياء بعل بتناوله الطعام والشراب علناً[1]، إلا انه بدلاً من إعلان ذلك فى وضوح ، نجد النبى يعلق هذا الطلب بالأجر الذى سيمنح لهؤلاء الذين عادوا لعبادة الرب وحده ، هذا الأجر الذى عبر عنه بإنتهاء الجفاف : " וַיַּעֲלֶה אַחְאָב לֶאֱכֹל וְלִשְׁתּוֹת - وصعد آحاب ليأكل ويشرب " (الفقره ٤٢)[2]. عندئذ يكون الشرط الذى تضمنه الإعلان عن الجفاف قد تحقق ، ووفقاً لذلك يجب أن تعطى كلمة النبى الآن للإعلان عن انتهاء الجفاف " כִּי אִם לְפִי דְבָרִי " - إلا عند قولى " (١٧ : ١) وبالفعل فى الوقت الذى يحتفل فيه الملك - مجبراً أو راغباً " بمجىء المطر ، ينعزل النبى فى مكان مرتفع فى أعالى الكرمل ، ويبذل قصارى جهده فى صلاته الروحية إلى ربه ، والدعاء إليه لتحقيق وعده . هنا يمكننا القول إن شعب إسرائيل وملكهم قد اجتازوا بنجاح الإختبار الذى وضعه لهم النبى، مثلهم مثل الأرملة الصيدونية ، وعندئذ يستطيع إلياهو أن يناضل من أجلهم كما ناضل من أجل الأرملة وابنها ، ولقد نجح القاص فى تدعيم هذا التقابل بين هذين الموقفين بروابط موتيفية ولغوية متينة : فعندما اندهش القارىء لذكر المكان الذى ذهب إليه إلياهو : "ואליהו עלה אל ראש הכרמל- وصعد إلياهو إلى رأس الكرمل " (١٨ : ٤٢) إلا إن اندهاشه قد تبدد عندما يتذكر إن النبى انعزل من قبل فى مكان مرتفع فى منزل الأرملة الصيدونية : ויעל אל העליה - وصعد إلى العلّية " (١٧ : ٢٠) ، ثم ذكر هناك : ויתמדד על הילד فتمدد على الولد " (١٧ : ٢١) ؛ وفى مقابل ذلك فى قصة الكرمل : וגהר ארצה-

---

١) قارن صموئيل الثانى ٣ : ٣١ : حيث طالب داود يؤاب بالاعتراف بعدم أحقية قتل أبنير ثم انضمامه للمنتحبين عليه .

٢) ويبدو إن هذا التأكيد ليس مقصود به البشارة فقط ، بل إختبار آخر للعقيدة قدمه النبى للمالك فمثلما اختبر النبى الأرملة وهى تخوض حربها الأخيرة ضد الجفاف ، أكد لها : " כַּד הַקֻּמְח לֹא תִכְלֶה - إن كوار الدقيق لايفرغ " (١٧ : ١٤) ، ثم مع عوبديا عندما طلب منه النبى إحضار الملك إليه أكد له : " הַיּוֹם אֵרָאֶה אֵלָיו اليوم سأتراءى له " (١٨ : ١٥)؛ ومع آحاب عندما طلب منه النبى أن يجمع شعبه وأنبياء الوثنية إلى الكرمل بدون أى تأكيد واضح إلا انه عاد وأكد له بعد استكمال موافقته وتخليه التام عن أنبياء بعل : כִּי קוֹל הֲמוֹן הַגָּשֶׁם- انه دوى مطر " (١٨ : ٤١) .

וישם פניו בין ברכיו - وخرّ إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه "(١) (١٨ : ٤٢) ، ثم ينجح القاص فى التعبير عن حجم المجهود العظيم لتدفئة الطفل بتعبيره " שלוש פעמים ثلاث مرات " (١٧: ٢١) ويقابله بتركيز المجهود الذى بذله النبى بسجوده العميق والمتواصل عن طريق ارسال الغلام للنظر إلى طريق البحر : " שבע פעמים - سبع مرات "(٢) (١٨ : ٤٣) . وفى الحقيقة انه فى صلاة إلياهو فوق الكرمل لم يذكر لنا القاص كلمات الصلاة التى نطق بها النبى، وربما يرجع ذلك إلى ان الصلاة الصامتة التى تتم بوضع الوجه بين الركبتين تعبر أكثر من الكلمات،من حيث إنها تعبيراً عن الخنوع التام للرب وإخلاص روحى عظيم فى العمل من أجل إنهاء ضائقة الشعب (٣). وقد اتصفت صلاة إلياهو بالمثابرة وكلما

---

١) فى قصة إحياء ابن الشونامية على يد اليشع استخدم القاص تعبير: ויגהר עליו وتمدد عليه " (٢ ملك ٤ : ٣٤) فى مقابل ذلك لم يستخدم نفس الفعل" גָּהַר " فى وصف إحياء ابن الأرملة الصيدونية على يد إلياهو ، وربما لو فعل ذلك لكرر نفس الفعل فى قصة الصراع من أجل إحياء الولد وفى قصة الصراع من أجل المطر ، وبذلك تكون العلاقة بينهما قوية جداً . ولذلك نرى إن القاص امتنع عن ذلك لأنه خشى من هذا التقابل الزائد . فعندما تمدد النبى على الولد حاول إحياءه بواسطة العمل الجسمانى ولكنه عندما تمدد (גהר) على الأرض لم يكن يقصد بذلك إلا السجود العميق أمام الرب ، وبذلك يتضح لنا ان القاص أراد إبعاد أى ارتباط (سواء فى الذاكرة أو الخيال) بنشاط جسمانى موجه إلى الارض (على سبيل المثال المشاركه الوجدانية الساحرة) . انظر : עיוני מקרא ופרשנות, עמ' 113 .

٢) أى بعد أن أرسله الياهو ليتطلع نحو البحر ، عاد إليه قائلاً ليس شىء. فقال ارجع سبع مرات،أو حسب بعض الترجمات - ولعها أقرب إلى المعنى -"فقال سبع مرات ارجع " لأن الصبى لم يتلق الأمر بأن يرجع سبع مرات دون أن يعطل النبى فى صلاته ، ولكن الأرجح انه عاد إليه فى المرة الأولى بتلك الرسالة ، ثم عاد إليه المرة الثانية بنفس الرسالة ، وهكذا سبع مرات . وفى كل مرة كان إلياهو يرسله بعد برهة وجيزة .
انظر : ف . ب . ماير . حياة ايليا . ص ٨٦ .

٣) فى كفاح " חוני המעגל - حونى المعجيل " (راجع قصة "חוני המעגל" فى كتاب ח"נ ביאליק וי"ח רבניצקי, ספר האגדות שבתלמוד ובמדרשים, עמ' קנו) ...
من أجل المطر فى سنة الجفاف نجد إن الموتيف الأساسى فى هذه القصة هو تكريس النفس من أجل جماهير الشعب،حيث جاء إن "حونى" أقسم قائلاً : أقسم أنا باسمك العظيم إننى لن أتحرك من هنا حتى ترحم أبناءك . فبدأ المطر ينهمر ، ==

تأخرت استجابة الرب زادت صلاة إلياهو قوة وعمق ، وعندما أخبره الغلام أخيراً انه رأى غيمة صغيرة صاعدة من البحر ، أدرك إلياهو ان ربه قد استجاب لتضرعه كما سمعه من قبل فى صرفة (راجع ١٧ : ٢٢) ولكن بينما نزل هناك بنفسه ليبشر الأرملة وهو ممتلىء بالسعادة الغامرة " ראה חי בנך - انظرى ابنك حى " (١٧ : ٢٣) نجده هنا يرسل غلامه إلى آحاب ليبشره بالمطر الغزير : " עלה אמר אל אחאב : אסר ורד , ולא יעצרכה הגשם - اصعد قل لآحاب اشدد وانزل لئلا يمنعك المطر " (الفقرة : ٤٤).وبعد هذه الفقرة نتسائل لماذا امتنع إلياهو عن الذهاب إلى الملك وابلاغه بنفسه هذه النبوة السارة التى جاءت فى صيغة النصيحة الطيبة ، وفى الحقيقة ان القاص لم يقدم لنا إجابة واضحة لهذا التساؤل،لكن يبدو ان التقابل مع قصة الأرملة - التى علقت على إحياء ابنها باعتراف ملتهب بنبوة إلياهو ،(راجع ١٧ : ٢٤) - تشير إلى ان النبى أراد الامتناع هذه المرة عن مشهد الشكر والعرفان الشخصى لان نداء " الرب هو الله " (الفقرة : ٣٩) مازال رجع صداه يدوى فى سماء الكرمل ، هذا النداء الذى عبر عن استجابة الشعب الكاملة لمطالب نبيه وباعترافهم به كنبى للرب ، ولذلك رأى النبى أنه قد حان الوقت ليعيد من جانبه إلى ملك إسرائيل المكانة التى سلبها منه من قبل (راجع ١٨ : ١٦)(٢)

=) فقال : لم اسألك ذلك وإنما سألتك أمطار الآبار والعيون " . ويبدو أنه لذلك تحفظ " شمعون بن شطح " من عمله الإعجازى . وقد جاء فى משנת - תענית , י"ט, ע"א ": لولا انك حونى لحكمت عليك بالتحريم (النفى) ".

١) حيث ان القاص ذكر من قبل ان إلياهو وغلامه مكثوا فى " رأس الكرمل " فلذلك يجب أن نوضح إن فعل الأمر هنا " עֲלֵה اصعد " جاء بدلالة "לֵךְ - اذهب " (الذى ذكر من قبل فى الفقرة ٤١) . ولا نعرف بالضبط لماذا استخدم القاص هذا الجذر الذى أدى إلى الارتباك فى تحديد مكان الأبطال،والذى حدث من استخدام فعل واحد بدلالتين مختلفتين فى سياق واحد .

٢) علاقة ركض " إلياهو امام مركبة الملك بموضوع عوبديا،تُبرز فى وضوح موتيف حركة النبى الإعجازية هنا وهناك . فمن ناحية يعبر عوبديا عن خشيته من الاختفاء العجيب للنبى بلغة : ורוח יהוה ישאך על אשר לא אדע " وروح الرب يحملك إلى حيث لا أعلم " (١٨ : ١٢) ومن ناحية أخرى يصف القاص ركضه العجيب بلغة : " ויד יהוה היתה על אליהו - وكانت يد الرب على إلياهو " (١٨ : ٤٦) . ولايفرق قوفمان بين " روح الرب " و"يد الرب" فيقول إن روح الرب هى " يد الرب " التى تحث النبى وتجعله شخصاً آخر ذا قلب آخر "

انظر : תולדות האמונה הישראלית, כרך א' עמ' 521.

فى خاتمة هذا المشهد لم ينسب القاص أى حديث مباشر لآحاب ، ويبدو أنه أستمر فى اتجاهه بالصمت عن ذكر طبائع وسلبيات الملك ووضعها فى الظلام ، وعلى أى حال صعد الملك إلى الجبل لتناول الطعام تنفيذاً لأمر النبى ثم نزل وركب مركبته إلى يزرعئيل عندما أبلغه الغلام برسالة النبى . ولذلك سيكافئه النبى بالجرى أمام مركبته حتى يزرعئيل ، على طريقة " أبشالوم " " وأدونيا " فى تأجير رجال يركضون أمام مركباتهما لتعظيمهم كوارثين للملك (راجع صموئيل الثانى ١٥ : ١ ؛ ١ ملك ١ : ٥) .

إذاً يتضح ان ركض إلياهو أمام مركبة آحاب هدف إلى تكريم الملك: "לחלוק כבוד למלכות"(١). وبهذا العمل العجيب لم يعوض النبى الأضرار التى لحقت بشرف ومكانة الملك عند مداخل السامرة ، و الكرمل،وعند نهرقيشون ، بل أيضاً إصراره على أن يعلن فى وضوح أنه لايوجد من هو أعلى مكانة من الملك ، وإن ماقام به النبى مع الملك من قبل لم يكن بقصد تقويض حكمه أو أن يأخذ لنفسه من صلاحياته ، على العكس فإن حماس النبى وهو يركض مسافة ٢٥ كم تقريباً أمام مركبة الملك حتى وصوله إلى يزرعئيل يجعلنا نشعر أنه أعاد للملك كامل صلاحياته ، فى سعادة غامرة بعودته إلى شعبه وإلى ربه .(٢)

---

١) تذكر الأجاداه إن إلياهو قال للرب : " سيد العالم ، لم يتبق فى يد أبنائك إلا حق فريضتين ، وهما السبت و الختان ، يجدر بهما ان ترحمهم . " ووضع وجهه بين ركبتيه " (١ ملك ١٨ : ٤٢) أى أنه أراد أن يذكر لهم فضل الختان . ولم ينس إلياهو أن يكرم الملك فركض أمام مركبته .

انظر : ויקרא רבה .לא ,ד ; שיר השירים רבה ז,ו ; פסיקתא דרב כהנא ,מהד' בובר ,ל"ק ,1860 ,פ"ל קצב,א ; מכילתא 'בא" פרשה "ג.

٢) يرى " ابربنئيل אברבנאל إن " יד יהוה " تدل هنا على مقدرة فوق طبيعية وليس على رسالة - مهمة - نبوية .

انظر : דוד יצחק אברבנאל ,פירוש על נביאים ראשונים" ירושלים תשט"ו ,עמ' 45.

وفى ختام هذا العرض نقدم تلخيصاً عن العلاقة بين الإصحاح ١٨ وسابقه وعن معنى التقابل السيماترى بينهما : إن الهدف الرئيسى لكاتب قصة " صراع إلياهو النبى ضد عبادة بعل " هو ان تثبت قصة الجفاف (الإصحاح ١٧) وقصة المناظرة من خلال براهين أبدية، بطلان عبادة بعل من ناحية ، وألوهية يهوه من ناحية أخرى ، فقصة الصراع ضد عبادة بعل تناقش قضية واقعية ليست خاصة بالماضى فقط بل هى ملائمة أيضاً للعصر الحديث ، ولهذه الغاية عرض القاص مدى فظاعة الجوع فى صرفة والسامرة ، وأطال وصف شروط المناظرة فى الكرمل ، والجهود الكاملة لكلا الطرفين الخصمين ، وأبرز قوة انفعال كل الحاضرين من سقوط نار الرب على المذبح ، كل ذلك من خلال تعامل جيد مع بطل هذه القصص وهو إلياهو النبى ، هذا التعامل الذكى يبين السهولة والموسيقى اللطيفة والتألق ، تلك العناصر التى تنتمى إلى أسلوب روائى تاريخى عبرى جيد ، ونظراً لاهتمام القاص بإبراز مضمون القصة وجوهرها فقد أغفل الحديث عن حياة إلياهو السابقة ، طفولته وشبابه ولم يعتبرها مادة للبناء الفنى المباشر (١)، فجوهر القصة لم يكن فى الإنتصار الذى كان مؤقتاً ، بل فى المعجزات (التى مازال مفعولها قائماً وموجوداً) والتى استجاب لها الشعب كله بسجوده ونداءه " יהוה הוא האלהים الرب هو الله " ، وبالقبض على أنبياء بعل بأمر من نبى الرب ، وقد نجح القاص فى عرضها كشهادة على حقيقة المعجزات وقوتها وتاريخيتها بحيث يصعب على الأجيال القادمة أن تتجاهلها ، ولذلك فإن استجابة الشعب لماحدث فوق الكرمل يتعلق بشكل حاسم بالقوة التصويرية للقصة خلال إحياء الماضى فى صورة فنية باهرة جعلت القارئ يقف ليشاهد الأحداث فى أعالى الكرمل وكأنه كان معاصراً لها ، ومردداً مع الشعب " الرب هو الله " . هذا الأمر لايمكن تحقيقه بدون تصوير شخصية النبى فى صورة المحارب بسلاح الغيرة للرب ، والذى طهر إسرائيل بمعجزة النار وببركة المطر ، وقد صدق " فون راد Von-Rad فى قوله " إن قصص إلياهو هى فى أساسها قصص الرب "(٢).

---

(١) S.R. Driver: An Introduction to the Literature of the old Testament. Ninth Edition. New York,1913 PP. 194-195.

(٢) G.Von-Rad: Theologie de ATS. II. Munchen, 1960, P. 37.

إن شخصية النبى وأعماله منحت المعجزات واقعية أكبر من تدعيمها بالظروف التاريخية وبالوجود الإنسانى . إذاً ليس هناك مجال للحديث عن مشكلة ارتباط قصة المناظرة فى الكرمل ، بالمعجزات التى جاءت فى الإصحاح ١٧ والتى حدثت معظمها على المستوى الخاص ولم تتعرض لعبادة بعل ، أما الإدعاء بان قصة الجفاف والمناظرة فى الكرمل ممكن فهمها بدون خلفية أحداث إلياهو فى وادى كريث وفى صرفة ، فهو صحيح إلى حد ما،ولكن هذا الفهم يكون جزئياً فقط مالم يتم التقابل بين الأحداث الخاصة والعامة ، هذا التقابل الذى يمنح الأحداث عمقاً بيوجرافياً وقيمة استمرارية ، ذلك إن مفتاح إجتياز عوبديا وآحاب للإختبار الذى وضعه لهما النبى ، يوجد فى إجتياز الأرملة للاختبار النبوى ؛ واتهام آحاب للنبى " بمعكر إسرائيل " تم إعداده ليقابل المواجهة بين النبى والأرملة ، إذاً هذا الربط التقابلى لم يتم بصورة مصطنعة بل كان أميناً فى عرضه ، فأعمال النبى فى الإصحاح ١٧ لاتلقى الضوء فقط على أعماله فى الكرمل ، بل مهدت لها الطريق ليتم عرضها فى شكل مقنع ومنطقى فنجاح إلياهو فى إحياء ابن الأرملة قد ساعد على فهم الشكوك والعداء من جانب هؤلاء الذين يقدم لهم بركة الأمطار ؛ والذى استجاب بالقمح والزيت فى صرفة سيستجيب أيضاً بالنار والمطر فى الكرمل ، ومَنْ تمدد فوق الغلام وتغلب على الموت ، سيتمدد أيضاً على أرض الكرمل ليعلن نهاية الجفاف ، ومن جعل الأرملة الصيدونية التى كانت على وشك طرده من بيتها ، أن تعلن : ודבר יהוה בפיך אמת - إن كلام الرب فى فمك حق " (١٧ : ٢٤) ، لقادر على أن يجعل شعبه الذين امتنعوا عن إجابته بشىء أن يصيحوا : יהוה הוא האלהים, יהוה הוא האלהים - الرب هو الله ، الرب هو الله " (١٨ : ٣٩)[١]

---

١) עיוני מקרא ופרשנות, עמ' 116-117.

تطور النبوة عند إلياهو :

قصة إلياهو فى حوريب [١] (الملوك الأول ١٩)

إن قصة إلياهو فى حوريب هى قصة ذات أبعاد متعددة تترك لدى القارىء انطباعاً قوياً مؤثراً فالقصة يخيم عليها مناخاً فوق طبيعى (إعجازى) حيث يظهر ملاك الرب ليطعم النبى ، الذى يطلب لنفسه الموت بعد شعوره بخيبة أمل مُرة ، ولكن ملاك الرب يمده بالقوة ويدفعه إلى إتخاذ سياسة نبوية جديده أعنف من سابقتها بمراحل. فبوصول النبى إلى جبل حوريب يشكو لربه من أبناء شعبه ويجيبه الرب بتجلى عظيم الأثر يحمل رسالة أعظم ، هذه الرسالة التى تنذر بمستقبل وخيم لإسرائيل عقاباً على خطاياها وتركها عبادة الرب[٢]

---

١) חֹרֵב : حوريب : اسم جبل يطلق عليه أيضاً " جبل سيناء הַר סִינַי " ويذكر العهد القديم: برية سيناء ،وجبل سيناء ٣٥ مرة ، وفى ١٧ مرة تسمى "حوريب" وقد قضى العبرانيون عند هذا الجبل سنة فى طريقهم من مارة وايليم والبحر الأحمر ، ووصلوا إليه بعد قيامهم من مصر بثلاثة أشهر (خروج ١٩ : ١). وكان يبعد عن " قادش برنيع " مسيرة أحد عشر يوماً عن طريق جبل ساعير (تثنية ١ :٢) وعلى مسيره ثلاثة أيام من مصر (خروج ٥ : ٣) . وقد أعطى يهوه شعبه الوصايا العشر من على هذا الجبل ، وعمل معهم العهد أن يكون إلها لهم وأن يكونوا شعباً له (خروج ٢٠ : ١ و ٢٤ : ٨) ولايسجل لنا العهد القديم إن أحداً زار هذا الجبل بعد ذلك إلا إلياهو حين هرب من إيزابل (١ ملوك ١٩ : ٨) . ولم يترك العهد القديم أيضاً دلائل واضحة عن موقع هذا الجبل ولذلك اختلف الباحثون فى تحديد موقعه ، وهناك ثلاثة آراء لاتتفق مع بعضها البعض بشأن تحديد مكانه ، حدد الرأى الأول مكانه فى " مدين " ، والثانى جبل موسى ، ويقول " يوسيفوس" إن جبل موسى عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه لأنه حاد الصخور وشديد الإنحدار ولايستطيع أحد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء .. ويظن يوسيفوس إن هذه الأحوال الطبيعية تجعل جبل موسى أكثر استعداداً لأن يكون الجبل الذى من فوقه أعطيت الشريعة . والرأى الثالث أنه جبل سربال فى وادى فيران . وهذا الرأى بعيد الاحتمال مثل الرأى الأول .

انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ٤٩٨

- לפסיקון מקראי ,עמ' 669.

٢) תרביץ , רבעון למדעי היהדות , האוניברסיטה העברית שנה נב' - חוברת ג' - ניסן-סיון - תשמ"ב , המערכת : יוסף דן , משה דוד הר , מנחם הרן , מזכיר המערכת: אב'גדיר שנאן . מאמר , יאיר זקוביץ , קול דממה דקה. עמ' 329.

من الرؤية المنظورية للإصحاح (١٩) يبدو لنا ان الإصحاح (١٨) جاء ليقول إن غيرة إلياهو للرب كانت ضرورية ولها مايبررها ، وإلى ان المجهود العظيم الذى بذله النبى لرجوع الشعب وتوبتهم إلى ربهم بواسطة عقوبة الجفاف ، ومعجزة النار ، وفضل المطر ، لم يستأصل عبادة بعل من داخل إسرائيل ولذلك جاء الاصحاح ١٩ ليتضمن ثلاث رسائل تحمل بين طياتها عقوبة الرب لشعب إسرائيل حتى يتخلى هذا الشعب عن هؤلاء الذين مازالوا يعبدون بعل ويسجدون له . ومن هذا المنطلق يجب ادراك الإصحاح ١٩ ضمن الوحدة القصصية للإصحاحين ١٧ و ١٨[١] . وهذا الإتصال بين الإصحاحات الثلاثة سوف يكشف لنا العلاقة بين أحداثها الكثيرة من خلال انسجام أدبى كامل ، ولكن قبل البحث فى مضمون القصة ومحاولة توضيح رسالتها ، علينا أولاً الوقوف على العلاقة بينها وبين بيئتها الأدبية ، حيث سيتبين لنا اجتهاد القاص فى ربط قصته بقصة الجفاف والمناظرة فى الكرمل (الإصحاحات ١٧ ، ١٨) والتى تنتهى بانتصار " يهوه " على " بعل " وباعتراف الجميع بإن " يهوه " هو الله (١٨ : ٣٩) وبذبح أنبياء بعل على يد إلياهو (الفقرة ٤٠) ، ثم يواصل القاص فى الإصحاح (١٩) ذهاب آحاب بعد ذلك إلى يزرعئيل ولقائه بزوجته إيزابل وتلخيصه لمآثر إلياهو فوق جبل الكرمل وتأكيده على أمر واحد منها وهو ماتم عند سفح الجبل من قتل أنبيائها ، مما يؤدى إلى غضب الملكة وتهديدها بقتل إلياهو ، الأمر الذى دفع بإلياهو إلى الهروب للصحراء وتجلى الرب له فى حوريب ، وبالإضافة إلى هذه البيئة العامة للقصة ، فإن هناك بعض التفاصيل التى تشير ذكرى قصة الجفاف والمناظرة فى الكرمل ، منها على سبيل المثال شكوى إلياهو أمام الرب فى حوريب حيث يقول : " אֶת־מִזְבְּחֹתֶיךָ הָרָסוּ - هدموا مذابحك " (١٩ : ١٠ أ) وهى تعيد ذكرى ترميم مذبح الرب المنهدم : " וַיְרַפֵּא אֶת־מִזְבַּח יְהוָה הֶהָרוּס - ورمم مذبح الرب المنهدم " (١٨ : ٣٠) ، بينما شكوى إلياهو : " וְאֶת נְבִיאֶיךָ הָרְגוּ בֶחָרֶב - وقتلوا أنبياءك بالسيف (١٩ : ١٠ ب) ترجع صدى كلماته فوق الكرمل : נוֹתַרְתִּי נָבִיא לַיהוה לבדי - بقيت نبياً للرب وحدى " (١٨ : ٢٢)[٢] ، وعلى الرغم من هذا التقابل الموضوعى واللغوى بين القصتين إلا إن هناك بعض الباحثين الذين

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 149 .

٢) راجع الإصحاح ١٧ و ١٨ من سفر الملوك الأول .
انظر أيضاً : לבסיקון מקרא, עמ' 52.

يرون إن قصة الياهو فى حوريب ليست هى الاستمرار الطبيعى لقصة الجفاف سواء إن قصة الجفاف تصل إلى نهايتها الطبيعية باعتراف الشعب بربوبية يهوه وبسقوط المطر ، أو - بصورة خاصة - لأن شكاوى إلياهو فى قصة حوريب لاتنسجم مع المناخ العام لنهاية الإصحاح ١٨ ، أى بعدما تركته المناظرة فى الكرمل من انطباع عظيم الأثر ، وبعد دعوة الشعب كله بان " يهوه هو الله " وبعد قتل أنبياء بعل فإنه ليس منطقياً أن يعود إلياهو ويشكو ربه بإن الإيمان بألوهيته قد زال من بلاده (راجع الفقرات ١٧ و ١٨)[١].

ويبدو إن القاص قد بنى قصته بالفعل على ماحدث فى الإصحاحين ١٧ و ١٨ورأى إنه من الضرورى فهم ومعرفة قصة الجفاف من أجل فهم بداية قصة التجلى فى حوريب أو لفهم تفاصيل وأحداث أخرى فى القصة كما سنوضح فيمايلى : تتحدد الوحدة الأدبية فى قصة التجلى فى حوريب بالفقرات ١ - ١٨ من الإصحاح ١٩ ، وتبدأ القصة بمشهد بين آحاب وزوجته إيزابل حيث يسرع الملك بتقديم تقرير عما حدث فى الكرمل :

וַיַּגֶּד אַחְאָב לְאִיזֶבֶל אֵת כָּל־אֲשֶׁר עָשָׂה אֵלִיָּהוּ וְאֵת כָּל־אֲשֶׁר הָרַג אֶת־כָּל־הַנְּבִיאִים בֶּחָרֶב

- وأخبر آحاب إيزابل بكل ماعمل إلياهو وكيف أنه قتل جميع الأنبياء بالسيف " (١٩ : ١) و تكراركلمة " כל - كل " ثلاث مرات فى هذه الفقرة ربما لتشير إلى الانطباع العظيم الذى تركه هذا الحدث على آحاب ، وقد بدأ تقريره بكل مافعله إلياهو وانتهى بتفصيل حدث واحد من أعماله : كيف انه قتل جميع الأنبياء وبذلك ينسب الملك كل المعجزات والأعمال إلى إلياهو لا إلى الرب ، إذاً فالملك يدرك الصراع كله على المستوى الإنسانى فقط كصراع بين أنبياء ، وليس كصراع بين يهوه (الرب) وبعل .

والحقيقة إن التأكيد على تفصيل أمر واحد من بين الأحداث يشير إلى أهميته فى نظر مقدم التقرير ، فالقاص لايؤكد مثلاً على نزول النار من السماء ، أو سقوط المطر ، بل على كيفية قتل الأنبياء بالسيف على يد إلياهو مما أدى بايزابل - التى قتلت أنبياء الرب (قارن حزقيال ١٣ : ٤) إلى مواصلة أعمالها الانتقامية ، وهكذا

---

(١) J.J.Stamm: Elia am Horeb. Studia et Semitica The C.Vriezen-- dedicata (ed, W.C. Van Hnnik, A.S. Van der woude), Wageningen, 1966. P. 327.

نجح القاص فى أن يجعل من إلياهو مركزاً للأحداث وأن يوجه القارئ إلى الاهتمام بالشخصية الرئيسية فى القصة وبمصيرها الإنسانى .(١)

وبعد أن قدم آحاب تقريره عن أحداث الكرمل إلى زوجته إيزابل اختفى تماماً من مسرح الأحداث،وبنفس السرعة التى اختفى فيها آحاب كانت سرعة إيزابل فى الإعراب عن رد فعلها تجاه قتل أنبياءها : " וַתִּשְׁלַח אִיזֶבֶל מַלְאָךְ אֶל-אֵלִיָּהוּ לֵאמֹר כֹּה-יַעֲשׂוּן אֱלֹהִים, וְכֹה יוֹסִפוּן כִּי-כָעֵת מָחָר אָשִׂים אֶת-נַפְשְׁךָ כְּנֶפֶשׁ אַחַד מֵהֶם"(٢)

فأرسلت إيزابل رسولاً إلى إلياهو تقول : هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم فى نحو هذا الوقت غداً " (الفقرة ٢) . رد فعل الملكة يثير فى القارئ عدة تساؤلات : أولاً لماذا تؤجل الملكة قتل النبى ؟ ولماذا تسبق ذلك بإرسال رسول ليخبر النبى بالحكم ؟ وهل ستتمكن الملكة من تنفيذ تهديدها قبل انقضاء اليوم ؟ ربما لم تجسر الملكة على قتله رغم أنه كان تحت سلطاتها بسهولة ، ولكنها اكتفت بتهديده فقد كان كل ماتصبو إليه أن تقصيه عن المملكة حتى يخلو لها الجو وتصلح ما أفسده ، فلم يكن وجود إلياهو ضرورياً بقدر ماكان فى ذلك الحين، فإن عمل التخريب كان قد بدأ ، وكان الشعب قد تهيأ لاتمامه الى أقصى حد. والتيار انقلب ، وسار فى اتجاه الرب ، وكان وجود إلياهو ضرورياً جداً لكى يتزعم القيادة ويتم بسياسته الانشائية سياسته الإصلاحية .وقد نجح القاص فى هذه الفقرة فى إبراز وثنية إيزابل ، فكما نسب آحاب المعجزات إلى النبى لا إلى الرب ، أيضاً أقسمت إيزابل بلغة الجمع : "כֹּה יעשׂון אלהים וכֹה יוסיפון" - هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد " وهى علامة على عبادة الآلهة الوثنية (قارن١ ملوك ٢٠ : ١٠) وقد استخدمت فى تهديدها قانون "מִדָּה כְּנֶגֶד מִדָּה" العين بالعين "(٣)

---

١) קול דממה דקה , עמ' 331 .

٢) وحسب تفسير رابى لاوى بن جرشوم : " اقسمت ايزابل بلغة الجمع لتعدد الآلهه التى يعبدونها " . وقد وردت صيغة القسم هنا . بدون الضمير (לִי) قارن (صموئيل الاول ١٤ : ٤٤) . أيضا استخدمت فى هذه الفقره كلمة " כִּי " بمعنى " אִם לֹא " .قارن (روث ١ : ١٧)

٣) אנציקל מקרא, כרך ד', עמ' 844 .

ومما سبق كنا نتوقع من إلياهو استلام الرسالة فى فتور وعدم مبالاة، ويبسطها أمام ربه متيقناً أنه سيحميه ، ولكن عوضاً عن ذلك فإنه فضل عدم مواجهة الملكة بابتعاده عن مكان الخطر : " וַיַּרְא (١) וַיָּקָם וַיֵּלֶךְ אֶל־נַפְשׁוֹ (٢) וַיָּבֹא בְּאֵר־שֶׁבַע אֲשֶׁר לִיהוּדָה וַיַּנַּח אֶת נַעֲרוֹ שָׁם - فلما رأى ذلك قام ومضى لأجل نفسه وأتى إلى بئر سبع التى ليهوذا وترك غلامه هناك " (الفقرة ٣٠)، وبذهابه لأجل نفسه يترك إلياهو وراء ظهره عبء رسالته ومسئوليته تجاه الملك والملكة والمملكة بأكملها ، فقد أهمل كل شئ بذهابه إلى بئر سبع ومغادرته الأراضى الخاضعة لنفوذ إيزابل(٣)، ويفسر " رابى داود قمحى " عبارة " אֶל־נַפְשׁוֹ " بقوله : أنه لولا شكوكى لقلت إن ذهابه لم يكن فقط هروبا من إيزابل ، بل أيضاً ذهاباً إلى نفسه ، التى هى مجال إرادته ومبعث أفكاره وهدف ذهابه ، فإيزابل أرادت نفسه وهو يرى فى نفسه كل شئ ، حتى انه لم يحتمل حتى رفقة غلامة فتركه فى بئر سبع ، (كطريقته فى ترك اليشع عندما حانت ساعته فى الابتعاد عن هذا العالم - ٢ ملوك : ٢) وتوغل فى الصحراء مسيرة يوم : " וְהוּא הָלַךְ בַּמִּדְבָּר דֶּרֶךְ יוֹם וַיָּבֹא וַיֵּשֶׁב תַּחַת לְתֶם אֶחָת (٤) וַיִּשְׁאַל אֶת־נַפְשׁוֹ לָמוּת־

---

١) بعض الترجمات القديمة (اليونانية والسورية واللاتينية) تميل إلى قراءة الفعل " וַיָּרָא " بدلاً من וַיַּרְא حيث تتفق مع ابتعاده السريع ، وعن تبديل آخر للجذر (ר״א) مع (ר״ה).
انظر : قضاة ١٤ : ١١ فى الترجمة السبعينية .

٢) ويميل الباحثون إلى تفسير حرف الجر " אל " فى هذه الفقره بمعنى" על- على" مثل המלט על נפשך اهرب لحياتك " (تكوين ١٩ : ١٧) . انظر:
C.F. Burney: Notes on the Hebrew Text of the Books of Kings. Oxford, 1903, P. 229.

٣) ويشير بئر سبع إلى حدود المملكة الإسرائيلية ،وهى الأرض الواقعة " من دان وحتى بئر سبع " (راجع قضاة ٢٠ : ١ ، صموئيل الأول ٣ : ٢٠ ؛ صموئيل الثانى ٣ : ١٠ ؛ ٢٤ : ١٥ وغيرها).

٤) תחת רתם אחד : وهى القراءة للصيغة المؤنثة "תחת רתם אחת" وهى هنا بمثابة تصحيح للقراءة " אחת " المؤنثة . وقد انتقل التصحيح من الهامش إلى داخل القصة بواسطة الناسخ الذى اعتقد ان الكلمات تحذف من الأصل ليبحث عن مكانها الصحيح . وعن ازدواج عدد من الكلمات بسبب وجود صيغة مختلفة وبسيطة فى واحدة منها . انظر : أشعيا ١٥ : ١ ؛ صفنيا : ٢ : ٢ .

וַיֹּאמֶר : רַב עַתָּה יְהוָה קַח נַפְשִׁי כִּי לֹא־טוֹב אָנֹכִי מֵאֲבוֹתָי "

- ثم سار فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه. - مما يدل على ضعفه الجسدى ويأسه من إصلاح شعبه - فقال: قد كفى الآن يارب خذ نفسى لاننى لست خيراً من آبائى " (الفقرة : ٤) ، والآن حان وقت قتله الذى حددته إيزابل ، وهنا تبرز السخرية فى هذا الحدث ، حيث يطلب النبى من ربه أن يأخذ نفسه فى نفس الوقت الذى هددت فيه إيزابل بقتله فيه . وقد استخدم القاص الفعل " וַיָּבֹא " - وأتى " ليشير إلى انتقال النبى من حالة إلى أخرى فى رحلته ، وليدل بتكرارها على الانتقال إلى حالة جديدة :(١)

- וַיָּבֹא בְאֵר־שָׁבַע - وأتى إلى بئر سبع" (الفقرة ٣)
- וַיָּבֹא וַיֵּשֶׁב תַּחַת רֹתֶם אֶחָד - وأتى وجلس تحت رتمة (الفقرة ٤)
- וַיָּבֹאשָׁם אֶל הַמְּעָרָה - وأتى هناك إلى المغارة (الفقرة ٩)

وهنا يعتقد إلياهو النبى أنه وصل إلى محطته الأخيرة ،ولكن مع يأسه الشديد فإنه لاينسى الاهتمام بواحته فجلس تحت رتمة ، وطلب شيئاً واحداً من ربه ألا وهو "الموت"، وقد عبرت صلاته عن مزاجه وحالته النفسية ، فلم تتوقع نفسه الخلاص بعد أن ضاق ذرعاً برسالته وذهابه لأجل نفسه لم يجد سبباً لحياته فيطلب من ربه أن يأخذ نفسه ، مثله مثل النبى " يونا "ونه" الذى يصلى إلى ربه قائلاً : קַח־נָא־אֶת־נַפְשִׁי מִמֶּנִּי כִּי טוֹב מוֹתִי מֵחַיָּי - خذ نفسى منى لإن موتى خير من حياتى " (يونا ٤ : ٣) ؛ "يونا" الذى فر من رسالته أيضاً ، والذى غضب عليه الرب بسبب الاختلاف معه فى أسلوب تبليغ رسالته فلم يقلب " نينوى " كما طلب النبى ولذلك غضب أيضاً النبى لإن الاضطرابات التى تنبأ بها على نينوى لم تتحقق ، وذلك لإن الرب :

" אֵל חַנּוּן וְרַחוּם אֶרֶךְ אַפַּיִם וְרַב־חֶסֶד וְנִחָם עַל־הָרָעָה -

إله رؤوف ورحيم وصبور وكثير الإحسان وغفور للذنب " (يونا ٤ : ٢) ومن هذا يتضح لنا إلى أى حد كانت حالة "إلياهو" قريبة "ليونا"،وما أقرب دوافعهما إلى الهروب من رسالتهما . أيضاً "موسى" عليه السلام طلب الموت من ربه لدوافع ذاتيته ولكنه يختلف هنا عن "إلياهو" و"يونا" بأنه طلب الموت فقط إذا لم يخفف عنه الله الأعباء : וְאִם כָּךְ אַתָּה עֹשֶׂה לִי הָרְגֵנִי נָא הָרֹג... فإن كنت تفعل بى هكذا فاقتلنى قتلاً " (عدد ١١ : ١٥)(٢)

---

١) קול דממה דקה , עמ' 332.
٢) المصدر السابق ،نفس الصفحة .

تتميز صلاة إلياهو فى قصة التجلى فى حوريب بالأنانية الشديدة حيث يعبر فيها عن تنكره الكامل للرسالة التى تركها خلفه : קַח נַפְשִׁי خذ نفسى " ، وهو يمهد فى هذه الصلاة لصلاته الثانية فى حو ريب والتى يختمها باتهام بنى إسرائيل: ויבקשו את נפשי לקחתה .. ويطلبون نفس ليأخذوها " (الفقرة : ١٠)، ونلاحظ فى هاتين الصلاتين إن نفسه كانت الدافع لصلاته ؛ أما تبريره لطلب الموت : כי לא טוב אנכי מאבותי - لانى لست خيراً من أبائى " (١ ملوك ١٩ : ٤) يؤكد إلى أى مدى ابتعد النبى عن رسالته ، واهتم برؤية مصيره الشخصى، أى برؤية " ذاته " فقط . وبعد أن طلب " إلياهو " الموت ، لم يجد مايفعله إلا الرقود والنوم تحت الرتمة ،الذى يمثل هروباً كاملاً من الحياة ، لكن لم يستجب الرب لصلاته ، فبدلاً من النهاية التى يتوقعها إلياهو يحدث غير المتوقع : וַיִּשְׁכַּב וַיִּישָׁן תחת לרתם אֶחָד וְהִנֵּה־זֶה מַלְאָךְ נגע בו ויאמר לו קום אכל - واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا بملاك قد مسه وقال قم وكل " (الفقرة : ٥) وقد استخدم القاص كلمة מלאך " ملاك " فى هذه الفقره وليس" מלאך יהוה ملاك الرب " كما يطلق عليه دائماً (قارن الفقرة : ٧) ، وذلك لكى ينشأ تعارضاً سيماترياً (تناسقياً) مع " מלאך الرسول " الذى أرسلته إيزابل إلى إلياهو (الفقرة ٢٠) ، فقد أرسلت إيزابل " رسولاً " ليبلغه بالموت عندما كانت روحه غالية عليه ،وفى نفس الوقت أرسل الرب له " ملاكاً " ليدل على إنه مُرسَل من قِبَل الرب لكى يبقيه حياً ويقوم على خدمته مما يدل على شفقة الرب على عبده الضعيف الجسد فكثيراً مايكون ضعف الإيمان نتيجة ضعف الجسد ؛ هذا فى الوقت الذى صارت فيه نفسه هينة عليه . وقد أيقظه ملاك الرب بلمسه [1]. ثم أمره بالقيام لتناول الطعام،وقد جاءت استجابة النبى فى شكل تدريجى : וַיַּבֵּט וְהִנֵּה מְרַאֲשֹׁתָיו עֻגַת רְצָפִים וְצַפַּחַת מַיִם וַיֹּאכַל וַיִּשְׁתְּ וַיָּשָׁב וַיִּשְׁכָּב" - فتطلع وإذا

---

١) قارن دنيال : ٨ : ١٨ ؛ ١٠ : ١٨

كعكة رضف[١] وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع " (الفقرة : ٦) ، كما استخدم القاص كلمة " והנה " فى الفقرة (٥) لمفاجئة القارئ بظهور ملاك الرب ، ثم استخدمها فى الفقرة (٦) ليشير إلى دهشة النبى من رؤية الطعام والشراب بجانب موضع رأسه (لاحظ الرنين المزدوج עֻגַת רְצָפִים וְצַפַּחַת מָיִם) وهو طعام لأجل البقاء على حياة النبى وليس مأدبة ملوك[٢]. وفى الحقيقة لم نقرأ إن ملاكاً ظهر إلياهو فى كريث أو صرفة ، أو أيقظه بلمسه ، لقد قامت بخدمته من قبل "الغربان" ، و"النهر" ، و"الأرملة" . ولكن لم يقم الملاك بخدمته ولو مرة واحدة . لقد شرب من مياه نهر كريث وأكل من الخبز واللحم اللذين أتت بهما الغربان إليه ، ومن الطعام الذى كانت تهيئه له أرملة صرفة بمعجزة ، ولكنه لم يأكل قط من الكعك الذى هيأه الملاك بيده ، ويبدو إن هذه البراهين ليست إلا رموزاً تشير إلى رحمة الرب ، ومع ذلك فإن النبى لم ينفذ إلا نصف أمر الرب فقط،فقد أكل وشرب ولكنه لم يزل يبحث عن الملاذ فى النوم[٣]، ومع تراجع إلياهو إلا إن الملاك لم ييأس فعاد ولمسه : " וַיָּשָׁב מַלְאַךְ יְהוָה שֵׁנִית וַיִּגַּע־בּוֹ וַיֹּאמֶר קוּם אֱכֹל כִּי רַב מִמְּךָ הַדָּרֶךְ - ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال قم وكل إن المسافة كبيرة عليك " (الفقرة : ٩) ونجد فى هذه الفقرة إن المحاولة الثانيه للرسول مع النبى كانت أقوى من سابقتها فذكر اسمه كاملاً "מלאך יהוה ملاك الرب" ليشير إلى إن نتائج رسالته هذه المره ستكون

---

١) نوع من الكعك يخبز على حجارة محماة بعد إزالة الرماد عنها،وكانوا يصنعون هذا النوع من الخبز إذا اقتضت الظروف العجلة فى إعداد الخبز (تكوين ١٨ : ٦) وكانوا يسمونه "خبز ملة" ينضج جانب منه ويبقى الآخر نيئاً رخواً. وتذكر الأجاداه فى تفسير هذه الفقرة : " וַיַּבֵּט והנה מְרַאֲשֹׁתָיו עֻגַת רְצָפִים - فتطلع وإذا كعكة رضف عند رأسه " (١ ملوك ١٩ : ٦) بالإجابة على السؤال מה הוא רצפים ماهو الرضف ؟ قال "راب صموئيل بن نحمان רב שמואל בר נחמן " : "רע פֶּה - רְצוֹן פִּיוֹת לְכָל מִי שֶׁאָמַר דְּלָטוֹרְיָא עַל בָּנָיו - أى كوى الفم-وتحطيم أفواه كل من يقول بافتراء على أبنائى".
انظر: ח"נ ביאליק וי"ח רבינצקי ,ספר האגדה חלק א-ג עמ' שע. קול דממה דקה ,עמ' 333.

٢) ف . ب . ماير . حياة ايليا . ص ١٠١ - ١٠٢

أقوى من نتائج محاولته الأولى . ويوضح " ابربنئيل " فى تفسيره لهذه الفقرة: لماذا يتم اطعام النبى مرتين : " إن الطعام الأول كان من أجل إشباع حاجاته من الجوع الذى مضى ، ولذلك لم يقل فى المرة الأولى إن المسافة كبيرة عليه لإن هذه الوجبة الأولى لم تكن من أجل ماسيحدث مستقبلاً ، بل من أجل الماضى ، ولكن المرة الثانية أمره الملاك بأن يأكل، لا بسبب الصيام الذى صامه ، بل بسبب ماسيقوم به فى المستقبل، ولذلك قال فى المرة الثانية إن المسافة أعظم منك ، أى إن هذه الوجبة الثانية من أجل حاجة المستقبل ، كما كانت الأولى لحاجة الماضى"(١).

وحتى ترتبط المشاهد بعضها ببعض يستمر القاص فى استخدام أسلوب المقابلات والتضادات فنجد إن المرتين اللتين ظهر فيهما الملاك للنبى تقابلان المرتين اللتين سيتجلى فيهما الرب للنبى فى جبل حو ريب (الفقرتين ٩ و ١٢ ، مع ١٣ و ١٨)، بالإضافة إلى تكرار الأساليب الافتتاحية لهذه الفقرات مع بعضها البعض ، وكذلك تتقابل كلمات النبى التى طلب فيها الموت : " רב עתה יהוה --- "(الفقرة : ٤) مع إعلان الملاك للنبى بان المسافة أعظم منه "כי רב ממך הדרך (الفقرة : ٧) ويبدو انه لا النبى أو القارئ كانا يعرفان مقدار هذه المسافة وإلى أين سيؤدى الطريق بالنبى ، وحسبما أشار " رابى داود قمحى " : " إن النبى لم يكن يعرف إلى أين سيذهب ، بل كان ذاهباً إلى غير قصد" . وقد استجاب إلياهو هذه المرة استجابة كاملة لأمر الرب ، وقد بدأ القاص وصف أعمال النبى بكلمة " וַיָּקָם " وهى نفس الكلمة التى استهل بها أيضاً وصف هروب النبى من تهديد إيزابل (قارن الفقرة : ٣) ولكن هذه المرة لم يقم النبى بهدف الهروب أو الذهاب لأجل نفسه ، بل لكى يخرج فى رحلة طويلة : "

"וַיָּקָם וַיֹּאכַל וַיִּשְׁתְּ וַיֵּלֶךְ בְּכֹחַ הָאֲכִילָה הַהִיא אַרְבָּעִים יוֹם וְאַרְבָּעִים לַיְלָה עַד הַר הָאֱלֹהִים חֹרֵב"

فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة إلى جبل الله حو ريب " .(الفقرة : ٨) ، ويبدو من هذه الفقرة ان الياهو قام بتلك الرحلة من

---

١) קול דממה דקה , עמ' 334.

تلقاء ذاته . حيث كان القصد منها أن يهرب بعيداً جداً عن مركز عمله ، وإذا أراد أن يذهب فإن الله سبق وعرف احتياجاته فأمده بالطعام الذى يقويه على احتمال تعب هذه الرحلة . وسواء كانت المعجزة التى وقعت لإلياهو فى الزمن الذى استغرقته الرحلة وهو أربعين نهاراً وأربعين ليلة [1] بدون طعام أو شراب أو فى المكان الذى وصل إليه وهو جبل الله حوريب ، الذى يذكرنا بما ورد عن موسى فوق هذا الجبل - ولعله لاتوجد بقعة على الأرض اشتهرت بظهور الله علانية فيها مثل هذا الجبل المقدس ، فهناك اشتعلت العليقة بالنار . وهناك أعطى الناموس ، وهناك قضى موسى أربعين يوماً وأربعين ليلة وحده مع الله عند استلام الألواح العشرة [2] . ولكن المهم بالنسبة لقصة إلياهو بصورة خاصة هو وصف ماحدث لموسى عند صعوده الجبل لاستلام الألواح : וַיְהִי שָׁם עִם־יְהוָה אַרְבָּעִים יוֹם וְאַרְבָּעִים לַיְלָה לֶחֶם לֹא אָכַל וּמַיִם לֹא שָׁתָה [3] - وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء ." إذاً نجح القاص فى إبراز التشابه الواضح بين أحداث قصة إلياهو وأحداث قصة موسى ومجىء إلياهو إلى جبل حوريب بالذات ، ليذكرنا بموسى وعلاقته الوثيقة بجبل حوريب . ويبدو ان الاسم " حوريب חֹרֵב " يمكن تفسيره فى هذا الإصحاح كاسم نابع من لغة " חֶרֶב - سيف " فقد قيل عن إلياهو فى بداية القصة : הָרַג אֶת הַנְּבִיאִים בֶּחָרֶב : قتل جميع الأنبياء بالسيف " (١٩ : ١) ، وفى شكوى النبى من بنى إسرائيل قيل : יְיָ אֶת הַנְּבִיאִים הָרָגוּ בֶּחָרֶב - قتلوا الأنبياء بالسيف " (١٩ : ١٠) ، وفى كلمات التجلى يقول له الرب " וְהָיָה הַנִּמְלָט מֵחֶרֶב חֲזָאֵל יָמִית וְהָיָה הַנִּמְלָט מֵחֶרֶב יֵהוּא יָמִית אֱלִישָׁע "-

---

١) ويشير العهد القديم إلى ان العدد أربعين له أهميته ورموزه ومعانية التى ترمز إلى أشياء خاصة (خروج ٢٤ : ١٨ ؛ يونا ٣ : ٤) وإن لم يستطع أحد إلى الآن ان يفسر تفسيراً كاملاً معانى ذلك العدد الرمزى .

٢) אנצ׳ק׳ מקר׳ כרך א׳, עמ׳ 338.
وراجع الخروج ٢٤ : ١٨

٣) الخروج ٢٤ : ٢٨ ، وقارن أيضاً التثنية ٩ : ٩ و ١٨

والذى ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذى ينجو من سيف ياهو يقتله اليشع " (١٩ : ١٧). إذاً التجلى فى حوريب جاء من أجل الانتقام بالسيف على قتل الأنبياء وعلى ترك عبادة الرب ، وقد فسر حكماء التلمود اسم الجبل من لغة " חֶרֶב " حيث قالوا " فيه اعطيت التوراة التى سميت " חֶרֶב - سيف " وذلك فى تفسيرهم للفقره " רוממות אל בגרונם וחרב פיפיות בידם "تنويهات الله فى حناجرهم وسيف ذو حدين فى يدهم "(١).

وإذا كان إلياهو قد قصد هذا الجبل فإنه إنما فعل ذلك بدافع الغريزة الطبيعية ، فوفقاً لادراكه للألوهية فإنه كان واضحاً له عدم تجلى الرب إلا فى مكان محدد بالذات ، وكما يبدو فقد أراد إلياهو أن يجدد قوته فى المكان الذى تجلى فيه الرب لموسى بعد قصة العجل(٢). وكما وجد له ملاذاً فى الصحراء : تحت الرتمة ، كذلك عندما وصل إلى جبل حوريب وجد له ملاذاً فى إحدى المغارات : וַיָּבֹא שָׁם אֶל-הַמְּעָרָה וַיָּלֶן שָׁם וְהִנֵּה דְבַר-יְהוָה אֵלָיו וַיֹּאמֶר לוֹ מַה-לְּךָ פֹּה אֵלִיָּהוּ - ودخل هناك المغارة وبات فيها ، وكان كلام الرب إليه يقول له مالك ههنا يا إلياهو " (الفقرة : ٩)،ويبدو ان القاص أراد بذكر المغارة دون ذكر اسمها الإشارة إلى انها معروفة حقاً ، فهى المغارة التى طمأن الله فيها موسى بتجليه أمامه فى حوريب ، والتى يطلق عليها " נקרת הצור نقرة الصخرة "(٣). وقد أيد حكماء التلمود ذلك وقالوا : " إنها من بين الأمور العشرة التى خلقت فى مساء السبت وقت الغسق " أى المغارة التى وقف فيها موسى وإلياهو(٤). وقد أيد هذا الرأى أيضاً أغلبية الباحثين والمفسرين اليهود(٥) .

---

١) المزامير ١٤٩ : ٦

٢) Encyclopaedia Judica. Elijah. P. 634.

٣) راجع الخروج ٣٣ : ٢٢

٤) מסכת פסחים , נד , ע"א .

٥) J. Gray: Kings (OTL) London 1970,P. 354.

- G. Fohrer: Elia: PP. 48-49.

وبعد أن وصل إلياهو إلى المغارة تغير موقفه تماماً ،فهو لايريد الموت ، و الكلمات التى تذكر موته قليلة فبدلاً من " וישכב וישן - فرقد ونام " (الفقرة : ٥) التى تعبر عن رغبته الحاسمة فى الموت ، جاءت كلمات موجزة " וילן שם - وبات هناك " إشاره إلى ان نومه مؤقت وان نيته الاستيقاظ عند شروق الفجر(١). وكما فوجىء إلياهو وهو فى الصحراء بظهور الملاك له : וְהִנֵּה זֶה מַלְאָךְ - وإذا بملاك هنا " (الفقرة : ٥) ، فإنه يفاجأ أيضاً بكلمات الرب إليه : וְהִנֵּה דְבַר - יהוה אֵלָיו ،وسؤال الرب له " מַה לְּךָ פֹה אֵלִיָּהוּ" مالك ههنا يا إلياهو" وهذا السؤال من شأنه أن يثير الدهشه ، فكيف لايعرف الرب سبب وصول إلياهو إلى هناك وقد ذهب بقوة الطعام الذى قدمه له ملاك الرب ؟ ومع ان الرب قد أعد خطوات إلياهو فهو أيضاً يعرف إجابته على سؤاله ، كما عرف إجابات الأسئلة التى وجهها إلى "آدم"(٢) و إلى "قايين"(٣). وربما كان فى سؤال الرب مايدل على إن إلياهو أتى إلى حوريب دون أمر منه،وكان يجب عليه البقاء فى مقره وأداء رسالته وأن يتكل على الرب القادر على أن يحفظه من إيزابل . وفى كل هذه المواقف يطلب الرب سماع كلام الإنسان ليعطى له الحجة قبل الاستماع لكلماته المتحفزة . وعليه فإن أداة الاستفهام "מה" يمكن فهمها هنا بشكل سلبى : أى لايوجد لك ماتفعله هنا(٤). وقد فسر"מְאֵיר לִיבּוּשׁ" مئير ليبوش " سؤال الرب بسخرية من النبى وهو " مالك ههنا " بأنه يريد القول : ألا يجب على النبى التواجد بين شعبه ليوبخه وليتنبأ له ، إلا أن ينعزل فى الصحراء والجبال " . وفى حوريب كما أعطى الرب التوراة لموسى ، أعطى الفصاحة لإلياهو ، لكن النبى لم يقل خيراً عن شعبه بل استخدم هذه الفصاحة فى التعبير عن آثام وخطايا شعبه ، كقول " בן סירא - بن سيرا " عنه והשמיע תוכחות בחורב משפטי נקם- وأعلن فى حوريب توبيخاته وجمله الانتقامية " . ولذلك يقال إن إلياهو ليس هو النبى

---

١) قارن التكوين ٢٨ : ١١ حيث تستخدم هذه الكلمات كمقدمة لتجلى الرب .
٢) راجع " איכה كيف " فى التكوين ٣ : ٩ .
٣) " אי הבל אחיך أين هابيل أخيك " التكوين ٤ : ٩
٤) قارن أشعيا ٢٢ : ١٦ ؛ ٥٢ : ٥
٥) בן סירא , מה , ב.

الذى يصلى من أجل شعبه ، فوفقاً لتفسير كلمة "النبى" فى كلمات الرب لأبيمالك :
כִּי נָבִיא הוּא וְיִתְפַּלֵּל בַּעַדְךָ וְחְיֵה - لأنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا "
(تكوين ٢٠ : ٧). أو وفقاً لمفهوم وظيفة الأنبياء فى أرميا ١٥ : ١ :
"וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלַי אִם-יַעֲמֹד מֹשֶׁה וּשְׁמוּאֵל לְפָנַי אֵין נַפְשִׁי
אֶל-הָעָם הַזֶּה שַׁלַּח מֵעַל פָּנַי וְיֵצֵאוּ" قال الرب لى وإن وقف موسى وصموئيل
أمامى لاتكون نفسى نحو هذا الشعب . أطرحهم من أمامى فيخرجوا " . ولذلك نجد إن
القاص أطال بعض الشىء فى شكوى إلياهو حيث رتبها فى ست جمل (الفقرة : ١٠)

١ - קַנֵּא קִנֵּאתִי לַיהוָה אֱלֹהֵי צְבָאוֹת ؛ غرت غيرة للرب إله الجنود
٢ - כִּי-עָזְבוּ בְרִיתְךָ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל لان بنى إسرائيل قد تركوا
عهدك .
٣ - אֶת-מִזְבְּחֹתֶיךָ הָרָסוּ وهدموا مذابحك
٤ - וְאֶת-נְבִיאֶיךָ הָרְגוּ בֶּחָרֶב وقتلوا أنبياءك بالسيف
٥ - וָאִוָּתֵר אֲנִי לְבַדִּי وبقيت أنا وحدى
٦ - וַיְבַקְשׁוּ אֶת-נַפְשִׁי לְקַחְתָּהּ وطلبوا قتلى .

وتشير الجملة الأولى إلى أن إلياهو التصق بخاصية الرب بأنه " אל קנא
إله غيور "[1].

وهناك من يقول بإن الغيرة للرب ليس معناها دعوة للانتقام من كل هؤلاء
الذين تركوا عبادته[2]، ولكن دعوة إلياهو لربه " برب الجنود "[3] من شأنها

---

١) راجع أيضاً خروج ٢٠ : ٥ ؛ ٣٤ : ١٤ ؛ تثنية ٤ : ٢٤ ؛ ٥ : ٩ ؛ ٦ : ١٥ ؛يشوع
٢٤ : ١٩ ؛ نحميا ١ : ٢ .

٢) صيغة التام " קִנֵּאתִי " تشير إلى إن العمل لم يتم بعد،لكنه
بدأ فى الماضى القريب . راجع على سبيل المثال : تكوين ١٤ : ٢٢ ؛ صموئيل
الأول ١٥ : ٢ و ٢٨ ؛ ١٧ : ١٠ ؛ الملوك الأول ١ : ٣٥ ؛ الملوك الثانى ٢ : ٣
و ٥ ؛ أخبار الأيام الثانى ٢ : ١٢ .
انظر : A treatise on the Tenses in Hebrew , P. 15.

٣) كذلك لقب الرب " برب الجنود " ، على سبيل المثال ، فى الوقت الذى أخذ
فيه بنو إسرائيل تابوت العهد من "شيلة" ليدخلوه وسطهم ليخلصهم من الفلسطينين
(راجع صموئيل الأول ٤ : ٤) وكذلك أيضاً لقب " يهوه " (برب الجنود) ==

الإشارة إلى الطابع القتالى فى الدعوة للانتقام[1].

من خلال الجملة الأولى لانعرف بعد بمن طلب النبى الانتقام ، ولذلك يمكننا الافتراض بان المقصود بيت آحاب أو إيزابل فقط ، ثم نتعرف من الجملة الثانية ، التى استخدم فيها النبى صيغة النسب وناشد الرب بضمير المخاطب ، إلى إن غضبه ينصب على بنى إسرائيل ، وهذا الأمر يتضح بالتأكيد من نهاية الجملة الثانية بعد أن ذكر النبى خطيتهم " قد تركوا عهدك " . ومن هنا فإن نكران الجميل هذا جدير بالعقاب كما أكدت على ذلك مصادر العهد القديم[2]، أما الجملتين الثالثة والرابعة ففيهما يحدد النبى الخطايا بصورة أكثر دقة ، وأولى هذه الخطايا هى : تحطيم

=) عندما طلب داود الانتقام من جليات : " وأنا آتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم " (صموئيل الأول ١٧: ٤٥) ، وأيضاً عند وعده بالدفاع عن أورشليم من أعدائها : " هكذا ينزل رب الجنود ليدافع عن جبل صهيون وعن اكمتها ... هكذا يحامى رب الجنود عن أورشليم يحامى فينقذ ويعفو وينجى " (اشعيا ٣١ : ٤ - ٥) . ولايطلق على يهوه " رب الجنود" عند دفاعه عن إسرائيل فقط بل أيضاً عن انتقامه منهم " لذلك،هكذا قال الرب إله الجنود . من أجل إنكم تتكلمون بهذه الكلمة ها أنذا أجلب عليكم أمة من بُعد... (أرميا ٥ : ١٤ - ١٥) ؛ وفى (عاموس ٥ : ٢٧) " فأسبيكم إلى ما وراء دمشق . قال الرب إله الجنود اسمه " ؛ واستخدم أرميا هذه التسمية فى دعوته (أرميا ١٥ : ١٥ - ١٦) وكذلك فى المدراشيم قيل " כּוֹשׁ אֲנִי עוֹשֶׂה מִ-לְחַמָּה בִּרְשָׁעִים אֲנִי, נִקְרָא יְהוָה צְבָאוֹת " - عندما أشن الحرب على الأشرار أدعى رب الجنود." שמות רבה 3:4).

١) عن علاقة الغيرة بطلب الانتقام قارن (الملوك الثانى ١٠ : ١٦): " كذلك قال ياهو ليهوناداب بن راكاب : هلم معى وانظر غيرتى للرب " وفى أعقاب هذا الإعلان ذهب الملك لتدمير بيت آحاب وعبدة بعل كلهم (٢ ملوك ١٠: ١٧ - ٢٨) . وانظر أيضاً عدد ٢٥ : ١١ : ١٣ ؛ تثنية ٢٩ : ١٩ ؛ صموئيل الثانى ٢١ : ٢ ؛ اشعيا ٥٩ : ١٧ ؛ صفنيا ٣ : ٨ ؛ مزامير ٧٩ : ٥ ؛ أمثال ٦ : ٣٤ .

٢) راجع على سبيل المثال : تثنية ٢٩ : ٢٤ - ٢٥ " וְאָמְרוּ, עַל אֲשֶׁר עָזְבוּ אֶת-בְּרִית יְהוָה אֱלֹהֵי אֲבֹתָם אֲשֶׁר כָּרַת עִמָּם בְּהוֹצִיאוֹ אוֹתָם מֵאֶרֶץ מִצְרָיִם. וַיֵּלְכוּ וַיַּעַבְדוּ אֱלֹהִים אֲחֵרִים וַיִּשְׁתַּחֲווּ לָהֶם - لانهم تركوا عهد الرب إله آبائهم الذى قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر وذهبوا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها ... "

مذابح الرب . وثانيتها علقها النبى بشعب إسرائيل : " وقتلوا أنبياءك بالسيف " وهذه الجملة فيها مايثير الدهشه ، فقد ورد فى الإصحاح السابق وهو الإصحاح الذى تقوم عليه قصة التجلى فى حوريب ، إن إيزابل هى التى قتلت الأنبياء لا بنى إسرائيل، وقد انتقم إلياهو لقتل الأنبياء على يد إيزابل بقتله أنبياء بعل والأشيراه ،وعلى ذلك ، طلبت إيزابل الانتقام منه كما ورد فى بداية الإصحاح ١٩ . وعليه يكون إلياهو قد علق خطيئة إيزابل ببنى إسرائيل وطلب الانتقام منهم ، ولكن فى هذا الاتهام تبرز أنانية إلياهو ؛ فالجملتين الأخيرتين فى شكوى النبى تتعاملان مع نفسه فقط . الأولى : " بقيت أنا لوحدى " وهى تذكرنا بأنانيته فى قصة الكرمل : وقال إلياهو للشعب بقيت لوحدى نبياً للرب وأنبياء بعل ٤٥٠ نبياً " (١٨ : ٢٢) ، وكذلك عند دعوته للرب بأن يجيبه بالنار لم يهتم بذكر الرب فقط بل أيضاً بذكر نفسه :" أيها الرب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل،ليعلم اليوم إنك أنت الله فى إسرائيل وإنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور " (١٨ : ٣٦). إذاً أنانية النبى فى قصة حوريب هى استمرار لأنانيته التى ظهرت فى قصة الكرمل[1]. والثانية " طلبوا نفسى لأخذها "،وهكذا يعود النبى بعد أن طلب من ربه وهو يائس أخذ روحه (الفقره : ٤) وبعد أن اسبغ الله عليه بفضله وأبقى على حياته ، يطلب منه الانتقام من شعبه - لامن إيزابل - بعد اتهامه لهم بالمطالبة بموته-. ومع ذلك لم يستجب الرب لطلب نبيه بالانتقام من شعبه ، كما لم يستجب لطلبه الأول بموته ، ولذلك اجتهد حكماء التلمود فى تفسير هذه المسألة ، وخلال رؤيتهم للحوار بين الرب ونبيه نستطيع الوقوف على منهجهم وتفسيرهم :

إلياهو : غرت غيرة للرب إله الجنود لان بنى إسرائيل تركوا عهدك .

الرب : عهدى ، وليس عهدك ؟

إلياهو : هدموا مذابحك

الرب : مذابحى ، وليست مذابحك ؟

إلياهو : وقتلوا أنبياءك بالسيف

الرب : أنبيائى . وماشأنك أنت ؟

إلياهو : بقيت أنا لوحدى ، وطلبوا نفسى ليأخذوها .

---

١) קול דממה דקה ج. ١، עמ 337.

ويرى حكماء التلمود إن الياهو عندما نظر عند موضع رأسه ، وجد: עֲגֻלַּת רְצָפִים كعكة رضف " أى كعكة ملتصقة بها الجمرات ، ويقول رابى صموئيل بن نحمان : " اتت هذه الجمرات لتحطيم أفواه من يقول وشاية على أبناء الرب "[1]. ويجيب الرب على شكوى الياهو واتهاماته قائلاً :

וַיֹּאמֶר צֵא וְעָמַדְתָּ בָהָר לִפְנֵי יְהוָה
וְהִנֵּה יְהוָה עֹבֵר
(أ) וְרוּחַ גְּדוֹלָה וְחָזָק מְפָרֵק הָרִים וּמְשַׁבֵּר סְלָעִים לִפְנֵי יְהוָה
לֹא בָרוּחַ יְהוָה
(ب) וְאַחַר הָרוּחַ רַעַשׁ
לֹא בָרַעַשׁ יְהוָה
(ج) וְאַחַר הָרַעַשׁ אֵשׁ
לֹא בָאֵשׁ יְהוָה
(د) וְאַחַר הָאֵשׁ קוֹל דְּמָמָה דַקָּה .

الترجمه : وقال اخرج وقف على الجبل أمام الرب

وإذا بالرب عابر

(أ) وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب

ولم يكن الرب فى الريح

(ب) وبعد الريح زلزلة

ولم يكن الرب فى الزلزلة

(ج) وبعد الزلزلة نار

(د) وبعد النار صوت منخفض خفيف . (الفقرتين ١١ و ١٢)[2]

---

١) שיר השירים רבה . א . ו .
٢) קול דממה דקה עמ' 338

وقد حاول كثير من الباحثين والمفسرين تفسير جانب الرؤية فى وصف تجلى الرب فنجد " Jeremias " قد حاول ايجاد طابعاً جدلياً فى الأفكار الثلاثة : لا فى الريح : الرب ؛ لافى الزلزلة : الرب ؛ لافى النار : الرب . ويقول إن هذه الأفكار جاءت لتشير إلى الاختلاف بين مظاهر تجلى إله إسرائيل ، الذى لايظهر فى السكون الدقيق ، ومظاهر تجلى آلهة الشعوب الأخرى ، التى تظهر فى الريح ، وفى الزلزلة ، وفى النار . ويبدو إن هذا الرأى ليس سليماً تماماً ، لا لأن تجلى إله إسرائيل لم يوصف مرة واحدة مصاحباً لهذه العناصر الهدامة ، بل لان هذه العناصر تسبق تجلى الرب وبذلك يمكن القول إن لها نصيباً فى التجلى ، ولذلك لم ينجح " Jeremias " فى إيجاد علاقة بين الهدف الجدلى الذى يراه فى وصف التجلى وبقية العناصر المشتركة فى الوحدة الأدبية . وفى مقابل ذلك لايرى " Würrthwein " أية علاقة بين الفقرات ١١ و ١٢ ومضمون القصة حيث يرى إن هاتين الفقرتين قد أضيفتا إلى القصة من أجل تشبيه إلياهو بموسى ، ويؤكد على إن وصف التجلى فى حوريب مبنى على وصف تجلى الرب لموسى فى حوريب أيضاً[١]، هذا ويؤيد " Fohrer " رأى " Wurrthwein " ويضيف إن نية تشبيه إلياهو بموسى تتضح منذ بداية تكوين الوحدة الأدبية،والتى تتمثل فى صوم الأربعين يوماً والسير إلى جبل الرب فى حوريب[٢](الفقرة : ٨) . وقد استند " Würrthwein " فى رأيه على الازدواجية الواضحة فى المطلبين المتشابهين من الرب إلى إلياهو وعلى إجابتى إلياهو المتشابهتين (الفقرات ٩ و ١٠ و ١٣ - ١٤) ويرى فى تكرار الفقرتين محاولة لإعادة الربط (Wiederaufnahme) جائت من أجل تماسك الوحدة الأدبية التىتصدعت بواسطة هذه الإضافة[٣]، ولكن هذا الرأى ، قد

---

١) E.Würthwein,"Eligah at Horeb", Proclamation and Presence Old Testament Essays in Honour of G.H.Davies (eds. J.I. Durham, J.R. Porter), London ,1970 PP.152-160.
وراجع الخروج ٣٣ : ١٩ - ٢٣

٢) G. Fohrer: Elia. PP. 48-49.

٣) Elijah at Horeb, P. 160.

أغفل أمراً مهماً وهو إن هذه الفقرات المزدوجة تعتبر جزءاً عضوياً فى القصة التى تعتبر واحدة من أعمق القصص الروحية فى العهد القديم (١).

فمن ناحية البناء الأدبى فى مشهد التجلى نجد إن أمر الرب للنبى بالخروج من المغارة لرؤية عبوره ": וְהִנֵּה יְהוָה עֹבֵר - واذا بالرب عابر (١٩ : ١١) تقابل بداية تجلى الرب لموسى : "ויעבר יהוה על פניו" فعبر الرب أمامه (خروج ٣٤:٦)

وقد رتب القاص وصف التجلى فى قوالب النموذج الأدبى ٣ إلى ٤ : ففى البداية ثلاثة قوى هدامة، ثم السكون الدقيق - نقيضها - فى النهاية .(٢) وقد اعتمد القاص على ابراز التشابه بين العناصر البنائية فى وصفه ، فإعادة كلمة أو عدة كلمات فى بداية البناء القصصى مثل : " ואחר ה--- وبعد الـ " وتكرار الكلمات " לא ב " داخل البناء القصصى ثم النهاية بـ " יהוה "، جعل البناء أكثر تنوعاً وقد أطال القاص فى وصف القوه الهدامة الأولى (الريح) ومع ذلك فقد أوجز فى وصف " الزلزلة ". " والنار " ، حتى لايخل بالرتم السريع والمركّز الذى يقود إلى ظهور الرب نفسه ، والمهم عنده هو التأكيد على العلاقة بين هذه القوى الهدامة والرب ، فربط بين " והנה יהוה עובר - وإذا بالرب عابر " ، ووصف الريح، حيث يوضح إنها تسبق تجلى الرب " לפני יהוה - أمام الرب " ، ومن الريح ينتقل فى وصفه إلى الزلزلة רעש (اسم ذات يبدأ أيضاً بالصامت ר)، وهكذا دمج القاص القوتين الصاعقتين معاً ، ومن الزلزلة ينتقل إلى النار - خلال تقارب جرسى بين الاثنان רעש - אש - القوة الهدامة الهادئة التى تعدنا إلى استقبال تجلى الرب فى الصوت المنخفض الخفيف ، والذى يعتبر قمة الفقرة ونقطه التحول فيها ، فهو يختلف عن سابقيه ، فتسميته أطول من القوى الهدامة (קול דממה דקה فى مقابل רעש - אש) بالإضافة إلى إن اختفاء النهاية السابقة التى تنتهى بها العناصر السابقه : " יהוה " يبرز التناقض بين هذا العنصر والعناصر الهدامة السابقة ،ووفقاً لتفسير"رابى داود قمحى " لهذه الفقرة : " بعد عبور النار عبر الرب مع الصوت المنخفض الخفيف فأدرك إلياهو عندئذ إن الرب مر أمامه "(٣)

---

١) Goerge L. Robinson: Leaders of Israel, P. 163.

٢) י. וייסמן, סיפור ההתגלות בחורב, בית מקרא ' א, ירושלים תשכ"ו, עמ' 140 - 143.

٣) קול דממה דקה, עמ' 339.

ان السكون الدقيق وفقاً لنصوص العهد القديم هو الحفيف الهادئ الذى يلى العاصفة : " וַיָּקָם סְעָרָה לִדְמָמָה וַיֶּחֱשׁוּ גַּלֵּיהֶם. "(١) — يهدئ العاصفة فتسكن ، وتسكت أمواجها " .

ويرى " טוּר־סִינַי " طور سيناى " ان السكون كما ذكر فى قصة التجلى فى " الملوك الأول " ، قد ذكر أيضاً فى " سفر أيوب " حيث سبق الحديث الإلهى وأنهى المرحلة الهدامة فى التجلى : " פַּחַד קָרָאנִי וּרְעָדָה וְרֹב עַצְמוֹתַי הִפְחִיד. וְרוּחַ עַל־פָּנַי יַחֲלֹף תְּסַמֵּר שַׂעֲרַת בְּשָׂרִי. יַעֲמֹד וְלֹא־אַכִּיר מַרְאֵהוּ תְּמוּנָה לְנֶגֶד עֵינַי דְּמָמָה וָקוֹל אֶשְׁמַע. "(٢)

أصابنى رعب ورعدة فرجفت كل عظامى . فمرت روح على وجهى ! وقفت ولم أعرف منظرها . شبه قدام عينى . سمعت صوتاً منخفضاً " .وبعد وصف مشهد التجلى نجد ان معنى اللغز لم يتضح إلا بعد ادراك العبرة الرئيسية من حدوث التجلى ، التى تبينها الفقرات (١٥ — ١٨) ، وبعد مقارنة جانب الرؤية بالجانب اللفظى فى هذه الفقرات ، وبعد ادراك سبب التشابه الواضح بين تجلى الرب لموسى فى " سفر الخروج " وتجلى الرب لإلياهو فى " الملوك الأول " : حيث نجد أنه كما عبر الرب أمام موسى كذلك يعبر أمام الياهو : " וַיֹּאמֶר אֲנִי אַעֲבִיר כָּל־טוּבִי עַל פָּנֶיךָ " — فقال أجيز كل جودتى قدامك " (خروج ٣٣ : ١٨) ، فى مقابل : " וְהִנֵּה יְהוָה עֹבֵר. وإذا بالرب عابر " (١ ملوك ١٩ : ١٢) . وموسى كان يقف عند " نقرة من الصخرة — " נִקְרַת הַצּוּר " (خروج ٣٣ : ٢٢) كذلك إلياهو يقف عند باب المغارة : " וַיַּעֲמֹד פֶּתַח הַמְּעָרָה " — ووقف عند باب المغارة " (الفقرة : ١٣) والرب يغطى عين موسى حتى لايرى موسى وجهه : " וְהָיָה בַּעֲבֹר כְּבֹדִי וְשַׂמְתִּיךָ בְּנִקְרַת הַצּוּר וְשַׂכֹּתִי כַּפִּי עָלֶיךָ עַד־עָבְרִי. וַהֲסִרֹתִי אֶת־כַּפִּי וְרָאִיתָ אֶת־אֲחֹרָי וּפָנַי לֹא יֵרָאוּ. — ويكون متى أجتاز مجدى انى

---

١) مزامير ١٠٧ : ٢٩

٢) ايوب ٤ : ١٤ — ١٧ وانظر أيضاً : "ספר איוב" ירושלמי תשל"ב, עמ' 48-49.

اضعك فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى أجتاز . ثم أرفع يدى فتنظر ورائى . وأما وجهى فلا يُرى " (خروج ٣٣ : ٢٢ - ٢٣) ، بينما يغطى "إلياهو" وجهه : " וְנִשְׁמַע אֵלִיָּהוּ וַיִּלְט פָּנָיו בְּאַדַּרְתּוֹ . - فلما سمع إلياهو لف وجهه بردائه " (١ ملك : ١٩ : ١٣) . ولذلك لانستطيع اغفال هذا التشابه الواضح بين قصة "موسى" وقصة "إلياهو" وسوف تتضح لنا أسباب هذا التشابه مع الاستمرار فى تحليل قصة إلياهو فى حوريب وبعد استخلاص العبر والدروس منها .

فالفقرة : ١٣ " וַיְהִי כִּשְׁמֹעַ אֵלִיָּהוּ - فلما سمع إلياهو " لاتشير إلى سِمَاع العناصر الهدامة التى تمهد لتجلى الرب ، بل إلى سماع كلمات الرب التى تصف تجليه المنتظر ، وطاعة أوامره بالخروج والوقوف بالجبل " צֵא וְעָמַדְתָּ בָהָר - اخرج وقف بالجبل " (الفقرة : ١١) ، لكن قبل خروجه يلف "إلياهو" وجهه بردائه لأنه يدرك رهبة التجلى . ثم يعود الرب ويسأل نبيه "מַה-לְּךָ פֹּה אֵלִיָּהוּ - مالك ههنا ياإلياهو " وهو تكرار لحديث الرب فى الفقرة التاسعة ، وربما هدف هذا التكرار إلى اضفاء انطباع سامىّ على الأحداث الرهيبة التى تم التعبير عنها فى الفقرتين (١١ و ١٢) ، وكذلك الفقرتين (١٣ ب ، ١٤) هما نسخة ثانية تقريباً للفقرتين (٩ ب ، ١٠) مع فرق بسيط جداً ، فبدلاً من البدء بالتعبير المفاجىء : והנה דבר יהוה אליו - وإذا بكلام الرب إليه " (الفقرة : ٩ ب) يأتى بدلاً منه : " והנה אליו קול - وإذا بصوت إليه " (الفقرة : ١٣ ب) وربما جاء هذا الاختلاف لكى يشير الرب له إلى ان " קול דממה דקה صوت منخفض خفيف " الذى ذكر من قبل فى الفقرة (١٢) هو هو الذى يعبر عن ظهور الرب وتجلّيه . وهناك من يرى أن الفقرتين (٩ ب، ١٠) كان يمكن حذفهما نتيجة لتكرارهما بعد ذلك فى الفقرتين (١٣ ب - ١٤) ولكننا نرى ان اهمية الفقرتين (٩ ب و ١٠) كبيرة جداً ، فبدونهما لايمكن الربط بين الفقرة (٩ ب) والفقرة (١١) ، أما الاحتمال الآخر القائل بإن الفقرتين (١٣ ب و ١٤) هما الجديرتان بالحذف بإدعاء انهما لم يساهما بشىء فى الحبكة الدرامية . ولذلك يكون من السهل حذف هاتين الفقرتين. ولكن يجب أن يؤخذ حذفهما بالتأنى إذ لابد قبل بحث هذا الاحتمال ، من الإشارة إلى العقبة التى أدت إلى هذا التكرار ، حيث

نجد ان كلمة " וַיֹּאמֶר " التى تبدأ بها كلمات الرب فى الفقرة (١٥) تطابق الكلمة التى تبدأ بها الفقرة (٩ ب) " וַיֹּאמֶר לוֹ " ، ونستنتج من ذلك إن القاص الذى ختم الفقرة (١٣) بالتعبير " והנה אליו קול " ، قد استخدم نفس التعبير الذى بدأ به الفقرة (٩ ب) فى بداية الفقرة (١٥) ، فيكون قد تخطى بذلك الفقرتين (١٣ ب - ١٤) ثم بدأ بعد ذلك فى نسخ بقية الفقرة (٩ و ١٠) وبعدها مباشرة أكمل نسخ الفقرة (١٥) . وبذلك يمكننا الافتراض بان هذه الفقرات قد احتفظ لها القاص بدور فى سياق الحبكة الدرامية بعد ان تبين له العلاقة البارزة بين وصف التجلى بلسان الرب (الفقرتين ١١ - ١٢) والرسالة الملقاة على "إلياهو" (الفقرات ١٥ - ١٨) حيث تم التعبير بها عن إجابة الرب على شكوى النبى ودعوته للانتقام ، فكانت الإجابة الأولى رمزية تعرض التجلى الذى يتم استيعابه بحاستى الرؤية والسمع (الفقرتين ١١ - ١٢) ، والثانية توضح للنبى السماح له بالعمل ، وبذلك تمثل الإجابة الأولى "اللغز" والثانية تمثل "تفسير هذا اللغز" الذى تكفل به الرب بعد ان أثبت النبى فى اجابته على سؤال الرب المتكرر " מַה לְּךָ פֹּה אֵלִיָּהוּ - مالك ههنا يا إلياهو " (الفقرتين ٩ و ١٣) عجزه عن تفسير اللغز . أما المقدمات المتشابهة للغز وتفسيره فقد جاءت لتشير إلى العلاقة بين الفقرتين (١١ - ١٢) ، والفقرتين (١٥ - ١٨) أى العلاقة بين التجلى وتفسيره ، وهذا الأسلوب ليس بجديد على أساليب العهد القديم أو خروج عن نمطها المعتاد ، فكما يقول " م . فييس מ. וייס " " هناك بعض الإصحاحات فى أسفار العهد القديم يتم فيها إعلان الرؤية للنبى بالصوت ، وهى كما يبدو ليست إلا استمراراً زمنياً يخلو من أية علاقة موضوعية لما تجلى له من قبل بالصورة . أى أن الرؤية ليست إلا ديكور مسرحى يأتى الحديث الإلهى بعد رفع الستار عنه (١) .. والمقصود بذلك هو الإشارة إلى شرعية البناء الذى تتكون منه ، والتناسب الموضوعى بين المرئى والمسموع ، الذى يحدد بدوره تكتيك هذه الاصحاح والهدف من ذلك هو إثبات ان العلاقة بين الجانب البصرى ، والجانب السمعى فى

---

١) ד.וי"ם , שלוש הערות לניסח המקרא. הצב' ישראל (עורכו: י' ליכט וג' ברין) , תל-אביב, תשל"ו, עמ' 93-96.
انظر أيضا:
סדר אליהו רבה וסדר אליהו זוטא , מהד' א"ש שלום, ירושלים, תש"ך, עמ' 186 .

هذه الإصحاحات ليس فقط فى أن يلى أحدهما الآخر ، بل أن يأتى أحدهما من خلال الآخر، ولا بوجه عام فقط ولكن فى كل التفاصيل ، وبإيجاز دقيق : فالصوت و الصورة يوضحان بعضهما البعض ، وباتصالهما المتبادل يشكلان معاً وحدة الموضوع "(١). أماتفسير ذلك فى الأجاداه فقد جاء على النحو التالى : " فى البداية أظهر الرب إلياهو ثلاث فرق مختلفة من الملائكة : ملائكة الريح ، وملائكة العاصفة ، وملائكة النار ، وبعد ذلك تجلى له بعظمته "(٢).

ولكى نقف على الوحدة الموضوعية و البنائية لقصة التجلى فى حوريب ، يجب أولا أن نبحث علاقة الفقرات (١٥ - ١٨) بالفقرتين (١١ - ١٢) ، وبالوحدة القصصية فى الإصحاح (١٩) :

الفقرة ١٥ : ויאמר יהוה אליו לך שוב לדרכך מדברה דמשק

(أ) : ובאת ומשחת את חזאל למלך על ארם

الفقرة ١٦(ب): ואת יהוא בן נשמי תמשח למלך על ישראל

(جـ) : ואת אלישע בן שפט מאבל מחולה תמשח לנביא תחתיך

الفقره ١٧(أ- ب): והיה הנמלט מחרב חזאל ימית יהוא

(ب -جـ): והנמלט מחרב יהוא ימית אלישע

الفقره ١٨ (د): והשארתי בישראל שבעת אלפים כל הברכים אשר לא כרעו לבעל

וכל הפה אשר לא נשקל לו .

الترجمة :

الفقره : ١٥ : " فقال له الرب اذهب راجعاً فى طريقك إلى برية دمشق

أ : وادخل وامسح حزائيل ملكاً على آرام .

الفقره ١٦ ب : وامسح ياهو بن نمشى ملكاً على إسرائيل .

جـ : وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك .

---

١) מ .ויס , תמונה וקול בפרק מראות הנבואה , דברי הקונגרס העולמי השישי למדעי היהדות , א .ירושלים תשל״ז , עמ׳ 91 .

٢) מדרש תנחומא , פקוד׳ , ב , מדרש שירת הוולד . 155 .

الفقره ١٧ أ - ب : والذى ينجو من سيف حزائيل يقتله "ياهو"

ب - ج : والذى ينجو من سيف "ياهو" يقتله "اليشع"

الفقرة ١٨ : (د) : وقد أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التى لم تجث لبعل وكل فم لم يقبله "

فإلياهو الذى ترك رسالته وذهب " אל נפשו لأجل نفسه " (الفقرة : ٣)والذى سار فى الصحراء بقوة الطعام الذى أعده له ملاك الرب (الفقرة : ٨) كُلف الآن بالعودة والسير فى الصحراء ، ولكنه هذه المرة عرف هدف سيره ، وهو الذهاب إلى صحراء دمشق حيث تنتظره هناك أولى مهامه . وكما ظهر له الملاك مرتين حيث أمره فى الأولى بتناول الطعام فقط وفى الثانية أمره بالخروج إلى الطريق - كذلك أيضاً كان تجلى الرب له ، حيث أمره فى التجلى الأول بالخروج والوقوف على الجبل أمام الرب ، وفى التجلى الثانى أمره بالسير للقيام بالمهام التى كلفه بها . إذاً ماهى الدروس المستفادة من هذا التقابل التماثلى ؟ وماهى العلاقة بين المرتين اللتين ظهر فيهما ملاك الرب ، والمرتين اللتين تجلى فيهما الرب ؟

فى الحقيقة إن "الياهو" طلب الموت من ربه " קח נפשי " قبل ظهور الملاك له ، ولكن الرب أمده بالحكمة وفضيلة الرحمة بعد أن أنقذه وقاده إلى حوريب ، وفى حوريب أيضاً طلب "إلياهو" الانتقام ثم الموت،ولكن فى صورة غير مباشرة- ولذلك تجلى له الرب هذه المرة بأحكامه الصارمة لا برحمته التى أنزلها من قبل مع ملاكه .(١)

ومن خلال عرض الفقرات ١٥ - ١٨ نجد إنها تشكل الإجابة على شكاوى النبى ، " فحزائيل חזאל " و " ياهو יהוא " ، و" اليشع אלישע " يمثلون العقاب السماوى على أخطاء بنى إسرائيل فيقتلون المخطئين ويبقون على المؤمنين فقط من أبناء الشعب الذين لم يتبعوا " البعليم " ، فهؤلاء الرجال الثلاثة يتم ذكرهم مرتين فى الفقرات : فى المرة الأولى يكلف إلياهو بمسح الملكين والنبى ، والقارئ يندهش لهذا التكليف الإلهى وعلاقته باتهامات النبى لشعبه ، ولكن عندما

---

١) קול דממה דקה , עמ' 343.

يتم ذكرهم مرة ثانية يتضح الهدف من هذا التكليف وعلاقته باتهامات إلياهو .

وعن علاقة الفقرات (١٥ - ١٨) بالفقرتين (١١ - ١٢) نجد ان الشخصيات الثلاثة " حزائيل وياهو واليشع " المذكورة فى الفقرات (١٥ - ١٨) تقابل القوى الهدامة الثلاثة المذكورة فى وصف مقدمات التجلى : " الريح والزلزلة والنار " (١١ - ١٢)، وكما نوّع القاص فى تشكيل القوى الهدّامة كذلك ينوع أيضاً عند ذكر الشخصيات الثلاثة ، رغماً عن الإيقاع اللفظى المتكرر والذى يؤدى إلى خلق التعبير الشاذ "משׁחת נביא مسح نبى " (الفقرة : ١٦) ، ومن أجل هذا التنوع يطيل القاص أيضاً بشكل تدريجى فى تسميات الشخصيات الثلاثة : "חזאל حزائيل " [1] ، و "יהוא בן נמשׁי" (مع ذكر اسم الرب) ، و"אלישע בן שפט מאבל מחולה" اليشع بن شافاط من أبل محولة " (اسم الأب واسم مدينته) . أما عن ترتيب القوى الهدامة فى وصف التجلى ، فواضح أنه يبدأ من البعيد إلى القريب أى من الهامش إلى البؤرة ثم إلى الجوهر (أى ريح ثم زلزلة ، ونار) ، كذلك فى ترتيب الشخصيات الثلاثة : جاء فى البداية "حزائيل" الملك الآرامى الأجنبى ، ثم "ياهو" ملك إسرائيل ، والأخير هو النبى "اليشع" وريث "إلياهو" . وبمساعدة أسلوب الترتيب المعكوس بين العنصر الأول : " ומשחת את חזאל - وتمسح "حزائيل" والعنصرين الثانى والثالث : " את יהוא בן נמשׁי תמשח - ואת אל-ישע בן שפט תמשח - وتمسح "ياهو بن نمشى" ، وتمسح "اليشع" بن شافاط" ينهى القاص العنصر الثالث بكلمات تعبر عن اكتمال رسالة إلياهو :לנביא תחתיך نبياً عوضاً عنك " وهذه الخاتمة تعبر أيضاً عن الاستجابة إلى رغبة النبى فى الابتعاد وإنهاء رسالته .

وفى تفسير " رابى داود قمحى רבי דוד קמחי " لهذه الخاتمة يقول " حيث إنك تريد الابتعاد عن العالم ، ويؤيد ذلك قولك " רב עתה יהוה קח את נפשׁי - كفى الآن يارب خذ نفسى " (١٩ : ٤) فيجب أن تترك نبياً

---

١) ويظهر حزائيل بدون اسم الأب فى كتابات شلمانصر الثالث ... ويشير هذا الأمر إلى أنه تآمر على مليكه :

J.A. Montgomery, Kings ICC.
Edinburgh, 1951, P. 392.

عوضاً عنك " ، ولأن "إلياهو" هو الذى طلب الانتقام ، لذلك يجب عليه الذهاب لإعداد المنتقمين أى القوى التى ستعمل القتل فى الآثمين من الشعب ، والتى تكمل كل واحدة منها الأخرى ، ثم بعد ذلك تجىء الرحمة التى تم التعبير عنها فى الفقرة (١٨) : " והשארתי בישראל שבעת אלפים כל הברכים אשר לא כרעו לבעל וכל הפה אשר לא נשק לו - أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف كل الرُكب التى لم تحث لبعل وكل فم لم يقبله " .

وهذه الصيغة لاتستقر مع شخصية إلياهو فى القصة ، فإلياهو يمثل الأنتقام لا الرحمة ، ففضيلة الرحمة التى تم التعبير عنها فى جملة " והשארתי وأبقيت" هى فضيلة الرب ، ومن هنا نقف على اكتمال التوافق بين الفقرتين (١١ - ١٢) ، والفقرات (١٥ - ١٨) ، ففى الفقرتين (١١ - ١٢) يتعارض العنصر الرابع " קול דממה דקה صوت منخفض خفيف " مع العناصر الثلاثة الأولى " רוח גדולה ורעש ואש " ريح وزلزلة ونار " حيث تجلّى الرب بعد قوى الدمار ، فى الصوت المنخفض الخفيف . وفى الفقرات (١٥ - ١٨) يتجلّى الرب بعد الانتقام ، وبعد القتل ، ليترحم وليسمح بالنجاة لشعبه فالتعبير " והשארתי - وأبقيت " هو رمز لرحمة الرب وعلاقته الايجابية مع إسرائيل حسب الرؤية المقرائية [١] . ولذلك يمكن القول ان إلياهو خلال يأسه ومرارته رأى فقط الجانب السلبى ، لكن الرب يرى أيضاً الجانب الايجابى فى هؤلاء السبعة آلاف المؤمنين به والذين لم يعبدوا بعلاً سواء بالسجود له [٢] أو تقبيله [٣] ، وهى رموز الاعتراف بسيادة الرب ورحمته [٤] . إذاً ففى قلب سيناء تعلم إلياهو وداعة الرب بعد أن أدرك مغزى إخفاقه ، وهناك أيضاً تخلى عن يأسه واتجه إلى البرنامج الحقيقى للنبوة ، وهو بالتحديد : إن الحب لا القوة هو الطريق إلى احراز النجاح [٥] . وهذا المفهوم للقصة يساعد فى تفسير لغز آخر وهو التشابه البارز بين قصة إلياهو وقصة موسى فى حوريب ، فالسؤال

---

١) قارن الملوك الثانى ١٩ : ٣٠ ؛ أشعيا ٣٧ : ٣١ .
٢) لعبادة الإله ركوعاً . انظر : ١ ملوك ٨ : ٤٤ ؛ أشعيا ٤٥ : ٢٣ .
٣) قارن هوشع ١٣ : ٢
٤) קול דממה דקה, עמ' 344.
٥) Leaders of Israel, P. 163.

الذى يطرح نفسه هو : ماشأن "إلياهو" بالعمل عند جبل حوريب ؟ فموسى تجلّى له الرب على هذا الجبل وهو يرعى غنم " يثرون יתרו " كاهن مديان ، وعلى هذا الجبل تسلم "موسى" الوصايا العشر ثم سار مع قومه الذين خرجوا معه من مصر عبر الصحراء فى طريقهم إلى أرض كنعان ، لكن ماشأن "إلياهو" بهذا المكان ؟ إن ميدان عمل "إلياهو" فى مملكة إسرائيل البعيدة عن حوريب ، إذاً فوصول إلياهو إلى حوريب يرمز إلى هدف خاص وهو دعوة القراء إلى عقد مقارنة بين "موسى" و"إلياهو" . وفى الحقيقة إن التشابه البارز بين أحداث قصة "موسى" وقصة "إلياهو" يشير إلى العلاقة المباشرة بينهما : أربعين نهاراً وأربعين ليلةً من الصوم ، والمغارة التى أجمع الباحثون والمفسرون انها " نقرة صور נקרת צור " ، ثم وصف التجلى بدءً من عبور الرب أمام وجه النبى الذى يغطى عينيه حتى لايرى وجه الرب ، ولذلك فقصة "إلياهو" لاتحلق فيها روح التجلى المذكور فى الخروج (٣٣ : ١٧ - ٢٣) بل أيضاً روح الوحدة الكاملة التى تشمل الإصحاحين (٣٢ و ٣٤)من سفر الخروج، اللذين يصفان الأزمة الرهيبة فى العلاقات بين الشعب الذى يعبد العجل وبين إلهه ، والأزمة التى تستمر حتى تجديد العهد ، فعندما أخطأ الشعب أراد الرب فناءه وأن يجعل لموسى شعباً آخر ؛ لكن موسى يدافع عن شعبه ولايضعف حتى يستجيب له الرب: "וַיִּנָּחֶם יְהוָה עַל-הָרָעָה אֲשֶׁר דִּבֶּר לַעֲשׂוֹת לְעַמּוֹ" [1] - فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه " . ثم يطلب موسى من ربه التكفير عن خطيئة شعبه : "וְעַתָּה אִם תִּשָּׂא חַטָּאתָם וְאִם-אַיִן מְחֵנִי נָא מִסִּפְרְךָ אֲשֶׁר כָּתָבְתָּ" - [2] والآن إما أن تغفر خطيتهم . وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت "؛ أما "إلياهو" فانه يطلب من ربه أن يأخذ روحه نتيجة لياسه من شعبه ومن رسالته النبوية ولكن فى المقابل لايجد "موسى" سبباً لحياته إذا لم يتحمل الرب خطيئة شعبه . وكما ذكر التجلى فى خروج (٣٣) يبادر "موسى" بطلب علامة ومعجزة من ربه إثباتاً لنواياه الطيبة تجاه شعبه إسرائيل (الفقرة : ١٩) ويستجيب له الرب ويعبر له عن رحمته : " וַיֹּאמֶר אֲנִי אַעֲבִיר כָּל-טוּבִי עַל פָּנֶיךָ וְקָרָאתִי בְשֵׁם יְהוָה לְפָנֶיךָ וְחַנֹּתִי אֶת-אֲשֶׁר אָחֹן וְרִחַמְתִּי אֶת-אֲשֶׁר אֲרַחֵם" - فقال أجيز كل جودتى أمامك . وأنادى باسم

---

١) الخروج ٣٢ : ١٤ . وقارن التثنية ٩ : ٢٥ - ٢٩

٢) الخروج ٣٢ : ٣٢

الرب قدامك واترائف على من اترائف وأرحم من أرحم " (٣٣ : ١٩)،وعند عبور الرب أمام وجه موسى ، الذى يدافع عن شعبه إسرائيل يصلى موسى إلى ربه قائلاً :"

וַיֵּרֶד יְהוָה בֶּעָנָן וַיִּתְיַצֵּב עִמּוֹ שָׁם וַיִּקְרָא בְּשֵׁם יְהוָה. וַיַּעֲבֹר יְהוָה עַל פָּנָיו וַיִּקְרָא יְהוָה יְהוָה אֵל רַחוּם וְחַנּוּן אֶרֶךְ אַפַּיִם וְרַב־חֶסֶד וֶאֱמֶת. נֹצֵר חֶסֶד לָאֲלָפִים נֹשֵׂא עָוֹן וָפֶשַׁע וְחַטָּאָה .

- فنزل الرب فى السحاب . فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب . فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب، الرب إلهٌ رحيم رؤوف بطىء الغضب وكثير الإحسان والوفاء . يقدم الإحسان إلى الألوف . يغفر الإثم والمعصية والخطيئة" (٣٤ : ٥ - ١٧) ؛ وإلى جانب فضيلة الرحمة يعطى تعبيراً عن صرامة الحكم أيضاً : וְנַקֵּה לֹא יְנַקֶּה פֹּקֵד עֲוֹן אָבוֹת עַל־בָּנִים וְעַל בְּנֵי בָנִים עַל שִׁלֵּשִׁים וְעַל־רִבֵּעִים. - ولكنه لن يبرئ إبراء . مفتقد اثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء فى الجيل الثالث والرابع " (٣٤ : ٧ ب) ، فأسرع موسى الذى يعتبر نفسه من شعب إسرائيل ، بالسجود للرب قائلاً " אִם נָא מָצָאתִי חֵן בְּעֵינֶיךָ אֲדֹנָי יֵלֶךְ־נָא אֲדֹנָי בְּקִרְבֵּנוּ כִּי עַם־קְשֵׁה־עֹרֶף הוּא וְסָלַחְתָּ לַעֲוֹנֵנוּ וּלְחַטָּאתֵנוּ וּנְחַלְתָּנוּ" إن وجدت نعمة فى عينيك أيها السيد فليسر السيد فى وسطنا . فإنه شعب عنيد . واغفر لنا إثمنا وخطيتنا واتخذنا ملكاً " (الفقرة : ٩) ، فاستجاب الرب لموسى قائلاً : הִנֵּה אָנֹכִי כֹּרֵת בְּרִית נֶגֶד כָּל־עַמְּךָ אֶעֱשֶׂה נִפְלָאוֹת - - ها أنا قاطع عهداً أمام جميع شعبك . أفعل عجائب " . (الفقرة : ١٠) وفى هذا العهد فُرضت على الشعب الإسرائيلى الواجبات والفروض - الإيمان بالرب والإخلاص له ، ومحاربة الوثنية : "כִּי אֶת־מִזְבְּחֹתָם תִּתֹּצוּן וְאֶת־מַצֵּבֹתָם תְּשַׁבֵּרוּן וְאֶת־אֲשֵׁרָו תִּכְרֹתוּן. כִּי לֹא תִשְׁתַּחֲוֶה לְאֵל אַחֵר כִּי יְהוָה קַנָּא שְׁמוֹ אֵל קַנָּא הוּא - تهدمون مذابحهم وتحطمون أنصابهم وتقطعون سواريهم . فإنك لاتسجد لإله آخر . لان الرب اسمه غيور . إله غيور هو " (الفقرات ١٣ - ١٤ ، وقارن ٢٠ : ٥) ؛ هذا ماحدث فى قصة موسى ؛ أما فى قصة إيليا فكما ذكرنا من قبل نقض الشعب عهده مع الرب (١ ملوك ١٩ : ١٠) وبدلاً من تحطيم مذابح الأوثان وتحطيم الأصنام والسوارى ، حطموا مذابح الرب وسجدوا

ايضاً لبعل (الفقرة : ١٨) رغم التحذير الصريح بعدم السجود لآلهة أخرى ، فأعلن إلياهو عن غيرته الشديدة للرب الذى هو " إله غيور - אֵל קַנָּא הוּא "(١) . ولان شعب إسرائيل عاد وأخطأ فى حق ربه ونقض العهد الذى قطعه الرب لهم بعد أن غفر لهم خطيئة عبادة العجل ، لكن إلياهو لم يتبع طريق موسى ، ولم ينهج نهجه ، فقد أعلن عن أخطاء شعبه وأعلن عن غيرته للرب ، ونادى بالانتقام من شعبه وقتلهم بالسيف ، وخلال عرضنا للإصحاحين ٣٢ - ٣٤ من سفر الخروج ، وعلى أساس منهج موسى الذى يحلق فوقهما يتضح لنا إن إلياهو حاد عن الطريق الذى رسمه موسى للأنبياء من بعده ، وبذلك انحرف إلياهو عن أداء رسالته وعن القيام بمهمته (٢).

وبظهور " حزائيل " ، و" ياهو " فى خاتمة قصة التجلى (١٩ : ١ - ١٨) يجعلنا ندرك ان القاص قد كوّن مفهوماً تاريخياً نهائياً لأحداث لم تبدأ بعد . فظهور حزائيل وياهو على مسرح التاريخ يُعدُّ انتقاماً إلهياً على عبادة بعل ، وكذلك عمل اليشع النبوى وسط شعبه يأخذ طابع الحرب ضد من يعبدون بعل ، ولكن هذا المفهوم التاريخى النهائى يتعارض ، فى الحقيقة ، مع المصادر الأخرى فى سفر الملوك : فياهو يحارب عبدة بعل ويقتلهم (٣). لكننا لانجد فى نبوة اليشع لحزائيل أية إشارة لوظيفته كعصى غاضبة منتقمة فى يد الرب ، حيث يبكى النبى للأعمال التى سيقوم بها الملك الآرامى فى إسرائيل(٤)، كذلك أيضاً لاتصف مصادر العهد القديم النبى اليشع كمقاتل يخوض حروب الرب ضد بعل وعبدته ، فهذه الوظيفة اختص بها معلمه إلياهو ، ولكن هناك فقط عدة فقرات تعد اضافة متأخرة لسفر الملوك الثانى، وهى التى تتحدث عن اليشع كمحارب ضد بعل : " וַיֹּאמֶר אֵלָיו שָׁעַט אֶל־מֶלֶךְ יִשְׂרָאֵל מַה־לִּי וָלָךְ לֵךְ אֶל־נְבִיאֵי אָבִיךָ וְאֶל נְבִיאֵי אִמֶּךָ - فقال اليشع لملك إسرائيل . مالى ولك . اذهب إلى أنبياء

---

١) قارن الملوك الملوك الأول ١٩ : ١٠ مع الخروج ٣٤ : ١٤

٢) קול דממה דקה , עמ' 345-346.

٣) راجع الملوك الثانى ١٠ : ١٥ - ٢٨

٤) راجع الملوك الثانى ٨ : ٧ - ١٥

أمك ...إلى آخر الفقرة ١٥ "[١].

وبعد أن تلقى إلياهو أوامره من الرب بالرجوع إلى مملكة إسرائيل لإتمام العمل الذى كلفه به الرب ، وفى طريق عودته التقى باليشع ، عندما كان يحرث فى الحقل ، فطرح عليه رداءه ، وهو الرداء الذى رمز إلى الأداة النبوية فى كل أعماله ، وبذلك جعل من اليشع استمراراً له ولرسالته النبوية ، واستجاب اليشع فوراً لنداء النبوه فترك حراثة الحقل وأصبح خادماً لسيده إلياهو ، حيث نجدهما متلازمَيْن لمدة ست أو سبع سنوات مثل المعلم وتلميذه[٢].

فى الحقيقة لانجد فى نصوص العهد القديم مايشير بشكل واضح إلى ان إلياهو تنبأ بتدمير بيت آحاب بسبب عبادة بعل ، ولكن الحدث الرهيب الذى جعل إلياهو يتنبأ بالخراب التام لبيت آحاب كان حادث كرم نابوت اليزرعئيلى[٣].

إلياهو وحركة الإصلاح الاجتماعى

يبدو ان دوائر واسعة بين الطبقات العليا ، وخاصة الوزراء وموظفى البلاط الملكى قد ساهمت فى تغلغل عبادة بعل بين أبنائها ، ومن الطبيعى إن عملية التمدين ، وارتفاع مستوى المعيشة بين دوائر التجار ، وحاشية الملك قد أدت إلى

---

١) الملوك الثانى ٣ : ١٣ - ١٥
وهناك فقرات أخرى فى سفر الملوك الثانى تقارن اليشع بطباع معلمة إلياهو، وفيها يتم تصوير العلاقات المتوترة بين الملك والنبى ، وهذا التصوير لايتلائم مع بقية قصص اليشع . (راجع ٢ ملوك ٦ : ٣١ و ٣٢ و ٣٣ ؛ ٦ : ٢٤ ؛ ٧ : ٢٠).

٢) Leaders of Israel, P. 166.
انظر أيضاً : הנבואה בישראל , עמ' 42.
وتذكر الأجاداه : أربعة تلاميذ لإلياهو تم ذكر أسماؤهم وهم " ميخا מיכה " و" يونا יונה " و عوبديا " و" اليشع אלישע "
انظر : פרקי דבנו הקדוש ,מהד' גרינהוט ,ליקוט ב' ;
מהדורת שינבלום , שלישה ספרים נפתחים ,למברג ,1871 עמ' 64.

٣) ישראל כהן , אישים מן המקרא , עמ' 23.
انظر أيضاً : הנבואה בישראל ,עמ' 121 .

تفاقم التناقضات الاجتماعية بين الطبقات العليا والطبقات المحافظة ، ويمكن الافتراض ان الفجوة الحضارية بين هذه الطبقات أخذت فى الاتساع نتيجة لهذه التناقضات الاجتماعية الخطيرة ، التى أدت بدورها إلى تفشى الظلم الاجتماعى(١)، وقد تمثل هذا الظلم الاجتماعى فى استيلاء آحاب على كرم شيخ من شيوخ بنى إسرائيل يدعى " نابوت اليزرعئيلى " ، وفى هذه القضية نجد إلياهو يقف بقوة ضد جبروت السلطة الحاكمة المتمثلة فى الملك ، فإلياهو لم يكن فقط مصلحاً دينياً ، ولم يكن فقط نصيراً لعبادة الرب ، بل كان أيضاً مصلحاً اجتماعياً ، حيث تمثلت مبادؤه فى الدفاع عن حقوق الإنسان فى قضية نابوت اليزرعئيلى(٢).

---

١) תולדות עם ישראל, חלק א, עמ' 121.

٢) Leaders of Israel, P.163.

وهناك يشبه الياهو " بمارتن لوثر " المصلح الاجتماعى .

قصة كرم نابوت اليزرعيلى:

بداية تعتبر قصة نابوت اليزرعيل نموذجاً مختصراً للقانون الأخلاقى داخل المجتمع الإسرائيلى ، فتعاليم التوراة تركز على الإنسان طبقاً لما ورد فى سفر التكوين: " וַיִּבְרָא אֱלֹהִים אֶת־הָאָדָם בְּצַלְמוֹ בְּצֶלֶם אֱלֹהִים בָּרָא אֹתוֹ "(١) خلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه"؛ وبناء على ذلك تحظر التوراة " القتل "(٢) وتسرى أحكام التوراة على الجميع بما فيهم الملك ، فسلطة الملك تعتمد على القانون التوراتى ، وموافقة الشعب. فالمفروض أن الملك يرأس الأنظمة القضائية فى الدولة ،ويقيم العدل بين أبناء شعبه ، أى هو الذى يحافظ على الاطار القانونى العام : וְנָתַתָּ לְעַבְדְּךָ לֵב שֹׁמֵעַ לִשְׁפֹּט אֶת עַמְּךָ לְהָבִין בֵּין־טוֹב לְרָע- اعط عبدك قلباً سامعاً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر " ، وفى المقابل نجد إن الوثنية تقوم على تبجيل القوة ، فالملك هو الإله ، أو ابن الإله ؟ أو على الأقل ظل الله على الأرض ، فحقوقه فوق الجميع ، والشعب عبيد له .

ومن ناحية أخرى فإن قصة نابوت اليزرعيلى تمثل الشكل التقليدى الأخلاقى للنبوة القديمة فى مواجهة العبادة الوثنية ، حيث تظهر فى القصة عدة شخصيات متباينة ، كل واحدة لها عالمها ومفاهيمها الأخلاقية الخاصة التى تعتنقها:

أ - فآحاب אַחְאָב : ملك إسرائيل بنى له قصراً فى يزرعيل المدينة التى تطل على وادى يزرعيل من جهة الجنوب ، حيث يقضى أشهر الشتاء الباردة ، إذ كانت السامرة هى مقره الصيفى فقط . وبجانب هذا القصر يقع كرم نابوت . وأراد آحاب شراء هذا الكرم ليقيم فيه حديقة مترامية الأطراف تحيط بقصره ، لأنه لايستطيع مصادرة ممتلكات الغير . فعليه احترام القانون التوراتى .

---

١) التكوين ١: ٢٧ .
٢) راجع الخروج ٢٠: ١٣ .
٣) الملوك الأول ٣ : ٩ .

ب - إيزابل : אִיזֶבֶל.

ابنة ملك صور وزوجة آحاب ، وطبقاً لمفاهيمها الوثنية ، فالملك هو الحاكم الأعلى وباستطاعته عمل أى شئ ،ولذلك فهى لاتفهم تردد آحاب وتراه علامة ضعف فقط .(١)

جـ - نابوت : נָבוֹת .

شخصية نبيلة من شيوخ الشعب ، يعرف أن حقه على أرضه غير قابل للسلب حتى لو كان من جانب الملك نفسه ، ولذلك وقف فى مواجهة ضغوط الملك واغراءاته ويشير ذلك إلى معرفته وعلمه بالتوراة وحفاظه على التقاليد القديمة لشعب إسرائيل .(٢)

د - إلياهو التشبى : אֵלִיָּהוּ הַתִּשְׁבִּי.

نبى الرب وهو خلاصة الروح الإسرائيلية الأصيلة ، خاض حرباً عنيفة ضد آحاب من أجل القيم الأخلاقية ، وإقامة العدل بين طبقات الشعب ، فقضية كرم نابوت فى نظره هى رمز التسلط والجبروت من جانب أصحاب السلطة والقوة المهيمنين على البيت الملكى ، بينما كان الشعب يرى أن الملك خارج سيادة القانون ، متأثراً فى ذلك بالثقافة الأجنبية والعبادة الوثنية .وكان إلياهو يرى عكس ذلك ، فالقاتل عنده هو القاتل ، حتى إذا كان الملك نفسه ...

هذه هى الشخصيات الأربعة التى تكون العناصر الرئيسية فى القصة التى وردت فى سفر الملوك الأول الاصحاح (٢١) . فقد طلب آحاب من نابوت قائلاً : תְּנָה-לִי אֶת-כַּרְמְךָ - اعطنى كرمك " ثم يسأله نابوت عن السبب فيقول له آحاب : וְיִהְיֶה-לִי לְגַן-יָרָק - ليكن لى بستاناً " ، وهنا يسأله نابوت : لماذا هذا الكرم بالذات ؟ فيرد عليه آحاب بتبرير غير كاف : כִּי הוּא קָרוֹב אֵצֶל בֵּיתִי لأنه قريب من بيتى " ، ثم يقترح عليه

---

١) דברי ימי ישראל , עמ' 87-88.

٢) ש.ל.גרדון , נביאים ראשונים , עמ' XIX.

" וְאֶתְּנָה לְךָ תַּחְתָּיו כֶּרֶם טוֹב מִמֶּנּוּ" وأعطيك بدلاً منه كرماً أحسن منه " (الفقرة ٢ أ) وهذا الاقتراح يشير إلى أى مدى كانت مبادىء الحفاظ على التقاليد القديمة متأصلة فى آحاب كما ورد فى سفر اللاويين (٢٣:٢٥) : וְהָאָרֶץ לֹא תִמָּכֵר לְצָמְתֻת כִּי־לִי הָאָרֶץ والأرض لاتباع بتة . لأن الأرض لى " ، ثم يقترح عليه آحاب اقتراحاً آخر بدون إشارة إلى اكراهه على البيع: " אִם טוֹב בְּעֵינֶיךָ אֶתְּנָה־לְךָ כֶּסֶף מְחִיר זֶה "- إذا حسن فى عينيك ، أعطيتك ثمنه فضة " (الفقرة : ٢ ب) ؟ الا أن نابوت يرفض رفضاً قاطعاً[1] : חָלִילָה לִי מֵיְהוָה מִתִּתִּי אֶת־נַחֲלַת אֲבוֹתַי לָךְ "- حاشا لى من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائى " (الفقرة : ٣) ويشير هذا الرفض إلى تمسك نابوت بقوانين الشريعة اليهودية كما نص عليها سفر العدد : וְלֹא־תִסַּב נַחֲלָה לִבְנֵי יִשְׂרָאֵל מִמַּטֶּה אֶל־מַטֶּה כִּי אִישׁ בְּנַחֲלַת מַטֵּה אֲבוֹתָיו יִדְבְּקוּ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל [2] - لايتحول نصيب لبنى إسرائيل من سبط إلى سبط بل يلازم كل واحد نصيب سبط آبائه بنى إسرائيل ، ويبدو أن آحاب كان يعرف هذا القانون ولذلك وقف عاجزاً أمام رفض نابوت بيع كرمه ، وهناك نصوص أخرى فى العهد القديم توءيد رفض نابوت كما فى سفر التثنية :

לֹא תַסִּיג גְּבוּל רֵעֲךָ אֲשֶׁר גָּבְלוּ רִאשֹׁנִים בְּנַחֲלָתְךָ אֲשֶׁר תִּנְחַל בָּאָרֶץ אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לְךָ לְרִשְׁתָּהּ.[3]

---

١) قد يبدو لأول وهلة أن هذا الرفض يخرج عن حدود الأدب واللياقة ، ولكن قليلاً من التأمل فإننا نجد مايبرر رفض نابوت ، ويزيد جريمة الملك ، والملكة شناعة ، فبالإضافة إلى النصوص السابقة التى تحظر بيع الأرض ، فقد كانت كنعان حسب شريعة موسى أرض الله بصفة خاصة ، والإسرائيليون فلاحيها . وكان ضمن شروط حق امتيازهم على الأرض أن لايغير أحد نصيبه منها ، ولايتصرف فيه إلا فى حالة الفاقة الشديدة ،وفى هذه الحالة كانت ترد إليه أرضه فى سنة اليوبيل . ولذلك كان انتقال الأرض مقترناً دائماً بهذا الشرط وهو أن تفتدى فى أى وقت قبل سنة اليوبيل بدفع الثمن الذى يتفق عليه . ولذلك يعتبر رفض نابوت عملاً دينياً من بعض الوجوه .
انظر: حياة إيليا ص ١١٩-١٢٠ .

٢) العدد ٣٦: ٧ .

٣) التثنية ١٩:١٤ .

لاتنقل تخم صاحبك الذى نصبه الأولون فى نصيبك الذى تناله فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك لكى تمتلكها " . ولذلك عاد آحاب الى قصرة مكتئباً مغموماً:

וַיָּבֹא אַחְאָב אֶל-בֵּיתוֹ סַר וְזָעֵף ... וַיִּשְׁכַּב עַל-מִטָּתוֹ וַיָּסֵב אֶת-פָּנָיו וְלֹא-אָכַל לָחֶם׃

فدخل آحاب بيته مكتئبا مغموما ... واضطجع على سريره وحول وجهه ولم يأكل خبزا " (الفقرة : ٤) وهنا جاء دور " إيزابل " التى أسرعت بالسخرية من زوجها الملك عندما رأته مكتئبا لرفض نابوت بيع كرمه له فقالت له : אַתָּה עַתָּה תַּעֲשֶׂה מְלוּכָה עַל יִשְׂרָאֵל קוּם אֱכֹל-לֶחֶם וְיִטַב לִבֶּךָ אָנֹכִי אֶתֵּן לְךָ אֶת כֶּרֶם נָבוֹת הַיִּזְרְעֵאלִי׃

أأنت الآن تحكم على إسرائيل . قم كل خبزاً وليطب قلبك . أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلى " (الفقرة : ٧) ثم يأخذ القاص فى سرد أعمال إيزابل التى خططت لها باحكام من أجل تنفيذ مخططها ، فكتبت رسائل باسم آحاب ووقعتها بخاتمه ، وجدير بالذكر أن أمر كهذا لايمكن حدوثه إلا إذا كان لها كافة الصلاحيات الملكية ثم أرسلت هذه الرسائل إلى شيوخ وأشراف مدينة نابوت لأن شيوخ المدينة هم قضاتها ، ويشير ذلك أيضاً إلى أن نابوت كان واحداً من شيوخ مدينته ، وكتبت تقول فى هذه الرسائل : קִרְאוּ צוֹם וְהוֹשִׁיבוּ אֶת-נָבוֹת בְּרֹאשׁ הָעָם׃ (١)

نادوا بصوم ، واجلسوا نابوت على رأس الشعب (الفقرة : ٩) وبذلك خلقت إيزابل توتراً كبيراً وشعوراً عاماً بين أبناء

---

١) يوم الصوم هو نهار اليقظة الذى يرتبط عند اليهود بحدث عظيم جداً ، أو بكارثة عظيمة أو خطر عام ، وفقاً لما جاء فى سفر القضاة : וַיַּעֲלוּ כָל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וְכָל-הָעָם וַיָּבֹאוּ בֵּית-אֵל וַיִּבְכּוּ וַיֵּשְׁבוּ שָׁם לִפְנֵי יְהוָה וַיָּצוֹמוּ בַיּוֹם הַהוּא עַד-הָעָרֶב וַיַּעֲלוּ עֹלוֹת וּשְׁלָמִים לִפְנֵי יְהוָה.

فصعد جميع بنى إسرائيل ، وكل الشعب وجاءوا إلى بيت إيل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء ، واصعدوا محرقات وذبائح سلامة أمام الرب " (قضاة : ٢٠ :٢٦) . وصوم الجماعة يعنى أن وزر الخطيئة ملقى على كاهل الشعب كله وانه يجب أن يذلل نفسه أمام الله (راجع صموئيل ٦:٧) فقد كان الصائمون يلبسون المسح على أجسامهم ، وينثرون الرماد على رؤوسهم ويتركون أيديهم غير مغسولة ورؤوسهم غير مدهونة ، وكانوا يدعون ويتضرعون ويبكون (راجع أشعيا ١٢:٢٢ ، يوئيل ٢ :١٥ - ١٧) ومع كل هذه العلامات والإشارات إلا أن الصوم لم يرد لفظاً فى أسفار موسى الخمسة ، ولكن كان يوم واحد معين للصوم وهو يوم الكفارة (راجع لاويين ١٦:٢٩ ، عدد ٢٩:٧) إذ كان المقصود بتذليل النفس فى هذه الفقرة ،هو الصوم كما ذهب كثير من المفسرين.

المدينة بأنه تمت جريمة رهيبة ، تتطلب حكماً سريعاً ، هذا بالإضافة إلى اهتمامها بعدم فقد المكانة الكبيرة لنابوت بين شيوخ مدينته ، وقد عرفت إيزابل من أتباعها أن القوانين التوراتية تحتم شهادة اثنين ولذلك طلبت من شيوخ المدينة احضار اثنين من " بنى بليعال - בְּנֵי־בְלִיַּעַל (١)

أى من المجرمين المحترفين ، لكى يوافقوا على الشهادة الزور ضد نابوت:

וְהוֹשִׁיבוּ שְׁנַיִם אֲנָשִׁים בְּנֵי בְלִיַּעַל נֶגְדּוֹ וְיָעִדֻהוּ לֵאמֹר בֵּרַכְתָּ אֱלֹהִים וָמֶלֶךְ וְהוֹצִיאֻהוּ וְסִקְלֻהוּ וְיָמֹת.

وأجلسوا رجلين من بنى بليعال تجاهه ليشهدوا قائلين قد جدفت على الله وعلى الملك "(٢) (الفقرة : ١٠) . وبذلك تمت المؤامرة الدنيئة باصدار حكم الاعدام

---

١) בְּנֵי־בְלִיַּעַל : بليعال ، بليعال : اسم عبرى معناه " عديم الفائدة أو شرير " وهو اسم كان كتّاب الأسفار المقدسة يلقبون به كل من كان ذميماً ولئيماً لايخاف الله ولايهاب إنساناً .

(راجع قضاة ١٩:٢٢ ، صموئيل الأول ٢:١٢) وانظر :

המלון העברי המדובז , עמ' 80.

٢)وقد جاء فى سفر الخروج : "אֱלֹהִים לֹא תְקַלֵּל וְנָשִׂיא בְּעַמְּךָ לֹא תָאֹר " لاتسب الله . ولاتلعن رئيساً فى شعبك " (خروج ٢٢:٢٧) أما العقاب على اقتراف هذا الجرم فهو : " וְנֹקֵב שֵׁם־יְהוָה מוֹת יוּמָת יִרְגְּמוּ־בוֹ כָּל הָעֵדָה ـ ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل. يرجمه كل الجماعة رجماً " (لاويين ٢٤:١٦) ، وقد جاء فى صموئيل الثانى : וַיַּעַן אֲבִישַׁי בֶּן־צְרוּיָה וַיֹּאמֶר הֲתַחַת זֹאת לֹא יוּמַת שִׁמְעִי כִּי קִלֵּל אֶת מְשִׁיחַ יְהוָה וַיֹּאמֶר דָּוִד מַה־לִּי וְלָכֶם בְּנֵי צְרוּיָה כִּי תִהְיוּ־לִי הַיּוֹם לְשָׂטָן...

فأجاب ابيشاى ابن صروية ،وقال ألا يقتل "شمعى" لأجل هذا لأنه سب مسيح الرب وقال داود مالى ولكم يابنى صروية حتى تكونوا لى اليوم مقاومين .."

(٢ صموئيل ١٩:٢٢-٢٣) ثم عفا داود عن شمعى.وهكذا نتيجة لهذا التشريع أخذت ايزابيل حذرها ، وأضافت سب الله إلى جريمة سب الملك حتى تعطى الفعالية والقوة للاثم الذى ادعت أن نابوت ارتكبه وحتى لاتدع فرصة للعفو عن نابوت من شيوخ مدينته .

انظر : מלכי ישראל מפי ליג עד גלות , עמ' 53.

رجماً على نابوت فرجموه ومات . وبالإضافة إلى ذلك فإن المجرمين المحكوم عليهم بالموت لجرمهم العظيم ، يحكم أيضاً على أفراد أسرهم بالموت : "אִם-לֹא אֶת-דְּמֵי נָבוֹת וְאֶת-דְּמֵי בָנָיו רָאִיתִי אֶמֶשׁ - لم أر أمساً دم نابوت ودماء بنيه "(١) ، ولكي تتأكد إيزابل من أنه لن يكون هناك مدع من ناحية الوراثة ، وحتى يصير ذلك الميراث بلا وريث لكي يقع فينصيب الملك ، أمرت بقتل جميع أفراد بيت نابوت ، وبعد أن تمت المؤامرة باحكام ، ذهبت إيزابل لتبشر آحاب بميراث كرم نابوت : "קוּם רֵשׁ אֶת-כֶּרֶם נָבוֹת הַיִּזְרְעֵאלִי ...כִּי אֵין נָבוֹת חַי כִּי-מֵת"

---

١) وهناك قصة مماثلة فى العهد القديم وردت فى سفر يشوع الإصحاح السابع ، إذ عندما خاض الإسرائليون أول حروبهم لاحتلال أرض كنعان ، أمروا بتحريم كل المغانم للرب ، ولكن "عخان بن كرمى " خان هذا التحريم وأخذ لنفسه من الغنائم رداءً شنعارياً نفيساً ومئتى شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلاً . (راجع يشوع ٧ : ٢١) . وكعقوبة من الرب على ذلك هُزم جيش إسرائيل فى حرب " عاى الأولى הָעַי " وحسب أوامر يشوع بن نون التى نصت على تطهير إسرائيل ونزع الحرام منها بتقريب أسباطها إلى الرب . فبكر يشوع فى الغد وقدم إسرائيل باسباطها ، وكان السبط الذى يأخذه الرب يتقدم بعشائره ، والعشيرة التى يأخذها الرب تتقدم ببيوتها ، و البيت الذى يأخذه الرب يتقدم برجاله . حتى وقعت القرعة على " عخان بن كرمى ابن زرع " من سبط يهوذا " فاعترف بجرمه إلى الرب ، فحكم عليه بالرجم بالحجارة حتى الموت هو وبنيه وبناته وكل الذى له . وأطلق على المكان الذى شهد رجمهم اسم " وادى عخور " حسب لعنة يشوع "עֵמֶק עָכוֹר" ونلاحظ فى هذه القصة خطأ سببياً لتفسير الاسم " بوادى عخور " إلا أنه فى بعض الترجمات تم كتابة الاسم عخان (عخر עכר) ويبدو أنه الاسم الأصلى للمكان . ومن ثم أصبح وادى عخور رمزاً للخطيئة ورمزاً للخراب بسبب الخطيئة (راجع يشوع ٢ : ١٧ ، أشعيا ٥٥ : ١٠) وللأهمية التربوية فى القصة يجدر مقارنة أقوال الوفد الذى ترأسه فينحاس بن العازر الكاهن إلى سبط وادى الأردن الشرقى (راجع يشوع ٢٢ : ١٣ - ٢٠) .

انظر : לכסיקון מקראי, עמ' 706.

: תולדות האמונה הישראלית, כרך ד', עמ' 345, כרך ה', עמ' 596.

قم رث كرم نابوت اليزرعئيلى ... لأن نابوت ليس حياً بل هو ميت " (٢١ :١٥) .
وهنا تظهر المعارضة الإسرائيلية بروحها القديمة الصحراوية الأصيلة ضد الثقافة الوثنية ومفاهيمها الفاسدة ، هذه الروح النبوية لم تناد فقط بألوهية يهوه إله الصحراء وإله الطهارة بل أيضاً بعدالة يهوه .(١) فبعد مقتل نابوت ظهر إلياهو النبى صارخاً فى وجه الملك ومتكلماً باسم الرب ،وفى صوت كالرعد هز الملك القاتل : הֲרָצַחְתָּ וְגַם־יָרָשְׁתָּ ... בִּמְקוֹם אֲשֶׁר לִקְקוּ הַכְּלָבִים אֶת־דַּם נָבוֹת יְלַקְּקוּ הַכְּלָבִים אֶת דָּמְךָ גַּם אֶתָּה.
أقتلت وأيضاً ورثت ؟ .. فى المكان الذى لحست فيه الكلام دم نابوت ، تلمس الكلاب دمك أنت أيضاً " (٢١: ١٩)(٢)

---

١) ש.ל. גרדון, נביאים ראשונים, עמ' XVIII.

٢) وهذه الفكرة ليست جديدة فى جوهرها ،فقد كانت معروفة من قبل فى التراث القديم ، خاصة فى قصة قايين קין القاتل وكلام الرب له:
"קוֹל דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים אֵלַי מִן הָאֲדָמָה."
صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض " (تكوين ٤ : ١٠) . وهذا القول يراد به معناه الحرفى ، فقد كان العبريون يعتقدون أن دم القتيل لايزال يضج ويصرخ ولايفتأ يتعقب القاتل حتى يولجه رجسه . ولهذا كان مقاتلو اليهود إذا عادوا من حومة الوغى عاشوا فى معزل عن مدنهم أياما يطهّرون فيها بالاغتسال وغسل ثيابهم حتى لاينقلوا دم العدو إلى ديارهم فيتاح لهم الاقتصاص منهم . وشبيه بهذا ماكانت تذهب إليه جاهلية العرب من أن هناك طائراً يخلق من رأس المقتول يألف المقابر فى الليل ، ولايزال يصيح قائلاً : اسقونى ـ اسقونى ، ولايكف عن المطالبة بالاقتصاص للقتيل الذى طل دمه حتى يقتل قاتله . ولذلك كانوا يطلقون على هذا الطائر اسم الصدى أو الهامة . قال الشاعر الأصبع العداونى " أضربك حيث الهامة اسقونى " أى أقتلك ضرباً .

انظر : عصام الدين حفنى ناصف : الأسطورة والوعى ص ١٥ .

ان وصف هذا الحدث يبرز من ناحية ، القوة التى كانت عليها التقاليد الدينية التى لم تسمح حتى للملك بمصادرة حق إنسان فى أملاكه بدون رغبته . فآحاب نفسه لم يجد عنده الشجاعة للعبث بالتقاليد المقدسة ، ومن ناحية أخرى يدين هذا الحدث انحطاط المؤسسات فى المجتمع فشيوخ الشعب ليسوا بعاجزين فقط بل أيضاً فاسدين حيث أن ضميرهم لم يمنعهم من الاغتيال القانونى بأمر إيزابل ، وفى هذه المواجهة الحاسمة بين النبى والملك تتجلى كل ايجابيات وشجاعة وحيوية الحركة النبوية لتكون بذلك لسان عدل وقدسية حق الإنسان ، ونجاحها فى توجيه صرخة قوية غاضبة فى وجه الحاكم المستبد ،والتى تمثلت فى صرخة " إلياهو التشبى " : " أقتلت وأيضاً ورثت " (١)

وعندما سمع آحاب هذا التعنيف الشديد من الياهو على قتل نابوت شق ملابسه ،ووضع مسحاً على جسده ، وصام وأعلن الحداد بعض الوقت : "וַיְהִי כְּשָׁמְעַ אַחְאָב אֶת־הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה וַיִּקְרַע בְּגָדָיו וַיָּשֶׂם־שַׂק עַל־בְּשָׂרוֹ וַיָּצׇם וַיִּשְׁכַּב בַּשַּׂק וַיְהַלֵּךְ׃ אט" ولما سمع آحاب هذا الكلام شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى ببطء " (٢١ : ٢٧) . ولهذا يحتمل أن آحاب نفسه لم يكن يعلم بشىء عن تفاصيل قصة قتل نابوت وانتقال الكرم له وأن هذا العمل قد تم بتدبير ومؤامرة إيزابل زوجته ، لكن اعتبرت هذه القصة فى نظر الشعب ، سواء فى أيام الملك أو أيام أبنائه من بعده ، إثماً لايمكن لبيت آحاب التطهر منه (٢)ومما يقوى الاحتمال بعدم معرفة آحاب تفاصيل هذه المؤامرة ان الرب أرسل كلمته إلى إلياهو بأن الشر الذى سيأتى على بيت آحاب ، لايأتى فى أيامه بل فى أيام ابنه :

" הֲרָאִיתָ כִּי־נִכְנַע אַחְאָב מִלְּפָנָי יַעַן כִּי־נִכְנַע מִפָּנַי לֹא אָבִי הָרָעָה בְּיָמָי בִּימֵי בְנוֹ אָבִיא הָרָעָה עַל־בֵּיתוֹ׃"

١) תולדות עם ישראל ,עמ' 122.
وفى الحقيقة أن تعنيف إلياهو لم يقتصر على آحاب فقط بل امتد أيضاً إلى مملكة يهوذا فقد أرسل إلياهو خطاب تعنيف إلى يهورام ملك يهوذا (٨٥٠ -٨٤٣ ق.م تقريبا) . انظر : أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٢ .
٢) האנציקלופדיה העברית ,ערך אחאב.

هل رأيت كيف تذلل آحاب أمامي . فمن أجل أنه قد تذلل أمامي لا أجلب الشر في أيامه بل في أيام ابنه أجلب الشر على بيته " (٢١ : ٢٩) . ومع أن هذه المواجهة بين النبي والملك في قصة نابوت لاتعتبر في ظاهرها إلا حلقة في سلسلة مواجهات النبي ضد الملك ، إلا أن "ياهو " عندما أصبح في موقف استعداد تذكر رسالة النبي بعد مرور عشرين سنة .(١)

وهناك من الباحثين من يقول بأن الأسلوب النبوي في قصة نابوت ليس بجديد على قصص العهد القديم فهناك قصة "ناشان" النبي وتعنيفه لداود الملك في قصة " نعجة الفقير - בבשת הרש " ولكن بعد المقابلة الموضوعية بين القصتين يتضح لنا أن النبي ناشان لم تكن عنده الشجاعة الكافية للتصريح بادانة " داود " وتسميته بالقاتل كما فعل إلياهو مع الملك آحاب ، هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فان ناشان كان يتحدث إلى ملك صادق - مرنم إسرائيل الحلو - נעים זמרות שראל "(٢) " أما إلياهو فقد كان يتحدث إلى ملك مخطيء . وفي الحقيقة أن الاختلاف بين أسلوبي النبيين في التعنيف لم يكن نتيجة للفارق بين الملكين بل كان نتيجة الاختلاف بين ناشان وإلياهو ، فإلياهو لم يكن نبي آحاب أي نبي بلاط كناشان ، وان كان رد فعل الملكين متشابه إلى حد ما .(٣) عموماً في القصتين تبرز مواقف الأنبياء الصارمة وتعنيفهم لملوك عظماء على قتل عمد لانسان بريء من أجل تحقيق رغباتهم .

وبسبب هذا الموقف النبوي اعتبر إلياهو أباً للأنبياء الذين جاءوا بعده حيث طالبوا دائماً بانصاف المضطهدين ، ووقفوا الى جانب الضعفاء والفقراء الذين كانوا يعانون من هذا النظام الاجتماعي الجديد وليد الثقافة الوثنية.(٤)

---

١) راجع الملوك الثاني ٩ :٢٥ وانظر :
Leaders of Israel, P. 164.

٢) صموئيل الثاني ٢٣:١ .

٣) מנשה דובשני , עיקרי הנבואה , עמ' 29.
وقارن الملوك الأول ٢١ مع صموئيل الثاني ١١ :١ إلى ١٢: ٢٣ .

٤) נביאים ראשונים , עמ' אוא.
انظر عاموس ٨ :٤-٨ عن اضطهاد المساكين ؛ أشعيا ٣ : ١٦ ، ٥ :١ عن البذخ والترف .

ان قصة نابوت ليست سوى برهان على ماكان للديانة فى النظام الاجتماعى من دورجوهرى[١]. فالعدالة الاجتماعية ، كما رأينا فى هذه القصة ، هى من صميم الدين .[٢] فالدين هو العنصر الوحيد من عناصر التجربة البشرية الذى ظل يسير مرتقياً الى أعلى على الدوام : انه يذوى ثم يرجع ، ولكنه عندما يجدد قواه ، يعود وقد اكتسب قوة جديدة وازداد محتواه نقاء".[٣]

انتقال إلياهو إلى السماء :

تعتبر قصة انتقال إلياهو إلى السماء من أغرب قصص العهد القديم حيث تركت أثراً أبدياً على ثقافة ومفاهيم الإسرائيليين وعلى دينهم ومعتقداتهم وأساطيرهم وأحلامهم وآدابهم وآمالهم حتى نهاية الدهر ، فوفقاً لهذه القصة أن إلياهو لم يمت وإنما صعد فى العاصفة إلى السماء فى مركبة تجرها خيول نارية أمام أعين تلميذه اليشع وأمام أعين خمسين من بنى الأنبياء الذين وقفوا قبالتهما من بعيد .[٤] وهكذا أضفى العهد القديم على انتقال إلياهو ونهايته غموضاً أكثر من الغموض الذى أحاط ببداية ظهوره .[٥]

وتذكر الأجاداه " أنه عندما أُرسِلَ المَلَك لاصعاد إلياهو وجد معه أليشع

---

١) وهذا الأمر يذكرنا بالحسبة فى الإسلام ، أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، أى أن الدين ليس سلطة ، ولايمثل رجال الدين أية سلطة . فالدين هو الفكر ، مهمته المراقبة الشعبية على السلطة كما هو واضح فى " الحسبة " عند الفقهاء المسلمين ، أى الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة من أجل الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . فالدين يحكم من القاعدة لا من القمة ، ومن خلال الشعب لا بواسطة السلطة الدينية أو السياسية .
انظر : سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ص ٩٧ .

٢) الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم . ص ٢٥١ .

٣) د. موريس جنزبرج : علم الاجتماع . ترجمة د. فؤاد زكريا - مراجعة مهدى علام . سلسلة الألف كتاب . دار سعد للطبع والنشر . القاهرة ، بدون تاريخ ص ٨٥ .

٤) הנבואה בישראל, עמ' 46.

٥) Leaders of Israel, P. 166.

حيث كانا يدرسان ، ويذاكران فى كلمات التوراة ، فعاد الملك إلى السماء وقال لربه : رب العالم ، انهما يدرسان كلمات التوراة ولذلك فأنا لا أستطيع السيطرة عليهما " .(١)

وفى قصة انتقال إلياهو فى العهد القديم يلتقى القاص بأبسط الألفاظ فى سر الرواية فى قصر وايجاز فهو لايعطينا إلا فكرة أو اثنتين قويتين ، فلا عجب إذاً إن رأينا القاص يكتفى فى وصف هذا المنظر بهذه الكلمات القصيرة فى فقرة واحدة :

וַיְהִי הֵמָּה הֹלְכִים הָלוֹךְ וְדַבֵּר וְהִנֵּה רֶכֶב-אֵשׁ וְסוּסֵי אֵשׁ וַיַּפְרִדוּ בֵּין שְׁנֵיהֶם וַיַּעַל אֵלִיָּהוּ בַּסְּעָרָה הַשָּׁמָיִם "(٢)

وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إلياهو فى العاصفة إلى السماء ". على أنه كانت هنالك علامة واحدة على الأقل تنبىء بتلك الحادثة العجيبة وقد رأى تلك العلامة بوضوح أشخاص آخرون : וַחֲמִשִּׁים אִישׁ מִבְּנֵי הַנְּבִיאִים הָלְכוּ וַיַּעֲמְדוּ מִנֶּגֶד מֵרָחוֹק וּשְׁנֵיהֶם עָמְדוּ עַל הַיַּרְדֵּן - فذهب خمسون رجلا من بنى الأنبياء ووقفوا قبالتهما من بعيد . ووقف كلاهما بجانب الأردن " (الفقرة : ٧) ، بالإضافة إلى تلميذه إليشع ، وهذه العلامة هى شق نهر الأردن برداءه :

וַיִּקַּח אֵלִיָּהוּ אֶת-אַדַּרְתּוֹ וַיִּגְלֹם וַיַּךְ אֶת-הַמַּיִם וַיִּתָּצוּ הֵנָּה וָהֵנָּה וַיַּעַבְרוּ..בֶּחָרָבָה"؛ أخذ إلياهو رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا - - - فى اليبس " (الفقرة : ٨) . ولكن ذلك لم يكن إلا مجرد علامة خارجية ظاهرة ، فقد كان إلياهو يعرف بأن الرب أرسله إلى هناك ، وكان متيقناً بأنه طالما كان طريقه يلزمه اجتياز المياه فلابد أن الرب سيمكّنه من أن يطأها . لهذا تجاسر وضرب المياه موءمناً بأن القوة الإلهية تعينه

---

١) סדר אליהו רבה פרק ה 22-23 وقارن מסכת - תענית ב, סוטה מט, א ، وعن فكرة أن مَلَك الموت ليس له السلطة على الإنسان عندما يكون جالساً يدرس ويذاكر التوراة . انظر:
לוי גינצבורג חלק ט"ו עמ' 322 ملاحظة 125 ، ويذكر "איש שלום" أن المَلَك الذى جاء لإلياهو لم يكن مَلَك الموت ، ولكن مهمته كانت تشبه مهمة مَلَك الموت .
انظر : סדר אליהו רבה מהד' איש שלום עמ' 16-17.

٢) الملوك الثانى ٢ : ١١ .

وتساعده ، وفى الحال انغلق الماء ، وهيأ له طريقاً واضحاً اجتازه كلاهما.
ومن العلامات البارزة التى تنبىء بتلك الحادثة هى صعود إلياهو إلى الجلجال بين بيت إيل وشكيم ، فبعد الانتقال اتضح السبب الغامض الذى جعل إلياهو يتجه إلى نفس المنطقة التى شهدت نهاية موسى ؛ إذاً فزيارة مجمع الأنبياء كان له مغزى آخر يشير إلى قرب نهاية إلياهو وانتهاء رسالته ، حيث يشير العهد القديم إلى أن هذه المنطقة هى آخر ماوقعت عينا موسى عليه .

וַיַּעַל מֹשֶׁה מֵעַרְבֹת מוֹאָב אֶל־הַר נְבוֹ רֹאשׁ הַפִּסְגָּה אֲשֶׁר עַל
פְּנֵי יְרֵחוֹ וַיַּרְאֵהוּ יְהוָה אֵת־כָּל־הָאָרֶץ אֶת־הַגִּלְעָד עַד־דָּן...
וַיִּקְבֹּר אֹתוֹ בַּגַּי בְּאֶרֶץ מוֹאָב מוּל בֵּית פְּעוֹר וְלֹא־יָדַע אִישׁ
אֶת קְבֻרָתוֹ עַד הַיּוֹם הַזֶּה (١) ، وصعد موسى من عربات موءاب إلى جبل نبوّ إلى رأس الفسجة الذى قبالة اريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ... ودفنه فى الجواء فى أرض موّاب مقابل بيت فغورٌ ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم " ولذلك يستند الباحثون على هذه النصوص فى تخمينهم تحديد مكان إلياهو أو انتقاله ، فى نطاق " جبل نبو " وإن صح ذلك فان أمامنا خيط آخر يمسك به الباحثون الذين يقارنون بين موسى والياهو. (٢)

وبعد الحديث عن السبب فى اختيار مكان الانتقال نتوقف الآن عند الطريقة التى تم بها الانتقال.فقد كان إلياهو نفسه كالعاصفة فى طريقة ظهورها. فكان لائقاً برجل يشبه " العاصفة " أن ينتقل إلى السماء بهيئة تناسب حياته " فصعد إلياهو فى العاصفة إلى السماء " . ولم يكن هنالك أليق لتصوير حرارة روحه من النار التى صاحبت انتقاله " مركبة من نار وخيل من نار " ، وياله من بون شاسع بين صعود إلياهو وصعود المسيح الهادىء إلى السماء(٣) . لقد

---

١) التثنية ٣٤ :١ و ٦ .
٢) אנציקל מקר, ערך אליהו, עמ' 341 .
٣) قارن لوقا ٢٤ :٥ مع الملوك الثانى ٢ : ١١ .

كان أليق بإلياهو الغيور أن ينتقل - بين مظاهر حب تلاميذه له - فى تلك المركبة التى أرسلها الله إليه ، والتى لاتذكر بجانبها على الاطلاق مركبة آحاب التى ركض أمامها.(١) وقد كانت هناك لياقة فى الألفاظ التى صرخ بها اليشع مودعا إياه فإنه صرخ قائلاً : "אָבִי אָבִי רֶכֶב יִשְׂרָאֵל וּפָרָשָׁיו" يا أبى ، مركبة إسرائيل وفرسانها " (الفقرة : ١٢) . لقد كان إلياهو حقاً مركبة مسلحة للدفاع عن إسرائيل ضد الوثنية . ولاشك أن أحد الاسباب الرئيسية لهذا الانتقال هو أن يكون شهادة لجيله ، فقد كان شعبه غارقاً فى شهواته لايفكر فيما وراء هذه الحياة ، أما انتقال إلياهو فقد أعطاهم برهاناً مقنعاً على وجود عالم روحى دخله الأبرار وعلى أن الروح لاتموت بموت الجسد ، كما كانت حادثة انتقال " حنوك חֲנוֹךְ (٢) إلى السماء قبل الطوفان شهادة مشابهة لرجال عصره .(٣) ويقترن انتقال إلياهو بحادث يعتبر من مميزات ذلك النبى العظيم نفسه ولو كان يتعلق بتلميذه وخليفته اليشع ويخبرنا العهد القديم أنهما بعد عبور نهر الأردن كانا " يسيران ويتكلمان " (الفقرة : ١١) وفى أثناء هذا الحديث " قال إلياهو لاليشع ": שְׁאַל מָה אֶעֱשֶׂה־לְּךָ בְּטֶרֶם אֶלָּקַח מֵעִמָּךְ اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أؤ خذ منك "(الفقرة ٩ أ) . وهكذا وضع إلياهو ثقته الكاملة فى اليشع ، الذى لم يطلب إلا الايمان :וַיֹּאמֶר אֵלִיָּהוּ שְׁאַל מָה אֶעֱשֶׂה לְּפָנֶיךָ בְּטֶרֶם אֶלָּקַח מֵעִמָּךְ" فقال اليشع ليكن نصيب اثنين من روحك على " (الفقرة : ٩ ب) ماذا كان يعنى اليشع بهذا الطلب : هل كان يريد أن يكون له نصيب اثنين من إيمان وقوة إلياهو الروحية اللذين تميز بهما . أو كان كل مايعنيه أن يحسب كابن إلياهو البكر ، وارث روحه ، وخليفته فى عمله . ويبدو أن هذا هو ما أراده أليشع

---

١) قارن الملوك الأول ١٨ : ٤٦ .

٢) חֲנוֹךְ حنوك . وهو ابن يارد وأبو متوشالح (راجع تكوين ٥ : ١٨ و ٢١) وهو السابع من آدم . ويخبرنا العهد القديم أن حنوك سار مع الله ، أى أنه عاش فى طاعة الله (تكوين ٥ :٢٢ و ٢٤) وعاش ثلاثمائة وستين سنة (تكوين ٥:٢٣) وأنه لم يوجد بعد ذلك لأن الله أخذه (راجع تكوين ٥ :٢٤) . وله سفر خاص به يسمى " سفر حنوك) وهو من الأسفار غير القانونية .
انظر : قاموس الكتاب ، المقدس . ص ٣٢ .

٣) Leaders of Israel, P. 166.

فهناك فقرة فى توراة موسى تبين صراحة أن " نصيب اثنين " هو حق الابن البكر والوارث : כִּי אֶת־הַבְּכֹר בֶּן־הַשְּׂנוּאָה יַכִּיר לָתֵת לוֹ פִּי שְׁנַיִם בְּכֹל אֲשֶׁר יִמָּצֵא לוֹ כִּי־הוּא רֵאשִׁית אֹנוֹ לוֹ מִשְׁפַּט הַבְּכֹרָה (١) - بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل مايوجد عنده لأنه هو أول ماقدرته له حق البكورية " . ولكن إلياهو وضع أمام اليشع شرطين كان لابد أن يجتازهما : أولاً : متانة القصد ، لقد امتحن إلياهو أليشع بعنف فى كل خطوة فى تلك الرحلة الوداعية . فمراراً قال له : שֶׁב נָא כֹּה امكث هنا" (٢) إلا أن أليشع كان يعرف مقصده وكان يعرف معنى الامتحان الذى كان لابد أن يجتازه فكان رده دائماً "חַי־יְהוָה וְחֵי־נַפְשְׁךָ אִם־אֶעֱזָבֶךָ" - حى هو الرب وحية هى نفسك انى لا أتركك " (الفقرات ٢ و ٤ و ٦) . وثانياً : البصيرة الروحية : حيث قال له إلياهو : " אִם־תִּרְאֶה אֹתִי לֻקָּח מֵאִתָּךְ יְהִי־לְךָ כֵן וְאִם־אַיִן לֹא יִהְיֶה " - إن رأيتنى أؤخذ منك يكون لك كذلك وإلا فلا يكون" (الفقرة : ١٠) ويبدو ان إلياهو كان يدرك انه لم يكمن هنالك فى كل إسرائيل فرد آخر له قلب طاهر وحياة روحية قوية يؤهلانه لرؤية هذا المشهد إلا أليشع الذى أمره الرب بحمل رسالته النبوية . وقد جاء الجواب من اليشع هادئاً "וַיָּרֶד אֶת־אַדֶּרֶת אֵלִיָּהוּ אֲשֶׁר־נָפְלָה מֵעָלָיו" - ورفع رداء إلياهو الذى سقط عنه " (الفقرة : ١٣) . ويالها من معان عميقة تظهر فى سقوط هذا الرداء عنه إذ يقال ان منح الرداء كان يعتبر فى الشرق القديم علامة لاغنى عنها للتكريس لوظيفة مقدسة (٣) . ولذلك فعندما سقط رداء إلياهو عند قدمى اليشع أدرك فى الحال أن السماء قد أجابت طلبه ، فبعد أن رأى إلياهو مرتحلاً آمن انه نال نصيب اثنين من روحه . ومن أجل هذا تصرف بثقة الإيمان : "וַיִּקַּח אֶת־אַדֶּרֶת אֵלִיָּהוּ אֲשֶׁר־נָפְלָה מֵעָלָיו וַיַּךְ אֶת־הַמַּיִם וַיֹּאמֶר אַיֵּה יְהוָה אֱלֹהֵי אֵלִיָּהוּ אַף הוּא וַיַּךְ אֶת־הַמַּיִם וַיֵּחָצוּ הֵנָּה וְהֵנָּה וַיַּעֲבֹר אֱלִישָׁע - فاخذ رداء إلياهو الذى سقط عنه وضرب الماء

---

١) التثنية ٢١ : ١٧

٢) راجع الملوك الثانى ٢ : ٢ و ٤ و ٦

٣) حياة إيليا : ص ١٥١ : ١٥٢

وقال أين هو الرب اله الياهو ثم ضرب الماء أيضا فانفلق الى هنا وهناك فعبر اليشع " . (الفقرة : ١٥) . ولما رآه بنو الأنبياء الذين فى أريحا قبالته قالوا قد استقرت روح الياهو على أليشع . وهكذا انتهى عمل الياهو ، وبدأ عمل اليشع ، الذى سيكمل عمل الياهو ويمسح حزائيل وياهو ملوكا . لكن يكفى مافعلته روح الياهو الحية فى الأجيال التالية فلن تثار بعد ذلك مسألة منافسة بعل ليهوه ولن تكون هناك خطورة من ان تصبح عبادة بعل ديننا عاما بعد الهزيمة الحاسمة له على يد الياهو(١).

أما فى الأجاداه فنجد ان الياهو لم يصعد الى السماء إلا بعد أن تصارع مع ملك الموت وتغلبه عليه : "בְּשָׁעָה הָעֲלָה הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא אֶת אֵלִיָּהוּ לָרָקִיעַ, עָמַד מַלְאַךְ הַמָּוֶת כְּנֶגְדּוֹ וְלֹא הִנִּיחוֹ לַעֲלוֹת. אָמַר לְפָנָיו: רִבּוֹנוֹ שֶׁל עוֹלָם, לֹא בִּרְשׁוּתְךָ מְסַרְתָּ כָּל בָּשָׂר וָדָם לַקַּחַת נִשְׁמָתוֹ מִמֶּנּוּ וְלַהֲבִיאָה לִמְקוֹם שֶׁאַתָּה אוֹמֵר לַהֲבִיאָה? אָמַר לוֹ הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא: עַל־מְנַת כֵּן בָּרָאתִי אֶת הַשָּׁמַיִם וְאֶת הָאָרֶץ. עַל־מְנָת שֶׁיַּעֲלֶה אֵלִיָּהוּ לַשָּׁמַיִם, אָמַר לְפָנָיו מַלְאַךְ הַמָּוֶת: עַכְשָׁיו יִהְיֶה פִּתְחוֹן פֶּה לַפְּרִיוֹת שֶׁלֹּא יִרְצוּ לִמְסֹר נִשְׁמוֹתֵיהֶם לְיָדִי. אָמַר לוֹ הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא: אֵין זֶה בִּשְׁאָר בְּרִיוֹת וְיָכוֹל הוּא לְהַעֲבִיר אוֹתְךָ מִן הָעוֹלָם וְאֵינְךָ יוֹדֵעַ כֹּחוֹ. רְצוֹנְךָ, רֵד וְנַסֵּה כֹּחֲךָ נֶגֶד כֹּחוֹ. מִהֵר מַלְאַךְ הַמָּוֶת וְיָרַד מִיָּד בְּיָן־שֶׁרָאָה אוֹתוֹ אֵלִיָּהוּ כָּפָתוֹ וְהִבְרִיחוֹ תַּחַת כַּפּוֹת רַגְלָיו וּבִקֵּשׁ לְהַעֲבִיר מִן הָעוֹלָם. אֶלָּא שֶׁלֹּא נָתַן לוֹ הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא רְשׁוּת לְהַעֲבִיר אֶת מַלְאַךְ הַמָּוֶת מִן הָעוֹלָם, אֶלָּא אָמַר לוֹ: כְּפֹת אוֹתוֹ וְעֲלֵה אַתָּה אֵלַי לַשָּׁמַיִם. כָּפָתוֹ אֵלִיָּהוּ וְעָלָה בִּסְעָרָה הַשָּׁמַיְמָה."(٢)

---

١) Leaders of Irael, P. 167. واستمر هذا الاعتقاد لدى شعوب الشرق الأدنى القديم حتى اننا نجد مظهراً له لدى عرب الجاهلية عندما كان يطرح الرجل رداءه على المرأة فيعتبر ذلك دليلاً على اختياره لها ، وتخصيصها له دون غيره .
انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل : زواج الأرملة فى التشريع اليهودى وتقاليد الشرق الأدنى القديم . مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثانى . ص ٨٨

٢) אגדות היהודים, כרך ג', עמ' 14. ==

حينما أصعد الرب الياهو إلى السماء تصدّى له مَلَكَ الموت ولم يتركه يصعد . وقال : يارب العالم . ليس من سلطتى تبليغ كل إنسان أخذ روحه منه والأتيان بها إلى المكان الذى تحدده أنت ؟ قال له الرب : ومع ذلك يصعد إلياهو إلى السماء . قال له مَلَكَ الموت : الآن ستجد البرية حجة وفصاحة لسان فى عدم تسليمى أرواحهم ! قال له الرب : ليس هذا كبقية الخلق فهو يستطيع اقصائك من العالم وأنت لاتدرك قوته . فلو شئت فانزل واختبر قوتك أمام قوته . فأسرع ملك الموت ونزل على الفور . وحينما رآه إلياهو تغلب عليه ووضعه تحت قدميه وأراد أن يقصيه عن العالم ، إلا ان الرب لم يعطه سلطة اقصاء ملك الموت عن العالم ، ولكن قال له : اخضعه واصعد أنت إلىّ إلى السماء . فأخضعه إلياهو وصعد فى العاصفة إلى السماء " .

ونجد بعض الباحثين لايتفقون مع الرؤية الشعبية المألوفة التى تقول ان إلياهو صعد بجسده إلى السماء ، كما يذكر " يوسفوس יוספוס " ان إلياهو اختفى من بين البشر ... وقد ذكرت الاسفار المقدسة ان (إلياهو وحنوك) قد اختفيا ولم يعلم أحد بموتهما "(١).

اما التنائى(٢) " רבי יוסי رابى يوساى "(٣) فهو ينكر تماماً صعود إلياهو

=) وعن الصراع بين "إلياهو" و"سمائيل סמאל " فى يوم الحساب العظيم راجع : אגדות הידודים, כרך ו, עמ' 103 ملاحظة ٢٧٥. وقارن الصراع بين موسى وسمائيل . כרך י"א עמ' 325.

١) קדמוניות, ٩ : ٢ ، ٢

٢) תנא - תנאי : كلمة آرامية تعنى : متعلم ، مقيد " من الفعل תנה بمعنى أعاد - كرر - تعلم (راجع صموئيل الأول ٢٦ : ٨ ؛ تكوين ٤١ : ٣٢) وتطلق هذه الكلمة على أى من حكماء إسرائيل فى زمن الهيكل الثانى وبعده من شمعون الصدّيق آخر عصر النسّاخ (فى نهاية القرن الثالث ق.م وحتى تلاميذ رابى يهوذا هنّاسىّ فى بداية القرن الثالث الميلادى .

٣) יוסי בן יועזר يوساى بن يوعزر : عاش فى فترة حروب المكابيين الأولى . حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد وقد كان كاهناً حسيدياً (משנה חגיגה ב,ב) وكان رئيساً أو وزيراً على صرده צרדה . وكلمة " יוסי " هى المنطوق الأورشليمى لكلمة יוסף . وقد كوّن مع יוסי בן יוחנן يوساى بن يوحنان الزوج الأول من الرواة التنائيم . انظر : د. عبد الرازق احمد قنديل . الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص ٢٤ و ٢٥

==

حيث يقول " ابداً ... لم يصعد موسى - وقت تلقى التوراة - وإلياهو إلى السماء". وطبقاً لما جاء فى التلمود يعتقد هذا التنائى " ان المكان المؤقت لموسى، والمكان الثابت لإلياهو هما فى مكان مابالقرب من السماء ولكنهما ليسا داخل السماء نفسها ".(١) وفى تفاسير أخرى يقولون ان مكان إلياهو الثابت يوجد فوق جنّة عدن(٢)، وان إلياهو " לא טעם מעולם טעם מיתה - لم يذق أبداً طعم الموت "(٣) بل حى وموجود إلى الأبد وهذا أيضاً هو الرأى المقبول والشائع فى الأدب التلمودى والمدراشى . أما آراء حكماء المدراشيم الصغيره فنخلص منها إلى ان جزءاً من المصادر القديمة تقول ان روح إلياهو هى التى صعدت إلى السماء ، بدون الجسد ، وهى فكرة عقلانية كانت غريبة تماماً على المصادر القديمة، وهؤلاء الحكماء لايرتابون فى ان إلياهو قد صعد بروحه إلى مكان ما غير الأرض ، سواء أكان فى السماء أم فى جنّة عدن أو فى أى مكان آخر بالقرب من السماء أو يحيط بها(٤). وقد ذكر فى " الزوهار זוהר " ان إلياهو ارتدى جسداً روحانياً حتى يمكنه الصعود إلى السماء ، ولكنه عندما ينزل إلى الأرض فإنه يعود ويرتدى جسده الأرضى(٥).

=) انظر أيضاً: מסכת אבות. מפורשת ומבוארת בצירוף מבוא מאת בן ציון דינור, הוצאת מוסד ביאליק ירושלים תשל"ח. הדפסה שניה, עמ' 43.

١) מכילתא דב חודש. פרק ד' סה. ב ; מסכת סוכה ה', א. ולايوجد أى اثبات بان هذا الرأى قصد به نقض العقيدة المسيحية بصعود المسيح فليس هذا الرأى وحده الذى يذكر ذلك بل أيضا فى الترجمة السبعينية وفى ترجمه ابن سيرا ٤٨ : ٩ ذكر كلمة מעלה ומרום ولم يذكر كلمة

٢) מסכת דרך זוטא פרק א'.

٣) מדרש בראשית רבה כא, ה ;

٤) סדר עולם. פרק ב', פרק יז ; انظر أيضاً מועד קטן כז : ١ ; פסיקתא דרבי כהנא. מהדורת בובר, ליק, 1860, פרק ט', ١٧:١ ; ויקרא רבה ٢٧ : ٤ ; קוהלת רבה ١٢:٢, תנחומה. מהדורת בובר, מדרש תנחומא הקדום והישן. וילנה 1885, ויקרא 90.

٥) זוהר. חלק ב', קצז. א.

وهكذا تنتهي سيرة إلياهو النبي في أسفار الملوك ، وحسب رأي المؤرخين فإن نهاية أعمال إلياهو قد حدثت في أيام "آحازيا بن آحاب" أو "يورام بن آحاب" ، فطبقاً لما جاء في سفر الأخبار الثاني (٢١ : ١٢) ان إلياهو أرسل خطابا إلى "يورام بن يهو شافاط" (٨٥٠ - ٨٤٣ ق.م تقريباً) ملك يهوذا ، ولكن السؤال المطروح هو هل أرسل إلياهو الخطاب إلى يورام عندما كان يحكم بالنيابة أيام "مُلك يهو شافاط" ؟ إن كان الأمر كذلك فمن المحتمل ان هذا الحدث وقع في أيام آحاب أو ابنه آحازيا ، أما ان كان الخطاب قد أرسل إلى يورام عندما كان هو الحاكم الوحيد على يهوذا فان هذا الحدث يكون قد وقع في أيام يورام بن آحاب . على أية حال فانه واضح من بقية الأحداث أنه في أيام يورام بن آحاب عمل اليشع تلميذ وخليفة إلياهو[1].

رؤية نقدية لقصص إلياهو

إن حرب "إلياهو النبي" ضد عبادة "بعل" وشجاعته في مقاومة هذه العبادة الوثنية قد بدأت كما ذكرنا من قبل بغيرته الشديدة للرب التي أدت إلى منع الامطار واعلان الجفاف ثم اختفاء النبي (الاصحاح ١٧ من الملوك الأول) ، ثم واصلت استمرارها "بالمناظرة" فوق الكرمل وسقوط الأمطار (الاصحاح ١٨) ثم انتهت بالنبوءة الرهيبة والخراب التام (الإصحاح ١٩) . ولاشك إن هذه الأجزاء الثلاثة مشدودة إلى بعضها البعض فمن ناحية سرد المعلومات نجد تسلسلاً منطقياً يتصل بحلقة سببية موضوعة في تعاقب زمني ومكاني واضح ، ويستثنى من ذلك افتتاحية الإصحاح ١٧ : ٣ التي لم يذكر فيها المكان "לך מזה ופנית לך קדימה" - انطلق من هنا واتجه نحو الشرق " ويتضمن هذا الإطار أيضا وصف تعيين اليشع في وظيفة نبي خلفاً لإلياهو (الاصحاح١٩ : ١٩ - ٢١) ؛ هذا بينما بقية قصص إلياهو - كرم نابوت (الاصحاح ٢١) والمواجهة بينه وبين رسل آحازيا (الملوك الثاني : ١) ، وصعود إلياهو (الملوك الثاني : ٢) -

---

١) אנצ'ק' מקר' ,כרך ב' ,עמ' 341.

وراجع : סדר עולם פרק י"ז ונתן יוספוס : קדמוניות ט' ה,ב.

حيث تذكر ان إلياهو نزل إلى الأرض بعد سبع سنوات من وقت صعوده إلى السماء، وكان أول أعماله على الأرض هو رسالته ليهورام ملك يهوذا .

لاتدخل ضمن هذا الإطار من ناحية الزمان والمكان . والمضمون القصص . والموضوعى . وعليه فالسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل الوحدة الأدبية للاصحاحات (١٧ - ١٩) يجب تقييمها كوحدة رئيسية فى عملية التأليف ؟ ام يحتمل انها ليست إلا وحدة ثانوية فى عملية الترتيب ؟ والإجابة الشائعة بين المباحثين أنه ليس أمامنا الا مختارات قصصية وحكايات ونوادر - ذات درجات مختلفة من البلورة - تم ادخالها بكفاءة عالية داخل إطار قصة واحدة مسلسلة ، ولكن من ناحية أخرى فان طابعها غير المتجانس و" أماكن الربط " بين حلقاتها معروفة لدينا جيداً . وهذه النتيجة تعتمد بعض الشىء على دراساتنا لأسلوب وبناء هذه الاصحاحات ووحدة موضوعاتها : أولاً : فبين الاعلان عن الجفاف فى وجه الملك (١٧ : ١) وأمر الرب لإلياهو بالعودة للقاء آحاب وتبشيره بالمطر (١٨ : ١) يسرد القاص ثلاث معجزات يبدو اتصالها بالجفاف ثانوياً ، وهى : إعالة الغربان للنبى عند نهر كريث (١٧: ٢ - ٧) ثم إعالة النبى والأرملة وابنها فى صرفة (١٧ : ٨ - ١٦) ، وأخيراً إحياء ابن الأرملة (١٧ : ١٧ - ٢٤) والانطباع باستقلال مصدر هذه الحكايات الثلاثة يستمد قوته من قوة تكرار وجود هذه الموتيفات (الأفكار الرئيسية) فى العهد القديم وخارجه [٢]، ومن قوة الاتصال الضعيف بموضوع القصة (الجفاف) وشخصية بطلها (إلياهو النبى) . هذا بالإضافة إلى ان خطوط التقطيع بين هذه الحكايات الثلاثة حادة وبارزة ، مما يدل على انها وضعت الواحدة وراء الأخرى بدون أية

---

١) فى الترجمة السبعينية تلى قصة نابوت اليزرعيلى الإصحاح ١٩ ، وفى النسخة الفاتيكانية للعهد القديم ينقص ذكر الزمن : "ויהי אחר הדברים האלה" وحدث بعد هذه الأمور " (٢١ : ١) من الجملة الافتتاحية فى القصة . وبدون بحث العلاقة بين الاصحاحين يكفى الاشارة إلى ان وجود إلياهو فى يزرعئيل (الاصحاح ٢١) بعد هروبه إلى الصحراء خوفا من بطش إيزابل (الإصحاح ١٩) قد جاء بدون توضيح وبدون ربط . والمدهش فى هذا الأمر عدم ذكر الفترة الزمنية التى مرت فى تلك الأثناء . والأهم من ذلك انه من أسلوب الإصحاحات (١٧ - ١٩) يمكننا الوقوف على تغيير المكان والاستمرار الزمنى فى حين ان هذه الاستمرارية قد انقطعت بخروج إلياهو واليشع خادمه من " آبل محولة " إلى جهة غير معروفة (١٩ : ٢١).

٢) موتيف الإعالة الاعجازية مروىّ عن موسى أيضاً (انظر خروج ١٦ : ١١ - ١٣) وعن اليشع (الملوك الثانى ٤ : ١ - ٧ ، ٣٨ - ٤٤) . وعن اليشع أيضاً ذكر قصة إحياء غلام (الملوك الثانى ٤ : ٨ - ٣٧).

مراعاة لدمج أو اتحاد . ولذلك فالقاص لم يكن فى حاجة إليها ليملأ المسافة الزمنية المكونة من ثلاث سنوات ، وقد هدفت هذه التغطية الزمنية إلى تمكين القارئ من تتبع النبى فى رحلاته التى حظى فيها بمكارم الرب المدهشة ، والوقوف على خطورة عقوبة الجفاف الذى ساد المنطقة فى ذلك الوقت : جفاف نهر كريث من امتناع المطر (١٧ : ٧) وفى صرفة وصلوا حتى آخر كسرة خبز(١٧ : ١٢)(١).

ويرى " جونكل " عدم وجود أى خط مميز لشخصية إلياهو النبى فى هذه الموتيفات ، كذلك أيضاً عدم وجود تطور ذا مغزى من معجزة إلى أخرى . علاوة على عدم وجود أى اتصال ولو غير مباشر لاحياء الغلام بموضوع الجفاف ولذلك ربما لم يكن ينقص القصة شىء لو حذف موضوع الإحياء(٢).

ثانياً : يتكون الاصحاح (١٨) - كما ذكرنا من قبل - من ثلاثة أجزاء : الأول يحكى فيه كيف التقى إلياهو - عوبديا ، وبعد ذلك آحاب عند مداخل السامرة التى تعانى من الجوع الشديد (الفقرات ١ - ٢٠) ، والجزء الثانى مخصص لقضية المناظرة فوق الكرمل ولانجد فيه أية اشارة للجفاف أو لآحاب (الفقرات ٢١ - ٤٠)، غير أن فى الجزء الثالث يعود القاص ويصف علاقة " إلياهو - آحاب " ، بناء على بشرى المطر العظيم الذى سينهمر على البلاد (الفقرات ٤١ - ٤٦) . وهناك من الباحثين من يزعزع ثقة بداية المشهد بين " إلياهو - عوبديا " ، حيث يرون انه مشهد منسوخ " نموذج شان " للقاء " النبى والملك " . ويقولون ان هذا " النسخ " هدف إلى إثراء القصة بعنصر الإشارة .أى جعلها تحكى بطريقة الرجوع إلى الخلف ، إلى ماحدث فى تلك الأثناء فى السامرة من ابادة لأنبياء الرب والبحث اليائس عن إلياهو . ولكن من ناحية أخرى فلا يزعزع أحد من الباحثين العلاقة الوطيده بين الجزء الأول فى الإصحاح والجزء الأخير منه وبرجوع الجزأين إلى موضوع الجفاف .

---

١) وقد تغلب - على ذلك كما ذكرنا من قبل - أصحاب المدراشيم والذين ربطوا بين القصص المنفردة بمساعدة تفسيراتهم عن مفتاح الامطار الذى أعطى فى يد إلياهو لكى يمكنه من معاقبة آحاب على كلمات التجديف التى ذكرها وقت تقديم التعازى فى بيت " حيئيل " ، والذى أخذ منه مقابل مفتاح إحياء الموتى الذى احتاج له لإحياء ابن الأرملة .
انظر : סנהדרים קי"ג . ע"א . ילקוט שמעוני ב' ,ר"ז .

٢) H. Gunkel. Elias. J. und Baal, P. 11.
انظر أيضاً : לבסיקון מקרא' ,ערך אליהו.

وفى مقابل بنية القصة وشخصياتها فان المدهش جداً عدم ذكر " منع الامطار " فى كلمات إلياهو إلى الشعب والصمت التام عن أعمال آحاب أثناء المناظرة فوق الكرمل : فهل ركع الملك حقاً على وجهه للرب مع كل الشعب ؟ وهل انضم إلى من نزلوا إلى وادى قيشون ؟ وهل سكت على قتل أنبياء بعل ؟ أيضا هناك صمت القاص عن أعمال الشعب وقت أن تكدرت السماء وسقط المطر على الكرمل . ومع ان الشعب أثبت بالقول والعمل أنه جدير ببركة السماء إلا ان النبى لم يشرك الشعب فى بشارته للملك " אֱסֹר וָרֵד וְלֹא יַעַצָרְךָ הַגֶּשֶׁם . (١) - اشدد وانزل لئلا يمنعك المطر " . وليس هذا فقط بل امتنع القاص أيضاً لسبب ما عن صياغة النهاية المألوفة بخصوص عودة المجتمعين كل واحد إلى بيته (٢). وقد زادت هذه الفجوة - بين قصة المناظرة فوق الكرمل وقصة الجفاف - عمقاً نتيجة لعدة تساؤلات أهمها :

(أ) تناقض المعلومات على لسان القاص : بين قول عوبديا لإلياهو أنه قام باخفاء مائة نبى فى المغارات (١٨ : ٤) ، وكلمات إلياهو إلى الشعب فى الكرمل :" נוֹתַרְתִּי נָבִיא לַיהוָה לְבַדִּי - يقيت نبياً للرب وحدى " (١٨ : ٢٢) (٣)

(ب) لاتتضمن قصة المناظرة أى ذكر لأنبياء السوارى الذين تعولهم إيزابل וְעַתָּה שְׁלַח קְבֹץ אֵלַי אֶת־כָּל־יִשְׂרָאֵל אֶל־הַר הַכַּרְמֶל וְאֶת־נְבִיאֵי הַבַּעַל אַרְבַּע מֵאוֹת וַחֲמִשִּׁים וּנְבִיאֵי הָאֲשֵׁרָה אַרְבַּע מֵאוֹת אֹכְלֵי שֻׁלְחַן אִיזֶבֶל - فالآن ارسل واجمع إلىَّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء بعل أربعمائة وخمسين وأنبياء السوارى أربعمائة الذين ياكلون على مائدة ايزابل " (١٨ : ١٩).

---

١) الملوك الأول ١٨ : ٤٤

٢) قارن على سبيل المثال : يشوع ٢٤ : ٢٨ ؛ قضاة : ٢١ : ٢٤ ؛ وصموئيل الأول ٨ : ٢٢ .

٣) هذه المشكلة تفاقمت بعد كلمات إلياهو فى شكواه فى حوريب " ואת נביאיך הרגו בחרב ואותר אני לבדי.. (١٩ : ١٠) حيث اصبحمن غير الممكن بعد ذلك حلها ، فازاء الاخفاء السرى الذى قام به عوبديا كان باستطاعة إلياهو أن يعرف نفسه فى الكرمل كآخر نبى للرب .

(ج) المياه الوفيرة التى تم سكبها على مذبح إلياهو مدهشة حقاً بعد ماورد عن الجفاف الرهيب المذكور فى بداية الاصحاح(١).

(د) إذا جاءت كلمات إلياهو لآحاب : " עלה אכל ושתה - أصعد كل واشرب " (الفقرة ٤١) بعد وصف النزول إلى نهر قيشون الذى جاء فى الفقرة السابقة ، فانه يمكننا الاستنتاج ان ملك إسرائيل اشترك حقاً - ولو بشكل محتمل - فى قتل أنبياءه ، ولكن هذا الاستنتاج فى حد ذاته يبدو جريئاً بعد اطلاعنا على الطريقة التى حكى بها آحاب هذه الأحداث لزوجته .

(و) فى التسلسل المنطقى للأحداث تظهر مشكلة اعلان إلياهو لآحاب " كُل واشرب " (الفقرة : ٤١) مما أدى إلى نقص التبرير والتعليل فى هذا التسلسل ، كما أنه من المدهش حقاً عدم وجود توضيح متى وأين انضم إلى إلياهو الغلام الذى ظهر إلى جانبه فجأة عندما خرّ على الأرض (الفقرتين ٤٣ و ٤٤)

هذا فيما يتعلق بالمشاكل الموجودة فى الإصحاحين ١٧ و ١٨ ، أما المشاكل التى تتعلق بالإصحاح ١٩ وربطه بالإصحاحين السابقين ، فهى أخطر من سابقتها. ويجدر بنا أن نحصيها حتى نتوقف على ظاهرة التناقضات بين أحداث الإصحاحات الثلاثه : ١٧ و ١٨ و ١٩ . فمثلاً لاتوجد استمرارية واضحة بين الانتصار العظيم للرب ولنبّيه فى الكرمل ، والاحساس بالشغل التام أو الاحباط الذى سيطر على النبى فى اليوم التالى ، وكذلك لايتضح لنا كيف حدث تهديد إيزابل للنبى - التى فضلت على أى حال عدم المخاطرة بقتل النبى والاكتفاء بمطاردته - لكى تلغى تماماً هذا الانجاز العظيم ، وبالذات عملية توبة - כָּל-הָעָם -"كل الشعب "

---

١) يحاول " ايسفلدت Eissfeldt " تسوية هذه المسألة بافتراضه ان الأحداث ذات الأهميه السياسية الكبرى يتم فيها بذل كل جهد ممكن من أجل تحقيق الغرض . لكن الحق مع " شطق - " بتأكيده أن توضيح أيسفلدت يخدم فقط الناحية الموضوعيه لا الناحية الأدبية . فالعقدة ليست فى المشكلة العملية - كيف توفرت لهم المياه - بل فى امتناع القاص عن الإجابه عليها .

- O.Eissfeldt, Der Gott Karmel, Berlin. 1953.P.34
O.H. Stech: Uberlieferung und Zeitgeschte in den Elia Erzählungen, Neukirchen. 1968. P.9.

(١٨ : ٣٩) . وكذلك عندما نجد توضيحاً نفسانياً للأزمة التى حلّت على إلياهو ، فى تقديره للموقف وتبريره له " כִּי־עָזְבוּ בְרִיתְךָ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל אֶת־מִזְבְּחֹתֶיךָ הָרָסוּ וְאֶת־נְבִיאֶיךָ הָרָגוּ בֶחָרֶב ـ لان بنى إسرائيل تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف " (١٩ : ١٠) هذه الكلمات لم يرفضها الرب فى كلمته إليه ، بل على العكس فاننا نجد ان شكوى النبى هى التى تمثل لائحة الاتهام التى عليها يصدق العقاب الإلهى . إذاً فالمشكلة الكبرى أن هذا الاتهام لايتضمن أية إشارة لإيزابل والبيت الملكى ولكن السلسلة الحديدية معلقة كلها فى أعناق الشعب . وهذه الرؤية ، التى تتعارض سواء مع استجابة الشعب فى الكرمل أو مع اتهام ايزابل فى بداية الإصحاح ١٩ ، تنعكس أيضاً فى الحكم " וְהִשְׁאַרְתִּי בְיִשְׂרָאֵל שִׁבְעַת אֲלָפִים ـ وأبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف " (١٩ : ١٨). هذه البقية التى تم تعريفها بـ " כָּל־הַבִּרְכַּיִם אֲשֶׁר לֹא־כָרְעוּ לַבַּעַל וְכָל־הַפֶּה אֲשֶׁר לֹא נָשַׁק לוֹ ـ كل الركب الذين لم يجثو لبعل وكل فم لم يقبله " (١٩ : ١٨ ب) ممايؤدى إلى التعارض مع مبدأ التوبة الذى تستند عليه قصة الجفاف (الإصحاح ١٧) وقصة المناظرة فوق الكرمل ! وتضاف إلى هذه الصعوبات مشاكل أخطر تصعب من عملية فهم الإصحاح ١٩ . من بينها :

أ ـ التكرار الغريب للسؤال : "מַה־לְּךָ פֹּה אֵלִיָּהוּ مالك هاهنا يا إيليا " (الفقرات ٩ و ١٣) الذى جاء قبل وبعد تجلى الرب ، ومعه تكررت أيضا إجابة إلياهو " קַנֵּא קִנֵּאתִי غيرت غيرة " (الفقرات ١٠ و ١٤) كإنما لم يحدث شىء فى تلك الأثناء .

ب ـ بقاء مغزى التجلى الإلهى الذى حظى به إلياهو غامضاً ، رغماً عن التفسيرات الكثيرة التى قدمت لتوضيحه ، ومحاولة ربط تجلى الرب بعلامة النار فى الكرمل التى سبقت تجليه ، بعقوبة الخراب التى تلت تجليه .

هذا ولايتفق معظم الباحثين على فكرة عدم توافر وصف مفصل لمسح إلياهو لياهو وحزائيل إلا إنهم يتفقون تماماً على وجود فجوة عميقة بين الأمر بمسح اليشع نبياً وتعيينه خادماً ، وعلى أى حال فان الإجابة على مسألة انتساب قصة تعيين اليشع إلى قصة التجلى (الاصحاح ١٩) تقوم على تقييم هؤلاء الباحثين

لهذه الاحداث[١].

والواقع ان ابحاث العهد القديم بعيدة من أن تكون علم دقيق ، فلابد فيها من آراء شخصية تعبر عن أصحابها ، حيث يتقدم كل باحث بطرح مفاهيمه الخاصة التى تتضمن عاملين متعارضين يتربصان به : العامل الأول مزيد من الجانب النقدى، والثانى شيئاً من التوافقية ، وتعكس هذه الآراء الذاتية ،جوهر عملية الاختيار للقرارات الحاسمة الخاصة بالمشاكل الحقيقية والمشاكل الوهمية . وتنتقل هذه الذاتية الناقدة إلى تقديم الإجابات والحلول المقترحة على الصعوبات والمشاكل التى تم طرحها من قبل ، وهناك كما ذكرنا إجابات وأمور تسهل المشكلة بدلاً من حلها ، مثل ماذكره " راولى Rowley " الذى توصل إلى أن " بداية الجفاف عقب اعلان إلياهو للملك ، ونهاية الجفاف بالمناظرة فوق الكرمل ، تشكلان قصة واحدة "[٢]، بدون أن يلتفت إلى المشاكل الكثيرة التى سبق طرحها ، ويبدو أن استنتاجاته الأدبية قامت على دراسات واعتبارات تاريخية فقط . فهو يرى ان القصة متجانسة بسبب تسلسل الأحداث فيها وبذلك اجتازت امتحان النقد التاريخى . ويبدو ان هذا الخلط فى الأساليب النقدية شائع جداً فى أبحاث العهد القديم ، ويبدو أنه من غير الممكن التخلّص منه تماماً ازاء الطابع التاريخى لأسفار هذا الكتاب من ناحية ، وقلة معلوماتنا عن وسائل تجميعها وتقديمها من ناحية أخرى . والذى يوضح ان أساس محاولة " راولى Rowley " فى اثبات ان الادعاءات التاريخية التى وجهت ضد وحدة قصة إلياهو التاريخية ليست قوية ، هو عدم وجود أى تمييز بين الاستدلال التاريخى - القائم على الواقع - ، والاستدلال الأدبى - الذى هو ادعاء جميل - ، ومع ذلك فان القيمة الحقيقية لمقولته توجد فقط فى المجال التاريخى ذاته ، أما استنتاجاته الأدبية فغير واضحة ، علاوة على ذلك فان اعطاء التفسير التاريخى للمصدر الأدبى يشترط الفهم المناسب لوسائل التعبير التى نحتاج اليها ، وبالرغم من ان القيمة الحقيقية لدراساته توجد فى المجال

---

١) עיון מקרא ופרשנות עמ' 55.

٢) H.H. Rowley. Elijah on Mount Carmel. Men of God London, 1963. P. 63.

التاريخى إلا أنه لم يضمنها حلول المشاكل التاريخية الموجودة فيها . ويجدر بالذكر انه من الضرورى أن يسبق التفسير الأدبى للنصوص - ولو انه لايحدث دائماً - بعملية تحليل تاريخى لئلا يؤدى كشف الـ " نواة " التاريخية التى توجد داخل الغلاف الأدبى إلى ازدراء الكلمة وعدم التوغل داخل الصورة . ويبدو ان شيئاً كهذا حدث مع " راولى " كما أشارت إلى ذلك الطريقة التى حاول بها اقامة جسر فوق الفجوة التى تفصل بين الإصحاح ١٨ و ١٩ حيث نجده يقول : " من أجل الدين ، تعتبر هذه الفترة فترة خطيرة ، وذلك بفضل واقعية إلياهو لانه كان يدرك ان النجاح فى أزمة واحدة يصاحبه تحد جديد ومختلف ولذلك بقى كل شئ على ماهو عليه، فوثنية إيزابل ورغباتها العنيدة ألزمت باستمرار الحرب من أجل الرب "(١).

وبالنظر فيما ذكره " راولى " نجد ان هذا المستوى من التجريد النموذجى لم يترك وراءه أى توتر بين الاصحاحين ١٨ و ١٩ ولكن من المؤكد ان الكلمات العامة من هذا النوع مثل " تحد جديد ومختلف " لاتبرر شكوى النبى القائمة فى الواقع على أخطاء الماضى (٢).

ويفترض " ايسفلدت - Eissfeldt " أيضاً الوحدة الأدبية للقصة ، لكنه لايدافع عنها ضد الاعتراضات التاريخية التى وجهت ضدها حيث نجده لايستعين بادعاءات تاريخية مضادة بل على العكس هو يدرك تماماً مايتطلبه الأسلوب العلمى فى البحث من فصل بين الدراسات التاريخية والأدبية إلا انه قد انساق إلى الأسلوب الأدبى بدون تمييز بين مستوى الأحداث ومستوى تعبيره عنها فقد زعم فى تصويره للانتصار العظيم على عبادة بعل فى الكرمل أنه انتصار نهائى ومطلق وأنه نتيجة للأسلوب المقرائى الذى يميل إلى لغة الحاضر وتضخيم الأحداث المحلية لأبعاد وطنية . ولكن هذا الادعاء الذى يرجع إلى طريقة السرد فى الاصحاح ١٨ لايوجد فيه شيئ يساعد على ربطه بالاصحاح ١٩ لان المشكلة ليست فى جوهر المبالغة فى تصوير الانتصار بل فى الصمت الغريب للاصحاح ١٩ ازاء المبالغة الواضحة فى الاصحاح ١٨ .

---

١) المصدر السابق . ص ٦٤

٢) עיונ מקרא ופרשנות, עמ' 56.

وهو يرى أيضاً وجود اتصال ورباط منطقى واضح يربط قصة الجفاف بقصة المناظرة فى الكرمل ويستدل على ذلك بقوله " إن القاء الكلام على عواهنه أمام الملك واتهامه " بمعكر إسرائيل " ليس له تفسير إلا ان الجفاف سببه عبادة آحاب لبعل وان الشر لن يحيد عن إسرائيل طالما تنتشر فيها هذه العبادة " ، وبهذه الطريقة يستخدم " أيسفلدت " الفقرات ١٧ و ١٨ فى الإصحاح ١٨ كخلفية وإعداد لقصة المناظرة فى الكرمل والتى تبدأ بالفقرة ١٩[١]، أما ابتعاده عن الوجه الشاعرى الموسيقى للنص فهو انعكاس لرؤيته المبدئية حيث يرى أنه يجب على الباحث البحث عن الوحدات الكبرى لئلا يقوده الجهد والبحث وراء الوحدات الأولية إلى تقسيم النص لجزئيات صغيرة . ولذلك فهو يكتفى بالاعتراف بوجود مرحلة قبل أدبية للقصة وبوجود مكونات أولية مستقلة لها[٢]. هذا وينصب اهتمامه على تمييز هوية المصادر وربطها بمثيلاتها فى العهد القديم ، وخلال وجهة نظره هذه يبدو له ان مشاهد القصة ترجع إلى مصدر واحد ليس فقط الإصحاحات ١٧ و ١٨ و ١٩- والتى تشمل أيضا مشهد تعيين اليشع - ، بل ايضا الإصحاح ٢١ من الملوك الأول (باستثناء الفقرات ٢٧ - ٢٨) والإصحاح الأول من الملوك الثانى - الفقرات ٢ - ٨ - ، وكل ذلك ليؤكد لنا ان الاستقراء العلمى العام من شأنه أن يؤدى إلى التوافقية .[٣] أما " جونكل Gunkel " فيرى فى الاصحاحين ١٧ و ١٨ " بناء تأليفى مترابط جيداً "[٤]. بينما يرى ان الاصحاح ١٩ ترجمة مختلفة للإصحاحين ١٧ و ١٨ وان اتصاله بهما ثانوى ومصطنع[٥]. وفى الحقيقة ان " جونكل " قد ساهم إلى حد ما فى فهم تركيب الاصحاحين ١٧ و ١٨ حيث قام بتجميع مكوناتهما الأصلية فى وحدة قصصية واحدة . فهو يرى ان قصة الجفاف من الناحية الأسلوبية تبدأ بالاصحاح (١٧ : ١)

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 54.
O.Eissfeldt, Der Gott Karmel. Berlin 1955., PP. 34-39.

٢) Q. Eisseldt: The Smallest Liberary Unit in the Narrative Books of the O.T. in : Old Testament Essay Edited by D.C. Simpson, London, 1927,PP.85-93.

٣) O.Eissfeldt: Einleitung in das; A.T., Tübingen,1964;PP. 390-393.

٤) H.Gunkel, Elias, J, und Baal. Tübingen 1906, P.8.

٥) المرجع السابق ص ٢٠ - ٢١

وان الفقرة التى تتحدث عن أخطاء آحاب (١٧ : ٢٩ - ٣٤) تنتمى بشكل واضح إلى الجزء الثانى من القصة ، ولكن حسب رأيه ان القصة لايمكن فهمها بدون تقديم معلومات عن قيادة آحاب لعبادة بعل فى إسرائيل عقب زواجه من بنت ملك صور ولذلك فهو يرى ان اعلان الجفاف (١٧ : ١) كان يسبقه توضيح وتفصيل للخطايا إلا ان المعد فضل حذفها والإتيان بملخص لها . وحسب هذه الفرضية المنطقية (١) ابتدأت القصة الأصلية فى رأيه بقيادة عبادة بعل وباعلان الجفاف ، وانتهت باستئصال عبادة بعل وبسقوط الأمطار ، وهذا البناء الدائرى الذى تجيب نهايته على بدايته ، ينقسم أيضاً فى رأيه إلى جزأين متمييزين،ويتضح ذلك من قوة افتتاحيتهما :

(١٧ : ١) كلمة الرب بخصوص منع الأمطار ∴ (١٨ : ١)كلمة الرب بخصوص اعطاء الأمطار

(١٧ : ٣) اختباء إلياهو ∴ (١٨ : ١) ظهور إلياهو

ويقول جونكل ان الاحتياج إلى بدايتين مختلفتين للقصة أدى إلى عدم تماسكها وإلى العرض المتكرر للافتتاحية (٢)،ولكنه قد أصاب عندما فسر المقابلة التركيبية

---

١) وقد كان " فلهاوزن Wellhausen " أول من أقترح هذه الفرضية فى كتابه Die Composition des Hexateuchs und der Historischen Bücher des ATS. Berlin 1889, P. 278.

وقد افترض انه فى البناء التأليفى الأصلى تم ذكر مطاردة إيزابيل لأنبياء الرب . وهذا الافتراض لم يقبله" جونكل " وماجاء بعده من الباحثين حيث وجدوا ان الفقرات ٣ و ١٣ من الاصحاح ١٨ مفهومة جيداً من تلقاء نفسها ، وأما اختفاء إلياهو فى كريث فهو أيضاً تم تعليله بمافيه الكفاية داخل القصة ، وأما الادعاء المضاد الذى طرحه " قوفمان קויפמן وهو ان مطاردة إيزابيل لأنبياء الرب لم تأت إلا كرد فعل على قتل أنبياء بعل فى الكرمل ، وهذا الادعاء لايوجد له أى سند فى النصوص المقرائية . أما ترتيبه المقلوب للأحداث فلم يهدف إلا إلى تدعيم نظريته الخاصة بالمكسب الضعيف الذى حظت به الوثنية فى إسرائيل ، وطبقاً لنقده - للنصوص فليس لها عنده أى مغزى أدبى .

انظر أيضاً : תולדות האמונה הישראלית, כרך א', עמ' 670.

٢) وهناك عيب منهجى آخر عند جونكل يظهر فى ربطه بداية القصة مع نهايتها حيث يتجاهل الخاتمة الحقيقية للجزء ، الثانى : ركض إلياهو أمام مركبة الملك (١٨ : ٤٦) ، ومهما يكن مغزى هذا الركض فمن الواضح ان موتيف الخاتمة يدور حول علاقة النبى - الملك،لاحول الأمطار حسب ادعاء جونكل. ولذلك فان (١٨ : ٤٦) تعود إذاً على الافتتاحية الحقيقية للقصة (١٧ : ١).

بين الإصحاح ١٧ : ٣ - ١ والإصحاح ١٨ : ١ بانها هدفت إلى تضمين الجزء الأول للقصة مع الجزء الثانى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فليس ممكناً موافقته بان نقطة تقاطعهما عند التقاء قمة الجزء الأول الصاعد إلى أعلى مع قمة الجزء الثانى المتجه إلى أسفل ، حيث ان الجزء الأول غير مخصص كلية وأصلاً لوصف التجسيد التدريجى للمجاعة فى إسرائيل - وان كان قد تضمن القليل الذى أشير إليه بطريقة غير مباشرة فقط - بينما التجسيد القوى الملموس لعبارة " וְהָרָעָב חָזָק בְּשֹׁמְרוֹן - واشتد الجوع فى السامرة " (١٨ : ٣) تمثل بالذات فى بداية الجزء الثانى (١٨ : ٣ - ٦) ، ومن أجل اثبات التماسك بين الجزأين يتجاهل "جونكل" الفرق بين كلمة النبى (باسم الرب) إلى الملك (١٧ : ١) ، وكلمة الرب للنبى (١٨ : ١) . والحقيقة ان المقابلة الموضوعية الدقيقة للاصحاح ١٧ : ١ ليست إلا بشارة المطر التى ذكرها إلياهو لآحاب (١٨ : ٤١ و ٤٤) وهذه المقابلة يحتمل انها وردت فى نهاية الإصحاح لتأخذ صورة الحل لمشكلة تماسك القصة ، بينما يقول الواقع ان التحول فى سير القصة والذى تم التعبير عنه بالمقابلة التضادية بين الإصحاح ١٧ : ١ - ٣ ، مع الإصحاح ١٨ : ١ ليس فى الانتقال من الجفاف المستمر فى خطورته إلى المطر الذى على وشك الاقتراب ، بل فى الانتقال من اختفاء النبى إلى ظهوره (١). ولكن جونكل لم يبحث بدقة هذا الأمر لأنه لم يتعامل مع قصص المعجزات فى نهر كريث وفى صرفه كتعامله مع الأجزاء التكميلية للقصة وكان مهتما فقط باعادة تكوين القصة عن طريق ربط بدايتها مع نهايتها وتقسيمها إلى جزأين حيث بدت له المكونات الثلاثة للاصحاح ١٧ وحدات قصصية مستقلة وان اتصالها ببعضها البعض وتسلسلها العام متداع بدرجة كبيرة ، والقاص لم يستغلها إلا لمجرد الحشو فقط . هذا بينما يرى فى الإصحاح ١٨ وحدة واحدة ، لكنه أيضاً كشف فيه أبعاداً غير جوهرية فى حبكة القصة ، فيقول : أن القاص لم يقدم لقاء إلياهو وعوبديا فى مقابل لقاء النبى والملك وصعود الغلام نحو طريق البحر

---

١) طبقا لذلك فان المقابلة بين الافتتاحيات غير متعارضة فقط بل أيضاً متناقضة ، فقد عكس جونكل ترتيب العناصر فى الفقرة الأولى من الإصحاح ١٨ لكى يبرز علاقتها بالفقرات ١ - ٣ من الاصحاح ١٧ بينما الحقيقة ان ذكر الجفاف فى الاصحاح ١٧ قد سبق أمر اختباء النبى ، فى حين أنه سبق أمر الظهور فى الاصحاح ١٨ : ١ تأكيد نزول الأمطار وذلك لندرك إن مركز التحول فى القصة هو فى عودة النبى .

سبع مرات إلا لكى يعطى الحدث خلفية الإحياء والإثارة (١). وهكذا نجد ان منهج "جونكل" يهتم اهتماماً كبيراً بالتحليل التكوينى (البنيوى) والتفسيرات التكنيكية الوظيفية حيث يقوم بتسليط الضوء على صنعة الراوى ، وعلى التاريخ الأدبى فى محاولة لاعادة تكوين شخصية إلياهو التاريخية بازالته الأغطية الأدبية الشعرية التى تدثرت بها شخصيته ، بينما نحن نحاول التعرف عليها خلال جوهر القصة بالتمعن الدقيق فى الصور التعبيرية التى استخدمها القاص ، وقد ضم جونكل إلى النقد التاريخى محاولاته فى نظرية التجريد الإلهى التى تزيح الغطاء عن الافتراضات وتعمل على صياغة العموميات ، ومن قوة وصفه للحقائق خلال نظرته التاريخية والإلهية تضاءلت وتشوهت صورة القصة نفسها . أما مدرسة التحليل الفنى التى يمثلها " فورر Fohrer " و " شطق Steck " فهى لم تتناول البحث التاريخى الذى ساهم مساهمة واضحة فى ايضاح قصص إلياهو ، فقد كان هدف هذه المدرسة هو تتبع تكوين القصة والعمل على اعادة مراحل تبلورها ، وقد بدأ "فورر" بتحليل أدبى للاصحاحات ١٧ و ١٨ و ١٩ من ناحية ابراز القصص الغريبة التى تم بناءها جيدا ، ولكنه فى تحليله هذا لايصل إلى انجازات " جونكل " وربما لم يضف إليها شيئاً ، فهو يرى ان الوحدة القصصية فى الإصحاحات ١٧ - ١٨ تتكون من أربع معطيات وهى الجفاف ثم منح الأمطار ، والمناظرة فوق جبل الكرمل ، وتجلّى الرب فى جبل حوريب ، وتعيين أليشع ، ومن خمس وحدات قصصية هى : معجزة الطعام فى صرفة ، وإحياء ابن الأرملة ، ولقاء النبى بعوبديا ، ومعجزة الطعام فى الصحراء . وقد اعتمد " فورر " فى تشخيصه هذا وتمييزه بين المعطيات والوحدات القصصية على دراسات تاريخية وأدبية مما أدى إلى تداخل الرموز والاشارات دون تفرقة ، ففى نظرية " المعطيات " نجده يرى أنها بداية الأحداث التاريخية - باستثناء معطية التجلى فى حوريب - فى الإصحاحات الثلاثة ، بينما يرى ان " الوحدات القصصية " واضحة نتيجة لعدم الوضوح التاريخى أو المكونات الأسطورية التى تشتمل عليها . ويبدو ان المغزى التاريخى الذى يستخدمه " فورر " لتقديراته

---

(١) H. Gunkel, Elias, J. und Baal. PP. 9-11.

هو اتخاذ آحاب سياسة حيادية تجاه قسمى السكان (الإسرائيليين والكنعانيين) مما أدى إلى غضب أنبياء الرب وثورتهم عليه ، ومن هنا يرى " فورر " ان ذكر مطاردة الأنبياء أو اختباء إلياهو تكفى لتشهد على الطابع القصصى والوضع الثانوى للنص الذى تظهر فيه : على سبيل المثال اختباء إلياهو فى وادى كريث[١] ،ولقاؤه مع عوبديا . ويرى " فورر " ان وجود فكرة مماثلة فى العهد القديم - مثل قصة الاحياء التى قام بها اليشع - بامكانها ان تؤدى إلى سلبية الاعتقاد التاريخى وتحديد الشكل الأدبى،وبذلك يعتبر " فورر " مثل " جونكل " فى استخدامه للمفاهيم الأدبية - مثل مفهوم الازدواجية - ولكن فى صورة ميكانيكية وبدون أحاسيس فنية[٢] حيث قدم اقتراحات نظرية وافتراضية بشأن وحدة الموتيفات ومراحل تجميع الوحدات القصصية[٣] .

أما " شطق Steck " فيحدد ثلاث نقاط رئيسية فى تاريخ رواية قصص إلياهو وهى تنعكس حسب رأيه فى ثلاث إجابات خاصة بسؤال واحد شغل كل الموضوعات التراثية بحسب أجيالها ، وهو : على من يقع ذنب الكوارث والمصائب التى أنزلها الرب على الشعب ؟ القاص الذى عاش فى أيام آحاب والذى قام بمزج قصة الكرمل داخل قصة الجفاف ، علق هذا الذنب فى بقية ملك إسرائيل . ولكن كيف فعل ذلك ؟ الواضح أنه حذف من التراث الذى سبقه الوصف الأصلى للقاء إلياهو وآحاب ووضع بدلاً منه الاتهام

---

١) ويزعم " شطق Steck " ايضا ان التناسق البارز بين ١٧ : ١ - ٦ إعلان الجفاف والأمر بالاختباء عند نهر كريث - و ١٨ : ١ ب - ٢ أ - الإعلان عن المطر والأمر بالظهور للملك - يهدف فى الواقع إلى اثبات ان المشهد عند نهر كريث ينتمى من أساسه إلى جوهر قصة الجفاف ، وبالإضافة إلى ذلك يرفض " شطق " الافتراض بان الاختباء عند نهر كريث أتى كرد فعل على مطاردة الملك للنبى (حيث لاتوجد أية إشارة له فى ١٧ : ١ - ٦) .
انظر O.H. Steck, Uberlieferung und zeitgeschte in dan Elia Erzählungen, P. 10.

٢) فهو يرى ان حادثة كوار الدقيق وكوز الزيت (١٧ : ٨ - ١٦) على سبيل المثال ثمرة استنساخ لحادثة كعكة الرضف وكوز الماء (١٨ : ٥ - ٨) مع الأخذ فى الاعتبار الزيادة فيما أُخذ من أوعية الزيت فى قصص اليشع (٢ ملوك ٤:١-٧) كما ان حادثة الخبز واللحم التى كانت تحضرها الغربان (١٧: ٢ - ٦) هى استنساخ متكرر لحكاية كوار الدقيق وكوز الزيت .

٣) G. Fohrer: Elia, Zürich 1957, PP. 33-34.

" معكر إسرائيل " (١٨ : ١٨) ، أما فى أيام حكم "ياهو" فقد شعر القاص بضرورة تبرير قتل ايزابل ويهورام الملك ، وضرورة اضفاء الشرعية على قتل عبدة بعل ، ولذلك اتجه بالذنب الأصلى إلى الملكة الأجنبية . (عن طريق اضافة ١٨ : ١٣ ، ١٩ ب ؛ و ١٩ : ١ - ٣ أ) ، بينما نسب إلى الياهو قتل انبياء بعل حيث قام إلياهو برسم التخطيط لتنفيذ هذا القتل مما ألزم تلميذه أليشع باستكمال عملية التنفيذ ، (ذلك عن طريق اضافة ١٨ : ٩ ب ؛ ٢٠ : ٤٠)[1] . أما مرحلة الرواية الثالثة فقد كانت فى نهاية أيام " ياهو " أو فى أيام " ياهو " أو فى أيام " ياهو آحاز " عندما تعاونت المملكة مع دوائر الأنبياء ، ولكن حروب الأراميين مع الإسرائيليين هددت بتدمير المملكة كلها . عندئذ عمل القاص على انتقال الذنب من بلاط المملكة إلى الشعب نفسه ، عن طريق حذف النهاية الأصلية فى حادثة إلياهو فى صحراء بئر سبع ، واستبدالها بقصة جديدة احتل مضمونها شكوى النبى فى حوريب : כִּי עָזְבוּ בְרִיתְךָ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל لان بنى إسرائيل تركوا عهدك " (١٩ : ١٤) وفى رد الرب بتدمير معظم أبناء الشعب مع التاكيد على وجود بقية مؤمنة : " וְהִשְׁאַרְתִּי בְיִשְׂרָאֵל שִׁבְעַת אֲלָפִים "[2] - وابقيت فى إسرائيل سبعة آلاف "(١٩ : ١٨) .

وعلى الرغم من الأراء والشروح الكثيرة التى قدمها " شطق " لمساندة عملية اعادة تنظيم وترتيب المشاهد القصصية فى القصة إلا انه قد اعتمد على الافتراضات

---

١) أيضاً ينسب " شطق " حادثة كرم " نابوت اليزرعئيلى " إلى هذه المرحلة من الرواية التى استند تحديدها على التاكيد الزائد على ان اتهام ايزابل مقابل لاتهام آحاب ، وعن طريق تبرير مذبحة ياهو بربطها بالنبوّة المشؤومة على بيت آحاب والتى تنسب لإلياهو .

٢) Uberlieferung und zeitgeschichte in den Elia, PP.9-10.

ونجد فكرة ،وتصور " البقية " فى التراث النبّوى يرتبطان أرتباطاً موضوعياً ومكانياً بالعقاب الإلهى ، إلى الحد الذى يمكن معه القول ان البقية والعقاب الإلهى فكرتان تكمل كل منهما الأخرى ، فلا تأتى " البقية " إلا إذا كان هناك عقاب (وهو فى الغالب عقاب شامل) ولايمكن أن يأتى العقاب الإلهى بدون ان تكون معه " بقية " . ومن ناحية أخرى نجد أن الأنبياء بعد إلياهو وبخاصة عاموس وأشعيا يتعاملون مع فكرة البقية ، كما لوكانت تصوراً شعبياً راسخاً .

أكثر مما اعتمد على الاثباتات[١]. والحقيقة ان " المدرسة الفكرية " التى ينتمى إليها " شطق " تعتبر النظريات الافتراضية من الأشياء المسلّم بها فى البحث العلمى ، ولذلك فسوف نكتفى بالنماذج الثلاثة الباقية من انتقادات " شطق " على قصص إلياهو :

أولاً : الذهاب إلى صرفة والسكن فى منزل الأرملة لاينسجما مع الموتيف الأصلى للتمثل فى الاختباء بمكان غير مأهول والارتزاق بدون مساعدة إنسان .

ثانياً : ارسال عوبديا ليخبر آحاب بان النبى المختبىء - والذى لم ينجح أحد فى العثور عليه - قد ظهر ، لاتنسجم مع نية إلياهو بالظهور لآحاب وتبشيره بنزول الأمطار .

ثالثا : لقاء إلياهو وآحاب اعتمد فى حبكته الرئيسية على اتهام الملك بعبارة " معكر إسرائيل " وان الشعب ليس إلا ضحية لخطايا الملك ، بينما فى قصة الكرمل لاتجد أية كلمة عن آحاب وخطيئته ، بل ان كفاح النبى من أجل الإيمان بالرب ، كان مع الشعب .[٢]

هذه الملاحظات النقدية الحادة التى ذكرها " شطق " يبدو أنه قد اعتمد عليها لاكتساب نقط اسناد قوية تساعده فى تمييز مراحل الرواية،والحقيقة انه على الرغم من توضيحاتها الحادة إلا ان فوائدها التفسيرية ضئيلة : فالصمت المدهش لآحاب ازاء طلب إلياهو له " ارسل واجمع كل إسرائيل إلى جبل الكرمل "(١٨ : ١٩) يتضح فيه غرض " القاص " فى خلق مقابلة لهذا الصمت مع صمت الشعب بعد توبيخ إلياهو له فى قصة المناظرة بالكرمل ، وهذه المقابلة فى رأى " شطق " مفندة موضوعياً حيث يظهر الفرق الكبير بين اتفاق صمت الملك مع الصمت المحير للشعب ، والأخطر من ذلك فَهْم شكوى الياهو : וְאִוָּתֵר אֲנִי לְבַדִּי فبقيت أنا وحدى "

---

١) قارن تحفظ " سمند Smand " من اعادة البناء التاريخى للإصحاح ١٩ ، الذى أيده " شطق " بسبب ماتميزت به من طابع افتراضى (تخمينى)، ومن ناحية أخرى يعترف " شطق " أيضاً بان اقتراحه بشأن التسلسل التاريخى للاصحاح ١٩ الكثير المشاكل " ليس إلا مساهمة فى البحث على طريق الحل " انظر: עיון מקרא ופרשנות, עמ' 61.

٢) O.H. Steck: Uberlieferung und Zeitgischicte, PP. 19-20

(١٩ : ١٤) بمعنى :" לבד' כעובד יהוה - وحدى عابد للرب " وليس بمعنى " לבד' כנבא יהוה - وحدى نبى للرب " والتى تتجاهل المقابلة الواضحة لها مع الفقرة : " אני נותרתי נביא ליהוה לבד' "- بقيت نبياً للرب وحدى " (١٨ : ٢٢) والتى تلزم ربط هذه الكلمات لا مع ماسبقها مباشرة - وأنبياؤك قتلوا بالسيف (١٩ : ١٤ ب) - بل مع : " لان بنى إسرائيل تركوا عهدك " (١٩ : ١٤ أ) ؛ويضم " شطق " إلى هذا التقسيم توضيحه للضربات الثلاثة التى سينزلها الرب على إسرائيل ومقابلتها بقول الرب " وابقيت فى إسرائيل سبعة آلاف ... الخ) حيث يقول ان هذه النبوّة ليست نبوة شؤم تشير إلى استعداد الرب لتدمير شعبه ، بل على العكس فهى جاءت لتطمئن بال النبى بأنه مازال يوجد سبعة آلاف من عبدة الرب غيره ، وتأكيد من الرب بان حق عبدة الرب لن يضيع ، وقد مكنت هذه التفسيرات " شطق " من أن يرى فى الفقرة (١٩ : ١٤) عاكساً لعبادة بعل القوية والتى كانت منتشرة حسب افتراضه فى نهاية أيام يّاهو وفى أيام يّاهو آحاز[١]، وأن يرى فى الفقرة (١٩ : ١٨) بشارة لاستمرار الوجود الإسرائيلى المؤمن ازاء تهديد الخراب الذى سيحل نتيجة انتصارات حزائيل الأرامى . وقد استخدم شطق هاتين الفقرتين (١٩ : ١٤ و ١٨) كخلفية للمفهوم العام لهذه الإصحاحات والذى أخذه من استاذه " فون راد G.Von Rad " والذى يرى ان " قصص إلياهو هى فى أساسها قصص الرب "[٢].

والحقيقة ان أساليب البحث العلمى عند " شطق " تكاد تكون خالية من العيوب التى نجدها عند غيره من الباحثين فدراساته التاريخية والأدبية تنفصل عن بعضها البعض فى وضوح تام ، وتفسيراته التاريخية لم تستخدم كقاعدة لاشباع أدبى تم التخطيط له بل كمفتاح لفهم الدور الاجتماعى المتغير وبان القصة أصبحت على ماهى عليه خلال تسلسل روائى ، ولذلك لم يؤكد " شطق " على التقابل بين التاريخ الذى أعيد تنظيمه وترتيبه ، والتاريخ المروّى ، بل

---

١) يقول " شطق Steck " انه ليس لديه اثباتات على انتشار عبادة بعل فى هذه الفترة ، وأنه اضطر للاعتماد على سفر هوشع (الذى يرجع الى أيام يربعام بن يوأش) .
انظر : O.H.Steck Uberlieferung und Zeitgeschichte

٢) G.Von-Rad, Theologie des ATS, II Munchen, 1960. P. 37.

أكد على محاولته فى ارساء الأدب فى الحياة ومزج تاريخ الأحداث المروية مع تاريخ مملكة إسرائيل ، وقد نجح " شطق " إلى حد ما فى محاولته هذه عن طريق كشف طبقات المفاهيم والموتيفات المختلفة بعزلها عن بعضها البعض وشرحها كردود أفعال مختلفة للأدب النبوى الذى يحيا على ضروريات الساعة المتغيرة (١).

إلياهو وتطور مفهوم النبوة الإسرائيلية

بعد هذا العرض للأدب النبوى فى قصص إلياهو ومعجزاته، وبعد ماذكر عن التحليل التاريخى الروائى لعصره نجد انه قد اتضح لنا ان إلياهو النبى يعتبر من هذه الزاوية شخصية فريدة بين أنبياء بنى إسرائيل، ولذا فاننا نعتقد ان له مكانة خاصة فى تاريخ وتطور النبوة والأدب النبوى فهو :

أولاً : لايمثل فقط الشكل التقليدى للنبوة القديمة ، بل أيضاً يمثل مرحلة الانتقال من النبوة القديمة فى إسرائيل إلى نبوة الأنبياء الكتابيين ،فالمفهوم الأخلاقى فى عمل "ناثان" النبى ، والمفهوم الدينى فى عمل "آحيا" الشيلونى يتجسد ويتعاظم فى أعمال "إلياهو" العظيمة . ومن ناحية أخرى فان عظمته كنبى فى حربه الدينية والأخلاقية بدون أن تكون له أية مكانة فى البلاط الملكى - كما كان الأمر مع ناثان النبى - تتجسد فى تعنيفه للملك آحاب على قتل نابوت اليزرعئيلى ، والاستيلاء على كرمه ، فمن رواية العهد القديم أيضا يتبين لنا أن إلياهو النبى قد أخذته الغيرة على الديانة اليهودية فى مواجهة عبادة بعل ، وفى مواجهة الانحلال والفساد الذى تفشى فى إسرائيل متمثلاً فى الملك نفسه ، فقام ينادى بالاصلاح ، ومن هنا تبين لنا أن الياهو كان يعد نبى المعارضة للقصر الملكى بسبب التساهل فى ادخال الطقوس الوثنية إلى مملكة إسرائيل وخاصة الطقوس الفينيقية حيث كانت تقام طقوس عبادة بعل صور وعشتورت بصورة رسمية ، وقد اقيم معبد للبعل فى السامرة به مجموعة كاملة من المشرفين على اقامة الشعائر الدينية تم تعينيهم بواسطة الملك آحاب وكان ذلك بتأثير زوجته إيزابيل(٢). وتفشى الزواج

---

١) עיון מקרא ופרשנות, עמ' 62-63.

٢) תולדות האמונה הישראלית, כרך ב', עמ' 226.

بالأجنبيات ، وفى مقدمتهم ايزابيل الفينيقية وزواجها من الملك آحاب .

والحقيقة أنه منذ أيام "إلياهو" أصبح الأنبياء كتلة مناضلة دعت بدون خوف أو وجل إلى إعادة حياة الشعب إلى جادة الصواب ، وحاربت الاستعباد الروحانى - ومن ثم السياسى - الذى حاولت الدول الوثنية المجاورة فرضه عليه ما استطاعته مستعينة بالطبقات العليا الفاسدة من أبنائه (١) ، ولذلك هناك من الباحثين من يرى أن "إلياهو" وميخا هما المبشران بنبوة "عاموس" ، ففى قول " عاموس" "لامصيا" : לֹא נָבִיא אָנֹכִי וְלֹא בֶן נָבִיא אָנֹכִי (٢) - لست نبياً ولا ابن نبى (عاموس ٧ : ١٤) (٣) يكون بذلك قد عزل نفسه عن كل الأنبياء الذين يعيشون على حساب البلاط الملكى .

ثانياً : مع اننا لانجد فى قصص إلياهو اعراب عن فكرة الشمولية (العالمية) لإله إسرائيل (يهوه) على النمط الذى نجده بعد ذلك فى النبوة الكتابية (الكلاسيكية) ، حيث نجد ان الرب (يهوه) هو " إله اسرائيل " إلا إننا فى نفس الوقت نجد إن سلطان الرب ليس محدداً بنطاق أرض إسرائيل وأن آلهة الشعوب المجاورة كالصوريين وغيرهم ماهى إلا أوثان لاتصح عبادتها، ومن هنا يمكننا التأكيد على أن براعم هذه " الشمولية " قد ومضت ولمعت فى فهم إلياهو للألوهية . وبأمر الرب له بمسح "حزائيل" ملكاً على أرام ، ينطلق إلياهو من دائرة النبى المحلى فى مملكة إسرائيل الشمالية .لتصبح له رسالة "دولية" فى منطقة الشرق كلها (٤) .

١) عاموس ٧ : ١٤

٢) أ.ن. بولاك : إسرائيل أمة وتاريخها . ص ٢٦

٣) לכס"ק / מקרא, עמ 639.

٤) אנצ"ק מקר, ערך אל"ה.

انظر أيضاً د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ١٢١.

وهناك من الباحثين أمثال فولهاوزن Wellhausen ، وشتادى Stade وجوته Guthe من ينكرون دعوة إلياهو أو إيمانه بإله واحد للامم كلها ، أو بعبارة أدق أنه كان يؤمن بيهوه كإله " محلى " لإسرائيل فقط وأنه بذلك يفوق سائر الآلهه المحلية للأمم الأخرى ، أى أنه بعقيدته هذه يمثل دور" التمييز والترجيح - Monotheism " الذى يبقى الأرباب على كثرتها ، ويأخذ رب منها فى البروز والرجحان على سائرها . أما " ستراخن - Strachan " فيقول على أية حال فان هناك خطوة قصيرة فقط بين " دور التمييز والترجيح " و " دور الوحدانية .

Georg L. Robinson: Leaders of Israel, P. 165.

انظر :

ثالثاً : لاشك ان ماورد فى قصص إلياهو من اشارات تتضمن معنى الاخلاقية كان لها أكبر الأثر فى نبوءات الأنبياء اللاحقين له وبخاصة عاموس وأرميا ، وترمز هذه الاشارات إلى ان مصير الملكية مرتبط بالسلوك الأخلاقى للملك ، لا بقوته العسكرية والسياسية فبسبب مقتل نابوت واغتصاب كرمه حكم بفناء بيت آحاب .(١)

رابعاً : من الخلاف الذى كان بين إلياهو ومملكة إسرائيل ، يتبين لنا ان إلياهو كان نبيا وحدوياً وقد رمز إلى ذلك فى الحلم الذى تراءى له وأمر فيه بالاتجاه إلى جبل حوريب فى الجنوب ، والسير على خطى موسى ، وكان يعنى بهذا العودة بالمجتمع اليهودى إلى ماقبل العصبيات التى شارت بين إسرائيل ويهوذا على أثر استيلاء داود على الملك . ولذلك يتبين لنا أن إلياهو كان يريد أن يؤدى عمل صموئيل ، أى يوحد كلمة العبريين من جديد ليصبحوا شعباً واحداً، ومن أجل ذلك أراد أن يجمعهم أمام هيكل أورشليم . ومن هنا بدأ فى تدمير نفوذ الشمال فى شخص ايزابيل وكهنة بعل الذين أحضرتهم من صور - والحقيقة ان ذهاب الياهو إلى جبل حوريب فى الجنوب كان على أساس أن المؤرخ الجنوبى فى يهوذا الذى أراد توضيح ان أهل السامرة مغضوب عليهم وأن التجلى الإلهى والنبوة مصدرهما الجنوب فى المكان الذى تلقى فيه موسى تعاليم الرب ، ولذلك جعل إلياهو يسير أربعين يوماً من أجل أن يحظى بالتجلى الإلهى(٢).

بين موسى وإلياهو :

اعتبر إلياهو النبى الوحيد بين أنبياء بنى إسرائيل الذى يمكن أن يقارن بموسى ، فقد جاء فى " الموسوعة العبرية " تحت عنوان " موسى وإلياهو" ان أصحاب المدراش جروا على تشبيه إلياهو بموسى من عدة وجوه أهمها :

١ - ان الاثنين ينتميان إلى سبط اللاويين (وهناك خلاف قائم حول نسبة إلياهو الى هذا السبط) .

٢ - انهما مكلفان من الله برسالة محددة هى خلاص بنى إسرائيل (حيث اصطدم موسى بفرعون ، وإلياهو بآحاب وايزابيل ؛ وموسى اصطدم بكهنة وسحرة فرعون

---

١) מנשה דובשני , חלק א' , עמ' 30 .

٢) The Jewish Encyclopadia, Vol. 5, Elijah, P. 125.

والياهو اصطدم بكهنة بعل) أماموسى فقد أتم رسالته بتخليصهم من فرعون ، وأما إلياهو فالأمر فيه مختلف جدا ، إذ انه - فى اعتقادهم - قد صعد إلى السماء فى المركبة النارية وأنه سينزل إلى الأرض فى آخر الزمان ، قبل يوم الدين ليتم رسالة الخلاص التى كلف بها ، وقد كانت هذه العقيدة شائعة بين اليهود بعد العودة من السبى البابلى ، فالنبى " ملاخى - מלאכי " الذى عاش فى أواسط القرن الخامس ق.م يقول :

זִכְרוּ תוֹרַת מֹשֶׁה עַבְדִּי אֲשֶׁר צִוִּיתִי אֹתוֹ בְחֹרֵב עַל-כָּל-יִשְׂרָאֵל חֻקִּים וּמִשְׁפָּטִים. הִנֵּה אָנֹכִי שֹׁלֵחַ לָכֶם אֶת אֵלִיָּה הַנָּבִיא לִפְנֵי בוֹא יוֹם יְהוָה הַגָּדוֹל וְהַנּוֹרָא. וְהֵשִׁיב לֵב-אָבוֹת עַל בָּנִים וְלֵב בָּנִים עַל-אֲבוֹתָם פֶּן-אָבוֹא וְהִכֵּיתִי אֶת הָאָרֶץ חֵרֶם. (١)

- اذكروا شريعة موسى عبدى التى أوصيته بها فى حوريب ، إلى جميع إسرائيل فرائضاً وأحكاماً . هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى ، قبل أن يجىء يوم الرب العظيم الرهيب ، فيرد قلوب الآباء إلى الابناء، وقلوب الأبناء إلى آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعنة ".

٣- ان كلاً منهما نبى ، وقد لقب كلاهما بلقب " رجل الله - איש אלהים " فى العهد القديم .

٤- انهما صعدا إلى السماء ، وقد رأينا فى ذلك نصا صريحاً فى قصة إلياهو، أماموسى فالنص الصريح الذى عندنا فى العهد القديم عنه أنه مات ولم يرفع ، بل دفن فى قبر لم يكن الذى سجل التوراة بالكتابة يعرف أين هو(٢). والواقع ان ارتفاع موسى إلى السماء قد تأوله اليهود اجتهاداً فيما بعد .

٥- ان كلاً منهما قتل رجلاً ظالماً ، فموسى قتل المصرى الذى رآه يضرب واحداً من قومه ، وقالوا ان إلياهو قتل " حيئيل " بانى مدينة أريحا ، المعاصر لإلياهو وللملك آحاب ، وحادثة القتل المنسوبة إلى ايليا النبى هى أيضا من اجتهادات اليهود فى التأويل ولم يرد بها نص صريح ، وكل ماهنالك أنهم توهموها فى فقرة (هوشع

---

١) ملاخى ٣ : ٢٢ - ٢٤

٢) راجع التثنية ٣٤ : ٥ - ٦

١/١٣) التى لإتنصح عن ذلك بحال فهى تقول : " דִּבֶּר אֶפְרַיִם רִתַּת נָשָׂא הוּא בְּיִשְׂרָאֵל וַיֶּאְשַׁם בַּבַּעַל וַיָּמֹת " - ولما تكلم افرايم ، ألقى الرعب فى إسرائيل ، فأثم فى البعل ومات " .

٦- ان موسى وإيليا كلاهما قد اعتمد فى فترة معينة على امرأة ، موسى على ابنة كاهن مدين ، وإيليا على الأرملة التى أحيى لها ولدها من الموت .

٧- أن موسى جمع شمل قومه على جبل الطور فى سيناء ، وإلياهو جمع شملهم على جبل الكرمل فى شمال فلسطين .

٨- ان كلاً منهما اتخذ له مغارة يختبىء فيها ، ورد ذكر مغارة موسى فى سفر الخروج (٣٣ : ٢٢) فى قول الرب له : " וְהָיָה בַּעֲבֹר כְּבֹדִי וְשַׂמְתִּיךָ בְּנִקְרַת הַצּוּר וְשַׂכֹּתִי כַפִּי עָלֶיךָ עַד־עָבְרִי. . ويكون متى اجتاز جلالى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى أجتاز " .

٩- ان كلاً من موسى وإلياهو قد بقى أربعين ليلة على وجبة واحدة . موسى عندما واعد ربه ، وإلياهو فى صحراء يهوذا فى الجنوب من فلسطين .

١٠- موسى سيّر قوى الطبيعة كما يريد ، وكذلك فعل إلياهو

١١- موسى كان معه هارون وإلياهو كان معه اليشع .(١)

١٢- ان موسى وإلياهو كانا جديرين بالتجلى الإلهى العجيب ، وقد تأول اليهود هنا قول نبيهم ناحوم (٣/١) : יְהוָה בַּסּוּפָה וּבִשְׂעָרָה דַרְכּוֹ : الرب فى الزوبعة ، وفى العاصفة طريقه " قالوا ان الزوبعة هى موسى والعاصفة هى إلياهو .

واليهود بالطبع أحرار فى أن يقارنوا ويؤولوا فى كتابهم ، ولكن هناك فقرة صريحة فى توراة موسى نفسها تجعل هذه المقارنة تبدو عجيبة ، وكأنما هى تتجاهل قول التوراة (التثنية ١٠/٣٤): וְלֹא קָם נָבִיא עוֹד בְּיִשְׂרָאֵל כְּמֹשֶׁה - ولم يقم من بعد نبى فى إسرائيل كموسى " .

---

١) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥

ويمكن القول إن اعتماد الباحثين اليهود فى مقارنتهم بين موسى وإلياهو كانت تعتمد على أساس الظروف العامة التى احاطت بدعوة كل منهما ، لا على اعتبار مضمون الدعوة والهدف منها .

خامساً : ان المعجزة الكبرى فى حياة إلياهو هى تأسيس جماعة من التلاميذ والاتباع أطلق عليهم " بنى الأنبياء " وعلى رأسهم النبى اليشع ، وهذه الجماعة هى التى دافعت عن التقاليد التوراتية القديمة وخرجت فى مواجهة العبادة الوثنية سواء فى العلن أم فى الخفاء حسب ماتقتضيه الضرورة وذلك بعد صعود إلياهو إلى السماء(١). ولكننا لانستطيع الجزم بما إذا كانت مدرسة إلياهو النبى ، قد نجحت فى تطوير طقوس العبادة التى كانت تقام ليهوه أم لا ؟ ولكن من المرجح أن ذلك الوقت لم يكن ملائماً لأن مملكة إسرائيل كانت مشغولة فى صراع دموى مع الآراميين فى دمشق ، وهو الصراع الذى استمر أكثر من نصف قرن(٢).

سادساً : اتجه إلياهو فى وعظه وتوبيخه إلى الشعب كله مثلما فعل موسى وصموئيل ، فمنذ ظهور صموئيل ، كزعيم للشعب لآخر مرة ، ليسلم القيادة إلى الملك (راجع صموئيل الإصحاح ١٢) . إلى ظهور عاموس النبى ، لانجد نبياً يقوم فى مجمع عام ، ويلقى حديثه على الشعب كله ، كما فعل إلياهو النبى على جبل الكرمل(٣). ولذلك يسبق إلياهو الأنبياء الأخر الذين كانوا أنبياء للأمة اليهودية كلها ، كما انه يعتبر نموذجاً للأنبياء الأخر فى القائه الخطاب العلنى التأديبى على مسامع الشعب ، ولكن بصورة تختلف عنهم تقريباً فهو لم يكتف بالتعنيف العلنى

---

١) ويذكر سبينوزا ان صعود إلياهو إلى السماء فى عربة من نار تجرها أحصنة من نار هى حادثة لم تحدث بالفعل بل هى من محض خيال الراوى .
انظر : سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة . ص ٦٨ - ٦٩ وقارن ٢ ملك ٢ : ١١ .

٢) דברי ימי עם ישראל , כרך א' , עמ' 19.

٣) ويشكك " سيجال " فى تجديد إلياهو لمفهوم النبوة بخطابه العلنى على الأمة كلها ، ويقول أن مافعله إلياهو على جبل الكرمل فهو حالة خاصة ، وتصرف " ابن ساعته " وكان مع ذلك باذن من آحاب الملك وبناء على رغبته (الملوك الاول ١٨ : ١٩ - ٢٠)
انظر : م.ص. سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل . ص (٤٢)

فقط ، بل ايضا قام بقتل أنبياء بعل. والحقيقة ان إلياهو لم يهدف إلى المناداة بديانة جديدة تماماً أو نظام جديد فى الديانة ، وإنما كان أساس مهمته تنقية الديانة والتفكير الشعبى فى عصره من الشوائب الدخيلة على اليهودية الموسوية.(١)

سابعاً : ادراك معنى النبوة كرسالة أقوى من النبى وضروریاته ، فرسالة النبى لابد أن تلقى معارضة شديدة . وبالرغم من ذلك فيجب اعلانها ، وما على الرسول إلا البلاغ ، فقد دلت قصة إلياهو فى حوريب على أن النبى لايمكنه الهروب من تنفيذ رسالته أو التحرر منها ، فهى أقوى منه ، ولذلك فإن شخصيته تكون مهملة وثانوية بالنسبة لرسالته النبوية فالنبى ليس إلا أداة خادمة ومنفذة فى يد النبوة ، والنبوة ليست وسيلة لاحتياجاته ؛ ولذا نرى الشعور بالضعف ، كما نلمح شيئاً من عدم الثقة بالنفس فى شكوى إلياهو لربه فى حوريب(٢). وهنا تصل معانى الرسالة النبوية إلى كمالها حيث يرى إلياهو ان النبوة لم تصبغ عليه فضلاً أو مكانة محترمة ، بل جعلته وحيداً منعزلاً مطارداً وعندئذ يؤكد له الرب ان أوامره إليه لايمكن تنفيذها دون مدد من عنده فيقول له بعد وصوله هارباً إلى حوريب : "מַה־לְּךָ פֹּה אֵלִיָּהוּ" - مالك ههنا يا إلياهو " (١٩ : ٩) أى أن مكانك ليس هنا ، بل هناك وسط أمتك لتنذرهم بعقابى لهم على خطاياهم(٣)، والحقيقة ان الياهو يحتمل انه كان يدرك ان الرسالة النبوية كانت أقوى منه ولذلك ذهب إلى حوريب ليستمد من مصدر النبوة ، المدد الذى يعينه على اتمام رسالته ، فهناك تحدث يهوه أول مرة إلى نبيه موسى ، ولذلك تعتبر قصة إلياهو فى حوريب نموذجاً للحديث الإلهى الذى يرفرف عليه نور خافت للحلم النبوى ، وهى ترمز أيضا للفكرة الإسرائيلية بان " الروح " ليست إلا " كلمة الرب " وهى هى مصدر النبوة(٤).

---

١) מנשה דובשני, כרך א' עמ' 28.
٢) قارن وصف اليأس الذى ورد فى مزامير ٤٢ : ٥
٣) מנשה דובשני, כרך א', עמ' 30.
٤) תולדות האמונה הישראלית, כרך ב', עמ' 245.

ثامناً : ان رؤيا إلياهو على جبل حوريب كما يصفها سفر الملوك الأول (١٩: ١١ - ١٣) تظهر فى وضوح ازدياد الناحية الروحية فى فكرة الله . فهو لايزال إنسيّا Personal غير ان تصوره بصور الإنسان بدأ يقل شيئاً فشيئاً ، وأخذت مظاهره تنتقل خطوة بعد خطوة إلى ميدان الخيال الشعرى ، هذا من ناحية التصور الإلهى(١) ، أما من الناحية الدينية بوجه عام فاننا نفاجأ بوجود خيوط موضوعية وأدبية فى قصص إلياهو ، غريبة على أسفار الملوك ، من بينها انه لايوجد أى ذكر لبيت المقدس بأورشليم أو إلى أية إشارة لفكرة أنه يوجد هناك " معبد للرب מִשְׁכָּן " ، فإلياهو لايهرب إلى أورشليم فى مملكة يهوذا ، بل إلى جبل حوريب ، حيث يتجلّى له الرب هناك ، مثلما تجلّى من قبل لموسى ، وفى الحقيقة أنه لايوجد فى أى مصدر مقرائى آخر وصف لجبل حوريب كمكان لمعبد إله إسرائيل ، ولكن حسب القصة المقرائية فى خروج (١٩ : ٢٠) فان الرب لاينزل فوق الجبل إلا نزولاً وقتياً(٢) ، وقد تم الإشارة إلى هذا الموتيف فى تفسيرات حكماء التلمود التى ينبع منها التصور الشعبى لهذا الموروث ، وحيث ان الاسم : جبل الرب הַר הָאֱלֹהִים يشير إلى أنه مرتبط بطريقة ثابتة ودائمة بظهور الرب وتجلياته ، فانه ربما تأثر هذا التصور الشعبى بالتراث قبل الإسرائيلى للأسباط المتجولة ، الذى يرى أن هذا الجبل هو مسكن القوى الإلهيه ، على أية حال فان الأجاداه فى الملوك الأول الاصحاح ١٩ ، قد نسجتها العقيدة الشعبية الإسرائيلية التى ترى ان الرب إله إسرائيل يسكن بشكل ثابت ودائم فى جبل حوريب .(٣)

تاسعاً : على الرغم من أن الطابع العام لقصص إلياهو فى العهد القديم يفيد بأن النبوءات قد وجهت بصفة خاصة إلى إسرائيل الشمالية ، إلا أنه مع ذلك لايمكننا أن نصدق بأن إلياهو وقف مكتوف الأيدى أمام أخطاء ملوك يهوذا ، فليس محتملاً أن يكون قد ندد بأخطاء وآثام الأسباط العشرة وفى نفس الوقت يتجاهل ويتغاضى عن أخطاء بقية الأسباط ، وحتى ولو كان متأثراً بالرأى العام فى المملكة

---

١) سبتينوموسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ص ١٥١ - ١٥٢

٢) מכילתא דרשב"י , מהדורת אפשטין - מלמד , פרשת יתרו , יט , ג , עמ' 141 .

٣) הנבואה הקדומה בישראל , עמ' 187 .

الجنوبية المشوب بالغيرة والكراهية الراسخة تجاه المملكة الشمالية ، فان ذلك لايمنع أن يندد بأخطاء مملكة يهوذا انطلاقاً من دوره العام وانطلاقاً من ان تجاهله ليهوذا قد يثير الشكوك ويصم الآذان ازائه فى إسرائيل ولذلك نجد ان العهد القديم قد أشار إلى ان إلياهو أرسل خطاباً يعنف فيه " يهورام 'الورم" ملك يهوذا (٨٥٠ - ٨٤٣ ق.م تقريباً) وينبئه فيه بما سينزل به من مصائب بسبب خطاياه (١)، فأخذوا أمواله وبنيه ونساءه فيما عدا " آحزيا אחזיהו (٢) .

وقد مات يهورام غير مأسوف عليه بمرض أصابه فى أمعائه بعد آلام مبرحة كما أنبأ بذلك إلياهو : וַיָּבוֹא אֵלָיו מִכְתָּב מֵאֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא לֵאמֹר כֹּה אָמַר יְהוָה אֱלֹהֵי דָּוִיד אָבִיךָ תַּחַת אֲשֶׁר לֹא־הָלַכְתָּ בְּדַרְכֵי יְהוֹשָׁפָט אָבִיךָ וּבְדַרְכֵי אָסָא מֶלֶךְ־יְהוּדָה . וַתֵּלֶךְ בְּדֶרֶךְ מַלְכֵי יִשְׂרָאֵל וַתַּזְנֶה אֶת־יְהוּדָה וְאֶת־יֹשְׁבֵי יְרוּשָׁלַ͏ִם כְּהַזְנוֹת בֵּית אַחְאָב וְגַם אֶת־אַחֵי בֵּית־אָבִיךָ הַטּוֹבִים מִמְּךָ הָרָגְתָּ . הִנֵּה יְהוָה נֹגֵף מַגֵּפָה גְּדוֹלָה בְּעַמֶּךָ וּבְבָנֶיךָ וּבְכָל־רְכוּשֶׁךָ . וְאַתָּה בַּחֳלָיִם רַבִּים בְּמַחֲלֵה מֵעֶיךָ עַד־יֵצְאוּ מֵעֶיךָ מִן־הַחֹלִי יָמִים עַל יָמִים . וַיָּעַר יְהוָה עַל־יְהוֹרָם אֵת רוּחַ הַפְּלִשְׁתִּים וְהָעַרְבִים אֲשֶׁר עַל־יַד כּוּשִׁים. וַיַּעֲלוּ בִיהוּדָה וַיִּבְקָעוּהָ וַיִּשְׁבּוּ אֵת כָּל־הָרְכוּשׁ הַנִּמְצָא לְבֵית־הַמֶּלֶךְ וְגַם בָּנָיו וְנָשָׁיו וְלֹא נִשְׁאַר לוֹ בֵּן כִּי אִם־יְהוֹאָחָז קְטֹן בָּנָיו. וְאַחֲרֵי כָּל־זֹאת נִגְפּוֹ יְהוָה בְּמֵעָיו לָחֳלִי לְאֵין מַרְפֵּא . וַיְהִי לְיָמִים מִיָּמִים וּכְצֵאת קֵץ לְיָמִים שְׁנַיִם יָצְאוּ מֵעָיו עִם־חָלְיוֹ וַיָּמָת בְּתַחֲלָאִים רָעִים וְלֹא־עָשׂוּ לוֹ עַמּוֹ שְׂרֵפָה כִּשְׂרֵפַת אֲבֹתָיו . בֶּן־שְׁלֹשִׁים וּשְׁתַּיִם הָיָה בְּמָלְכוֹ וּשְׁמוֹנֶה שָׁנִים מָלַךְ בִּירוּשָׁלַ͏ִם וַיֵּלֶךְ בְּלֹא חֶמְדָּה וַיִּקְבְּרֻהוּ בְּעִיר דָּוִיד וְלֹא בְּקִבְרוֹת הַמְּלָכִים (٣)

. وأتت إليه كتابة من إيليا النبى تقول . هكذا قال الرب إله

---

١) راجع أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١١ : " גַּם הוּא עָשָׂה־בָמוֹת בְּהָרֵי יְהוּדָה וַיַּזֶן אֶת־יֹשְׁבֵי יְרוּשָׁלַ͏ִם וַיַּדַּח אֶת־יְהוּדָה - وهو أيضاً (يهورام) عمل مرتفعات فى جبال يهوذا وجعل سكان أورشليم يزنون وضلّل يهوذا ".

٢) راجع (٢ أخبار ٢١ : ١٦ و ١٧ ؛ ٢٢ : ١)

٣) أخبار الأيام الثانى ٢١ : ١٢ - ٢٠

داود ابيك من اجل انك لم تسلك فى طرق يهوشافاظ ابيك وطرق آسا ملك يهوذا . بل سلكت فى طرق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزنا بيت آحاب . وقتلت أيضاً إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك . هوذا يضرب الرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة . وإياك بامراض كثيرة بداء امعائك حتى تخرج امعاؤك بسبب المرض يوماً فيوماً . وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين فاقتحموا يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً ولم يبق له ابن إلا يهو آحاز أصغر بنيه . وبعد هذا كله ضربه الرب فى امعائه بمرض ليس له شفاء . وكان من يوم إلى يوم وحسب ذهاب المدة عند نهاية سنتين ان امعاءه خرجت بسبب مرضة فمات بأمراض رديّة ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه . كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك وملك ثماني سنين فى أورشليم وذهب غير مأسوف عليه ودفنوه فى مدينة داود ولكن ليس فى قبور الملوك .

ومما سبق ، يمكننا القول بأنه من الجائز أن يكون إلياهو قد قام بالدعوة فى يهوذا وهو فى طريقه إلى حوريب من المملكة الشمالية ، وفى عودته منها وتجول خلال ذلك فى عديد من المدن فى المملكتين . هذا وبالإضافة إلى ذلك فان النظرة النبوية كانت تعتبر إسرائيل بشقيها الشمالى والجنوبى وحدة واحدة . (قارن موقف آرميا اليهودى تجاه إسرائيل الشمالية ، أرميا ٣١ : ١ - ٦)وكانت سلالة يعقوب تشكل فى عقلية إلياهو صورة شعب واحد[١]. فإذا كان إلياهو قدركز فى دعوته على إسرائيل الشمالية فإن ذلك يرجع بصفه خاصة إلى ماكان يسود هذه المملكة الشمالية من تدهور دينى وأخلاقى واجتماعى بالمقارنة بالمملكة الجنوبية يهوذا [٢].

---

١) قارن الملوك الاول ١٨ : ٣١

٢) The Jewish Encyclopedia Ed., 1901, Vol. 5, "Elijah", 125-126.

عاشراً : ومن جهة أخرى يمكننا القول بأن إلياهو لم يصطدم بالديانة الشعبية فى عصره اصطداماً صريحاً ، انطلاقاً من فكرة تعارض الأهداف و المصالح ، بل اصطدم بمظاهر التحول الكنعانى و الابتعاد عن الدين الحقيقى ، دين الإله الواحد " أنا الرب (أنا يهوه) " الذى لايحتمل وجود آلهة أخرى بجواره وكذلك تعريف الشعب بالمدلول الكامل لمفهوم " إله غيور " بأن الرب يرفض أى اندماج مع أى عقيدة أخرى ومع أية عبادة أخرى ، وتعتبر أعمال إلياهو فوق جبل الكرمل بمثابة البرنامج الدينى الذى يلقى على الأمة كلها فى مجمع عام ، وقد تركزت دعوة إلياهو فى الرجوع إلى إله الآباء و إلى العقلية الروحية للعصر الكلاسيكى الذهبى للديانة الموسوية - ذلك العصر الذى صار يشكل فى عقلية الأنبياء حلماً وهدفاً يسعون إليه ، ومن هنا يعتبر كفاح إلياهو ضد تحريف عقيدة التوحيد وضد الاختلاط الدينى نموذجاً يحتذى أمام كل الأنبياء الذين جاءوا بعده (١)

ومما سبق يتضح لنا ان الياهو بدعوته هذه قد أرسى كثيرا من المبادىء التى رسخت فى مفهوم النبوة الاسرائيلية و التى اعتبرها البعض نوعا من الاسهام فى تطور هذه الديانة .

---

١) מנשה דובשני, כרך א', עמ' 26.
ومن وصايا الرب لإلياهو فى حوريب يتضح لنا برنامج إلياهو فى المستقبل البعيد الذى تمثل فى دوام الرب (يهوه) وبره، و الهلاك كعقاب منه

الفصل الثانى

إلياهو النبى فى الفكر الدينى اليهودى

إلياهو فى طقوس الختان

أولا : الختان فى الشريعة اليهودية : (١)

الختان هو قطع لحم الغرلة فى الذكور ، وقد كان الختان فريضة من الفرائض التى يجب أن يمارسها بنو اسرائيل ، ويظهر أيضاً أنه كان من العادات القديمة

---

١) الختان : ويطلق عليه فى اللغة العبرية اسم " בְּרִית מִילָה " أى "عهد الختان" ، وأحيانا يشار إليه بكلمة " בְּרִית " فقط أى "العهد" وهو الذى يسبغ القداسة على الشعب اليهودى فالمختتن من الإسرائيليين يدخل فى عهد إبراهيم وهو بالعبرية "בְּרִיתוֹ שֶׁל אַבְרָהָם אָבִינוּ " والمعنى الحرفى لكلمة מִילָה فى العبرية هو " قطع لحم الغرلة "، أما " בְּרִית מִילָה " فتعنى الطقس الاحتفالى الذى يتم فيه قطع لحم الغرلة للابن فى اليوم الثامن لمولده .

وفى اللغة العربية : ختن الغلام والجارية يختنهما ختنا ، والاسم : الختان والختانة ، وهو مختون ، وقيل : الختن للرجال والخفض للنساء . والختين : المختون ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . والختن : فعل الخاتن الغلام ، والختان ذلك الأمر كله وعلاجه . والختان أيضاً : موضع الختن من الذكر ، وموضع القطع من نواة الجارية . قال أبو منصور : هو موضع القطع من الذكر والأنثى ، ومنه الحديث المروى : إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل ، وهما موضع القطع من ذكر الغلام وفرج الجارية . وليقال لقطعهما الإعذار والخفض ، ومعنى التقائهما غيوب الحشفة فى فرج المرأة حتى يصير ختانه بحذاء ختانها ... وهكذا قال الشافعى : وأصل الختن : القطع . ويقال : أُطحرت ختانته إذا استقصيت فى القطع ، وتسمى الدعوة لذلك ختاناً . وفى اللغة الانجليزية نجد الكلمة " Circumcision " التى تفرعت عن الأصل اللاتينى " Circoncider " بمعنى القطع من حول الشىء ، وذلك لأن الختان يكون بالقطع حول القلفه ، وتعنى الكلمة أيضاً تطهير القلب .

انظر - המלון העברי המרוכז ,עמ' 82, 369.
- מלון אנגלי עברי שלם ,עמ' 659.
- ابن منظور : لسان العرب . ج ٢ . مادة ختن . ص ١١٠٢

التى نقلها العبرانيون عن المصريين ، وهنا يذكر "هيرودوت" الذى زار مصر نحو سنة ٤٥٠ ق.م فى وصفه لأسفاره ، سمة للمصريين تظهر تشابهاً مذهلاً مع الملامح المعروفة عند الشعب اليهودى الأكثر حداثة . " إنهم فى كل النواحى أكثر تديناً من غيرهم من الشعوب ، ويتميزون كذلك عنهم بكثير من عاداتهم ، مثل الختان ، الذى أخذوا به قبل غيرهم لأسباب تتعلق بالنظافة ، ثم باشمئزازهم من الخنازير ، ولاشك أن ذلك راجع إلى اعتقادهم أن " ستخ " قد أصاب " حوروس " عندما كان متخفياً فى شكل خنزير أسود[١] ... وفى ضيق مترفع نظروا إلى الشعوب الأخرى التى كانت غير نظيفة ، والتى لم تكن قريبة مثلهم من الآلهة "[٢].

ولعل هذا مايفسر العبارة الواردة فى سفر يشوع : הַיּוֹם גַּלּוֹתִי אֶת חֶרְ־ פַּת מִצְרַיִם מֵעֲלֵיכֶם[٣] - اليوم دحرجت عنكم عار مصر " . ونستنتج من ذلك أن اليهود قد اقتبسوا هذه العادة من المصريين وجعلوها علامة العهد بين الله وإبراهيم ، لكى تعزلهم وتمنعهم من الاختلاط بالشعوب الأخرى التى سيلتقون بها خلال ترحالهم ، مثلما ابتعد المصريون عن كل الأجانب[٤] ، حيث ورد فى سفر التكوين أن الله أوصى به جدهم إبراهيم :" זֹאת בְּרִיתִי אֲשֶׁר תִּשְׁמְרוּ בֵּינִי וּבֵינֵיכֶם

---

١) ستخ وحورس : إلهين من الآلهة المصرية القديمة ، حيث كان ستخ أعظم الآلهة الأصليين ، فقد احتفظ بسلطانه على الجنوب ، وكان " حوروس " - الذى اتخذ عباده عاصمتهم فى منف على رأس الدلتا - إله الشمال ، وقد فسرت المعارك بين " حوروس " ("حرريا - خرد " أو " حربوقراط " كما يسميه الإغريق) على أن " ستخ " هو القاتل لأزريس ، وربما كان ذلك لأن كاهن ستخ كان عليه أن يقوم بقتل الملك الإلهى ، وصار وضع حوروس بالنسبة " لستخ " حينئذ كأنما هو الابن الذى ينتقم لموت أبيه . وتذكر الأسطورة أن " حوروس الطفل " قد بعث من بين الموتى بعد ان قتله " ستخ" وأصبح "حوروس الكبير" (" حر - ور " أو " حرويرس " كما سماه الإغريق) . وكانت معاركه مع " ستخ " تتلى فى جميع المعابد تقريباً .

انظر: مرجريت مرى : مصر ومجدها الغابر . ترجمة محرم كمال . مراجعة : د . نجيب ميخائيل إبراهيم . نشرته لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٧ . ص ٢٤٥

٢) אנציקלופדיה מקראית, ערך מילה, עמ' 899.

٣) يشوع (٥ : ٩)

٤) د. ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم . ص ٦٤

וּבֵין זַרְעֲךָ הִמּוֹל לָכֶם כָּל־זָכָר. וּנְמַלְתֶּם אֵת בְּשַׂר עָרְלַתְכֶם וְהָיָה לְאוֹת בְּרִית בֵּינִי וּבֵינֵיכֶם וּבֶן־שְׁמֹנַת יָמִים יִמּוֹל לָכֶם כָּל־זָכָר לְדֹרֹתֵיכֶם יְלִיד בָּיִת וּמִקְנַת־כֶּסֶף מִכֹּל בֶּן־נֵכָר אֲשֶׁר לֹא מִזַּרְעֲךָ הוּא. הִמּוֹל יִמּוֹל יְלִיד בֵּיתְךָ וּמִקְנַת כַּסְפֶּךָ וְהָיְתָה בְרִיתִי בִּבְשַׂרְכֶם לִבְרִית עוֹלָם. וְעָרֵל זָכָר אֲשֶׁר לֹא יִמּוֹל אֶת־בְּשַׂר עָרְלָתוֹ וְנִכְרְתָה הַנֶּפֶשׁ הַהִוא מֵעַמֶּיהָ אֶת־בְּרִיתִי הֵפַר....(١)

"..... هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم ، يختن وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، لأنه قد نكث عهدى " .

مما سبق يتضح لنا من هذا النص المقرائى الذى يبحث فريضة الختان ، تحديد العناصر التالية :

أ - تفرض فريضة الختان على كل ذكر من نسل إبراهيم .

ب - ختانه فى اليوم الثامن من ولادته .

ج - ختان العبد أيضاً سواء تمت ولادته بمنزل سيده أم اشتراه بالمال .

د - منلايختن عقوبته الموت (٢).

---

١) التكوين (١٧ : ٩ - ١٤)

٢) وقد جاء فى " فصول الآباء פִּרְקֵי אָבוֹת " - وهو قسم من الجزء الرابع فى المشنا المعروف باسم "נְזִיקִים الجنايات" ، مايلى :

רַבִּי אֶלְעָזָר הַמּוֹדָעִי אוֹמֵר: הַמְחַלֵּל אֶת־הַקָּדָשִׁים וְהַמְבַזֶּה הַמּוֹעֲדוֹת. וְהַמַּלְבִּין פְּנֵי חֲבֵרוֹ בָּרַבִּים וְהַמֵּפֵר בְּרִיתוֹ שֶׁל אַבְרָהָם אָבִינוּ, וְהַמְגַלֶּה פָּנִים בַּתּוֹרָה שֶׁלֹּא כַּהֲלָכָה - אַף עַל פִּי שֶׁיֵּשׁ בְּיָדוֹ תּוֹרָה וּמַעֲשִׂים טוֹבִים אֵין לוֹ חֵלֶק לָעוֹלָם הַבָּא

قال رابى العازر المودعى : إن من يدنس المقدسات (القرابين والذبائح والنذور) ويحتقر الأعياد ، ومن يخجل رفيقه أمام الناس ومن ينكث عهد ==

ونستنتج من هذا النص أيضاً أن ختان الطفل الرضيع يقع على أبيه ، وأن واجب ختان العبد يقع على سيده ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الذكر الذى لايختن يعاقب بالموت ، ولا يعاقب أبوه على عدم ختانه ، وكذلك لايوضح النص ماهى الأداة المستخدمة فى عملية الختان أو الأداة التى يجب الاختتان بها ، ولكن من نصوص أخرى فى سفر الخروج ، ويشوع ، نتعرف على أنهم كانوا أحيانا يختتنون بأداة حجرية حيث جاء "וַתִּקַּח צִפֹּרָה צֹר וַתִּכְרֹת אֶת עָרְלַת בְּנָהּ וַתַּגַּע לְרַגְלָיו וַתֹּ-אמֶר כִּי חֲתַן-דָּמִים אַתָּה לִי"[1].. فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه ، فقالت إنك عريس دم لى " .

ويبدو من هذا النص أن العبريين قد أخذوا عن المصريين استخدام هذه الأداة فى عملية الختان ، حيث كان المصريون قد بدأوا صنع أسلحتهم وسكاكينهم من صوان ، وكانوا يسمونه "الدس" ثم لم تلبث السكين نفسها ولو كانت من المعدن أن سميت دساً ، وإن كان كتّاب العهد القديم قد ظلوا يترجمون عن المصرية مايدل عليه اللفظ من معنى أصيل[2].

والواقع أن الختان قد عرف كشعيرة ضرورية ، خلال العصور التاريخية للشرق القديم حيث لم يكن تقليداً متبعاً عند الإسرائيليين فقط ، ولكن عند جزء كبير جداً

=) إبراهيم أبينا عليه السلام . ومن يُؤل التوراة على غير القواعد الأصولية . لانصيب له فى العالم الآخر (الجنة) ، ولو كان ذا معرفة بالتوراة ، وذا أعمال حسنة " .

انظر : מסכת אבות .מפורשת ומבוארת בצירוף מבוא מאת בן ציון דינור. הוצאת מוסד ביאליק ,ירוש-לים תשל"ח , פרק שלישי ,פסקה וו . עמ' 85 .

١) الخروج (٤: ٢٥) أو قارن أيضا يشوع (٥ : ٢ - ٣)
وانظر : אנצ'קלופדיה מקראית ,ערך מילה ,עמ' 898 .

٢) د. أحمد عبد الحميد يوسف . مصر فى القرآن والسنة . سلسلة أقرأ (٣٧٣) دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ . ص ١٩٥

من الشعوب الإنسانية ، إلا أن هناك بعض الاختلافات فى كيفية إجراء عملية الختان ، فهناك من يقطعون الغرلة كلها ، وهناك من لا يقطعون إلا جزءً صغيراً منها ، وهناك من يشرط فقط مقطعاً طويلاً فى عضو الذكر ، وهناك من يقومون بعمل عدة جروح فى أماكن متفرقة فى عضو الذكر ، وكذلك أيضا تختلف الطقوس المصاحبة للختان من مكان إلى مكان ، ومن سبط إلى سبط ، فعند بعض القبائل الأفريقية والأسترالية ، وعند بعض الشعوب الإسلامية يقومون بختان الإناث بالإضافة إلى ختان الذكور — حيث يتم ذلك بإزالة جزء أو أجزاء معينة من العضو الخارجى للأنثى — . هذا ويشير " هيرودوت " إلى انتشار عادة الختان فى مناطق الشرق القديم ، وبخاصة مصر وسوريا وعدة شعوب أخرى فى آسيا الصغرى ، وقد اجتهد " هيرودوت " فى إثبات أن مصر هى مصدر هذه العادة ؛ والحقيقة أنه قد تم أيضا اكتشاف نقوش مصرية قديمة تبين لنا كيفية إجراء عملية الختان ، وذلك بالإضافة إلى عدة صور ، وتماثيل تمثل رجالاً عُرلاً ، وبعض الجثث المحنطة التى بفحصها اكتشف أنها مختتنة ، وترجع هذه الإكتشافات إلى الفترة التى كان يمارس فيها الختان فى مصر ، ولكن من ناحية أخرى فإن المعلومات المكتوبة عن الختان فى الفترات القديمة ، قليلة وغير واضحة ، مما أدى إلى انقسام الآراء بشأن إجابة السؤال : هل المصريون كلهم مارسوا الختان ، أم أن الختان كان معتاداً فقط فى دوائر معينة ؟ ، ولكن الحقيقة المؤكدة أن الجندى المصرى القديم كان يقطع عضو التذكير عند أى أسير فى الحرب لم يختن ، لأنه كان يعده نجساً ، ولأن القيام به كان يعد علامة على النظافة والتطهير والطهارة (وهذه الكلمة الأخيرة هى التى تطلق على هذه العملية ، حتى الآن ، فى مصر الحديثة) ، ومع بداية القرن الثانى الميلادى عملت سلطات الاحتلال الرومانى على تقييد عادة الختان فى مصر ، واقتصارها فقط على أبناء أسر الكهنة الجديرين بالعمل بوظائف الكهنة ، وقد كان إعطاء الإذن بالختان من هذه السلطات يمر بعملية معقدة من ختم لوثائق وشهادات مكتوبة ، أما الكنعانيون فلم تكن عادة الختان غريبة عليهم أيضاً ، فقد حفظت لنا كتابات " فيلون " من " جبيل " أسطورة سببية عن الختان ، وتقول هذه الاسطورة : " حينما انتشر الطاعون والوباء قرّب " كرونوس " ابنه ووحيده قرباناً لأبيه " أورانوس "

إله السماء ، وأمر كل جنوده بالختان قرباناً "(١).

وقد اجتهد الباحثون فى أبحاثهم من أجل الوقوف على أسباب الختان ، غير تلك المذكورة فى العهد القديم، فتوصلوا إلى عدة أسباب لانتشار هذه العادة ، وقد نقل " فيلون " أربعة أسباب منها، وهى :(أ) الصحة ، حتى لاتصاب الغلفة بالالتهابات (ب) النظافة وذلك لمنع إلتصاق أية قذارة بها ، أو تجمع القذارة أسفل الغلفة أو إفرازات الجزء الداخلى للغلفة . (ج) التشابه بين عضو الجنس والقلب ، حيث إن العضو الجنسى يتسبب فى إحداث الولادة ، والقلب يولد الأفكار . (د) تسهيل إنزال المنى وزيادة الاخصاب (وقد اثبت الطب ان هذا السبب غير حقيقى) ، هذا وقد أضاف " فيلون " سببين آخرين من عنده حيث رأى أنهما جوهريان.وهما : (أ) أن الختان عمل رمزى يشير إلى إبعاد الشهوة ، وتعليم الإنسان السيطرة على غريزته (ب) أن عملية الختان تتم من أجل الوصول بالإنسان إلى الكمال وإبعاد اى تفكير فى الشر عن قلبه (٢).

والحقيقة أن الشعب اليهودى هو الذى أعطى للختان صبغة دينية ، فالختان لم يعرف قط ، على هذا النحو الذى يصوره لنا " سفر التكوين " الذى يقول : بهذه العلامة فى اللحم ، وفى هذا الموضع من الجسم قد أصبح " العهد المقدس " مبرماً على منح إبراهيم كل هذه الرقاع ، وإن قال:هذا الملك الوشيك حتما سيؤول إلى نسل إبراهيم ... ولذلك أخذ الختان معنى روحياً عند اليهود ، وهو تكريس

---

١) الاعتقاد بان الختان لم يأت إلا من أجل الصحة ، عاد الباحثون إلى بحثة فى القرن الـ ١٩ ، ولكن معظم الباحثين يرفضونه ، حيث يرون ان أسباب الصحة والنظافة لم تؤثر على عملية التفكير عند الإنسان البدائى ، ويقولون بأن البحث يجب أن يتم فى أنماط تفكير العالم البدائى ، ولكن الصعوبة التى تواجه هذا البحث ، هى أن رجال الأسباط البدائية لايعرفون لماذا هم يمارسون عادة الختان ، وإنما يقولون فى بساطة : تقاليد آبائنا ورثناها عنهم .
انظر : אנציקלופדיה מקראית, ערך מילה, עמ' 899.
وانظر أيضاً : אוצר ישראל, חלק ו', ערך מילה, עמ' 170.

٢) يحتمل أن موضوع النظافة الذى ذكره فيلون يرتبط بموضوع الطهارة ، وعلى أية حال فقد ذكر هيرودوت أن الكهنة المصريين الذين شددوا على طهارتهم قد اختتنوا من أجل النظافة ، ومن ناحية أخرى نجد أن المسلمين يطلقون على عملية الختان " الطهارة " أو " الطهور ".

الجسد ، ولذلك كانوا يدعون أنفسهم " أهل الختان "[١]. ويدعون من عداهم " أهل الغرلة " ، ولذلك حافظ اليهود على الختان ، حيث يذكر سفر التكوين أن إبراهيم كان ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته[٢]، ثم تجددت شريعة الختان على يد موسى " عليه السلام " إذ جاء فى سفر اللاويين :وַיְדַבֵּר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה לֵאמֹר: דַּבֵּר אֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל לֵאמֹר אִשָּׁה כִּי תַזְרִיעַ וְיָלְדָה זָכָר וְטָמְאָה שִׁבְעַת יָמִים כִּימֵי נִדַּת דְּוֹתָהּ תִּטְמָא. וּבַיּוֹם הַשְּׁמִינִי יִמּוֹל בְּשַׂר עָרְלָתוֹ"[٣] ـــ وكلّم الرب موسى قائلاً : إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة ، وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته " ... ثم أهمل بنو إسرائيل هذه العادة أثناء وجودهم فى صحراء سيناء ، ولكنهم حين دخلوا أرض كنعان اختتنوا جميعاً ، كما أشار إلى ذلك سفر يشوع[٤]، وكان فرض على أى أجنبى إذا اعتنق الدين اليهودى أو تزوج من يهودية أن يختتن مهما كان قد بلغ من العمر[٥]، ولم يكن يسمح لأحد بأن يصنع الفصح أو يأكله إلا إذا كان مختوناً ، إذ جاء فى سفر الخروج "וְכִי יָגוּר אִתְּךָ גֵּר וְעָשָׂה פֶּסַח לַיהוָה הִמּוֹל לוֹ כָּל-זְכָר וְאָז יִקְרַב לַעֲשׂתוֹ.... וְכָל-עָרֵל לֹא-יֹאכַל בּוֹ"[٦] ـ إذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختتن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه ... وان كان أغلف لا يأكل منه " .

ويعلق الحاخام " هرتس Hertz " على هذه الكلمات بقوله : " إن ولاء بنى إسرائيل للاختتان كنظام حيوى وأساسى فى الدين اليهودى ، واحتفاظهم به

---

١) وكذلك أيضا فان كل الانبياء اليهود يخاطبون بنى اسرائيل " بابناء العهد בְּנֵי בְּרִית " مفترضين فكرة العهد هذه ، وهم يرون ان لكل ميثاق علامة طقوسية ، فعلامة الميثاق مع " نوح " كانت " قوس قزح " ، وعلامة الميثاق مع إبراهيم هى "الختان" ، وعلامة العهد مع بنى إسرائيل فى سيناء هى: "السبت والوصايا العشر والتوراة" .

٢) راجع (التكوين ١٧ : ٢٣ - ٢٥)

٣) اللاويين (١٢ : ١ - ٣)

٤) راجع (يشوع ٥ : ٢ - ٧)

٥) راجع (التكوين : ٣٤ : ٢٧ -٢٤ ؛ والخروج ١٢ : ٤٨)

٦) الخروج (١٢ : ٤٨)

وتمسكهم به لايعرف حداً ، فاليهود رجالاً ونساء ، كانوا دائماً على استعداد لتضحية أرواحهم فى سبيله . فالشهداء المكابيون استشهدوا دفاعا عنه ، كما جاء فى سفر المكابيين " وتقبلت اليهوديات والأمهات اليهوديات الموت على يد الملك "انطيوخوس"(١) عندما أمرن بعدم ختان أولادهن "(٢)، وكذلك فى أيام اضطهاد الملك "هادريان". والتفتيش المسيحى ، وكل اضطهاد آخر ، كان بنو إسرائيل مستعدين دائماً لفدية هذا النظام بأرواحهم "(٣).

مما سبق يتضح أن السبب الأساسى للختان فى العهد القديم سبب دينى بالدرجة الأولى ، حيث يقصد به العهد بين الرب وإبراهيم ونسله ، وقد جاء هذا السبب فى النص الأساسى الذى يتحدث عن فريضة الختان ، ولكن علينا أن ننتبه إلى أن فريضة الختان لم تأت كموضوع مستقل فى حد ذاته ، ولكنه امتزج بموضوع العهد الذى قطعه الرب مع إبراهيم بإعطائه أرض كنعان له ولنسله إلى الأبد ، ويدخل فى هذا الموضوع أيضاً الإعلان الأول عن ميلاد " إسحاق "(٤)، بالإضافة إلى كيفية قيام إبراهيم بتنفيذ فريضة الختان له ولابنه " إسماعيل " وجميع أفراد بيته(٥)، ومن خلال هذا العمل ينبغى أن ندرك كون عهد الرب قد أصبح قائما لإسحاق ولنسله ، وأن فريضة الختان أصبحت تمثل لهم جميعاً وحدة واحدة ، ولكن من ناحية أخرى لانستطيع تفسير مفهوم الختان كما جاء فى سفر التكوين على أنه حد فاصل بين الداخلين فى العهد ، وغير الداخلين فيه(٦)، لأنه فى هذه الفترة كان أيضاً

---

١) وهو الملك " أنطيوخوس الرابع " أو " أبيفانيس " . ملك سوريا من عام ١٧٥ -١٦٣ ق.م تقريباً ، والذى فكر فى استعادة عظمة امبراطورية الاسكندر ، فبذل جهده لنشر الحضارة الإغريقية بين اليهود ، وأوقف عبادة " يهوه " ثم أجبرهم على أن يقدموا القرابين للآلهة اليونانية ، إلا أن المكابيين ثاروا ضده (راجع : المكابيون الأول ١ : ٤١ - ٥٣). ويظن كثيرون من المفسرين أنه هو " القرن الصغير " المذكور فى دنيال (٧ : ٨ ، ٨ : ٩ - ١٤) ، وان الإشارة الواردة فى دينال (١١ : ٧ - ٤٥) ، والتى تذكر المحتقر الذى ينجس الهيكل فى أورشليم إنما تعنى "انطيوخوس ابيفانيس" هذا .
انظر : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٢٦

٢) الخروج (١٢ : ٤٨)

٣) J.v.Hertz: The pentateuch and Haftorahs Hebrew Text and translation. Soncino press, London,1958, PP.58-59.

٤) راجع (التكوين ١٧ : ١٥ - ٢٢) (٥) راجع (التكوين ١٧ : ٢٣ - ٢٥)

٦) راجع (التكوين ١٧ : ٦ - ١١)

جيران الإسرائيليين يمارسون الختان[١]، ولذلك ينبغى تفسير الختان بأنه رمز يتضمن إثبات العهد بين الرب وإبراهيم ، وبذلك نرى فى الختان وسيلة لتوحيد المجتمع اليهودى برز فى اللحظة التى قطع فيها الرب العهد مع إبراهيم . ومن هنا ربط " سفر اليوبيليم " فريضة الختان بفكرة إختيار إسرائيل[٢]... وكذلك نجد أيضاً أنه بالرغم من التشابه بين الختان فى العهد القديم ، وعند الشعوب البدائية إلا أن هناك فرقاً جوهرياً بينهما ، وهو المفهوم الدينى والاجتماعى الذى يمثله العهد مع الرب ، والذى يعطى لختان الإسرائيليين معنى التخصيص والاختيار ، بينما الختان عند الشعوب البدائية يرتبط بمفاهيم أخرى أقل وضوحاً مما يمثله عند بنى إسرائيل ؛ كذلك أيضاً سنجد أن الحظر الذى يفرضه العهد القديم على الأغرل بألا يأكل من ذبيحة الفصح[٣]، يرمز إلى المفهوم الاجتماعى للختان كعلامة للعهد ، حيث نجد أن ذبيحة الفصح هى عمل يرمز إلى وحدة بنى إسرائيل ، كما أننا سنجد أن ماقام به يشوع من ختن الداخلين إلى أرض كنعان يتم تفسيره على هذا النحو ، حيث أمر يشوع بختن الشعب قبل أن يفعلوا الفصح الأول وقبل احتلالهم لأريحا[٤]. هذا بالإضافة إلى أن هذا الاختتان الذى أمر به يشوع يعطينا انطباعاً عن استعداد اليهود إلى تنفيذ العهد المبرم بين الرب وإبراهيم[٥].

أما رأى " موسى بن ميمون " فى الختان فقد جاء فى كتابه " دلالة الحائرين" حيث يقول : " إن احدى علل الختان هو تقليل النكاح ، وإضعاف هذه الآلة حتى يقصر هذا الفعل ويجمّ ما أمكن وقد ظن أن هذا الختان هو تكميل نقص خلقه ، فوجد كل طاعن موضعاً للطعن . وقيل كيف تكون الأمور الطبيعية ناقصة حتى تحتاج لتكميل من خارج مايتبين من منفعة تلك الجلدة لذلك العضو . وليس هذه الفريضة لتكميل نقص الخلقة ، بل لتكميل نقص الخلق . وتلك الأذية الجسمانية الحاصلة لهذا العضو هى المقصودة التى لم يختل بها شىء من الأفعال التى بها قوام الشخص

---

١) حيث لم يصبح الختان علامة مميزة لبنى إسرائيل إلا منذ فترة البيت الثانى
انظر : אוצר ישראל, חלק ו', עמ' 170.

٢) راجع (سفر اليوبيليم ١٥ : ٣٠) . وقد جاء فيه أيضاً ان الملائكة خلقوا مختتنين .

(٣) راجع (الخروج ١٢ : ٤٣- ٤٩)

٤) راجع (يشوع ٥ : ٢ - ٩)

٥) אנציק' מקר', ערך מילה, עמ' 899-900.

ولايبطل بها التناسل ، لكن نقص بها الكَلَب والشره الزائد على مايحتاج . وأما كون الختان يضعف قوة الانعاظ ، وربما نقص اللذة ، أمر لاشك فيه ، لان العضو إذا أُدمى وأُزيلت وقايته من أول نشوئه ، فلاشك ، أنه يضعف ، وببيان ذلك قال حكماء التلمود :"הנבעלת מן הערל קשה לפרוש - من الصعب أن تقارن المرأة الأقلف الذى جامعها[1]، هذا ويضيف موسى بن ميمون سبباً آخر ، وهو أنه بقدر التحاب والتعاون الحاصل بين أقوام كلهم بعلامة واحدة ، وهى بصورة العهد والميثاق ، وكذلك الختان هو العهد الذى عهد به " إبراهيم أبينا على اعتقاد توحيد الله ، وكذلك كل من يختن إنما يدخل فى عهد إبراهيم والتزام عهده لاعتقاد التوحيد ، حيث قيل : "לִהְיוֹת לְךָ לֵאלֹהִים וּלְזַרְעֲךָ אַחֲרֶיךָ" لأكون لك إلهاً ، ولنسلك من بعدك "[2].

ثانياً : طقوس الختان

وضع العهد القديم طقوساً معينة يجب اتباعها فى هذه المناسبة ، بالإضافة إلى ماسنّه الحكماء من تقاليد وطقوس تصاحب عملية الختان ، ولايزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه العادة بكامل طقوسها فيأتون بالطفل فى نهار اليوم الثامن من مولده إلى المعبد ، ثم يقومون بإعداد مأدبة من أجل تكريم فريضة الختان ، ثم يعدون مأدبة أخرى بعد إتمام فريضة الختان ، وذلك تنفيذاً لما أشار إليه سفر التكوين : "וַיַּעַשׂ אַבְרָהָם מִשְׁתֶּה גָּדוֹל בְּיוֹם הִגָּמֵל אֶת-יִצְחָק [3]- وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق " . ويقول الحكماء ان הג فى كلمة הגמל " فطام " = العدد ثمانية وذلك فى محاولة لتعليل حتمية اليوم الثامن للختان - ولما أشارت إليه فقرة المزامير: אספו לי חסידי כורתי בריתי על זבח [4]- اجمعوا إلى أتقيائى القاطعين عهدى على ذبيحة " ... هذا ويحضر حفل الختان عدد لايقل عن عشرة أشخاص

---

١) בראשית רבה , 70.

٢) التكوين (١٧ : ٧)
وانظر : موسى بن ميمون . دلالة الحائرين . تحقيق حسين أتاى . ص٧٠٦- ٧٠٧

٣) التكوين (٢١ : ٧)

٤) المزامير ٥٠ : ٥

ادوات الفنـــان وبجوارها كتاب عن
قواعد الفنان فى اليهودية .

المهتدين

ذكور إن أمكن ، وإن كان غير ممكن ، يسمح بأقل من ذلك[١] ، والعادة أنهم عندما يحضرون الطفل إلى حفل الختان يقولون "בָּרוּךְ הַבָּא - مرحبا"[٢] ثم يقومون بتكريم الطفل فيضعونه على " كرسى إلياهو " . وبعد ذلك يضعه الخاتن على ركبتى " السندا ق הַסַּנְדָּק "[٣] ،ثم يبارك " إسرائيل " الأمة المختارة من الرب الذى قدسها فى فرائضه ، وبعد هذه البركة يقوم الخاتن بقطع القلفة (قطعة الجلد الأمامية) ، وفور أن يتم القطع وتجفيف الدم يبارك أبو الطفل لإدخاله فى عهد إبراهيم ، ثم يردد الحاضرون : كما دخل فى العهد كذلك سيدخل إلى التوراة والظلة (وهى التى يقف تحتها الزوجان أثناء عقد القران عند اليهود) والأعمال الطيبة ، ثم يقوم الخاتن بكشف رأس القضيب ، ويأخذ كأس النبيذ ويقرأ البركة : " الذى قدس الصديق ابراهام من البطن يقطع العهد فى إسرائيل "[٤] ، ثم يتلو بركة الدعاء بأن يصون هذا الطفل أباه وأمه ، ثم يعلن اسم الطفل ... وجدير بالذكر أنه أثناء عملية الختان يجب على جميع الحاضرين الوقوف فيما عدا "السندا ق" حيث قيل "וַיַּעֲמֹד הָעָם בַּבְּרִית - ووقف الشعب فى العهد ".هذا وقد اعتادوا بعد إتمام عملية الختان أن يجتمع عشرة أشخاص ويمسك أحدهما حقوى الطفل ، وهو فى مهده ويضع عليه رداء ثم يضع فى يده محبرة وقلم ، دعوة تمنى لأن يكون الطفل كاتباً خبيراً بالتوراة [٥].

---

١) אוצר ישראל ,חלק ו' ,עמ' 172.

٢) وإثباتا لتحديد اليوم الثامن للختان يقولون ان הַבָּא = العدد (٨) فى حساب الجمل . انظر : المصدر السابق نفس الصفحة.

٣) وهو لقب مألوف بين اليهود يطلقونه على من يضع الطفل فوق ركبتيه لحظة ختانه ، وفى الغالب يكون جد الطفل أو أحد الصديقين ، ويطلق عليه أيضاً اسم " سيد العهد " . وقديماً كان يقوم بعملية الختان عادة رب البيت أو أحد العبرانيين ، وأحيانا الأم .
(راجع (الخروج ٤ : ٢٥ ، والمكابيون الأول ١ : ٦٠)

٤) " אשר קדש ידיד (אברהם) מבטן בארץ ישראל כורת הברית" (שבת : קל"ז).

٥) אוצר ישראל ,חלק ו' ,עמ' 172.

ولعل هذه الإجراءات التى تتبع،يقوم بها جمهور اليهود غير أن هناك فرقة من اليهود هى فرقة " السفارديم " [1]، يقومون بعملية الختان فى المنزل ، ولذلك ينقلون " كرسى البركة כִּסֵּא הַבְּרָכָה " وهو " كرسى إلياهو כִּסֵּא אֵלִיָּהוּ " من المعبد إلى منزل أبى الطفل ... أما التقليد المتبع فى أورشليم فهو أن يقدم الحاضرون إلى أبى الطفل طبقاً من الطعام اللذيذ ، ومعه الخمر ، ويسمونه بالسفاردية "בוכיה Bugia " وبالاسبانية " קאראיה " وتعنى الشمعة ذات الإضاءة المستديمة . وهناك تقليد قديم مازال باقياً فى فلسطين ، وهو تقديم صينية من الفضة تحيط بها الشموع المضيئة ، إلى والد الطفل ... وعند يهود سوريا يعلن " الشمّاس " : " من سيفوز بأحقية إضاءة الشموع " وكل من يضىء شمعة يضع داخل الصينية بعض النقود ، التى ترسل بعد ذلك إلى مؤسسات الإحسان والبر ، أما يهود مصر فقد كانوا يضيئون فوانيسهم فى الشارع الذى يقع فيه منزل والد الطفل ، كما كان يحدث فى أيام الاضطهاد

---

١) סְפָרַדִּים السفارديم : وهم اليهود الذين استقروا فى حوض البحر الأبيض المتوسط وكلمة " سفرد " كانت تدل فى الفكر اليهودى فى العصور الوسطى ، على شبه جزيرة ايبيريا ، التى تضم أسبانيا والبرتغال ثم أصبحت تعنى " أسبانيا " باختصار . وقد فقد هؤلاء اليهود اللغة العبرية بعد " الدياسبورا " ، أى التشتيت الذى أوقعه بهم الرومان على يد تيتوس سنة ٧٠ م ، وهدريان سنة ١٣٥ م ، وأصبحوا يتكلمون لهجة أسبانية قديمة ركيكة مكسرة محرفة ، كانت تسمى " لادينو " أى لاتينى " لاعتمادها على أصول لاتينية أسبانية عامية ممزوجة ببعض المصطلحات الدينية العبرية . وجدير بالذكر أنه عندما دخل العرب الأندلس منحوا اليهود حرية دينية وثقافية واجتماعية لم يعرفوها فى أى عهد من عهودهم وبعد خروج العرب من الأندلس ، وتضييق محاكم التفتيش الكاثوليكية بعد ذلك على بقايا المسلمين واليهود فى أسبانيا هاجر عدد كبير من هؤلاء السفارديم إلى فرنسا وإيطاليا واليونان ، وتركيا ، فضلاً عمن استقر منهم فى العالم العربى ، كما ذهبت أعداد كبيرة منهم أيضا إلى إنجلترا وهولندا .

انظر : د . حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢٤٥ - ٢٤٦

كرسى الياهو .

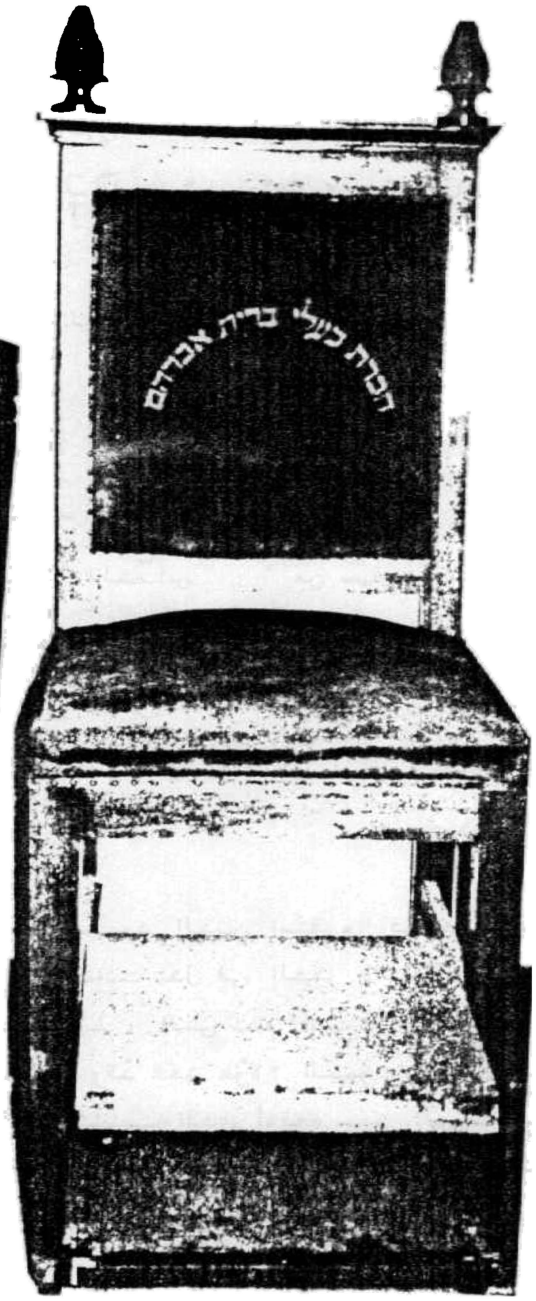

الدينـــى(١).

كرسى إلياهو כִּסֵּא אֵלִיָּהוּ

سبق أن ذكرنا أن اليهود يعتقدون أن "النبى إلياهو" سينزل إلى الأرض مـــرة أخرى ليشارك الوجود اليهودى كل "أيام السنة ، وقد أدى هذا الاعتقاد إلـــى ايمانهم بحضور "إلياهو" فى كل حفل ختان لكل طفل يهودى دون أن يراه أحـــد، حيث يأتى " كملاك العهد מלאך הַבְּרִית "(٢)، حتى إذا نزل وجد كرســيه شاغراً فيجلس عليه ، حيث يتجه الخاتن إليه بقوله : " הִנֵּה שֶׁלְּךָ לְפָנֶיךָ, עֲמוֹד לִימִינִי וְסַמְכֵנִי - هاقد أراق أمامك ، قف عن يمينى وساعدنى " . وقـــد أرجع الأدب المدراشى هذا التقليد إلى شكوى إلياهو لربه عند جبل " حوريـــب " حيث تجلى له الرب وقال له " مالك ههنا يا إيليا ؟ فقال له : قد غرت غـــيرة للرب إله الجنود ، فقال له الرب : أنت غيور دائماً وأبدا ، فقد غيرت علـــى كشف العورات والآن غرت على عهد إبراهيم ، ولذلك أقسم بحياتك أنه لايتم ختـــان فى إسرائيل حتى تراه بعينيك ..."(٣)، ومن هنا قال الحكماء بضرورة وجود مقعد مجهز فى حفل الختان لملاك العهد إلياهو ، أطلق عليه كما ذكرنا " كرسى إلياهو" وأصبح بذلك لايحق لأى يهودى أن يقيم حفل ختان لايكون فيه مقعد إلياهو جاهـــزاً ليجلس عليه عند وصوله ، على الرغم من اعتقادهم انه لاينكشف للحاضرين ، أى لايراه

---

١) راجع סנהדרין , 32 : 72.
وانظر : מאיר גרנוולד , מחקרי המרכז לחקר הפולקלור, סיפורי-עם, רומאנסות ואורחות-חיים של יהודי ספרד. טקסטים ומחקרים בעריכת דב נוי, הוצ-את ספרים על שם י"ל מאגנס, דפוס מנחם , ירושלים 1982 , עמ' 277.

٢) وقد جرى المفسرون اليهود على التركيز على مجىء إلياهو النبى عند تفسير فقرة ملاخى (٣ : ١) : " הִנְנִי שֹׁלֵחַ מַלְאָכִי וּפִנָּה-דֶרֶךְ לְפָנָי וּפִתְאֹם יָבוֹא אֶל-הֵיכָלוֹ הָאָדוֹן אֲשֶׁר-אַתֶּם מְבַקְשִׁים וּמַלְאַךְ הַבְּרִית אֲשֶׁר-אַתֶּם חֲפֵצִים הִנֵּה-בָא אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת "
إننى مرسل ملاكى فيهىء الطريق أمامى ، وبغتة يأتى السيد الذى تنتظرونه إلى هيكله ، وملاك العهد الذى ترتضون به . ها إنه آت ، قال رب الجنود " وقال الحكماء إن " ملاك العهد " المذكور هو النبى الياهو نفسه. ولعلهم يقصدون بذلك الملاك الذى يشهد عملية الختان ، والتى تدل بدورها علـــى قيام العهد . انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى ص ١٢٦ .

٣) Encyclopedia Judaica, "Elijah" PP. 644-645.

أحد لأنه يرى ولايرى[1]. وهناك حكاية شائعة بين اليهود عن الطفل الذى أحضروه إلى حفل الختان ، وقال جميع الحاضرين "בָּרוּךְ הַבָּא مرحبا " كعادة بنى إسرائيل عند إدخال الطفل للاختتان ، وهى فى نفس الوقت تحية يرحبون بها بإلياهو النبىّ ، وفى حفل الختان هذا كان السندات هو " رابى يهوذا الحسيد الذى من رجنشبورج רבי יהודה החסיד מן רגנשבורג " ، وقد مر الوقت وهو لم يتحرك من مكانه لأخذ الطفل ويضعه على ركبتيه ، فاندهش جميع الحاضرين ،وقالوا له : لماذا لاتبدأ فى عملية الختان ؟ فقال لهم لأننى لم أر بعد إلياهو يجلس بجانبى !، ولم يتم كلامه حتى رأوا شيخاً موقراً ينظر من النافذة ، فخاطبه رابى يهوذا قائلاً : لماذا لايدخل سيدى للمعبد للاشتراك فى حفل الختان ؟ فقال له الشيخ الذى كان هو نفسه إلياهو النبىّ : لايمكننى الاشتراك فى حفل ختان هذا الطفل ، لأنه فى المستقبل عندما يكبر سيخرج عن العقيدة الصادقة ، وكان كذلك[1].

هذا ويرجع إلى إلياهو النبىّ أعظم الأثر فى نظام وتعليم " القبالاه הַקַּבָּלָה[3] " وذلك فيما يتعلق برابى إسحاق لوريا الملقب بالأرى "הָאֲרִי" حيث تذكر سيرته اهتمام الياهو به سنوات عديدة قبل اشتهاره ، وقد بدأت رعاية إلياهو له منذ حمله وولادته ، فبعد ولادته تجلى إلياهو النبى إلى أبيه ، الذى كان حسيديّاً عظيماً ، وقال له : احذر : فى يوم ختان هذا الطفل ، لاتختنه حتى ترانى أقف أمامك فى المعبد ... وحينما حان يوم ختانه فى اليوم الثامن لولادته ، وأحضروه إلى المعبد ، أخذ أبوه ينظر هنا وهناك ليرى هل جاء إلياهو ولم يره ، واستمر فى النظر حوله لمدة نصف ساعة تقريباً ، وأكثر الحاضرين مندهشون لهذا التوقف ، إلى أن صرخوا فيه يطلبون البدء فى الختان ! إلا أنه لم يأبه لصراخهم وظل ينتظر مجىء إلياهو ، وفى تلك الأثناء جاء إلياهو وقال لوالد الطفل : اجلس على هذا الكرسى ، وامسك بالطفل بين يديك ، ثم جلس إلياهو فوق ركبتى والد الطفل وأخذ الطفل من بين يديه ، ووضعه فوق ركبتيه ،

---

١) نفس المصدر السابق .

٢) לוי גינצבורג ,אגדות היהודים ,כרך ג' ,עמ' 201 .

٣) هذه اللفظة هى اختصار للقب واسم "رابى اسحاق لوريا" وهو: "הָאֱלֹהִי אַשְׁכְּנַזִי רַבִּי יִצְחָק לוּרְיָא".

ثم قام الخاتن بختان الطفل ، ولم ير شيئاً مما حدث ، بل ولم ير أحداً من الحاضرين شيئاً إلا والد الطفل فقط ، وبعد إتمام عملية الختان ، أعطى إلياهو الطفل لأبيه وقال له : خذ الطفل وحافظ عليه ، فسوف يخرج منه نور عظيم على العالم (١).

ومما تقدم نلاحظ أن شخصية إلياهو قد تغلغلت فى المعتقدات اليهودية ، وكان لها أكبر الأثر فى أفعال اليهود ، وقيامهم بأداء طقوسهم حتى وصل بهم الأمر إلى تأجيل القيام بمثل هذه الطقوس حتى يتأكدوا من حضور شخص إلياهو الذى يراهم ولايرونه ، وإنما يحسون حضوره ومباركته لأفعالهم ، ووصل بهم الأمر إلى أن الصالح منهم ، يرجعون صلاحه إلى حضور "الياهو" إليه وحمله له يوم ختانه كما رأينا فى أسطورة حمل "إلياهو" لإسحق لوريا" الذى أصبح له شأن بعد ذلك .

---

١) المصدر السابق ص : ٤٣

اليـاهو فى طقوس الفصح

أولا : آراء حول الفصح ومعناه والغرض منه (١)

لليهود أيام وأعياد ومواسم يعتبرونها مقدسة ، ويحيطونها باهتمام شديد، ويحتفلون بها احتفالاً عظيماً ، ويؤدون ما أمرتهم به الشريعة من مراسم وطقوس خاصة بكل موسم أو عيد ، ويمتنعون فيها عن أى شئ لاتقره الشريعة ، وفى بعض هذه الأيام والأعياد والمواسم يجتمعون فى أورشليم من كل أنحاء بلادهم ، ومن كل أنحاء البلاد الأخرى ، حتى ليبلغ عددهم الملايين ، ليقدموا الذبائح والقرابين ، ويؤدوا الشعائر اللازمة فى الهيكل وهم يهتفون بالأبواق(٢)، ويرقصون على ضربات الدفوف(٣).

---

١) عيد الفصح : חַג הַפֶּסַח : وهو عند الإسرائيليين أهم يوم فى تاريخ حياتهم ، وأول أيامه الخامس عشر من شهر نيسان من السنة اليهودية ، ولأنه تذكار أول يوم كيانهم كأمة ونيلهم الحرية التامة بعد العبودية نحو ٢١٠ سنوات فى مصر على عهد الفراعنة ، ولذلك يسمونه عيد الحرية ، وقد سمى بالعبرية " פֶּסַח " من الفعل " פָּסַח " أى خطا خطوة كبيرة كما هو مترجم بالانجليزية تماما " Passover " ، ويعرف عند العامة بعيد الفطير ، وعيد الرقاق وعيد المصوت ، وعيد المرير ، ويسمى بالعربية فصحا وليس فسحا ، وهو الأصح . وقيل إن פֶּסַח مركبة من פה־סח أو שח - أى روى وأنعم ونطق وتحدث الفم ، من باب التأويل .
انظر : לפסיקון מקראי ,עמ' 499.

٢) فقد جاء فى سفر العدد (١٠ : ١٠) "וּבְיוֹם שִׂמְחַתְכֶם וּבְמוֹעֲדֵיכֶם וּבְרָאשֵׁי חָדְשֵׁכֶם וּתְקַעְתֶּם בַּחֲצֹצְרֹת עַל עלֹתֵיכֶם וְעַל זִבְחֵי שַׁלְמֵיכֶם וְהָיוּ לָכֶם לְזִכָּרוֹן לִפְנֵי אֱלֹהֵיכֶם אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם.
وفى يوم فرحكم وفى أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق على محرقاتكم وذبائح سلامتكم فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم . أنا الرب إلهكم " .

٣) وقد جاء فى سفر الخروج (١٥ : ٢٠)" וַתִּקַּח מִרְיָם הַנְּבִיאָה אֲחוֹת אַהֲרֹן אֶת־הַתֹּף בְּיָדָהּ וַתֵּצֶאן כָּל־הַנָּשִׁים אַחֲרֶיהָ בְּתֻפִּים וּבִמְחֹלֹת "فاخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها . وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ".

ومن الأعياد أو الأيام المقدسة التى ورد ذكرها فى أسفار موسى ، " عيد الفصح " ، والفصح كان عيداً للربيع عند اليهود ، فهم على غرار الأمم الأخرى فى العالم ، قد حرصوا على أن يكون لهم عيد كبير فى الربيع ، وأعياد الربيع عند جميع الشعوب تتقارب بالطبع فى زمانها ، وتختلف فى مناسبتها التاريخية ، إلا أن اليهود يذكرون أن هذا العيد كان للاحتفال بالربيع خاصة ، وكان الشهر الذى يقع فيه يسمى فى العهد القديم شهر أبيب " אָבִיב " وتعنى فى العبرية الربيع ، ثم حدث أن تحددت هجرة بنى إسرائيل من مصر مع موسى فى هذا الوقت ، فأصبح هذا العيد إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون وخلاصهم من العبودية فى مصر ، ومن هنا جاء اختيار أمثال سعديا الفيومى(١) من علماء اليهود أن يسموه " الفسح " أى الفرج بعد الضيق(٢).

وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم ، لكل منها معناه ومغزاه ، فى الاشارة إلى جانب من معانى العيد المتعددة ، وأشهر هذه الأسماء :

١ - عيد الربيع -" חַג הָאָבִיב " طبقاً لحلول العيد فى فصل الربيع ، فإن هذا الاسم يشير إلى ازدهار الطبيعة وإلى تجدد الخلق والإنسان معاً ، وقد وقع هذا العيد فى شهر نيسان اليهودى (مارس - أبريل) الذى كان له أهمية خاصة فى التراث الإسرائيلى حيث قيل عنه فى العهد القديم : הַחֹדֶשׁ הַזֶּה לָכֶם רֹאשׁ חֳדָשִׁים רִאשׁוֹן הוּא לָכֶם לְחָדְשֵׁי הַשָּׁנָה (٣) - هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور . هو لكم أول شهور السنة ".. لأنه فى هذا الشهر وقعت أهم أحداث تاريخ بنى إسرائيل ، وهو الخروج من مصر . وكما هو الحال فى الأعياد

---

١) سعديا سعيد الفيومى : (٨٨٢ - ٩٤٢ م) : أحد حاخامات اليهود ، ولد فى مصر بالفيوم ومنها سمى سعديا الفيومى ، وعين جاون أكاديمية سورا . وقد هاجم القرائين فى كتاباته التى أهمها كتاب الأمانات والاعتقادات ، الذى ألفه بالعربية ثم ترجم إلى العبرية فيما بعد) وقد اتبع فى مؤلفه هذا أسلوب المتكلمين المسلمين ومنهجهم . ومن أعماله أنه أول من ترجم العهد القديم إلى العربية وكتب تعليقات على معظم أجزائه ، ويعد مؤسس علم دراسة اللغة العبرية .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٢١٣

٢) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢١٨ .

٣) الخروج (١٢ : ٢)

الأخرى ، توجد علاقة قوية بين المفهوم القومى و التاريخى للعيد ومايحدث فى الطبيعة وفلاحة الأرض ، فبما أن شهر الربيع يرمز إلى تجدد الطبيعة كذلك يرمز إلى تجدد شعب إسرائيل - الذى هو ربيع العالم كله - أما الاسم " نيسان נִיסָן " فهو كبقية أسماء الشهور العبرية مصدرها فى اللغة البابلية (١) ، ولذلك قدم المفسرون تفاسير عديدة للاسم " نيسان " : فقالوا إنه يشبه " نيصان " التى تشير إلى حلول موسم الربيع على العالم ، فقد جاء فى نشيد الانشاد "כִּי-הִנֵּה הַסְּתָו עָבָר הַגֶּשֶׁם חָלַף הָלַךְ לוֹ הַנִּצָּנִים נִרְאוּ בָּאָרֶץ עֵת הַזָּמִיר הַגִּיעַ וְקוֹל הַתּוֹר נִשְׁמַע בְּאַרְצֵנוּ(٢)- لأن الشقاء قد مضى و المطر مر وزال . الزهور ظهرت فى الأرض . حان وقت القوة . وصوت اليمامة سمع فى أرضنا " ، أما معنى " نيسان " فى الأكادية فهو :"شهر رجال الجيش" ولذلك وجد حكماء اليهود مقابلا لهذا المعنى فى فقرة صموئيل الثانى "וַיְהִי לִתְשׁ-וּבַת הַשָּׁנָה לְעֵת צֵאת הַמְּלָכִים(٣)- وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك ". ويقول مفسرو العهد القديم إن موسم الربيع ملائم للخروج حيث يكون الطعام كافياً فى الحقول للبهائم وخاصة للخيول حيث يقول " رابى يوسف داود רבי יוסף דוד " : " من نيسان وبعد سقوط الامطار ، تكثر المحاصيل فى الحقول من أجل إطعام الخيول " . أما " رشى רש"י " فقد وجد " علاقة " بين كلمة "נִיסָן نيسان" وكلمة"נִיסִּים معجزات " ، حيث إن كل أزمة تحل على إسرائيل يقولون إن فى نيسان خلاصهم منها (٤) . وهكذا أصبح شهر نيسان فى الفكر الدينى اليهودى هو الشهر الذى خصه الرب للمعجزات و الأحداث العظيمة ولذلك قال حكماء اليهود :"בניסן נגאלו אבותינו ממצרים , ובניסן עתידין ליגאל(٥) - فى نيسان أُنقذ آباؤنا من مصر ، وفى نيسان سوف يكون خلاصنا"

---

١) ورد ذكره مرتين فى العهد القديم فى مجيلاة أستير(٣ : ٧) ،وفى (نحميا ٢ : ١)

٢) نشيد الانشاد (٢ : ١١ - ١٢)

٣) صموئيل الثانى (١١ : ١)

٤) راجع (סדר זרעים , מסכת ברכות 56 , 72) .

٥) راجع (סדר מועדים , מסכת ראש הַשָּׁנָה 11 , 71).

ومن الأحداث العظيمة إقامة المسكن (הַמִּשְׁכָּן) فى الصحراء[١]، وبدأت التجهيزات لدخول أرض كنعان فى " نيسان " فى نهاية السنوات الأربعين فى الصحراء[٢] وهناك أيضاً أحداث مهمة وقعت فى هذا الشهر، رسخت الاعتقاد فى الفكر الدينى اليهودى بأن الخلاص سيكون فى نيسان وبسبب ذلك أخذ نيسان طابع جو العيد ، وبالإضافه إلى ذلك فقد حرّم رجال الدين اليهودى الصيام فى شهر نيسان وكذلك الابتهالات والعادات غير المعتادة التى لايقولونها فى العيد ؛ أما فى العهد القديم فقد أطلق على نيسان اسم " شهر أبيب " أى " شهر الربيع " كما جاء فى سفر التثنية : " שָׁמוֹר אֶת־חֹדֶשׁ הָאָבִיב וְעָשִׂיתָ פֶּסַח לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ כִּי בְּחֹדֶשׁ הָאָבִיב הוֹצִיאֲךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ מִמִּצְרַיִם לָיְלָה "[٣]- احفظ شهر أبيب واعمل فصحا للرب إلهك لأنه فى شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً " . ولأن نيسان هو شهر الربيع ، حدد الحكماء كل أعياد السنة الأخرى وفقاً له ، ولأن بداية شهر نيسان تشير إلى سنة جديدة فى اليوبيل الزراعى فقد تم تحديد رأس السنة للسنابل فيه (١٧ من نيسان) ولذلك يفسر التلمود ذلك فيحدد : אמר הקדוש ברוך הוא, הביאו לפני עומר בפסח כדי שתתברך לכם תבואה שבשדות"[٤]- قال الرب احضروا أمامى حزمة سنابل فى الفصح لكى تبارك لكم المحصول فى الحقول " .

٢ - عيد الفصح חַג הַפֶּסַח :

وأصل معناه القديم الخطو والمرور والعبور ، وقد أطلق هذا الاسم على "قربان الفصح " حيث كانت الفريضة الرئيسية لليلة الفصح " פסח מצרים "

١) راجع (الخروج ٤٠ : ٢ ؛ واللاويين ٩ : ١)
٢) راجع (يشوع : ٣)
٣) التثنية (١٦ : ١)
٤) סדר מועדים, מסכת ראש השנה, (16-21).
חגים ומועדים, בעריכת דבורה והרב מנחם הכהן, חג הפסח - חג השבועות, בית הוצאה כתר, ירושלים בע"מ 1978, עמ' 11 - 12.

- فصح مصر - " حيث أمر الرب موسى وهارون قائلاً : "דברו אל כל עדת יש-
ראל לאמר : בעשר לחדש הזה ויקחו להם איש שה לבית אבת
שה לבית..והיה לכם למשמרת עד אַרְבָּעָה עָשָׂר יום לַחֹדֶשׁ הַזֶּה
ושחטו אתו כל קהל עדת ישראל בין הערבים, ולקחו מן הדם
ונתנו על שתי המזוזות ועל המשקוף...ואכלו את הבשר
בלילה הזה צלי אש ומצות על מררים יאכלהו...וככה ת-
אכלו אתו מתניכם חגרים נעליכם ברגליכם ומקלכם ביד-
כם ואכלתם אתו בחפזון"(١) لكما كل جماعة إسرائيل قائلين : في العاشر من هذه الشهر يأخذون لهم كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء شاة للبيت ... ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت ... ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه ... وهكذا تأكلونه . أحقاؤكم شدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيكم في أيديكم وتأكلونه بعجلة ".

أما فصح الأجيال " פסח דורות " فهو ما أمر به بنو إسرائيل بتقريبه بعد الخروج من مصر ، كل سنة في ليلة الفصح : וְחַגֹּתֶם אֹתוֹ חַג לַיהוָה לְדֹרוֹתֵיכֶם " (٢)- فتعيّدونه عيداً للرب . في أجيالكم ". وتختلف أحكامه عن فصح مصر في أمرين جوهريين . أولاً : ليس ضرورياً رش الدم على العتبة وقائمتي البيت ،وثانياً : عدم الأكل بعجلة . أما عن خروف الفصح فيجب على رب الأسرة ذكر سببه في هجاداة الفصح(٣) فيقول :

---

١) الخروج (١٢ : ٣ - ١١)
٢) الخروج (١٢ : ١٤)
٣) هجاداة הגדה : رواية . قصة أو حديث . اسم فعل من الفعل "נגד". تحتوي على بعض فقرات من الكتاب التي تبحث عن كيفية خروج بني إسرائيل من مصر ، مع تفاسير وايضاحات من الحكماء تلذ قراءتها السامعين ،وعلى احتفالات تبسط الأولاد وتنبه أفكارهم لها وقد ،وضعت هذه الفريضة لتقديم الشكر لله تعالى على خلاص آبائهم من عبودية الفراعنة قديماً واتمام ما أمروا به تكرارا في العهد القديم من أن يقصوا على أولادهم وأهل==

פֶּסַח שֶׁהָיָה אֲבוֹתֵינוּ אוֹכְלִים בִּזְמַן שֶׁבֵּית הַמִּקְדָּשׁ קַיָּם עַל שׁוּם מָה, עַל שׁוּם שֶׁפֶּסַח הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא עַל בָּתֵּי אֲבוֹתֵינוּ בְּמִצְרַיִם. שֶׁנֶּאֱמַר. וַאֲמַרְתֶּם זֶבַח פֶּסַח הוּא לַיְיָ אֲשֶׁר פָּסַח עַל בָּתֵּי בְנֵי יִשְׂרָאֵל בְּמִצְרַיִם בְּנָגְפּוֹ אֶת מִצְרַיִם. וְאֶת בָּתֵּינוּ הִצִּיל וַיִּקֹּד הָעָם וַיִּשְׁתַּחֲווּ׃ (١)

الترجمه : " خروف الفصح الذى كان آباؤنا ياكلونه فى مدة وجود بيت المقدس ! لأى سبب ؟ لأن "المقدس" و"المبارك" عبر عن بيوت آبائنا فى مصر كما قيل إنكم تقولون هى ذبيحة فصح (أى عبور) للرب الذى عبر عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر عندما ضرب المصريين وخلص بيوتنا . فخر الشعب وسجدوا" .

٣ — חַג הַחֵרוּת عيد الحرية :

إن سبب تسمية عيد الفصح بهذا الاسم هو أن جوهره وأساسه حادثة خروج بنى إسرائيل من مصر أى من العبودية إلى الحرية ، ولذلك فإن إحياء ذكرى الخروج من مصر هو هدف أحكام وفرائض هذا العيد ، فذكرى الخروج من مصر تلتزم به أغلب الفرائض الجوهرية التى فرضت على بنى إسرائيل ، فنجد الوصايا العشر (٢) العشر تبدأ بالفقرة : "אָנֹכִי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֲשֶׁר הוֹצֵאתִיךָ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם."

=) بينهم كيفية الخلاص ، والعجائب التى صنعها لأجلهم ولشكره على عنايته الإلهيه المستمرة بآبائهم وبهم (راجع الخروج ٢١ : ٢٥ — ٢٨ — والتثنية ٦ : ٢٠ و ٧ : ٨) . وقد كتب الاسم الأول من الهجاداه باللغة الآرامية فى بابل مدة السبى وبقى على أصله إلى هذا اليوم . وهو يذكر واجبات كل صاحب عائلة أن يساعد إخوته المحتاجين لكى يحتفلوا بعيد الفصح (راجع التثنية ١٦ : ١١ و ١٢) وقد سميت " הַגָּדָה " على اسم الفقرة : וְהִגַּדְתָּ לְבִנְךָ בַּיּוֹם הַהוּא לֵאמֹר בַּעֲבוּר זֶה עָשָׂה יְהוָה לִי בְּצֵאתִי מִמִּצְרָיִם وتخبر ابنك فى ذلك اليوم قائلاً من أجل ماصنع إلى الرب حين أخرجنى من مصر " (الخروج ١٣ : ٨) ، وقد أطلق عليها حكماء التلمود أيضا " הגדתא " (פסחים קט"ז) .
انظر : אוצר ישראל, חלק ד', עמ' 104.

١) الخروج ١٢ : ٢٧ وانظر أيضاً : דר' הלל פרחי, הגדה של פסח, כפי מנהג ק"ק ספרדים יצ"ו הוצאת המזרח מצרים 1922, עמ' 31.

٢) الخروج ٢٠ : ٢

أنا الرب إلهكم الذى أخرجتك من أرض مصر " وعن السبت قيل : " וְזָכַרְתָּ כִּי־עֶבֶד הָיִיתָ בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם וַיֹּצִאֲךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ מִשָּׁם בְּיָד־חֲזָקָה וּבִזְרֹעַ נְטוּיָה ,עַל־כֵּן צִוְּךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לַעֲשׂוֹת אֶת־יוֹם הַשַּׁבָּת [1] - واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد قوية [2] وذراع ممدودة [3] " .

كذلك أيضاً ارتبطت معظم الفرائض الاجتماعية بحادثة الخروج ، ففى هذه الذكرى يحظر بيع عبد عبرانى ويحظر الربا وخداع الأجنبى ، ويحظر الغش فى الوزن والمكيال ، والظلم فى الأحكام ... أما " حكاية الفصح " فان جوهرها ومضمونها هما حادثة الخروج ، حيث تتضمن هذه الحكاية موضوعين أساسيين ، الأول: وصف الاستعدادات والعمل الشاق فى مصر ، وهو مايكثر العهد القديم من وصفه وتصويره ؛ والثانى : معجزة الخروج والعجائب التى حدثت لبنى إسرائيل عند خروجهم من مصر مثل " الضربات العشر עֶשֶׂר מַכּוֹת "[4]، وشق بحر سوف

---

١) التثنية (٥ : ١٥)

٢) بيد قوية : בְּיָד חֲזָקָה : ويفسر حكماء اليهود هذه الفقرة بأنها " وباء " ، ويعتمدون فى ذلك على فقرة الخروج (٩ : ٣) "הִנֵּה יַד־יְהוָה הוֹיָה בְּמִקְנְךָ אֲשֶׁר בַּשָּׂדֶה בַּסּוּסִים בַּחֲמֹרִים בַּגְּמַלִּים בַּבָּקָר וּבַצֹּאן דֶּבֶר כָּבֵד מְאֹד - فهاهى يد الله تكون على مواشيك التى فى الحقل ، على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وباءً ثقيلاً " .
انظر : הגדה של פסח, עמ' 25.

٣) وبذراع ممدودة : וּבִזְרֹעַ נְטוּיָה : ويقول حكماء اليهود فى تفسيرها : أنها تشير إلى السيف (الذى ذبحت به الأبكار) كما قيل فى موضع آخر فى أخبار الأيام الأول (٢١ : ١٦) :
"וְחַרְבּוֹ שְׁלוּפָה בְּיָדוֹ נְטוּיָה עַל־יְרוּשָׁלִַם - وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم ".
انظر : הגדה של פסח, עמ' 25.

٤) الضربات العشر עֶשֶׂר מַכּוֹת : وهى التى أنزلها " يهوه " على المصريين فى مصر ، وهى : الدم ، الضفادع ، القمل ، والذباب ، والوباء ، والدمامل ، والبرد ، والجراد ، والظلام ، وضربة الأبكار . وقد وضع رابى يهوذا ثلاث كلمات مركبة من أول حرف من اسم كل ضربة فى العبرانية تسهيلا للذاكرة وهى : "דצ"ך עד"ש באח"ב " . وترجمها " طبخ عدساً فى ==

(البحر الأحمر) ، وهذان الموضوعان يرجع مغزاهما العميق إلى الرغبة فى الحرية وهى الفكرة الأساسية لحادثة الخروج من وجهة نظر الفكر الدينى اليهودى(١).

٤ - חַג המצות عيد الفطير :

أحد الطقوس الرئيسية فى عيد الفصح توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطرى ، لايدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق فى الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر فقد جاء فى سفر الخروج : "ויאפו את הבצק אשר־ הוציאו ממצרים עגת מצות. כי לא חמץ, כי גרשו ממצרים ולא יכלו להתמהמה וגם צדה לא עשו להם"(٢) وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر

=) الحلة " وقد جرت العادة أن يسكبوا قليلاً من النبيذ فى طست عند ذكر كل واحدة من الضربات العشر والثلاث كلمات وضع رابى يهوذا،وعند ذكر "דם ואש ותימרות עשן " - دماً ، ونار ، وأعمدة دخان "
(يوئيل ٣ : ٣) انظر : הגדה של פסח, עמ' 25.

١) חגים ומועדים, חג הפסח, עמ' 14.
يجب أن نلاحظ هنا اختلاف الدين الإسلامى عن المعتقد اليهودى فيما يتعلق بمسألة الخروج من مصر فبينما نجد أن الخروج يرمز فى الوجدان اليهودى إلى التدخل الإلهى فى التاريخ لصالح الشعب المختار ، ويدل على تحول رب العالم (أو الكون أو الطبيعة) إلى رب التاريخ اليهودى الذى لايمكن أن تفهم أفعاله بالمنطق الإنسانى العادى ، بالإضافة إلى ذلك فان هذه المناسبة تركز على مصر باعتبارها " نموذجاً " أى منفى يمتهن فيه " الشعب المقدس " الذى يقضى معظم تاريخه متنقلاً من منفى إلى منفى ، ولذلك فالتراث اليهودى يذكر اليهود بالخروج فى أهم المناسبات ، حيث يرد ذكر الخروج أيضاً فى صلاة " الشماع שמע " ، وعلى كل يهودى فى عيد الفصح أن يستشعر الخروج وكأنه يمارسه بشكل شخصى مباشر ... ولذلك يمكننا القول بأن العهد القديم لم يذكر سبباً دينياً واحداً لخروج هؤلاء العبرانيين ، فى الوقت الذى فصل فيه القرآن الكريم قصة الخروج وانها كانت هجرة من " موسى عليه السلام " ومن آمن معه فراراً بدين الله ، وبعداً عن اضطهاد فرعون لمن دخلوا فى دين الله من القوم ، ومن هنا كانت المعجزات التى حدثت أثناء رحلة الخروج ، إنما هى تأكيد واطمئنان للمؤمنين بأن صاحب الدين الذى آمنوا به ، يقف بجانبهم ويصاحبهم ولن يتخلى عنهم .

٢) الخروج ١٢ : ٣٩

خبزو له فطيرا إذ كان لم يختمر لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتاخروا. فلم يصنعوا لأنفسهم زادا ".

ويفسر " ربان جملبيئيل רבן גמליאל بقوله "כל מי שלא אומר שלשה דברים אלו בפסח לא יצא ידי חובתו ואלו הן, פסח מצה ומרור " : كل من لايقول أو " يفسر " الثلاثة أشياء هذه فى عيد الفصح لم يتمم الواجب عليه . وهى خروف الفصح والفطير والعشب المر ".

ويفسر الفطير بقوله : " מצה זו שאנו אוכלים על שום מה ? על שום שלא הספיק בצקם של אבותינו להחמיץ, עד שנגלה עליהם מלך מלכי המלכים הקדוש ברוך הוא וגאלם מיד, שנאמר ויאפו את וגו' ".

الفطير الذى تاكله . لأى سبب ؟ لأنه قبل أن يكون وقت كاف لعجين آبائنا لكى يختمر تجلّى لهم ملك الملوك المقدس والمبارك وخلّصهم حالاً . كما قيل وخبزوا العجين ... (خروج ١٢ : ٣٩) "... وهناك سبب آخر لتناول الفطير وهو "שבעת ימים תאכל עליו מצת לחם עוני" سبعة أيام تاكل عليه فطيراً خبز المشقة " أى أن هذه الفطيرة هى علامة للفقر والتذكير بعبودية مصر والمشقة التى لاقاها بنو إسرائيل على يد المصريين ولذلك يقولون فى بداية هجاداة الفصح فى ليلة الاحتفال بالعيد : " זה לחם העוני שאכלו אבותינו במצרים " - هذا خبز المشقة الذى أكله أباؤنا فى مصر " ، كذلك أيضاً تم تفسير العشب المر . وذلك " لأن المصريين مرروا حياة آبائنا فى مصر " كما قيل فى الخروج (١ : ١٤) : וימררו את חייהם בעבודה קשה בחמר ובלבנים ובכל עבדה בשדה את כל עבדתם אשר עבדו בהם בפרך " - ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً[1].

---

١) يرتبط تاريخ الشعب اليهودى كما هو وارد فى أسفار العهد القديم بمصر والمصريين منذ البداية ، إذ يبدأ هذا التاريخ بالعبودية فى مصر ثم الخروج منها - وهى اللحظة بدأت فى تحول اليهود فيها إلى شعب . لكل ==

ولعل أهم الأسباب التى دعت إلى اطلاق اسم عيد الفطير على الفصح هو مانصت عليه نصوص العهد القديم مرات عديدة بضرورة تناول الفطير فى الفصح كما قيل : "את חג המצות תשמר, שבעה ימים תאכל מצות כאשר צויתך למועד חדש האביב"(١) - تحفظ عيد الفطير . تاكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت شهر أبيب " .

وبعد أن تحدثنا عن عيد الفصح عند اليهود ، وما اكتسب من أسماء لها دلالات ومعان مختلفة ، أطلقت عليه على مر الأجيال ، يلزم أن نتحدث عن رأى الباحثين بشأن منشأ الفصح وهل نشأ فعلاً مع خروج بنى إسرائيل من مصر أم له جذور

=) هذا أصبحت مصر رمزا للعبودية والمنفى وتحول المصريون رمزاً للأغيار . وهذا " التاريخ المقدس " لا علاقة له بالتاريخ الحقيقى ،فالعلاقة بين مصر الفرعونية والمملكة الإسرائيلية (الشمالية أو الجنوبية) لم تكن دوما سيئة ، كما أنها لم تكن طيبة طول الوقت ، ويتضح من تاريخ الشعبين أن علاقة المصريين باليهود كانت علاقة عادية تتسم بالصداقة أحياناً وبالعداوة أحياناً أخرى . وجدير بالذكر أن التواريخ المصرية أهملت ذكر خروج بنى إسرائيل من مصر بحيث بدى الأمر للمؤرخين أن الخروج لم يكن حدثاً فريداً بل حدثاً هامشياً ضئيل الحجم .

١) الخروج ٢٣ : ١٥ . ولايستطيع باحث فى الفكر الإسرائيلى أن يذكر عجينة الفطير المفروضة فى عيد الفصح دون أن يقف عند جريمة لصقت باليهود فى هذا العيد بالذات ، وهى التى اشتهرت فى العالم باسم تهمة الدم . وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود فى فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا فى عجينته دماً بشرياً يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين. وتمتد جذور هذه التهمة إلى عصر الأغريق والرومان أى إلى ماقبل العصور المسيحية (إذ يذكرها يوسيفوس فى معرض رده على أبيون) . ولكن تهمة الدم لم تأخذ بعدها الجاد إلا فى القرون الوسطى ، وأدت هذه التهمة إلى محاكمات ومذابح لليهود على مر العصور . وقد حاول كثير من المسيحيين والعلماء تفنيد التهمة وإقناع الناس ببطلانها ولكنهم فشلوا واستمرت تهمة الدم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصورة اليهودى حتى عهد قريب . ويبدو ان تهمة الدم قد التصقت باليهود نظرا لتكرار مناظر الدم والقتل فى العهد القديم ، كما أن طقوس اليهود الدينية كانت تبدو للإغريق والرومان والمسيحيين غريبة ومعقدة وغير مفهومة خاصة طقوس عيد الفصح .
انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢٢٢ - ٢٢٣
وانظر أيضاً . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٤٣

قديمة ترتبط بشعوب الشرق القديم ؟ اتفق الباحثون على أن هذا العيد اكتسب معناه التاريخى بعد أن تبلورت الديانة اليهودية ، ولذلك استندوا على أن مصدره ليس فى الخروج من مصر ؛ أما بخصوص منشأ الفصح فقد كانت هناك آراء مختلفة بشأن نشأة هذا العيد فقد اتفق " ڤلهاوزن Welhausen" و"أيفالد A.Ewald " على أن الأعياد كانت فى بدايتها احتفالات بالبكورية ولذلك حدد " ڤلهاوزن " أصل الفصح بعادة زبيحة بكورية الماشية ، مثلما كان " عيد الفطير " يرتبط حسب رأيه ببكورية المحصول . وبعد ذلك أخذ الباحثون يقدمون افتراضاتهم المختلفة بشأن توقيت طقوس الفصح وتطورها ، فنجد تفسيراً بدوياً للفصح يستند على أن الفطيرة هى خبز البدو الرحل ، والشواء هو طريقتهم فى إعداد اللحم للطعام ، والأعشاب المرة هى الأعشاب التى يعثرون عليها بصعوبة فى الصحراء[1]. وبالإضافة إلى هذا الرأى نجد تفسيراً آخر اكتسب علته من عادة تبديل مناطق المرعى ، وهى عادة منتشرة بكثرة بين الشعوب القديمة ، حيث يتم الرعى طوال الشتاء فى الصحراء ثم ينتقل الرعاة قريباً جداً من مناطق الاستيطان المستقر فى فصل الصيف ، واستنادا على هذه المعطيات وبالإضافة إلى أن موسم ولادة الحيوان يكون فى الشتاء ، رأى بعض العلماء أن الرعاة القدماء قد أقاموا احتفالات وطقوس فى ليلة خروجهم إلى المراعى الصيفية ، حيث كان الغرض منها تأكيد مساعدة الآلهة لهم فى وقت الأزمات حيث كان الرحال يرتبط دائماً بالأخطار ومن هذه الطقوس تطورت هذه المناسبة إلى عيد للفصح[2] ، وفى مقابل هذا الرأى نجد رأياً مضاداً يرفض هذه الفرضية التى تقول بأن الفصح كان أصله عيداً للرعاة ، ويتبنى هذا الرأى " پيدرسن J.Pedersen " الذى يرى أن العلاقة بين الخروج من مصر والفصح ، علاقة قديمة جداً ،وأن العادات المختلفة التىتتم فى ذكرى الخروج من مصر ، مرتبطة تماماً بالخروج ، هذا

---

١) - A. Ewald: The Antiquities of Israel, London,1876,PP. 358-360
- Wellhausen: Prolegomena; PP. 82-88.

٢) האנציקּ העברּ ,ערּ פסח , עמּ 517 .

بينما يرى " موفينكل S.Mowinckel " أن أصل الفصح هو عيد الربيع وهو المقابل لعيد " السوكوت - הַסֻּכּוֹת " الذى يبدأ أول موسم الشتاء . هذا ويرى " سيجل J.B. Segal " أن الفصح يشير إلى بداية السنة ، ويفسر طقوس الفصح بأنها كالأعمال المعتادة فى احتفالات رأس السنة عند شعوب مختلفة (١) .

والحقيقة أن افتراض الفصح كعيد للرعاة (وليس للفلاحين) هو افتراض معقول إلى حد ما ، لكن افتراض " فلهاوزن " بأن مصدره ذبيحة بكورية الماشية هو افتراض ضعيف ، حيث لايوجد فى العهد القديم علاقة واقعية بين الفصح وموضوع البكورية ، على الرغم من إسناد موضوع البكورية إلى الفصح(٢). أما عن علاقة الفصح بتغيير المراعى ، فلايوجد مايثبت أن الانتقال بحثاً عن المراعى مرتبط بطقوس شبيهة بذبيحة الفصح ، ولكن يمكن الافتراض بأن الفصح كان عادة بدوية قديمة مرتبطة بموسم تغيير المراعى حيث رأوا فيه الحماية والدفاع عند الخروج إلى المراعى الجديدة . والحقيقة أن هذا الافتراض هو الأقرب إلى الصواب حيث إن تفسير النص المذكور فى " سفر التثنية " هو الأقرب إلى ذلك(٣)، أما تفسير الفصح بأنه احتفال برأس السنة فهو تفسير ضعيف جداً ، ولكن الجدير بالاهتمام هو اختفاء المذبح والمعبد والكاهن من طقوس الفصح ، وربما يدفعنا ذلك إلى الاستنتاج بأن الفصح كان معروفاً عند بنى إسرائيل قبل تأسيس مراكز العبادة ، ومع أن التفسير الذى ورد فى سفر الخروج يصف عادة دينية تم تحديدها تقريباً فى وقت لايتجاوز عصر القضاة(٤)، فإننا لانستطيع الجزم متى أصبح الفصح احتفالاً سنوياً يقام فى ذكرى الخروج من مصر .

---

١) المصدر السابق نفس الصفحة .

٢) راجع (التثنية ١٦ : ١ - ٦)

٣) راجع (الخروج ١٣ : ١ - ١٦)

٤) وهى عادة أكل الفطير سبعة أيام ، والاحتفال فى اليوم السابع حيث جاء فى سفر الخروج : "וְהָיָה כִּי־יְבִיאֲךָ יְהוָה אֶל־אֶרֶץ הַכְּנַעֲנִי וְהַחִתִּי וְהָ־ אֱמֹרִי... וְעָבַדְתָּ אֶת הָעֲבֹדָה הַזֹּאת בַּחֹדֶשׁ הַזֶּה. שִׁבְעַת יָמִים תֹּאכַל מַצֹּת וּבַיּוֹם הַשְּׁבִיעִי חַג לַיהוה... וְשָׁמַרְתָּ אֶת־הַחֻקָּה הַזֹּאת לְמוֹעֲדָהּ מִיָּמִים יָמִימָה."
ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين ... انك تصنع هذه الخدمة فى هذا الشهر ... سبعة أيام تأكل فطيراً ، وفى اليوم السابع عيد للرب . .. فتحفظ هذه الفريضة فى وقتها من سنة إلى سنة "
(الخروج ١٣ : ٣ - ١٠)

ثانياً : إلياهو النبى فى طقوس الفصح

ارتبطت شخصية " إلياهو النبى " فى التراث اليهودى ، وفى أذهان اليهود باحتفالات عيد الفصح ، فتم تأليف كثير من القصص والحكايات الشعبية عن شخصيته العجيبة ، وماتمثله من رموز فى هذا العيد ، فالنبى إلياهو الذى ظهر فى التراث اليهودى كمساعد للمحتاجين ومبشراً فى المستقبل بمجىء الخلاص ، ارتبطت شخصيته فى الفكر الدينى اليهودى بعادات ورموز مختلفة ، وخاصة تلك المتبعة فى ليلة الاحتفال بالفصح ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب أهمها : أن عيد الفصح يشير أكثر من أى حدث آخر فى التاريخ اليهودى إلى الخروج من العبودية إلى الحرية والخلاص ، وكما جاء فى التراث الدينى الشعبى" בניסן נגאלו ובניסן עתידין ליגאל - فى نيسان انقذوا ، وفى المستقبل سيتم الخلاص فى نيسان "(١)ومن هنا ركز اليهود فى ممارستهم لكثير من العادات والتقاليد على شخصية إلياهو وربطوها باحتفالاتهم بهذا العيد الذى يطلقون عليه عيد الحرية والخلاص . ويجدر بنا قبل الحديث عن دور إلياهو الذى وضعه اليهود له فى ليلة الفصح أن نبدأ اولاً بتوضيح صورة الطقوس التى تمارس فى هذا العيد .

طقوس الفصح :

تبدأ طقوس هذا العيد منذ الرابع عشر من نيسان ، وهو الذى يسمونه ليلة التفتيش عن الخميرة ، وفى هذا اليوم يجب على اليهودى أن يتأكد من أن أية خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماماً . أما أهم أيام هذا العيد فهى أول يومين وآخر يومين فيه ، بينما الأيام الأربعة الوسطى تعتبر أقل أهمية فى طقوسها ، إذ يلزم فيها أكل خبز الفطير ، ولكن لاتقترن بطقوس احتفالية كبيرة . ومن الجائز قطع العطلة فى هذه الأيام الأربعة عند الضرورة . ولذلك جرى العرف عند اليهود على تسمية هذه الأيام الأربعة الوسطى " חול המועד " ومعناها " تحليل العيد " ، أوفك الإحرام عنه ، أووصفه بأنه " عيد صغير " بينما اليومان الأولان واليومان الأخيران تؤلف " العيد الكبير "(٢).

---

١) מסכת ראש השנה , 11 - 7/ .

٢) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى . ص ٢٢٠

احتفال الليلة الرابعة عشر من نيسان :"תקון ליל י"ד ניסן".

فى الليلة الرابعة عشر من نيسان يجب على اليهودى حال تأديته لصلاة المساء ، وقبل أن يبتدىء بعمل ما وقبل أن يأكل ويبتدىء بالقراءة أن يبحث عن الخمير الذى فى دائرة بيته بنور شمعة صغيرة فى الثقوب والشقوق وفى كل موضع يدخلون فيه خميراً . وقبل البحث يقول :"בָּרוּךְ אַתָּה יְיָ אֱלֹהֵינוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם אֲשֶׁר קִדְּשָׁנוּ בְּמִצְוֹתָיו וְצִוָּנוּ עַל בִּעוּר חָמֵץ"

" مبارك أنت يارب إلهنا . ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بإزالة الخمير " ويجب الاحتراس من التكلم بين البركة والابتداء فى التفتيش والأفضل ألا يتكلم كلاماً آخر حتى يتم التفتيش . ثم يغطية بوعاء لكى لا تسحبه الفيران فينبغى ان يفتش مرة أخرى ويقول :

"כָּל חֲמִירָא דְּאִכָּא בִּרְשׁוּתִי. דְּלָא חֲזִיתֵהּ וּדְלָא בִעַרְתֵּהּ. לִבָּטֵל וְלֶהֱוֵי הֶפְקֵר כְּעַפְרָא דְאַרְעָא"

" ليكن كل الخمير الذى فى دائرتى ولم أره ولم أزله باطلاً ويعد كتراب الأرض " (١).

ترتيب وقفة عيد الفصح "תקון ערב פסח"

يجب أن يزيل أو يرمى فى البحر أو يفتت أو يحرق الخمير فى الغد باكراً نحو الساعة الخامسة ويذرى الرماد ويبطله ويقول :

"כָּל חֲמִירָא דְּאִכָּא בִּרְשׁוּתִי דְּלָא חֲזִיתֵהּ וּדְלָא בִעַרְתֵּהּ. לִבָּטֵל וְלֶהֱוֵי הֶפְקֵר כְּעַפְרָא דְאַרְעָא"

" ليكن كل الخمير الذى فى دائرتى . رأيته او لم أره . أزلته أو لم أزله . باطلاً ويعد كتراب الأرض " .

---

١) הגדה של פסח , עמ' 3 .

أما إذا كان أول الفصح يوم خميس فيجب إتمام فريضة " العروب עֵרוּבָא" لأنه لايجوز طبخ أو تحضير طعام فى يوم عيد ليوم عيد آخر . أى فى يوم عيد الفصح لأجل يوم السبت . وهى عبارة عن تحضير قليل من الطعام مساء يوم السبت . وهى عبارة عن تحضير قليل من الطعام مساء يوم وقفة العيد لأجل العيد والسبت معاً . ثم يقول البركة الآتية فى أثناء تحضير العيروب :

"בָּרוּךְ אַתָּה יְיָ. אֱלֹהֵינוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם, אֲשֶׁר קִדְּשָׁנוּ בְּמִצְוֹתָיו. וְצִוָּנוּ עַל מִצְוַת עֵרוּב.
בְּדִין עֵרוּבָא יְהֵא שָׁרֵי לָן לְמֵיפָא וּלְבַשּׁוֹלֵי. וּלְאַטְמוֹנֵי.
וּלְתַקּוֹנֵי וּלְאַדְלוֹקֵי שְׁרָגָא וּלְמֶעְבַּד כָּל-צְרָכָנָא. מִיּוֹם טוֹב לְשַׁבָּת"(١)

مبارك أنت يارب إلهنا . ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأوصانا بوصية العيروب وبحكم العيروب يسمح لنا أن نخبز ونطبخ ونشعل نوراً ونعمل كل لوازمنا فى يوم عيد لأجل يوم سبت "

بعد الانتهاء من ترتيبات وقفة عيد الفصح ، وفى مساء كل يوم من اليومين الأوليين تكون طقوس الاحتفال قائمة بصورة أساسية حول أمرين (أ) مائدة الفصح . (ب) حكاية الفصح .

أما مائدة الفصح فإنها تحتاج إلى منضدة ، يوضع أمامها مقعد مستطيل مثل " الدكة " أو " الكنبة " يسمح بالاضطجاع ، وهذا المكان مخصص لرئيس العائلة يضطجع عليه معتمداً على ذراعه الأيسر الذى يستند إلى بعض الوسائد ، وتوضع أمامه صينية توضع فيها هذه الأشياء : ذراع خروف محمر تذكاراً لخروف الفصح . ثلاثة أقراص فطير تذكاراً للخبز الذى أكله آباؤهم فطيراً قبل أن يختمر . بيض مسلوق تذكاراً لقربان العيد الذى كان يقرب قديماً فى الهيكل . خس وهندباء أو عشب مر وكرفس وفنجان خل وملح أو ماء مالح تذكاراً للحياة المرة التى قاساها

---

١) הגדה של פסח, עמ' 5،4.

آباؤهم فى مصر فى زمن الاستعباد . حروست مربى صُنعت من زبيب أو بلح مع اللوز تذكاراً للطين الذى كان يصنعه آباؤهم فى زمن الاستعباد . وتوضع هذه الأشياء فى الصينية قبل صلاة المساء حسب الترتيب الآتى(١) :

הזרוע והחרוסת　　הביצה והכרפס
בימין　　בשמאל

המצה והמרור והחזרת
באמצע

ג׳ מצות

זרוע　　ביצה

מרור

חרוסת　　כרפס

חזרת

الذراع والحروست　　البيض والكرفس
فى اليمن　　فى اليسار

الفطير والعشب المر والخس
فى الوسط

الفطير

الذراع　　البيض

الهندباء

الحروست　　الكرفس

الخس

وتقتضى الطقوس أن يبدأ رئيس العائلة بتذوق طرف من كل صنف ثم يشترك معه بقية أفراد العائلة فى ذلك . ويجب على كل شخص فى هاتين الليلتين أن يشرب أربعة

---

١) הגדה של פסח , עמ׳ 5 .

כיו של אליהו, שנהב. גרמניה המאות הי־ז־הי־ח

כוסו של אליהו מזכוכית. בוהמיה המאה הי־ט

كؤوس نبيذ القانونية مع تلك الوجبة[١]. وهى : (أ) لأجل التقديس (קדוש) (ب) بعد تقديم الشكر على الخلاص من العبودية . (ج) بعد تقديم الشكر لأجل الطعام (د) بعد تلاوة المديح (הלל) . وقد أعتادوا أن يحضروا نبيذاً حلواً أو ماء زبيب لأجل الأولاد[٢].

كاس إلياهو כוסו של אליהו :

اعتادت الطوائف الإسرائيلية المختلفة مزج كأس خاصة لإلياهو النبى فى ليلة الاحتفال بعيد الفصح ، فمامصدر هذه العادة ؟ . فى الحقيقة أنه منذ فترة قديمة اعتاد بنو إسرائيل احتساء أربعة كؤوس فى ليلة الاحتفال بعيد الفصح كما تشير إلى ذلك المشنا[٣]. وقد تأسست هذه العادة فى مضمونها وجوهرها على تقاليد المأدبة فى اليونان وفى روما فى ذلك الوقت ، حيث كانوا يحتسون ثلاثة كؤوس خمر فى كل مأدبة احتفالية ، ثم بعد ذلك يأتى دور " الافيقومين " - אפיקומין "[٤] وشرب الخمر بصورة مفرطة ويصاحب ذلك المواكب المجنونة والصاخبة والفسق فى الشوارع . ولذلك حرم الحاخامات تناول " الأفيقومين " فى ليلة الفصح ، وشرعوا بدلاً منها " الكأس الرابعة " ليتموا بها التسبيح[٥]. وبعد السبى والخراب تم إلغاء عادات المأدبة الاحتفالية التى كانت متبعة من قبل ، وتم الاكتفاء فقط بالنظام القديم فى الاحتفال بذكرى حريتهم واستقلالهم فى إطار دينى بحت ، ثم جاء عصر " التنائيم התנאים "[٦] الذين دعوا الى العودة

---

١) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ٢٢١

٢) A Graham. E. Millgram: Jewish Worship. Jewish Publication society of America. Second Edition, 1975., P.304.

٣) משנה פסחים, פ"י, ב, ד, ז .

٤) أفيقومين : كلمة يونانية معناها الفاكهة والحلويات بعد الطعام .

٥) משנה פסחים, פ"י, ז.

٦) التنائيم הַתָּנָאִים : وهى لفظة فى صورة الجمع مفردها " תנא تنّا" أو "تنائى"، وهى كلمة آرامية تعنى : متعلم ، مقيد من الفعل "תנא" بمعنى أعاد - كرر ، تعلم (قارن صموئيل الأول ٢٦ : ٨ والتكوين ٤١ : ٣٢) ، وتطلق على أى من حكماء إسرائيل فى زمن الهيكل الثانى وبعده ==

إلى عادة شرب أربعة كؤوس فى ليلة الاحتفال بعيد الفصح ، حيث وجدوا لها سنداً وأساساً فى تراثهم الدينى فى " سفر الخروج " ، ثم أخذوا هذا السند وفسروه فى " التلمود الأورشليمى " الذى جاء فيه "מְנַיִין לְאַרְבָּעָה כוֹסוֹת ? רבי יוחנן בשם רבי בנייה : כנגד ארבע גאולות ... והוצאתי, והצלתי, וגאלתי, ולקחתי - نصاب أربعة كؤوس ؟ رابى يوحنان باسم رابى بنييـاه (١) : قال : مقابل أربعة نصوص الخلاص : " وأخرجت ، وأنقذت ، وخلصت ، وأخذت " وتفسير ذلك هو أن الكؤوس الأربعة فى ليلة الاحتفال بالفصح ، ترمز إلى التحرر من عبودية مصر وإلى اختيار بنى إسرائيل شعب للرب . وكان هذا على مايبدو الرأى الشائع بين الطوائف الإسرائيلية فى فترة المشنا ، لأن " رابى بنييـاه " عاش فى العصر الذى تلى رابى " يهوذا هناسى " ، وكان يقيم فى " طبرية " ورابى يوحانان كان تلميذاً له . ولكن بالإضافة إلى تفسير رموز الكؤوس الأربعة ، دعا رابى طرفون רבי טרפון "(٢) إلى تأكيد مسألة أرض الميعاد (أرض كنعان) وأمل الحرية السياسية فى تفسير رموز شرب الكؤوس الأربعة ، كما فعل زميله " رابى عقيبا רבי עקיבא "(٣) فى بركة الخلاص حيث قال " כן ד' אלקינו -

---

=) من شمعون الصدّيق آخر عصر النساخ (فى نهاية القرن الثانى ق.م ، وحتى تلاميذ رابى يهوذا هنّاسى فى بداية القرن الثالث الميلادى . وقد انتج جيل التنائيم التوراة الشفوية (المشنا ، التوسفتا ، البريتا ، مدراش هلخاه) انظر : אוצר ישראל, חלק י', עמ' 276.

١) פסחים (פ"י, הלכה א') ؛ وقارن الخروج (٦ : ٦ - ٧)

٢) رابى طرفون רבי טרפון : من تلاميذ ربان يوحنان بن زكاى (راجع תוספתא חגיגה, ג, לו) وكان كاهناً وشاهداً على العمل فى أيام البيت (راجع קידושין נא, ע"א) ومع أنه لم يكن ضمن هؤلاء الذين ذهبوا مع ربان يوحنان بن زكاى إلى " يبنه " ، إلا ان مرتبى المشنا وضعوا كلماته فى نهاية أقوال موسى " يبنه " .
انظر : בן ציון דנור, מסכת אבות, עמ' 75.

٣) رابى عقيبا : רבי עקיבא (٤٠ - ١٣٥م) وهو عقيبا بن يوسف ، عالم دينى يهودى أحرز شهرة كبيرة ومكانة عالية بين اليهود ، وكان يطلق عليه اسم " أبو المشنا " لأن شروحه للتوراة كانت مقبولة من الجميع . وترجع أهميته التاريخية إلى تأييده لثورة المتمرد اليهودى " بركوخبا " ، وإلى قبوله لادعاءات الأخير بأنه " المشيح " - على الرغم من معارضة السنهدرين وقد انتهى الأمر بإعدامه بعد تعذيبه على يد الرومان .
انظر : אוצר ישראל, חלק ח', עמ' 118 - 119 .

ואלקי אבותינו הגיענו למועדים ולרגלים אחרים, הבאים לקראתנו לשלום, שמחים בבנין עירך וששים בעבודתך ....ונודה לך על גאולתנו "

" نعم الرب إلهنا وإله آبائنا ، خصص لنا أعياداً ومناسبات أخرى ، علينا فى سلام ، فنحن فرحين بالبناء القيم وسعداء بعبادتك ... ونشكرك على خلاصنا " ، وكما كان متبعا بين الإسرائيليين الدعاء إلى الحرية السياسية عند بدء الاحتفال فى ليلة الفصح بالقول الذى يتصدر حكاية الفصح :"

"הָא לַחְמָא עַנְיָא. דִי אֲכָלוּ אַבְהָתָנָה בְּאַרְעָא דְמִצְרָיִם. כָּל דִכְפִין יֵיתֵי וְיֵיכוֹל. כָּל דְצָרִיךְ יֵיתֵי וְיִפְסַח. הַשַׁתָּא הָכָא לְשָׁנָה הַבָּאָה בְּאַרְעָא דְיִשְׂרָאֵל. הַשַׁתָּא הָכָא עַבְדֵי לְשָׁנָה הָבָאָה בְּאַרְעָא דְיִשְׂרָאֵל בְּנֵי חוֹרִין."

انظروا ! هذا هو خبز المشقة الذى أكله آباؤنا فى أرض مصر . ليأت كل جوعان ويأكل منه وكل من يرغب ليأت ويعيّد الفصح . إننا نعيّده هنا الآن . ليتنا نعيده السنة الآتية فى أرض إسرائيل. أننا عبيد الآن ونأمل أن نكون أحراراً فى السنة الآتية فى أرض إسرائيل " .

ويتسائل " رابى طرفون " : إذاً كانت كلمات موسى إلى بنى إسرائيل وهم فى مصر والتى وردت فى الخروج (٦ : ٦ - ٧) . هى رمز للكؤوس الأربعة ، فلماذا نكتفى فقط بالفقرتين الأوليتين اللتين تتحدثان أساساً عن الخروج من مصر ؟ إننا ملزمون أيضاً بالاهتمام بالفقرة الثالثة والأخيرة فى هذه الكلمات ، وهى :

"וְהֵבֵאתִי אֶתְכֶם אֶל-הָאָרֶץ אֲשֶׁר נָשָׂאתִי אֶת-יָדִי לָתֵת אֹתָהּ לְאַבְרָהָם לְיִצְחָק וּלְיַעֲקֹב וְנָתַתִּי אֹתָהּ לָכֶם מוֹרָשָׁה אֲנִי יְהוָה" (١) .

- " وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب . وأعطيكم إياها ميراثاً . أنا الرب " .

وبناء على ذلك شرع "رابى طرفون " ضرورة شرب كاس خامسة مقابل : "וְהֵבֵאתִי" ويقرأ عليها " التسبيح الكبير - הלל הגדול " وهو المزمور رقم (١٣٦)

---

١) الخروج (٦ : ٨)

(وسمى بهذا الاسم لأنه يتكرر فيه التسبيح "כִּי לְעוֹלָם חַסְדּוֹ" - لأن الى الأبد رحمته " ست وعشرون مرة ، أما سبب اختيار " رابى طرفون " لهذا المزمور لقراءته على الكأس الخامسة فيرجع إلى مضمون هذا المزمور وأفكاره التى تدور حول النقاط التالية : (أ) قوة الرب . (ب) الخروج من مصر . (ج) دخول بنى إسرائيل إلى فلسطين . (د) تحرير الإسرائيليين من ضغوط أعدائهم ..

" שֶׁבִּשְׁפָלֵנוּ זָכַר לָנוּ
וַיִּפְרְקֵנוּ מִצָּרֵינוּ "

" الذى فى مذلتنا ذكرنا
ونجانا من أعدائنا "

وحيث إنه فى التسبيح العادى لايتم ذكر التحرر من العبودية بالدخول إلى فلسطين ، لذا قرر " رابى طرفون " قراءة " التسبيح الكبير " فى ليلة الاحتفال بالفصح وأن يشرب عليها "كأساً خامسة " لرؤيته أن مضمون المزمور (١٣٦) ملائم لوظيفة " الكأس الخامسة " .

وعليه فإن اقتراح " رابى طرفون " قوبل بترحاب شديد بين الطوائف الإسرائيلية ، ولكن فى بابل نشب الخلاف بخصوص" الكأس الخامسة " بين جاؤونى " سورا סורא " ، وجاؤونى " يومباديثا פומבדיתא "(١)، ففى " سورا " احتسوا خمسة كؤوساً ، وفى " بومباديثا " احتسوا أربعة كؤوساً فقط. وفى هذا الصدد يقول " موسى بن ميمون " : " لك أن تمزج كأساً خامسة وأن تقرأ عليها التسبيح الكبير ... ولكن هذا الكأس ليس واجباً كالكؤوس الأربعة " .

---

١) أسست أكاديمية "سورا" عام ٢١٩ فى عصر " راب " المتوفى عام ٢٤٧ ،ثم انشئت أكاديمية يوبمادثيا عام ٢٥٩ على يد "يهوذا بن يحزقيل" المتوفى عام ٢٩٩ ، وقد تولى التدريس فيهما عدد كبير من مشاهير العلماء .

أما " رشى רש״י "[1]- (רבי שלמה יצחק) ، " ورشبام רשב״ם "[2]:(רבי שמואל בן מאיר)فقد اتفقا مع اقتراح " رابى طرفون" بقراءة " التسبيح الكبير - הלל הגדול) فى ليلة الاحتفال بعيد الفصح، ولكنهما لم يوافقاه على شرب " كاس خامسة " . أما " رابى يوسف كارو רבי - יוסף קארו [3] فقد أفتى أنه لايحق لليهودى شرب خمر بعد احتساء الكؤوس الأربعة ، ولكن له أن يشرب ماء . ويقول " رابى موشيه ايسرليش רבי משה איסרליש إن من يتأثر أو يشتهى للشرب يمكنه شرب كاس خامسة ويقرأ

---

١) رشى : اختصار " رابى شلومو يتسحاق " ، وهو من أشهر المعلقين والمفسرين الأشكنار للتلمود ، ولد فى فرنسا حيث اشتغل بتجارة الخمور ، وكان رئيساً لإحدى المدارس الدينية . وقد كتب " رشى " شروحه بأسلوب واضح واضح سلس مما جعل التلمود كتاباً يسهل فهمه على القارىء ، وله خط خاص يعرف باسمه فى كتابة الشروح والحواشى على التوراة وأسفار العهد القديم. انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٩٥

٢) רשב״ם : هو صموئيل بن مائير . حفيد رشى ، ومن المفسرين العلماء فى مدرسة رشى فى العصر الوسيط ، وكان تلميذاً من التلاميذ الذين يعتز بهم وأحد كتاب التوسافوت المعروفة .
انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ٦٦

٣) يوسف كارو יוסף קארו : مؤلف " الشولحان عاروخ " ، ولد فى أسبانيا وطرد منها مع مَنْ طُرد من اليهود والعرب عام ١٤٩٢ . ثم استقر به المقام فى أستنبول عام ١٤٩٨ ثم فى فلسطين عام ١٥٢٥ حيث أسس مدرسة تلمودية فى " صفد " . وهناك أعد كتابه المشهور الذى قابله الحاخامات الأشكنار بمعارضة شديدة لاعتماده على التقاليد والآراء السفاردية وحسب . ولكن " الشولحان عاروخ - المائدة المنضودة " مع هذا فرض نفسه وأصبح هو الكتاب المعتمد لدى اليهود الأرثوذكس . وكان " كارو " من المهتمين بالقبالة ، وكان يدّعى أن ملاكاً قد أفضى له بالأسرار الدينية .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : ص ٣٠٦

عليها " التسبيح الكبير "[١]. وحيث إن الآراء كانت منقسمة بين الحاخامات ولم يعرفوا كيفية التعامل مع هذه الآراء المنقسمة ، فقد قرر الحاخامات الاستمرار فى شرب أربعة كؤوس فقط ، ولكى يتخلصوا من الشك فإنهم يخرجون كأساً خامسة ولكن لا يشربون منها ، لأنه كان مألوفاً فى التراث التلمودى بأن كل الشكوك المثارة فى الحياة اليهودية والتى لايعرف التعامل معها ، يجب أن يتركوها حتى أيام المسيح ، وعندئذ سيأتى إلياهو النبى ويحل كل هذه الشكوك ، ولذلك نجد فى نهاية عدد من الهلاخوت التى ينتابها الشك ، كلمة " תיקו " وقد فسرها الحكماء والمفسرون على أنها اختصار ، أى الحروف الأولى لأربع كلمات وهى "תשבי יתרץ קושיות ואי בעיות"[٢] أى ان التشبى سيأتى ويحل المشاكل المستعصية والقضايا التشريعية " ، ولذلك سميت هذه الكاس بـ " كاس إلياهو" لأنه بمجيء إلياهو سيتم توضيح كل الأمور التى يدور حولها الشك وكذلك أيضاً شكهم المستمر فيما إذا كان لابد لهم أن يشربوا خمسة كؤوس أم يكتفوا بأربعة[٣]

ولذلك نجد فى نهاية بعض المسائل التشريعية التلمودية مايشير إلى تركها معلقة حتى يأتى إلياهو النبى ليفصل فيها : פרשה זו אליהו עתיד לדורשה[٤] - هذه المسألة سيأتى إلياهو لدرسها" ، وهناك تعبير آخر أكثر شيوعا وهو:"יהא מונח עד שיבוא אליהו"[٥] - سيترك هذا الأمر حتى يأتى إلياهو".

---

١) ספר המועדים, פסח, פרשת מועדי ישראל, ערכם, גילויים והשפעתם בחיי עם ישראל ובספרותו מימי קדם ועד היום הזה. החומר הספרותי אוסף על ידי ד"ר י.ל. ברוך, הושלם ונערך על ידי ד"ר יום טוב לוינסקי. פרק ב', הוצאת אגודת עונג שבת אהל-עם, תל אביב, ישראל תשל"ז עמ' 149.

٢) ישראל בהן, אישים מן המקרא, עמ' 247.

٣) Abraham E.Millgram: Jewish Worship. P. 304.

٤) מנחות, מ"ה, ע"א.

٥) מסכת בבא מציעא, ל"ז, ע"א.

: ד"ר יוסף שכטר, "אוצר התלמוד", ביאורי מונחים ומושגים, עניינים וכללים בתלמוד הבבלי, דביר ת"א, תשל"ו, עמ' 25.

ونعرض فيما يلى لبعض المسائل التشريعية التى تركها حكماء اليهود بدون حسم حتى مجيء إلياهو النبى :

(أ) "רַבָּן שִׁמְעוֹן בֶּן גַּמְלִיאֵל אוֹמֵר : אֶחָד הַלּוֹוֶה מִשְׁלשָׁה יְחִזִיר לַלּוֹוֶה , שלשָׁה הַלּוֹוִין מֵאֶחָד יְחִזִיר לַמַּלְוֶה . מָצָא שְׁטָר בֵּין שְׁטָרוֹתָיו , וְאֵינוֹ יוֹדֵעַ מַה טִיבוֹ - יְהֵא מֻנָּח עַד שֶׁיָּבוֹא אֵלְיָהוּ . אִם יֵשׁ עִמָּהֶן סִמְפוֹנוֹת יַעֲשֶׂה מַה שֶּׁבַּסִּמְפוֹנוֹת ". (١)

ربان شمعون بن جمليئيل (٢) كان يقول : من يقترض من ثلاثة ، يعيد لمن اقترض منه ، والثلاثة الذين يقترضون من واحد ، يردون للمقترض ، ومن يجد سنداً بين سنداته ولايعرف صاحبه ،يتركه حتى يأتى إلياهو . وإن كان معها اتفاقيات أو شروط فعليه أن يفعل بهذه الاتفاقيات "

(ب) מָצָא סְפָרִים - קוֹרֵא בָּהֶן אַחַת לִשְׁלשִׁים יוֹם ; וְאִם אֵינוֹ יוֹדֵעַ לִקְרוֹת - גּוֹלְלָן . אֲבָל לֹא יִלְמֹד בָּהֶן בַּתְּחִלָּה , וְלֹא יִקְרָא אַחֵר עִמּוֹ . מָצָא כְּסוּת - מְנַעֲרָהּ אַחַת לִשְׁלשִׁים יוֹם וְשׁוֹטְחָהּ לְצָרְכָּהּ , אֲבָל לֹא לִכְבוֹדוֹ . כְּלֵי כֶסֶף וּכְלֵי נְחשֶׁת - מְשַׁתֵּמֵשׁ בָּהֶן לְצָרְכָּן , אֲבָל לֹא לְשַׁחֲקָן . כְּלֵי זָהָב וּכְלֵי זְכוּכִית - לֹא יִגַּע בָּהֶן עַד שֶׁיָּבוֹא אֵלְיָהוּ . (٣)

---

١) מסכת בבא מציעא , פרק א׳ , ח׳.

٢) ربان شمعون بن جمليئيل : (الثانى) : وهو تنائى من الجيل الثالث ورئيس السنهدرين،تعلم الحكمة اليونانية نتيجة لقربه من المملكة . (راجع בבא קמא פ״ג) وربما لذلك سمع بالترجمة اليونانية . وقد درس أيضاً العلوم الطبيعية ، ودرس الطب ، وقد نقل أقوالاً عن رابى يهودا بر العاى ، ورابى مئير .
انظر : אוצר ישראל , חלק י׳ , עמ׳ 179.

٣) מסכת בבא מציעה , פרק ב׳ , ח׳.

من يجد كتباً عليه أن يقرؤها مرة واحدة فى ثلاثين يوماً . وإذا لم يعرف ، فليقراها من بدايتها حتى نهايتها - لأن كتبها مصنوعة من صحائف ككتاب التوراة - ولكن لايدرسها أولاً - لأنها بقيت كثيراً فى مكان واحد، وأوراقها طيبت من كثرة الاستخدام[1] - ولايقرأ معه أحداً - لأنهما سيجذبانه. هذا من ناحية ، وهذا من ناحية أخرى مما يؤدى إلى تمزيق الكتاب - ومن يجد ثوباً - ينفضه مرة من التراب خلال ثلاثين يوماً ، ويبسطه حتى يتخلله الهواء ويبعد عنه العثة ، ولكن لا يزين به بيته . ومن يجد أوانى فضية أو نحاسية فإنه يستخدمها حتى لايعلوها الصدأ ، ولكن لايفرط فى استخدامها حتى لايقل وزنها . أما من يجد أوانى ذهبية أو زجاجية فلا يمسها حتى يأتى إلياهو ".

(ד) וְכֵן שְׁנֵי כֵלִים : אֶחָד יָפֶה מָנֶה, וְאֶחָד יָפֶה אֶלֶף זוּז ; זֶה אוֹמֵר : יָפֶה שֶׁלִּי, וְזֶה אוֹמֵר : יָפֶה שֶׁלִּי - נוֹתֵן אֶת הַקָּטָן לְאֶחָד מֵהֶן, וּמִתּוֹךְ הַגָּדוֹל נוֹתֵן דְּמֵי קָטָן לַשֵּׁנִי, וְהַשְּׁאָר יִהְיֶה מֻנָּח עַד שֶׁיָּבֹא אֵלִיָּהוּ. אָמַר רַבִּי יוֹסֵי : אִם כֵּן, מַה הִפְסִיד הָרַמַּאי ? אֶלָּא הַכֹּל יִהְיֶה מֻנָּח עַד שֶׁיָּבֹא אֵלִיָּהוּ .[2]

إذا كان هناك آنيتان عند أحد الأشخاص . الأولى تزن مائة دينار ، والثانية تزن ألف زوز . كل واحد منهما يقول : الأثقل لى ... نعطى الأقل وزناً لاحدهما ، والذى أخذ الوزنة الكبيرة يبيعها ويعطى الآخر مائة دينار من المبلغ الذى كسبه من بيع الآنية ، والباقى يترك حتى يأتى إلياهو ... قال رابى يوسى[3] : إذا

---

١) يلاحظ أننى استعنت فى هذه الترجمة بشروح وتفاسير " حنوك ألبق " لهذه الفقرات .

٢) מסכת בבא מציעא, פרק ג', ה'.

٣) رابى يوسى : وهو رابى يوسى بن يوحنان ، عاش فى فترة حروب المكابيين الأولى ، حوالى منتصف القرن الثانى ق.م ، وعلى الرغم من أنه كوّن الزوج الأول مع يوسى بن يوعزر فى طبقة المؤسسين التى أعقبت عصر النساخ . إلا أنهما لم يكونا دائماً متفقين فى جميع الأمور التفسيرية خاصة مايتعلق منها بالشرائع والقوانين ، فقد اختلفا فى مسألة القربان فى يوم طوف . انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل . الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ٢٥

كان الأمر كذلك فماذا خسر المحتال ؟ بل الجميع يُترك حتى يأتى إلياهو ".

(د)-מוֹתַר הַמֵּתִים לַמֵּתִים . מוֹתַר הַמֵּת לְיוֹרְשָׁיו . רַבִּי מֵאִיר אוֹמֵר: מוֹתַר הַמֵּת יְהֵא מֻנָּח עַד שֶׁיָּבֹא אֵלִיָּהוּ ; רַבִּי נָתָן אוֹמֵר : מוֹתַר הַמֵּת בּוֹנִין לוֹ נֶפֶשׁ עַד קִבְרוֹ [1]- مايتركه الأموات للأموات.صدقة الميت لورثته . رابى مئير[2]قال : صدقة الميت تترك حتى يأتى إلياهو ، رابى ناشان[3]قال : صدقة الميت تبنى له نصب على قبره ".

وقد اختلف الحكماء فى طبيعة الدور الذى سيلعبه إلياهو بعد مجيئة حيث ورد فى المشنا : אָמַר רַבִּי יְהוֹשֻׁעַ : מְקֻבָּל אֲנִי מִפִּי רַבָּן יוֹחָנָן בֶּן זַכַּאי,

---

١) סדר מועד , מסכת שקלים , פרק ב׳ , ה׳ .

٢) رابى مئير רבי מֵאיר : أحد تلاميذ رابى عقيبا المشهود لهم بالتقوى والورع ، وتذكر دائرة المعارف اليهودية أنه لايعرف نسبه على وجه اليقين ولا أين ولد ومن هو والده ، ويقال إن اسمه الحقيقى " ميسا " ، أما التلمود فيذكر أن سبب تسميته بهذا الاسم : " لأنه كان ينير أعين الحكماء فى الهلاخاه " . وفى عصره نظمت الهلاخاه والأجاداه على يديه ، ولكنه كان يهتم كثيراً بالهلاخاه ،وهو الذى قال " إن الهلاخاه هى أساس التوراة الشفوية " ..

انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص ٣٩.

٣) رابى ناشان: רבי נתן : وهو رابى ناشان البابلى الذى كان من عظماء جيله هو ورابى مئير وقد ظهرا معاً عند تجديد " السنهدرين " فى " شفرعم" وقد شغل رابى ناشان منصب " رئيس بيت دين אב בית דין " بالإضافة إلى عمله فى المشنا ،وهو نفس العمل الذى كان يقوم به " رابى يهوشع " فى "يبنه" ... وقد كان رابى ناشان عظيماً فى علمه وحكمته ونبيلاً فى نسبه الأسرى وكان يشغل المكانة الثانية فى "المثيبتا מתיבתא"(בית המדרש הגדול) .

انظر : אברהם משה נפתל , התלמוד ויוצריו , פרק ראשון, דורות התנאים , הוצאת "יבנה" בע"מ תל-אביב 1976 . עמ׳ 164 .

שֶׁשָּׁמַע מֵרַבּוֹ, וְרַבּוֹ מֵרַבּוֹ, הֲלָכָה לְמֹשֶׁה מִסִּינַי, שֶׁאֵין אֵלִיָּהוּ בָּא לְטַמֵּא וּלְטַהֵר, לְרַחֵק וּלְקָרֵב, אֶלָּא לְרַחֵק הַמְקֻרָבִין בְּזְרוֹעַ וּלְקָרֵב הַמְרֻחָקִין בְּזְרוֹעַ. מִשְׁפַּחַת בֵּית צְרִיפָה הָיְתָה בְּעֵבֶר הַיַּרְדֵּן, וְרִחֲקָה בֶּן צִיּוֹן בְּזְרוֹעַ. וְעוֹד אַחֶרֶת הָיְתָה שָׁם, וְקֵרְבָה בֶּן צִיּוֹן בְּזְרוֹעַ. כְּגוֹן אֵלּוּ - אֵלִיָּהוּ בָּא לְטַמֵּא וּלְטַהֵר, לְרַחֵק וּלְקָרֵב. רַבִּי יְהוּדָה אוֹמֵר: לְקָרֵב, אֲבָל לֹא לְרַחֵק. רַבִּי שִׁמְעוֹן אוֹמֵר: לְהַשְׁוֹת הַמַּחְלֹקֶת. וַחֲכָמִים אוֹמְרִים: לֹא לְרַחֵק וְלֹא לְקָרֵב, אֶלָּא לַעֲשׂוֹת שָׁלוֹם בָּעוֹלָם שֶׁנֶּאֱמַר: הִנֵּה שֹׁלֵחַ לָכֶם אֶת אֵלִיָּה הַנָּבִיא וְגוֹמֵר וְהֵשִׁיב לֵב־אָבוֹת עַל־בָּנִים וְלֵב בָּנִים עַל־אֲבוֹתָם.(١)

" قال رابى(٢): تلقيت أنا من "ربان يوحنان بن زكاى" ، الذى سمع من معلمه ، ومعلمه من معلمه بأنه لم يسمع أن "موسى" تلقى هذا الكلام فوق جبل سيناء : أن إلياهو لن يأت ليدنس وليطهر ، ليبعد وليقرب ، بل سمع منه هذا الكلام وفقاً لما حكاه موسى عن مجىء المسيح حيث ورد فى توراته :

---

١) סדר נזקין , מסכת עדיות , פרק ה' , ח'.

٢) رابى يهوشع רבי יהושע בן חנניה وهو واحد من التلاميذ الخمسة لرابى يوحنان بن زكاى ، ومن الأربعة الذين ذهبوا إلى يبنه . وقد شغل منصب " רב בית דין " خلفاً لرابى يوحنان . وقد كان ضمن الوفد الذى سافر إلى روما فى أول أيام تيتوس . وقد كان رابى يهوشع ورابى اليعازر زملاء منذ فترة الصبا ، وعند بلوغهما صارا رفاقاً وأصدقاء ، وقد درسا معاً التوراة فى " אגדתא " واهتما بشئون الجماهير وقد كان عطاؤهم غزيراً وشاملاً ومتفرعاً فى الهلاخاه ... وكان أحياناً يصعب على الحكماء تمييز شخصية أحدهما عن الآخر فكانوا ينسبون أقوال أحدهما للآخر .
انظر : התלמוד ויוצריו , כרך א' , עמ' 49 , 63.

אִם־יִהְיֶה נִדַּחֲךָ בִּקְצֵה הַשָּׁמַיִם מִשָּׁם יְקַבֶּצְךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ
וּמִשָּׁם יִקָּחֶךָ. וֶהֱבִיאֲךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ אֶל־הָאָרֶץ אֲשֶׁר־יָרְשׁוּ
אֲבוֹתֶיךָ (١)... إن يكن قد بددك إلى اقصاء السموات فمن هناك يجمعك الرب
إلهك ومن هناك يأخذك ويأتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى امتلكها آباؤك " .
وأخبرهم كذلك أيضاً على نمط الحكايات البطولية بالتمهيد لمجيئه بالأسباب ،
حيث يسبقه رجل ليمهد له الطريق ، وهو إلياهو ، وأخبرهم أيضاً بأن هذا الرجل
لن يزيد أو ينقص فى التوراة ، ولكن سيبدد الظلمات فقط - وقد اختلف الحكماء
فى ماهية الظلمات التى سيبددها - فهو يبعد المقربون بالقوة - وهم هؤلاء
الذين كانوا جديرين بالابتعاد عن المجموع ولكن اقتربوا بالقوة وبالعنف ،
حيث ذكر فى ملاخى (٣ : ٣) " וְטִהַר אֶת בְּנֵי־לֵוִי וְזִקַּק אוֹתָם כַּזָּהָב
וְכַכָּסֶף - وينقى بنى لاوى ويصفهم كالذهب والفضة " . وهذا ماقيل أيضاً فى
ملاخى (٣ : ٢٤) :וְהֵשִׁיב לֵב־אָבוֹת עַל־בָּנִים וְלֵב בָּנִים עַל־אֲבוֹתָם -
- يرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم " . فأسرة " آل صدفة "
كانت فى وادى الأردن ، ثم أبعدها " ابن صهيون " بالقوة .. ويقصد بابن صهيون
الإنسان القوى العنيف - وكذلك توجد أسرة أخرى كانت هناك وقربها " ابن
صهيون " بالقوة ولكن لم يذكر اسمها حفاظاً على شرفها - ويقول " رابى يهوذا :
" ليقرّب ، ولكن لايبعد . ويقول " رابى شمعون " : لتسوية الخلافات بين الحاخاما ت
فى شئون التوراة ، وقد قال الحكماء : لايبعد أو يقرب ، بل ليصنع السلام فى
العالم ، حيث قيل فى " ملاخى (٣ : ٢٣ - ٢٤) : " ها أنذا أرسل اليكم إلياهو
النبى قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف فيرد ... الخ "(٢)

---

١) التثنية (٣٠ : ٤ - ٥)

٢) ששה סדרי משנה, מפורשים בידי חנוך אלבק ומנו-
קדים ניקוד חדש בידי חנוך ילון, סדר נזיקין, סדר
מועד, סדר נשים, הדפסה ד' ירושלים, דביר. מוסד
ביאלק, תל אביב תשל"ז, עמ' 193, 71, 317, 75.

مماسبق نستطيع القول بأنه بالإضافة إلى فريضة تناول فطيرة الفصح ، ورواية حكاية الفصح ، وهى فرائض نص عليها العهد القديم ، وأضاف الحاخامات فريضة احتساء أربعة كؤوس من الخمر فى لَيْل הַסֵּדֶר - ليلة الاحتفال بعيد الفصح " بالإضافة إلى وضع كأس خامسة مخصصة بصورة رمزية لإلياهو النبى ، وكما ذكرنا سابقاً أن السبب فى شرب الكؤوس الأربعة نتج عن رغبة اليهود فى إحياء ذكرى الفقرات الأربعة الخاصة بالخلاص ، حيث أكد الرب بواسطتها ، خلاصهم من عبودية مصر : "וְהוֹצֵאתִי אֶתְכֶם מִתַּחַת סִבְלוֹת מִצְרַיִם"

أ : أخرجتكم من تحت أثقال المصريين

ב : וְהִצַּלְתִּי אֶתְכֶם מֵעֲבֹדָתָם"

ب : وأنقذتكم من عبوديتهم .

ג : וְגָאַלְתִּי אֶתְכֶם בִּזְרוֹעַ נְטוּיָה וּבִשְׁפָטִים גְּדֹלִים"

ج : وخلصتكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة .

ד : "וְלָקַחְתִּי אֶתְכֶם לִי לְעָם"

د : واتخذتكم لى شعبا "(١)

أما "كأس إلياهو النبى " فالتفسير المقبول لها هو وعد الخلاص الذى جاء فى الفقرة الخامسة التى تلت الفقرات الأربعة الخاصة بالخلاص وهى :

"ו : וְהֵבֵאתִי אֶתְכֶם אֶל-הָאָרֶץ, אֲשֶׁר נָשָׂאתִי אֶת יָדִי לָתֵת אֹתָהּ ..... וְנָתַתִּי אֹתָהּ לָכֶם מוֹרָשָׁה, אֲנִי ה' "(٢).

و: وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً . أنا الرب "

---

١) الخروج (٦ : ٦ - ٧). وقيل إنها رمز إلى خمسة كؤوس فرعون (راجع تكوين ٤٠ : ١١ و ١٣ و ٢١)، وإلى أربع ممالك أو كؤوس الغضب . وهناك من يربط كأس إلياهو فى ليلة الفصح بتقاليد الختان ، فيقول " الجاؤون من فيلناه הגאון מווילנה " : " سبب مزج كأس الياهو أن إلياهو هو "ملاك العهد" الذى يشهد بأن بنى إسرائيل يقيمون فرائض الختان ، وأنه يقال فى الفصح " وكل من لا يختن (غرلاً) لايأكل من ذبيحة الفصح "

٢) الخروج (٦ : ٨).

وحيث أنه أكد على يد النبى " ملاخى " أن إلياهو النبى هو الذى سيبشر بمجىء الخلاص ، فإنهم يمزجون له هذه الكأس الخامسة لتأكيد التكهن بالخلاص الكامل ، ولايرتشفون منها شيئاً ويذكرون أنه بمجىء إلياهو وعلى لسانه بشارة الخلاص سوف تتحقق الوعود الخمسة التى أشارت إليها الفقرات الخمسة ، وعندئذ فقط يستطيعون شرب ماتحتويه الكأس الخامسة (١).

فتح الباب لإلياهو النبى :

تقليد آخر اتبعه اليهود سبق اتباعهم عادة مزج كأس خامسة "لإلياهو النبى " ، وهو فتح الباب لاستقبال " إلياهو " بعد بركة الطعام ، وعند قولهم :

שְׁפֹךְ חֲמָתְךָ אֶל הַגּוֹיִם אֲשֶׁר לֹא יְדָעוּךָ. וְעַל מַמְלָכוֹת אֲשֶׁר בְּשִׁמְךָ לֹא קָרָאוּ: כִּי אָכַל אֶת יַעֲקֹב. וְאֶת נָוֵהוּ הֵשַׁמּוּ. (٢)

:صب غضبك على الأمم الذين لايعرفونك وعلى الممالك التى لم تدع باسمك لأنهم قد أكلوا يعقوب وخربوا مسكنه " . ويرجع هذا التقليد إلى أيام " راب هونا רב הונא (٣) فى القرن الثالث الميلادى حيث اعتاد فتح باب بيته فى ليلة الفصح قبل تناول الطعام حتى يتمكن الضيوف من الدخول

---

١) הרב י.מ.לאו, יהדות הלכה למעשה, דברים שבעל-פה, כתבו וערך שאול מייזליש, נדפס במפעלי - דפוס פלאי בע"מ גבעתיים רמת גן, ישראל 1978, עמ' 275, 274.

٢) المزامير (٧٩ : ٦ - ٧)

٣) רב הונא : راب هونا : أطلق عليه أيضاً " הונא בבלא " هونا البابلى " وهو أمورائى بابلى من الجيل الثانى ، ورئيس مدرسة سورا بعد رابى ، وصموئيل ، وكان يدرس عنده ٨٠٠ تلميذاً (כתובות ק"ו) ، وقد ولد فى عام ٢١٦ ومات سنه ٢٩٧ ، وعاش فى مدينة " دروقة - דרוקת " (תענית כ"א) ويحتمل أنه ولد فى فلسطين ، وكان تلميذاً بارزاً لرابى (שבת קכ"ח) ، ثم هاجر إلى فلسطين حيث أطلق عليه " رابى زيرا " (رابى القادم من بابل) ثم عاد بعد ذلك إلى بابل حيث أصبح حاخاماً عظيماً . وكان يعتبر واحداً من حسيدى بابل (תענית ב"ג) وبفضل مكانته كان يقرأ بدلاً من الكاهن على الرغم من أنه لم يكن كاهناً . انظر : אוצר ישראל, חלק רביעי, עמ' 118.

وكان يقول : "כל מאן דצריך ליתי וליכול [١] : ليات كل محتـــاج للطعام " .

وفى حقيقة الأمر أن عادة فتح الباب فى ليلة الفصح مع قول المديح : " صب غضبك" ترتبط بعادة قديمة وهى عدم غلق الأبواب كلية فى ليلة الاحتفال بالفصـــح الذى يعتبرها اليهود " ليلة الحفظ - ליל שמרים "[٢].. أى يجـــب أن تحفظ للرب لإخراجه إياهم من أرض مصر ، وكان السبب فى اتباع هذه العادة القديمة هو دعوة كل الفقراء للمجىء والاحتفال بعيد الفصح ولذلك كانوا يتركون البـــاب مفتوحاً . ولكن فى فترة الجاؤونيم (من القرن السادس حتى القرن الحادى عشر) ربطوا ترك الباب مفتوحاً بمجىء إلياهو ، من أجل الخروج بسرعة لاستقبال إلياهـو عند مجيئه ، بدون أن يعطلهم شىء ، ووجدوا تعليلاً لذلك فى قول حاخاماتهـــم : "בניסן נגאלו ובניסן עתידין ליגאל "[٣]- فى نيسان انقذنا وفى نيســان سيتم إنقاذنا ، وفى تفسير آخر " لليلة الحفظ " بأنها ليست فقط الليلة التـى تم فيها الحفظ والخلو من الأضرار ، بل أيضاً ليلة الحفظ التى جاءت ضمن ســـتة أيام الخلق والتى فيها سيأتى إلياهو والمسيح[٤].

وهناك أسباب مختلفة جعلت اليهود لايتركون الباب مفتوحاً طوال الاحتفـــال بمأدبة ليلة الفصح ومنها الخوف من اللصوص ومن الأغيار المتطفلين والمزعجين فى بلاد أوربا ، وأثناء الأحكام الصادرة ضد اليهود فى القرون الوسطى بقيت عـــادة فتح الباب أثناء قولهم " صب غضبك " ، ورأوا فى ذلك إعراباً عن اشتياقهم لمجىء " إلياهو النبى " الذى سينقذهم ويخلصهم من مطارديهم والذى سينتقم لهم مـــن أعدائهم . وبمرور الزمن صاحبت تفاسير مختلفة عادة فتح الباب فى ليلة الفصح ، ومن هذه التفاسير ربط فتح الباب " بتهمة الدم " التى اتهم الاغياربها اليهود، حيث قالوا إن اليهود يخلطون فطير الفصح بدم طفل مسيحى ، ولذلك فتح اليهـــود

---

١) תענית , ר' , ע"ב , סוף .
٢) راجع (الخروج ١٢ : ٤٢)
٣) راجع ראש השנה , יא ע"א .
٤) راجع שמות רבה יח ט .

الباب لكى يتأكدوا أنه لايقف خلفه متهم أو واش . ويحتمل أنهم : لكى لايخيفوا أولادهم اعتادوا أن يحكوا لهم أنهم يفتحون الباب لإلياهو النبى ، حيث يقولون " صب غضبك " ويقصدون بقولهم هذا " إلياهو النبى " الغيور الذى ينتقم من " أنبياء بعل " بانتقامه من الأغيار فى كل جيل وجيل [١].

والحقيقة أن عادة فتح الباب ماهى الا إحياء لعادة قديمة ، وهى " ليلة الحفظ לֵיל שִׁמֻּרִים " حيث كانت تترك الأبواب مفتوحة طوال ليلة الفصح ، ثم ارتبطت بعد ذلك بوعد الخلاص ، ولذلك حدد " رابى موشيه ايسرليش רַבִּי מֹשֶׁה אִיסֶרְלִישׁ " : " إننا نفتح الباب لكى نتذكر أن هذه الليلة هى " ليلة الحفظ " ، وبفضل هذا الاعتقاد سيأتى إلياهو النبى ويصب غضبه على الكافرين بالرب[٢]. ويعبر عن هذه الفكرة بعض من فقرات إحدى الهجادوت التى يحكيها رب الأسرة فى ليلة الفصح :

קודם שמוזגין הכוס הרביעי פותחין הדלת,
לזכר כי ליל שמורים הוא ולא צריך להיות ננעלת,
לשם שמים תהיה הכוונה,
שבלילה הזה אין כל סכנה,
וכדי הוא להאמונה,
שיבוא גואלנו הצדק ברנה,
ויבנה בית המקדש בבראשונה .

قبل أن يمزجوا الكأس الرابعة يفتحون الباب لذكرى ليلة الحفظ التى لايجب غلقه فيها لتكون النية خالصة للرب حيث تنعدم الأخطار فى هذه الليلة

---

١) חגים ומועדים , עמ' 30 , 57 , 58 .
٢) שולחן ערוך , או"ח , סימן ת"פ .

אליהו מבשר הגאולה. מתוך 'הגדת ויניציאה' 1609.

אליהו מבשר הגאולה. מתוך 'הגדת מנסובה' 1561.

الجديـرة بـالاعتقـــاد

بـان مخلصنـا الصادق سيأتى فى طرب .(١)

ولذلك يمكننـا القول بـأن تبرير اليهود لفتح الأبواب فى ليلة الفصح " لكـــى يتـأكدوا من عدم وقوف واش أو عدو خلفها " هو تبرير مشكوك فى صدقه (٢).

ويتبين لنـا مما سبق أن اليهود كانوا يجعلون للطقوس الدينية الأهميـــة الأولى فى عبادتهم لله ، مكتفين بنـاحيتهـا الشكلية ، مع أن المقصود منهـــا أن تكون مجرد رموز أو مظاهر للعبادة الحقيقية ، التى هى فى جوهرها اتجاه النفس البشرية إلى الله من أجل الوصول إليه ، والخضوع لمشيئته ، ونزوعها إلى عفوه وغفرانه ، وتطلعها إلى درجة من الطهارة والقداسة تتيح لها أن تكون مستحقة لأن تقترب منه وتنال رضاه ، ولكن اليهود قنعوا بالمظهر دون الجوهـــــر ، لأنهم اعتقدوا أن استيفاء المظهر كاف لتبرير خطاياهم وإعفائهم من عواقـــب آثامهم .

إلياهو المبشر بالمسيح المنتظر : אליהו מְבַשֵּׂר־הַמָּשִׁיחַ :

جرى المفسرون اليهود على التركيز على مجيء النبى إلياهو قبل مقـــدم المسيح المخلص للتبشير بالخلاص لليهود وذلك عند تفسير الفقرة (ملاخى ٣ : ١)

"הִנְנִי שֹׁלֵחַ מַלְאָכִי וּפִנָּה־דֶּרֶךְ לְפָנָי וּפִתְאֹם יָבוֹא אֶל הֵיכָלוֹ הָאָדוֹן אֲשֶׁר־אַתֶּם מְבַקְשִׁים וּמַלְאַךְ הַבְּרִית אֲשֶׁר־אַתֶּם חֲפֵצִים הִנֵּה־בָא אָמַר יְהוָה צְבָאוֹת"إننى مرسل ملاكى فيهيء الطريق أمامى وبغته يأتى السيد الذى تنتظرونه إلى هيكله ، وملاك العهد الذى ترتضونه ، هاهو آت ، قال رب الجنود " . وقالوا إن " ملاك العهد " المذكور هو النبى إلياهـــو نفسه (٣).

---

١) הגדה של פסח , בית חורין , ווינה 1813.

٢) נ. וואהרמן , חגי ישראל ומועדיו , פתר , ירושלים תשי"ט , עמ' 149 .

٣) د. حسن ظاظا . الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ١٢٦ - ١٢٧

ويهمنا هنا أن فكرة الخلاص على يد المسيح المنتظر تقترن عند اليهود بفكرة تجديد العهد مع الرب ، أو فكرة " العهد الجديد " . فعندئذ يعتقدون أن أمة الله تتجدد ، لتصبح جديرة بالله ، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لامثيل لها بين المدائن ، يقيم فيها الرب على جبل صهيون ، ويتجمع فيها المشردون من بنى إسرائيل ، وتزول فيها الأحقاد ، بل يموت فيها الموت نفسه . وفى وسط هذه الآمال المركزة على إسرائيل ، لاينسى مروجو تلك البشارات أن يجعلوا فيها نصيباً ماللانسانية من غير بنى إسرائيل . فيقول النبى أشعيا مثلاً : "וְעָשָׂה יְהוָה צְבָאוֹת לְכָל־הָעַמִּים בָּהָר הזה מִשְׁתֵּה שְׁמָנִים מִשְׁתֵּה שְׁמָרִים שְׁמָנִים מְמֻחָּים שְׁמָרִים מְזֻקָּקִים. וּבַּעַל בָּהָר הַזֶּה פְּנֵי־הַלּוֹט הַלּוֹט עַל־כָּל־הָעַמִּים וְהַמַּסֵּכָה הַנְּסוּכָה עַל כָּל־הַגּוֹיִם. בִּלַּע הַמָּוֶת לָנֶצַח וּמָחָה אֲדֹנָי יְהוִה דִּמְעָה מֵעַל כָּל־פָּנִים וְחֶרְפַּת עַמּוֹ יָסִיר מֵעַל כָּל־הָאָרֶץ כִּי יְהוָה דִּבֵּר וְאָמַר בַּיּוֹם הַהוּא הִנֵּה אֱלֹהֵינוּ זֶה קִוִּינוּ לוֹ וְיוֹשִׁיעֵנוּ זֶה יְהוָה קִוִּינוּ לוֹ נָגִילָה וְנִשְׂמְחָה בִּישׁוּעָתוֹ"(١) . ويصنع رب الجنود لكل الشعوب وليمة من المسمنات ومأدبة من المسمنات الدسمة مع النبيذ الصرف المروق ، وفى هذا الجبل سيزيل رقعة الغطاء المغطى جميع الشعوب والحجاب الحاجب لكل الأمم . وسيبيد الموت إلى الأبد ، ويمسح السيد الرب الدموع من جميع الوجوه ويزيل عار شعبه عن كل الأرض ، لأن الرب قد تكلم . فيقال فى ذلك اليوم ، هوذا إلهنا الذى انتظرناه ، نبتهج ونفرح بتخليصه " .

ولانكاد نشعر بوجود فكرة انتظار المسيح المخلص من خلال أسفار التوراة الموسوية الخمسة بحالتها المعروفة ولكن الباحثين . واليهود منهم بوجه خاص تأولوا ذلك من خلال فقرتين فقط فى أسفار موسى الخمسة ، مع كثير من التكلف والتعسف ، فالفقرة الأولى تقول : "לֹא־יָסוּר שֵׁבֶט מִיהוּדָה וּמְחֹקֵק מִבֵּין רַגְלָיו עַד כִּי־יָבֹא שִׁילֹה וְלוֹ יִקְּהַת עַמִּים . (٢)- لايزول صولجان من يهوذا ، ومشترع من سلالته حتى يأتى (شيلو) وتطيعه الشعوب ".

---

١) أشعيا ٢٥ - ٦ - ٩

٢) التكوين ٤٩ : ١٠

هنا يمكن أن نتساءل مع الباحثين فى نص العهد القديم : من هو "שִׁילֹה شيلو " ؟ . الواقع أنه لايوجد لهذا السؤال جواب شاف . فقد حرص بعضهم على أن يذكره كما هو دون تعليق . واعتبره بعضهم تحريفاً من الناسخ ، وحاول أن يصحح هذا التحريف برأيه فمثلاً نجد " سعديا الفيومى " من خلال ترجمته العربية للتوراة يبدو أنه قرأ (شِلو שִׁלֹו) وفهمها بنفس المعنى الوارد فى العبرية وهو : "الذى له" ، "الذى ينتمى إليه صاحبه" ، ولذلك يقول فى ترجمته العربية للفقرة السابقة : " ولايزول القضيب من آل يهوذا ، والراسم من تحت أمره إلى أن يجىء (الذى هو له) وإليه تجتمع الشعوب " . أما الفرنسى " جينبيرCh.Guignebert فيرى وجها آخر فى تصحيح هذا التحريف فيقرأ (מִשְׁלוֹ موشلو) بدلاً من (שִׁילֹה - شيلو) ومعناها " حاكمه " " والمسيطر عليه " . والترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا تقرأ (شاليو שָׁלֵו) ومعناها "المسالم المتمسك بالهدوء والسكون " وكلها كما نرى افتراضات لنص غامض لاسبيل إلى الوصول لوجه الحق فيه ، ومع ذلك فإنه بعد كل ما يمكن تصوره من تعديل أو تصحيح لايمكن أن ينطبق على " المخلّص " و"المسيح بحال من الأحوال، فالمسألة كلها لا تعدو أن تكون حديثاً عن سبط يهوذا الذى ينتمى إليه " داود ""وسليمان " وأسرتهما الملكية ، الوحيدة فى التاريخ اليهودى التى كان لها صولجان ولديها حق التشريع فى فترة ما ، مما يرجح معه رجوع هذه الفقرة ، بل كل الإصحاح الذى وردت فيه إلى مابعد قيام ملك داود ، بالرغم من نسبتها هنا إلى موسى . وهذا هو رأى " دريفر S.R. Driver " : ان الاصحاح ٤٩ من سفر التكوين الذى يبارك فيه يعقوب الأسباط ، هو بطبيعة الحال مقحم على يد كاتب من المدرسة اليهودية (اليهوية - יְהוָה)[1] أخذه من مصدر مستقل ، فالملابسات

---

١) خرجت أبحاث العلماء فى نص العهد القديم الى أن روايته ترجع إلى مصادر أربعة وهى :

أ - المصدر اليهوى : ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع ق.م وهو المصدر الذى يطلق اسم " يهوه יהוה " علماً على رب العبريين الوطنى القديم .

==

التاريخية والجغرافية التى تشع منه هى نفس الملابسات المعروفة فى عصر "القضاة" و" صمويل " و" داود " ، وهو العصر الذى أخذت فيه عادة بركة شيخ القبيلة شكلها الشعرى الذى نراه هنا ". أما الفقرة الثانية التى يميل إليها بعض الباحثين فى أسفار موسى الخمسة ، وتوهموا أنهم عثروا فيها على مايشير إلى المسيح المخلص المنتظر فتقول : " אֶרְאֶנּוּ וְלֹא עַתָּה אֲשׁוּרֶנּוּ וְלֹא קָרֹוב דָּרַךְ כּוֹכָב מִיַּעֲקֹב וְקָם שֵׁבֶט מִיִּשְׂרָאֵל וּמָחַץ פַּאֲתֵי מֹאָב וְקַרְקַר כָּל־בְּנֵי־שֵׁת " (١)- إننى أراه وليس حاضرا ، أبصرة وليس قريباً ، يبرز كوكب من يعقوب ، ويقوم صولجان من إسرائيل ، فيحطم طرفى موآب ، ويخسف كل أبناء الغرور". والفقرة تنطوى على غموض لايقل عن سابقتها . فالترجمة التى أثبتناها هى مافهمته منها الحاخامية الفرنسية . أما الترجمة العربية الكاثوليكية فتثبت بدل المقطع الأخير " ويريح جميع بنى شيت " . على حين أن الترجمة العربية البروتستنتية تقول " ويهلك كل بنى الوغى ". ويترجمها " سعديا الفيومى " : " ويزلزل سائر بنى شيت " . ومهما يكن من شئ فإن هذا الموصوف هنا يبدو جبار حرب ، منتقماً شديد البطش ، بعيداً عما يقترن بفكرة المسيح المنتظر من الوئام والسلام (٢).

والحقيقة أن كلمة " مسيح " - מָשִׁיחַ " قد بدأت حياتها اللغوية بمدلول مادى عادى . فالفعل " מָשַׁח - مسح " كان يستعمل لمبايعة الملوك ، إذ يأتى

=) ب - المصدر الألوهيمى : وقد كتب تقريباً فى القرن الثامن ق.م فى مملكة إسرائيل الشمالية ، وهو الذى يطلق اسم " إلوهيم אֱלֹהִים " علماً على الله فى الشمال وهذان المصدران يتفقان فى الخطوط العريضة للموضوع الذى يتناولانه .

ج - مصدر التثنية : وهو مصدر تشريعى بحت ، لايهتم كثيراً بالأساطير الشعبية ، ويمثله بصورة واضحة آخر أسفار التوراة وهو سفر التثنية .

د - مصدر حواشى الكهنة : ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس ق.م . وهذه الحواشى دخلت إلى نص التوراة حوالى هذا التاريخ فى عهد عزرا ونحميا بعد العودة من السبى البابلى فى ظل الإمبراطورية الفارسية حين كانت لهؤلاء الكهنة القوة والسلطان فى شعبهم .

انظر: الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ٣

١) العدد ٢٤ : ١٧

٢) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ١١٣، ١١٤، ١١٥

الكاهن الأكبر ، الذى يقوم بطقوس التتويج ويأخذ على كفه بعضا من الزيت المقدس فيمسح به مقدم رأس الملك ثم يضع التاج . وهكذا كان كل ملك عند العبريين يسمى فى القديم "מָשִׁיחַ مسيحا " أى أنه متوج بطريقة شرعية وممسوح بالزيت المقدس . وهناك أدلة عديدة فى العهد القديم استند عليها العلماء فى ترجيح هذا المعنى منها قول الله لموسى :וְהִלְבַּשְׁתָּ אֶת־אַהֲרֹן אֶת בִּגְדֵי הַקֹּדֶשׁ וּמָשַׁחְתָּ אֹתוֹ וְקִדַּשְׁתָּ אֹתוֹ וְכִהֵן לִי. וְאֶת־בָּנָיו תַּקְרִיב וְהִלְבַּשְׁתָּ אֹתָם כֻּתֳּנֹת. וּמָשַׁחְתָּ אֹתָם כַּאֲשֶׁר מָשַׁחְתָּ אֶת־אֲבִיהֶם וְכִהֲנוּ לִי וְהָיְתָה לְהִיֹּת לָהֶם מָשְׁחָתָם לִכְהֻנַּת עוֹלָם לְדֹרֹתָם "[1]- وتلبس " هارون" الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ، ليكهن لى . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة وتمسحهم كما مسحت أباهم ليكهنوا لى . ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتاً أبدياً فى أجيالهم " . وكذلك مسح " صموئيل " " شاؤل " لما أصطفاه الله ملكاً على بنى إسرائيل . وقد مسح " داود عليه السلام " مرتين ، ومسح أيضاً " سليمان" وكذلك " إلياهو " و " اليشع " ، وعلى عادتهم هذه كان " موسى عليه السلام " مسيحاً لأنه كان نبياً وعالماً وملكاً ، وكان " هارون " مسيحاً لأنه كان نبياً وعالماً ولم يكن ملكاً ، وكان داود مسيحا لأنه كان نبيا وملكا . ولم يكن عالماً لأنه لم يكن - بحسب شريعتهم من نسل هارون العلماء الكبار ، ولامن نسل لاوى العلماء العاديين وكان " قورش " ملك فارس مسيحاً لأنه كان ملكاً . ولم يكن نبياً وعالماً ، وكل جد فى بنى إسرائيل أو ربانى يلقب بلقب مسيح للعلم دون الملك والنبوة . وكان " عيسى بن مريم " عليه السلام مسيحاً لأنه كان نبياً وعالماً ولم يكن ملكاً[2].

---

١) خروج ٤٠ : ١٣ - ١٥

٢) د. أحمد حجازى السقا : التوراة السامرية . القاهرة مكتبة دار الانصار ١٩٧٨ . ص ٤٠٩ ويقول السامريون : إن النبى هو نفسه المسيح ، وهم لايؤمنون بسفر ملاخى فى العهد القديم ، والذى يتحدث عن نبوّة " إلياهو النبى " وهم كذلك لايعترفون بإلياهو اطلاقاً . وكذلك لايعرف اليهود " القراءون " عقيدة " الماشيح "(ربما يرجع ذلك إلى تأثير الإسلام) وقد حذروا أتباعهم من أولئك الذين يتنبأون بظهور الماشيح . أما " موسى بن ميمون " فرغم إيمانه بأن السلام سيعم فى المجتمع بمقدم الماشيح فإنه أكد أن الطبيعة لن تغير قوانينها ، كما شك فى مدعى الماشيحانية فى أيامه .

ويعتقد اليهود أنه إلى جانب الأعمال العظيمة والأمور السرية والمعارف الغيبية التى قام بها إلياهو النبى فى هذا العالم فى كل العصور ، إلا ان أعظم أعماله سيكون نصيبه فى الأحداث المقبلة فى أيام المسيح المنتظر . فهم يعتقدون أن إلياهو سيأتى ليرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم وليعد أسباط إسرائيل لاستقبال الخلاص(١). وانه سيكون مسئولا فى تلك اللحظة عن توبة بنى إسرائيل ورجوعهم إلى صراط آبائهم الذين فى السماء ، حيث يعتقدون أن خلاص بنى إسرائيل لن يتم إلا بعد توبتهم(٢)، ويعتقد اليهود أيضا أن إلياهو سيأتى

---

١) راجع ملاخى ٣ : ٢٤ . وراجع בן סירא מח, י-יא . حيث قام بترجمة هذه الفقرة ترجمة حرة . والأقرب للتأكيد أن " ابن سيرا " اعتقد أن إلياهو هو مسيح المستقبل وأن إلياهو والمسيح شيء واحد ، ونجد آثار هذا الرأى فى مصادر حكماء التلمود (راجع : איש שלום במבואו לסדר אליהו רבה 25-37 - وغيرها) حيث نشعر بتأثير رأى " ابن سيرا " من خلال لهجة الإلحاح التى يرددها بعض علماء اليهود عندما يبدأون الحديث عن إلياهو فيقولون : " إنه ليس هو المسيح " . ولكنهم جميعاً يؤمنون بأنه سيأتى ، بل أنه ينزل من حين إلى حين إلى هذه الدار الفانية ليطمئن على أنه مايزال هناك يهود يقيمون الطقوس والشعائر والأعياد حسب ماتقرر عليهم منذ القدم ، ويثبت هذا أنه حتى فى الأزمنه التى تلت عصر المقرا، فسروا فقرة ملاخى (٣ : ٢٤) بأنها تتحدث عن المسيح . ولكن بعد ان أتفق على ان المسيح سيكون من نسل داود בן דוד " عادوا لتسمية إلياهو بابن داود . ومنهم من يعتقد بان هناك أربعة من المسيحانيين : المسيح بن داود، المسيح بن يوسف ، إلياهو ،وملكى صادق ":ملك البر) ، ومنهم أيضاً من يقول ان ابن الأرملة الذى أعاده إلياهو إلى الحياة هو المسيح ، وأنه سيأتى فى آخر الزمان بعد ان يتقدمه إلياهو . والحقيقة ان هذه الآراء هى التى كانت شائعة قبل الوجود المسيحى ، كما يثبت ماجاء فى " العهد الجديد " عن " يوحنا المعمدان יוחנן המטביל " الذين شبهوه بإلياهو كمبشر بمجيء المسيح المنتظر .

٢) סנהדרין צז. ב, ירושלמי תענית פ"א סג,ד ; פרקי דרבי אליעזר הגדול פמ"ג حيث تؤكد هذه المصادر على أن التوبة قبل مجيء إلياهو هى " شرط لا بديل عنه " (תְּנָאִי בַּל יֵעָבֵר) لخلاص بنى إسرائيل فى المستقبل .

ليسوى الخلافات ولينشر السلام فى العالم ، وليبعد بين المقربين بالقوة ،وليقرّب بين المبعدين بالقوة ، وليجعل العلاقات والأنساب الأسرية بين بنى إسرائيل طاهرة ونقية ، وأنه سيمحو ويزيل كل أنواع المشاكل والصعوبات التى نشأت من بداية خلق العالم وحتى نهايته (١). وبعبارة أخرى إن إلياهو سيأتى فى آخر الزمان ليفسر كل المسائل المبهمة الموجودة فى العهد القديم ، وليحل كل الأسرار والغموض ، وليسوى كل المتناقضات وليزيل كل العقبات ، وليجعل من كل غشاش مستقيماً ، وكل ذلك ليمهد طريق الملك أمام الملك المسيح وليبشر به .

وبعد أن يقوم إلياهو بتثبيت دعائم مملكة السلام فى العالم كما ينبغى لها ، سيصبح تلميذاً مصاحبا لموسى عليه السلام ، ويقوم بتعليم التوراة لبنى إسرائيل ، حيث يصبح لموسى فماً وخطيباً كما كان هارون فماً لموسى فى عصره (٢) . وفى الوقت الذى يخلص فيه الرب بنى إسرائيل ، وقبل مجىء المسيح بثلاثة أيام ، يأتى إلياهو ويقف على جبال فلسطين ويبكى ويتضجع على بنى إسرائيل ، ويقول : ياجبال فلسطين ، حتى متى تظلين فى جفاف وقحولة ؟ ثم يدوى صوته من أول العالم وحتى نهايته وهو يقول لهم : لقد أتى السلام على العالم ! وحينما يسمعون ذلك يسعدون كلهم . ثم يأتى فى اليوم الثانى ويقف فوق جبال فلسطين ويقول : لقد أتى الخير على العالم ! . وفى اليوم الثالث يأتى ويقول : لقد حلّ خلاص العالم! (٣) وفى تلك اللحظة ينفخ " ميخائيل מִיכָאֵל "(٤) نفخة عظيمة فيرسل إلياهو

---

١) كما ذكرنا من قبل ان التعبير :"יהא מונח עד שיבוא אליהו - ليترك حتى يأتى إلياهو " موجود فى كثير من المصادر فى الأدب التنائى . انظر: לוי גינצבורג. אגדות היהודים ,כרך שלישי, נמ׳ 44, 203.

٢) זוהר ח״ג ,כד, ב - בח . א.

٣) פסיקתא רבתי פל״ה , קסא ويشير هذا المصدر إلى إلياهو أيضاً بلقب : " المبشر بالبشارات الطيبة - מְבַשֵּׂר בְּשׂוֹרוֹת טוֹבוֹת " والذى أصبح بعد ذلك لقباً محبباً عند الجميع ليلقبوا به إلياهو.

٤) מִיכָאֵל ميخائيل : أحد الملائكة الأوائل الذى جاء لمساعدة دنيال (راجع : دنيال ١٠ : ١٣) وهو الوزير العظيم الذى يقف إلى جانب الشعب (١٢ : ١) ، وقد سمى ميخائيل (حسب التفاسير اليهودية) لأنه فى الوقت الذى عبر فيه موسى البحر وبدأ ينشد : " من مثلك فى الآلهة يارب "وعندما ==

" المسيح بن داود " من أجل إنقاذ بقية بنى إسرائيل المشتتين فى أنحاء البلاد لجمعهم فى فلسطين[1]. ثم يقول لبنى إسرائيل : أنا إلياهو . وهم يقولون له : إذا كنت أنت إلياهو ، فاحي لنا الموتى ، وليس الموتى الذين لانذكرهم ، بل الموتى الذين نذكرهم . وفى تلك اللحظة يأتى المسيح ويقوم بسبع معجزات : الأولى

=) أتم التوراة قال لايوجد مثل رب المستقيمين " מיכאל - من كالرب " فأطلق عليه ميخائيل (במדבר רבה פ"ב ט') ويعتبر ميخائيل على رأس الملائكة الأربعة العظماء : ميخائيل وجبرائيل واوريئيل ورفائيل ، حيث يقف ميخائيل فى اليمين . وحسب رأى رابى " شمعون بن لاوى " أن أسماء الملائكة جاءت من بابل (ירושלמי ר"ה .נ"ד.ע"ד) وقد أطلق على ميخائيل فى كل مصادر حكماء التلمود لقب : "שר של ישראל - وزير إسرائيل " وفى الأجادوت الخارجية اعتبر كملاك الرحمة والإحسان (ספר חנוך מ'.ג'.ע"א ב'). ومعلماً لموسى (ספר היובלים א',כ"ז.ב' ، א') وهناك أجادوت كثيرة ذكرها حكماء التلمود عن ميخائيل .
انظر : אוצר ישראל , חלק שני ,עמ' 166.

١) وهناك اعتقاد شائع بين اليهود يرى أن إلياهو سيهرب مع بقية الأبرار الى الصحراء ، وبعد أن يمكثون هناك أربعين يوماً سيعودون ويتقدمهم الملك المسيح ، الذى سيأتى ويخلص بنى إسرائيل من الشتات .
انظر : פסקתא רבתי .מהד' איש שלום וינה 1880 .פרק ט"ו עב,א , עג.א , מדרש שמות רבה ,ב .במדבר רבה יא.ב , שיר השירים רבה ב ,ט.
ومن بين الوظائف التى حددوها لإلياهو عند مجيء الخلاص على يد المسيح، القيام بمسح المسيح ، لكن فى مصادر حكماء التلمود القدامى لايوجد أى ذكر لقيام إلياهو بهذا العمل . والرأى الشائع بين حكماء التلمود هو أن المسيح لن يعوزه مسح كلية . وهناك بعض الكتاب المتأخرين أمثال المؤلف المقرائى " يوسف اللاوى יוסף הלוי " " ورابى موشيه بن نحمان רבי מֹשֶׁה בן נַחְמָן " اللذين يعتقدان أن المسيح سيُمسح على يد إلياهو . والحقيقة هناك شك كبير فيما إذا كان هذا الرأى قد جاء من مصدر يهودى أم مستعار من مصادر خارجية .

يُحضر إليهم موسى وجيل الصحراء . الثانية يصعد لهم " قورح קוֹרַח " وجماعته (١) . والثالثة : يُحضر لهم " نحميا المسيح بن يوسف " الذى قُتل . والرابعة يكشف لهم خزانة التابوت وقنينة المن وزيت المسح . والخامسة يعطيه الرب عصا قوية فى يده . والسادسة يطحن جبال فلسطين ويجعلها كالدقيق . والسابعة يكشف لهم سر الخاتمة (الفناء) . وحينما يرون هذه المعجزات يعرفون أن هذا هو المسيح حقيقة (٢) . وعندئذ يأمر المسيح إلياهو بالنفخ فى البوق ، وعندما ينفخ النفخة الأولى يعود نور ستة أيام الخلق ، وفى النفخة الثانية يتم إحياء الموتى فيتجمعون بسرعة كالريح من كل الأنحاء ويحلقون حتى يصلون عند قدمى المسيح ، وفى النفخة الثالثة يظهر بهاء الرب وينكشف العرش (الروح القدس) أمام أعين بنى إسرائيل . وفى النفخة الرابعة تنهار الجبال والتلال وتصبح الجبال وديانا ويصير سطح الأرض مستوياً (٣) ، ويصير بيت المقدس كما كان فى صورته التى وصفها حزقيال (٤) . وعندما يسود السلام العالم يصير إلياهو واحداً من الأمراء الثمانية الجالسين فى مقدمة الملكوت أمام المسيح ابن داود . وعند مجىء يوم الدين

---

١) קוֹרַח - قورح . وهو "קוֹרַח בֶּן יִצְהָר בֶּן קְהָת בֶּן לֵוִי " قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى (الخروج ٦ : ١٨ و ٢١ و ٢٤) . وكان فى مقدمة الثائرين على موسى وهارون واتحد معه " داثان " و" اون " من سبط راوبين . وكانت غايتهم تحويل الرئاسة من موسى إلى سبط راوبين واتحد معهم (٢٥٠) من رؤساء الجماعة وتوجهوا إلى موسى وهارون واتهموهما بأنهما يترأسان جوراً على الجماعة . فاستشهد موسى الرب ، فأجابه الرب بأن انشقت الأرض وابتلعت جميع جماعة قورح وداثان وأبيرام وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين الذين معهم (العدد ١٦ و ٢٦ و ٢٧) وأما نسل قورح فعاشوا واشتهروا فى خدمة الهيكل (أخبار الأيام الأول ٦ : ٢٢ و ٣٧ و ١٩:٩)

٢) אגדות היהודים , כרך ג' ,עמ' 44. ×

٣) وفى مصادر آخرى (أكثر قدماً) قيل أن الرب هو الذى سينفخ فى الصور بنفسه انظر : אלפא ביתא דרבי עקיבא .מהד' ילינק. בית המדרש ג' 31.وفى مصادر أخرى يقولون إن ميخائيل هو الذى سينفخ فى الصور مرتين .

٤) راجع (حزقيال ٤٠ : ٤٨) .

العظيم يقف إلياهو هناك ويقوم بصنع المعجزات . وحسب الروّى المسيحيه فى العهد الجديد يظهر إلياهو وموسى بصحبة المسيح بعد أن يكشف حقيقته لتلاميذه وفى الأجادوت المسيحية فى القرون الوسطى يظهر إلياهو كمقاتل ضد مقاومى المسيح " אנטיכריסט " أى الأشخاص الذين يعارضونه[1]. وفى إحدى المدراشيم يتم وصف إلياهو بصحبة أرميا حيث يصعدان معا إلى فلسطين ويقوما باحتلالها وتسليمها لبنى إسرائيل ، حيث يعتقد أصحاب هذه المدراشيم أن أرميا سيكون له نصيب فى خلاص إسرائيل فى المستقبل . وهذا الرأى مقبول أيضاً فى العهد الجديد[2]. وكذلك عند مجىء " يوم الدين العظيم " يقف الأطفال الصغار الذين عوقبوا فى حياتهم بذنوب آبائهم ، بجانب جماعة الصديقين ، بينما يقف آباؤهم بجانب الأشرار . ويقولون : ربنا هل أمتنا بذنوب آبائنا ، وهل سيأتون بحقوقنا ؟ وهو يقول لهم : آباؤكم أخطأوا من بعدكم ، وأخطاؤهم تتطلب الدفاع. وفى تلك اللحظة يأتى إلياهو النبى ويعلمهم الدفاع ، ويقول لهم : قولوا له : " يارب العالم وسيده أى مقدار أكبر ، مقدار الخير أم مقدار الشر "؟ وعند قوله : " مقدار الخير كثير ، ومقدار الشر قليل ، تقولون له : " بما أن مقدار الخير كثير ، ألا يحضر آباؤنا إلينا . فيقول لهم الرب : لقد تعلمتم الدفاع جيداً ، وسيأتى آباؤكم إليكم " .. وهكذا فى هذه اللحظة تتحقق فى إلياهو نبوة ملاخى الذى تنبأ له : " ويرد قلب الآباء على الأبناء "[3].

---

١) قارن (مرقس ٩ : ٤ - ٥ ؛ متى ١٧ : ١٣ - ١٤ ؛ لوقا ٩ : ٣٠ - ٣٣) وانظر: אנציק' עבר' ,ערך אליהו .

٢) راجع (متى ١٦ : ١٤) .

٣) بالنسبه للرأى القائل بأن الأطفال الصغار يموتون بذنوب آبائهم ، نجد اختلافاً فى الرأى فى تلك المسألة ، فمن أى جيل فصاعدا يكون للأطفال نصيب فى العالم الآخر (الجنة) . البعض يقول إن الأطفال الذين رأوا نور العالم للحظة واحدة فقط ثم ماتوا هم الذين سيكون لهم نصيب فى الجنة . والبعض الآخر يقول: هم فقط هؤلاء الذين ماتوا بعد تمكنهم من الكلام (أى الذين يجيبون آمين وباركتهم السماء) . وهناك من يقول ان الأطفال من لحظة اختتانهم يحظون بالجنة ولذلك هناك من يؤكد على اختتان الأطفال الذين ماتوا قبل أن يختتنوا وذلك حتى يكون لهم نصيب فى الجنة . انظر : ירושלמי .שביעית פ"ד מה,ג ؛ ברכות פ"ט,יג .ב ؛.

وفى نهاية الأمر يأمره الرب بقتل " سمائيل סמאל "[1] فيقهره إلياهو ويقتله ، وبذلك تنمحى مملكة الشر من على الأرض [2].

بعد استعراضنا لفكرة المسيح المنتظر ودور إلياهو فى التبشير به كما تراها المفاهيم اليهودية والفكر اليهودى عبر الأجيال يمكننا القول بأن التطلع إلى المسيح المنتظر ليس فى جوهره سوى التوكل العبرى الدائم على ميثاق الله . فالميثاق الذى عقده الله مع إبراهيم يتكرر ويتجدد طوال العصور ، وهو فى مرحلته الأخيرة هذه يعد الإسرائيليين - جزاء صبرهم ووفائهم وقت المحنه التى جرتها عليهم عودتهم إلى الآثام - بقدوم زمن سعيد، يزول فيه كل خوف ويسود العالم الأمن والحب . وقد استمر هذا الأمل طوال هذه المرحلة الأخيرة من التفكير الدينى اليهودى ، وصار نقطة البداية للوحى المسيحى[3]، وقد ازداد التعلق بهذا الأمل مع الحوادث الجسام التى كان يتعرض لها اليهود خاصة إبان السبى البابلى ،

---

١) סַמָּאֵל : لقب مألوف فى التلمود والمدراشيم وكذلك فى الأدب القبالى للشيطان ولملاك الموت . : המלון העברי המרובז, עמ' 494.

٢) قارن فقرة التلمود : "אשרי מי שפגעבו - בְּאֵלִיָּהוּ - ומי שישב עמו, שמובטח לו שהוא בן עולם הבא." - طوبى لمن التقى به - بإلياهو- ومن جلس معه فقد تأكد له أنه من أهل الجنة " (מסכת כלה סוף פרק ה) . هذا القول ، يبدو فى الحقيقة تفسير لابن سيرا (٤٨ ، ١١) الذى كان موجوداً قبل تاليف " מסכת כלה " ، حيث يقول : " ראך ומת .כי חיה יחיה " رأك ومات ، فانه حياً يحيي " ووفقاً للتفاسير فإن " חיה יחיה " " حيا يحيي " تعنى -"חי נצחים حياة الأبدية " . أو كتفسير الحاخامات " חיה حياً :تمثل الحياة فى هذا العالم ،و " יחיה يحيى " فى العالم الآخر . قارن (تفسير الملوك الثانى ٢٠ : ١ فى ברכות ١٠ : ١) والأغنية القديمة "אליהו הנביא" فى ترانيم ليلة السبت تنتهى بالبيت : אשרי מי שראה פניו בחלום אשר"מי שנתן לו שלום והחזיר לו שלום".
طوبى لمن رأى وجهه فى الحلم ، طوبى لمن أعطى له السلام ورد عليه السلام " وواضح ان كلمات الشاعر الدينى أساسها فى "מסכת כלה " أو مصدر قريب منه .

٣) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة . ص ١٥٢ - ١٥٣ .

وماكان قد سبقه من فساد ملوك إسرائيل ويهوذا ، فاصبح حلم الأنبياء والمصلحين والكثرة الكثيرة من اليهود أن يأتى ملك فذ من نوعه ، مخلص ، معه القوة والبركة ، معجز يعيد الأمجاد السالفة ، فيكون هو الملك بحق ، وهو " المسيح"(١).

ونرى هذه الفكرة واضحة فى قول النبى أشعيا : "כִּי־יֶלֶד יֻלַּד־לָנוּ בֵּן נִתַּן־לָנוּ וַתְּהִי הַמִּשְׂרָה עַל־שִׁכְמוֹ וַיִּקְרָא שְׁמוֹ פֶּלֶא יוֹעֵץ אֵל גִּבּוֹר אֲבִי־עַד שַׂר־שָׁלוֹם. לְמַרְבֵּה הַמִּשְׂרָה וּלְשָׁלוֹם אֵין־קֵץ עַל־כִּסֵּא דָוִד וְעַל־מַמְלַכְתּוֹ לְהָכִין אֹתָהּ וּלְסַעֲדָהּ בְּמִשְׁפָּט וּבִצְדָקָה מֵעַתָּה וְעַד־עוֹלָם קִנְאַת יְהוָה צְבָאוֹת תַּעֲשֶׂה־זֹּאת"(٢).

- لأنه يولد لنا ولد ، وتعطى ابناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا ، مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً . أميراً للسلام . لنمو الرياسة ، ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ، ليقويها ، ويوطدها بالعدل والانصاف من الآن إلى الأبد . إن غيرة رب الجنود ستصنع هذا."

أما اعتقاد اليهود بمجيء إلياهو النبى فى آخر الزمان ليبشر بمقدم المسيح بن داود فهو يرجع إلى ماجاء فى فقرة سفر ملاخى (٤ : ٥) التى تؤكد

---

١) ومع تبرير اليهود هذا . هناك من يسأل لماذا لم يؤمن اليهود " بالمسيح عيسى بن مريم " عند قيامه بدعوته فيما بينهم ، والإجابة عند اليهود هى تعليلهم بأن " سيدنا عيسى عليه السلام " لاتتحقق فيه الشروط التى وردت عند الأنبياء السابقين بشأن المسيح المنتظر وزمانه . فإن النبى إلياهو لم ينزل مرهصاً له ، ولم يعد من السماء قبل مجيئه معلناً عن بعثته . ثم إنهم يقولون إن النبى أشعيا فى سفره (الإصحاح الحادى عشر) يصف هذا المسيح المنتظر بأوصاف لم تتوافر فى عيسى وزمنه ،ولم يتحقق شيء واحد منها على عهد عيسى . وهم لم يكتفوا بذلك بل حرفوا اسمه من " يسوع " التى تنطق بالعبرية " יֵשׁוּעַ " ومعناها المخلص ،فسموه " ישו " - يشو " وهو تحريف خبيث بنوه على حساب عددى لحروف هذه الكلمة ،إذ هى بحساب الجمل تساوى (ثلثمائة وستة عشر) وقد جعلوها رمزاً لعبارة سرية فيما بينهم تساوى فى هذا الحساب نفس القيمة ، وهى العبارة الآرامية " نبلا بريكا " التى معناها " الرمة المقدسة " ينعتون بها السيد المسيح عليه السلام .

انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى . ص ١٢٩ ، ١٣٠

٢) أشعيا ٩ : ٥ - ٧

ماجاء فى سفر الملوك الثانى (٢ : ١ - ١٨) بشأن صعود إلياهو إلى السماء هذا بالإضافة إلى نبوءاته الصادقة ومعجزاته الخارقة ، فقد رأى فيه اليهود : المنقذ الذى أنقذهم من خطر الذوبان بين الأوثان ، فاصبح عندهم أكبر المحبوبين وبلغ عندهم مرتبة لاتضاهيها إلا مرتبة موسى عليه السلام ، فهم يقولون عنه : " منذ أيام إلياهو اكتملت فضائل الأنبياء "(١) وأنه " دخل جنة عدن وهو حى "(٢) وبذلك تبلور لدى اليهود الاعتقاد بحتمية عودة هذا النبى فى آخر الزمان ليبشر بمقدم المسيح المنتظر الذى سيخلصهم من أعدائهم وشتاتهم(٣).

إلياهو فى طقوس السبت :

السبت " שַׁבָּת " لفظ عبرانى معناه الراحة أو الكف عن العمل ، وقد بدأ التفكير فى يوم السبت على أنه اليوم الذى يترك فيه الإنسان أشغاله المادية حتى يستريح ..... ، وذلك تذكاراً لليوم السابع من الخليقة ، لأنه ورد فى سفر التكوين أن الله استراح فيه بعد أن خلق العالم فى ستة أيام: إذ جاء فيه "וַיְכַל אֱלֹהִים בַּיּוֹם הַשְּׁבִיעִי מְלַאכְתּוֹ אֲשֶׁר עָשָׂה וַיִּשְׁבֹּת בַּיּוֹם הַשְּׁבִיעִי - وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ،فاستراح فى اليوم السابع "(٤) ثم تطور التفكير عن يوم السبت حين أمر الله فى الوصية الرابعة من الوصايا العشر بحفظ السبت لأن :" בָּרַךְ יְהוָה אֶת יוֹם הַשַּׁבָּת וַיְקַדְּשֵׁהוּ - الرب بارك يوم السبت وقدسه "(٥) وقد أكد الرب قدسية هذا اليوم فى مواضع متعددة من العهد القديم ، والامتناع فيه عن أى عمل من أعمال الحياة اليومية وتخصيصه لعبادة الرب وتقديم الذبائح والقرابين إليه ، لأنه مظهر من مظاهر الشكر والولاء لله الخالق ، كما أنه تذكار لعتق اليهود من

---

١) שבת נה . א .
٢) דרך ארץ זוטא . א׳.
٣) أ.ن. بولاك . إسرائيل أمه وتاريخها . ص ٢٦
٤) التكوين ٢ : ٢
٥) الخروج ٢٠ : ١١

عبودية المصريين ، إذ جاء فى سفر التثنية "שָׁמוֹר אֶת־יוֹם הַשַּׁבָּת לְקַדְּשׁוֹ כַּאֲשֶׁר צִוְּךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ. שֵׁשֶׁת יָמִים תַּעֲבֹד וְעָשִׂיתָ כָּל־מְלַאכְתֶּךָ. וְיוֹם הַשְּׁבִיעִי שַׁבָּת לַיהוָה אֱלֹהֶיךָ לֹא תַעֲשֶׂה כָל־מְלָאכָה אַתָּה וּבִנְךָ־וּבִתֶּךָ וְעַבְדְּךָ־וַאֲמָתֶךָ וְשׁוֹרְךָ וַחֲמֹרְךָ וְכָל־בְּהֶמְתֶּךָ וְגֵרְךָ אֲשֶׁר בִּשְׁעָרֶיךָ לְמַעַן יָנוּחַ עַבְדְּךָ וַאֲמָתְךָ כָּמוֹךָ. וְזָכַרְתָּ כִּי עֶבֶד הָיִיתָ בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם וַיֹּצִאֲךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ מִשָּׁם בְּיָד חֲזָקָה וּבִזְרֹעַ נְטוּיָה עַל־כֵּן צִוְּךָ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לַעֲשׂוֹת אֶת־יוֹם הַשַּׁבָּת"(١).

" احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك . ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك . وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لاتعمل فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمَتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمَتك مثلك . واذكر أنك كنت عبداً فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت " .

ومن هذا نرى أن يوم السبت كان يوماً واضح المعالم مرعياً فى إسرائيل من الجانب الدينى،للعبادة ، ومن الجانب الاجتماعى،لإراحة المشتغلين والعبيد. ومما يدل على مدى تقديس السبت وأهمية الوصية بعدم القيام فيه بأى عمل ، أن الذى يخالف هذه الوصية تقضى عليه الشريعة بالموت طبقاً لما ورد سفر الخروج "וּשְׁמַרְתֶּם אֶת־הַשַּׁבָּת כִּי קֹדֶשׁ הוּא לָכֶם מְחַלְלֶיהָ מוֹת יוּמָת"(٢) - فتحفظون السبت لانه مقدس لكم . من دنسه يقتل قتلاً " .

---

١) التثنية ٥ : ١٢ - ١٥

٢) الخروج ٣١ : ١٤

راجع أيضاً : - د . ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود . ص ٧٦ .

وقد حاول " موسى بن ميمون " تفسير يوم السبت والاستراحة أو نسبة انقضاء العمل إلى الله كما جاء فى فقرة سفر التكوين : " וַיִּשְׁבֹּת בַּיּוֹם הַשְּׁבִיעִי "(١) واستراح فى اليوم السابع " بأنه يعنى الكف عن الكلام ، لأن الكف عن الكلام يسمى أيضاً استراحة ، كما قيل : וַיִּשְׁבְּתוּ שִׁלְשֶׁת הָאֲנָשִׁים הָאֵלֶּה מֵעֲנוֹת אֶת־אִיּוֹב "(٢) - فأمسك هؤلاء الرجال الثلاثة عن محاورة أيوب " . وكذلك الكف عن الكلام جاء فيه " لفظ السكوت - לְשׁוֹן נִיחָה " وهو قوله : "וַיְדַבְּרוּ אֶל־נָבָל כְּכָל־הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה בְּשֵׁם דָּוִד וַיָּנֻחוּ"(٣) - وكلموا نابال بكل هذا الكلام باسم داود ثم سكتوا " . واللفظة هنا تعنى وكفوا عن الكلام حتى يسمعوا الجواب ، " لأنه لم يتقدم لهم ذكر تعب بوجه ، حتى لوكانوا تعبوا ، لكان قوله : " ثم سكتوا " ، غريباً جداً فى الحكاية وإنما وصف أنهم سردوا جملة هذا القول الذى فيه من التلطف مافيه وسكتوا أى لم يزيدوا على هذا القول معنى آخر ، ولايوجب فعلاً أن يكون جوابه ماقاله لهم ، لأن قصد تلك الحكاية وصف لومه أنه كان غاية فى اللوم . وبحسب هذا المعنى أيضاً قيل : " واستراح فى اليوم السابع ".(٤)

والحقيقة أن نظام السبت فى إسرائيل ربما يرجع إلى أصل " نجومى " من ناحية وإلى أصل أجنبى من ناحية أخرى . ويبدو أن الإسرائيليين قد أدخلوا عليه تغيرات عميقة بعد أن هضمت ديانتهم هذا النظام واستوعبته جيدا . ومن الممكن أن يقال أيضاً أن الممارسات الطقوسية والأنظمة الدينية لدى الإسرائيليين بعد استيطانهم فلسطين ، كانت فى الغالب من تراث السامية البدائية أو مستعارة من

---

١) التكوين ٢ : ٢
٢) أيوب ٣٢ : ١
٣) صموئيل الأول ٢٥ : ٩
٤) موسى بن ميمون : دلالة الحائرين . تحقيق حسين أتاى . ص ١٦٩ - ١٧٠

الكنعانيين ، ويبدو أن كلمة " سبت שַׁבָּת " قد جاءت من البابلية " Shabattu أو Shapattu ، التى تدل على مهرجان القمر الكامل (وهو اليوم الذى يتوقف فيه الكوكب السيار) حيث كان البابليون يحفظون اليوم السابع والرابع عشر والحادى والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر ، مهما كان اسم اليوم ،وكانت شرائعهم تقول : " إن الملك لايأكل اللحم المطبوخ على الفحم فى هذه الأيام ، ولايغير ثياب جسده ، ولايلبس ثياباً نظيفة ، ولايقدم ذبيحتة ، ولايركب فى عربة ، ولايتكلم فى قضية ، ولايجوز للرائى فى هذه الأيام أن يقدم للناس مايرى ، ولايجوز للطبيب أن يضع يده على جسد إنسان . وعند المساء يأتى الملك بتقدماته للآلهة . ويدعو هذا الأمر إلى احتمال أن المعنى الأصلى للكلمة فى العبرية كان هو نفس المعنى فى البابلية ، وبدخول إسرائيل أرض كنعان اتخذ الإسرائيليون اللفظ للدلالة على المهرجان الذى لاشك أنهم قد احتفلوا به منذ الأيام البدوية لتكريم نور القمر(١).

والحقيقة أن اليهود بدأوا يراعون وصية تقديس السبت من عهد موسى ، فقد كانوا يجمعون فى اليوم السابق على السبت المن اللازم لذلك اليوم وليوم السبت أيضاً ، لأنه لم يكن جائزاً جمعه فى يوم سبت ولأن الرب لن يسقط المن يوم السبت ، إذ جاء فى سفر الخروج "וַיְהִי בַּיּוֹם הַשִּׁשִּׁי לָקְטוּ לֶחֶם מִשְׁנֶה שְׁנֵי הָעֹמֶר לָאֶחָד וַיָּבֹאוּ כָּל־נְשִׂיאֵי הָעֵדָה וַיַּגִּידוּ לְמֹשֶׁה וַיֹּאמֶר אֲלֵהֶם ה־ וּא אֲשֶׁר דִּבֶּר יְהוָה שַׁבָּתוֹן שַׁבַּת־קֹדֶשׁ לַיהוָה מָחָר אֶת אֲשֶׁר תֹּאפוּ אֵפוּ וְאֶת אֲשֶׁר־תְּבַשְּׁלוּ בַּשֵּׁלוּ וְאֵת כָּל־הָעֹדֵף הַנִּיחוּ לָכֶם לְמִשְׁמֶרֶת עַד־הַבֹּקֶר. וַיַּנִּיחוּ אוֹתוֹ עַד־הַבֹּקֶר כַּאֲשֶׁר צִוָּה מֹשֶׁה וְלֹא הִבְאִישׁ וְרִמָּה לֹא הָיְתָה בּוֹ. וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אִכְלֻהוּ הַיּוֹם כִּי־שַׁבָּת לַיהוָה..לֹא תִמְצָאֻהוּ בַּשָּׂדֶה»(٢)- ثم كان فى اليوم السادس أنهم التقطوا خبزاً مضاعفاً عمرين للواحد . فجاء كل رؤساء الجماعة وأخبروا موسى . فقال لهم

---

١) לפסיקון מקראי ,שבת .
- قاموس الكتاب المقدس . ص ٤٥٤

٢) الخروج ١٦ : ٢٢ - ٢٥

هذا ماقال الرب . غداً عطلة سبت مقدس للرب . اخبزوا ماتخبزون واطبخوا ماتطبخون وكل مافضل ضعوه عندكم ليحفظ إلى الغد . فوضعوه إلى الغد كما أمر موسى . فلم ينتن ولاصار فيه دود . فقال موسى : كلوه اليوم لأن للرب اليوم سبتاً . اليوم لاتجدونه فى الحقل " (١)

وإذا كان اليهود يقومون بالأعمال التى تلزم يوم السبت كاعداد الطعام وغير ذلك فى اليوم السابق عليه استعدادا للامتناع عن العمل فيه ، فقد كانوا يسمونه يوم الاستعداد (٢). وقد تطرف اليهود فى تطبيق وصية حفظ السبت تطبيقاً حرفيا متزمتاً ، إذ اعتبروها أهم الوصايا العشر ، قائلين إن الله حفظها فى السماء قبل أن يخلق العالم ، وإن الله ما اختار اليهود شعباً له إلا ليحفظوا السبت ، فيبدأون الاحتفال بهذا اليوم من غروب شمس يوم الجمعة وينتهون منه بغروب يوم السبت . ومظاهر الاحتفال به الكف عن كل عمل ، ويحرم فقهاؤهم اشعال النار ، لذا فإن اليهود يوقدون الأنوار من المواقد وما إلى ذلك من قبل دخول السبت أى قبل مغرب الجمعة . ويحرم يوم السبت كل مايؤدى إلى عمل مثل الكتابة إذ أنها يمكن أن تكون لابرام عقود واتفاقيات بيع وشراء وهذا يدخل فى مفهوم العمل . وقد نتج عن تحريم العمل مشاكل كثيرة ، إذ يدخل فى نطاق العمل وإيقاد النار كثير من مقتضيات الحياة الحديثة كالمواصلات التى تعتمد فى تشغيلها على إيقاد النار . ويكون السبت عند اليهود يوم فرح وبهجة . ويحتفلون بدخوله بإيقاد الشموع وينشدون القدوش (٣) ، وفى أمسيات السبت عندما يشعرون بالقلق تجاه مستقبلهم فإنهم ينشدون الأناشيد الدينية التى تدور حول إلياهو النبى ، وبصورة خاصة نشيد " אִישׁ חָסִיד رجل حسيد " الذى هب إلياهو لمساعدته ، ويقولون إن الياهو لن يأتى لا فى أمسيات السبت ولا فى أمسيات الأيام الطيبة بسبب المشقة ، أى لأنهم مشغولون بالعمل والاستعدادات لاستقبال السبت (٤). وفى الشتات كانوا

---

١) الخروج (١٦ : ٢٢ - ٢٥)

٢) مرقس (١٥ : ٤٢) ؛ لوقا (٢٣ : ٥٤) ، يوحنا (٩ : ١٤)

٣) د. محمد بحر عبد المجيد . اليهودية . ص ١٣٢

٤) פסחים, יב. א أنظر ايضا : אנציקלופדיה תלמודית, עמ' 40 .

ينشدون فى أمسيات السبت فى حماس شديد واشتياق بالغ لرؤية إلياهو النبى ، نشيد : إلياهو النبى ، التشبى ، الجلعادى

سياتى إلينا سريعاً مع المسيح بن داود (١)

والحقيقة أن " الأناشيد الدينية זמירות " حول إلياهو النبى لها مغزى دينى جوهرى . حيث نجد أن لها جذوراً عميقة فى اليهودية وقد جاءت لتكون عوناً روحانياً للبيت والأسرة ، فالأناشيد الدينية هى البهجة الأساسية للسبت ، وبواسطتها فقط تفهم جيداً الحياة الروحيه للسبت . والأناشيد الدينية بوجه عام أصبحت واجباً وفريضة فى كل مأدبة عيد، حيث تثير الإحساس بالصلاة الحقيقية ومخافة السماء ، وتحمس القلوب وتملؤها بالمشاعر الدينية الفياضة ، وقد آمن اليهود بأنه لايمكن وصف أى احتفال وبهجة بدون غناء وإنشاد أياً كان . وقد وجد الحاخام " צונץ صونص "إشارة لوجوب الانشاد فى الأعياد فى مدراش نشيد الإنشاد : "בְּשָׁעָה יִשְׂרָאֵל אוֹכְלִין וְשׁוֹתִין, הוּא מְהַלֵּל וּמְשַׁבֵּחַ אֶת הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא"

- عندما يأكل بنو إسرائيل ويشربون ، فإنهم يسبحون ويحمدون الرب " . إلا أن الأناشيد الدينية تحتل مكاناً بارزاً فى السبت أكثر من بقية الأعياد اليهودية ، فاليهود يقولون : " الإنشاد ليس إلا للسبت فقط " ، ولذلك انتشرت الأناشيد الدينية بين الإسرائيليين كأناشيد منزلية ، دخلت بسهولة ضمن ترتيبات السبت وأطلق عليها " זמירות " وأصبحت تنشد فى مآدب ليلة السبت ويوم السبت وفى المأدبة الثالثة ومأدبة " מלוה מלכה " (٢)

---

١) אנציקלופדיה של הווי ומסורת ביהדות. ברך ראשון אוצר ידיעות על ערכי-יסוד, הליכות חיים מאת ד"ר יום טוב לוינסקי, ישראל, דפוס איל, 1975, עמ' 23.

٢) סעודת מַלְוֶה מַלְכָּה لقب للمأدبة الرابعة فى السبت والتى تؤكل فى أمسية السبت بعد التفريق وتصاحبها أشعار وأناشيد دينية .
انظر :- המלון העברי המרופז, עמ' 379.
:-ד"ר י"ל ברוך, ספר השבת, הוצאת אגודת עונג שבת (הל שם), תל אביב ע"י דביר 1978, עמ' 296.

وجد الخيال الشعبى فى أناشيده عن إلياهو النبى تعبيراً عن أمله فى التطلع للحرية والخلاص .

إلياهو فى أناشيد السبت : (١) בְּמוֹצָאֵי יוֹם מְנוּחָה فى أمسيات يوم الراحة

نشيد بقلم يعقوب من أريحا ، حسب ماتظهره بدايات الأبيات .

בְּמוֹצָאֵי יוֹם מְנוּחָה
הַמְצַיֵּא לְעַמְּךָ רְוָחָה,
שְׁלַח תְּשׁבִי לְנֶאֱנָחָה
וְנָסוֹ יָגוֹן וַאֲנָחָה.
יָחֵתָה לְךָ, צוּרִי,
לְקַבֵּץ עַם מְפֻזָּרִי
מִיַּד גּוֹי אַכְזָרִי,
אֲשֶׁר כָּרָה לוֹ שׁוּחָה.
עֵת דּוֹדִים תְּעוֹרֵר אֵל
לְמַלֵּט עַם, אֲשֶׁר שׁוֹאֵל
רְאוֹת טוּבְךָ בְּבוֹא גּוֹאֵל
לְשֵׁה פְּזוּרָה נְדָחָה.
קְרָא יֵשַׁע לְעַם נְדָבָה,
אֵל דָּגוּל מֵרְבָבָה,
יְהִי הַשָּׁבוּעַ הַבָּא
לִישׁוּעָה וּלרְוָחָה.
בַּת צִיּוֹן הַשְּׁכוּלָה,
אֲשֶׁר הִיא הַיּוֹם גְּעוּלָה,
מֵהֵרָה תִּהְיֶה בְּעוּלָה
כְּאֵם הַבָּנִים שְׂמֵחָה.

מַעְיָנוֹת אֲזַי יְזוּבוּן
וּפְדוּיֵי יְיָ יְשׁוּבוּן
וּמִי יֶשַׁע יִשְׁאֲבוּן
וְהַצָּרָה נִשְׁכָּחָה.

נָחֵה עַמְּךָ כְּאָב רַחֲמָן,
יְצַפְּצְפוּ עַם לֹא־אַלְמָן,
דְּבַר יְיָ אֲשֶׁר נֶאֱמָן
בַּהֲקִימְךָ הַבְּטָחָה.

וִידִידִים פְּלִיטֵי חֶרֶב
נְגִינָתָם יִפְצְחוּ בְּמֶרֶב
בְּלִי צָוָחָה וּבְלִי פֶּרֶץ
אֵין יוֹצֵאת וְאֵין צָוָחָה.

יְהִי הַחֹדֶשׁ הַזֶּה
כְּנִבּוּאַת אֲבִי חוֹזֶה,
וְיִשָּׁמַע בְּבַיִת זֶה
קוֹל שָׂשׂוֹן וְקוֹל שִׂמְחָה.

תָּזָק יְמַלֵּא מִשְׁאֲלוֹתֵינוּ,
אָמֵיץ יַעֲשֶׂה בַקָּשָׁתֵנוּ
וְהוּא יִשְׁלַח בְּמַעֲשֵׂה יָדֵנוּ
בְּרָכָה וְהַצְלָחָה.

בְּמוֹצָאֵי יוֹם גִּילָה
שִׁמְךָ נוֹרָא עֲלֵילָה
שְׁלַח תִּשְׁבִּי לְעַם סְגֻלָּה
רֶוַח שָׂשׂוֹן וְהַנָּחָה.

קוֹל צָהֳלָה וְרִנָּה
שְׁפָתֵינוּ אָז תְּרַנֵּנָה.
אָנָּא יְיָ, הוֹשִׁיעָה נָא,
אָנָּא יְיָ הַצְלִיחָה נָא.[1]

---

1) ספר השבת, עמ' 289–290.

فى أمسيات يوم الراحة
اجلب لشعبك الرخاء
لترسل التشبغ لينـدب
ليتعودا الحزن والنواح

من الملائم لك يامنقذى
أن تجمع الشعب المشتت
من يد غريب متوحش
عمل على الايقاع به (حفر له حفرة) .

سن الزواج (سن الرشد) سيشير الرب
لينقذ الشعب ، الذى يسأل
رؤية خيرك بمجىء المخلص
لحمل مشتت ضال .

أدعو الخلاص لشعب الإحسان
إله أعظم من عشرة آلاف
ليكن الأسبوع القادم
خلاص ورخاء

ابنة صهيون الثكلى
التى هى اليوم قذرة
ستكون بسرعة امرأة زوجة
دائماً سعيدة بابنائها

إذاً فلتدفق الأفكار
وليعود فداء الرب
وتستقى مياه الخلاص
ولينسى البلاء

أرح شـــــعبك كأب رحـــــيم
لتحشـد شعبـا ليـــس أرمـــلا
لنـؤمـــن بكلمـــــة الـــرب
بتنفيـــــذ وعـــــدك

أصدقاء هاربون من الفنـــاء
سـيبدأ غنائهـم فـى نشـــاط
بـــلا صراخ وبـــلاعنـــف
لا يوجد نشـاز ولايوجـد صـــراخ

ليكـــن هـــذا الشـــهر
كنبـــوّة ابـــى الـــرائى
صوت السعادة وصوت الفـــرح

قـــوى يحـــل قضـــايانا
شـــجاع يلبـــى طلبـــاتنا
فيرســـل بعمـــل أيدينـــا
بركـــة ونجاحـــا

فـــى أمســـيات يـــوم المنفـــى
(بحق) ملحمـــة اسمك الرهيب
لترسـل التشبى للشعب المختار
(لاجل) الرفاهية والسعادة والراحة

صـوت الابتهـال والغنـــاء من فضـلك يارب انقـذنا
ستتغنى به عندئذ شفاهنـا من فضـلك يارب وفقنـــا.

ومن أشعار " عنان بن مرينوس الكاهن עָנָן בַּר מָרִינוֹס הַכֹּהֵן [1] هذا النشيد:

זֶמֶר לְמוֹצָאֵי שַׁבָּת

אֵלְיָהוּ הַנָּבִיא, עַד־מָתַי אַתָּה תְאַחֵר ?
וּבֶן־יַקִּיר עֵינָיו תְּלוּיוֹת וּלְבִיאָתְךָ הוּא מְשַׁחֵר.
בּוֹא בְמְהֵרָה, בּוֹא בְמְהֵרָה בִּמְהֵרָה וְאַל תְּאַחֵר,
בּוֹא יָבוֹא, בּוֹא יָבוֹא, בּוֹא יָבוֹא, לֹא יְאַחֵר !

עֵת לַחֲשׁוֹת וְעֵת לְדַבֵּר, וְעַד־מָתַי אַתָּה תַחֲרִישׁ ?
וְהָאֱלֹף כְּבָר עָבְרוּ וְעַצְמְךָ תַּעֲשֶׂה כְּמַחֲרִישׁ
וְהַנָּחָשׁ הוּא נוֹשֵׁךְ וּכְצַפְעוֹנִי יַפְרִישׁ.

בְּבֶן־חַיִל אֵזוֹר חֲלָצִיו וְתֵלֵךְ אֶל־בֶּן־יִשַׁי
וְסַפֵּר־לוֹ מִלּוֹקִים וְקוֹבְלִים לָאֵל בַּחֲשָׁאי
אוּלַי יְמַהֵר בִּיאָתוֹ וְיַצִּילִי מִיַּד נוֹשְׁי.

קוֹוִיךָ בְךָ שֹׁעֲנִים וּבְפִיהֶם סְדוּרָה מִלָּה :
"לָמָּה הוּא מִתְרַשֵּׁל מִלְּזַעֵק בַּתְּפִלָּה ?
אֶפֶשׁ עַל־פְּגִיעָתוֹ הָיְתָה מַגַּעַת גְּאֻלָּה".

בּוֹא בְמְהֵרָה, בּוֹא בְמְהֵרָה בִּמְהֵרָה וְאַל תְּאַחֵר,
בּוֹא יָבוֹא, בּוֹא יָבוֹא, בּוֹא יָבוֹא, לֹא יְאַחֵר ! [2]

---

1) عنان بن مرينوس ، من سفنتو بجنوب إيطاليا ، وعاش في النصف الثاني من القرن الـ ١١ .

2) ספר השבת, עמ' 312.

نشيد لأمسيات السبت

الياهو النبى ، حتى متى تتأخـــــر ؟
فهناك ابن عزيز عيناه معلقتان لاستقبال مجيئك
تعال بسرعه ، تعال بسرعه بسرعة ولاتتأخـــــــر
تعال ادخل ، تعال . ادخل ، تعال ادخل. لاتتأخر!

وقت للصمت ، ووقت للكلام . فحتى متى تصم أذنيك؟
لقد مرت الألف ، وأنت تظل كالأصم
والثعبان يلدغ والأفعى تفـــــرز

كابن شجاع استجمع قوتك وتسلح واذهب إلى ابن المسيح
وقص عليه قطع الرؤوس ، والشكوى للرب فى ســـــــرية .
ربما يسرع فى المجىء وينقذنى من يد دائنينـــــــــا

يترقبون المساعدة ، وعلى لسانهم كلمة مســـطورة :
" لماذا يتهاون من الزعق بالصـــلاة ؟
يحتمل عند تضرعه يكون وصول الخلاص "

تعال بسرعة ، تعال بسرعة، بسرعة ولاتتأخـــــــــــر
تعال . ادخل ، تعال . ادخل ، تعال ادخل ، لاتتأخـر!

ومن الأناشيد الشعبية التى كان لها شهرة واسعة بين الطوائف اليهودية فى الشتات ، والتى كانوا ينشدونها فى أمسيات السبت من أجل دعوة الياهو النبى بسرعة المجىء، نشيد الياهو النبى ، الياهو التشبى .

אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא, אֵלִיָּהוּ הַתִּשְׁבִּי

אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא
אֵלִיָּהוּ הַתִּשְׁבִּי,
אֵלִיָּהוּ הַגִּלְעָדִי
בִּמְהֵרָה יָבוֹא אֵלֵינוּ
עִם מָשִׁיחַ בֶּן דָּוִד.

אִישׁ אֲשֶׁר קִנֵּא לְשֵׁם הָאֵל,
אִישׁ בְּשֹׂר שָׁלוֹם עַל יַד יְקוּתִיאֵל,
אִישׁ גַּשׁ וַיְכַפֵּר עַל בְּנֵי יִשְׂרָאֵל.
אליהו...

אִישׁ דּוֹרוֹת שְׁנֵים עָשָׂר רָאוּ עֵינָיו,
אִישׁ הַנִּקְרָא בַּעַל שֵׂעָר בְּסִמָּנָיו,
אִישׁ וְאֵזוֹר עוֹר אָזוּר בְּמָתְנָיו..
אליהו...

אִישׁ זָעַף עַל עוֹבְדֵי חַמָּנִים,
אִישׁ חָשׁ וְנִשְׁבַּע מִהְיוֹת גִּשְׁמֵי מְעוֹנִים
אִישׁ טַל וּמָטָר עָצַר שָׁלֹשׁ שָׁנִים.
אליהו...

אִישׁ יָצָא לִמְצֹא לְנַפְשׁוֹ נַחַת,
אִישׁ כִּלְכְּלוּהוּ הָעוֹרְבִים וְלֹא מֵת לַשַּׁחַת,
אִישׁ לְמַעֲנוֹ נִתְבָּרְכוּ יַד וְצַפַּחַת.
אליהו...

אִישׁ מוֹסָרָיו הִקְשִׁיבוּ כְּמֵהִים,
אִישׁ נֶעֱנָה בָּאֵשׁ מִשְׁמֵי גְּבוֹהִים.
אִישׁ סָחוּ אַחֲרָיו: יְיָ הוּא הָאֱלֹהִים.
אליהו...

אִישׁ עָתִיד לְהִשְׁתַּלֵּחַ מִשְׁמֵי עֲרָבוֹת,
אִישׁ פָּקִיד עַל כָּל בְּשׂוֹרוֹת טוֹבוֹת,
אִישׁ צִיר נֶאֱמָן לְהָשִׁיב לֵב בָּנִים עַל אבוֹת.
אליהו...

אִישׁ קָרָא: קַנֵּא קִנֵּאתִי לַיְיָ בְּחַפָּאָרָה,
אִישׁ רָכַב עַל סוּסֵי אֵשׁ בְּסַעֲרָה,
אִישׁ שֶׁלֹּא טָעַם טַעַם מִיתָה וּקְבוּרָה.
אליהו...

אִישׁ תִּשְׁבִּי תַּצִּילֵנוּ מִפִּי אֲרָיוֹת,
תְּבַשְּׂרֵנוּ בְּשׂוֹרוֹת טוֹבוֹת,
תְּשַׂמְּחֵנוּ בָּנִים עַל אָבוֹת
בְּמוֹצָאֵי שַׁבָּתוֹת.
אליהו...

אִישׁ תִּשְׁבִּי עַל שְׁמוֹ נִקְרָא,
תַּצְלִיחֵנוּ עַל יָדוֹ בַּתּוֹרָה,
תַּשְׁמִיעֵנוּ מִפִּיו בְּשׂוֹרָה טוֹבָה בִּמְהֵרָה,
תּוֹצִיאֵנוּ מֵאֲפֵלָה לְאוֹרָה.
אליהו...

אַשְׁרֵי מִי שֶׁרָאָה פָּנָיו בַּחֲלוֹם,
אַשְׁרֵי מִי שֶׁנָּתַן לוֹ שָׁלוֹם
וְהֶחֱזִיר לוֹ שָׁלוֹם:
יְיָ יְבָרֵךְ אֶת עַמּוֹ בַּשָּׁלוֹם
אליהו...

إلياهو النبى

إلياهو التشبى

إلياهو الجلعادى

لتأت بسرعة مع المسيح بن داود

الرجل الذى غار من أجل الرب

الرجل الذى بشر بالسلام على يد يقوتئيل

الرجل الذى سيجىء ليكفر عن بنى إسرائيل

إلياهو

الرجل الذى غضب على عبدة الشمس

الرجل الذى أسرع وأقسم بمأوى الأمطار

الرجل الذى منع الطل والمطر ثلاث سنوات

إلياهو

الرجل الذى خرج لينشد لنفسه الراحة

الرجل الذى أعالته الغربان . ولم يدفن ميتاً

الرجل الذى من أجله بورك الكوز والكوار .

إلياهو

الرجل الذى أنصتوا لتوبيخاته وهم راغبون

الرجل الذى استجيب له بالنار من السماء العالية

الرجل الذى رددوا وراءه : الرب هو الله

إلياهو

الرجل الذى سيرسل من السماء فى المستقبل

الرجل المسئول عن كل البشارات الطيبـــــة

الرجل المفوض الصادق ليرد قلب الأبناء على الآباء

إلياهو

الرجل الذى قال : غرت غيرة للرب فى فخر

الرجل الذى ركب فوق خيول نارية فى العاصفة

الرجل الذى لم يذق طعم الموت و الدفن

إلياهو

ياتشبى لتنقذنا من فم الأسود

ولتبشرنا بالبشارات الطيبة

ولتشيع سرور الأبناء على الآباء

فى أمسيات السبت

إلياهو

رجلاً تشبى ولذلك كان لقبه .

لتوفقنا على يديه بالتوراة

ولتسمعنا من فمه بشرى طيبة سريعة

لتخرجنا من الظلمات إلى النور

إلياهو

طوبى لمن رأى وجهه فى الحلم

طوبى لمن أعطى له السلام

ورد له السلام !

الرب يبارك شعبه بسلام

إلياهو

البَابُ الثَالث

إلياهو النبى فى الفولكلور اليهودى

١ - تمهيـــد
٢ - الفصل الأول : إلياهو فى الفولكلور اليهودى
٣ - الفصل الثانى : إلياهو النبى - دراسة مقارنة

تمهيـــــــد :

أوجد الأدب التلمودى والمدراشى الذى دار حول إلياهو فى أذهان يهـــــود العصور التالية مأثوراً شعبياً اختلفت صوره من عصر لآخر وإن كان قد احتفـــــظ بالمضمون الأساسى الذى دار حول هذه الشخصية مستمداً من قصص العهد القديم حوله . وتعلق مفكرو اليهود بهذه الشخصية واستغلوها استغلالاً واضحاً، سواء فى القصـــــص الشعبى أو الأغانى الشعبية ، وعبّر كل عصر عنها فى تراثه ولغته، وظهرت مظاهـــر ذلك فى أحياء اليهود نفسها وفى معابدهم وصلواتهم، وأبرزتها الموتيفات المختلفة لهذه الشخصية خلال ماوصلنا من قصص وأساطير تدور حول إلياهو وهبوطه من الســـماء واجتماعه بالأتقياء حول دراسة شريعة الرب .

وبالإضافة إلى ماوجد فى فكر اليهود فى عصور مختلفة حول شخصية إلياهـــــو ودورها التاريخى والدينى والاجتماعى ، فقد حظيت هذه الشخصية أيضاً بنصيب كبيـــر لدى كثير من مفكرى المسلمين الذين ربطوا بين إلياهو وإلياس عليه السلام فـــــى الفكر الإسلامى بناء على ظواهر بحثها هؤلاء المفكرين أهمها وجود شخصية كل مـــــن اليشع فى الفكر اليهودى واليسع فى الفكر الدينى الإسلامى طبقاً لما نجد تفصيـــلاً له فى هذا الباب .

الباب الثالث

الفصل الأول

إلياهو فى الفولكلور اليهودى

تلعب شخصية إلياهو النبى دوراً بارزاً ليس فقط فى الأحداث المروية عنه فى العهد القديم والأجادوت والتصوف اليهودى ، بل أيضاً فى الفولكلور اليهودى والأدب الشفاهى حيث يحتل مساحة زمنية كبيرة . والحقيقة أنه لم تظهر فى العهد القديم أو حتى من بين شخصيات الآباء ، كإبراهيم وموسى وداود، شخصية احتلت مكاناً بارزاً فى الأدب الشعبى مثل شخصية "إلياهو النبى " ، فهو يعتبر فقط صاحب الجلالة الروحية فى الأدب الأجادى والقبالى أو رمزاً للنضوج الروحى عند الحسيديم ، بل أيضاً يعتبره اليهود شخصية غالية وعزيزة عندهم[١]. وقبل الحديث عن حكايات إلياهو وأهم موتيفاتها فى الفولكلور اليهودى نستعرض أولاً بإيجاز مفاهيم الفولكلور بوجه عام ثم مفاهيم الفولكلور اليهودى بوجه خاص حيث تعتبر مدخلاً لدراسة شخصية إلياهو الفولكلورية .

مفاهيم الفولكلور والحياة الشعبية :

يمكننا القول بادئ ذى بدء أن هناك اليوم فى شتى دول العالم فرعاً من فروع المعرفة ذا حدود على درجات مختلفة من الوضوح ألا وهو اسم " فولكلور "[٢]. وقد ظهر الفولكلور كميدان جديد من ميادين الدراسة فى القرن الثامن عشر، عندما بدأ دارسو الآثار فى انجلترا والباحثون فى ألمانيا يبدون اهتماماً كبيراً بأساليب معيشة الطبقات الدنيا ، ففى ألمانيا بدأ الأخوان : ياكوب

---

١) A haron Wiener: The prophet Eliah in the Development of Judaism, P. 136

٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور . دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية . دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٨ م . ص ٣٣

وفيلهلم جريم [١] عام ١٨١٢ فى نشر مجموعة كتب كان لها تأثيرها الكبير عن القصص الشعبى الشفاهى ، وتفسيرات للميثولوجيا [٢] الجرمانية . وكان الاسم الذى استخدماه للدلالة على هذا الموضوع هو فولكسكنده [٣] وبعد ذلك وفى الثانى والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٤٦ أرسل الأثرى الإنجليزى " ويليام جون توم

---

١) الاخوان جريم : ياكوب جريم عاش من ١٧٨٥ حتى ١٨٦٣ ، وفيلهلم جريم عاش من ١٧٨٦ حتى ١٨٥٩ ، من علماء فقه اللغة الألمان ، أشتهرا بدراساتهما فى الميثولوجيا والقصص الشعب والقانون القديم واللغة الألمانية . انظر دراسة تحليلية لانتاجهما مع التركيز على دراساتهما للأدب الشعبى عند: محمد الجوهرى :" حكايات البيت والأطفال ، الأخوان جريم، ودراسة الأدب الشعبى " مقال فى : أحمد ابوزيد (مشرف على التحرير) : الفولكلور (الكتاب الأول من سلسلة خلاصة الفكر العالى ، القاهرة ، ١٩٧٢)

٢) يستخدم مصطلح " ميثولوجيا Mythology فى أربعة معان : (أ) فى الاستعمال المبكر للكلمة ، كانت تعنى " مجرد قص القصص " . (ب) ثم اكتسبت الكلمة معنى جديداً فى الكتابات الانثروبولوجية والفولكلورية وهو : الدراسة المنظمة المنهجية للأساطير الخارقة عند شعب من الشعوب ومن أمثال تلك الدراسات كتاب روث بندكت : " ميثولوجيا الزونى Ruth Benedict, Zuni Mythology " (جـ) وتظهر كلمة ميثولوجيا أحياناً لتعنى " الأسطورة الخارقة ذاتها " إذ أن الأسطورة الخارقة عند الجماعات البدائية تمثل علماً يتناول بالشرح والتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، على نحو يشبع حاجة البدائى إلى المعرفة " المنطقية " انظر تقييم مالينوفسكى Malinowski لاستخدام المصطلح فى هذا المعنى فى كتابه :

The Foundation of Faith and Morals, 1946.

(د) أما المعنى الأخير فيظهر بإيجاز فى كتاب " روبنسون H.S.Robinson وويلسون K.Wilson بعنوان

Myth and Legends of All Nations, P.x (folk)

إذ يقولان " ان المجموع الكلى للقصص التى أبدعها شعب معين هى ميثولوجية هذا الشعب (الأمة People)

٣) الفولكسكندة : Volkskunde هى الاثنولوجيا الأوربية الإقليمية (الألمانية أساساً) والفولكلور كما تدرس الثقافة الشعبية بصفة عامة . بينما تركز اتجاهات أخرى داخل هذا الفرع من فروع العلم على دراسة ==

W.John Thomas (١٨٠٣ - ١٨٨٥)[١]. خطاباً إلى مجلة " أثينيـــــــوم A thenaeum" - وهى مجلة تخاطب ذلك القطاع من المثقفين المهتم بالغرائب والطرائف .. يقترح فيه تبنى كلمة " - فولكلور - (Folk-lore وهى تعنى بالعربية أدب شعبى - وبالعبرية " דעת - עם ")- بحيث تستخدم منذ ذلك الوقت فصاعداً بدلاً من عبارة " الآثار الشعبية الدارجة- Popular Antiquities التى يصعب جريانها على الألسن بسهولة . وحدث بالفعل أن شاعت هذه الكلمة ، وأثبتت قيمتها فى تحديد ميدان جديد من ميادين المعرفة ، ومنذ ذلك الحين أيضاً أصبحت كلمة " فولكلور " تعنى عند علماء الأنثروبولوجيا كلاً من ميدان البحث العلمى ، وكذلك المادة التى يدرسها هذا الميدان (أى التراث الشعبى)[٢]
وقد شهدت السنوات الأخيرة منافسة مصطلح أخر - وهو " الحياة الشعبية "[٣] لمصطلح فولكلور لدرجة هددت سيطرته على هذا الميدان ، ويدعى مؤيدو مصطلح دراسات " الحياة الشعبية " أن الفولكلوريين يركزون اهتمامهم على جانب ضيق جداً من مادة الدراسة ، ألا وهو الأشكال الأدبية ، ويهملون المنتجات الملموسة التى تبدعها أيدى الحرفيين الشعبيين . ويؤكدون أن دراسة الحياة الشعبية تستوعب كافة مظاهر الثقافة التقليدية . بما فى ذلك التراث الشعبى الشفاهى . وعلى

=) الراق الأدنى Lower Stratum فى الامة (ويطابق بعض الباحثين بين هذا الراق الأدنى وتراثهم) ولايختلف عن هذا كثيرا الاختلاف الذى يعرف " الفولكسكنده " بأنها دراسة الحياة الشعبية .
قارن مادة فولكسكنده عند : ايكه هولتكرانس : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور . ترجمة الدكتورين محمد الجوهرى وحسن الشامى ، القاهرة . دار المعارف . الطبعة الأولى ١٩٧٢ . ص ٢٦٧ - ٢٧٥

١) وهناك بعض المصادر ترجع صياغة مصطلح " الفولكلور " الى العالم الانجليزى أمبروس ميرتون Ambrose Merton منذ اكثر من قرن مضى ، حينما ذهب الى أن " مانعرفه هنا فى انجلترا على أنه التراث الشعبى يمكن ان نعبر عنه بمصطلح ملائم هو " فولكلور Folklore"
انظر : د . محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع . ص ١٩٠

٢) سنقصر فى هذا البحث على استخدام مصطلح فولكلور للدلالة على الدراسة العلمية لميدان التراث الشعبى بينما سنستخدم المصطلح العربى " تراث شعبى " للدلالة على المواد الثقافيه ذاتها . وذلك منعا للالتباس .

٣) الحياة الشعبية - Folklife : هى حياة الشعب وأساليبه كموضوع للبحث العلمى . ولقد أصبحت دراسة الحياة الشعبية كجزء من علم الاثنولوجيا معترفا بها اليوم كأحد الأهداف الرئيسية فى البحث الوظيفى ... قارن قاموس الاثنولوجيا والفولكلور . ص ١٨٧

العكس من ذلك فان المدافعين عن مصطلح فولكلور يؤكدون أنه يشتمل أيضاً على الفنون والحرف التقليدية (١). وقد حدد علماء الأنثروبولجيا أربعة معايير يمكن على أساسها تعريف الفولكلور وهى :

- المعايير الثقافية .
- المعايير السوسيولوجية (الاجتماعية) .
- المعايير السيكوسوسيولوجية .
- المعايير الاثنولوجية .

وبالنسبه للمعيار الأول يمكننا القول إن هذا الاتجاه يحدد موضوع دراسة هذا العلم على أساس جانب أو أكثر من الثقافة ولذلك فهو يرتكز على معيار ثقافى . ويطابق هذا الإتجاه بصفه عامة معظم الاتجاهات الفرعية التى تندرج تحت اسم فولكلور فأصحاب مصطلح " فولكلور " يعنون به أساساً التراث الروحى للشعب وخاصة الشفاهى .

أما الفئة الثانية التى تستخدم المعيار السوسيولوجى لتحديد ميدان الدراسة ، فهى ترى أن تحديد ميدان الدراسة لايرتكز على عناصر ثقافية وإنما يتم من خلال الطبقات الاجتماعية لبعض المجتمعات الإنسانية ، ويفرق هذا الإتجاه أولاً بين الطبقات " الريفية " (إن جاز استخدام هذا التعريف) فى مقابل الطبقات التى تعرف " بالراقية " التى تستبعد ثقافتها من مجال الدراسة ، ثم هم ثانياً يفرقون بين المجتمعات " التاريخية " أو مايعرف " بالمستحضرة "، وتلك المجتمعات التى توصف بأنها " ميدانية " أو " غير متحضرة "(٢).

وأما الفئة الثالثة التى استخدمت المعيار السيكوسوسيولجى فيؤكد هذا الفريق العنصر السيكلوجى فى تعريف بعض الكلمات الأساسية مثل " عامة الشعب " و " الشعب " . فلم يعد مفهوم الشعب طبقاً لهذا المعيار جماعة اجتماعية معينة وإنما بات يدل الآن على شكل من أشكال السلوك الذى تشترك فيه بدرجات متفاوتة . ويعتبر عالم الفولكلور السويسرى " ريتشارد فايس Weiss " صاحب

---

١) د. دورسون . نظريات الفولكلور المعاصرة . ص ١٥

٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور . ص ٣٩ ، ٤٠

فضل كبير فى تحديد مفهوم كلمة " شعبى " فيقول " يوجد فى داخل كل إنسان شد وجذب دائمين بين السلوك الشعبى وغير الشعبى ، ولذلك يتضح عند كل إنسان موقفان مختلفان أحدهما فردى والآخر شعبى أو جماعى ، فجميع أفراد الأمة - سواء كانوا عمالاً أو فلاحين أو رعاة بقر ، جنود أو رجال أعمال أو موظفين - يشتركون جميعاً فى خاصية كونهم " شعباً " على اعتبارهم حملة الأشكال الثقافية التقليدية ، وما من جدال فى ان كثافة هذا العنصر الشعبى وشدته تختلف حتماً من فئة إلى أخرى ولكن لايوجد إنسان بدون هذا العنصر على الإطلاق . الفيصل فى الموضوع ، مايعرفه الشعب - أى مجموع سكان البلد - من خلال المعرفة المتواتره بالطريق التقليدى . فهذا الإتجاه اذن دراسة للإنسان ككائن ثقافى ، أى دراسة الإنسان كحامل للثقافة ، أو بتعبير أفضل ، فى سلوكه كحامل للثقافة ، ويبدو هذا واضحا عندما لايستطيع أن يحور نفسه من الثقافة التى ينتمى اليها ويسلك كانسان فرد عقلانى "(١).

أما ملخص رأى الفريق الرابع الذى يعتمد على المعيار الاثنولوجى فيقول: " هناك ميدان معين من ميادين الدراسة يتضمن الثقافة الشعبية بجوانبها المادية والروحية يختار البعض منه جانباً معيناً هو التراث الشفاهى أو الأدب الشعبى ويتخصصون فيه ويعرف باسم الفولكلور(٢).

ويمكن القول أن المقصود بكلمة شعبى هو مايتناقله الشعب من جيل إلى جيل ويتم النقل بالطريق الشفاهى ولا ينتسب العمل الشعبى إلى شخص معين بل إلى الشعب أو الجماعة كلها فيتم نشأته وتعديله وتطويره من الشعب نفسه ويأخذ فى الإنتقال الشفاهى من جيل إلى جيل وفى أحيان كثيرة ربما لا يعرف العصر الذى نشأ فيه أو يكون هذا مجالاً للبحث والسؤال .

وعلى هذا يمكن ان نقول ان دارس الفولكلور والحياة الشعبية يجب أن تدور دراسته فى واحد مما يلى :

---

١) محمد الجوهرى : علم الفولكلور . ص ٤٤

٢) نفس المرجع السابق . ص ٥٢

- الأدب الشعبى (الشفاهى) والمحاكاة .
- المعتقدات والمعارف الشعبية .
- العادات والتقاليد الشعبية .
- الفنون الشعبية والثقافة المادية [١].

وأول هذه الأقسام وهو ميدان " الأدب الشفاهى Oral Literature ، ويسمى أحياناً الفن اللفظى Verbal Art [٢] أو الأدب التعبيرى Literature وتندرج تحت هذا العنوان الأشكال التقليدية المنطوقة من حديث وغناء وصوت والتى تتصف بتكرار أنماطها . ويعتبر القص الشعبى أحد الميادين الكبرى المتفرعة عن هذا القسم ، وهو ينطوى بدوره على العديد من

---

١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فى جمهورية مصر العربية . القاهرة ١٩٧٠م . ص ٥

٢) يستخدم مصطلح الفن اللفظى والأدب الشفاهى كمترادفين فى كثير من الأحيان إلا أن بعض الفولكلوريين يرون أن هناك فروقاً بين المصطلحين تفصل بينهما . على الرغم من ضآلتها ، فمصطلح الفن اللفظى ، الذى قدمه " ويليام باسكوم W.Bascom " ووترمان Waterman " عام ١٩٤٩ فى المقال الذى ظهر فى قاموس Funk ص 398 ، يؤكد على الجانب الفنى للنتاج التعبيرى الشعبى ، فى حين أن الفن يمثل جانباً واحداً من طبيعة هذه المادة ذات الوظائف المتعددة . أما مصطلح الأدب الشفاهى فقد اقترحه " روبرت ردفيلد R.Redfield واستخدمه العديد من الانثروبولوجيين والفولكلوريين وعلى رأسهم " هيرسكوفيتس Horskovito . إلا ان هذا المصطلح - وخاصة فى اللغة الانجليزية - متناقض مع نفسه حيث تتنافى طبيعته الشفاهية مع طبيعة لفظة " الأدب Literature فى اللغة الإنجليزية ، وخصوصا انها مشتقة من اللاتينية Literature بمعنى " تعليم النحو والكتابة "

انظر John Greenway,Literature Among The Primitives,1964, P XII.

وغنى عن البيان ان هذه المشكلة لاتنسحب على المصطلح فى شكله العربى " الأدب الشفاهى "

أنظر : د. دورسون : نظريات الفولكلور المعاصرة . ص ١٦ ، ١٧

الأجزاء المتميزة . ومن فروع هذا القسم الرئيسية الأخرى ميدان الأغنية الشعبية أو الشعر الشعبى بما يدخل تحته من أنواع قريبة . ويناظر القصص التقليدى والأغانى التقليدية الانتاج المكتوب لكتاب القصة والشعراء ، إلا أنه يتم تداولهما عن طريق الكلمة المنطوقة دون معرفة مؤلفها(١). ويجوز أن تكون هذه القصص والأغانى التقليدية عبارة عن " نوادر anecdotes "(٢) وأهازيج Rhymes قصيرة أو " قصصاً رومانسياً (طويلاً) Romances " ، وملاحم epics (٣).وهناك

---

١) اهتم الباحثون على اختلاف اتجاهاتهم النظرية بدراسة مشكلة " شخصية " التراث الشعبى أى انتسابه أو عدم انتسابه إلى مبدع فرد بالذات . وقد حسمت المشكلة حسماً نهائياً لصالح الرأى القائل بأن مجهولية المؤلف لاتعنى : عدم وجود شخصية للمؤلف .
قارن يورى سوكولوف ، الفولكلور . قضاياه وتاريخه ، ترجمة حلمى شعراوى وعبد الحميد حواس . القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ص ٢١ ومابعدها .

٢) لعلنا يجب أن نفرق بدقة بين ثلاثة أنواع متقاربة بعض الشئ من مواد الإبداع الشعبى هى النكتة والنادرة ، والقصة الفكاهية . فالنكته عبارة عن قصة قصيرة جدا تتميز بطبيعتها الدرامية ، كما أنها تتميز بتصعيد الحدث ونهايته بطريقة فجائية تتركز فيها الفكرة الأساسية فى النكتة . وتشترك النكتة مع " النادرة ancedote " فى أن كلتاهما تثير الضحك إلا أن النادرة قد تعنى أحيانا الحدث الطريف الذى يسرد سرداً ، كما أنها - وخاصة فى اللغة الإنجليزية - قد تعنى أسطورة تاريخية مرتبطة بشخص معين . أما " القصة الفكاهية Merry tale " فتشترك مع النكتة فى طابعها الفكاهى القصصى ، وتختلف عنها فى الطول وغياب عنصر التصعيد المشار إليه فى النكتة ، وغياب النهاية الفجائية فى الغالب .
انظر : د. دورسون : نظريات الفولكلور المعاصرة . ص ١٧ .

٣) يستخدم مصطلح " ملحمة " أو " الشعر البطولى Epic " بشكل فضفاض بعض الشئ للدلالة على أنواع متعددة من الشعر الشعبى التى تحكى بطولات أفراد غير عاديين أو أعمال الآلهة كما فى الإلياذة والأوديسة لهوميروس ومن أقرب الأمثلة إلى هذا النوع فى التراث العربى سيرة " الهلالية " وسيرة " عنترة بن شداد " ، وإن كانت طبيعتها " أسطورية Legendary" أكثر منها خرافية Mythical .
انظر : د. دورسون : نظريات الفولكلور المعاصرة . ص ١٨

فى التعبير الشعبى الشفاهى بعض الأنواع المختصرة " كالأمثال Proverbs " " والفوازير riddles " التى لايوجد لها نظير فى الأشكال الأدبية (المكتوبة) والتى يمكن لها أن تدخل إلى دنيا الأدب المكتوب(١).

ويذهب الدارسون اليهود إلى ان التراث الشفاهى ، كان يجد طريقة إلى التدوين فى كل مرحلة من المراحل التى مروا بها فى تاريخهم ، مما جعل الكتابة تحفظ لهم مخزناً مسجلاً لهذا التراث ، مستندين فى ذلك إلى تعميم " بوتكين Botkin " الذى وصف به الفولكلور ، فاعتبروه يشخص حالة الفولكلور اليهودى بقوله " إن انتقال التراث الشفاهى إلى الكتابة والتدوين ، لايقضى عليه كفولكلور ، بل إنه عندما يتجمد ، ويثبت ، إنما يساعده ذلك على أن يظل حياً ، ويجعله متميزاً ، عند أولئك الذين لايعدونه تراثاً وطنياً أو أساسياً بالنسبة لهم " . وهكذا يصبح مادون فى مصادرهم القديمة ، بصرف النظر عن وجوده الآن أو تداوله أو تأثيره فيهم ، فولكلوراً حياً ، وهو الأمر الذى لم يقل به دارس واحد من دارسى الفولكلور ، ذلك إن إحدى السمات الأساسية التى تميز الفولكلور أنه حى مرن متطور أبداً ، وأنه حصيلة مجموعة من العوامل التى تتفاعل مع بعضها البعض ، مما يجعله قابلاً دائماً للتعبير عن أصحابه بكل أبعادهم مؤثراً فيهم ، متأثراً بهم وبتيار الحياة الذى لايتوقف . أما أن يجمد أو يثبت فانه يصبح ذا دلالة تاريخية على المرحلة الثقافية التى دون فيها ليس غير ، ويستثنى من هذه القاعدة مايستمر حياً فعالاً مؤثراً فى حياة الجماعة ، برغم تدوينه أو ثباته على شكل محدد(٢).

---

١) د. دورسون : نظريات الفولكلور المعاصرة . ص ١٨

٢) د. أحمد على مرسى . د. فاروق محمد جودى . الفولكلور والإسرائيليات. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ . ص ٤٠ ، ٤١

الفولكلور اليهودى وإلياهو النبى

يعد الدكتور " ماكس جرونفالد Max Grunwald " (١٨٧١ - ١٩٥٣) أول الدارسين الذين اهتموا اهتماماً علمياً بالفولكلور اليهودى ودراسته ، فقد نشر العديد من الكتب والمقالات التى تتناول بالجمع والتحليل جوانب مختلفة من الفولكلور اليهودى ، كما انشأ فى عام ١٨٩٨ فى همبورج " جمعية الفولكلور اليهودى " بهدف التشجيع على جمع هذا الفولكلور ودراسته ، ثم بدأ بعده ببضع سنوات " شلومو هاكوهين رابوروت " الذى اشتهر باسم " آنسكى - Ansky " ، والدارسون اليهود يعتبرونه من أهم الباحثين الذين أثروا فى الدراسات الفولكلورية اليهودية ، إذ أنه لم يكن مهتما بالفولكلور فحسب ، بل استطاع أن يترجم هذا الاهتمام إلى عمل علمى حقيقى منظم ، ومن هنا تأتى أهميته الخاصة (١).

ولقد ركز الدارسون اليهود اهتمامهم فى البداية على جمع الحكاية الشعبية ودراستها لأنهم يعتبرونها قد لعبت دوراً مهماً فى تاريخ اليهود ، لارتباطها - من وجهة نظرهم - بتعلم العقيدة بشكل لايوجد عند أى جماعة أخرى - ويذهبون فى تعليل ولع اليهود بالحكايات وأهميتها لديهم ، بأن التوراة نفسها تورد فى سفر التكوين مجموعة من الحكايات عن الخلق ، وأصل الكون ، فضلاً عن الأعمال الخارقة للأبطال والملوك . ولايقتصر الأمر على الحكايات التى تحفل بها التوراة وبقية أسفار العهد القديم ، فالتلمود الذى كتب حوالى القرن الخامس الميلادى يمتلىء هو الآخر بمجموعة كبيرة من قصص الآباء والحكماء، " والأجاداه " التى تشكل ثلث التلمود البابلى ، وسدس التلمود الأورشليمى، وتتناول تفسير ماجاء فى العهد القديم من شرائع دينية وقصص وأحداث تاريخية فى شكل حكايات خرافية ، مليئة بالشعر والأمثال التى تساعد على تشويق المستمع

---

١) אנציק' עבר', כרך כז, עמ' 453.

انظر أيضا : الفولكلور والإسرائيليات . ص ١٥

وجذبه لسماع ما يحكى . وينسب اليهود بداية تأليف الأجاداه إلى عهد " عزرا " فى القرن الخامس الميلادى ، عندما حاول أن يجعل العهد القديم مقبولاً لدى عامة اليهود ، فشرحه لهم فى شكل قصص . وقد استمر هذا الشكل من أشكال التفسير حتى القرن الحادى عشر الميلادى ، وبلغ أقصى درجات التطور فى فلسطين، وتتناول " الأجاداه " موضوعات عديدة . وتصور حكاياتها حكمة الأنبياء أمثال : " إبراهيم . وداود . وسليمان وغيرهم " . وأهم هذه الموضوعات مايلى :

١ - الوعظ والإرشاد : ويتناول إرشاد اليهود إلى الأخلاق الكريمة ، وحثهم على التمسك بدينهم وقيمه الروحية والأخلاقية .

٢ - الجدل : ويتناول هذا الجانب الدفاع عن الدين اليهودى ، ومكافحة الأفكار التى تهدف إلى هدمه ومحاولة القضاء عليه .

٣ - العلوم : مثل التنجيم والفلك والطب .

٤ - التاريخ : ويتناول الأساطير والحكايات التاريخية والشعبية عن الشخصيات التى وردت فى العهد القديم ، كما يتضمن قصصاً خرافية ، ومعجزات منسوبة إلى شخصيات ظهرت بعد فترة العهد القديم .

٥ - الحكمة : فقد ورد فى الأجاداه قدر كبير من الحكم والأمثال والتشبيهات التى تهدف إلى التوضيح وضرب المثل فى السلوك .

٦ - أفكار صوفية : وهى عبارة عن تأملات فى الكون وخالق الكون .

هذا ويتوق اليهود لسماع الأجاداه عادة فى أوقات الشدة والضيق ، إذ يقول أحد حاخاماتهم " عندما تكون النقود كثيرة يشغف الناس بسماع كلمات المشنا، وعندما تقل النقود فى أيديهم ، يقبلون على سماع الأجاداه والعهد القديم "(١).

وهكذا يؤكد الدارسون اليهود ان حب سماع الحكايات وروايتها شئ أصيل فى نفس اليهودى ، فتراثه الدينى يزخر بها ومن ثم نجد عدداً كبيراً منهم قد وقف جهوده على تسجيل هذه الحكايات ودراستها ، وبيان الفروق بين حكايات

---

١) الفولكلور والإسرائيليات . ص ١٦ - ١٨ .

" الهاجاداه أو الأجاداه " من جهة ، والأدب التلمودى المدراشى والأصول العديدة التى يقوم عليها من جهة أخرى ، ذلك انهم يزعمون أن مادون من أدب ومن تعاليم الحاخامات أو الأحبار ، لم يضر التراث الشفهى أو يقضى عليه ، بقدر ما شجعه وأضاف إليه ، وهذا مايسبب - فى الحقيقة حيرة كبيرة لدارسى الفولكلور عندما يحاولون أن يتبينوا استمرار هذه المأثورات غير المكتوبة واستقلالها ، ذلك أن الأمر فى حالة التراث الشعبى اليهودى يصبح معكوساً .

والحقيقة ان الباحث ليميز ثلاثة أمور يركز عليها الدارسون اليهود تركيزاً شديداً ، ويؤكدون عليها مراراً وتكراراً ، لأهميتها الخاصة فى مجال دراساتهم ، إذ أنها تلخص بشكل عام وجهات نظرهم ، ومايريدون تحقيقه :

أولا : انه فى دراسة الفولكلور اليهودى - خلافاً لفولكلور الجماعات والشعوب الأخرى - يجب التنبيه إلى أنه يصعب الفصل بين العادة الشعبية من ناحية ، والفولكلور من ناحية أخرى . وحتى لو نظر إلى الفولكلور من وجهة نظر أنثروبولوجية ، أى باعتباره " الأدب الذى يتناقل شفاهياً " ومن ثم فهو يتضمن " الأساطير والخرافات والحكايات والأمثال والألغاز ونصوص الأغنيات ، وما إلى ذلك " ويستبعد " الفن الشعبى ، والرقص الشعبى ، والموسيقى الشعبية ، والأزياء الشعبية ، والطب والعادات والمعتقدات الشعبية " فإن دارس الثقافة اليهودية يجب أن يعرف أن الخرافات والحكايات اليهودية يمكن دراستها فى ضوء العادات الشعبية اليهودية فحسب ، وانه إذا كان هناك إجماع على أن العادة اليهودية ليست الموضوع الشرعى لدراسة عالم الفولكلور اليهودى ، لأنها تقع فى إطار دراسة علم الأنثروبولوجى ، فإن دارس الفولكلور اليهودى يجب أن يكون أنثروبولوجياً كذلك ، حتى يكون قادراً على دراسة الأساليب الشفاهية ، وأنماط السلوك فى التراث اليهودى .

ثانياً : إن الفولكلور اليهودى الحديث ، شكل يجمع اثنين فى واحد ، وليس هناك عادات أو معتقدات يهودية أو جزء من الأدب الشفاهى ، يمكن أن يفهم تماماً ، أو يدرس دراسة وافية ، دون بحث دقيق فى ذلك الكم الضخم المتراكم من الأدب المكتوب الذى أسبغ على الكثير من جوانب التراث اليهودى فى القرون الماضية شكلها الثابت .

ثالثاً : ان هناك بعض النتائج التى يمكن الوصول اليها عن التأثيرات الخارجية على الفولكلور اليهودى والتى وجد الكثير منها فى كل زمان ومكان، ولكن يجب التنبيه إلى ان الارتباط بالتراث والشخصية الدينية للحياة اليهودية فى كل مكان ، قد أدى إلى أن يصبح اليهود قادرين بصورة ملفتة للنظر على استيعاب عناصر الثقافات الأجنبية . لقد كانت حياة اليهود فى ظل تراثهم الدينى وحدة لاتنفصم ، ذلك ان الدين كان يقف دائماً على استعداد تام ، ليقوم برد فعل حاسم ، بمجرد أن يظهر شىء فى الأفق ، فإما أن يرفض هذا الشىء ، أو يقبله ويهضمه ويجعله جزءاً من التراث اليهودى . وإذا ماكان القرار قبول الجديد ، فإنه - بعد فترة قصيرة جداً - ينسى الأصل غير اليهودى لذلك الشىء الجديد ، أو الظاهرة التى تم قبولها . ويعنى ذلك ان قبول حكاية ما ، إنما ينظر اليها على أنها إضافة شرعية إلى التراث اليهودى ، ويتم التعامل معها ، ودراستها على هذا الأساس .

وهكذا يمكن - كما يتضح من النقاط السابقة - أن يتم استيعاب كل التراث العالمى من العادات والتقاليد والأزياء والآداب الشعبية ، إذا قبلها اليهود، وصدق عليها الدين ، باعتبارها جميعاً إضافات شرعية إلى تراثهم ، وسرعان ماتنسى الأصول ، وتنسى إنها إضافات ، وتتم نسبتها إليهم ، وهو مايحدث بالفعل الآن ، ولذلك فهم متنبهون إلى هذا الجانب بشكل خاص ، إذ يقولون "إن الميل إلى ادماج عناصر أجنبية يشكل تحدياً كبيراً لدارس الفولكلور اليهودى ، ومن ثم فهو يجب أن يكون دائماً على علم بنتائج الدراسات العامة للفولكلور ، لان الفولكلور اليهودى يحتوى دائماً على عناصر غير يهودية ، ويجب دراسته فى ضوء علاقته بها "(١).

ولكنهم عندما يذكرون ان هناك عناصر غير يهودية قد دخلت إلى تراثهم لايجددون طبيعة هذه العناصر أو حجم تأثيرها ، بل انهم يتجاهلون هذه الجزئية

---

١) د. أحمد على مرسى . د. فاروق محمد جودى . الفولكلور والإسرائيليات . ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨

تماماً . وهنا ينبغى علينا أن نربط بين ماقيل من قبل من أن الدراسة المقارنة للنتاج الفولكلورى ككل فى العالم أجمع ، قد أثبتت أن جزءاً بسيطاً هو الذى لايخضع للاقتراض المباشر ، وبين الإقرار بوجود عناصر غير يهوديةقد دخلت فى نسيج فولكلور اليهود ، وذلك لكى نتساءل : ماهو الجزء الذى لايخضع للاقتراض من تراثهم ؟ !! ان " ستيث تومسون Stith Thempson " فى مقال له بعنوان : " The significant of Near Eastern Flklors " يقول : " إن دراسة الفولكلور فى إسرائيل الحديثة (فلسطين) ، يتطلب دراية غير عادية بالموروثات الشعبية فى كل أنحاء العالم ، ذلك أنه فى أية نظرة صحيحة أو غير متحيزة ، فإن تعدد الأصول يمكن ادراكه بسهولة " . والحقيقة ان الجزء - الذى يمكن القول انه لايخضع للاقتراض المباشر - من تراثهم القصص هو الحكايات الخاصة (بالنبى إلياهو " وتدور حول معجزاته وأعماله الخارقة ، ولكن هذه القصص أيضاً ، يمكن وضعها فى إطار هذا النوع من الحكايات المعروف عالمياً ، والذى يقوم فيه البطل الخيّر ، مهما كان اسمه أو جنسه بأعمال مختلفة لمساعدة الضعفاء والفقراء عامة . فالنبى " إلياهو " فى حكاياته يبدو مشابهاً لشخصية السيد المسيح فى بعض الحكايات الأوربية التى يقوم فيها بمساعدة الفقراء والمعوزين ويصنع المعجزات التى تنقذ الناس من الأمراض والكوارث[1]، والحقيقة ان نسق شخصية إلياهو أصبح من خلال تأثير الموتيفات فى الأدب الأجادى التلمودى وفى المدراشيم ، أكثر من مجرد رسول من السماء يهبط إلى الأرض لتقديم العون والمساعدة السريعة للأفراد المعوزين ، بل أيضاً المخلّص والمنقذ للمجتمعات اليهودية فى الدياسبورا (الشتات) ، فيظهر إلياهو فى القصص الشعبية العديدة مقدماً للمساعدة غير المتوقعة والمفاجئة ، فيشفى الأمراض الخطيرة وينقذ الأرواح من الأخطار المحدقة بها ، ويدافع عن المظلومين فى المحاكم القانونية ويطلق سراح المسجونين الأبرياء ، ويصنع السلام بين الخصوم ، بالإضافة إلى ذلك فهو يحضر الزيجات السعيدة ، ويشفى العقيم والعاقر ، ويجازى أعمال الخير ،

---

١) د. أحمد على مرسى . د. فاروق محمد جودى . الفولكلور والإسرائيليات . ص ٥٨ . نقلا عن :
Stith Thompson: The Folktal, New York, 1946, PP. 5-7.

وينصح ويهذب ويؤدب ، وهو غالبا مايظهر مثل البشر فيأتى فى هيئة شيخ حكيم ، وغالباً أيضاً مايكون متنكراً فى هيئة شحاذ أو قروى بسيط وفقاً لدوافع ظهوره وفى أحيان متقاربة يقوم بالمعجزات ، أما التوقيت الزمنى والمكانى فهما تحت امرته حيث تكون مساعدته دائماً نافعة ومفيدة وغير متأخرة أيضاً . وفى الحقيقة إن مايميز نشاط " إلياهو " أنه يجمع بين المساعدة التى يقدمها ، والشكل والصرامة فى العقاب الذى يفرضه حيث يحضر إلى البيوت الخاطئة أو المقصرة فى تنفيذ وصايا الرب التى بلغها لهم المصلحون الدينيين[١] ، واعتماداً على الموتيفات الروحانية فى القصص الشعبى عن إلياهو يقول " آنسكى Ansky " أنه مما يميز الأدب الشعبى اليهودى عن غيره عامة ، والحكايات الشعبية اليهودية عن غيرها بصفة خاصة ، ان موتيف القوة الجسمانية شائع جداً فى حكايات الأجانب (أى غير اليهود بشكل عام) فى حين أن الأدب الشعبى اليهودى يقدر القوة الروحية للبطل ، والقيم الإنسانية التى يتصف بها بدلاً من القوة الحيوانية الغاشمة[٢] . والحقيقة ان هذا الأمر يحتاج إلى مناقشة وإلى إثبات ، ذلك أن الحكايات الشعبية عامة تجعل البطل عادة نموذجاً فى السلوك، وتحتفى أكثر ما تحتفى بالبطل الذى يجسد قيم الخير والنبل ، وتؤكد على هذه القيم أكثر مما تؤكد على غيرها ، ولذلك فإنه ليس مصادفة أن نجد أغلب أبطال الحكايات الشعبية هم الفقراء لكنهم النبلاء ، وهم أصغر الأبناء وأضعفهم، ولكنهم أكثرهم حكمة ، وأرجحهم عقلاً ، وأسرعهم إلى فعل الخير ، دونما انتظار لجزاء أو مثوبة ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ، كما أنها موجودة فى تراث كل الشعوب . ولعلنا نتساءل هنا : ماذا كان " شمشون " يمثل !![٣]

---

١) The Prophet Elijah in the Development of Judaism.PP. 136-137.

٢) A.A. Roback: The Story of Jiddish Literature , New York, 1940, P. 183.

٣) الفولكلور والأسرائيليات . ص ٤٧

لقد عقد العديد من المؤتمرات التى خصصت للدراسات الفولكلورية اليهودية وقد خصص المؤتمر الثانى للفولكلور اليهودى الذى عقد فى " حيفا " (من ١٨ - ٢٠ مارس ١٩٦٠) لموضوع : " النبى إلياهو " فى الفولكلور اليهودى (الأدب الشعبى والحياة الشعبية) . والحقيقة ان الحكايات الشعبية عن " إلياهو " جعلت منه النموذج الأصيل للشخصية البطولية التى لعبت دوراً عظيماً فى تطور اليهودية (١).

إلياهو ... النموذج الأصيل لشخصية البطل اليهودى :

إن السيرة التاريخية للنبى " إلياهو " - كما وصفت فى أسفار الملوك فى العهد القديم - تبين بوضوح سمات الشخصية البطولية بمتغيراتها التى لايمكن حصرها والموجودة فى مخيلة جميع الناس ، والتى تجد تعبيراً لها فى تراثهم وأساطيرهم وعقائدهم الشفهية والمكتوبة . إذ ان أسلوب حياة البطل يوضح سمة أساسية فى تكوين العقلية البشرية : أى ديناميكيات النضال اللاشعورى للإنسان من أجل النضال الأكمل الممكن لجهده العقلى ، وكفاحه المؤلم ضد الكوابح الطفولية والشعور بالذنب الذى يقابل ادراكه الشخصى ، ومن خلال كونه منتصراً فى هذا الكفاح - غالباً بمعاونة قوة عليا - فإنه يجدد طموح نفسه ويتجاوز حدودها ، ويتقبل الدنيا ، ويعود إليها ليكون هادياً للأشخاص المعاصرين له . وكما هو الحال بالنسبة لأبطال العقائد الأكثر تطوراً ، والذين هم فى حالة بحث دائم عن " الرب " والذين يقاتلون من أجل " الرب " ؛ وعليه فإن التطور الداخلى " لإلياهو " وكفاحه الروحى من أجل إثبات وجود " الرب " يتجلى مباشرة فى سيرته ومغامراته الروحية ، ويتجلى أيضاً فى تجاربه العاصفة مع العالم الخارجى ، وفى كفاحه ضد " بعل " " والسوارى " ، وضد " آحاب " " وإيزابيل " وضد شعبه أيضاً ، وذلك بالتناظر مع الكفاح الذى يشنه ضد ضعف نفسه المتأرجحة بين الانحراف والتفسخ أو المهددة بكلاهما ، ولقد كافح إلياهو لا شعورياً أو

---

(١) The prophet Elijah in the Development of Judaism, P.174.

شعورياً - غالباً - من أجل الادراك الكامل لتجربة " النبوة " . ولقد كان فى تجلى الرب له " بالصوت المنخفض الخفيف " ، والمسبوق ببعض الظواهر الطبيعية الغامضة تأثيره فى إلياهو بأنه فى " الرب " تتحد جميع المتناقضات ، بمعنى ان التجليات المختلفة يجب قبولها رغم عدم ادراكها . ومن ناحية أخرى كان صعود إلياهو إلى السماء يعنى اتحاده مع الروح الخالقة (الرب - الأب) الذى كشف بدوره عن طبيعته الأنثوية (بمعنى ان الرب الأب هو الرحم الذى خرج منه المولود الجديد) ، وبذلك فان جهد إلياهو لكى يصبح " رجل الرب " قد تم ادراكه بفضل نعمة النبوة ، ويرمز عروجه إلى السماء بالروح والجسد أيضاً إلى اكتمال شخصيته . وعليه فإن التمثيل ذو الشفافية الخاصة لكفاح " إلياهو " الشخصى ، وتحوله وعروجه إلى السماء - فى أسفار العهد القديم - هو الذى أكمل الذكرى التى ماتزال حية - فى أذهان اليهود عن آبائهم الأوائل - كمطلب على المستوى الفردى والجماعى لمعرفة طريق البطل إلى النبوة ، وقد جعل هذا من " إلياهو " الشخصية المحورية للبطولة وكفصل الختام بالنسبة للتطور العقائدى والروحى للفرد اليهودى كما هو للشعب اليهودى . وفى حكم التاريخ، يعتبر الإسرائيليون إن القيادة الروحية لإسرائيل قد أشتقت مباشرة من " إلياهو". ويتضح التأثير المباشر لشخصية " إلياهو " البطولية لأول وهلة فى شخص " ملاخى - מלאכי " وخاصة فى مجموعة الرسائل النبوية التى وجهها " ملاخى " لإسرائيل ، والتى هى فى نفس الوقت خلاصة أسفار الأنبياء فى العهد القديم،وبعد مرور حوالى ثلاثمائة عام منذ ذلك ، ذكر " ابن سيرا בן סירא " أنه فى يوم ماسيقوم " إلياهو " بتجميع أسباط بنى إسرائيل الضائعة وانقاذ يهود الشتات وهذان الاعتباران يشاركان مجموع الاعتبارات نحو التغيير الأساسى الذى سيحدثه إلياهو : تغييراً يشمل العودة والتجديد . وطبقاً لسلوك الشخصية البطولية لإلياهو ، نجد انها تتجلى بصورة رئيسية ابان الأزمات التى تمتزج فيها المفاهيم الروحية والنزعات القومية فى أذهان الخاصة من الشعب اليهودى ، ولقد كانت هذه الشخصية ذات نشاط خاص وقوى خلال الأزمات الدائمة ، والتى دامت أكثر من قرنين من الزمان والتى تمثلت فى الصراع الداخلى والتهديد الخارجى ، والتى

تمثلت بعد ذلك في ضياع الاستقلال وتدمير المعبد . ولتأكيد استمرارية الشعب اليهودى كأبطال يكافحون فى سبيل " الرب " - بصرف النظر عن وجود الدولة أو الحرم المقدس - فإن القادة الروحانيين قد أكدوا ضرورة الاهتمام - وعلى قدم المساواة - بتعليمات العهد القديم وعلى تفسيراتهم العملية لنصوصه ، كما اجتهد حكماء التلمود من أجل تقوية وتعميق العلاقة الروحية المباشرة مع الرب على المستويين الفردى والجماعى ، ولقد كان هذا مصحوباً من جانبهم بالصدام مع شخص إلياهو " الإلهى " وإن كان فهمهم له ذو أهمية خاصة هنا ، إذ إن صعود إلياهو الغامض إلى السماء قد أصبح جلياً لهم حيث أن تحوله - من وجهة نظرهم - قد بدأ على الأرض ، وتم اكتماله فى السماء ، وانه بذلك أصبح الوسيط بين الكون المرئى وغير المرئى ، ولقد صاغ حكماء التلمود صيغة للتناسخ تقول " إن كل ماخلقه الله فى السموات قد خلقه أيضاً على الأرض " ولقد قاد هذا التناسخ إلياهو إلى " الاتحاد " . فهو مبعوث الرب ، وهو المرشد الروحى ، وهو الذى يلبى احتياجات الأفراد والجماعات ، وهو الذى يعلم التوراة ، والذى يحافظ على العهد خلال الأجيال المتعاقبة ، وهو الذى سوف يلعب دوراً حاسماً وقت الخلاص فى قيادة الناس جميعاً وفى رجوعهم إلى الله . وأنه سوف يؤيد " المسيح " من خلال نصائحه وتفسيره لقواعد التوراة ، كما أنه سوف يحيى الموتى أيضاً . والحقيقة ان هذا التماثل الذى ساقه حكماء اليهود لإلياهو مع هذه الشخصيات فى تاريخهم المقدس ، وحضوره الواضح فى عصرهم ، واعتقادهم بأنه سوف يلتقى مع أتقياء كل جيل ، وتوقعهم بأنه فى يوم ماسوف يلعب دوراً حاسماً فى الخلاص الكونى والقومى ، كل ذلك سما بشخصية إلياهو بعيدا عن السياق التاريخى المحدد(١).

والحقيقة ان العلاقة بين التراث الشعبى والأجادى الخاص بإلياهو وماهو مروى عنه فى العهد القديم هى علاقة ضعيفة جداً . ولكن الصورة المدهشة لشخصية

---

1) The Prophet Elijah in the Development of Judaism, pp. 175-177.

الياهو والتى يشترك فى تكوينها التراث الشفهى والأجادى على مر الأجيال ، قد وضعت فى إطار من المجد والكمال أصبح يكون مع الصورة وحدة واحدة لاتنفصم ، ومع ذلك فإن هذه الصورة بقى فيها قليلاً من المادة التناخبة التى ملأتها بهاء ورونقاً . وفضلاً عن ذلك فإن التراث الشعبى لم يرسم لإلياهو شخصية واحدة ثابتة ومحددة ، بل شخصيات عديدة بحسب عدد الرسالات التى يقوم بتنفيذها ، فكل شخصية ورسالتها ، وكل رسالة وشخصيتها ، وعدد رسالاته بعدد الحاجات والمواقف التى يقع فيها البشر ، صغاراً وكباراً ، أبراراً وأشراراً ، حلفاء وغير حلفاء ، حيث يحضر إليهم ويتدخل فى شئونهم سواء خيراً أم شراً ، ولذلك فهو متعدد الشخصيات لأنه متعدد المهام ، وكما يوجد كماً هائلاً من المشاكل وطرق علاجها ، كذلك أيضاً هناك كنوزاً من الشخصيات التى يتقمصها إلياهو فى اللحظة المناسبة ولكن رغماً عن ذلك فإننا نجد وحدة داخل هذه الكثرة ، أى ان له شخصية رئيسية واحدة ، أما بقية الشخصيات فما هى إلا أقنعة مؤقتة ، بمثابة مكياج مؤقت ، وعليه فانه يوجد فى هذه الشخصية خاصية رئيسية منها يستمد باقى الخواص ، وهى خاصية كونه طيباً ومحسناً ، رؤوفا ورحيماً ومبشراً ومخلصاً ، يفعل مايريد ، ودائماً يجتهد من أجل الخير فهو الأخ المعين لكل محتاج ولكل بائس ، والحقيقة إن التراث الشفهى والأدب الشعبى قد أعطيا له هذه الخواص بفضل صعوده إلى السماء الذى تم وصفه فى العهد القديم وصفاً عظيم الانطباع . ولذلك استخدم انتقاله إلى السماء مادة خصبة فى الخيال الشعبى اليهودى ، فمن لم يذق طعم الموت ، وصعد فى مركبة نارية إلى السماء وانضم حياً إلى العائلة السماوية ، من المناسب أن تحدث له بعض الامور الضرورية وفقاً لمنطق الأجاداه ، فخلع عنه الصورة الإنسانية ، وارتدى الصورة الملائكية التى أهلته لتقمص أية صورة كانت، ووفقاً لأنه لم يمت ، فقد استمرت علاقاته مع البشر ولم يتوقف الاتصال بينه وبين هذا العالم . وبعد ان انفصلت عنه نزعات السوء ، وسيطرت علين نزعات الخير الملائكية ، أصبح بمثابة مخلوق وسط،نصفه سماوى والنصف الآخر أرضى ، فلديه القدرة على التحليق فى أرجاء المعمورة ليرى ماذا يفعل الناس فى السر وماهى احتياجاتهم ، فهو يَرى ولايُرى ، وعندما يرى فان رؤياه ليست إلا خداع للعين من

أجل القيام برسالته ومهمته التى كلف بها بدون عائق[١].

ومن خلال الادراك والعلم بأنه يتواجد فيما وراء حجب الزمن ، أصبح الأجاديون على دراية بوجود الدلالة البطولية لإلياهو ، فهو يمثل عندهم الإنسان مجاهداً لنفسه والإنسان الذى يجاهد من أجل الرب الذى يساعده فى التخلص من آثامه فى الوقت الذى يصبح فيه هذا الإنسان الأداة الإلهية التى من خلالها يمكن للجماعة الاقتراب من خلاصها الروحى والجسدى[٢].

الموتيفات الرئيسية لشخصية إلياهو الفولكلورى

لاشك ان هناك فرقاً جوهرياً بين الأدب المكتوب ، والأدب الشعبى ، ولعل هذا الفرق الأساسى هو ثبات الأدب المكتوب ، فى حين ان الأدب الشعبى يتصف بالمرونة وعدم الثبات على نص واحد ، فالقصة المدونة تمثل الفترة التى كتبت فيها ، سواء من حيث أسلوبها أو مضمونها أو الأفكار التى تعبر عنها بشكل صريح أو بشكل ضمنى ، وإذا حللنا مثل هذه القصة فإننا نستطيع التعرف على مظاهر كثيرة ، ومميزات مختلفة ترتبط بزمن تأليفها ، والبيئة التى ألفت فيها ، أما الأدب الشعبى ، فهو أدب مرن - كما أسلفنا - تطرأ عليه تغييرات لا حصر لها ، عندما ينتقل من جيل إلى جيل ، ومن بيئة ثقافية إلى أخرى ، ومن راوٍ إلى راوٍ آخر ولكن مع وجود كل هذه التغييرات فان الموتيفات الرئيسية تظل ثابتة لا تتغير ؛ ولكن نقف على نوعية هذه الموتيفات التى تشتمل عليها قصص إلياهو فى الأدب الشعبى اليهودى علينا بالعودة إلى الفترة الزمنية التى شهدت أعظم وأخصب نشاط فلكلورى لشخصية الياهو النبى ، وهى فترة التلمود[٣] .

---

١) ישראל פהן, אישים מן המקרא, הוצאת מחברות לספרות, דפוס הפועל הצעיר, תל אביב, ישראל, 1964, עמ' 245-246.

٢) The Prophet Elijah in the Development of Judaism, P. 180.

٣) فبا لرغم من أن التلمود يتضمن أجزاء تعتمد على العقل ، وعلى الأحكام القانونية والفكرية إلا أنه توجد فيه أجزاء كبيرة من الفولكلور اليهودى ، وتفسير الأحلام ، وماشابه ذلك .

وبتطبيق الدراسة المقارنة مثلاً على قصة إلياهو النبى مع " رابى يهوذا هناسى רַבִּי יְהוּדָה הַנָּשִׂי " التى وردت فى التلمود ، والقصة الشفهية التى يحكيها الرواة ، يمكننا الوقوف على التغييرات الناتجة من تحويل القصة المكتوبة إلى قصة شفهية ، وللوقوف على هذه التغييرات نسرد القصتين أولاً :

١ - قصة الياهو النبى مع رابى يهوذا هناسى موجودة فى التلمود على النحو التالى :

אֵלִיָּהוּ הָיָה מָצוּי בִּישִׁיבָה שֶׁל רַבִּי. פַּעַם אַחַת בְּרֹאשׁ חֹדֶשׁ שָׁהָה לָבוֹא אָמַר לוֹ רַבִּי: לָמָּה שָׁהָה מָר הַיּוֹם? אָמַר לוֹ: עַד שֶׁ הֶעֱמַדְתִּי אֶת אַבְרָהָם, וְרָחַצְתִּי יָדָיו, וְהִתְפַּלֵּל, וְהִשְׁכַּבְתִּיו, וְכֵן לְיִצְחָק, וְכֵן לַיַּעֲקֹב ...

- וַיַּעֲמִידֵם מָר כֻּלָּם בְּבַת־אַחַת?

- חוֹשֵׁשׁ הָיִיתִי, שֶׁמָּא יִתְחַזְּקוּ בְּתִפְלָה וְיָבִיאוּ מָשִׁיחַ קֹדֶם זְמַנּוֹ. אָמַר לוֹ רַבִּי: וְיֵשׁ דְּגְמָתָם בָּעוֹלָם הַזֶּה? (1)

אָמַר לוֹ: יֵשׁ, רַ' חִיָּא וּבָנָיו.

גָּזַר רַבִּי תַּעֲנִית וְהוֹרִידוּ אֶת־רַ' חִיָּה וּבָנָיו. אָמְרוּ "מַשִּׁיב הָרוּחַ".

- וְנָשְׁבָה רוּחַ, אָמְרוּ "מוֹרִיד הַגָּשֶׁם" - וְיָרְדוּ גְּשָׁמִים.

כְּשֶׁ הִגִּיעוּ לוֹמַר "מְחַיֵּה הַמֵּתִים" נִזְדַּעְזַע הָעוֹלָם. אָמְרוּ בָּרָקִיעַ: מִי גָּלָה דָּז זֶה בָּעוֹלָם? אָמְרוּ: אֵלִיָּהוּ.

---

١) רַבִּי חִיָּה בר אבא : ولیس ایضا : "רבי חייה רבה" : تنائى ولد فى منتصف القرن الثانى فى "כפרי" عند "سورا" فى "بابل" ، ثم هاجر من بابل ودرس عند رابى يهوذا هناسى ، واصبح تلميذاً مصاحباً له وقد تزوج عندما كان فى بابل من امراة تدعى "יהודית يهودية" ، انجبت له ابنين توامين (يهوذا وحزقيا יהודה וחזקיה) وقد اصبحا امورائيان عظيمان ، وابنتين توامتين (פזי וטוי فيزى وطفى) وعندما هاجر الى فلسطين اشتغل بتجارة الحرير الذى قام بتصديره إلى " صور " كما جاء فى (רות רבה פ"א.י"ז ; איכה רבה פ"ג,ט"ז) ==

הֵבִיאוּ אֶת אֵלִיָּהוּ וְהִלְקוּהוּ שִׁשִּׁים רְצוּעוֹת שֶׁל אֵשׁ. (١)
הָלַהּ וְנִדְמֶה לָהֶם כְּדֹב שֶׁל אֵשׁ. נִכְנַס בֵּינֵיהֶם וּטְרָדָם.

الترجمة : " كان إلياهو يشترك فى الحلقة الدينية لرابى . وذات مرة . فى أول الشهر . تأخر فى المجىء فقال له رابى : لماذا تأخر سيدى فى المجىء؟ قال له : حتى أيقظت إبراهيم وغسلت يديه ، ثم قام فصلى ، ثم أرقدته ، وكذلك لإسحاق ، وكذلك ليعقوب .

- ويخدمهم سيدى فى وقت واحد ؟

- كنت أخشى لئلا يتشددوا فى الصلاة ، فيأتى المسيح قبل زمانه .

فقال له رابى: ألا يوجد مثيلهم فى هذا العالم ؟ فقال له : يوجد رابى حييا وابناءه . فقرر رابى الصوم . ونزل عند رابى حييا وأبناءه ، قالوا: "مهب الريح" فتهب الريح. قالوا " منزل المطر " فينزل المطر . وعندما وصلوا للقول : فتهب الريح . قالوا " منزل المطر " فينزل المطر . وعندما وصلوا للقول : " محيى الموتى " . اهتز العالم . قالوا فى السماء : من كشف هذا السر لهذا العالم ؟ قالوا : الياهو . فأحضروا الياهو وجلدوه ستين جلدة بسوط من نار . فذهب وتمثل لهم فى هيئة دب من نار ، ودخل بينهم وأفزعهم ".

أما الحكاية الشفهية التى يقوم الرواة بحكايتها فهى على النحو التالى:

לְרַבֵּינוּ הַקָּדוֹשׁ רַבִּי יְהוּדָה הַנָּשִׂיא הָיָה אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא שָׁבִים לָבוֹא בְּעֶרֶב כָּל רֹאשׁ־חֹדֶשׁ לְבֵית הַמִּדְרָשׁ שֶׁל רַבִּי וּלְהַגִּיד לוֹ בְּמַה גָּזַר אֱלֹהִים עַל הָעוֹלָם בַּחֹדֶשׁ הַבָּא. פַּעַם אַחַת לֹא בָּא אֵלִיָּהוּ הַנָּבִיא בְּעֶרֶב רֹאשׁ הַחוֹדֶשׁ. הִמְתִּין רַבִּי יְהוּדָה הַנָּשִׂיא, הִמְתִּין וְהִמְתִּין, אֲבָל אֵינוֹ בָּא. תָּמַהּ:

=) وكان رابى "حييا" يشتغل كثيراً بالتدريس للأطفال ، وكان من تلاميذه " رابى هوشعيا ר' הושעיה רבה " الذى رتب " البريتا הברייתא" . أما رابى "حييا" فهو واضع " التوسفتا התוספתא". انظر : אוצר ישראל, חלק ד', עמ' 271 .

١) בבא מציעא, פה'. ב'.

"אוּלַי בִּצַּעְתִּי פֶּשַׁע ׀ אוֹלַי עָשִׂיתִי חֵטְא ׀ וְלָכֵן לֹא בָּא אֵלְיָהוּ הַנָּבִיא אֵלַי ׀ ".

וְאָז בְּבֹקֶר הַיּוֹם הַשֵּׁנִי בָּא אֵלָיו אֵלְיָהוּ הַנָּבִיא . אָמַר לוֹ רַבִּי יְהוּדָה : מִפְּנֵי מַה נִתְאַחֵר מֹר ? ... עֶרֶב רֹאשׁ כֹּל חוֹדֶשׁ אַתָּה בָּא וְעֶרֶב חֹדֶשׁ זֶה לֹא בָּאתָ ׀ וּכְבָר חָשַׁשְׁתִּי כִּי יֵשׁ חֵטְא מַה בִּי אוֹ פֶּשַׁע מַה ׃

אָמַר לוֹ אֵלְיָהוּ : חָלִילָה ׀ אֵינְךָ עוֹשֶׂה חֵטְא ׀ וְאֵין בְּךָ־פֶּשַׁע ׀ לֹא הִפְסַקְתִּי לָבוֹא אֵלֶיךָ אֶלָּא כִּי אָבוֹת הָעוֹלָם בִּקְּשׁוּ תְּפִלָּה בְּכָל יוֹם וְיוֹם הֵרִינִי מַעֲמִיד אֶת הָאָבוֹת מִקִּבְרֵיהֶם בְּמְעָרַת הַמַּכְפֵּלָה וְיוֹצֵק מַיִם עַל יְדֵיהֶם קֹדֶשׁ הַתְּפִלָּה וּמַמְתִּין לְכָל יָחִיד וְאֶחָד מֵהֶם עַד שֶׁמִּסַּיְּמִים תְּפִלָּתוֹ וּמַחֲזִירוֹ לִמְנוּחָתוֹ ׀ הִגַּשְׁתִּי אֶת הָעֻזָּה לְאַבְרָהָם ׀ קֹם מִמִּטָּתוֹ ׀ הֵבֵאתִי לוֹ מַיִם ׀ רָחַץ אֶת יָדָיו וְהִתְפַּלֵּל ׀ אַחֲרֵי כֵן הֶחֱזַרְתִּי אוֹתוֹ אֶל מִטָּתוֹ ׀ וְעָזַרְתִּי לְיִצְחָק ׀ קֹם מִמִּטָּתוֹ ׀ הִגַּשְׁתִּי לוֹ מַיִם לִרְחוֹץ יָדָיו ׀ הִתְפַּלֵּל ׀ וְהֶחֱזַרְתִּי אוֹתוֹ לְמִטָּתוֹ ׀ גַּם כֵּן עָשִׂיתִי לְיַעֲקֹב ׀ וְלֹא נִשְׁמַר לִי זְמַן לָבוֹא אֵצְלְךָ ׀

אָמַר לוֹ רַבִּי יְהוּדָה : לָמָּה הֶעֱמַדְתָּ כָּל אֶחָד לְחוֹד ? בִּיכוֹלְתְּךָ לְהַעֲמִיד אֶת שְׁלָשְׁתָּם לְהִתְפַּלֵּל יַחַד ׃

אָמַר לוֹ אֵלְיָהוּ : " אִם הִתְפַּלְּלוּ יַחַד ׀ אֶפְשָׁר שֶׁהַגְּאוּלָה תָּבוֹא וְלֹא הִגִּיעַ הַזְּמַן עוֹד ׀ יִשְׂרָאֵל לֹא עָשׂוּ מַעֲשִׂים טוֹבִים עַד יִהְיוּ רְאוּיִים לָבוֹא הַמְּשִׁיחַ ׃

אָמַר לוֹ : " וּבָעוֹלָם הַזֶּה יֵשׁ דּוּגְמָתָם אִם הִתְפַּלְּלוּ יַחַד בְּאַבְרָהָם וְיִצְחָק וְיַעֲקֹב יָבוֹאוּ בַּגְּאוּלָה ? ׃

אָמַר לוֹ: "כֵּן".

אָמַר לוֹ: מִי הֵם?

אָמַר לוֹ: "רבי מ"א ובניו, לְרַבִּי חִיָּא שְׁנֵי בָּנִים תּוֹאֲמִים: יְהוּדָה וְחִזְקִיָּה. אִם הִתְפַּלְּלוּ שְׁלוֹשָׁתָם, יָבוֹאוּ אֶת הַ־מָּשִׁיחַ. אִם הִתְפַּלֵּל רַבִּי חִיָּא בְּאֶמְצַע, יְהוּדָה עַל יָמִינוֹ וְחִזְקִיָּה עַל שְׂמֹאלוֹ, תָּבוֹא הַגְּאוּלָה".

שְׁתַק רַבִּי יְהוּדָה וְלֹא אָמַר דָּבָר;

וְהִנֵּה הִגִּיעַ זְמַן יְרִידַת הַגְּשָׁמִים וְלֹא יָרַד גֶּשֶׁם;

מִיָּד גָּזַר רַבִּי תַּעֲנִית־צִבּוּר וְהוֹרִיד אֶת רַבִּי חִיָּא וּבָנָיו לְהִתְפַּלֵּל לִפְנֵי הַתֵּבָה.

אָמַר רַבִּינוּ הַקָּדוֹשׁ: "רַבִּי חִיָּא, בּוֹא אַתָּה וּבָנֶיךָ הַתּוֹאֲמִים לְהִתְפַּלֵּל עַד יְרִידַת הַגֶּשֶׁם לְמַעֲנֵנוּ, הָעוֹלָם זָקוּק לַגֶּשֶׁם, כִּי אִם תָּבוֹא הַבְּצוֹרֶת אֵין אוֹכֶל, שְׁנַת הַבְּצוֹרֶת, הַ־שָּׁנָה הַזֹּאת".

אָמַר לוֹ: "טוֹב".

הִתְפַּלְּלוּ, וְהָיוּ סוֹדְרִים שְׁמוֹנֶה־עֶשְׂרֵה בְּרָכוֹת.

כְּיוֹן שֶׁאָמְרוּ: "מַשִּׁיב הָרוּחַ". מִיָּד נִשְׁבָּה הָרוּחַ, אָמְרוּ: "מוֹרִיד הַגֶּשֶׁם". וּמִיָּד הִתְחִילוּ גְּשָׁמִים יוֹרְדִים.

כְּיוֹן שֶׁהִגִּיעוּ לִבְרָכַת "מְחַיֵּה הַמֵּתִים", הִתְחִיל כָּל הָעוֹ־לָם כּוּלּוֹ רוֹגֵשׁ וְגוֹעֵשׁ וְנִתְעוֹרֵר כַּעַשׁ גָּדוֹל בָּרָקִיעַ.

אָמְרוּ בָּרָקִיעַ: מִי גָּלָה סוֹד כּוֹחַ תְּפִלָּתָם שֶׁל רַבִּי חִיָּא וּבָנָיו בָּעוֹלָם? אָמַר מִי שֶׁאָמַר: אֵלִיָּה גָּלָה אֶת הַסּוֹד.

אָמְרוּ: יֵגְאֵר עָלָיו לְהַלְקוֹת. מִיָּד הִלְקוֹהוּ בְּשֵׁבֶט שֶׁל אֵשׁ עַל גַּבּוֹ. הָלַהּ אֵלִיָּהוּ וְנִדְמָה לוֹ וְנִכְנָס בֵּין רַגְלָיו, הִרְגִּישׁ רַבִּי חִיָּא בְּאֵשׁ בֵּין רַגְלָיו. הִפְסִיק אֶת תְּפִלָּתוֹ וְלֹא גָּמַר אֶת הַבְּרָכָה וּמִיָּד חָזְרוּ הַמֵּתִים לִמְקוֹמָם! וְלֹא גַּם גָּ־מְרוּ אֶת הַבְּרָכָה לְהַבִּיאוּ לְהַחֲיָאַת הַמֵּתִים.(1)

---

1) עליזה שנהר, חיה בר־יצחק, סיפורי עם, מבית שאן, הוצאת אוניברסיטת חיפה, תשמ"א, עמ' 35.
אסע"י: ארכיון הספור העממי בישראל מס' 11283.

الترجمة : لمعلمنا المبجل رابى يهوذا هناسى كان إلياهو النبى معتاداً الحضور فى مساء كل أول شهر ليخبره بما قرره الله على العالم فى الشهر القادم . وذات مرة لم يحضر إلياهو النبى فى مساء أول الشهر . انتظر رابى هناسى ، انتظر وانتظر ، ولكنه لم يحضر ، اندهش وقال : " ربما اقترفت جرماً ؟ ربما فعلت إثماً ، ولذلك لم يأت إلياهو النبى ؟ "

وبعد ذلك فى صباح اليوم التالى جاء إليه الياهو النبى . وقال لرابى يهوذا : " لماذا تأخرت فى المجىء ؟ فأنت تحضر مساء كل أول شهر ، ومساء أول هذا الشهر لم تحضر ، وقد خشيت اننى اقترفت خطأ أو إثماً ما ". فقال له إلياهو النبى : " حاشا لله ، لم ترتكب أى خطأ أو إثماً ، فلم أتوقف عن المجىء إليك ، لأن آباء العالم أرادوا الصلاة ، وأنا يومياً أوقظ الآباء من قبورهم فى مغارة المكفيلة [1]، وأصب الماء على أيديهم قبل الصلاة ، وانتظر كل واحد منهم حتى يفرغ من صلاته ، ثم أعيده إلى مكانه المريح . فقدمت المساعدة لإبراهيم ، حيث قام من فراسه ، فأحضرت له الماء ، فغسل يدية وقام للصلاة ، بعد ذلك أعدته إلى فراشه ؛ ثم ساعدت إسحاق ، حيث قام من سريره ، فقدمت له الماء لغسل يديه ، ثم صلى ، وبعد ذلك أعدته إلى فراشه ؛ وكذلك فعلت مع يعقوب ، فلم يتبق لدى وقت لاحضر عندك " .

فقال رابى يهوذا : " لماذا خدمت كل واحد بمفرده ؟ فقد كان بمقدورك إيقاظ الثلاثة ليصلّوا معاً ".

---

١) מְעָרַת הַמַּכְפֵּלָה : مغارة المكفيلة : وهى المغارة التى تقع فى " حبرون חֶבְרוֹן " شرق المدينة (راجع التكوين ٢٣ : ١٩) وأما دلالة الاسم " مكفيلة " فهى غير واضحة . وحسب نصوص العهد القديم تقع المغارة فى حرم الخليل المحاط بسور يرجع إلى القرن الأول الميلادى تقريباً . وقد اشترى أبراهام هذه المغارة من " عفرون الحيثى " (راجع التكوين ٢٣) ، وهى المغارة التى دفنت فيها " سارة " ،وأبراهام وإسحاق ورفقة وليئة ويعقوب (راجع التكوين ٢٣ : ١٩ ؛ ٢٥ : ٩ ؛٤٩ : ٣١؛ ٣٩ : ٣١ ؛ ٣ : ١٣) وحسب الأجاداه دفن فيها أيضا آدم وحواء .
انظر : לפסיקון מקראי, עמ' 515.

فقال له إلياهو : " إذا أدوا الصلاة معاً ، يمكن أن يأتى الخلاص قبل أن يحن ميعاده ، فبنو إسرائيل لم يفعلوا أعمالاً طيبة بعد ، حتى يكونوا جديرين بمجيء المسيح " .

فقال له : " وهل يوجد فى عالمنا هذا مثيل لهم ، إذا صلوا معا كإبراهيم وإسحاق ويعقوب يأتون بالخلاص ؟ ".

قال له : " نعم "

قال : " من هم "؟

قال له : " رابى حييا وأبناه . فلرابى حييا ابنين توأمين : يهوذا وحزقيا ، وإذا صلوا الثلاثة معاً فانهم يأتون بالمسيح . فإذا صلى رابى حييا فى الوسط ،ويهوذا عن يمينه ، وحزقيا عن شماله ، يأتى الخلاص " .

فسكت رابى يهوذا ولم يقل شيئاً !

ثم بعد ذلك حان وقت الأمطار ولم يسقط مطر . ، وفى الحال أعلن رابى الصوم العام وأنزل رابى حييا وابناءه للصلاة أمام التابوت . حيث قال رابينو المقدس لرابى حييا : " احضر أنت وأبناك التوأمين للصلاة حتى يسقط المطر من أجلنا فالعلم يحتاج الى المطر، فهذه السنة هى سنة الجفاف ، وعندما يأتى الجفاف لانجد ماناكله ":

فقال له : " حسناً "

فقاموا لتأدية الصلاة . وأخذوا يرتلون ثمان عشرة بركة .

وحينما قالوا : " مسير الرياح " ، هبت على الفور ريح .

فقالوا منزل الأمطار " بدأت الامطار تسقط" .

وحينما وصلوا إلى بركة " محى الموتى " بدأ العالم كله يهتز ويرتعش ، وثارت رجفة عظيمة فى السماء .

فقالوا فى السماء : " من كشف سرقوة صلاة رابى حييا وابناه فى العالم "؟

قال من قال : " إلياهو كشف السر " .

قالوا : " يحكم عليه بالجلد"

على الفور ضربوه بسوط من نار على ظهره

فذهب الياهو عند رابى حييا ودخل بين أقدامه ،فشعر رابى حييا بالنار بين قدميه ، فتوقف عن الصلاة ولم يتم التسبيح ، وعلى الفور عاد الموتى لمكانهم .. ولو أتم التسبيح لأحى الموتى "(١)

وهكذا من خلال عرض الحكايتين يمكننا تحديد التغييرات الأسلوبية فى الحكاية الشفوية مقابل الحكاية التلمودية ، وهى تغييرات نتجت عن تحويل القصة المكتوبة إلى قصة شعبية ، والتى تتميز بالاتجاه إلى تقريب الأمور من أجل الوصول إلى الكمال والتمام ، وقد نجح الراوى فى الوصول إلى هدفه بواسطة ربط العناصر المختلفة التى تقوم عليها القصة التلمودية ، وبإتباع أسلوب المناظرة بين الحكايتين نجد ان المقصود فى الحكاية التلمودية : ان " إلياهو النبى " كان معتاداً المجىء إلى الحلقة الدراسية التى كان ينظمها " رابى" ، وذات مرة فى أول الشهر تأخر فى المجىء ؛ بينما الحكاية الشعبية تبدأ على النحو التالى : " فى كل أول شهر كان إلياهو النبى يتجلى " لرابى يهوذا هنّاسى " ليقص عليه ماذا قرر الله تبارك فى الشهر القادم " . هذا وبمقارنة الصيغتين ، نجد انه فى مقابل السلبية (اللافعالية) فى الحكاية التلمودية ، جاءت الإيجابية (الفعالية) فى تجلى إلياهو كل أول شهر ، بالإضافة إلى الحركة الدرامية الناتجة عن الاخبار بالمستقبل ؟ هذه الحركة الدرامية التى ازدادت سرعة بتساؤل الراوى : " لماذا تأخر السيد ؟ "، حيث أصبحت فى الحكاية الشعبية نموذجاً مصغراً جداً لحبكة درامية حول هذا المفهوم : " انتظر رابى يهوذا ، انتظر وانتظر ، لكنه لم يأت ،فاندهش وتسائل : ربما اقترفت جرماً ؟ ربما ارتكبت إثماً ، ولذلك لم يأت إلياهو النبى؟" كذلك نجد أيضاً إن كشف سر القوة العظمى لرابى حييا وابناه فى الحكاية التلمودية تقابل فى الحكاية الشعبية بكثير من الحركة الدرامية ، ففى الحكاية التلمودية يكشف إلياهو السر فور سؤال رابى يهوذا : " هل يوجد مثيلاً لهم فى عالمنا ؟ " ؛ بينما فى الحكاية الشعبية احتاجت الإجابة إلى ازدواج الحوار ،

---

١) وهناك قصة مشابهة فى " بابا متسيعا " أيضاً تتحدث عن إلياهو الذى أظهر لأحد الحكماء مركبات نارية يصعد عليها الصديقيون إلى المدرسة السماوية العليا ، حيث قال له : " من أجل هؤلاء جميعاً تستطيع النظر إلى هذه المركبات باستثناء مركبة رابى حييا ، ولكن هذا الحكيم لم يتمالك نفسه ونظر إلى مركبة رابى حيا ، فدخل البرق الملتهب للمركبة ، الى داخل عينيه ، فاحترقتا ، وعمى ...

بالإضافة إلى طابع الالتماس الذى توسل به " رابى يهوذا " إلى " إلياهو النبى " من أجل كشف السر ؛ وكذلك مقابل طابع الإيجاز للحكاية التلمودية ، نجد ان الحكاية الشعبية أكثر تفصيلاً للأمور ، وهو الأمر الذى يميز الحكايات الشعبية عامة ، ونجد ذلك فى وصف إيقاظ الآباء ، حيث توجد زيادة فى الأعمال وتكرارها مع كل واحد من الآباء ، وكذلك التفصيل فى الاخبار عن ابنا رابى حييا : يهوذا وحزقيا ؛ وفى الأسلوب المفضل لوقوفهما فى الصلاة ، هذا عن يمينه ، وهذا عن يساره ، والملاحظ إن معرفة أسماء الأبناء ناتجه كما يبدو عن معرفة الراوى لمصادر أخرى عن رابى يهوذا وابنا رابى حييا . كذلك أيضاً نجد إن الحكاية الشعبية أكثر تفصيلاً للجملة القصيرة التى وردت فى الحكاية التلمودية عن تقرير الصيام ، مع توافر أسس الافتتاحية التى تميز " قصص نزول الأمطار " ، حيث كانت مناشدة رابى حييا عن طريق الحديث المباشر مقابل الحديث غير المباشر فى القصة التلمودية ؛ أما الفقرات الخاصة بإحياء الموتى فهى أكثر تفصيلاً فى الحكاية الشعبية مما أدى إلى زيادة فى الحركة الدرامية للحكاية .

وعليه فإنه يمكننا القول : إنه فى حين إن الحركة الدرامية فى الحكاية التلمودية جاءت نتيجة لتقييدها ، فإن الحكاية الشعبية اتجهت إلى تفصيل الأمور ، وإلى الشرح والاستكمال ، فتحققت حركتها الدرامية بواسطة المبالغة فى تفصيل الأحداث ، وخلق مناخ للحوار ونهايته .

أما خاتمة الحكاية فيظهر فيها اختلافين واضحين :

(أ) فى الحكاية التلمودية تلقى الياهو ستين سوطاً نارياً ؛ بينما فى الحكاية الشعبية تلقى ضربة واحدة بسوط نارى على ظهره .

(ب) فى الحكاية التلمودية ظهر " إلياهو " " لرابى حييا " وابناه كدب من نار دخل بينهم وأزعجهم؛بينما فى الحكاية الشعبية دخل إلياهو بين قدمى " رابى حييا " الذى شعر بالنار فتوقف عن إتمام الصلاة .

أما عن الاختلاف من ستين ضربة نارية إلى ضربة واحدة ، فقد نتج تقريباً عن تباين الموقف المتشدد تجاه " إلياهو " فى الحكايتين ، فلاشك إن الحكاية التلمودية اتخذت موقفاً نقدياً متشدداً تجاه " إلياهو النبى " الذى لم يتذكر وكشف ماحرم عليه أن يكشفه ؛ أما الحكاية الشعبية فان جوهر العقوبة موجود ولكنه اقل تشدداً ، وربما يعود ذلك إلى ماجاء فى أول الحكاية عن حضور إلياهو كل أول شهر عند " رابى يهوذا " ليكشف له الأسرار (الخَوَّاف) ، وعليه يكون هناك قدر من الشرعية لكشف أخبار المستقبل قام على عدم وجود معارضة من السماء؛ هذا بالإضافة إلى إن " إلياهو النبى " لم يكشف شخصيات أصحاب القوة فى العالم الأرضى ، فور سماعه طلب " رابى يهوذا " ، ولكن بعد توسل " رابى يهوذا " له ، من أجل كشف السر ، ولذلك كانت عقوبة " إلياهو النبى " فى الحكاية الشعبية أقل من مثيلتها فى الحكاية التلمودية .

أما رد فعل " إلياهو النبى "، وعمله من أجل إيقاف صلاة رابى حييا ، فقد أخذ تعبيراً غريباً فى الحكاية الشعبية على التفكير والتأمل ، فهو لم ينقلب إلى دب نارى كما فى الحكاية التلمودية ، بل انقلب بذاته إلى كيان نارى ، دخل بين أقدام رابى حييا ... ولاشك إن هذا التحول يرتبط بالمفهوم العام للحكاية الشعبية تجاه نقض العهد من جانب البشر ، والذى اعتمد على موقف إلياهو منه ، وحيث إن موضع الختان تم ادراكه قبل ذلك فى العهد القديم وعند الشعوب القديمة ، كمكان لتوثيق العهد والقسم ، كما ورد فى سفر التكوين :

"וַיֹּאמֶר אַבְרָהָם אֶל-עַבְדּוֹ זְקַן בֵּיתוֹ הַמֹּשֵׁל בְּכָל-אֲשֶׁר-לוֹ שִׂים-נָא יָדְךָ תַּחַת יְרֵכִי, וְאַשְׁבִּיעֲךָ בַּיהוָה.."

"وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المسئول عن كل ماله : ضع يدك تحت فخذى فاستحلفك بالرب ..."[1] ولذلك ترسخ هذا المفوم الدينى لهذا المكان ، فى الفكر الدينى الاسرائيلى ، حيث أصبح هذا المكان يذكر بالعهد المقدس بين كل إسرائيلى وإلهه ، وعليه يحتمل إن الاعتقاد الشعبى عن ظهور إلياهو فى كل حفل ختان (كرسى إلياهو) قد ارتبط فى مخيلة الراوى الشعبى وامتزج بأفكاره وخواطره ،

---

١) التكوين ٢٤ : ٢ - ٣

فخلق هذا الربط ، الذى يبرز فى خاتمة الحكاية ، بين موضع إيشاق العهد ودخول " إلياهو النبى " الذى تحول إلى كيان نارى ، بين أقدام رابى حييا[١] .

وهكذا بعد عرضنا للاختلافات التى نتجت من تحويل القصة المكتوبة إلى حكاية شعبية شفهية ، يمكننا القول انه رغم كل هذه الاختلافات فان الموتيفات الرئيسية التى تدور حول شخصية إلياهو النبى تظل ثابتة لا تتغير ، ولذلك فسوف نكتفى بما جاء عن إلياهو النبى فى فترة التلمود ، وهى الفترة التى شهدت أعظم وأخصب نشاط فلكلورى لشخصيته .

أولاً : إلياهو النبى مع التنائيم والأمورائيم :

ان الموتيفات الرئيسية فى حكايات " إلياهو النبى " مع التنائيم والأمورائيم تكاد تكون واضحة تماما ، فجميعها تقريبا تبرزه منتقداً ومدافعاً ومديقاً ، وناصحاً ، يفرد أجنحته على الصديقين ، وعلى الحسيديم[٢] ، يقف بجانبهم

---

١) סיפורי-עם מבית שאן, עמ' 32 - 39.

٢) الحسيديم (أو الحسيدوت חֲסִידוּת) : حركة دينية صوفية فى أقاليم بولندا الجنوبية فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، وانتشرت منها إلى وسط بولندا وروسيا البيضاء والمجر ورومانيا حتى أصبحت عقيدة الأغلبية من الجماهير اليهودية فى شرق أوربا بحلول عام ١٨١٥ . وكلمة " حسيديم חֲסִידִים " كلمة عبرية مشتقة من كلمة " حسيد חסיד " التى تعنى الفرد المنضم إلى هذه الحركة ، واستعملت كلمة " حسيد " فى العهد القديم بمعنى " التقى أو الورع " أو بمعنى " الرؤوف " (عندما يوصف بها الرب) . وأطلقت هذه الكلمة فى أسفار " المكابيين " على اليهود الذين اشتركوا مع المكابيين فى ثورتهم ضد الحاكم الرومانى " أنتيوخوس الرابع"، وكان هؤلاء اليهود متحمسين بدرجة كبيرة لدينهم ... ويعد " إسرائيل بن اليعازر " الذى كان يدعى " بعل شيم طوف " اى " صاحب الاسم الطيب " هو مؤسس حركة " الحسيديم " ، وقد ولد عام ١٧٠٠وتوفى ١٧٦٠ م ، وكان متحمساً للأفكار الصوفية اليهودية ، ضاق ذرعاً بأفكار اليهود الربانيين التى تتسم بالعقلانية والجفاف . والحركة الحسيدية لم تأت بجديد فى الفكر الدينى ولا الفلسفى اليهودى ، فهى حركة تنبع جذورها من الحلولية اليهودية التقليدية بمزجها بين الشعب والله ، وتأكيدها لتقاليد النبوة "المفتوحة" وإن كانت الحسيدية قد وصلت ببعض هذه المفاهيم إلى نتيجتها المنطقية، وأحد المفاهيم الحلولية الأساسية فى اليهودية الحاخامية يؤكد إن الله ==

فى أوقات الشدة والضيق ، لايتقيد بمكان أو زمان ، فبإمكانه التحليق فى أرجاء المعمورة الأربعة من أقصى الدنيا إلى أقصاها[١]. ولذلك لايوجد مكان فى العالم ، مهما بعد ، لايصل إليه لتقديم المعونة ، وهو كملك من الملائكة باستطاعته أن يخلع عنه هيئته ويتقمص هيئة جديدة ملائمة له ، ولمهمته المؤقته وفقاً لما تقتضيه ظروف المكان والزمان ، فأحياناً يظهر فى هيئة " إنسان بسيط " أو فى هيئة " عربى " ، وأحيانا أخرى فى هيئة " فارس يمتطى فرسه " ، أو " واحد من وجهاء روما ، ويحتمل أيضاً ظهوره فى هيئة " زانية "[٢]، وحتى نتجنب تكرار الموتيفات الكثيرة فى الحكايات عن إلياهو ، فإنه يمكننا بعرض القليل من هذه الحكايات ، الوقوف على معظم الموتيفات التى تتضمنها شخصية إلياهو الفولكلورى.[٣]

=) موجود فى كل شئ ... والقول"بان الله هو كل شئ يختلف عن الصيغة الإسلامية القائلة بان الله خلق كل شئ ، فالمقولة الأولى تفترض التوحد بين الخالق والمخلوق ، والثانية تفترض الانفصال .
انظر : الفولكلور والإسرائيليات . ص ١٦٩
- موسوقة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٦٩ .

١) قارن ברכות ד.ב ، זוהר : ח"א , יג , א حيث يذكر ان " ميكائيل " يحلق من أقصى الدنيا إلى أقصاها فى رحلة واحدة ،و"جبرائيل" فى رحلتين ، وإلياهو فى أربعة ، وملك الموت فى ثمانية وفى وقت الوباء فى رحلة واحدة "

٢) وعن مقدرة الملائكة فى تقمص كل أنواع الصور والهيئات .
انظر : אגדות היהודים , חלק א' ד' הערה 63 , עמ' 195 ، الذى يشير إلى إن المَلَك لايظهر أبداً فى هيئة امرأة ، ولكن " إلياهو " أعظم من الملائكة ، ولذلك ظهر مرة واحدة على الأقل فى هيئة امرأة زانية .
قارن : מסכת עבודה זרה , יח , ב .

٣) אגדות היהודים , פרק ג' , עמ' 15 .
وانظر أيضاً :
The Prophet Elijah in the Development of Judaism, P. 137.

(أ) حكاية إلياهو مع ناحوم رجل جمزو[1] :

פַּעַם אַחַת בִּקְּשׁוּ יִשְׂרָאֵל לִשְׁלֹחַ דּוּרוֹן לַקֵּיסָר. אָמְרוּ: מִי יֵלֵךְ לָ־
נוּ? - יֵלֵךְ נַחוּם אִישׁ גַּם זוּ, שֶׁמִּלְמֵד הוּא בִּנְסִים. שָׁלְחוּ בְּיָ־
דוֹ אַרְגָּז מָלֵא אֲבָנִים טוֹבוֹת וּמַרְגָּלִיּוֹת. בְּדַרְכּוֹ לְרוֹמָא לָן
נַחוּם לַיְלָה אֶחָד בְּמָלוֹן אֶחָד. עָמְדוּ בַּעֲלֵי הַמָּלוֹן וְהֵרִיקוּ אֶת
הָאַרְגָּז כֻּלּוֹ הָאֲבָנִים הַטּוֹבוֹת וְהַמַּרְגָּלִיּוֹת שֶׁבּוֹ וּמִלְאוּהוּ עָ־
פָר. וְנַחוּם לֹא יָדַע דָּבָר. כְּשֶׁהֵבִיא אֶת הָאַרְגָּז לַקֵּיסָר, פְּתָחוּהוּ
וּמְצָאוּהוּ מָלֵא עָפָר, בִּקֵּשׁ הַמֶּלֶךְ לְהָרְגוֹ. אָמַר: הַיְהוּדִים הֵ־
לָלוּ תַּלְגְּלִגִּים בִּי, שֶׁשּׁוֹלְחִים לִי דּוּרוֹן שֶׁל עָפָר. שָׁמַע נַחוּם
וְאָמַר: גַּם זוּ לְטוֹבָה. מִיָּד בָּא אֵלָיו בְּדִמּוּת אֶחָד מְשָׁרֵי רוֹ־
מִי וְאָמַר לוֹ לַקֵּיסָר: אֶפְשָׁר וְעָפָר זֶה הוּא מֵאוֹתוֹ עָפָר שֶׁהִ־
שְׁתַּמֵּשׁ בּוֹ אַבְרָהָם אָבִיהֶם בְּמִלְחֲמוֹתָיו, שֶׁהָיָה מַשְׁלִיךְ אֶל
אוֹיְבָיו עָפָר וְנַעֲשָׂה חֲרָבוֹת, קֶשֶׁת וְנַעֲשָׂה קְשָׁתוֹת וְחִצִּים. הָיְ־
תָה שָׁם עִיר אַחַת שֶׁלֹּא הָיוּ יְכוֹלִים לְכָבְשָׁהּ, בָּדְקוּ בָּהּ אֶת
הֶעָפָר וּכְבָשׁוּהָ. הִכְנִיסוּ לְנַחוּם אִישׁ גַּם זוּ לְגִנְזֵי הַמֶּלֶךְ וּמִ־
לְאוּ לוֹ אַרְגָּז בַּאֲבָנִים טוֹבוֹת וּמַרְגָּלִיּוֹת בְּכָבוֹד גָּדוֹל. בְּדַר־
כּוֹ לְבֵיתוֹ חָזַר וְלָן בְּאוֹתוֹ מָלוֹן. אָמְרוּ לוֹ בַּעֲלֵי הַמָּלוֹן:
מַה מַּתָּנָה הוֹבַלְתָּ לַקֵּיסָר שֶׁעָשׂוּ לְךָ כָּבוֹד גָּדוֹל כָּזֶה?

---

١) التعبير " גַּם זוּ לטובה " " أيضاً هذا حسن " ، والذى كان محبوباً عند حكماء التلمود ، ينسب إلى ناحوم رجل جمزو ، حيث كان معتاداً القول عن كل أمر وأمر : " أيضا هذا حسن " ، وربما أطلق عليه هذا القلب " אִישׁ גַּם זוּ " لأنه كان من مواليد مدينة " جمزو " التى فى الجليل .

אָמַר לָהֶם : מַה שֶּׁנִּטַּלְתִּי מִכָּאן הֵבֵאתִי לְשָׁם. עָמְדוּ וְסָתְרוּ
אֶת בֵּיתָם וְהֵבִיאוּ כָּל עֲפָרוֹ לַקֵּיסָר. אָמְרוּ לוֹ : אוֹתוֹ עָפָר
שֶׁהֵבֵיא לְךָ אוֹתוֹ הַיְּהוּדִי מֵעָפָר זֶה שֶׁלָּנוּ הָיָה . בָּדְקוּ
עֲפָרָם וְלֹא עָמַד בַּמִּבְחָן . גָּזְרוּ עֲלֵיהֶם מִיתָה וְהָרָגוּם.
לְלַמֶּדְךָ שֶׁאֵין אֵלֵיהוּ נוֹתֵן יָדוֹ לַפּוֹשְׁעִים אֶלָּא לַצַּדִּיקִים בְּלִבַּד. (١)

يحكى أن الطائفة اليهودية أرادت إرسال هدية إلى القيصر . وتم التشاور فى شخص الرجل الذى يذهب بها إليه . حتى اختاروا " ناحوم رجل جمزو " لأن له تجارب بالمعجزات ، فأرسلوا معه صندوقاً مليئاً بالحجارة الكريمة واللؤلؤ... وفى الطريق إلى روما نام ناحوم ليلة فى أحد الفنادق ... قام أصحاب الفندق بسرقة محتويات الصندوق من الحجارة الكريمة واللؤلؤ، واستبدلوها بالتراب ... ولم يدر ناحوم شيئاً مما حدث . وعندما أحضر الصندوق ووضعه أمام القيصر ، فتحوا الصندوق ووجدوه مليئاً بالتراب ، أمر الملك بقتله ، وقال : هؤلاء اليهود يسخرون منى بإرسالهم هذه الهدية من التراب ..رضخ ناحوم لأمر قتله وقال " هذا أيضاً حسن " ... فى الحال حضر " إلياهو " فى هيئة أحد وزراء روما ، وقال للقيصر : يحتمل إن هذا التراب من نفس التراب الذى استخدمه أبراهام أبوهم فى حروبه ، حيث كان يرمى أعداءه بالتراب ، فيصير التراب حراباً ، ويرميهم بالتبن فيصير التبن أقواساً وسهاماً ... وكانت هناك مدينة لم يستطع (جنود القيصر) احتلالها ، فجربوا معها هذا التراب ، ونجحوا فى احتلالها،ومن ثم فقد أدخلوا " ناحوم جمزو " إلى حجرة كنوز الملك ، وملأوا له حقيبته بالأحجار الكريمة واللآلئ ، وودعوه فى تكريم عظيم ... وفى طريق عودته إلى منزله ، نام فى نفس الفندق .. قال له أصحاب الفندق : ماهى الهدية التى قدمتها للقيصر حتى كرموك كل هذا الكرم العظيم ؟ قال لهم : ما أخذته من هنا أحضرته إلى هناك ... فقام أصحاب الفندق وهدموا منزلهم ، وأحضروا ترابه ووضعوه أمام القيصر ،وقالوا له : التراب الذى أحضره لك اليهودى ، كان من ترابنا هذا،ولكن عندما قاموا باختبار ترابهم ولم ينجح فى الاختبار ، حكم عليهم بالموت ، ونفذوا فيهم حكم الإعدام .. هذا لتعلم إن الياهو لايمد يد المساعدة للمجرمين ، وإنما للصادقين فقط " .

---

١) מסכת תענית כא. א ; وقارن : סנהדרין, קח. ב.

(ב)- וּמַעֲשֶׂה בְּרַב שִׁילָא שֶׁחִיֵּב מַלְקוּת אָדָם אֶחָד שֶׁבָּעַל אַרְמִית. הָלַךְ אוֹתוֹ הָאִישׁ וְהִלְשִׁינוֹ לְמֶלֶךְ פָּרַס. אָמַר לוֹ: יֵשׁ אִישׁ יְהוּדִי אֶחָד הַדָּן דִּינִים בְּלֹא נְטִילַת רְשׁוּת מֵאֵת אֲדוֹנֵנוּ הַמֶּלֶךְ. שָׁלַח הַמֶּלֶךְ וְהֵבִיאוּ לְפָנָיו אֶת רַב שִׁילָא לְדִין. אָמַר לוֹ הַמֶּלֶךְ: מִפְּנֵי מָה הִלְקִיתָ אֶת הָאִישׁ הַזֶּה. אָמַר לוֹ: מִפְּנֵי שֶׁבָּא עַל חֲמוֹר. אָמַר לוֹ: יֵשׁ לְךָ עֵדִים שֶׁכָּךְ הָיָה מַעֲשֶׂה? מִיָּד בָּא אֵלָיָהוּ וְדָמָה כְּאֶחָד מִגְּדוֹלֵי פָּרַס וְהֵעִיד כְּדִבְרֵי רַב שִׁילָא, וְיָצָא רַב שִׁילָא זַכַּאי בְּדִינוֹ.(1)

(ב) וحكاية "راب شيلا"(2) الذى أصدر حكماً بجلد رجل تزوج من آرامية .فذهب هذا الرجل وواشاه عند ملك فارس . وقال له : يوجد رجل يهودى يصدر أحكاماً بدون أخذ أذن من سيدى الملك . فأرسل الملك لإحضار راب شيلا من أجل المثول أمام القضاء ...

قال له الملك : لماذا جلدت هذا الرجل ؟ فقال له : لأنه أضطجع مع حمار! فقال له : هل لديك شهود على ذلك ؟ .. وفى الحال جاء إليَاهو وتقمص هيئة أحد عظماء فارس ، وشهد حسب كلمات راب شيلا ، فصدر الحكم ببراءة راب شيلا.

---

١) מסכת ברכות, נח. א.

٢) راب شيلا : من الحكماء الذين لم يعرف تسجيلهم الحقيقى فى الأدب التلمودى حيث عاصر الجيل الأخير من " التنائيم " ، بعد مضى فترة من تأسيس مدارس بابل ، ولكن على الرغم من المادة التاريخية القليلة التى تتحدث عنه ، إلا انه يتضح لنا ان " راب شيلا " كان عظيماً فى علوم التوراة وزعيماً فى جيله ، ولذلك ترأس مدرسة التوراة فى " نهر ديعا " وقد كان لأقواله صدى عظيم فى فلسطين أيضاً ، فقد ذكر فى التلمود الأورشليمى " רבנן דקיסרין בשם רבי שילא " - باسم معلمنا الذى فى قيسرين رابى شيلا " (מסכת מכות, פ"ב, סוף ה"ו).

انظر : אברהם משה נפתל : התלמוד ויוצריו, כרך ב' הוצאת יבנה בע"מ, תל אביב תשל"ו 1976, עמ' 60-61.

(ج) כְּשֶׁרָדְפוּ בַּלָּשֵׁי רוֹמִי אַחֲרֵי רַבִּי מֵאִיר חָקְקוּ דְּמוּתוֹ עַל פִּתְחֵי בֵּית הַמִּשְׁפָּט, אָמְרוּ: מִי שֶׁיִּרְאֶה בַּעַל זוֹ יִתְפְּשֶׂהוּ וְיָבִיאֵהוּ לַמִּשְׁפָּט. פַּעַם אַחַת רָאוּהוּ בַּלָּשֵׁי הַמַּלְכוּת וְהָיוּ רוֹדְפִים אַחֲרָיו לְתָפְשׂוֹ. מִיָּד הוֹפִיעַ אֵלְיָהוּ בְּדְמוּת זוֹנָה יְדוּעָה לָהֶם וְחִבְּקַתּוּ וְנִשָּׁקַתּוּ לְרַבִּי מֵאִיר. כֵּיוָן שֶׁרָאוּ הַבַּלָּשִׁים כָּךְ, אָמְרוּ: חַס וְשָׁלוֹם שֶׁזֹּאת רַבִּי מֵאִיר, וְנִמְנְעוּ מִלִּרְדֹּף אַחֲרָיו.(١)

(ج) " وحكاية رابى مئير(٢) عندما كان جنود روما يطاردونه ، ثم وضعوا صورته على أبواب المحكمة (فى إعلان) ذكروا فيه : من يرى صاحب هذه الصورة يقبض عليه ، ويحضره إلى المحكمة . وذات مرة رآه جنود المملكة ، فطاردوه ، حتى تمكنوا من القبض عليه . وفى الحال ظهر " إلياهو النبى " فى هيئة امرأة زانية معروفة لهم ، أخذت تحتضن وتقبل " رابى مئير " ، وعندما رأى الجنود ذلك ، قالوا : حاشا لله . أهذا " رابى مئير " ، فتركوه وتوقفوا عن مطاردته "(٣).

---

١) מסכת עבודה זרה, יז, ב.

٢) رابى مئير : أحد تلاميذ " رابى عقيبا " ، المشهود لهم بالتقوى والورع ، وتذكر دائرة المعارف اليهودية أنه لايعرف نسبه على وجه التحقيق ، ولا أين ولد ومن هو والده ، ويقال إن اسمه الحقيقى " ميسيا " - أما التلمود فيذكر إن سبب تسميته بهذا الاسم هو " لأنه كان ينير أعين الحكماء بالهلاخاه " ، وفى عصره نظمت الهلاخاه والأجاداه على يديه ، ولكنه كان يهتم كثيراً بالهلاخاه . ويرد باستمرار " إن الهلاخاه هى أساس التوراة الشفوية " .
انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ٣٩ .

٣) وهناك حكاية أخرى يتشابه موتيفها مع موتيف هذه الحكاية ، وهى حكاية "إلياهو النبى" مع "اليعازر بن فرطا" : الذى ظهر له إلياهو فى هيئة موظف كبير من أجل منع المدعين عن النطق بالحكم ، وعندما لم يتمكن من ذلك استخدم إلياهو وسائل إنقاذ أخرى ، فقام باخفاء رابى اليعازر عن العيون، أما رابى اليعازر فقد وجد نفسه بعيداً فجأة عن مكان المحكمة بمسافة ٤٠٠ فرسخ تقريباً .
انظر : מסכת עבודה זרה, יז, ב.

ومرات عديدة يظهر " إلياهو النبى " ليساعد الفقراء وينقذ الحسيديم والمحسنين ، حيث كان غالباً مايقدم لهم الثروة العظيمة ، ويبشرهم بالأخبار الجميلة ، مثلما جاء إلى " رابى شمعون بن يوحاى שמעון בן יוחאי[1] ، الذى كان معاصراً وزميلاً " لرابى مئير " ، وذلك ليبشره بموت القيصر وبطلان حكم الإعدام الصادر ضده ، بعد اختباءه ١٢ عاماً فى إحدى المغارات[2] .

(د) רַב הַהֲנָא שְׁהָיָה עָנִי מָרוּד וְהָיָה מְחַזֵּר עַל הַפְּתָחִים וּמוֹכֵר סַלִּי נְשִׁים לְנָשִׁים. פַּעַם אַחַת תְּבָעַתּוּ מַטְרוֹנָה אַחַת לִדְבַר עֲבֵרָה. אָמַר לָהּ : הַמְתִּינִי לִי עַד שֶׁאֵלֵךְ וְאֶתְקַשֵּׁט. הָלַךְ וְעָלָה עַל הַגַּג וְהִפִּיל עַצְמוֹ מִמֶּנּוּ. בָּא אֵלִיָּהוּ וְקִבְּלוֹ לְיָדָיו שֶׁלֹּא יִפֹּל לָאָרֶץ. אָמַר לוֹ אֵלִיָּהוּ לְרַב הַהֲנָא : הָיִיתִי רָחוֹק מִכָּאן אַרְבַּע מֵאוֹת פַּרְסָה וְהִטְרַחְתַּנִי לָבוֹא לְהַצִּילְךָ. אָמַר לוֹ רַב הַהֲנָא : וְכִי מָה גָּרַם לִי לְהִתְעַסֵּק בְּפַרְנָסָה זוֹ, לֹא עָנִי וּמְרוּדִי ? נָתַן לוֹ אֵלִיָּהוּ כְּלִי מָלֵא דִינָרֵי זָהָב וְהֶעֱשִׁיר.

(د) " وحكاية راب كهنا[4] الذى كان يعانى من فقر شديد ، وكان يتردد على

---

١) شمعون بن يوحاى : تنائى من الجيل الثانى ، بعد الخراب ، وينسب إليه كتاب " الزوهار " . ولد فى فلسطين بالجليل بعد ثورة بركوخبا . ويكنى فى البريتا وفى الجمارا برابى شمعون بن يوحاى أو " ר"ש בן יוחאי " أو " ר"ש " فقط . وفى المشنا أطلق عليه " רבי שמעון " وكان تلميذاً بارزاً " لرابى عنان " ودرس عنده ١٣ سنة فى " بنى براق " . ومن مصدر آخر يبدو أن " رابى شمعون " درس فى بينه عند " ربان جمليئيل الثانى " ، وهو التلميذ الذى سأل: هل صلاة المساء فرض أم واجب؟، وكان ذلك سبب الخلاف الذى نشأ بين ربان جمليئيل ورابى يهوشع بن حنانيا .
انظر : אוצר ישראל , חלק י' , עמ' 180 .

٢) שבת לג.ב ; איש שלום فى مقدمته J" סדר אליהו זוטא . וינה 1900 , עמ' 34 — 40 . وفى كتاب " الزوهار זוהר " تم ذكر كل الأماكن التى التقى فيها إلياهو مع حكماء التلمود .

٣) מסכת קידושין , מ.א .

٤) راب كهنا : من الجيل الأول للأمورائيم الذين عاشوا فى فلسطين بعد موت " رابى يهودا هنّاسى " ،ويسميه " رابى شريرا " :" רב כהנא קמא " أى " راب كهنا الأول " تمييزاً له عن حكماء آخرين يحملون نفس الاسم ، وعاشوا فى العصور التالية ... وقد هاجر " راب كهنا " إلى فلسطين وهو ==

البيوت لبيع السلال للنساء . وحرة طلبت منه امرأة من طبقة اجتماعية رفيعة ، اقتراف الخطيئة معها ، فقال لها : انتظريني حتى أذهب وأتزين ... ثم ذهب وصعد إلى السطح ، وهم بإلقاء نفسه من هناك . على الفور جاء " إلياهو" وتلقاه على يديه حتى لايسقط على الأرض . وقال له :كنت بعيداً عنك بمسافة أربعمائة فرسخ ، واتعبتني في المجيء إليك لانقاذك . قال له راب كهنا : ولكن ما السبب في اشتغالي بهذا العمل ، أليس لأنني فقير جداً ؟ ، وعندما سمع إلياهو ذلك أعطاه حقيبة مليئة بقطع الذهب.فأصبح غنيا ".

(هـ)- حكاية رابا بن آباهو:

וּמַעֲשֶׂה בְּרַבָּה בַּר אַבָּהוּ שֶׁפָּגַע בְּאֵלִיָּהוּ. אָמַר לוֹ אֵלִיָּהוּ לְרַבָּה: מִפְּנֵי מָה אֵין מַר שׁוֹנֶה סֵדֶר טְהָרוֹת. אָמַר לוֹ: מִפְּנֵי שֶׁהַשָּׁעָה דְּחוּקָה לִי וְאֵין עִתּוֹתַי בְּיָדִי לִלְמֹד כָּל צָרְכִּי. נִטְלוֹ אֵלִיָּהוּ בְּיָדוֹ וְהִכְנִיסוֹ לְגַן־עֵדֶן וְאָמַר לוֹ: פְּשׁוֹט גְּלִימָתְךָ וּטוֹל מִן הָעֵלִים הָאֵלֶּה שֶׁנָּשְׁרוּ מִפְּרִחֵי הַגָּן. עָשָׂה רַבָּה כָּךְ. כְּשֶׁעָמַד לָצֵאת מִשָּׁם עִם מְלֹא הָעֵלִים בִּגְלִימָתוֹ, שָׁמַע קוֹל הַמַּכְרִיז וְאוֹמֵר: מִי הוּא זֶה שֶׁאוֹכֵל בָּעוֹלָם הַזֶּה אֶת חֶלְקוֹ לָעוֹלָם הַבָּא כְּרַבָּה בַּר אַבָּהוּ? מִיָּד נִפְנַף גְּלִימָתוֹ וְהֶחֱזִיר הָעֵלִים לִמְקוֹמָם. וַאֲפִלּוּ כֵּן קָלְטָה גְּלִימָתוֹ רֵיחֵי גַן־עֵדֶן מִן הָעֵלִים עַד שֶׁמְּכָרָהּ בִּתְרֵיסַר אֶלֶף זוּזִים.(١)

=) شيخ مسن ، وقد زامل هناك ابنا " رابى حييا " : " يهودا وحزقيا " ،وزامل أيضاً " رابى شمعون بن رابى يهودا هنّاسى " ، وقد قيل فى التلمود :" كان " رابى يوحنان " " ورابى شمعون بن لقيش يجلسان ويتدارسان ، فمر عليهما " كهنا " . فقالا : هذا رجل عظيم لنسأله . فجاءوا لسؤاله "
(راجع ירושלמי, ראש השנה, פרק ד', הלכה א'.
هذا وربما كان " راب كهنا " كاهناً (راجع ירושלמי, שבת, פרק ו' הלכה ב')وباستثناء ذلك لم نجد فى المصادر التلمودية أية أخبار عن ميلاده أو شخصيته أو أفراد أسرته .
انظر : אברהם משה נפתל, דורת האמוראים, כרך ב' עמ' 65-67.

١) מסכת בבא מציעה, קיד, א-ב.

(هـ) " وحكاية رابان آباهو " حينما التقى به إلياهو ، وقال له : لماذا لايفسر السيد باب الطهارة ؟ فقال له : لأننى أعيش فى ضائقة وليس لدى متسعاً من الوقت لدراسة ما أحتاجه . ، فأخذه إلياهو وأدخله جنة عدن وقال له : اخلع عباءتك وخذ من هذه الأوراق التى تساقطت من زهور الحديقة . ففعل " رابا " ذلك . وعندما هم بالخروج بعباءته المليئة بأوراق الشجر سمع صوتاً يناديه قائلاً : من الذى يأكل نصيبه فى العالم الآخر (الجنّة) " كرابا بن آباهو "؟ على الفور هز عباءته وأعاد الأوراق إلى مكانها ، وعندئذ اكتسبت عباءته روائح جنّة عدن بسبب هذه الأوراق . فقدر له بيعها بـ ١٢ ألف قطعة ذهبية ".

(ו) - שׁוּב מַעֲשֶׂה בְּאֶחָד שֶׁיָּרַד מִנְּכָסָיו. וְהָיְתָה לוֹ אִשָּׁה כְּשֵׁרָה. לְבַסּוֹף נַעֲשָׂה שָׁכִיר. פַּעַם אַחַת הָיָה חוֹרֵשׁ בַּשָּׂדֶה, נִזְדַּמֵּן לוֹ אֵלִיָּהוּ בְּדִמּוּת עַרְבִי אֶחָד, אָמַר לוֹ: יֵשׁ לְךָ שְׁבַע שָׁנִים טוֹבוֹת, אֵימָתַי אַתָּה מְבַקֵּשׁ אוֹתָן - עַכְשָׁיו, אוֹ בְּסוֹף יָמֶיךָ? אָמַר לוֹ: קוֹסֵם אַתָּה? אֵין לִי מַה לִּתֵּן לְךָ, אֶלָּא הִפָּטֵר מֵעָלַי לְשָׁלוֹם. וְחָזַר אֶצְלוֹ אֵלִיָּהוּ עַד שָׁלֹשׁ פְּעָמִים. פַּעַם שְׁלִישִׁית אָמַר לוֹ: אֵלֶךְ וְאִמָּלֵךְ בְּאִשְׁתִּי. מֶה עָשָׂה? הָלַךְ לוֹ אֵצֶל אִשְׁתּוֹ וְאָמַר לָהּ: בָּא אֶחָד אֵלַי וְהִטְרִיחַ עָלַי עַד שָׁלֹשׁ פְּעָמִים, וְאָמַר לִי, יֵשׁ לְךָ שְׁבַע שָׁנִים טוֹבוֹת, אֵימָתַי אַתָּה מְבַקֵּשׁ אוֹתָן, עַכְשָׁו אוֹ בְּסוֹף יָמֶיךָ. אָמְרָה לוֹ: אֱמוֹר לוֹ, הֵבִיא אוֹתָן הַיּוֹם. חָזַר אֶצְלוֹ וְאָמַר לוֹ: הָבֵא אוֹתָן עַכְשָׁו. אָמַר לוֹ אֵלִיָּהוּ: לֵךְ לְבֵיתְךָ וְאֵינְךָ מַגִּיעַ לְשַׁעַר חֲצֵרְךָ עַד שֶׁתִּרְאֶה בְּרָכָה פְּרוּשָׂה בַּבַּיִת. וְהָיוּ יוֹשְׁבִים בָּנָיו לַחְפֹּר בְּיָדָם עָפָר וּמָצְאוּ מַטְמוֹן שֶׁהָיָה בּוֹ כְּדֵי שְׁיוּרוֹנוֹ שֶׁבַע שָׁנִים, וּבָאוּ וְקָרְאוּ לְאִמָּם. הָלַךְ הָאִישׁ לְבֵיתוֹ, לֹא הִגִּיעַ לַשַּׁעַר עַד שֶׁיָּצְאָה אִשְׁתּוֹ לִקְרָאתוֹ וּבִשְּׂרָה לוֹ. מִיָּד הוֹדָה לְהַקָּדוֹשׁ-בָּרוּךְ-הוּא וְנָתָה דַּעְתּוֹ עָלָיו. מֶה עָשְׂתָה אִשְׁתּוֹ הַכְּשֵׁרָה? אָמְרָה לוֹ: אָנוּ בְּכָל מָקוֹם כְּבָר מוּשָׁךְ הַקָּדוֹשׁ-בָּרוּךְ-הוּא עָלֵינוּ חוּט שֶׁל חֶסֶד וְנָתַן לָנוּ לִשְׁבַע שָׁנִים, אֶלָּא בּוֹא -

נַעֲסוֹק בִּגְמִילוּת חֲסָדִים בְּשֶׁבַע שָׁנִים הַלָּלוּ, שֶׁמָּא מוֹסִיף־
לָנוּ הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא טוֹבָה מֵאֶצְלוֹ. וְכֵן עָשְׂתָה. לִבְסוֹף
שֶׁבַע שָׁנִים בָּא לוֹ אֵלָיהוּ וְאָמַר לוֹ: כְּבָר הִגִּיעָה שָׁעָה לִטֹּל
מַה שֶּׁנָּתַתִּי לָךְ. אָמַר לוֹ: כְּשֶׁנָּטַלְתִּי לֹא נָטַלְתִּי אֶלָּא מִדַּעַת
אִשְׁתִּי, אַף כְּשֶׁאֲנִי מַחֲזִיר לֹא אַחֲזִיר אֶלָּא בְּדַעַת אִשְׁתִּי.
הָלַךְ אֶצְלָהּ וְאָמַר לָהּ: כְּבָר בָּא הַחָזֵק לִטֹּל אֶת שֶׁלּוֹ. אָמְ־
רָה לוֹ: לֵךְ וְאֱמֹר לוֹ: אִם מָצָאתָ בְּנֵי אָדָם נֶאֱמָנִים מִמֶּנּוּ,
אֶתֵּן לְךָ פִּקָּדוֹנְךָ. וְרָאָה הַקָּדוֹשׁ־בָּרוּךְ־הוּא דִּבְרֵיהֶם וּבִגְמ־
ילוּת חֲסָדִים שֶׁעָשׂוּ, וְהוֹסִיף לָהֶם טוֹבָה עַל טוֹבָה וְהָיָה לָ־
הֶם מַעֲשֶׂה הַצַּדָּקָה שָׁלֵם.(ו)

(ו) " וحكاية أحد المفلسين ، والذى كانت له زوجة مستقيمة ، وفى النهاية أصبح أجيراً . فيحكى أنه كان يحرث فى الحقل ، وجاء إلياهو اليه فى هيئة عربى وقال له : سيكون لك سبع سنين طيبة ، متى تريدها . الآن أم فى نهاية أيامك ؟ فقال له : هل أنت ساحر ؟ اذهب عنى فى سلام فليس لدى ما أعطيه لك ! فعاد إلياهو وكرر سؤاله ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة قال له الرجل : سأذهب واستشير زوجتى ... ماذا أفعل ؟ ذهب الى زوجته وقال لها : جاء إلىَّ أحد الأشخاص وألحّ علىَّ ثلاث مرات وقال لى سيكون لك سبع سنين طيبة ، فمتى تريدها ، الآن أم فى نهاية أيامك ؟. فقالت له زوجته : قل له اجعلها الآن . فعاد وقال له اجعلها الآن .. فقال له إلياهو : اذهب إلى بيتك وقبل وصولك إلى فناء المنزل سترى البركة معلنة فى البيت . وفى ذلك الوقت كان أولاده يحفرون فى التراب فوجدوا كنزاً يكفى لإعالتهم سبع سنين، فجاءوا ليبشروا أمهم . وعندما ذهب الرجل إلى بيته ولم يكد يصل إلى باب البيت حتى خرجت زوجته لتبشره ، وفى الحال شكر ربه وتوكل عليه (وحمده) . ماذا فعلت زوجته المستقيمة ؟ قالت له : نحن على أى حال قد أسبغ الله علينا بفضله ومنحنا سبع سنين طيبة ، ولكن تعال نعمل الإحسان فى هذه السنين لعل الله يزيدنا فضلاً من عنده .. وهكذا فعلوا ، وعندما

ו) רות זוטה, 55.

انتهت السنين السبعة حضر إلياهو إليه ، وقال له : لقد حان الوقت لاسترد منك ما أعطيته لك . فقال له : عندما أخذت لم أأخذ إلا بعد مشورة زوجتى ، وكذلك عندما أعيد لن أعيد إلا بمشورة زوجتى . فذهب إليها وقال لها : لقد جاء الشيخ ليأخذ مايخصه ، فقالت له : اذهب وقل له : إذا وجدت بين البشر من هم أكثر إيماناً منا سنلبى طلبك . وعندما رأى الله أعمالهم وإحسانهم زادهم خيراً على خيرهم وجزاهم جزاء الصدقة كاملاً .

(נ) בעיר הקודש ירושלים, תבנה ותכונן במהרה בימינו, היה רב גדול בתורה ובמצוות. ובכל שנה ושנה קודם חג־הפסח, היה משתדל בכבודו ובעצמו, לסבב כל החנויות ולחזור על כל בעלי־הבתים, לגבות צורך חטי דפסחא־מישראל המתנדבים, כדי לחלק לעניים בני־טובים ואלמנות ויתומים ואביונים צנועים. והוא בעצמו היה מסבב מבית לבית ליתן לכל איש די מחסורו. ובפרט לתלמידי חכמים היה נותן בכבוד, כל אחד לפי שיעורו כדי שיעור כל ימי החג, לו ולכל בני ביתו. ובאותו הזמן היה שם חכם וחסיד אחד, עני מרוד צנוע ביותר, שמעולם לא רצה ליהנות מבני־אדם. ולא היה מודיע צערו ודוחקו לשום אדם; כי אם שהיה יודעו בטיב עניותו וצניעותו, והיו משלחים לו מתן בסדר בדרך כבוד, היה מקבל, על כורחו שלא בטובתו, להחיות נפש בני ביתו. ושנה אחת, בזמן חלוקת הצדקה קודם החג, הרב הנזכר חלק כל מה שגבה כמנהגו הטוב. ולא בא בזכרונו החסיד הנזכר כלל ולא שלח לודבר וחצי דבר ואפילו שווה פרוטה. והיה החסיד הנזכר בצרה

וצוקה וביתו ריקם ריקם. ובהתקרב החג, שלושה או ארבעה ימים קודם, נתקבצו אשתו ובניו ובנותיו, הקטנים עם הגדולים, ובאו לפניו בוכים ומבכים ויאמרו אליו: אבינו רענו, אינך יודיע שחג הפסח קרוב אלינו? ואנחנו אשתך ובניך שבצלך מסתופפים, כולנו ערומים ויחפים, ולא עוד אלא שאפילו חיטים לצורך הפסח לביתנו לא נכנס ולא בא. והזמן קצר והמלאכה מרובה ואנה אנו באים בחג הגדול והקדוש הזה? וכאלה הרבו לדבר דברים מרים. עד שנתעוררו כולם בבכיה גדולה, אב ובנים מזילים דמעה כמים הניגרים. ולא יכול עוד החסיד להתאפק לפניהם וקם והלך וישב בקרן זווית, ויהפוך פניו אל הקיר צועק ובוכה ומתפלל לבעל הרחמים שיחוס וירחם עליו ועל בני ביתו האמללים. ותעל שוועתו ותפילתו ודמעותיו לפני שוכן מרומים, ויחר אף ה' אלוהים במידת הדין והיה רוצה לעשות כליה, בר מינן, בכל העיר בסיבת צעקת אותו חסיד. ותיכף עמד אליהו הנביא זכור לטוב בתפלה לפנין להשקיט הדין ולעורר הרחמים, בכוח שלוש-עשרה מכילתין דרחמים והקב"ה שמע תפילתו ושב מחרון אפו וינחם ה' על הרעה אשר חשב לעשות לעמו. והחסיד הנזכר אחר שנתמרמר בבכי"תו, עד שכמעט לא נותרה בו נשמתו מגודל מרירותו, קם ויצא לשוק, ונתן בדעתו להתרחק מביתו, לבל יראה ברעתו. וביציאתו פגע בו אליהו זכור לטוב, ונתדמה לו בדמות זקן אחד ובעל שיבה, ושכינת רם ונשא שורה באור פניו. ונתקרב אצלו אליהו ואמר לו: שלום עליכם! והחסיד השיבו: עליכם שלום! ואמר החסיד: מה שאלתך? ענה אליהו ואמר לו: תדע אדוני

שאנוכי גר בארץ הזאת ובזאת השעה נכנסתי לעיר הז־
את. ויען הזמן קרוב לחג הפסח אין רצוני להכביד על
הגבירים להתארח אצלם. ברוך השם, יש לאל ידי לה־
וציא מכיסי וממוני. ובכן שאלתי ובקשתי, אם מצאתי
חן בעיניך, לקבלני בביתך באלו ימי חג הפסח, והרי ה־
מעות האלו אני נותן בידך בעבור צורך הוצאותי בימי
החג. ויען החסיד ויאמר: ברוך הבא! ביתי ביתך ל־
בוא לעשות החג עמנו כרצונך, אך אין ברצוני שתתן
לי מאומה בעבור הוצאותיך. ויפצר בו אליהו מאד ע־
ד שקיבל ממנו ברכת ה' אשר נתן לו. ותיכף חזר
לביתו ויבשר לאישתו על דבר האורח. וחזר ויצא ה־
חסיד לשוק וקנה כל צורכי החג בשפע, לא חסר דבר.
ועדיין נשתייר מן המעות בידו הרבה. ליל הפסח הג־
יע והאורח החשוב לא הופיע לסדר, ויצא החסיד,
ובני ביתו ויבקשוהו ולא מצאוהו, וישאלו וידרשו א־
חריו לאמר: זקן ויורתו נאה וכך וכך מראהו ראיתם?
ויענו ויאמרו: לא ראינו. עד שנתייאשו לבקש אחריו,
ויבינו שאותו זקן אליהו היה. ויתפרנסו ברווח מא־
ותם שיורי ברכה כל ימי חייהם ולא הוצרך עוד או־
תו חסיד למתנת בשר ודם. ובאותו ליל פסח נשג־
מר הרב של העיר הסדר של פסח, וישכב על מטתו
ויישן. בא אליו אליהו והעירו משנתו בתופסו בחוז־
ק יד בצווארו כמעט לחנוק אותו. ויירא הרב מא־
ד לנפשו ויבך ויתחנן לו לאמר: מה פשעי ומה -

חטאתי, אשר בגת אלי להרגני? ויען אליהו ויאמר לו: המעט בעיניך העוול הגדול אשר עשית? אשר גבית כל המעות של צדקה ותחלק כפי רצונך ולהחסיד־פלוני ובני ביתו העטופים ברעב השלכת אחר גויך ולא עלה בזכרונך לשלוח לו הוצאות צורך החג ב־שעת דוחקו. ליהוי ידוע לך, שמרוב צערו, צעקתו עלתה למרום לפני מלכו של עולם יתברך שמו וחרה אפו וחשב לגזור גזרת כליה, בר מינן, על ה־עיר הזאת, לולא שמהרתי אני ועמדתי בתפילה לפניו לשכך חמתו. וירדתי לעוה"ז, עולם השפל, ונתתי לאותו חסיד לצורכי החג, עד שהפגתי צערו ויגונו. ובכך לכה נא איעצך, לתקן מעוותך אשר חטאת. השכם בבוקר והלכת אצל אותו החסיד ותשאל ממנו מחילה ויתפלל בעדך ובעד כל קהלך וסר עוונך וחטאתך תכופר. ויאמר לו הרב: כן אעשה כאשר אדוני מצווה.[1]

---

1) אגדות היהודים, עמ' 193 מאת חמדת הימים, ח"ג, יד, ב.

(ز) " حدث فى أورشليم المدينة المقدسة ، والتى كان يتم بناؤها وتشييدها بسرعة فى هذه الأيام ، انه كان هناك رجلاً عظيماً ، ضليعاً بأمور التوراة وبالوصايا ، وفى كل سنة قبل عيد الفصح ، كان يجتهد فى تكريس نفسه فى الذهاب إلى كل الحوانيت والتردد على كل أصحاب المنازل من أجل جبى لوازم حنطة عيد الفصح ، من الإسرائيليين المحسنين ، لكى يقوم بتوزيعها على الفقراء الطيبين ، والأرامل ، واليتامى والمساكين . وهو بنفسه كان ينتقل من منزل لآخر ليعطى كل واحد مايسد حاجته . وخاصة تلاميذ الحكماء ، فقد كان يعطيهم فى سخاء كل واحد حسب حصته وبمقدار نفقاته فى كل أيام العيد ، له ولجميع أفراد بيته . وفى ذلك الوقت كان يوجد أحد الحكماء من الحسيديم ، فقير ومسكين جداً ، لم يرد أبداً سؤال أحد من الناس ، ولم يكن يعرّف حزنه وضائقته لأحد ، إلا من كان يعرف بأمر فقره وخنوعه ، كان يرسل له هدية فى ليلة الفصح على طريقة التكريم له ، فكان يقبلها مضطراً عن طيب خاطر لأنها لم تأت بفضله ، وأيضاً من أجل إعالة أفراد بيته . وفى إحدى السنين ، وقت توزيع الصدقات قبل العيد ، وزع الرابى المذكور كل ماجمعه كعادته الحميدة ، ولكنه لم يتذكر هذا الحسيد الذى تحدثنا عنه ، حيث لم يرسل له شيئاً أو نصف شىء أو حتى ماقيمته مليماً . وقد كان هذا الحسيد فى ضائقه مالية شديدة وبيته خالى تماماً . ومع اقتراب العيد ، قبل ثلاثة أو أربعة أيام ، تجمع ابناؤه وبناته ، الصغار والكبار ، ومعهم زوجته ، وحضروا أمامه يبكون ويتباكون وهم يقولون له : أبينا وراعينا ، ألا تعرف إن عيد الفصح قد اقترب موعده ؟ ونحن زوجتك وأبناؤك ، الذين نستظل بظلك ، كلنا عرايا وحفاة ، وأنت لم تُدخل ولم تأت للمنزل بالحنطة اللازمة للفصح . والوقت قصير والعمل كثير ، وبماذا نحتفل فى هذا العيد العظيم والمقدس ؟..وبينما هم مستمرون فى هذا الحديث المرير انفجروا فى بكاء شديد إلى درجة إن الدموع كانت تسيل منهم كمياه البرك . ولم يستطع هذا الحسيدِ أن يتماسك أمامهم ، فقام وتركهم وجلس فى ركن بعيد منطويا واتجه بوجهه إلى الحائط يتوجع ويبكى ، ويصلى " للرحمن " بأن يحن ويترحم عليه وعلى أفراد بيته التعساء . ويصعد أنينه وصلاته ودموعه حتى تصل إلى الرب (ساكن السماء). فحمى غضب الرب فأصدر حكمه بفناء - بدون استثناء - المدينة كلها بسبب صراخ هذا الحسيد ، وفى الحال قام إلياهو النبى " مبارك الذكر " إلى صلاته أمام الرب من

أجل تخفيف الحكم واستثارة رحمته ، وبقوة ثلاث عشر دعاء رحمة ، استجاب الرب لصلاته ورجع عن غضبه ، وندم على الشر الذى فكر فى أن يفعله لشعبه . والحسيد المذكور بعد أن استاء من بكائه ، لدرجة انه لم يتبق فيه نفس من شدة مرارته ، قام وخرج إلى السوق ، حيث فكر فى الابتعاد عن بيته ، لئلا يرى زوجته ... وهو فى الخارج التقى به إلياهو " مبارك الذكر " حيث ظهر له فى هيئة شيخ مسن ، تغشى وجهه السكينه والضياء ... اقترب منه إلياهو وقال له : السلام عليكم ، فرد عليه الحسيد : عليكم السلام ! ثم قال الحسيد : ماسؤالك ؟ أجابه إلياهو قائلاً : تعرف ياسيدى إننى غريب فى هذه البلدة وفى هذا الوقت دخلت إلى هذه المدينة ، وبسبب اقتراب عيد الفصح فإننى لا أريد أن أثقل على الأثرياء باستضافتهم لى . فالحمد لله ، معى من النقود ما أنفقه من جيبى ومن مالى . ولذلك سألت وطلبت ، إذا لقيت استحسانا لديك هل تقبلنى فى بيتك فى أيام عيد الفصح ،وهاهى النقود أعطيها لك من أجل لوازم نفقاتى فى أيام العيد . فأجابه الحسيد وقال : مرحباً ! بيتى بيتك ، تعال اقضى العيد معنا كما ترغب ، لكننى لا أريد أن تعطينى شيئاً مقابل نفقاتك . فتوسل إلياهو إليه كثيراً حتى قبل منه هبة الرب التى أعطاها له . وفى الحال عاد الحسيد إلى بيته وبشر زوجته بأمر الضيف . ثم عاد الحسيد وخرج إلى السوق واشترى كل لوازم العيد فى وفرة بدون أن ينقصه شيىء ، وتبقى كثيراً من النقود معه - ثم حلت ليلة العيد والضيف المهم لم يظهر من أجل الاحتفال معهم ، فخرج الحسيد وأفراد بيته ليدعوه ولم يجدوه ، فسألوا وبحثوا عنه قائلين : هل رأيتم شيخاً ذا هيئة جميلة ، وكذا وكذا مظهره ؟ فيجيبوهم قائلين : لم نره ، إلى أن يأسوا من العثور عليه ، فأدركوا إن هذا الضيف كان " إلياهو " . ثم اخذوا ينفقون فى سعة مما تبقى من هذه البركة كل أيام حياتهم حتى إن هذا الحسيد لم يحتج بعد ذلك إلى هبات الناس . وفى ليلة الفصح هذه وعندما أتم رابى هذه المدينة الاحتفال بالفصح ورقد على سريره ونام . جاء إليه إلياهو وأيقظه من نومه ، وبيديه القويتين قبض على رقبته حتى كاد يخنقه ، فخاف الرابى جداً على نفسه ، وبكى وتوسل إليه قائلاً : ماجرمى وماإثمى ، اللذين جئت بسببهما لقتلى ؟ فأجابه إلياهو

وقال له : أهكذا في نظرك الذنب العظيم الذى اقترفته ؟ فبعد أن جبيت كل نقود الصدقة ووزعتها حسبما شئت ، والحسيد الفلانى وأبناء بيته الجوعى تركتهم وراء ظهرك ، ولم يخطر ببالك إرسال النفقات اللازمة لهم من أجل العيد ، وهم فى ضائقة مالية ... ليكن معلوم لك ، إنه من شدة حزنه ، ارتفع أنينه إلى السماء ، عند ملك العالم سبحانه ، فغضب وفكر فى إصدار حكم الفناء - بدون استثناء - على هذه المدينة ، لولا إننى أسرعت وصليت لله لكى يهدأ غضبه . ونزلت إلى هذا العالم ، العالم الدنيا ، وقدمت لهذا الحسيد لوازم العيد ، حتى خففت حزنه وألمه ولذلك تعال لأنصحك : من أجل اصلاح خطأك الذى اقترفته : استيقظ مبكراً فى الصباح واذهب عند هذا الحسيد واسأله العفو ، فيصلى من أجلك ، ومن أجل كل طائفتك ، فيذهب ذنبك ، ويُغفر إثمك . فقال له الرابى : هكذا سأفعل كما أمرنى سيدى " .

وعندما لم يكن فى مقدور إلياهو مساعدة الفقراء ، مساعدة مباشرة فإنه كان يشاركهم أسفهم ومصابهم ويخفف عنهم بالكلمات الطيبة. وهناك كثير من الحكايات تشير إلى هذا الموتيف.منها :

(ح) حكاية التنائى الكبير " رابى عقيبا " :

הַתַּנָּא הַגָּדוֹל רַבִּי עֲקִיבָא, עַד שֶׁלֹּא נִתְפַּרְסֵם שְׁמוֹ הָיָה בְּיֵי דַחֲקוּת אֲיֻמָּה. חוֹתְנוֹ הֶעָשִׁיר, כַּלְבָּא שָׁבוּעַ, הִדִּיר אוֹתוֹ וְאֶת אִשְׁתּוֹ מִכָּל נְכָסָיו, עַל שֶׁנִּשָּׂה לְרַבִּי עֲקִיבָא לְמֹרֹת רְצוֹנוֹ. לַיְלָה אֶחָד מִלֵּילוֹת הַסְּתָו הִשְׁתָּרְרָה צִנָּה עֲזָה וְקָשָׁה בָּעוֹלָם, וְלֹא הָיָה סְפֵק בְּיַד רַבִּי עֲקִיבָא לָתֵת לְאִשְׁתּוֹ, שֶׁהָיְתָה אֲמוּנָה עָלָיו תּוֹלָע וְכָל טוֹב שֶׁבָּעוֹלָם, אֶלָּא מַצָּע שֶׁל קַשׁ בְּלִבַּד לִשְׁכַּב עָלָיו. וְהָיוּ הַקַּשִּׁים מִסְתַּבְּכִים בְּשַׂעֲרוֹתֶיהָ וְהוּא מְלַקְּטָם, וּבְשָׁעַת מַעֲשֶׂה הָיָה מְדַבֵּר עַל לִבָּהּ וְאוֹמֵר לָהּ: לִבְשָׁאתַ שַׁשׁ אֶעֱשֶׂה לָךְ תַּכְשִׁיט שֶׁלֹּא זָהָב שֶׁמְּצַיְּרִים בּוֹ שִׁיר הַקְּדֻשׁ יְרוּשָׁלַיִם. אוֹתָהּ

שָׁעָה בָּא אֵלִיָּהוּ וְדָפַק עַל דֶּלֶת בֵּיתָם, וְהָיָה בּוֹכֶה וְקוֹרֵא וְאוֹמֵר: רַחֲמָנִים בְּנֵי רַחֲמָנִים, שְׁמָא יֵשׁ לָכֶם מְעַט קֶשׁ לְתֵּן לִי, שֶׁאִשְׁתִּי כָּרְעָה לָלֶדֶת וְאֵין לִי מַה לְהַצִּיעַ תַּחְתֶּיהָ. אָמַר לָהּ רַבִּי עֲקִבָא לְאִשְׁתּוֹ: רְאִי נָא גַּם רְאִי, יֵשׁ מִי שֶׁעָנִי יוֹתֵר מִמֶּנּוּ, שֶׁאֲפִלּוּ תֶּבֶן אֵין לוֹ.(١)

" يحكى أن التنائى الكبير رابى عقيبا قبل أن يشتهر اسمه ، كان يعيش فى ضائقة مالية شديدة . فقد منعه عديله الغنى - الذى كان يشبه الكلب المسعور - من التصرف فى أملاكه مما أدى برابى عقيبا إلى الاستدانة مضطراً . وفى ليلة من ليالى الخريف القاسية البرودة لم يفلح رابى عقيبا فى أن يقدم شيئا لزوجته ، التى تربت على ارتداء الحرير وعلى كل ماهو طيب فى العالم ، إلا مرقد من القش ترقد عليه . وكان التبن يتعقد فى شعرها ، فيلتقطه هو ، وعندما تنظر إليه وهو يفعل ذلك ، كان يطيب خاطرها قائلاً : " عندما أغتنى سيكون لك حلية من ذهب منقوش عليها المدينة المقدسة أورشليم . وفى تلك اللحظة يجىء إلياهو ويطرق باب بيتهما ، وهو يبكى ويصيح قائلاً : الرحمة يا أبنائى الرحمة ، هل لديكم قليل من القش لإعطائه لى ، فإن زوجتى على وشك الولادة ، وليس عندنا ما افترشه تحتها ، فقال " رابى عقيبا " لزوجته : انظرى ، انظرى ، هناك فقيراً أكثر منا فقراً . فحتى التبن لا يوجد عنده " .

وعن إلياهو الذى يظهر فى شخصية عربى هناك أيضا هذه الحكاية :

(هـ)

מַעֲשֶׂה בְּעָנִי מָרוּד מְאֹד, שֶׁהָיָה צַדִּיק וְחָסִיד גָּדוֹל. נִתְגַּלָּה לוֹ אֵלִיָּהוּ בִּדְמוּת עַרְבִּי אֶחָד, וְנָתַן לוֹ שְׁנֵי שְׁקָלִים. וְהָיָה אוֹתוֹ חָסִיד נוֹשֵׂא וְנוֹתֵן בָּהֶם בְּסִחוֹרָה עַד שֶׁנִּתְעַשֵּׁר עֹשֶׁר גָּדוֹל. וְשָׂכַח אֶת חֲסִידוּתוֹ וְשִׁמּוּשׁ תְּפִלָּתוֹ, צְדִיקוּתוֹ וְצִדְקָתוֹ. אָמַר לוֹ הַקָּדוֹשׁ-בָּרוּךְ-הוּא לְאֵלִיָּהוּ: חָסִיד הָיָה לִי בְּעוֹלָמִי

١) מסכת נדרים . נ' . א

וְעִבַּבְתּוֹ עָלַי. הָלַךְ אֵלָיו אֵלִיָּהוּ וְלָקַח מִמֶּנּוּ שְׁנֵי הַשְּׁקָלִים. לֹא יָצְאוּ כַּמָּה יָמִים עַד שֶׁיָּרַד מִנְכָסָיו, וְהָיָה בּוֹכֶה עַל מַר גּוֹרָלוֹ. חָזַר אֵלִיָּהוּ וּבָא אֶצְלוֹ. אָמַר לוֹ: אִם אַתָּה מַבְטִיחֵנִי שֶׁאַתָּה חוֹזֵר לַחֲסִידוּתְךָ וּלְצִדְקָתְךָ אֲנִי מוֹזֵר וּמַעֲשִׁירְךָ. נִשְׁבַּע לוֹ וְהֶעֱשִׁירוֹ.(١)

(د) " وحكاية أحد الفقراء المدقعين ، الذى كان صديّقاً وحسيداً عظيماً ، ظهر له إلياهو فى هيئة عربى ، وأعطاه شيكلان ثم أخذ هذا الحسيدى يشتغل بهما فى التجارة حتى اغتنى غناء فاحشاً . إلى أن نسى تقواه وفضل صلاته ، وبره ، وصدقه . فقال الرب لإلياهو : كان هناك تقى صالح فى عالمى ، ومنعته عنى ، فذهب إلياهو إليه وأخذ منه الشيكلين ،ولم تمر عدة أيام إلا وقد أفلس ، فأخذ يبكى على سوء مصيره . ثم عاد إلياهو إليه وقال له : إذا وعدتنى بأن تعود إلى تقواك وصدقك، أعود وأغنيك . فأقسم له. فأغناه "

ولم يكن إلياهو منقذاً للفقراء فقط ، بل كان أيضاً يقدم كل أنواع الحلول والعلاج والخلاص من كل ضائقة أو مشكلة ... وتشير هذه الحكايات إلى هذه الموتيفات:

(١)

מַעֲשֶׂה בְּרַבִּי שִׁמְעִי אֶשֶׁי שֶׁבָּלַע נָחָשׁ אַרְסִי וְהָיָה מִסְתַּכֵּן בְּחַיָּיו. בָּא אֵלִיָּהוּ נִדְמָה לוֹ כְּפָרָשׁ וְהֶאֱכִילוֹ בְּעַל כָּרְחוֹ כָּל מִינֵי עֲשָׂבִים וְהֵרִיצוֹ בְּמֵרוֹץ, עַד שֶׁיָּצָא מִמֶּנּוּ הַנָּחָשׁ

---

١) לוצאטו, כפתור ופרח, ז, עמ' ב . وهذه الحكاية مذكورة أيضاً ضمن مجموعة الحكايات التى نشرت بخط اليد فى :
Revue de Etudes Juives, Paris, 1880 , PP. 58-60.
وهناك صيغة مختصرة جدا موجودة فى " רות זוטא ", 50 . وقد ذكر جاستر أربع صيغ أخرى فى كتابه The empla of the Rabbis أرقام ٣٠١ . ص ١٩٣ ، ورقم ٣٠٧ . ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ وقارن أيضا رقم ٣٣٤

(ט) חֲתִיכוֹת חֲתִיכוֹת. וְכֵן מַעֲשֶׂה בְּאֵלִיָּהוּ שֶׁרָפָא אֶת רַבִּי יְהוּדָה הַנָּשִׂיא מִכְּאֵב שִׁנָּיו שֶׁכָּאֲבוּ זְמַן רַב בְּהַנִּיחוֹ אֶת יָדוֹ עַל שִׁנָּיו. וְעַל־יְדֵי כָּךְ הִשְׁלִים בֵּין רַבִּי יְהוּדָה וְרַבִּי חִיָּא. כִּי כְּשֶׁרָפָא אֵלִיָּהוּ אֶת רִ' יְהוּדָה נִדְמָה לוֹ בִּדְמוּתוֹ שֶׁל רַבִּי חִיָּא. וְעַל כֵּן מֵאָז וְאֵילָךְ הָיָה רַבִּי יְהוּדָה הַנָּשִׂיא מְכַבֵּד אֶת רַבִּי חִיָּא בְּכָבוֹד גָּדוֹל וּמוֹקִירוֹ מְאֹד עַל שֶׁזָּכָה לְכָךְ שֶׁאֵלִיָּהוּ מִתְחַפֵּשׂ בִּדְמוּתוֹ.(1)

(أ) حكاية " رابى شيمى براشى "(٢) الذى بلع ثعباناً ساماً مما عرض حياته للخطر . فحضر إلياهو عنده وظهر له فى صورة فارس ، ثم أطعمه رغماً عنه كل أنواع الأعشاب مما جعل أمعاءه تلين بسرعة ، حتى خرج منها الثعبان قطعاً قطعاً .

(ب) حكاية إلياهو مع " رابى يهوذا هنّاسى " الذى كان يعانى من الألم فى أسنانه والذى استمر فتره طويلة إلى أن حضر له " إلياهو " وشفاه عندما وضع يده على أسنانه . ومن ذلك الحين قامت علاقات ودية بين " رابى يهوذا " " ورابى حيا "، حيث كان " إلياهو " يظهر فى هيئة " رابى حيا " عندما كان يأتى ليعالجه . ومنذ ذلك الحين أصبح " رابى يهوذا هنّاسى " يبجل ربى حيا تبجيلاً عظيماً ويحترمه جداً من حيث أنه حظى بتنكر إلياهو فى هيئته " .

---

١) حكاية "رابى شيمى" موجودة فى שבת קט, ב ، وحكاية "رابى يهوذا" موجودة فى ירושלמי, כלאים פ"ט, לב, ב . وفى مواضع أخرى .

٢) راب شيمى برآشى : وهو ابن "رابى آشى من حكماء الطبقة الرابعة من أمورائي فلسطين (٣٧٥ - ٤٢٧) . وكان " راب شيمى " تلميذاً " لرابى أبيى "אבי" " ويحكى عنهما ان " راب شيمى ذهب عند " رابى أبيى " ليدرس التوراة على يديه ، فقال له " أبيى " : " هذا الوقت مخصص لى ، لنفسى "، أى مخصص لتعليم نفسه ، بدون تلاميذ ، وعندما طلب منه أن يعلمه بالليل .. قال له " أبيى " : " الليل مخصص لرى حقلى " . فقال له " راب شيمى " : " أنا أسقى حقلك بالنهار ، وأنت تعلمنى بالليل " . عندئذ فقط استجاب له " أبيى " وأجلسه أمامه طالباً (راجع : גיטין, ס, ב) .
انظر : התלמוד ויוצריו, דרך שני, עמ' 338.

وذات مرة صالح الياهو بين رجل وزوجته وتلك هى الحكاية :

(ج)

מַעֲשֶׂה בְּרַבִּי מֵאִיר שֶׁהָיָה יוֹשֵׁב וְדוֹרֵשׁ עַד שָׁעָה מְאוּחֶרֶת בְּלֵיל שַׁבָּת. אִשָּׁה אַחַת, שֶׁהִקְשִׁיבָה לְאוֹתָהּ דְּרָשָׁה, מִשֶּׁהָלְכָה לְבֵיתָהּ לְאַחַר הַדְּרָשָׁה, מָצְאָה הַנֵּר שֶׁלָּהּ שֶׁכָּבָה. אָמַר לָהּ בַּעְלָהּ: הֵיכָן הָיִית עַד עַכְשָׁו? אָמְרָה לוֹ: שׁוֹמַעַת הָיִיתִי לְרַבִּי מֵאִיר דּוֹרֵשׁ. וְהָיָה אוֹתוֹ הָאִישׁ לֵיצָן. אָמַר לָהּ: בְּכָךְ וְכָךְ, אֵין אַתְּ נִכְנֶסֶת לְבֵיתִי עַד שֶׁתִּלְכִּי וְתָרֹקִי בְּפָנָיו שֶׁל רַבִּי מֵאִיר. יָצְאָה לָהּ מִבֵּיתוֹ. נִגְלָה אֵלֶיהוּ, זָכוּר לְטוֹב, עַל רַבִּי מֵאִיר וְהוֹדִיעַ לוֹ הָאֵיךְ הָיָה הַמַּעֲשֶׂה. הָלַךְ רַבִּי מֵאִיר וְיָשַׁב לוֹ בְּבֵית הַמִּדְרָשׁ הַגָּדוֹל שֶׁבְּטְבֶרְיָה וְעָשָׂה עֲצָמוֹ חוֹשֵׁשׁ בְּעֵינוֹ. מִי יוֹדֵעַ לִלְחֹשׁ לָעַיִן. אָמְרָה אוֹתָהּ אִשָּׁה: אֲנִי יוֹדַעַת לִלְחֹשׁ. לָחֲשָׁה וְרָקְקָה בְּפָנָיו. אָמַר לָהּ רַבִּי מֵאִיר: לְכִי וְהִתְרַצִּי לְבַעְלֵךְ, אִמְרִי לוֹ: אַתָּה אָמַרְתָּ לִי לְרָקֹק בְּפָנָיו שֶׁל רַבִּי מֵאִיר פַּעַם אַחַת, וַאֲנִי עָשִׂיתִי כֵּן שָׁלֹשׁ פְּעָמִים.

---

(١) דברים רבה, סוף פרק ה', תלמוד ירושלמי, מסכת סוטה, פרק א', קצח', א, ויקרא רבה, ט.ט; במדבר רבה (מדרש) ט', ל'.

وهناك وضعوا بدلاً من كلمة "אליהו" ، كلمة " רוח הקודש الـــــروح القدس " . وقارن صيغة هذه الحكاية مع صيغة " جاستر " التى أوردهـــا كتابه : The Exempla of the Rabbis رقم ١٤٥

حيث تختلف صيغته عن صيغ المدراشيم والتلمود الأورشليمى.وعن " اللعـــاب" ومقدرته على شفاء الأمراض.قارن : مرقس : ٨ : ٢٢ ، يوحنا ٩ : ٦

جـ) "يحكى أن " رابى مائير " كان يجلس ويدرس حتى ساعة متأخرة فى ليلة السبت وكانت إحدى النساء تستمع لذلك الدرس ، وعندما ذهبت إلى بيتها بعد انتهاء الدرس وجدت إن " بركه الهبدالا " لتكريم السبت قد انتهت (وهى تسبيح يتلى عند انتهاء السبت) . فقال لها زوجها : أين كنت حتى الآن ؟ قالت له : كنت استمع لرابى مئير وهو يدرس . وكان هذا الرجل مهرجاً ، فقال لها : ياكذا وكذا لن تدخلين بيتى حتى تذهبى وتبصقى فى وجه " رابى مئير " . فخرجته من بيتها .. وعندئذ ظهر إلياهو " مبارك الذكر " عند " رابى مئير " وأبلغه الحكاية . فذهب رابى مئير وجلس فى المدرسة الدينية (بيت همدراش) الكبيرة التى فى طبرية ، وجعل نفسه كمن يتألم من وجع عينيه .. وقال : من يعرف أن يلعق فى عينى ؟ فقالت تلك المرأة : أنا أعرف كيف ألعق . فلعقت وبصقت فى وجهه . فقال لها رابى مئير : اذهبى واسرعى لزوجك وقولى له : أنت قلت لى أن أبصق فى وجه رابى مئير مرة واحدة ، وأنا بصقت ثلاث مرات " .

(د) - מַעֲשֶׂה בְּחָסִיד אֶחָד שֶׁמֵּת וְהִנִּיחַ שְׁלֹשָׁה בָּנִים וְגַן אֶחָד שֶׁל בְּשָׂמִים. וְהָיוּ הַבָּנִים שׁוֹמְרִים בַּגַּן מִפְּנֵי הַגַּנָּבִים אִישׁ לַיְלוֹ. בַּלַּיְלָה הָרִאשׁוֹן, כְּשֶׁעָמַד גָּדוֹל הָאַחִים עַל מִשְׁמָרוֹ בַּגַּן, וְהִנֵּה נִגְלָה לוֹ אֵלִיָּהוּ וְאָמַר לוֹ: בְּנִי, שְׁאַל מַה תִּשְׁאַל אֶחָד מִשְּׁלֹשֶׁת דְּבָרִים וַאֲנִי נוֹתֵן לְךָ: אִם חָכְמָה גְּדוֹלָה בַּתּוֹרָה, וְאִם עֹשֶׁר גָּדוֹל וְרַב, וְאִם אִשָּׁה נָאָה בְּיוֹתֵר? אָמַר לוֹ: רְצוֹנִי בְּעֹשֶׁר גָּדוֹל. מִיָּד נָתַן לוֹ אֵלִיָּהוּ מַטְבֵּעַ אֶחָד, וְהָיָה נוֹשֵׂא וְנוֹתֵן בּוֹ עַד שֶׁנִּתְעַשֵּׁר עֹשֶׁר גָּדוֹל. וּכְשֶׁעָמַד הַבֵּן הַשֵּׁנִי בַּלַּיְלָה הַשֵּׁנִי עַל הַמִּשְׁמָר, נִגְלָה לוֹ אֵלִיָּהוּ וְאָמַר לוֹ כָּךְ וְכָךְ, כַּדֶּרֶךְ שֶׁאָמַר לָרִאשׁוֹן. בָּחַר לוֹ אוֹתוֹ בְּחָכְמַת הַתּוֹרָה. מִיָּד נָתַן לוֹ אֵלִיָּהוּ סֵפֶר אֶחָד, לָמַד בּוֹ עַד שֶׁנַּעֲשָׂה גָּדוֹל בַּתּוֹרָה. כֵּיוָן שֶׁעָמַד צָעִיר הָאַחִים בַּלַּיְלָה הַשְּׁלִישִׁי עַל מִשְׁמָרוֹ וְנִגְלָה אֵלָיו אֵלִיָּהוּ וּשְׁאָלוֹ כְּבָרָאשׁוֹנִים, אָמַר לוֹ: נַפְשִׁי חִשְׁקָה בְּאִשָּׁה נָאָה בְּיוֹתֵר. מִיָּד אָמַר לוֹ אֵלִיָּהוּ לָבוֹא עִמּוֹ. בַּלַּיְלָה הָרִאשׁוֹן בָּאוּ וְלָנוּ בְּבֵית שֶׁל אָדָם אֶחָד, רָשָׁע גָּדוֹל וּמְפֻרְסָם, וְלוֹ בַּת נָאָה בְּיוֹתֵר. בַּלַּיְלָה שָׁמַע אֵלִיָּהוּ תַּרְנְגוֹלוֹתָיו וַאֲוָזָיו שֶׁל בַּעַל הַבַּיִת אוֹמְרִים זֶה לָזֶה: כַּמָּה חוֹטֵא בָּחוּר זֶה שֶׁנָּפַל בְּגוֹרָלוֹ לִשָּׂא בִּתּוֹ שֶׁל רָשָׁע מְרֻשָּׁע. הִשְׁכִּימוּ בַּבֹּקֶר וְהָלְכוּ וּבָאוּ לְאַכְסַנְיָה אַחֶרֶת וְלָנוּ שָׁם. וְשָׁמַע

אֵלִיָּהוּ שָׁם מַה שֶּׁשָּׁמַע בַּלַּיְלָה הָרִאשׁוֹן. וְהִשְׁכִּימוּ בַּבֹּקֶר וְהָלְכוּ מִשָּׁם. בַּלַּיְלָה הַשְּׁלִישִׁי לָנוּ בְּבֵיתוֹ שֶׁל אָדָם אֶחָד שֶׁהָיְתָה לוֹ בַּת נָאָה בְּיוֹתֵר. שָׁמַע אֵלִיָּהוּ תַּרְנְגוֹלִים וַאֲוָזִים אוֹמְרִים זֶה לָזֶה: בַּמָּה צַדִּיק בָּחוּר זֶה שֶׁעָלְתָה בְּגוֹרָלוֹ בְּתוּלָה נָאָה וַחֲסִידָה זוֹ. הִשְׁכִּימוּ בַּבֹּקֶר וְדִבֵּר אֵלִיָּהוּ נִכְבָּדוֹת לַבָּחוּר עִם הַבְּתוּלָה וְנִשְּׂאוּ זֶה לָזֶה בְּשִׂמְחָה טוֹבָה.(١)

(د) " يحكى أن رجلاً من الحسيديم مات وترك ثلاثة أبناء وحديقة زهور . وكان هؤلاء الأبناء يتناوبون فى حراسة الحديقة من اللصوص . وفى الليلة الأولى كان يحرس الحديقة الابن الأكبر ، فظهر له إلياهو وقال له : يابنى ، اطلب واحداً من هذه الأشياء وأنا ألبى طلبك : معرفة عظيمة بالتوراة ، أو غنى عظيم جداً ، أو امرأة جميلة جداً ؟ فقال له : أريد الغنى العظيم . فى الحال أعطاه إلياهو نقوداً ، أخذ يتاجر بها حتى امتلك ثروة عظيمة . وعندما وقف الابن الأوسط فى الليلة الثانية للحراسة ، ظهر له إلياهو وقال له كذا وكذا ، كما قال لأخيه الأكبر : فاختار معرفة التوراة . فى الحال قدم له إلياهو كتاباً أخذ يدرس فيه حتى أصبح ضليعاً بعلوم التوراة . وحينما وقف أصغر الاخوة فى الليلة الثالثة للحراسة وظهر له إلياهو وسأله كما سأل أخويه . قال له : نفسى تواقة إلى امرأة جميلة جداً . وفى الحال قال له إلياهو : تعال معى . فى أول ليلة ذهبا للمبيت عند رجل شرير جداً ومشهور ، وله بنت جميلة جداً . فى الليل سمع إلياهو ديوك وأوز صاحب البيت يقولون لبعضهما البعض ، لقد أخطأ هذا الشاب الذى سيكون من نصيبه الزواج من ابنة هذا الشرير الغارق فى الآثام . فبكرا فى الصباح وذهبا من هناك ، وأتيا للمبيت فى أحد الفنادق ، فسمع إلياهو هناك ماسمعه فى الليلة السابقة ، فبكرا فى الصباح وذهبا من هناك . وفى الليلة الثالثة باتا فى منزل كان صاحبه له ابنة جميلة جداً . وسمع إلياهو الديوك والأوز يقولون لبعضهما البعض كم هو صديق هذا الشاب الذى وقعت من نصيبه هذه العذراء الجميلة التقية . فى الصباح الباكر تحدث إلياهو مع الشاب بالخير

---

١) وعن الصيغ المختلفة لهذه الحكاية أنظر " جاستر " فى كتابه : The Exempla of the Rabbis رقم ٣٥٥

وانظر : מסכת בבא קמא , ס , ב . وقارن "אמר' נועם" حيث ذكر ان الحيوانات تشعر بوجود إلياهو : فعندما تضحك الكلاب فإن هذا علامة على ان الياهو فى المدينة ، وعندما تبكى الكلاب ، يكون علامة على ان ملَك الموت فى المدينة .

والاحترام عن هذه الفتاة العذراء . فزوجهما فى حفل جميل "

وإلياهو أيضا كان مستعداً دائماً لتقمص دور الخادم عندما تقتضى الظـــروف ذلك وتشير هذه الحكاية إلى هذا الموتيف :

כְּשֶׁנִּחֲבַשׁ רַבִּי עֲקִיבָא וְנִפְטַר בְּבֵית הָאֲסוּרִים לֹא הִנִּיחָה מַלְכוּת הָרְשָׁעָה לִקְבְּרוֹ. בָּא אֵלִיָּהוּ וְעָמַד לוֹ עַל פִּתְחוֹ שֶׁל תַּלְמִידוֹ הֶחָבִיב וְנֶאֱמַן־בֵּיתוֹ רַבִּי יְהוֹשֻׁעַ הַגַּרְסִי. אָמַר לוֹ רַבִּי יְהוֹשֻׁעַ: שָׁלוֹם עָלֶיךָ רַבִּי וּמוֹרִי: כְּלוּם אַתָּה צָרִיךְ? אָמַר לוֹ: בָּאתִי לְהַגִּיד לְךָ שֶׁרַבִּי עֲקִיבָא מֵת בְּבֵית הָאֲסוּרִים. מִיָּד הָלְכוּ שְׁנֵיהֶם לְבֵית הָאֲסוּרִים. מָצְאוּ שַׁעֲרֵי בֵּית הָאֲסוּרִים פְּתוּחִים וְכָל הַשּׁוֹמְרִים יְשֵׁנִים. נָטַל רַבִּי יְהוֹשֻׁעַ וְהוֹשִׁיב אֶת רַבִּי עֲקִיבָא עַל הַמִּטָּה וְיָצָא. מִיָּד נִטְפַּל לוֹ אֵלִיָּהוּ וְנָטַל הַמִּטָּה עַל כְּתֵפוֹ. כְּשֶׁרָאָה רַבִּי יְהוֹשֻׁעַ כָּךְ, אָמַר לוֹ לְאֵלִיָּהוּ: רַבִּי, וְלֹא כֹּהֵן אַתָּה וְכֹהֵן אָסוּר לְהָטֵמֵא לְמֵת? אָמַר לוֹ אֵלִיָּהוּ, חַיֶּיךָ, יְהוֹשֻׁעַ בְּנִי, חַס וְשָׁלוֹם, שֶׁאֵין טֻמְאָה בַּצַּדִּיקִים אַף לֹא בְּתַלְמִידֵיהֶם. הָיוּ מוֹלִיכִים אוֹתוֹ כָּל הַלַּיְלָה עַד שֶׁהִגִּיעוּ אֵצֶל אַנְטִיפְּרַס שֶׁל קַצְרָה. כֵּיוָן שֶׁהִגִּיעוּ לְשָׁם עָלוּ שָׁלֹשׁ מַעֲלוֹת וְיָרְדוּ שָׁלֹשׁ מַעֲלוֹת וְנִפְתָּחָה מְעָרָה לִפְנֵיהֶם. רָאוּ שָׁם בַּמְּעָרָה כִּסֵּא וְסַפְסָל וְשֻׁלְחָן וּמִטָּה וּמְנוֹרָה. הִשְׁכִּיבוּ אֶת רַבִּי עֲקִיבָא עַל הַמִּטָּה וְיָצְאוּ. כֵּיוָן שֶׁיָּצְאוּ נִסְתְּמָה הַמְּעָרָה וְדָלְקָה הַמְּנוֹרָה שֶׁמִּמַּעַל לַמִּטָּה וְאוֹרָה מִזְדַּקֵּר לַחוּץ דֶּרֶךְ הַסְּדָקִים. פָּתַח אֵלִיָּהוּ וְאָמַר: אַשְׁרֵיכֶם צַדִּיקִים וְאַשְׁרֵיכֶם עֲמֵלֵי־תוֹרָה וְאַשְׁרֵיכֶם יִרְאֵי־שָׁמַיִם שֶׁגָּנוּז לָכֶם וְטָמוּר לָכֶם וּמֻשְׁמָר לָכֶם מָקוֹם בְּגַן־עֵדֶן לֶעָתִיד לָבוֹא; אַשְׁרֶיךָ רַבִּי עֲקִיבָא שֶׁנִּמְצָא לְךָ מְלוֹן־עֶרֶב בְּשָׁעַת מִיתָתֶךָ.(١)

" يحكى أنه عندما سجن " رابى عقيبا " ومات فى السجن ولم تسمح المملكة الآثمة بدفنه . جاء إلياهو ووقف عند باب تلميذه الحبيب والأمين على بيتـــه " رابى يشوع الجرسى " . وقال له " رابى يشوع " : السلام عليكم معلمى واستاذى هل تحتاج شيئاً ؟ قال له جئت لأخبرك إن " رابى عقيبا " قد مات فى السجن . فى الحال ذهب الاثنان إلى السجن فوجدا أبواب السجن مفتوحة والحراس نائمون .

١) מִדְרָשׁ מִשְׁלֵי, מַהֲדוּרַת בּוּבֶר, וִילְנָה 1893, פֶּרֶק ט', 62.

فقام " رابى يشوع " ووضع " رابى عقيبا " على السرير وخرج . ثم قام " إلياهو " بعد ذلك وحمل السرير على كتفه . وعندما رأى " رابى يشوع " ذلك قال : سيدى ألست كاهناً ومحظور على الكهنة أن يتنجسوا بالميت ؟ فقال له " إلياهو ": " وحياتك يايشوع يا ابنى ، حاشا لله ، أنه لاتوجد نجاسة فى الصدّيقين أو فى تلاميذهم " . ثم سارا به طوال الليل حتى وصلا إلى مداخل " قيصرين " .

وحينما وصلا إلى هناك صعدا ثلاث درجات ، ثم هبطا ثلاث درجات ، فانفتحت أمامهما مغارة .. رأيا فيها كرسياً ودكة ومنضدة وسرير وشمعدان . فوضعا " رابى عقيبا " على السرير وخرجا . وبعد خروجهما أُغلقت المغارة وأضيئت الشموع بجوار السرير ، وتسلل ضوءها إلى الخارج من خلال الشقوق . فقال إلياهو : " طوبى لكم أيها الصديقون ، وطوبى لكم يامن كرستم حياتكم لدراسة التوراة ، وطوبى لكم أيها المتقون لأنه يحفظ لكم مكاناً فى جنة عدن فى المستقبل ، وطوبى لك " رابى عقيبا " لانك وجدت مأوى عند موتك " .

وقد اعتادت الحكايات الشعبيه إظهار إلياهو معلماً للحكماء والحسيديم ، حيث يظهر لهم ليعلمهم الأهمية العظيمة للصلاة ، وتشير هذه الحكاية إلى هذا الموتيف : אָמַר ר' אלעזר ב"ר יוסי : פעם אחת ה"ת מהלך בדרך ומצאנו אליהו זכור לטוב ועמו ארבעת אלפים גמלים טעונים. אמרתי לו : מה אלו טעונים ? אמר לי : אף וחימה. אמרתי לו : למה ? אמר לי : לעשות נקמה באף וחימה מי ש מספר בין קדוש לברוך, בין ברכה לברכה, בין פרשה לפרשה, בין אמן יהא שמיה רבה ליתברך, בין גאולה לתפילה, ואין תפילתם נשמעת לפני הקב"ה. וכל המכוין בתפילתו ואינו מדבר , אין תפילתו חוזרת ריקם![1]

" يحكى رابى " اليعازر بن رابى يوساى "[2] ويقول : ذات مرة كنت أسير

---

١) סדר אליהו רבה , עמ' 32 . هذا ويكثر اليهود من ذكر هذه الحكاية فى مدارسهم الدينية .

٢) رابى اليعازار بن يوساى : من الطبقة الرابعة لأحبار التلمود (الأمورائيم) فى بابل (٣٧٥ - ٤٢٧) وهو ابن " رابى يوساى الجليلى " (راجع ברכות, ס"ג, ב) وكانت له قواعده الخاصة بالشروح والتفاسير حيث كان مهتما بكل دقائق النص اهتماماً بالغاً .
انظر : د. عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى . ص ١٢٨ .

فى الطريق فوجدت " إلياهو " " طيب الله ذكراه " ومعه أربعة آلاف جملاً محملين. فقلت له : بماذا هى محملة ؟ فقال لى : غضب وسخط . فقلت له : لماذا ؟ قال لى : من أجل الانتقام بالسخط والغضب ممن يحكى بين القدوش (دعاء يتلى على كأس من الخمر قبل الطعام لتقديس يوم السبت) والحمد ، بين التسبيحة والتسبيحة ،بين التفسير والتفسير ، بين آمين : لتكن السماء كثيرة البركة ، والخلاص والصلاة ، فلن يسمع الرب صلاتهم . وكل من يخلص فى صلاته ولايتحدث ، فإن صلاته لن تذهب سدى " .

ويحكى أن " إلياهو " قال لصديقه " رابى يوساى " : " عندما يدخل الإسرائيليون المعابد والمدارس الدينية ويدعون " مبارك الرب العظيم " يهز الرب رأسه ويقول: طوبى للملك الذى يسبحون له فى بيته هكذا.ويالله من أب الذى شتت أبناءه ، وأحسرتاه على هؤلاء الأبناء الذين تشتتوا من حول مائدة أبيهم "(١).

إلياهو واعظاً ومعاقباً : מוכיח ומעניש :

يحتل " إلياهو " الواعظ والمعنف مكاناً محترماً فى القصص الشعبى اليهودى فيظهر فى هذه القصص متقمصاً شخصية غيورة تظهر فيها درجة الغيرة المتقدة مثل تلك التى كان يخشاها آحاب ، وتصف هذه القصص غيرته " لرب الجنود " من بدايته إلى نهايته ، منتقما ممن يترك فرائض الرب : " فيحكى أنه ذات مرة رأى الياهو ، إنسانا يصلى وخلفه المعبد ويرفض أن يتجه بقبلته ناحية المعبد، فظهر له إلياهو فى هيئة " تاجر عربى " وقال له : هكذا أنت أيها الوقح تقف أمام سيدك وإلهك ! وعندما لم يهتم هذا الرجل بكلامه ورفض أن يتجه بقبلته ناحية المعبد فى صلاته ، استل إلياهو سيفه وقتله "(٢)

ושוב מעשה בשני אחים. האחד עשיר גדול ורע מעללים, והאחר עני מאד ואיש טוב ומטיב. בא אליהו אצל העשיר ונדמה לעני החוזר על הפתחים והיה מבקש ממנו נדבה, והלה השיב פניו ריקם. עמד והלך אצל העני לבקש נדבה ממנו, וקבל אותו בסבר פנים-

---

١) מסכת ברכות ,ג׳.א . ٢) מסכת ברכות ו ,ב .

יפות, הכניסו לביתו וחלק לו מפרסתו הדלה, והוא ואשתו עומדים ומשמשים לפניו בשמחה. כשעמד אליהו להפרד מהם אמר להם: ישלם ה' לכם משכרת כפעלכם הטוב עמו. הדבר הראשון שאתם מתחילים בו יחול בו ברכת ה' בשפע רב עד שאתם אומרים די. הוי ביד אותו עני איזו פרוטות של נחושת. התחיל מונה אותן, כדי לראות אם יש בהן כדי מחיר ככר לחם לסעודה אחת. מיד נכנסה ברכה במטבעות והיו מתרבים והולכים, מתרבים והולכים, עד שהיה מונה ומונה ואין הפרוטות מגיעות לסוף. ישב ומנה כל אותו היום וכל אותו הלילה עד אור הבקר. לבסוף נתעייף ביותר וקרא: דיני, דיני, ובאמת כבר היה לו די ויותר מדי עשרות גדולה לכל ימי חייו. כיון שראה האח העשיר שחזר הגלגל על אחיו ונתעשר מאד אמר לו: אחי יקירי, כל מה מון גדול זה האיך בא לידך? ספר לו כל הדברים כהותם. אמר האח העשיר בלבו, מעכשו, אם יזדמן אותו עני זקן עושה הפלאים לביתי, אפליא עמו חסד. כדי שיתן גם לי ממון הרבה. ליג יצאו ימים מעטים עד שבא אליו אותו זקן מסכן לבקש ממנו חסד. מיד קדם פניו בשמחה רבה, הכניסו לתוך ביתו, האכילו והשקהו כל מיני מעדנים וממתקים, מן הטוב והמטיב שבביתו. ואף הוא ואשתו עומדים ומשמשים לפניו. כשעמד אליהו להפריד מהם, ברכם: הדבר הראשון שאתם מתחילים בו יחול בו ברכה עד ללא גבול, עד שיאמר די מי שאמר לעולמו די. כיון שיצא אליהו משם אמרה לו אשתו לבעלה העשיר: הנה ונצא לעשות צרכינו. כדי שנוכל לישב במנוחה ולמנות דינרי זהב שתחול בהם הברכה. כיון שיצאו ולא פסקו מצרכיהם עד יציאת נשמה.[1]

---

(1) The Exempla of the Rabbis, Numb. 435.

وحكاية الأخين : اللذين كان أحدهما غنيا وفاعل سوء والثانى فقيراً طيباً وصانع خير .. حضر إلياهو عند الغنى وظهر له فى هيئة رجل فقير يستجدى ويطلب الإحسان ، ولكنه رده صفر اليدين . فقام إلياهو وذهب عند الأخ الفقير ليطلب منه الإحسان ، فاستقبله ببشاشة ، وأدخله بيته ، واقتسم معه من رزقه القليل ، وقام هو وزوجته على خدمته فى سعادة ، وعندما قام إلياهو لتوديعهما قال لهما : سيجزيكما الرب باجوركما حسب عملكما الخير معى ، وأول شىء تبدآن فيه ستحل فيه بركة الرب ويصير وفيرا حتى تقولا كفى . وكان فى يد هذا الفقير قطع نقدية نحاسية ، وعندما بدأ يحصيها لكى يعرف هل تكفى لشراء خبز من أجل وجبة واحدة ، حلت فيها البركة فى الحال وأخذت تزيد وتزيد وهو يحصيها وهى مازالت تزيد إلى مالا نهاية . استمر طوال النهار وطوال الليل يحصى النقود حتى صباح اليوم التالى وفى النهاية حل عليه التعب الشديد فصاح : اكتفيت اكتفيت ، وفى الحقيقة أصبح عنده مايكفيه وأكثر للغنى العظيم كل أيام حياته . وحينما رأى الأخ الغنى ان العجلة دارت عليه وأصبح أخوه هو الغنى جداً . قال له : أخى العزيز : كيف أصبح لك كل هذا الغنى ؟ فحكى له كل شىء كما هو . ففكر الأخ الغنى وقال من الأن إذا جاءنى هذا الشيخ الفقير صانع المعجزات ، فى بيتى سأفعل معه المعروف ، لكى يهبنى أنا أيضا ثروة عظيمة . لم تنقض عدة أيام حتى حضر إليه نفس الشيخ المسكين لطلب الإحسان . فى الحال استقبله فى ترحاب وسعادة كبيرة ، وأدخله بيته ، وأطعمه وأشربه كل أنواع الأطعمة والحلوى من أشهى مالديه بالمنزل ، وقام هو وزوجته على خدمته . وعندما قام إلياهو لتوديعهما باركهما بقوله : الشىء الذى تبدآن العمل فيه ستحل فيه البركة إلى مالا نهاية حتى يقول كفى من قال لعالمه كفى . وبعد أن خرج الياهو ... ، قالت الزوجة لزوجها الغنى ، هيا نذهب لقضاء حاجاتنا ، حتى نستطيع أن نجلس فى راحة ونحصى الدنانير الذهبية التى ستحل فيها البركة ، فذهبا لقضاء حاجاتهما ولم يتوقفا عن ذلك حتى لفظا انفاسهما .

وقد تميز إلياهو فى الأدب الشعبى بغيرته الشديدة التى كان يبديها نحو حكماء التلمود ، حيث كان يتشدد معهم فى أدق الأمور :

يحكى أن " رابى يشمعئيل بن رابى يوساى ישמעאל בר' יוסי "(١) بعد تعيينه ضابطاً من قِبَل المملكة للقبض على اللصوص وقاطعى الطرق .

قابله إلياهو وعنفه بشدة . وقال له : منذ متى تسلم شعب الرب للقتل ؟ فقال له : ماذا فى استطاعتى أن أفعل ؟ فقد اشتدت على أوامر المملكة . فقال له : افعل كما فعل أبيك فى زمنه حيث هرب من المملكة إلى آسيا ، فقم أنت أيضا واهرب إلى " لودقيا "(٢)

---

١) رابى يشمعئيل بن رابى يوساى : ينسب إلى الطبقة السادسة والأخيرة من (التنائيم) وقد كان معاصراً " لرابى يهوذا هنّاسى " وعضواً فى محكمته ، ويعد أيضاً من تلاميذه ، وقد وجه معارضة محددة إلى سلطة الرئاسة وتعيين الحكماء والقضاة ، وقد امتنع عن أن يكون قاضياً ، وامتنع عن اصدار هلاخوت حيث اجتهد فقط فى تسوية الخلافات بين الخصوم والمتنازعين (قارن כתובות קה , ע"ב) . ومن أقواله فى فصول الآباء : " הוי נשמר מן השלטון, שאין מקרבין לו אלא לצורך עצמו, נראה כאוהב בשעת שלותו, ואין עומד לו בשעת צרתו " .

من يمنع نفسه من المقاضاة يزيل عنه العداوة والسلب واليمين الباطل ، ومن تجاسر ويحكم بغير تمعن وتأن فهو أحمق وشرير ومتكبر " פרק' אבות , פרק רבי' , ו)

انظر : בן ציון דינור , מסכת אבות מפורשת ומבוארת , עמ' 98 .

٢) מסכת בבא מציעא , פד , א .

ويتكرر هذا الموتيف أيضاً فى حكاية " رابى اليعازر بن رابى شمعون רבי אלעזר בר׳ שמעון "[1] الذى كان معاصرا لرابى يشمعئيل ، الذى لم يكن تلميذا حكيما فى شبابه ،بل كان جنديا بطلا حتى عينته مملكة الشر ضابطا يقبض على المجرمين والمناهضين للقانون . قابله إلياهو وقال له : حتى متى تقود شعب إلهنا إلى القتل ؟ قال له : ماذا أفعل ؟ قال له : تمسك بعقائد آبائك : فقال له : لكنى لا أعرف شيئاً عن التوراة ولايوجد من يعلمنى . قال له إلياهو : أنا أعلمك .. أخذ يعلمه ثلاث عشرة سنة إلى أن أصبح عالماً عظيماً بالتوراة [2]

ومن الحكايات البارزة جدا فى الأدب الشعبى اليهودى حكايات إلياهو مع " رابى يشوع بن لاوى - רבי יהושע בן לוי "[3] ومنها هذه الحكاية التى تظهر تجاهل إلياهو لصديقه رابى يشوع .

אחד מן הקושרים נגד מלכות הרשעה, עולא שמו, תבעתו המלכות להמיתו כמורד במלכות. קם וברח אצל רבי יהושע בן לוי ללוד. כשנודע למלכות מקום מחבואו שלחה אחריו לתפשו. אמרו לו שליחי המלכות לרבי יהושע: אם אין אתה מוסרו בידינו אנו הורגים כל אנשי העיר.

---

١) رابى اليعازار بن رابى شمعون بن يوحاى : من الطبقة الخامسة من طبقة فقهاء المشنا (١٦٥ - ١٠٠ م) وهو من جيل " رابى يهوذا هنّاسى " ، وقد نقل عن " صموئيل بن آبابن آبا ".

انظر : התלמוד ויוצריו, דרך שני, עמ׳ 358 - 359.

٢) פסיקתא דרב כהנא, מהד׳ בובר, ליק, 1800, צב, ב, צג, א.

٣) ربى يشوع بن لاوى : من أحبار التلمود (الأمورائيم " فى فلسطين ،وينسب إلى الطبقة الأولى ٢١٩ - ٢٧٩ ، ومشهور بأنه يكثر من القصص والأساطير فى شرحه ، ومن تلاميذه " رابى شمعون بن فزى " الذى كان تلميذه فى " اللد " والذى كاتب يقوم بترتيب الأجادوت أمامه ..

انظر : התלמוד ויוצריו, דרך שני, עמ׳ 130, 184.

נטפל רבי יהושע לעולא ופיסו ואמר לו: מוטב שיהרג איש אחד בלבד משיהרגו כל אנשי העיר על ידו, נתפיס עולא להמסר להריגה ומסרו רבי יהושע לידם. היה רגיל אליהו להתגלות לרבי יהושע. כיון שעשה אותו מעשה פסק מלהתגלות לו. צם רבי יהושע שלשים יום שיתגלה לו ונתגלה לו. אמר לו רבי יהושע לאליהו: מפני מה בטלת עצמך מלבוא אצלי? אמר לו: וכי חבר אני למסורותו? אמר לו רבי יהושע: והלא משנה היא: סיעה של בני אדם שאמרו להם גויים: תנו לנו את פלוני ונהרגנו, ואם לאו אנו הורגים את כולכם, רשאים למסרו ולא יהרגו כולם. אמר לו: כלום משנת חסידים היא משנה זו? אף על פי שאחרים היו רשאים לעשות כן, אתה לא היית רשאי.(1)

" ויحكى ان " عولا עולא "(٢) تآمر ضد المملكة الشريرة ، فحكمت المملكة بقتله لتمرده ضدها ، فقام وهرب واختبأ عند " رابى يشوع بن لاوى " ، وعندما علمت المملكة بمخبأه أرسلت جنودها للقبض عليه ، فقال الجنود " لرابى يشوع ": إن لم تسلمه لنا نقتل كل رجال المدينة ، فاسترضى " رابى يشوع " "عولا" وطيّب خاطره قائلاً : من الأفضل أن يموت واحد فقط عن أن يموت كل رجال المدينة بسببه . فارتضى " عولا " تسليم نفسه ليموت ، فقام " رابى يشوع " وسلمه للمملكة . وكان من المعتاد تجلى "إلياهو" " لرابى يشوع " ، ولكن بعد هذا العمل توقف " إلياهو " عن التجلى له ، فصام " رابى يشوع " ثلاثين يوماً من أجل أن يتجلى له ، فتجلى له "إلياهو" . فقال له " رابى يشوع " : لماذا توقفت عن المجيء إلىّ ؟ فقال له :

(1) תלמוד ירושלמי: תרומות. פ"ח. צו. ב

٢) رابى عولا :وهو عولا بن يشمعئيل من أحبار التلمود (الأمورائيم) فى بابل (العراق)وينسب إلى الطبقة الثانية (٢٥٧ – ٣٢٠) ، وقد اشتهرت مدرسته الدينية.وقد زامل راب " يهودا بن يزحقئيل " ورّاب نحمان ورّاب حسدا . وقد هاجر من فلسطين إلى بابل فى نهاية أيام " رابا " بعد تدهور الوضع فى أيام حكم " جالوس داورسيكانوس " وقد ذكر عدة مرات فى التلمود الأورشليمى

(שבת פרק י"ג, הלכה ה', שקלים פרק ג', הלכה א')

انظر : התלמוד ויוצריו, דרך שני, עמ' 293 - 294.

لاننى زميل فتبلغ عنى ؟ فقال له " رابى يشوع " : " أليست المشنا هكذا : مجموعة من الناس قال لهم الأغراب : اعطونا فلاناً لنقتله ، وإن لم تسلموه لنا تقتلون جميعكم . فيحق لهم تسليمه ولايقتلون كلهم " . فقال له : هذه المشنا هى مشنا حسيديم ! وهم كان لهم الحق فى هذا العمل ، بينما أنت لم يكن لك الحق فيه "(١)

والقصص الشعبى لم يجعل من تجلى إلياهو ونزوله من السماء أمرا سهلا ، بل جعلته يتطلب اسهامات خاصة وسامية من هؤلاء الذين يريدون تجليه لهم حيث كان يدقق معهم ويتشدد فى أدق الأشياء وعن هذه الموتيفات تتحدث هذه الحكايات:

(أ) *האחים אביה ומנימין בין איהי, שניהם חסידים גדולים היו. אחד מהם היה מאכיל את המשרתים שלו מכל מאכל ומאכל שהיו מעלים על שלחנן, ואלו השני אף הוא נתן להם אוכל טוב לשבע אבל לא נתן להם אלא מ- מין אחד, ומשאר המאכלים נתן להם את השירים בלבד, לראשון התגלה אליהו, אבל לשני לא התגלה. וכן נהג אליהו עם שני אחים אחרים, חסידים גדולים: רב מרי ורב פינחס בני רבי חייא, אחד מהם היה רגיל להאכיל את משרתיו לאחר שהוא עצמו אכל ושתה, ואצל השני היו מקדימים עריכת שולחן המשרתים לעריכת שולחנו שלו. ולא היה אליהו מתגלה אלא לשני בלבד.*(٢)

(أ) " الأخوين " أبيا " و" منيامين " ابنا " إيهى " ، كانا من كبار الحسيديم، الأول كان يطعم خادميه من كل الأطعمة الموجودة على مائدته ، أما الثانى فقد كان أيضاً يقدم لهم الطعام الجيد ولكن لم يقدم لهم إلا نوع واحد فقط ، وفضلات باقى الأطعمة ، تجلى إلياهو للأول ، ولم يتجل للثانى " .

---

١) ووفقا للقانون كان " رابى يشوع بن لاوى " له الحق فى تسليم الرجل للقتل لينقذ حياة الآخرين . لكن الحسيديم كانوا ملزمين من قبل بالعدل المطلق ، وتروى حكاية أخرى تعنيف "إلياهو" " لرابى يشوع بن لاوى " لأنه تشدد أكثر مما ينبغى فى شرائع السبت ، حيث كان يحذر تلميذه ألا يشترى الخضروات من حديقة "سيسرا" (الغريب) . فتجلى له إلياهو وقال له : ليست هذه حديقة " سيسرا" وإنما هى ليهودى قتله "سيسرا" وأخذها منه . إذا أردت أن تتشدد على نفسك ، فخفف على الآخرين .

انظر : *ירושלמי, שביעית, פ"ט, לט, א.*

٢) *מסכת כתובות, סא, א.*

(ب) وكذلك فعل إلياهو مع اخوين أخرين من كبار الحسيديم أيضاً : " راب ماري" " وراب فينحاس " ابنا " رابى حييا " . الأول اعتاد إطعام خادميه بعد أن يأكل ويشرب هو ، أما الثانى فكان إعداد مائدة الخادمين يسبق إعداد مائدته ، ولم يكن "إلياهو" يتجلى إلا للثانى فقط " .

(ج) وكذلك يتكرر هذا الموتيف فى حكاية حسيدى ، اعتاد "إلياهو" زيارته ، ولكن عندما بنى لمنزله بوابه توقف "إلياهو" عن زيارته ، لانه أصبح لايسمع وهو فى داخل المنزل أصوات الفقراء الذين يأتون خارج المنزل(١).

(د) ونجد هذا الموتيف أيضاً فى تشدد "إلياهو" مع " رابى يشوع بن لاوى " بسبب افتراس أسد لرجل على بعد ثلاثمائة فرسخاً من محل إقامة " رابى يشوع " فلم يسأل "إلياهو" عن أحواله ثلاثة أيام ، حيث رأى أنه لو كان "رابى يشوع" يقيم الصلاة لما وقعت كوارث فى نطاق حدوده (٢).

(هـ) هذا وتعتبر حكاية "إلياهو" مع " راب عنان רב ענן "(٣)نموذجاً بارزاً لموتيف تشدد إلياهو النبى " وفيما يلى نص الحكاية ":

אליהו היה רגיל לבוא אצל רב ענן, פעם אחת הביא לו אדם אחד לרב ענן דגים קטנים במתנה. אמר לו רב ענן: מה לך עמי שאתה מביא לי מתנות? אמר לו: יש לי דין תורה לפניך. סבר רב ענן לקבל את המתנה ואף פסל עצמו מלשבת כדין בדינו של אותו איש. הפציר בו האיש

---

١) מסכת בבא בתרא ، ١ ، ב

٢) מכות ١٠ ، א .

٣) راب عنان : أمورائى بابلى من تلاميذ " صموئيل " واسمه بالكامل " عنان بر بئير " أو " بار " ، وكان قاضياً . فقد خلف راب "نحمان بر يعقوب " وكان " راب عنان " يثنى أقوال الأجداه الخاصة بالتنائيم ومعظم أقوال " راب عنان " الموجودة فى التلمود البابلى قيلت باسم " صموئيل " (راجع במות צ"ז ; ב"מ .ע ; ב"ב .י"ב).
انظر : אוצר ישראל , חלק ח' ,עמ' 106.

לקבל את המתנה ולהעביר דינו לדין אחר, והוכיח לו מדברי קבלה, שכל המביא דורון לתלמיד חכם כאלו מקריב בכורים, ובקש ממנו שֶאַל ימנעהו מלקים מצוה רבה זו. כיון ששמע רב ענן כך, קבל ממנו, ושלח אצל רב נחמן שידון בדינו של אותו אדם משום שהוא פסול להיות לו דַיָן. כיון ששמע רב נחמן כך, אמר: אִיש זה בודי קרובו של רב ענן הוא ואדם חשוב, וחלק לו כבוד. ומתוך כך נסתתמו טענותיו של הצד שכנגד והפסיד בדין. והיה רגיל אליהו לבוא אצל רב ענן וללמוד עמו, כיון שעשה מה שעשה, פסק אליהו מלבוא אצלו, לפי שעל־ידי חוסר זהירותו של רב ענן הפסיד הצד שכנגד בדינו. ישב רב ענן בתענית ימים רבים והיה מבקש רחמים עד שחזר אליהו לבוא אצלו. ואף על פי כן לא התגלה לו כמקודם, בפנים שוחקות, אלא בפנים של זעם והיה רב ענן נבעת בבואו ולא היה יכול להסתכל בפניו, והיה אליהו לומד עמו כרואה ואינו נראה.(1)

كان إلياهو معتاداً المجيء عند "راب عنان"، وذات مرة أحضر رجل بعض السمك كهدية "لراب عنان". فقال له "راب عنان": ماعلاقتى بك حتى تحضر إلىَّ هدايا؟ فقال له: "لى قضية ستنظرها أنت".. فرفض "راب عنان" قبول الهدية وتنحى عن الجلوس كقاضٍ فى قضية هذا الرجل، فاستعطفه الرجل من أجل قبول هديته مع إحالة قضيته إلى قاضٍ آخر. وأثبت له من أقوال "القبّالا" إن كل من يقدم هدية لتلميذ حاخام كإنما يقدم بكورية، وطلب منه ألا يمنعه من إقامة هذا الواجب العظيم. حينما سمع "راب عنان" ذلك، قبلها منه، وأرسل إلى "راب نحمان"(2) ليحكم فى قضية هذا الرجل لأنه غير صالح لينظر فى هذه القضية.. حينما سمع "راب نحمان" ذلك، قال: هذا

---

1) מסכת כתובות, ק"ו, א'.

2) راب نحمان: وهو راب نحمان بر يعقوب: أمورائى من أحبار التلمود فى فلسطين وينسب إلى الطبقة الثانية (٢٥٧ - ٣٢٠) وكان رئيساً وقاضياً فى "نهر ديعه". انظر: התלמוד ויוצריו, פרק ב', עמ' 242.

الرجل قريب بالتأكيد " لراب عنان " وشخص مهم ويجب احترامه . ولذلك فشلت ادعاءات الطرف الآخر وخسر القضية . وكان " إلياهو " معتاداً المجيء عند " راب عنان " والدراسة معه ، وحيث أنه فعل مافعل ، توقف " إلياهو " عن المجيء عنده ، لأنه عن طريق حِرمٍ " راب عنان " خسر الطرف الثانى الحكم ، فأخذ " راب عنان " يصوم أياماً عديدة ،واستمر فى طلب المغفرة حتى عاود " إلياهو " المجيء عنده ، ولكن لم يتجل له كسابق عهده ، بوجه بشوش ، بل بوجه غضوب حتى أصبح " راب عنان " يخشى مجيئه ، وحتى انه لم يكن يستطيع النظر إلى وجهه ، أما إلياهو فكان يدرس معه كشخص حاضر وهو غير ظاهر"(١).

---

١) מסכת כתובות ,קו ,א. وبخصوص النتيجة المهمة التى استنتجها أحبار التلمود من هذه الحكاية وهى بخصوص " سيدر- إلياهو رابا סדר אליהו רבה " وسيدر إلياهو زوطا סדר אליהו זוטא " فما علمه "إلياهو" " لراب عنان " قبل هذه الحكاية أطلق عليه اسم "סדר אליהו רבה" وماعلّمه له بعدها أطلق عليه اسم "סדר אליהו זוטא"،ولكن ليس معروفاً لنا طابع هذه القصص التى ينسبها التلمود " لإلياهو " . فإنه ممالاشك فيه ان " סדר אליהו רבה - סדר אליהו זוטא " الموجودة بين أيدينا قد تم تأليفهما بعد ختام التلمود ، وليس لهما أية علاقة - باستثناء اسمائهما - بالكتب التى يقصدها التلمود . " فالبراتيا التسعة תשע הברייתות" الموجودة فى التلمود باسم תנא דבי אליהו" مأخوذة بالتأكيد من مؤلف تنائى كان اسمه " إلياهو " حيث كانوا معتادين تسمية الأشخاص باسم " إلياهو " فى فترة التنائيم وفى فترة الأمورائيم (انظر רטנר , אהבת ציון לפסח' סא) .
وتوجد فى هذين المدراشين " البراتيا التسعة (انظر איש שלום فى مقدمته ل סדר אליהו רבה ,עמ' 45) ، وفى ثلاثة مواضع استبدلت الكلمات " תנאדבי אליהו" بالكلمات :"משום דבי אליהו הנביא " على يد مؤلف أو مؤلفى هذين المدراشين . وهذا الأمر يثبت انه فى فترة زمنية سابقة نسبياً ، أخطأوا فى إعتبار"תנא דבי אליהו "، الذى فى التلمود ، وقالوا انه ينسب إلى "إلياهو النبى" . ويعرض هذان المدراشان المذكورين عالياً ،"إلياهو النبى " فى عدة مواضع فيهما ، كقاص لأحداث وروايات حدثت معه ، ولكننا نجد فى هذه القصص نقص فى كمال الأجاداه ، ويمكننا بسهولة التحديد بأن المؤلف وضع على لسان إلياهو آرائه نحو " الله " ،" وإسرائيل " ، " والتوراة " . وهناك مؤلف آخر ينسب ايضا " لإلياهو النبى " وهو : " סדר אליהו " وهو كتاب ==

وأحيانا نرى " الياهو " فى الأدب الشعبى ، يجبر الناس على التخلص من رذائلهم ومن عاداتهم السيئة ، وتشير هذه الحكاية إلى هذا " الموتيف " :

מעשה באדם אחד שהיה עשיר גדול והיו לו קרקעות הרבה ולא היו לו שורים לחרוש אותם. נטל אותו האיש כים של מעות שהיה בו מאה דינרים, והלך לעיר אחת לקנות שורים או פרות. כשהיה בדרך פגע בו אדם אחד, ואליהו היה. אמר לו: להיכן תלך? אמר לו: לכפר שורים לקנות שורים אני הולך. אמר לו אליהו: אֱמֹר "אם יגזור השם". אמר אותו עשיר: אם יגזור או לא יגזור, הרי מעותי בידי ואעשה סחורתי. אמר לו אליהו: ולא בהצלחה. הלך לו האיש לעות דרך לעשות סחורתו ונפל לו כיסו. וכיון שהגיע לכפר שורים ובקש לעשות סחורתו, שלח ידו לקח הכיס לתת המעות ולא מצא כלום. מיד חזר לביתו במר נפש ונטל ממון שני והלך לכפר אחר, כדי שלא יפגע בו אליהו. עם שהיה מהלך, שוב פגע בו אליהו ונדמה לו כזקן אחד ואמר לו: להיכן תלך? אמר לו: לקנות שורים. אמר לו: אֱמֹר "אם גוזר השם". אמר לו: אם יגזור ואם לא יגזור, הרי מעותי בידי ואיני מתירא מכלום. מיד הלך האיש לדרכו. וכשהוא הולך בדרך נתן לו אליהו שֵׁנָה ושכב בדרך וישן. ונטל אליהו אותו הכיס מידו. וכשהקיץ משנתו ולא מצא כלום, חזר לביתו במר נפש ונטל ממון שלישי והלך לו. שוב פגע בו אליהו,

=) أبوكاليبتى (كتاب أدبى عن أسرار العالم الآخر) يكشف فيه إلياهو الأسرار التى ذكرها له المَلَك " ميكائيل מיכאל " والتى تتحدث عما سيقع مستقبلاً أيام المسيح . ويشبه هذا الكتاب المؤلف : "פרק' משיח فصل أو فصول المسيح " والذى يذكر فيه " إلياهو " " لرابى يوسى " معلومات مهمة عن شخصية المسيح ، وعن الخلاص الذى سيأتى على يديه . ومن المؤكد ان هذين المؤلفين الأبوكاليبتيين قد تم تأليفهما فى منتصف القرن الثامن تقريباً .

انظر : אגדות היהודים, כרך ג', עמ' 196.

נדמה לו כזקן אחד, ואמר לו: להיכן אתה הולך? אמר לו: לקנות שורים, אם יגזור השם. אמר לו אותו זקן: לך לשלום ובהצלחה. מיד הלך האיש לכפר שורים ומצא שם שתי פרות אדומות שלא היה בהן שום מום. אמר לבעליהן: בכמה הפרות האלו? אמר לו: במאה וחמשים דינרים. אמר לו: אין עמי אלא מאה דינרים. מיד הכניס ידו לתוך כיסו ומצא שם שלוש מאות דינרים - כיס ראשון שנפל ממנו וכיס שני שנגנב ממנו. מיד קנה את הפרות וקנה שורים לחרוש קרקעותיו כל צרכו. ולאחר ימים מכר הפרות למלך באלף דינרים של זהב.(1)

" يحكى أنه كان هناك رجل غنيٌّ جداً ، وكان يمتلك أراضى كثيرة ، ولم يكن عنده ثيران لحرثها . فأخذ الرجل كيس نقوده وكان فيه مائة دينارا ،وذهب إلى إحدى المدن لشراء ثيران أو أبقار ، وهو فى طريقه التقى به " إلياهو " وقال له : " إلى أين أنت ذاهب " ؟ فقال له : " إننى ذاهب إلى قرية بها ثيران للشراء . فقال له " إلياهو " : " قل إن شاء الله " . فقال له الرجل الغنى : " إن شاء أم لم يشأ فأنا معى نقودى وأنتم تجارتى . فقال له "إلياهو": " بعدم التوفيق " . سار الرجل فى طريقه ليتم تجارته ، وفى الطريق سقطت منه حافظة نقوده ، وحينما وصل إلى قرية الثيران وأراد إتمام تجارته ، مد يده ليخرج الحافظة ليعطى النقود للبائع ، لم يجد شيئاً . فى الحال عاد الى

---

١) אלפא ביתא דבן סירא, ראשונה ושניה, מהד' שט"רנשנר "דר ברלין 1858, ט,ב,י,א. ولفضيلة قول أحبار التلمود " إن شاء الله **אם ירצה השם** " ، كانت معروفة أيضاً فى العهد الجديد : (١ كورنثوس ٤ : ١٩ ؛ إلى العبرانيين ٦ : ٣ ؛ رسالة يعقوب ٤ : ١٥) هذا وقد أشار " سونسى **צונץ** " إلى مثال هذه التعبيرات الشائعة عند أحبار اليهود فى القرون الوسطى وقال إن منها **אם ירצה השם** إن شاء الله " و "**בעזרת השם** بعون الله ". وقارن ماجاء فى قوله تعالى فى سورة الكهف : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ " . (القرآن الكريم . سورة الكهف . آية ٢٣-٢٤)

بيته مستاءاً وأخذ نقوداً أخرى وذهب إلى قرية أخرى حتى لايلتقى " بإلياهو ". وهو يسير فى الطريق التقى به " إلياهو " مرة ثانية وظهر له فى هيئة شيخ وقال له : " إلى أين أنت ذاهب " ؟ قال له : لشراء ثيران . فقال له : " قل إن شاء الله " فقال له : " إن شاء أم لم يشأ فإن معى نقودى فى يدى وأنا لا أخشى شيئاً " . وتركه الرجل فى الحال وسار فى طريقه . وهو فى الطريق أحلّ إلياهو عليه النوم ، فرقد فى الطريق ونام . فأخذ " إلياهو " حافظة النقود من يده . وعندما استيقظ من نومه ولم يجد معه شيئاً ، عاد إلى بيته مستاءا، وأخذ نقوداً للمرة الثالثة وسار فى طريقه . مرة أخرى التقى به " إلياهو " وظهر له فى هيئة رجل شيخ . وقال له : " إلى أين أنت ذاهب " . قال له : " لشراء ثيران إن شاء الله " . فقال له الشيخ : " اذهب فى سلام وبالتوفيق ".فى الحال ذهب الرجل إلى قرية بها ثيران ، ووجد هناك بقرتين حمراوتين ليس بهما أية عيوب . فقال لصاحبهما : كم ثمن هذه الأبقار ؟ فقال له : مائة وخمسين ديناراً. فقال له : " ليس معى إلا مائة دينار فقط " . وعندما أدخل يده فى جيبه وجد ثلاثمائة دينار - الحافظة الأولى التى سقطت منه ، والحافظة الثانية التى سُرقت منه - وفى الحال اشترى الأبقار ، واشترى ثيراناً تكفى لحرث أراضيه . وبعد أيام باع الأبقار للملك بألف دينار ذهب " .

ويظهر هذا الموتيف أيضا فى حكاية إلياهو النبى مع " التنائى رابى اليعازار بن رابى شمعون بن رابى يوحاى"[1] فكما علّم التاجر الغنى فى الحكاية السابقة ألا يتكبر على الرب ، كذلك تعلم " رابى اليعازار " عدم العجرفة والتواضع فى التعامل مع الناس ، والحكاية هى :

פעם אחת בא רבי אלעזר ממגדל גדור מבית רבן, והיה רוכב על החמור ומטייל על שפת הנהר, ושמח שמחה גדולה והיתה דעתו גסה עליו מפני שלמד תורה הרבה. נזדמן לו אדם אחד שהיה מכוער ביותר, אמר לו: שלום עליך, רבי, ולא החזיר לו, אלא אמר לו:

---

١) رابى اليعازار بن رابى شمعون : تنائى من أحبار الطبقة الخامسة (١٦٥-١٠٠م) من فقهاء المشنا . كان ممن يدرسون فى مدرسة " رابى يهوذا هنّاسى " ، هو ورابى يوساى بن رابى يهوذا ، ورابى شمعون بن اليعازار .
(راجع פתובות מ"ד, א') .
انظر : התלמוד ויוצריו, כרך ב', עמ' 119 .

ריקה, כמה מכוער אותו האיש, שמא כל בני עירך מכוערים כמותך? אמר: איני יודע, אלא לך ואמור לאומן שעשאני: "כמה מכוער כלי זה שעשית"! כיון שידע רבי אלעזר בעצמו שחטא, ירד מן-החמור ונשתטח לפניו ואמר לו: נענית לך, מחל לי. אמר לו: אינו מוחל לך עד שתלך לאומן שעשאני ותאמר לו: "כמה מכוער כלי זה שעשית". היה רבי אלעזר מטיל אחרין עד שהגיע לעירו. יצאו בני עירו לקראתו והיו אומרים לו: שלום עליך! רבי רבי, מורי מורי. אמר להם זה האיש: למי אתם קורין רבי רבי? אמרו לו: לזה שמטיל אחריך. אמר להם: אם זה רבי, אל ירבו כמותו בישראל! אמרו לו: מפני מה? אמר להם: כך וכך עשה לי. אמרו לו: אף-על-פי-כן, מחל לו, שאדם גדול בתורה הוא. אמר להם: בשבילכם אני מוחל לו, ובלבד שלא יהא רגיל לעשות כן. מיד נכנס רבי אלעזר ודרש: לעולם יהא אדם רך כקנה ואל יהא קשה כארז.(١)

" ذات مرة كان رابى اليعازار عائداً من برج جدور (مِجْدَل جدور) من عند سيده وكان راكباً على حمار متخذاً طريقه على حافة النهر ، وكان سعيداً سعادة غامرة ، وكان فكره منتشياً متعجرفاً لأنه درس التوراة كثيراً .. فعندما قابله فى الطريق شخصاً قبيحاً جداً ، وقال له : السلام عليكم " رابى "(معلمى) قال له : أحمق רֵיקָה (٢)، كم أنت قبيح أيها الرجل! هل كل أبناء مدينتك

---

١) אבות דרבי נתן, נוסח ב', פרק מ"א, 131
وقد ذكر فى "מסכת תענית" إن هذا الرجل القبيح كان هو نفسه " إلياهو النبى ".

٢) רֵיקָה وهى كلمة أرامية تعنى " أحمق " ، ولكن " Gaster " فى حكاياته صاغها "רַאקָה" كما وردت فى متى (٥ : ٢٢).

قباح مثلك ؟ قال له : " لا أعرف ، ولكن اذهب وقل للفنان الذى صنعنى :" كم هى قبيحة هذه الآلة التى صنعتها "(١). وحينما أدرك " رابى اليعازار " أنه أخطأ ، نزل من على الحمار وسجد أمامه وقال له : " خضعت لك ، سامحنى . فقال له : " لن أسامحك حتى تذهب للفنان الذى صنعنى وتقول له : " كم هى قبيحة هذه الآلة التى صنعتها " - فسار وراءه " رابى اليعازار " حتى وصلا إلى مدينته . فخرج أبناء المدينة لملاقاته وهم يقولون له : " السلام عليكم رابى . رابى، يامعلمنا ، يامعلمنا " . فقال لهم الرجل : " لمن تدعون رابى.رابى.رابى " ؟ قالوا له : " لهذا الذى يسير خلفك " . فقال لهم : " إذا كان هذا رابى ، فلايكثر مثله فى إسرائيل " ! فقالوا له : " لماذا " ؟ قال لهم : " كذا وكذا فعل بى " . قالوا له : " على الرغم من ذلك . سامحه . لأنه عظيم فى علوم التوراة " .. قال لهم : " من أجلكم أسامحه ، فقط على ألا يعود لفعل ذلك ". فى الحال رجع " رابى اليعازار " ودرس : " دوماً ليكن الإنسان ليناً كالقصبة ولايكون قاسياً كخشب الأرز " .

ويذكر التلمود (باب السنهدرين) إن صرامة إلياهو مع الأتقياء والحكماء جعلت واحداً منهم وهو " رابى يوسى רבי יוסי " يعظ فى الجمهور قائلاً : إن " أبانا إلياهو " متشدد ؛ وكان إلياهو معتاداً المجىء عند " رابى يوسى " وبعدما قال ذلك توقف إلياهو عن المجىء عنده ، وبعد عدة أيام جاء إليه ، فقال له " رابى يوسى " : لماذا تأخر سيدى فى المجىء حتى الآن ؟ فقال له : لأنك دعوتنى " صارماً " . فقال له رابى يوسى : وأليس سيدى صارماً ! فبسبب اننى قلت عليك ماقلته تشددت على ولم تأت كل هذه الأيام (٢) .

---

١) قارن حديث النبى-صلى الله عليه وسلم-: " لا تقبِّحوا الوجه "، ومعناه : لاتقولوا إنه قبيح فإن الله مصوِّره وقد أحسن كل شىء خلقه ؛ وقيل : أى لاتقولوا قبح الله وجه فلان .

٢) סוף סנהדרין وقارن איגרת יעקוב 5, 12.

إلياهو يحاور الحكماء :

خصص الأدب الشعبى اليهودى مساحات واسعة من القصص الشعبى للحديث عن علاقات "إلياهو" الودية والروحانية مع حكماء التلمود ومحاوراته معهم ، فشخصية " إلياهو " فى الفولكلور اليهودى ، والتى تتسم باطلاعها وخبرتها بالعالم الفوقى (السماوى) أهلته لأن يمثل شخصية المجيب والمرسل،لا السائل والمستقبل، وبذلك كشف " إلياهو " عن جزء كبير من علم الأسرار والغيبيات إلى الحكماء،وكان معتاداً أن ينقل بسرعة البرق كلام أحد الحكماء إلى زميل له على بعد مئات الفراسخ(١).

ونعرض فيما يلى بعض الحكايات التى تتضمن هذا الموتيف :

(أ) פעם פגע בו רבי יוסי באליהו. אמר לו : כתיב "אעשה לו עזר". במה אשה עוזרת לו לאדם? אמר לו : אדם מביא חטים, חטים כוסס ? אדם מביא פשתן פשתן לובש ? לא האשה מכינה לו קמח מן החטים ובגד מן הפשתן ? נמצאת מאירה עיניו ומעמידתו על רגליו.(٢)

---

١) מסכת עירובין,מג,א. .بناء على هذه المقولة وبناء على مواضع أخرى فى التلمود يظهر فيها " إلياهو " معلماً للحكماء . يقولون أن أى موضع فى التلمود يذكر "ההוא סבא - ذلك الشيخ " يكون المقصود به هو " إلياهو " . وعن ظهور "إلياهو" فى شخصية أحد الشيوخ .

انظر : פסיקתא דרי כהנא, מהד' בובר, ל'ק1880 פרק י', צב, ב-צג, א.

وعن ظهور إلياهو فى شخصية " شيخ " يقولون إن "إلياهو" كان معتاداً المجىء يومياً عند " راب يوسف جاؤون רב יוסף גאון " فى " بومباديشا " ولم يعرف أحد من الخلق ذلك . إلا انه فى أخر أيامه ، عندما كان شيخاً مسناً وشرد ذهنه ، قال ذات مرة لحكماء اليشيبا الذين جاءوا لزيارته : افسحوا مكاناً بجانبىمن أجل ذلك الشيخ الذى جاء لرؤيتى . فنظر الحكماء ولم يروا أحد ... ، فعرفوا أنه يقصد إلياهو النبى .

انظر : איגרת רב שרירא גאון ,עמ' 37.

٢) מסכת יבמות ,סג,א.

(أ) ذات مرة التقى رابى يوسى بإلياهو . قال له الفقرة المقرائية : "أقدم له مساعدة " ، بماذا تساعد المرأة الرجل؟فقال له : الرجل يحضر الحنطة ، أيطحن الحنطة ؟ الرجل يحضر نبات الكتان ! أيرتدى الكتان ؟ أليست المرأة تعد القمح من الحنطة والثياب من الكتان ؟ انها توجد لتضىء له حياته وتسانده .

(ب) שאל אליהו לרבי נהוראי: מפני מה ברא הקדוש־ברוך־הוא שקצים ורמשים בעולמו? אמר לו: לצורך נבראו. בשעה שהבריות חוטאין, הוא מביט בהם ואומר: מה אלו שאין בהם צורך הרי אני מקימם, אלו שיש בהם צורך לא כל־שכן. שוב פעם אחרת שאל אליהו לרבי נהוראי: מפני מה באין זועות לעולם? אמר לו: בשעה שאין ישראל עושים רצונו של מקום, הקדוש־ברוך־הוא מביט לארץ והיא רועדת. אמר לו אליהו: בני, כך היא סברה של הדבר. אבל אין כך עקרו של דבר. אלא בשעה שהקדוש־ברוך־הוא מביט בבתי תאטראות ובבתי קרקסאות, שיושבים בהם ושאנן ושלוה- ובית מקדשו חרב, הוא מתמלא אף על העלם להחריבו, שואג עליו ומרעיד את הארץ.(1)

(ب) " سأل " الياهو " رابى نهورای (2) " : لماذا خلق الله الزواحف والديدان؟

---

(1) ירושלמי, מסכת ברכות, פרק ט', ג, ג; סדר אליהו רבה, פרק א, 15; מדרש תהלים, מהד' בובר, וילנה 1891, מי"ח, 140 - 141.

(2) رابى نهورای : يبدو انه كان تلميذاً " لرابى طرفون " (راجع אבות דרבי נתן נו"ב, פרק מ') وقد كان من حكماء " أوشا אוש " ،ولم يعرف شيئاً عن حياته ، ولذلك نسب اسمه لحكماء آخرين ، وأما الحكايات التى ذكرت لتوضيح اسمه فتثبت أنه فى أيام التلمود لم يعرفوا شيئاً عنه .. ومن أقواله فى فصل الآباء "הוי גולה למקום תורה ואל־תאמר שהיא תבוא אחריך, שחבריך יקימוה בידך ואל בינתך אל תשען - تغرّب إلى حيث التوراة . ولاتقل انها تتبعك وان رفقاءك يقومون بها لأجلك . ولاتعتمد على فطنتك ". (מסכת אבות, פרק ד', ד)

انظر : בן ציון דינר, מסכת אבות, מפורשת ומבוארת, עמ' 103.

قال له : " خلقت لضرورة . فى الوقت الذى تخطأ فيه المخلوقات ، فانه ينظر إليها . ويقول : مابال هؤلاء الذين ليس لهم ضرورة ، وأنا أبقيهم على قيد الحياة ، بينما هؤلاء الذين لهم ضرورة . أنا لاأفعل معهم ذلك " .

مرة أخرى سأل " إلياهو " " رابى نهوراى " : " لماذا تحدث الزلازل فى العالم " ؟ قال له : " لأنه عندما تعصى الأمة الإسرائيلية أوامر الرب ، فانه ينظر إلى الأرض فترتعد . فقال إلياهو له : " يابنى هذا هو الاعتقاد الشائع . لكن جوهر الأمر ليس كذلك . بل ، عندما ينظر الله إلى دور اللهو والمجون ويجدها مستقرة فى اطمئنان وأمان - بينما بيت المقدس خراب ، يمتلأغضبا على العالم بسبب تخريبه (بيت المقدس) . فيزأر ، فترتعد الأرض " .

(ج) לרבי יהודה מסר אליהו שלושה כללי חיים גדולים : לא תתרחק, ולא תחטא שמתוך כעס אדם בא לידי חטא. לא תשתכר ביין ולא תחטא, שמתוך השכרות אדם בא לידי חטא. וכשאתה יוצא לדרך, המלך בקונך ויצא. כלומר התפלל תפלת הדרך, כנוטל רשות של מעלה לצאת ויוצא. (1)

(ج) ذكر إلياهو " لرابى يهوذا " ثلاثة مبادىء عظيمة للحياة :

١ - لاتهتاج - فلاتخطأ ، لأنه من خلال الغضب يقع الإنسان فى الخطأ .

٢ - لاتسكر بالخمر - لاتخطأ ، لأنه بالسُكر - يقع الإنسان فى الخطأ

٣ - وعندما تسافر ، استرشد بربك وسافر ، أى صلى صلاة الطريق - كمن يأخذ الأذن من الله بالسفر ويسافر .

أيضاً عندما كان الحكماء يختلفون فى تفسير بعض المسائل كانوا يسألون إلياهو عن حل هذه المسائل فى السماء (عند المدرسة الدينية السماوية) فيذكر لهم حلها .

وعن هذا الموتيف تتحدث هذه الحكايات :

(أ) פעם אחת נחלקו החכמים בדבר: מה ראתה אסתר ש-

---

١) מסכת ברכות כט,ב ; מדרש הגדול , בראשית, מה דורת שכטר , קמברידג' , 1902 , עמ' 175 .

זמנה את המן למשתה היין עם המלך ? והיה זה אומר בכה וזה אומר בכה . פגע בו רבה בר אבהו לאליהו. אמר לו : כמי ראתה אסתר ועשתה ? אמר לו : כדעת כל התנאים וכל האמוראים , כלומר אסתר המלכה כוונה כל הכוונות שאמרו בזה כל החכמים כולם.(١)

(أ) ذات مرة اختلف الحكماء بخصوص هذه المسألة : ما الداعى إلى جعل "أستير" تدعو "هامان" إلى مأدبة الشراب مع الملك ؟ . وكان فلان يقول خلاف الآخر . التقى " رابه برارباهو " " بإلياهو " ، وقال له : مثل مَن رأتْ أستير وفعلت ؟ فقال له : مثلما رأى كل التنائيم وكل الأمورائيم ، أى أستير الملكة قصدت كل هذه المقاصد التى قالها كل الحكماء " .

(ب) פעם אחת נחלקו רבי אביתר ורבי יונתן בדבר , מה חטא מצא הבעל בפילגשו במעשה דפילֶגֶש בגבעה ששלחה מביתו , ואחד הלך אחריה להחזירה. והיה זה אומר בכה וזה אומר בכה . מצא רבי אביתר לאליהו ואמר לו : מה אומר הקדוש ברוך הוא בדבר זה ? אמר לו : הוא אומר : אביתר בני כך הוא אומר , יונתן בני כך הוא אומר. אמר לו רבי אביתר : וכי יש ספק לפני שוכן מרום וקדוש ? אמר לו : אלו ואלו דברי אלהים חיים , אף זה מצא בה בעלה ואף זה מצא בָּהּ.(٢)

(ب) " ذات مرة اختلف " رابى أبياشار " " ورابى يوناشان " فى هذه المسألة : ما الخطأ الذى وقع فيه الزوج مع زوجته ، فى حكاية خليلة الجبعة التى طردها من بيته . وبعد ذلك ذهابه وراءها لاعادتها . وكان هذا يقول خلاف الآخر . فوجد "رابى أبياشار" " بإلياهو " وقال له : ماذا يقول الرب فى هذه المسألة ؟ فقال له هو يقول : " أبياشار" ابنى يقول كذا ، و " يوناشان " ابنى يقول كذا". فقال له " رابى أبياشار " : وهل هناك شك عند الرب ؟ فقال له : تلك وتلك أقوال حية للرب ، فهذه وجدها زوجها ، وتلك وجدها زوجها " .

---

١) מסכת מגילה טו,ב.
٢) מסכת גיטין ו,ב .

(ح) במחלוקת הגדולה בדין תנור-של-עכנאי, כל חכמי ישראל חלקו על דעתו של רבי אליעזר הגדול בן הורקנוס. וכשעמדו עמו בבית המדרש בפולמוס השיב להם רבי אליעזר כל תשובות שבעולם ולא קבלו. ואפלו כשיצאה בת-קול מן השמים ואמרה: הלכה כרבי אליעזר, עמד רבי יהושע על רגליו ואמר: תורה לא בשמים היא. מצא רבי נתן לאליהו ואמר לו: מה עושה הקדוש-ברוך-הוא בשעה שחכמים התנצחו זה עם זה ולא השגיחו בבת קול? אמר לו אליהו: הקדוש-ברוך הוא וחייך ואמר: נצחוני בני, נצחוני בני.(1)

(ג) الخلاف العظيم الذى دب فى حكم تنور الأفعى، حيث انقسم حكماء إسرائيل فى الرأى مع "رابى اليعازار الكبير ابن هيرقانوس"(2)، فعندما تجادلوا معه فى حلقة الدرس، رد عليهم بكل الردود ولم يقبلوها، حتى عندما نزل الصوت السماوى مؤيداً لفتوى "ربى اليعازار"، "أصر" رابى يشوع "على رأيه وقال: "التوراة ليست فى السماء!" وعندما التقى "رابى ناشان "بإلياهو" قال له: ماذا يفعل الرب وقت تجادل الحكماء الذين لايهتمون بالصوت السماوى"؟

---

١) מסכת בבא מציעה, נט, ב.

٢) رابى اليعازار بن هيرقانوس: تنائى من الطبقة الثانية من رواة المشنا (٨٠ - ١٢٠ م) وقد كان تلميذاً "لربان يوحنان بن زكاى"، وقد درس فى أورشليم قبل الخراب، وهناك سند لذلك من تشريعاته فى التلمود.
(راجع סוכה כז, ע"א؛ פסחים, סה, ע"א).
وقد تزوج من ابنة "ربان شمعون بن جمليئيل"، وقد قيل عنه فى فصل الآباء: "אם יהיו כל חכמי ישראל בכף מאזנים ואליעזר בן הורקנוס בכף שניה - מכריע את כולם".
"لو كان جميع علماء إسرائيل فى كفة ميزان ورابى اليعازار بن هيرقانوس فى الكفة الأخرى لرجحت كفته عليهم."
(מסכת אבות, פרק ב', ח).
انظر: בן ציון דינור, מסכת אבות במפורשת ומבוארת, עמ' 69.

فقال له " إلياهو " : " الرب يجلس ويبتسم ويقول : " يتجادل أبنائى ،يتجادل أبنائى "(١).

هذا ويتحدث الشعب اليهودى عن "إلياهو" كأنما هو حلقة الاتصال بين المدرسة الدينية الأرضية والمدرسة الدينية السماوية ، وعن هذا الموتيف تتحدث هذه الحكايات :

(٢) פעם אחת גלה אליהו לרבה בר שילא שהקדוש-ברוך-הוא אומר שמועות של הלכה בשמם של כל החכמים חוץ מבשמו של רבי מאיר. אמר לו רבה לאליהו: למה כן? אמר לו: משום שרבי מאיר למד תורה מפיו של אלישע בן אבויה, שהפך הקערה על פיה ונהפך לאחר. אמר לו רבה: רשאי היה רבי מאיר ללמוד תורה מפי אחר, שהוא חכם ונבון ויודע להבחין בין טוב לרע, משל למי שמצא רמון, תוכו אכל קלפתו זרק. נראו הדברים בעיני אליהו, עמד ומסרה במתיבתא דרקיעא והוטבו בעיניהם. מיד אמר הקדוש-ברוך-הוא שמועה בשם רבי מאיר: מאיר בני אומר כך וכך.(٢)

" ذات مرة كشف " إلياهو " " لرابى بن شيلا " ان الرب يقول اشاعات للهلاخاه باسم كل الحكماء باستثناء اسم "ربى مئير " فقال " ربى "إلياهو" لماذا يحدث ذلك ؟ فقال له : لأن " ربى مئير " درس التوراة من " اليشع بن أبويا " الذى قلب القدرة على فمها وأصبح شخصاً آخر . فقال له ربى : كان "ربى مئير" مخولاً لدراسة التوراة من شخص آخر لأنه حكيم وذكى ويعرف التمييز بين الخير والشر ، وهو مثال لمن وجد رمانة فأكل مابداخلها ورمى قشرتها . فاتضحت

---

١) ويذكر عن " رابى ناثان " أيضاً أخذه هذه النصيحة من " إلياهو " : الثلث للطعام ، والثلث للشراب ، والثلث للنفس ، لاتملأبطنك بالطعام والشراب أبداً ، لأنه عندما تغضب ، تعرف قدرك " (راجع מסכת גיטין ע, א). وقارن ذلك بالحديث النبوى الشريف : " ماملأ آدمى وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدمَ أُكلاتٌ يُقِمنَ صُلبهُ ، فإنْ كان لامحالةَ فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه " وهو حديث صحيح رواه " أبى كريمة المقداد بن معد يعكرب " رضى الله عنه .

٢) מסכת חגיגה, טו, ב.

الأمور فى نظر "إلياهو" ، فقام وبلغها إلى المدرسة السماوية فحسنت فى نظرها . وفى الحال قال الرب اشاعة باسم " رابى مئير " : " مئير ابنى يقول كذا وكذا ".

(ب) כאשר רבי אליעזר בן הורקנוס, שנתפרסם לאחר ימים בין התנאים כרבי אליעזר הגדול, היה מצר שהיה מבקש ללמוד תורה ולא ידע לעשות, נגלה לו אליהו ואמר לו: בן הורקנוס, למה אתה בוכה? אמר לו: מפני שאני מבקש ללמוד תורה. אמר לו אליהו: עלה לירושלים אצל רבן יוחנן בן זכאי.(1)

(ب) " عندما ذاع صيت " رابى اليعازار بن هيرقانوس " واشتهر بين التنائيم " برابى اليعازار الكبير " ، كان يكتئب عندما يريد دراسة التوراة ولم يعرف ماذا يفعل ؛ ظهر له "إلياهو" وقال له : يا" ابن هيرقانوس " ، لماذا تبكى ؟ قال له : لأننى أرغب فى دراسة التوراة ، فقال له إلياهو : اذهب إلى القدس عند رابى " يوحنان بن زكاى " .

ومن الحكايات التى يحكيها إلياهو عن نفسه هذه الحكاية :

(ج) פעם אחת הייתי עובר ממקום למקום ומצאני אדם אחד והיה מתלוצץ ומלעיג דברים ובא כנגדי. ואמרתי לו: בני, מה אתה משיב לאביך שבשמים ליום הדין והמשפט? אמר לי: רבי, יש לי דברים שאני משיב לאבי שבשמים ליום המשפט. שאני אומר לו: בינה ודעה לא נתנו לי מן השמים. אמרתי לו: בני, מה מלאכתך? אמר לי: צייר אני. אמרתי לו: בני, מי אמר לך שתביא פשתן ותאגידנו מצודות ותשליכנו לים ותעלה דגים מן הים? אמר לי: רבי, בזה בינה ודעה נתנו בי מן השמים. אמרתי לו: בני, ומה להשליך מצודות ולהעלות דגים מן הים נתנו בך בינה ודעה, דברי תורה שכתוב בהם "כי-קרוב אליך הדבר מאוד" - לא נתנו בך בינה ודעה? מיד היה הדג מתאנח והיה

---

1) פרקי דרבי אליעזר הגדול, פ"א.

בוכה. ואמרתי לו: בני, אל ירע לך. שכל באי עולם משיבין תשובה זו ואין בידם תשובה אלא בושה, ואתה כי בושת יו־טב לך מעתה.(1)

(ج) ذات مرة كنت أنتقل من مكان إلى مكان فالتقيت برجل أخذ يسخر منى ويهـزأ بى فقلت له : " يابنى ماذا ترد لأبيك الذى فى السماء يوم الدين والقضـاء ؟ فقال لى : ربى عندى أشياء أردها لأبى الذى فى السماء يوم الدين . أقول لـه : الفهم والمعرفة لم يأتيا إلىَّ من السماء . فقلت له : " يابنى ماهى صنعتـك ؟ فقال لى : " أنا صياد " . فقلت له : " يابنى من قال لك أن تأتى بالكتـان وتصنع منه الشباك وترميها فى البحر وتصطاد السمك من البحر ؟ فقال لى : " ربى فى هذا الشأن أتى الفهم والمعرفة من السماء ! فقلت له : يابنى هل إلقـاء الشباك ورفع السمك من البحر هى التى أعطتك الفهم والمعرفة ، وهل كلمات التوراة التى تقول : " بل الكلمات قريبة منك جدا " (التثنية ٣٠ : ١٤) لم تعطـك الفهم والمعرفة ؟ فى الحال أخذ الصياد يبكى ويتأوه . فقلت له : يابنى لاتحـزن فإن كل القادمين إلى العالم يتوبون هذه التوبة وليس باستطاعة توبتهم إلا الخجل، وأنت خجلت ، ولذلك سيطيب حالك من الآن ".

وكان "إلياهو" يثبت للحكماء فى بعض الحكايات إن كلمات التوراة مهما كـان مبالغ فيها فلابد أن تتحقق برمتها ، وتشير حكايته مع " رابى يشوع بن لاوى " إلى هذا الموتيف :

פעם אחת אמר לו רבי יהושע בן לוי לאליהו: ישעיהו אומר "ושמתי כדכד שמשותיך", רוצה אני לראות אבני־כדכד הללו מה טיבן. נטלו אליהו והביאו לים הגדול. ראו ספינה אחת מפרשת בים, והיתה כולה גויים. והיה בה תינוק אחד יהו־די. ובא עליה סער גדול בים. נתגלה אליהו על ההוא תי־נוק ואמר לו: אם אתה מבטיחני שאתה הולך עם רבי יה־ושע בן לוי ומראה לו אבני כַּדְכֹּד אני מצילך את הספינה־ בגינך. אמר לו אותו תינוק: רבי יהושע גדול הדור הוא־ ואין הוא מאמינך ללך אחרי. אמר לו אליהו: ענו הוא ומאמין לך. אבל אל תראהו אבני הכַּדְכֹּד בפני בני אדם אלא הוליכהו־

---

1) סדר אליהו זוטא, פ"ד, 195- 196.

למערה אחת הרחוקה מלך מהלך שלושה ימים ושם תראן לו. הבטיח הנער לאליהו שיעשה כן. מיד נעשה נס ויצא התינוק מן הספינה בשלום. הלך אצל רבי יהושוע בן לוי. מצאו יושב בישיבה רבתי דלד. אמר לו: רבי, רצונך שתלך עמו מהלך שלושה ימים מחוץ לעיר? ולא אמר לו אותו תינוק למה מבקשו ללכת לשם, ואפלו כך הלך עמו, שהיה רבי יהושוע ענו גדול. כיון שהלכו שלושה ימים הגיעו למערה אחת. אמר לו: רבי ומורי, אלה הן אבני בדכד. וכיון שראה אותן הבהיקה כל לד מאורן והשלינן לארץ ונגנזו.(1)

" ذات مرة قال " رابى يشوع بن لاوى " " إلياهو " : قال " أشعيا " "ושמת כדכד שמשתך" (2) ـ وأجعل شرفك ياقوتا " وأنا أريد رؤية حجارة الياقوت هذه لأعرف نوعيتها . فأخذه "إلياهو" وأتى به إلى البحر الكبير . وشاهدا سفينة شراعية فى البحر كل ركابها من الأغراب ، إلا من غلام يهودى ، وقد هبت عليها عاصفة عاتية وهى فى وسط البحر . فظهر "إلياهو" لذلك الغلام وقال له : " إذا وعدتنى بانك ستذهب مع " رابى يشوع بن لاوى " لتريه حجارة الكدكود فاننى أنقذ السفينة من أجلك " . فقال له الغلام : " رابى يشوع انه أعظم من فى هذا العصر ولن يأمن الذهاب معى " . فقال له "إلياهو" : " إنه متواضع وسيأمن لك ، ولكن لاتريه حجارة الكدكود أمام الناس،بل اذهب به إلى إحدى المغارات البعيدة عن " اللد " بمسيرة ثلاثة أيام وهناك تريه إياها". فوعد الغلام "إلياهو" بأنه سيفعل ذلك . فى الحال حدثت المعجزة وخرج الغلام من السفينة سالماً . فذهب عند " رابى يشوع بن لاوى " ووجده جالساً فى مدرسة

1) פסיקתא דרבי כהנא, פי"ח, קלו, פסיקתא רבתי פל"ב קמח, ב.
وفى هذا الموضع أعطى "إلياهو اللقب النادر " אבא אליהו" آبا إلياهو"

2) כדכד : حجر كريم ورد ذكره فى (أشعيا ٥٤ : ١٢) عندما تنبأ أشعيا على أورشليم التى ستكون فى المستقبل وأعد هذا الحجر فى(حزقيال ٢٧ : ١٦) من الأحجار الكريمة والمواد القيمة التى جلبها تجار"آرام" إلى " صور " الغنية . وفى الترجمة السبعينية لأشعيا وحزقيال بدلوا حرف الدال بالراء . وفى العربية نجد الاسم " كركوند " لحجر كريم لونه أحمر مثل الحمرة ، وهو الحجر المسمى " Spinell " ويرى الباحثون أن " الكركود " يشبه اليوم الحجر الذى يطلقون عليه اسم hyocinthus انظر : לכסיקון מקראי, עמ' 9 . هذا ويذكر " جاستر " فى حكاياته: إن هذه الحجارة توجد فى قاع البحر الكبير ، ولذلك كان من الضرورى أن تغرق السفينة بفعل العاصفة ، لكى يستطيع الغلام اليهودى أن ينتشلها من هناك ويريها " لرابى يشوع " . وفى المصادر التى ذكرت فيها هذه الحكاية حدث اختلاط بين مدينة " قيسرين " ومدينة " اللد ".

" رباتى " التى فى " اللد " . فقال له : " ربى إننى أريد أن تذهب معى مسيرة ثلاثة أيام خارج المدينة ! ، ولم يقل له الغلام لماذا طلب منه ذلك ، ولكنه ذهب معه ، فقد كان رابى يشوع متواضعاً جداً ، وبعدما سارا ثلاثة أيام وصلا إلى إحدى المغارات . فقال له الغلام : رابى ومعلمى . هذه هى حجارة كدكود ؛ وحينما مسكها توهجت بنورها " اللد " كلها ، فألقى بها فى الأرض فاختفت " .

وقد كان إلياهو يكنّ حباً عظيماً " لرابى يشوع بن لاوى " [1] إلى درجة أنه حدد له ميعاداً مع المسيح.فيذكر التلمود (باب السنهدرين) هذه الحكاية :

פעם אחת מצא רבי יהושע את אליהו עומד על פתח המערה של רבי שמעון בר יוחאי. אמר לו לאליהו: אימתי יבוא משיח? אמר לו: לך אצלו וישאלהו. אמר לו: והיכן הוא שרוי? אמר לו: בפתחה של העיר רומי. הלך רבי יהושע ומצא את משיח ושב בין עניים סובלי חלאים. אמר לו: שלום עליך רבי ומורי. השיב לו: שלום עליך בר לוי. אמר לו רבי יהושע: אימתי יבוא מר? אמר לו: היום. חזר רבי יהושע אצל אליהו ואמר לו: משיח אמר לי שיבוא היום, ולא בא. אמר לו אליהו: כך אמר לך "היום, אם בקלו תשמעו", בלומר, היא הוא מוכן לבוא בכל רגע ואין הדבר תלוי אלא בישראל שיחזרו בתשובה וישמעו בקולו של הקדוש-ברוך-הוא. (٢)

" ذات مرة التقى " رابى يشوع " بإلياهو " وكان واقفاً بمدخل مغارة "رابى شمعون بن يوحاى " . فقال له : " متى سيأتى المسيح ؟" قال له : " اذهب عنده

---

١) وقد ذكرت الأجاداه انه لحظة دخول " رابى يشوع " جنة عدن يسير أمامه " إلياهو النبى " ويعلن : افسحوا الطريق لابن لاوى ، افسحوا مكاناً لابن لاوى . انظر : מסכת כתובות עז, ב.

٢) סנהדרים צח, א وهناك صيغ أخرى لحكايات " رابى يشوع بن لاوى" مع " إلياهو " ، انتشرت فى القرون الوسطى ، حيث قام حكماء اليهود باقتباسها من مصادرها الأصلية فى التلمود والمدراشيم وقاموا بترجمتها إلى العربية لتقديمها للقارئ العادى الذى لايعرف الوصول إلى المصادر الأصلية ، وذلك من أجل التوجهات الأخلاقية . ومن بين الكتب التى تضمنت هذه الحكايات كتاب " ספר המעשיות " לרבנו נסים מקירואן - ==

واساله ! فقال له : " وأين هو يوجد "؟ قال له : " عند مدخل مدينة رومـــا ". فذهب " رابى يشوع " ووجد المسيح جالساً وسط الفقراء الذين يعانون من الأمـــراض . فقال له : " السلام عليكم رابى ومعلمى " . فرد عليه : " السلام عليكم ابن لاوى ". فقال له " رابى يشوع " : " متى سيأتى سيدى ؟" فقال له : " اليوم " . عاد رابى يشوع إلى إلياهو وقال له : " المسيح قال لى انه سيأتى اليوم ، ولم يـــأت ". فقال له إلياهو : هكذا قال لك : " اليوم إن سمعتم صوته " أى هو مستعد ومتأهب للمجىء فى أية لحظة ، فالأمر ليس متعلقاً إلا بشعب إسرائيل وتوبتهم وسماعهـــم لصوت الرب " .

وتحكى الأجاداه على لسان رابى يشوع بن لاوى قوله : " ذات مرة كنت أســـير فى الطريق فلقيت " إلياهو النبى "،مبارك الذكر ، فقال لى : رغبتك أن اطلعـــك على باب جهنم ؟ قلت له : نعم . أرنى البشر المعلقين من أنوفهم ، والبشـــر المعلقين من أيديهم ، والبشر المعلقين من ألسنتهم ، والبشر المعلقين مـــن أرجلهم ، وأرنى النساء المعلقات من أثدهن، وأرنى البشر المعلقين من أعينهم ، وأرنى البشر المعلقين من أذانهم ، وأرنى البشر الذين يطعمونهم من لحمهـــم ، والبشر الذين يطعمونهم جمرات الرتم ، والبشر الذين يبقون أحياء والديـــدان تأكلهم ،فقال لى : هؤلاء الذين كُتب عنهم : " لأن دودهم لايموت " (أشعيا ٦٦:٢٤)ـ وأرنى البشر الذين يطعمونهم - رغم أنفهم - رملاً دقيقاً وأسنانهم محطمـــة ،

=) وقد ألف " رابى نسيم بن ربى يعقوب " هذا الكتاب بالعربية فى القـــرن الحادى عشر فى نهاية فترة الجاؤونيم - ويختلف كتاب " המעשיות " فى طابع حكاياته عن الطابع المعروف عن الحكايات اليهودية ، حيث لايرجـــع كثيراً من قصصه للتراث التلمودى والمدراشى المعروف . ومن المؤكد أن جزءاً من قصص هذا الكتاب تم جمعه من مصادر شفهية أو نصوص مكتوبة غير معروفة ، فأول هذه الحكايات فى هذا الكتاب هى حكاية رابى يشوع بن لاوى وإلياهـــو النبى ، وبها موضح بالأمثلة والنماذج الوسائل الخفية للعناية الإلهيـــة ، وهى حكاية شعبية ذائعة ، ولها صيغة أخرى موجودة فى القرآن الكريـــم (سورة الكهف الآيات من ٦٠ الى ٨١) ولذلك يؤكد " هيرشبرج "הירשברג أن هذه الحكاية تحتوى على إضافات كثيرة من القرآن الكريم ، حيـــث أن الطابع الأجنبى قد تم التعبير عنه فى نقص التوازن فى المطلب الأخلاقى للقصة . انظر ص ٥٩.

انظر הסיפור העברי בימי הביניים, עיונים בתולדותיו ב'ת הוצאה כתר .ירושלים 1974, עמ' 89- 90.

والرب يقول لهم : أيها الأشرار كما أكلتم ماسلبتم ، وكان حلو المذاق فـــــى أفواهكم ، فالآن لاتكون لديكم القوة على الأكل "(١)

ومن الحكايات الشعبية التى تتحدث عن الفضائل التى قام بها " إلياهو " مع البشر جدير أن نذكر على وجه الخصوص أعماله لانقاذ الناس الأتقياء من مـــلك الموت بعد ان حكم عليهم بالموت بيد السماء ، وتصف هذه الحكايات كيفية انقاذه لهم من الموت حيث يتجلى لهم ويعلنهم بحكم الموت الذى صدر عليهم ، ويحفـــزهم على التوبة والاكثار من الأعمال الطيبة ،وطلب الرحمة لأن التوبة والرحمة تحـــول دون اتمام الحكم ، ومن هذه الحكايات .

التى تبرز فيها هذه الموتيفات نورد هذه الحكاية :

ומעשה באדם אחד, עשיר גדול ומקבל, שהיתה לו בת אחת יחידה, יפת תאר מאוד וחסידה. ונשאה שלוש פעמים לשלשה בני אדם בזה אחר זה, ובכל לילה ראשון של נשואיה, למחרת מוצאים בעלה מת. אמרה: לא ימותו עוד בני אדם עלי, אשב אלמנה וגלמודה עד אשר יראה המקום וירחם. ישבה ימים רבים. והיה לאותו עשיר אח עני מאד במדינה אחרת והיו לו עשרה בנים. ובכל יום ויום הוא ובנו הגדול מביאים חבילי עצים מן העיר ומוכרים אותם, ומזה היו מתפרנסים הוא ואשתו ובניו. פעם אחת לא מכרו ולא היה להם מעות לקנות לחם ולא אכלו אותו היום. למחר הלכו ביער ונתעלף רוח האב. זלגו עיני הבן דמעות על עניים ותלה עיניו למרום, הרהר הבן בלבו ונטל רשות מאביו ואמו והלך למדינת דודו. כשבא לביתו שמח דודו על-

---

١) ח"נ ביאליק וי"ח רבניצקי, ספר האגדה, עמ' תמו.

יו שמחה גדולה וגם אשתו ובתו, ושאלו לו על אבי׳ו ועל יגמו ועל הבנים. ישב עמו שבעה ימים. לבסוף שבעה ימים בא הבחור לדוד, אמר לו: שאלה אחת אני שואל מִמְּך, אל תש־ יבני ריקם. אמר לו דודו: שאל בני מה תשאל. אמר לו: הֲ־ שֻׁבָּעָה לי שאין אתה משיב פני ריקים. וכן עשה. אמר הבחור: זאת שאלתי ובקשתי ממך, שתתן לי בתך לאשה. כיון ש־ שמע הדוד כך בכה בכי גדול, אמר לו: אַל, בני, אַל! כִּי בעוונותי כך וכך מְדָתָה. אני נותן לך כסף וזהב הרבה וב־ בקשה ממך אל תסתכן בה. אמר לו הבחור: כבר נשבעתי על הדבר הזה. ראה העשיר הדבר ונתרצה לו בדמעה. ובא לבתו וספר לה הדברים. אף היא כששמעה זאת בכתה וצעי־ קה במר נפשה ותלתה עיניה למרום ואמרה: רבון העולמים, תְּהִי ידך בי׳ ואל ימות בחור חכם ונאה זה על׳. מה עשה אותו בחור? עמד וקדשה ועשה משתה והזמין זקני העיר והעמיד כְּלָה של חֶפה וישב בתוכה עם הכלה.

נזדמן לו אליהו בדמות זקן אחד וקראו בינו לבינו ואמר לו: בני אינצך עצה נכונה ואל תֵּט מעצתי: כשתשב לסעוד יבוא אל־ יך עני לבוש בגדים שחורים קרועים ובלויים. יחף ויגיע, שְׂעָרו כמו מסמרים וכל חזותו נורא ואים שאין כמותו בכל העולם. כשתראהו תקום ממושבך והושיבהו אצלך והאכילהו וה־ שקהו ושמֵּש לפניו בכל כחך וכבדהו מאד, אַל תַּפֵּל דבר מכל אשר דברתי לך. הלך לו הזקן. ובא החתן למקומו. ישבו על המשתה. וכשהתחילו לאכל בא אותו עני, ובש־ ראהו החתן עמד ממקומו ועשה לו כל שאמר לו הזקן. ל־ אחר המשתה אותו העני קרא לחתן, הביאו לחדר, אמר לו: בני, אני שליחו של מקום ובאתי הנה לקחת את נַפְשְׁךָ.

אמר לו החתן: אדוני, תן-לי זמן שנה אחת, או חצי שנה. אמר לו: לא אעשה. אמר לו: אם כן, תן-לי שלושים יום. או שבעת ימי המשתה. אמר לו: לא אתן לך אפלו יום אחד, כי כבר הגיעה עתך. אמר לו: בבקשה ממך, המתן לי עד שאלך ואקח רשות מאשתי. אמר לו: לדבר הזה אֶשָּׂא פנך, ולֵךְ ובוא מהרה. הלך לחדרה ומצאה יושבת יחידה ובוכה ומתפללת לקונה. כיון שראתה אותו הביאתו אצלה בחדר, החזיקה בו ונשקה לו ואמרה לו: אחי, למה באת? אמר לה: לִטֹּל רשות מִמֵּךְ באתי, כי באה עתי ללכת בְּדֶרֶךְ כל הארץ, כי המלאך בא והגיד לי שבא לבקש את נפשי. והנה הוא בחדרי ממתין לי, תני לי רשות וְאֵלֵךְ. אמרה לו: לא תלך, אלא תשב הנה ואני אלך אליו ואדברה עמו. הלכה ומצאה אותו. אמרה לו: אתה המלאך שבאת לבקש נפש אישי? אמר לה: הֵן. אמרה לו: לא ימות אישי עתה. כך כתוב בתורה: "כי-יקח איש אשה חדשה לא יצא בצבא ולא יעבר עליו לכל-דבר, נקי יהיה לביתו שנה אחת ושִׂמַּח את-אשתו אשר-לקח" - והקדוש-בריך-הוא אמת ותורתו אמת. אם תקח את נפשו תֵּעָשֶׂה התורה פלסתר. מיד נער הקדוש-בריך-הוא במלאך - והלך לו: ואבי הכלה ואמה ביכים בחדרם ועושים להכין קבר לחתנם קדם שיעלה עמוד השחר. כשקמו שמעו החתן והכלה משחקים ושמחים יחד. נכנסו לראות הדבר, ראו ושמחו עמהם והודיעו הדבר לקהל ושִׁבחוּ והוֹדוּ לָהּ.[1]

---

1) מדרש תנחומא, האזינו, ח.

يحكى أن رجلاً من الأغنياء والمحسنين ، كانت له ابنة واحدة جميلة وتقية ، تزوجت ثلاث مرات من ثلاثة رجال تلو الواحد الآخر ، لانه بعد أول ليلة من زواجها وفي الغد يجدون زوجها وقد مات . فقالت : لا يموت الرجال من أجلى بعد ، سأعود أرملة ووحيدة حتى يرانى الرب ويرحمنى - عاشت أياماً عديدة . وكان لذلك الفتى أخ فقير جداً يعيش فى مدينة أخرى وكان له عشرة أبناء ، وكان يومياً هو وابنه الكبير يأتيا برزم الحطب من الغابة ويبيعانها ، وكان الرجل يعيش من هذا العمل هو وزوجته وأبناءه . وذات مرة لم يبعا ولم يكن لديهما نقود لشراء خبز وفى ذلك اليوم لم ياكلوا . وفى اليوم التالى ذهبا إلى الغابة ولم يتمالك الأب نفسه وسقط على الأرض ، فسالت دموع الابن على هذا الفقر وتعلقت عيناه بالسماء . ثم فكر الابن ، وبعد أن أخذ الاذن من أبيه ومن أمه ، ذهب إلى مدينة عمه . وعندما وصل إلى بيته ، فرح عمه به فرحة كبيرة ، وكذلك أيضا زوجته وابنته . وسألوه عن أبيه وعن أمه وعن أخوته ... ومكث عندهم سبعة أيام ، وفى نهاية هذه الأيام السبعة أتى الشاب إلى عمه وقال :مطلباً واحداً أطلب منك على ألا تخيب رجائى . فقال له عمه : اسأل يابنى ماتشاء : فقال له :" اقسم لى إنك لن تخيب رجائى . ففعل كما طلب . قال الشاب : " سؤالى ومطلبى منك أن تزوجنى ابنتك". حينما سمع العم ذلك بكى بكاءً عظيماً وقال له : " لا يابنى ، لا ! لأن أبعاد النتائج هى كذا وكذا . ولذلك سأعطيك كثيراً من الفضة والذهب وأطلب منك ألا تجازف بحياتك " . فقال له الشاب :لقد صممت على هذا الأمر . فأخذ العم يفكر فى الأمر ودموعه تسيل ، ثم أتى إلى ابنته وحكى لها كل شئ كما هو . وعندما سمعته بكت هى أيضا بكاءً مراً ، ورفعت بصرها إلى السماء وقالت : " ربى لتكن رحمتك على ولايموت هذا الشاب الحكيم الجميل بسببى " . ماذا فعل الشاب ؟ قام وخطبها وأقام مأدبة ودعا لها شيوخ المدينة ، وصنع كوشة وجلس فيها مع العروس .

ثم أتى " إلياهو " إلى الشاب فى شخصية رجل شيخ وناداه وقال له وهما بمفردهما : يابنى سأنصحك نصيحة طيبة فلاتحيد عنها : عندما تجلس للمأدبة سيأتى إليك رجل فقيراً يرتدى ملابس سوداء ممزقة وبالية ، حافياً ومنهكاً ، وشعره كالمسامير ، وهيئته رهيبة ومخيفة لايضاهيها مثيل فى العالم كله .وعندما تراه تقوم فتسكنه عندك وتطعمه وتسقيه وتخدمه بكل مافى وسعك ، وتوقره جداً. ولاتنسى شيئاً من كل ماذكرته لك . ثم تركه الشيخ وذهب . وعندما جاء العريس ليأخذ

مكانه وجلسوا للمأدبة وبدأوا فى تناول الطعام ، أتى إليه هذا الفقير، وعندما رآه العريس قام من مكانه وفعل معه كل شىء أمره به الشيخ . وبعد انتهاء المأدبة نادى الفقير للعريس وأدخله إحدى الحجرات ! وقال له : " يابنى أنا رسول الرب وجئت هنا لأقبض روحك " . فقال له العريس : " سيدى ، أعطنى مهلة من الزمن ، سنة واحدة أو نصف سنة " . فقال له : لن أفعل . فقال له : إذاً اعطنى ثلاثين يوماً ، أو سبعة أيام المأدبة . فقال له الفقير : لن أعطيك ولو يوماً واحداً ، لأنه قد حان أجلك . قال له : بإذنك : انتظرنى حتى أذهب وآخذ الأذن من زوجتى . فقال له : لهذا الأمر أنا أوافق . فاذهب وتعال إلىَّ بسرعة . فذهب إلى حجرتها ووجدها تجلس وحيدة تبكى وتصلى للرب . وعندما رأته أدخلته الحجرة واحتضنته وقبلته وقالت له : يا أخى لماذا جئت ؟ فقال لها : " جئت لأخذ الإذن منك لأنه قد حان أجلى وموتى ، فقد حضر المَلَك وأخبرنى أنه جاء لقبض روحى وهو موجود فى حجرتى ينتظرنى فأعطنى الإذن لأذهب " . فقالت له : " لاتذهب ، بل اجلس هنا وانا سأذهب إليه واتحدث معه " . ثم ذهبت الزوجة وعندما لقيته قالت له : أنت الملك الذى جاء لقبض روح زوجى ؟" قال لها:" نعم" فقالت له : " لن يموت زوجى الآن ، لأنه مكتوب فى التوراة : " إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلايخرج مع الجند ولايحمل عليه أمراً ما . حراً يكون فى بيته سنة واحدة ويسر امرأته التى أخذها " (التثنية ٢٤ : ٥) وأنت تعلم أن الرب القدوس اسمه حق وتوراته حق ، فاذا أخذت روحه ستجعل التوراة غش فى الحال وبخ الرب الملك - فتركها وذهب . أما أبو العروس وأمها فكانا يجلسان فى حجرتهما يبكيان ويعملان على إعداد قبرا لعريسهم قبل أن يبزغ الفجر . وعندما قاما وسمعا العريس والعروس يلعبان ويضحكان معا ، دخلا لرؤية مايحدث ،فشاهدوهما سعداء فسعدا معهما وأعلنا الأمر للناس ومدحا وشكرا الرب " .

ومن المؤكد إن هذه الحكاية قد تأثرت بشدة . بحكاية ابنة "إبى عقيبا" حيث تشترك معها فى عدة موتيفات مشتركة ،منها أن " ملك الموت يظهر أحياناً فى هيئة فقير يستجدى ،

מלאך־המוות מופיע לפעמים בדמות עני חוזר על הפתחים."(1)

وموتيف آخر هو أن " الصدقة تنقذ من الموت" צדקה תציל־ממוות" (2) أما حكاية ابنة " رابي عقيبا " فهذا نصها :

"הכלדיים, החוזים בכוכבים, אמרו לה לבתו של ר' עקיבא, שבים שתיכנס בו לחופה ישיכנה נחש ותמות. והיתה מודאגת על כך הרבה מאד. אותו יום שעמדה להיכנס לחופה, נטלה את סיכת הזהב שלה ונעצתה בקיר. נזדמן הדבר שנעצתה בעינו של נחש ארסי ולא ידעה על כך כלום. למחרת בבוקר כשבקשה את הסיכה ממקומה, נגרר אחרי הסיכה נחש מת. הלכה וספרה הדברים לאביה. אמר לה ר' עקיבא: מה מצווה עשית את מול שהגנה עליך מפני הנחש? אמרה לו: בערב בא עני אחד ובקש אוכל. והואיל וכולם טרודים היו בסעודה לא השגיחו בו, ולקחתי אני כל המנה שלי ונתתי לו. אמר לה אביה: מצווה זו היא שהגנה עליך והצילתך מן המיתה."(3)

---

1) אגדות היהודים, כרך א', עמ' 195.

2) (משלי י', ב) وحسب تفسير حكماء التلمود فان " צדקה " الصدقة " ليس تفسيرها " צדק - الصدق " ، بل " اعطاء الإحسان للفقراء " .
قارن (שבת קנו', ב).

3) מסכת שבת : קנו'. ב'.

" يحكى أن المنجمين والعرافين قالوا لابنة ربى عقيبا : أنه فى اليوم الذى ستجلس فيه تحت الكوشة للزواج سيلدغها ثعبان وتموت . فكانت قلقة جداً بخصوص ذلك الأمر . وحدث أنه فى اليوم الذى جلست فيه تحت الكوشة ، أن أخذت دبوسها الذهبى وغرسته فى الحائط ، وتصادف انها غرسته فى عين ثعبان سام . ولكنها لم تعلم عن ذلك شيئاً . وفى صباح اليوم التالى عندما أرادت اخراج الدبوس من مكانه ، انجر وراءه ثعبان ميت . فذهبت لتحكى ماحدث لأبيها . فقال لها " ربى عقيبا " : " ماهو الإحسان الذى فعلتيه أمس والذى صانك من الثعبان ؟" فقالت له : " فى المساء أتى أحد الفقراء وطلب الطعام ، وبينما الجميع كانوا مشغولين بالمأدبه فلم يعروه اهتماما ، فأخذت أنا كل طعامى وأعطيته له .فقال لها أبوها : هذا الإحسان هو الذى صانك وانقذك من الموت "(١)

وهناك حكاية مشابهة لهذه الحكايات وهى حكاية " ربى راوبين " وابنه مع ملك الموت ودور "إلياهو" فى هذه الحكاية يشبه تماماً دوره فى الحكاية السابقة ، ونص الحكاية هو :

מעשה בר' ראובן, שהיה חכם וחסיד וישר, עוסק בתורה כל ימיו ביום ובלילה. וכל הגזרות שהיו באות על הדור היה עומד ומתפלל לפני הקדוש-ברוך-הוא ומבטלן בתפלתו. ולא היה לו כי אם בן אחד, והגיע קצו של זה הבן להפטר מן העולם. בא מלאך המות לפני ר' ראובן אביו ואמר לו: דבר אחד יש לי לומר לך. אמר לו: אֱמֹר. אמר לו: הגיע קץ של בנך להפטר מן העולם. אמר לו: אם כך גזר הקדוש-ברוך-הוא, אין אנו יכולים לבטל גזר דינו. אלא בקשה ממך, שתתן לי זמן שלושים יום ואקח לו אשה ואעשה לו חפתו. ואחר כך עשה שליחותו של מקום. אמר לו המלאך: הרי הוא בידך. בטוב בעיניך עשה. והלך

---

١) שבת, קנו, ב.

המלאך למקומו. ור' ראובן הלך לבי'תו ולא הגי'ד הדבר לשום אדם ובחר אשה ונתן בְּי'ד בנו עֲלֵי' הדס ואמר לו: לֵךְ זַמֵּן כל בני העיר. וכשהלך הבן לזמן פגע בו אלי'הו זכור לטוב ואמר לו: הי'כן תֵּלֵךְ? אמר לו: אבי' שלחני לזמן כל בני עִירִי. אמר לו: יש לי' דבר אחד לומר לְךָ. אמר לו: ומה הוא? אמר לו: בני, הגי'ע קצך למות. אמר לו: אם כך גזר הקדוש-ברוך-הוא אין מי' יכול לעכ-ב, אינ' גדול מאברהם יצחק ויעקב. אמר לו: בני אֹמר לך דבר אחד, כשתזמין בני העיר ותשב בסעודה עם הזק-נים, אל תטעֹם כלום אלא הי'ו ענ'יך בדלת, והאדם שי'ב-וא כענ' וראשו פרוע ובגדי'ן פרועים ושער ראשו מְקֻלְקָל, דע כי' הוא מלאך המות, ועמֹד על רגלי'ך ותפֹל על רגלי'ן והשתחוה והכניסהו שי'אכל וישתה. ואם לא ירצה לישֵׁב בסְעֻדה, קחהו בְּחֻפתך והאכי'להו והשקהו. הלך אלי'הו זי"-ל לדרכו. וגם הבן הלך לבי'תו ולא הגי'ע לא לאבי'ן ולא לאמו ולא לארוסתו. באו הזקנים וישבו בשולחן וישב ג-ם החתן עמהם והי'ו ענ'יו מסתכלות בדלת. ומן הצער ו-הדאגה לא אכל ולא שתה. וכשהי'ו העם אוכלים ושותים בא מלאך המות ונדמה לו כענ' ראשו פרוע ובגדי'ן קרועים ושערותי'ו מקולקלים. עמד ועשה זה הבן כך וכך כמו שאמר לו אלי'הו, תפשו בחזקה והושי'בו בי'ן הזקנים בחפתו בהבי'או לפנ'ו כל מינ' מעדנים. לאחר שאכל ושתה, אמר לו: בני כשהי'ית בונה בי'תך, התבן שלו מהי'כן לקחת? אמר לו: מבעל הגרן מבקש את תבנו. אמר לו: קח תבן אחר ותן לו. הי'ו שניהם מתוכחים והולכים. לבסוף אמר לו: בני, אין בעל התבן אלא הקדוש-ברוך-הוא, הוא שלחני לטֹל את נפשך. אמר לו אם כן, תן לי' רשות שי-אצא ואראה את אבי' ואת אמי' ואת ארוסתי. אמר לו: לֵךְ.

מיד עמד ר' ראובן ונתעטף והיה מתפלל ובקש רחמים על בנו. הלך הבן אצל ארוסתו ואמר לה כך וכך. אמרה לו: ומה אמרת לו? אמר לה: לא אמרתי לו כלום. אמרה לו: עמוד כאן ואני אלך לדבר עמו. יצאה ואמרה לו: אדוני, אתה באת לקחת את נפש בעלי? אמר לה: הן. אמרה לו כתוב בתורה "כי יקח איש אשה חדשה ...נקי יהיה לביתו שנה אחת ושמח את אשתו אשר-לקח". אמר לה: המתיני, אלך להקדוש-ברוך-הוא. עלה לרקיע ומצא שם מיכאל וגבריאל ומלאכי השרת עומדים ומבקשים רחמים על הבן. בא מלאך המות ואמר לפני הקדוש ברוך-הוא: כך וכך אמרה לי אשתו. מיד נתמלא בעל הרחמים רחמים והכך גזר-דינו לחיים והוסיף לו שבעים שנה על שנותיו. לקים מה שנאמר "רצון-יראיו יעשה ואת-שועתם ישמע ויושיעם".(1)

וتلك هى حكاية " ربى راوبين " الذى كان حكيماً وتقياً ومستقيماً ، يدرس التوراة كل أيامه نهارا وليلا ، يصلى للرب ليبطل الأحكام التى صدرت ضد أبناء جيله ، ولم يكن له إلا ابناً واحداً ، وحان أجل هذا الابن وموته ، فجاء مَلَكُ الموت إلى " ربى راوبين " وقال له : " أقول لك شيئاً واحداً " : قال له : "قل" قال له : " لقد حان أجل ابنك ليموت " . فقال له : " إذا صدر حكم الرب ، فلا راد له . لكن بإذنك ، امهلنى ثلاثين يوماً لأزوجه وأعد له الكوشة . وبعد ذلك تمم رسالة الرب ". فقال له الملك : " الأمر فى يدك . أفعل مايطيب لك ". وذهب الملك فى طريقه . أما ربى راوبين فقد عاد إلى بيته ولم يخبر أى إنسان بذلك الأمر ثم اختار عروس لابنه وأعطاه أوراق الآسى (نبات عطرى)(2). وقال له : اذهب وادعُ كل أبناء المدينة . وهو فى الطريق لدعوة أبناء مدينته قابله " إلياهو مبارك الذكر " وقال له : " إلى أين أنت ذاهب " ؟ فقال له : " أبى أرسلنى لدعوة كل أبناء مدينتى . فقال له : يابنى : لك امراً واحداً عندى أقوله لك . فقال له : وماهو ؟ قال : " يابنى لقد حان أجل موتك " . فقال له : " إذا

1) بيت المدرش (מדרשים קטנים) מהד' ילינק. חלק ה', עמ' 152-154. وهناك صيغة أخرى لهذه الحكاية فى : מדרש עשרת הדברות, עמ' 83-84 ولكن لايوجد فيها أية إشارة " لإلياهو النبى " .

2) הֲדַס : نبات عطرى (الآسى) وهو نبات ينمو فى سوريا وشمال فلسطين وهو واحد من أربعة أنواع من النباتات يأخذونها فى عيد السوخوت ويطلق عليه العهد القديم اسم "
انظر : המלון העברי המרוכז, עמ' 141 .

كان ذلك حكم الرب فلايستطيع أحد تأجيله ، فأنا لست أعظم من إبراهيم وإسحاق ويعقوب " . فقال له : " يابنى ، ساقول لك أمراً واحداً ، عندما تدعو أبناء المدينة وتجلس فى المأدبة مع الشيوخ ، لاتذق شيئاً ، بل يكون نظرك معلقاً بالباب ، وعندما يأتى شخص فقير ورأسه مشوشاً وملابسه بالية وشعر رأسه معطباً، اعرف انه ملك الموت ، وعندئذ قف على قدميك وخر ساجداً عند قدميه ، وادخله ليأكل ويشرب وإذا لم يرد الجلوس على المأدبة خذه إلى كوشتك واطعمه واسقيه " قال إلياهو ذلك ثم ذهب فى طريقه . كذلك عاد الابن إلى بيته ولم يخبر أحداً لاأبيه أو أمه ، أو حتى عروسه بماحدث ... جاء الشيوخ وجلسوا على المأدبة وجلس العريس معهم وعيناه معلقة بالباب . ومن الحزن والقلق لم يذق طعم الأكل والشرب . وفى الوقت الذى كان الناس يأكلون ويشربون أتى ملك الموت وظهر له فى هيئة رجل فقير رأسه مشوشاً وملابسه ممزقة وشعره معطباً . فقام الابن وفعل معه حسب ماقال له " إلياهو " . فامسكه بقوة وأجلسه بين الشيوخ فى كوشته وأحضر أمامه كل أنواع الأطعمة ، وبعد أن أكل وشرب ، قال له : " يابنى عندما كنت تبنى بيتك ، من أين جئت بالتبن " ؟ قال له : من " عند صاحب الجرن " . فقال له : " يابنى صاحب الجرن يطلب تبنه " . فقال له : " خذ تبناً آخر واعطيه له " . واستمر الاثنان فى الجدل والنقاش ، وفى النهاية قال له :يابنى صاحب التبن ليس إلا الرب وهو أرسلنى لقبض روحك . فقال له : إذا كان الأمر كذلك فاعطنى الإذن لأخرج لرؤية أبى وأمى وعروستى . فقال له : اذهب . فى الحال أغمى على " ربى راؤبين " حيث كان يصلى ويطلب الرحمة لابنه ... ذهب الابن إلى عروسته وأخبرها بالأمر . فقالت له : " وماذا قلت له " ؟ . قال لها : " لم أقل له شيئاً " . فقالت له : " انتظر هنا وأنا سأذهب لاتحدث معه " . ثم خرجت وقالت له : " ياسيدى ، هل جئت لقبض روح زوجى ؟" قال لها : نعم . فقالت له : مكتوب فى التوراة : " إذا اتخذ رجل امرأة جديدة فلايخرج مع الجند ولايحمل عليه أمراً ما . حراً يكون فى بيته سنة واحدة ، ويسر امرأته التى أخذها " (التثنية ٢٤ : ٥). فقال لها الملك : انتظرينى ، سأذهب إلى الرب . ثم صعد إلى السماء ووجد هناك ميخائيل وجبرئيل مع ملائكة الخدمة يقفون ويطلبون الرحمة للابن . فجاء ملك الموت أمام الرب وقال له : قالت لى زوجته كذا وكذا . فى الحال امتلأ الرحمن بالرحمة وقلب حكمه إلى الحياة ثم اضاف له سبعين سنة

الى سنوات عمره . ليتحقق قوله :

" ارادة المتقين تتم ويسمع صراخهم وينقذون " .

ويزعم اليهود أن حكاياتهم الدينية قد أثرت فى حكايات الآخرين ، وخاصة تلـــــك الحكايات التى تتحدث عن " الياهو النبى والحاخام باروكا " :

רב ברוקא חוזאה היה רגיל בשוק של העיר לפֶּט. והיה אליהו רגיל לבוא אצלו. אמר לו רב ברוקא לאליהו: הֲיֵש כאן בשוק הזה מי־ שהוא בן עולם הבא? אמר לו: אין. בתוך כך עבר לפניהם אד־ ם אחד נועל נַעֲלים שחורות כמנהג הגויים, וחוט תכלת של צי־צי־ ת לא היה בגדו, ואין פניו פני יהודי, נענה אליהו ואמר לו לרב ברוקא: האיש הזה בן עולם הבא הוא. רץ רב ברוקא אחרי האיש ושאל אותו: מה מעשיך? אמר לו: שומר בבית האסירים של ה־ מלך אני, ומדקדק בדבר שיהיו האנשים לבד והנשים לבד, וב־ לילה אני מעמיד מטתי בבית האסירים בין האנשים והנשים, כדי להפריד ביניהם שלא יבואו לידי עברה, וכשרואה אני בת ישראל שעוברי עברה נתנו בה עיניהם, הריני מוסר נפשי ו־ מצילה מהם. אמר לו רב ברוקא: ומפני מה אתה לובש כ־ דרך הנכרים? אמר לו: כדי שלא יכירו בי שאני יהודי, ואני מקרב למלכות, יוצא ונכנס אצל שרי המלוכה, וכשהם ג־ וזרים גזרות רעות אני מודיע לחכמי ישראל והם מבקשים ר־ חמים ומשתדלים להעביר לעֵ הגזרה. אותה שעה למד רב־ ברוקא לדעת שבכל מצב ומעמד אין לך דבר שמונעַ את האדם מלזכות בחיי עולם הבא ובלבד שיכון לבו לשמים. שוב פעם אחרת פגע רב ברוקא את אליהו בשוק. אמר לו: מי מָמי בכל האוכלוסין האלו שבשוק הזה הם בני עולם הבא? הראה לו על שני בני אדם. הלך אצלם רב ברוקא ושאלם למ־ עשיהם. אמרו לו: בדחנים אנחנו ועבודתנו למשַׂח בני אדם עצבים ומרי נפש. וכשאנו רואים בני אדם מריבים ביניהם אנו עמלים לבדח דעתם ולשׂמחם עד שעושים שלום ביניהם. (1)

---

1) מסכת תענית, כב, א .

فيحكى ان " راب باروكا " اعتاد المجيء الى سوق مدينة " لِفِط " ، وكان إلياهو معتاداً الحضور إليه . وذات مرة قال " راب باروكا " " لإلياهو" : هل يوجد فى السوق من له نصيب فى العالم الآخر (الجنّة) . فقال له : لايوجد . وفى تلك الأثناء مر أمامهما رجلاً ينتعل نعلاً أسود كعادة غير اليهود ، وملابسه لايوجد بها شراريب زرقاء ، ووجهه لاينم عن انه يهودى ، فأجاب " إلياهو " " راب باروكا " وقال : هذا الرجل له نصيب فى العالم الآخر " . فجرى " راب باروكا " خلف الرجل وسأله : " ماعملك ؟ قال له : " حارس فى سجن الملك . حيث أقوم بالتدقيق فى الأمور فأعمل على أن يكون الرجال لوحدهم والنساء لوحدهن ، وفى الليل أضع سريرى فى السجن (أنام) بين الرجال والنساء ، لكى أفصل بينهم حتى لايرتكبوا المعصية ، وعندما يثور المجرمون على شعب إسرائيل فإننى أفتديهم وأنقذهم " . فقال له " راب باروكا " : " ولماذا ترتدى ملابس الأغراب ؟ فقال له : لكى لايعرفوا اننى يهودى واننى مقرب إلى المملكة ، فأخرج وأدخل عند وزراء المملكة كما أشاء ، وعندما يصدرون الأحكام ، أذهب وأعلنها لحكماء إسرائيل وهم يصلّون لطلب الرحمة ، ويسعون لإبعاد أذى هذه الأحكام " . وفى هذه اللحظة تعلم " راب باروكا " أنه لايوجد مايمنع فوز الإنسان بالحياة الآخرة (الجنة) طالما أنه يوجه قلبه للسماء ويكون يقينه على الله ، وانه ليس من العدل أن تحكم على الناس اعتماداً على شكلهم أو زيهم ، ففى الأغلب الأعم يعرف الطيبون من خلال أعمالهم .

ومرة أخرى التقى " راب باروكا " بإلياهو فى السوق . وقال له : مَنْ مِنْ كل هؤلاء المزدحمين فى السوق له نصيب فى العالم الآخر (الجنة) ؟ فأشار له إلياهو على اثنين من الناس ، فذهب إليهما " راب باروكا " وسألهما عن أعمالهما فقالا له : نحن مهرجون وعملنا اسعاد الناس المتكدرين والمستائين . وعندما نرى الناس يتخاصمون فيما بينهم نجتهد فى أن نفرحهم ونسعدهم حتى نصنع السلام بينهم " .

وعبرة أخرى لقنها "إلياهو" فى حكاية أخرى لحاخام حسيدى وهى عدم الحكم على الناس من مظهرهم فقط وهذه هى الحكاية : *מעשה בחסיד אחד שהלך עמו אליהו הנביא זכור לטוב ופגעו בנבלה אחת מושלכת בדרך, והיתה הנבלה מסרחת סרחון גדול עד שהניח החסיד ידו לחוטמו מפני הסרחון. ואליהו הלך קרוב לנבלה ולא חש כלל. עד שהיו מהלכים, פגע בהם אדם אחד שהלך בקומה זקופה, בגאווה והתפארות; וכשהיה עוד רחוק מהם, מיהר אליהו ושם ידו לחוטמו. שאל אותו החסיד את אליהו: מפני מה לא שם אדוני ידו לחוטמו אצל הנבלה ואצל זה שם ידו על חוטמו ועודנו למרחוק? והשיב לו לאליהו: זה מסריח יותר מן הנבלה. תדע, נבלה אם אדם נוגע בה, יטמא עד הערב (ורק יא, בד), אבל הנוגע באדם זה, מקבל ממנו טומאות חמורות שאינו יכול להיטהר מהן עידן ועידנים.*[1]

" الحسيدى الذى ذهب معه " الياهو النبى مبارك الذكر " وصادفا إحدى الجثث ملقاة فى الطريق ، وكانت الجثة متعفنة عفناً شديداً حتى ان الحسيدى وضع يده على أنفه من رائحتها الكريهة . أما "إلياهو" فقد سار بجوار الجثة ولم يشعر بشىء . وحينما كانا يمشيان ، صادفا شخصاً يسير فى كبرياء وزهو وقامته ممشوقة ، وبعد أن أصبح بعيداً عنهما أسرع "إلياهو" ووضع يده على أنفه . فسأل الحسيدى "إلياهو" : لماذا لم يضع سيدى يده على أنفه عند الجثة ، وعند هذا وضع يده على أنفه مع أنه مازال بعيداً ؟ فأجابه "إلياهو" : " انه أعفن كثيراً من الجثة ، تعرف : ان كل من يمس جثة يكون نجساً إلى المساء (راجع لاويين ١١ : ٢٤) لكن الذى يمس هذا الإنسان يتنجس منه بنجاسات خطيرة لايستطيع التطهر منها إلى الأبد " . وهذه حكاية أخرى عن الاختلاف بين أفضل الرجال وأكثرهم سوءا ، فقد قال الملك للزاهد - الحسيدى - (والملك هنا يشبه إلياهو فى الحكايات السابقة من وجهة نظرهم) سآخذك الآن لأريك أكثر الرجال خطيئة وأكثرهم طيبة ...

---

١) *ויקרא רבה, פ"ו.*

انتظر هنا أمام هذا الباب ، وأول رجل سيخرج هو أكثر الناس خطيئة ، وفى المساء فإن آخر من سيعود ، سيكون هو أكثر الناس طيبة .. وامتثل الزاهد للأمر ، وجلس فى انتظار من يمر به ، فإذا بصياد ومعه ولد صغير يخرجان فى طريقهما للصيد ، وسأل الولد الصياد عما إذا كان هناك شىء أكثر عدداً من الرمال ، أو أمواج البحر ، أو النجوم فى المساء ، فقال له الصياد ، إن رحمة الله أكبر من كل هذه الاشياء جميعاً . وفى المساء ذهب الزاهد ليجلس أمام الباب نفسه ، منتظراً . لكى يرى أكثر الناس طيبة وخيراً ، وإذا به يرى نفس الصياد وابنه يمران من الباب . وشرح الملك للزاهد قائلاً : إنه بسبب الجملة الواحدة التى قالها الصياد عن رحمة الله فقد تحول المخطىء الكبير لكى يكون أكثر الناس طيبة وخيراً .

ويرى " حاييم شفارتزباوم Haim Schwarzbaum " أن رحمة الله (سبحانه وتعالى) تجاه المخطئين والعصاة ، قد احتلت مكاناً مهماً فى الأدب الشعبى المسيحى والإسلامى ، وأكدا عليها كثيراً ، وأن هذا يعود الى أصول يهودية.(١)

×

والأمر فى الحقيقة لايحتاج إلى مناقشة أورد. إن الناس قد بدأوا يفكرون منذ بداية الخليقة وقبل الأديان السماوية فى أمر الكون والخلق ، والخالق وابتدعوا الأساطير لكى يفسروا بها الكون من حولهم ، ويتعبدوا عن طريقها للقوى المسيطرة على الكون وفقاً لما كانوا يعتقدون وقت ذاك ، وقسموا هذه القوى إلى قوى خيرة رحيمة ، وقوى شريرة ضارة ، ورجوا نفع الأولى وخيرها ، واتقوا شر الثانية وضررها ، عن طريق تقديم القرابين لهذه ولتلك ... وهكذا عرف الإنسان منذ القدم ، الآلهة الرحيمة التى تساعده ، والخيرة التى تقف إلى جواره وتنصره ، وعرف الآلهة الشريرة التى تلحق به الأذى ؛ ثم جاءت الأديان السماوية جميعاً لتؤكد أن الله (سبحانه وتعالى) لايريد إلا الخير للإنسان ، وأنه رحيم به رحمته تسع السموات والأرض جميعاً ، وأنه لايقنط من رحمة الله

---

١) الفولكلور والإسرائيليات ص ٥٣

نقلا عن :

Haim Schwarzbaum: Studies in Jewish and world Folklore, P. 60.

الا القوم الكافرون ... وهكذا فان ارتباط الرحمة بالخير ارتباط قديم فى قلب الإنسان وعقله ، ولكن الأديان السماوية عندما أكدت على أن رحمة الله لاتحدها حدود ، فى اطار الوحدانية والقدرة ، انما أكدتها أيضا باعتبارها جانباً من الخير المطلق الذى هو من صفات الله (عزّ وجل) . وليس من قبيل المصادفة أن يبدأ المسلمون دائما بأسم الله الرحمن الرحيم " عند قراءة القرآن أو الصلاة أو بداية أى شىء .(١)

ومن الملاحظ مما سبق ان الحكايات الكثيرة التى تصف لقاءات " إلياهو " واتصالاته العديدة مع الحكماء والصديّقين والزاهدين ، تفترض مسبقاً أنه فى اللحظة التى يتجلى فيها لهم يعرفون مَنْ هو ، بينما البشر العاديون ، حتى هؤلاء الجديون بتجليه ، الذين يظهر لهم " إلياهو " كملَك منقذ وقت الشدة والضيق فلا يعرفون وقت التجلى أنهم حظوا برؤيته وتجليه لهم ، ولكن بعد أن يختفى يتضح لهم ان هذا الشخص كان " إلياهو " ، وفى أحيان أخرى يكون صاحب المعجزة ، أى التى حدثت من أجله المعجزة ، لايدرك تماماً المعجزة التى حدثت له .(٢)

وهناك صورة أخرى ثالثة لإتصال إلياهو بأشخاص محددين ، وهى التى يطلق عليها اسم " גלוי אליהו - ظهور إلياهو " حيث يتجلى للحسيدين والزاهدين فى الحلم ، مسدياً لهم النصائح الطيبة (٣)، وفى الأدب العبرى القديم لانجد صورة " لظهور إلياهو " باستثناء حكاية واحدة تروى أن إلياهو تجلى لأحد ملوك روما فى الحلم وحذرة من تبديد الثروات التى تركها له آبائه (٤).

---

١) الفولكلور والإسرائيليات . ص ٥٣ .
وقارن الحديث النبوى الشريف والذى يرجع سنده الى جابر رضى الله عنه حيث قال : سمعت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " يقول : " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه . قال الشيطان لأصحابه : لامبيت لكم ولاعشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله. قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء" رواه مسلم .

٢) אגדות היהודים , חלק ח' , שפד.

٣) Aryeh Rubinstein: Hasidism. Keter Publishing House Jerusalem. LTD. 1975, P. 14.

٤) מדרש בראשית רבה , פג , ד.

لكن بعد ذلك أصبح هذا النوع من الحكايات مألوفا جدا فى الأدب المتأخر ، حيث تكثر الحكايات عن " تجلى إلياهو " لحكام أشداء وطغاة لكى يدفعهم إلى إلغاء أحكامهم القاسية التى أصدروها ضد الطوائف اليهودية ، ومن أشهر هذه الحكايات تجلى إلياهو " لاحشويروش " فى زمن " مردخاى وأستير " حيث تصف الحكاية كيف تجلى " إلياهو " " لاحشويروش " وأحمى غضبه على " هامان " وزيره الشرير وأمره بشنقه على الشجرة التى كان قد أعدها لمردخاى[١] . ولكن هناك نوعاً آخر من الحكايات لم يتم صياغتها حسب الرؤية الأجادية المعروفة عن " إلياهو النبى " ولكن تمت صياغتها لتكمل شخصية إلياهو.ومن هذه الحكايات حكاية اليهودى التقى والثرى الذى سأل معلمه قائلاً : لمدة أربعين سنة أقوم بفتح باب المنزل من أجل " إلياهو " فى ليلة الإحتفال بعيد الفصح انتظاراً لمجيئه ،ولكنه لايحضر ، فما هو السبب ؟ فأجابه الربى : ان الحى الذى تعيش فيه ، تسكن فيه أسرة فقيرة جداً تعول عدداً كبيراً من الأطفال ، فعليك أن تدعو عائل هذه الأسرة وتخبره انك وأسرتك سوف تحتفلون بعيد الفصح المقبل فى منزله ، ولأجل هذا الاقتراح فانكم سوف تجهزون له ولأسرته كل ضروريات الليالى الثمانية للفصح . ومن ثمّ فإنه فى ليلة الاحتفال بالفصح سوف يأتى إلياهو عندكم . فعل الرجل الغنى كما أخبره " ربى " ولكنه بعد بعد انتهاء أيام الاحتفال بالعيد جاء " للربى " وأكد له

---

١) אגדות אסתיר , אסתיר רבה ז , أما سفر أستير فيقول : " فلما رأى الملك أستير واقفة فى الدار.نالت نعمة فى عينيه.فمد الملك لأستير قضيب الذهب الذى بيده.فدنت أستير ولمست رأس القضيب ... فقال الملك لأستير عند شرب الخمر:ماهو سؤالك فيعطى لك وماهى طلبتك ، إلى نصف المملكة تقضى ".ويأخذ السفر فى تصوير "أستير كبطلة يهودية انقذت اليهود من مؤامرة حاكها "هامان" وزير الملك "احشويروش" ملك الفرس ، إذ نجح فى الحصول على موافقة الملك على التخلص منهم . ولكن "أستير" ، بتأثير فتنتها وجمالها استطاعت أن تكسب الملك لصفها وتنقذ شعبها . هذا وتنسب الأجاداه كتابة هذا السفر إلى أنه عمل من أعمال "إلياهو" السرية .

انظر : د. عبد الوهاب محمد المسيرى . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ٧٤

انظر أيضاً :

Aharon Wiener: The Prophet Elijah in the development of Judaism, P. 199.

ثانية انه انتظر قدوم "إلياهو" ليراه ولكن بدون فائدة . فاجابه "الربى" : اننى أعرف جيداً جداً ان "إلياهو" أتى إلى منزل جارك الفقير فى ليلة الاحتفال . ولكنك لم تره . ثم أمسك "ربى" بمرآة وجعلها أمام وجه الرجل الغنى وقال : أنظر هذا هو وجه "إلياهو" فى مساء يوم الاحتفال بالعيد " .

وفى هذه الحكاية اختفى موتيف " تجلى إلياهو " ولكن برز فيها الهدف الأسمى من أعماله ،وهو ليس فقط المساواة فى ميزان العدل الاجتماعى أو الاهتمام بالجزاء والعقاب ، ولكن أيضاً إنارة الطريق إلى القدسية والطهارة أمام اليهودى الحقيقى .

ولعل أعظم تقدير من الشعب اليهودى " إلياهو " مانجده معبراً عنه فى كثير من المعابد التى تحمل اسمه وخاصة إذا كان " إلياهو " قد كرمها بالظهور فيها ، وفضلا عن ذلك نجد فى مجتمعات الشرق الأدنى وغالبا فى معابدها تقام حجرات خاصة "لإلياهو" أو تصميم لكهف يشبه كهف " إلياهو النبى " ، لكى يحج إليها طلاب الرحمة والعون ، وهناك شهرة خاصة لكهوف "إلياهو" فى القاهرة وفى الاسكندرية ، وفى الأحياء المجاورة للقدس ، وبالقرب من دمشق وحلب وحماة فى سوريا ، وكذلك أيضاً بالقرب من جبل حوريب حيث يحتفل الحجاج فى هذا الكهف بالمكوث ليلة داخل الكهف لكى يحظوا بالالهام والراحة النفسية [1] . وأما عن " مغارة إلياهو " فوق جبل الكرمل فتقول الأجاداه :

(أ) مغارة الياهو : " مكان استشفاء للمرضى النفسيين "

تشتهر مغارة الياهو بانها مكان استشفاء للمرضى النفسيين ، الذين يحضرون اليها وقد

---

1) The prophet Elijah in the developmentof Judaism. P.140.

ذكرت جريدة "עמוד הי'ראה" - أساس العبادة " والتى صدرت فى القدس فى سنة ١٨٧٩ م، قصة تتحدث عن مصير طفلة : "فى العام الماضى حلت روح شريرة فى فتاة يتيمة فى القدس وهى تبلغ من العمر ١٣ سنة ، وكانت متعلمة ، وفجأة اختل عقلها وأصبحت تتكلم بكلام مشوش تلعن به كل شئ مقدس . وقالت أنه دخل فيها روحين كافرين ... وذات مرة قالت ان "إلياهو" هو الذى سينقذها . فوافق أقاربها على ادخالها إلى هذه المغارة ، والتى كان من المعتاد النوم فيها ثلاثة ليال.. وفى الليل جاء "إلياهو" فى الحلم فى هيئة رجل شيخ ومعه شاب (ويفسرون بانهما الياهو واليشع) وقالوا لها بان تستحم فى بحيرة طبرية ، وهناك ستشفى ؛ ففعلوا لها ذلك . فعادت كما كانت من قبل صحيحة وسليمة ."(١)

(ب) يحكى ان بعض الحجاج اليهود كانوا يزورون "مغارة إلياهو" . وقد كتب واحد منهم يصف هذه الزيارة التى تمت حسب قوله فى عام ١٧٤٢م فيقول : "وذهبنا ... ليلة عيد الغفران إلى جبل الكرمل ، وهو جبل عجيب وعظيم ، ومرتفع جداً جداً حيث تصل قمته إلى السماء.. وهناك مغارة كبيرة ..... وعندما دخلنا هناك نزلت علينا روح الرب ، ورأينا ضوءاً باهراً عظيماً جداً جداً..

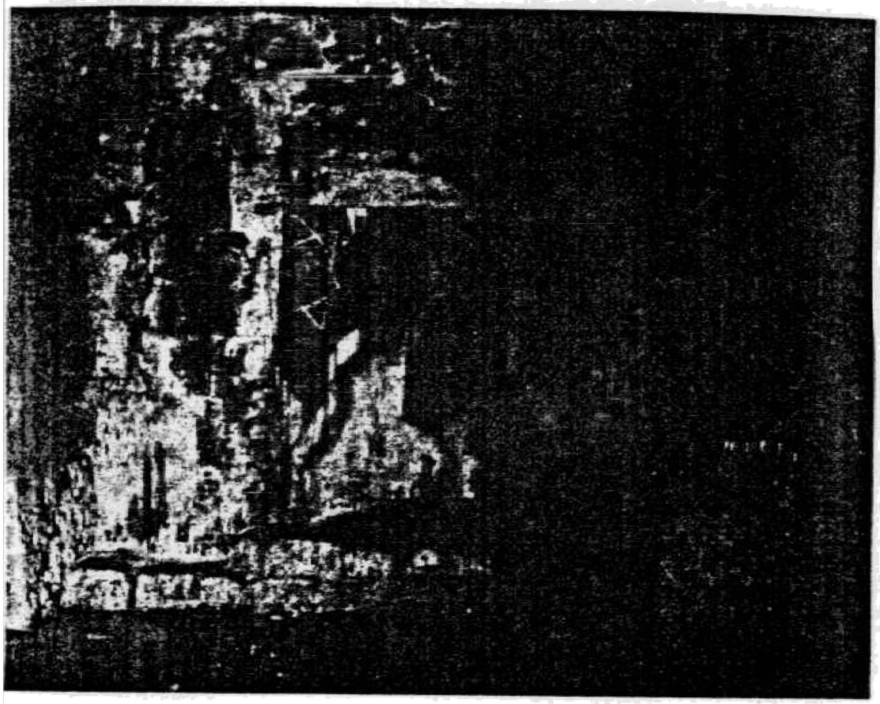

מערת אליהו הנביא, בהר הכרמל
מראה המערה מבפנים

مغارة إلياهو النبى فى جبل الكرمل
مشهد داخلى للمغارة

---

١) זאב וילנאי, אגדות ארץ ישראל.
אגדות, מסורות, מימרות קדמות וחדשות ערובות לפי אזורי הארץ עריה וכפריה. מהד' ראשונה, 1950 הוצאת "קריית-ספר" ירושלים 1981, חלק ב'. עמ' 96-97.

وفى داخل المغارة توجد مغارة صغيرة ... ويقولون انها مكان "إلياهو" ، مبارك الذكر ، وكل نجس يدخل هذه المغارة ، تخرج على الفور تيارات المياه من الاتجاهات الأربعة للمغارة ، وتغسل نفسها ، وبذلك يعرفون انه كان هناك نجس داخلها . وهذا ماشاهدناه فى عيد الغفران ، حيث جاء شخص غير مختون (أغرل) إلى هناك ، وعلى الفور خرجت المياه من الاتجاهات الأربعة للمغارة ... ثم أقمنا هناك غفراناً ، ومعنا كل أهالى القرية (حيفا) ، وأحضروا هناك كتاب التوراة ، واقمنا غفراناً لم نر له مثيلاً ... وفى الحقيقة ، لاترى فى هذه المغارة ذباباً أبداً ، فما أعظم طهارتها ، وبخصوص الاغتسال من النجاسة ، فالمياه تسيل من تلقاء نفسها على المغارة كلها ، وهناك أمام المغارة يوجد بئر صغيراً يمتلأمن مياه الأمطار ، وفى شهور الصيف يخلو من المياه تماماً، فنسأل : سيدنا "إلياهو" اعطنا المياه ! وفى الغد يمتلأ(البئر) بالمياه ".(١)

ومن المعابد التى تحمل اسم "إلياهو النبى" والتى كرمها "إلياهو" بالظهور فيها : " معبد إلياهو النبى " : ففى مدينة القدس القديمة ، يوجد معبد يحمل اسم "إلياهو النبى" ، وفيه مغارة صغيرة ، ومظلمة ، ويوجد فيها كرسى قديم مغطى بملاءة المعبد ، وعلى جانبيه مقاعد خشبية بسيطة مسنودة إلى الحائط . وتحكى الأجاداه أنه على هذا الكرسى جلس " إلياهو النبى " ، ولذلك فهو كرسى مقدس عند اليهود ودائماً توجد شمعة مضيئة أمامه . وقد اعتاد اليهود زيارته أملاً فى الشفاء من كل ألم وحرض ، أيضاً النساء العاقرات يأتين إليه طلباً للإنجاب ، وكذلك النساء الحوامل اللاتى تبغين مولوداً ذكراً ... وحسب ماتناقلته الألسن عبر الأجيال كان الاستيطان اليهودى فى القدس قليلاً جداً ، تسعة رجال فقط لاغير ، وذات مرة فى مساء عيد الغفران ، اجتمع اليهود من أجل الصلاة فى ذلك المعبد الذى كان يطلق عليه حينئذ اسم " תלמוד תורה تلمود توراه " والمجتمعون لم يتمكنوا من الصلاة ، لانه كان ينقصهم واحد ليكمل المئيان (النصاب المطلوب للصلاة عند اليهود) . وعندما حل المساء ، لم يعد هناك

---

١) אגדות ארץ ישראל, חלק ב', עמ' 95- 96.

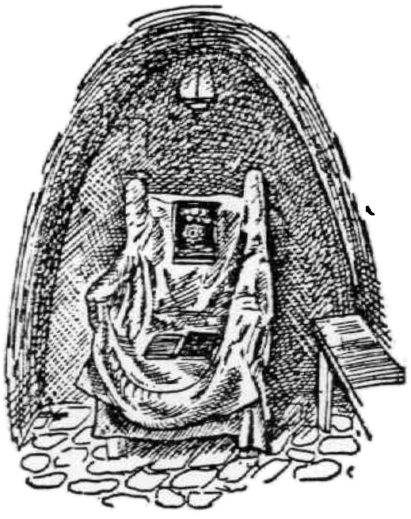

כסא אליהו הנביא.
היה שמור במערה קטנה בבית־הכנסת
אליהו הנביא. העיר העתיקה. ירושלים.
נהרס במלחמת שיחרור ישראל. תש־ח — 1948.

كرسى الياهو النبى فى مغارة صغيرة فى معبد الياهو النبى ـ القدس سنة ١٩٤٨

الا وقت قصير قبل صلاه " כל נדרי " (وهى الصلاة الشعائرية التى تتلى فى ليلة عيد الغفران ثلاث مرات بإنشاد خاص) ظهر فى المعبد شيخ مغطى كله بالعفار ، ووجهه منهك ، كانما أتى من سفر طويل ومرهقا ، ففرح اليهود جداً لرؤيته ، وأجلسوه فى احترام على كرسى خاص ، ثم أقاموا الصلاة فى وجد عظيم وعندما انتهوا من الصلاة ، قام اليهود لدعوة ضيفهم العزيز للبيات . ولكن بعد أن خطوا خطوتهم الأولى خارج باب المعبد ، اختفى الضيف عن انظارهم .وعندئذ فهموا انه " إلياهو النبى " الذى جاء ليكمل نصابهم . ومنذ ذلك الحين أطلقوا أسمه على هذا المعبد ، وأخذوا الكرسى الذى جلس عليه وحفظوه تذكاراً للأجيال "(١) .

وتذكر الأجاداه المسيحية انه عند بداية الطريق من القدس إلى " قبر راحيل קבר רחל " والى " بيت لحم בית לחם " ، توجد كنيسة تطل على هذه الضاحية ، ويسكن فيها بعض الرهبان اليونانيين ، وهم يسمونها على اسم " إلياهو النبى " . وكذلك يسمى أيضاً التل القريب منها باسمه . ويذكر الرهبان ان كنيستهم مبنية فى نفس المكان الذى ارتاح فيه "إلياهو النبى" عند هروبه من " ايزابل " زوجة "آحاب" ملك إسرائيل ، وانه عندما أتى إلى هذا المكان وهو فى

---

١) אגדות ארץ ישראל, חלק א', עמ' 137.

طريقه إلى "بئر سبع". أراد أن يستريح من عناء الطريق فرقد على صخرة ونام . وأثناء نومه لانت الصخرة تحته لكى تخفف من تعب جسده المنهك ولكى تلطف من راحته . ولذلك يزور كثير من الحجاج هذه الكنيسة لكى يروا هذه الصخرة التى نحت عليها صورة إنسان ، لكى يتبركوا بها حيث يعتقدون انها " إلياهو النبى " .(١)

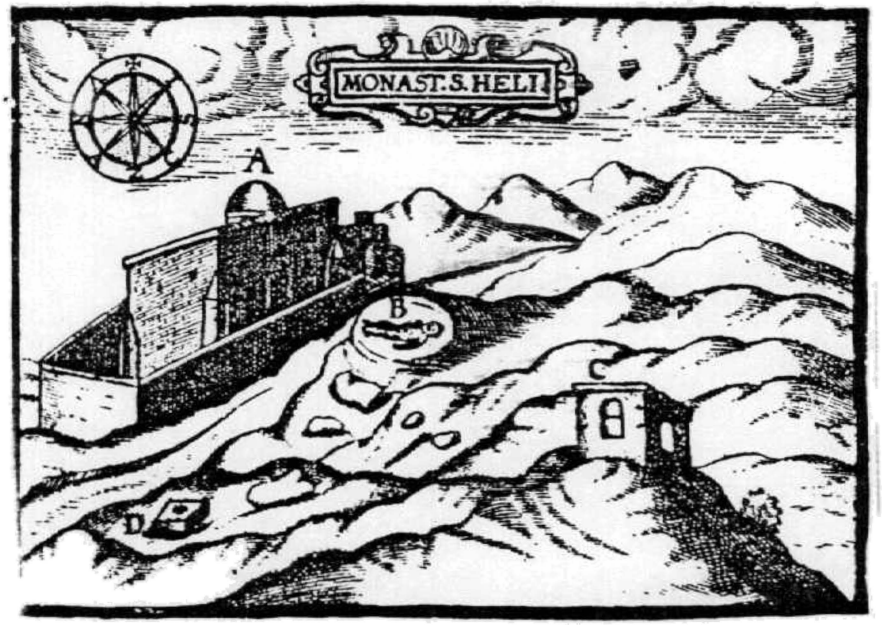

המנזר מר אליאס Monast. S. Heli תמונה משנת 1586 A — המנזר ובצדו הדרך בית-לחם ירושלים B — הסלע שבו טבועה צורחו של אליהו הנביא. C — הכנסיה על שם חבקוק הנביא. D באר המלכים הקוסמים. הקרושה לנוצרים.

وهكذا بعد أن قدمنا الموتيفات الرئيسية فى الحكايات الأجادية عن "إلياهو النبى " وما تضمنه التراث الشعبى أو تراث مابعد المقرا ؛ نجد أن ماقدمناه عن هذه الشخصية الفولكلورية كان محدوداً وموجزاً إلى حد ما ، والحقيقة اننا لو عرضنا أدق تفاصيل هذه الشخصية الشعبية ، فلن نوفها حقها من ناحية الكم القصصى ، فهناك العديد من الحكايات الشعبية التى تم غزلها ونسجها فى ذوق سليم وفكر ثاقب ، وخلال حب شديد ومع استخدام أساليب غنية بالألوان والمبدعات التى تعبر عن كل ماتاقت له النفس اليهودية - أطفالاً وشيوخاً - وقت الأزمه ووقت

---

١) المرجع السابق .

الفرج ، من اشتياقات وآمال وصور إبداعيه يمكن للخيال الإنسانى المتوهج أن يستوعبها ويعبر عنها - قد تم ترصيعها بتاج "إلياهو" ، الذى يمكن أن تقول انه فى حد ذاته عالم ميثولوجى كامل ، وقد منحه حكماء اليهود كل الخصال الطيبة التى اكسبته تأثيراً وفعالية يشعان بنورهما خارج مجال الطبيعة ، فقد أصبح "إلياهو النبى" فى نظر حكماء اليهود شخصية أسمى من أن تنسب إلى البشر أى "شخصية فوقية" فنسبوا له كل القوى غير الإنسانيه ، فهو عندهم "أمير البحار" حيث يتحكم ويسيطر على أمواج البحر ، وهو "أمير النار" حيث تنزل بأمره من السماء على من يشاء ، وهو "أمير الأمطار" يتحكم فى حركة واتجاهات الرياح ، وهو "أمير الغنى والفقر" ، و"أمير الصحة" ، حتى إحياء الموتى أعطوا له مفتاحه ، وفى سبيل رسالته لايقف أمامه أى عائق أو حتى أمر محظور ، فكل قوى الطبيعة تحت تصرفه ، حتى تغيير طباع البشر ، وبالإضافه إلى ذلك عنده المقدرة على اصدار الأحكام وابطالها ... وهكذا جعل التراث الشعبى اليهودى من "إلياهو النبى" ابناً غالياً للرب أو ملاكه المفضل ، الذى منح الحرية والتفويض الإلهى ، والثقة الإلهية التى ليس لها حد ، فهو مفوض من قبل العناية الإلهية بأن يسبغ من إحسانه العظيم على الصديقين والحسيديم والفقراء والمحتاجين .

وعليه "فإلياهو الفولكلورى" أصبح بمثابة حاكم السماء على الأرض ، أو الوصى على العالم الأرضى من قِبَل السماء ، حيث ان صلاحياته ومدى نفوذه التى أعطاها له التراث الشعبى ليس لها حدود ، ومن ناحية أخرى لانجد فى الحكايات الشعبية عن "إلياهو" أى التزام منه بتقديم تقرير لما قام به إلى مرسله ، كإنما منح امتيازاً أبدياً بتفويضه فى التدخل فى شئون العباد .

إذاً شخصية فلكلورية كهذه ، امتلأت بالطهر والبركة والمجد ويفخر بها شعبها ، ويزخر بها التراث والأدب الشعبى اليهودى الذى صورها فى شكل مبالغ فيه ، لدرجة اننا لانجد أية شخصية فلكلورية أخرى حظت بما حظت به من تكريم وتصوير ، ولكن على الرغم من كل ذلك فان هناك سؤال يطرح نفسه بالحاح على الباحثين وهو: هل حقاً يتميز "إلياهو النبى" بكل هذه الصفات والخصال ، وهل هو كفؤ لكل هذه الوظائف التى وضعها له التراث الشعبى اليهودى ؟ ... الحقيقة إن "إلياهو

المقرائى " لايمت بصلة " إلياهو الأجادى " المترسخ فى العقيدة الشعبية اليهودية باستثناء اسمه فقط ، وهو نقيض تام . " إلياهو الأجادى " ، فلا احسان أو رحمة عنده ، ولاهوادة أو بهجة روحية ، بل دائماً غيور ومنتقم ... فإذا كان إلياهو المقرائى بهذه الصورة ، فلماذا أعطى له التراث الشعبى هذا الرونق والمجد الشخصى !.. كأنه لايوجد فى تاريخ أنبياء اليهود نبى أخر جدير بهذا التتويج الشعبى إلا " الياهو النبى " !!! والعجيب فى الأمر أن المدراشيم التى تكرس جهودها من أجل تمجيد عظماء اليهود ، وتقوم بعملها وفقاً لقوانين ومعايير محددة ، لاتنكر ماروى عنه فى المقرا ، ولكن تفسره ، ولاتنقص منه شيئاً ، بل تزيد عليه ، فما ورد فى المقرا غير قابل للتغييرات والتبديلات ، فهو عندهم فوق أى شك ، ولكن الحقيقة ان حكماء التلمود أكملوا من خيالهم بروح المصدر المقرائى ، فأصبحت شخصية " إلياهو " بواسطة دمج الحقيقتين : الحقيقة الإنسانية الواقعية ، والحقيقة الرمزية السماوية ، أصبحت شخصية جذابة وساحرة أضعاف أضعاف عما كانت عليه فى المقرا ، بل وأصبحت أيضاً مقبولة عقلياً وشعوبياً .... كل ذلك أدى بشخصية "إلياهو المقرائى" إلى أن تكون شخصية احتفالية كما رأينا فى طقوس الختان والفصح والسبت ؛ ورواية ورمز للمستقبل كما رأينا فى فكرة التبشير بالمسيح المنتظر ، ولكن مع كل الدقة والحذر فى صياغة ورواية حكاياته وفى تجليات معينه رصدتها له بعض الحكايات نجد شيئاً ضئيلاً من السخرية وعدم التصديق .

الفصل الثانـــــى

إلياهو النبى - دراسة مقارنة

يرجح الباحثون والمفسرون ان " إلياس " عليه السلام ، والذى ورد اسمه فى القرآن الكريم هو "إلياهو النبى" المذكور فى العهد القديم ، حتى إن المفسرين المسلمين ، وكذلك كتّاب التاريخ وجامعى قصص الأنبياء - كالطبرى والرازى والثعلبى - قد قاموا بنقل الكثير عن حياة " إلياهو " من نصوص العهد القديم لكى تساعدهم فى تفسير ماورد عن " إلياس " فى القرآن الكريم ، حيث أعادوا صياغة وتجميع نصوص العهد القديم الخاصة بإلياهو وأوردوها تفاسيرهم ، ومع أن عملهم هذا تنقصه الدقة إلا أنه يشير إلى المصدر الأصلى الذى أخذوا منه ونقلوا عنه (١).

إلياس عليه السلام :

ورد ذكر "إلياس عليه السلام" فى سورتين من القرآن فى سورة " الأنعام " : " وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ "(٢)، وفى سورة " الصافات " : " وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ : إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ "(٣).

ويبدو لنا من سياق الآيات ان الذى رجح ان " إلياس " فى القرآن الكريم ، هو " إلياهو المقرائى " : ورود كلمة " بعل " التى اختلف المفسرون المسلمون

---

١) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Edited by James Hastings; Vol. 7 Last Impression; New York 1974, PP. 693-5.

٢) القرآن الكريم . سورة الأنعام آية ٨٥

٣) القرآن الكريم . سورة الصافات الآيات ١٢٣ - ١٣٢

فى تأويلها ، فبعضهم يرى أنها علم لصنم من ذهب سميت به مدينة " بعلبك "، وكان لقوم "إلياس" وله أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء ، وكان الشيطان يدخل فى جوف " بعل " ويتكلم بشريعة مدينتهم " بعلبك " وقيل فى تفسيرها أيضا انها تدل على امرأة عبدها بنو إسرائيل ، هذا وذهب البعض الآخر إلى ان " بعل " هو " الرب" أى " الصاحب أو المالك " بلغة اليمن ، فيقال مَنْ " بعل هذا الدار " : أى"ربها " وسمى الزوج بعلاً لهذا المعنى .(١)

وقد احتج " المعتزلة " بهذه الآية على كون العبد خالقاً لأفعال نفسه ، فقالوا : لولمْ يكن غير الله خالقاً لما جاز وصف الله لنفسه بأنه " أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "(٢). أما من قال ان " أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ " قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين فجوابه إن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليف بل لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ ، ولذلك لمّا عابهم على عبادة غير الله صرّح بالتوحيد ونفى الشركاء ، فقال " اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ "، وهذا يبين كيف ان حدوث الأشخاص البشرية يدل على وجود الصانع المختار ، وكيف يدل على وحدانيته وبراءته عن الأضداد والأنداد فلا فائدة فى الإعادة . ولمّا حكى الله عنه : انه عندما قرر مع قومه التوحيد فكذّبوه فقال الله تعالى " فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ "(٣) أى

---

١) جلال الدين محمد بن احمد المحلى ، جلال الدين عبد الرحمن ابى بكر السيوطى " تفسير الجلالين" دار الشعب . سنة الايداع ١٩٧٠ . ص ٣٩٨
وانظر ايضاً : محمد على الصابونى : صفوة التفاسير . مكتبة الغزالى . دمشق . بيروت سنة ١٣٩٨ هـ . المجلد الثالث ص ١٢١٦ ، ١٢١٧
وقارن قوله تعالى : " وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ " (سورة البقرة : ٢٢٨) ، وقوله تعالى : " وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً " (سورة هود : ٧٢)

٢) قارن قوله تعالى "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " (سورة المؤمنون : ١٤)

٣) قارن قوله تعالى " وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ " (الروم : ١٦) - "وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ " (يس : ٣٢) - "وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ "(الصافات : ٥٧)

لمحضرون النار غداً . ثم قال الله تعالى " إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ " وذلك إن قومه ماكذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد لهذا قال تعالى " إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ " يعنى الذين أتوا بالتوحيد الخالص ، فإنهم لا يحضرون[1] ، ثم قال " وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ " .

وفى قراءة هذين الاسمين " إلياس " و إلياسين " نجد ان " ابن عامر " قرأ " الياس " . بغير همزة على وصل الألف ، والباقون بالهمزة وقطع الألف . وعلق " أبو بكر بن مهران " على ذلك بقوله : من ذكر عند الوصل الألف فقد أخطأ ، وكان أهل الشام ينكرونه ولا يعرفونه ، فان الهمزة صاحبت اللام للتعريف ، أما فى تفسير " إل ياسين " فنجد بعض القراءات تقرأ " آل ياسين " على اضافة لفظ " آل " إلى لفظ " ياسين " وفى القراءات الأخرى تقرأ " إلياسين " بكسر الألف وجزم اللام موصولة بياسين . وعن القراءة الأولى ففيها وجوه . الأول : انه إلياس بن ياسين أى أنه من " آل ياسين " ، والثانى " آل ياسين " : أى آل محمد " صلى الله عليه وسلم " ، والثالث " ياسين " اسم القرآن الكريم كأنه قيل سلام على من آمن بكتاب الله الذى هو " ياسين " ، ويذكر الفخر الرازى ان الوجه الأول هو الأليق بسياق الكلام ، أما القراءة الثانية ففيها أيضاً وجوه : الأول : قول " الزجاج " : " إلياس وإلياسين كميكال وميكائين " ، والثانى قول " الفراء هو " جمع ، وأراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم للمهلب وقومه المهلبون "[2] .

---

١) قارن الملوك الأول ١٨ : ١٣ ؛ ١٩ : ١٨

٢) مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير للإمام الفخر الرازى محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى . بدون تاريخ . جـ ٥ . ص ٣٦٠ - ٣٦٤ .
وراجع تفسير الجلالين . ص ٣٩٨
وقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية انه رسم هنا " إلياسين " لظروف السجع : والأولى أن تستبدل بكلمة " السجع " : " تناسب الفواصل " .
راجع : دائرة المعارف الإسلامية . المجلد الرابع : ٢٥ . دار الشعب . القاهرة . بدون تاريخ . ص ٣٨١
وراجع : المنتخب فى تفسير القرآن الكريم . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مطابع الأهرام التجارية . القاهرة . سنة ١٩٧٢ . ص ٦٧٠

أما "الإمام الطبرى" فيذكر أنه كان يسمى باسمين " إلياس و إلياسين " مثل "إبراهيم" و"أبراهام" ويستشهد على ذلك بقول الله تعالى : سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِل يَاسِين " أى سلام على النبى الذى ذكر دون آله ، فكذلك " إلياسين " إنما هو سلام على إلياس دون أهله ، ويقول: كان بعض أهل العربية يقول " إلياس " اسم من أسماء العبرانية كقولهم إسماعيل و إسحاق ، وقد فعلت العربية به كما تفعل مع الأسماء الأعجمية فجعلته " إلياسين " مثل " إسماعين " أى تبدلت اللام نونا[1] ... ، ونلاحظ انه قد وردت فى القرآن الكريم بعض الأسماء بصورتين مثلما حدث مع إلياس مثل قوله تعالى : " وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ "[2] ثم فى موضع آخر " وطُورِ سِينِينَ "[3] وهو مكان واحد سمى بذلك .

أما قصة " إلياس " عند كتّاب التاريخ كما أوردها الطبرى فى تاريخه هى : " انه كان يعيش فى عهد الملك " آحاب " ، وكان لهذا الملك زوجة تدعى " ازابل" وآمن الملك بـ"إلياس" وصدقه ، أما بنو إسرائيل فكانوا لايطيعونه ، وكانوا يعبدون " بعلاً " ، على أن هذا الملك ارتد إلى دينه ... فدهش "إلياس" . وسأل الله أن يمكنه من خزائن السماوات ، فحبس عنهم ماءها ثلاث سنين حتى هلكت الماشية ... وجهد الناس جهداً شديداً ... وكان " إلياس " حين دعا بذلك على بنى إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم ، وكان حيث ماكان وضع له رزق ، فكانوا

---

١) وهى من صفات " الأصوات المائعة " - liquida " (اللام والميم والنون والراء) وهى التى يسميها علماء العربية بالأصوات المتوسطة ، ومن أمثلة تبادل اللام والنون أيضاً : " لعَل ولعَن " ، وهى لغة " بنى أسد " وقد أنشد بعض " بنى تميم " فى ضب صاده :

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب البيت إسرائينا

انظر : د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى . مكتبة الخانجى . القاهرة سنة ١٩٨٢ . ص ٢٦٦

- د.إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٧١ . ص ٢١٠ .

- الإمام الحافظ عماد الدين الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى " تفسير القرآن العظيم " . مكتبة التراث الاسلامى . حلب سنة ١٩٨٠ م ١٤٠٠ هـ جـ ٤ . ص ١٩ ، ٢٠

٢) القرآن الكريم : سورة المؤمنون آية ٢٠

٣) القرآن الكريم : سورة التين آية ٢

اذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا : لقد دخل " إلياس " هذا المكان، فطلبوه ، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم انه أوى ليلة إلى امرأة من بنى إسرائيل ، لها ابن يقال له "اليسع بن أخطوب " به ضر ، فآوته وأخفت أمره ، فدعا إلياسّ لابنها فعوفى من الضر الذى كان به ، واتبعه " اليسع " فآمن به وصدقه ولزمه ، فكان يذهب معه حينما ذهب ، وكان إلياسّ قد أسنّ وكبر ، وكان " اليسع " غلاماً شاباً .. فيزعمون - ويقصد اليهود - أن الله أوحى إلى "إلياس " انك قد أهلكت كثيراً من الخلق .. بحبس المطر عن بنى إسرائيل ، فقال له " إلياس " : أى رب ، دعنى أكن أنا الذى أدعو لهم به ، ولكن أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه ... فقيل له نعم ، فجاء إلياسّ إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : انكم قد هلكتم جهداً ، وهلكت البهائم والدواب ... بخطاياكم ، وانكم على باطل وغرور - أو كما قال لهم - فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ، فان استجابت لكم فذلك كما تقولون ، وإن هى لم تفعل.علمتم أنكم على باطل ، ودعوت الله ففرج عنكم ... قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم ومايتقربون به إليها ، فدعوها فلم تستجب لهم . فقالوا لإلياسّ : " يا إلياس " ، إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياسّ بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترامى إليه السحاب ، فأرسل الله المطر فأغاثهم ... فلم ينزعوا ولم يرجعوا ، فلما رأى ذلك إلياسّ من كفرهم دعا ربه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له : انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فما جاءك من شئ فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياسّ وخرج معه " اليسع بن اخطوب " حتى إذا كان بالبلد الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرس من نار ، حتى وقف بين يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسعّ :يا إلياسّ . يا إلياسّ ، ماتأمرنى ؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم ، والمشرب ، وطار فى الملائكة فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمائياً "(١)

---

١) تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤ - ٣١٠ هـ . تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم . ج ١ . الطبعة الرابعة . دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٧٩ . ص ٤٦١ - ٤٦٤

أما رواية "الثعلبي" فأكثر تفصيلاً ولاتختلف فى مضمونها عن رواية "الطبري" الا أنها تطلق على آحاب اسم " لاجب " وعلى " ازابل " اسم " أربيل " [١]،وتقول ان " إلياس " هرب إلى الشعاب وقضى بها سبع سنين وليس ثلاثاً كما أورد الطبرى ، وتفصل رواية "الثعلبي" أيضاً بين حكاية المرأة المؤمنة التى زودها "إلياس" بالدقيق والزيت ، وحكاية الغلام الذى أحياه "إلياس" بعد موته فتقول روايته فى تفصيل ذلك " انه لم سئم إلياس من المكث فى الجبل هبط إلى بيت أم "يونس النبى"[٢]، وكان "يونس" حينذاك طفلاً يحتضر فبعثه إلياس حياً ، وعاد بعد ذلك إلى الجبل ، ثم دعا الله أن يحكم فى المطر سبع سنين .. واستجاب الله له ، ولكن إلى ثلاث سنين وكان الطير يحمل إليه خلالها طعامه وشرابه ، واصيب بنو إسرائيل بالمجاعة إلا امرأة واحدة استطاع " إلياس " بما حباه الله من معجزة أن يزودها بالدقيق والزيت "[٣]. أما بقية مارواه الثعلبى من قصة "إلياس" فعين ما رواه الطبرى .

أما مجمل ماذكره " ابن حزم " عن "إلياس" فهو انه كان يعيش فى عصر "آحاب" بن عمرى" ولكنه لم يذكر اسم امرأة "آحاب" وقال عنها فقط انها بنت ملك صيدا[٤] . وهذا كل ماذكره "ابن حزم" عن "إلياس" .

---

١) وتذكر الموسوعة اليهودية ان الاختلاف بين الاسم "اربيل" و"ايزابل" فى رواية "الثعلبي" هو نتيجة اهمال وضع العلامة المميزة للزاى (نقطة) فوق حرف الراء .
انظر : Encyclopaedia Judaica. Elijah, P. 640.

٢) راجع قصة "يونس النبي" فى القرآن الكريم سورة الأنبياء الآية ٨٧ ، وسورة الصافات : الآيات ١٣٩ - ١٤٨ . وقارنها بسفر " يونا " فى العهد القديم .

٣) ابى اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى . قصص الأنبياء المسمى "عرائس المجالس" . المكتبة الثقافية . بيروت . بدون تاريخ . ص ٢٢٣ - ٢٢٩

٤) ابن حزم الظاهرى الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ومعه الملل والنحل للشهرستانى . ج ١ . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده . القاهرة سنة ١٩٦٤ . ص ١٥٣

ويذكر القاموس الإسلامى صراحة ان "إلياس" عليه السلام هو " إيليا " المذكور فى التوراة أو " اليجاج " وينطق اسمه " Elijah-Elias "(١)

ويتضح مما سبق ان هذه الروايات أخذت عما ورد فى سفر الملوك الأول الإصحاح السابع عشر ومابعده ، ولو أنه جاء فى الإصحاح التاسع عشر ، الفقرة العشرين ، أن والدى "اليسع" كانا على قيد الحياة عندما لقيه "إلياهو" لأول مرة . والحقيقة هنالك اختلاف فى تعيين شخصية "اليسع" عند كتاب التاريخ المسلمين ، فيورد كل من الطبرى والثعلبى أراء بعض من ذهبوا الى أن " اليسع "هو" الخضر " عليه السلام ، بينما يورد " خواندمير " الرأى القائل بأن " اليسع " هو " ذى الكفل "(٢)

التشابه بين "إلياس" و"الخضر" " عليهما السلام "

وفى القرآن قصة عن "إلياس" آخر ولو انه لم يصرح باسمه ، ولاتصل الرواية بينه وبين "إلياس النبى" ولكنها تصل بينه وبين "الخضر" . فنرى فى سورة الكهف (الآية ٦٥ ومابعدها) ان "موسى" وفتاه كانا يصيدان السمك ، فلقيا عبداً من عباد الله الصالحين . وأراد "موسى" أن يتبعه فقال له هذا الرجل المجهول : انك لن تستطيع معى صبرا . ولما انطلقا فى سبيلهما أتى هذا الرجل الصالح بأعمال تدل فى ظاهرها على قسوة مذمومة . وكان "موسى" يلومه فى كل مرة على عمله ، فما كان من هذا الرجل الصالح آخر الأمر إلا أن تخلى عنه بعد أن برر له كل عمل أتى به . وكان موسى يظن ان ما أتاه العبد الصالح كان عملى غير صالحاً . وتلك هى القصة كما وردت فى القرآن الكريم : " قال الله تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى (٣)

---

١) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى . المجلد الأول . مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة ١٩٦٣ . مادة " إلياس " .

٢) راجع سورة الأنبياء . الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .

٣) قال بعض أهل الكتاب : ان "موسى" هذا الذى رحل إلى "الخضر" هو "موسى بن منسا ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل" ، وتابعهم على ذلك بعض ممن يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم ؛ والصحيح الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه انه "موسى بن عمران" صاحب بنى إسرائيل . فعن "ابن عباس" . حدثنا "أبى بن كعب" أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان "موسى" قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم==

لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ(١) أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا . فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا . فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا . قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا . فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا . قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا(٢) . فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا . فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا

=) إليه ، فأوحى الله إليه : ان لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى : يارب لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقد الحوت فهو ثم ، فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل ، ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون .... إلى آخر القصة .

انظر : الحافظ بن كثير : قصص الأنبياء . ج ١ - ٢ : ص ٣٤١ - ٣٤٦ .

١) أجهد المفسرون أنفسهم طويلاً لتبديد الغموض المحيط بهذا المكان ، فقيل أنه "بحر فارس والروم" ، وقيل بل "بحر الأردن" أو "القلزم" ، وقيل عند "طنجه" ، وقيل فى "افريقيا" ، وقيل هو "بحر الأندلس" ... ولايقوم الدليل على صحة مكان من هذه الأمكنة ، ولو كان تحديد المكان مطلوباً لحدده الله تعالى ..... وانما أبهم السياق القرآنى المكان ، كما أبهم الزمان ، كما أضب أسماء الأشخاص لحكمة عليا .. نفس المرجع السابق . ص ٣٤١ - ٣٤٦ .

٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكانت الأولى من "موسى" نسياناً . قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له "الخضر" : ماعلمى وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر !

انظر : الحافظ بن كثير : قصص الأنبياء . تحقيق محمد أحمد عبد العزيز . دار الحديث . القاهرة سنة ١٩٨١ . ج ١ - ٢ . ص ٣٤١ - ٣٤٦

أن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً . قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً . أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً . وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً . فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً . وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا (١) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً " (سُوْرَة الكهف : ٦٠ - ٨٢) .

وتذكر الأجاداه اليهودية رحلة "إلياهو مع" يوشع بن لاوى أتى فيها "إلياهو" بمثل ماعمل العبد الصالح الوارد ذكره فى القرآن ، وفى هذه القصة أظهر "إلياهو" ليوشع الذى سخط على أفعاله أنه تعجل وأخطأ فى الحكم عليه . والتشابه بين القصتين كبير حتى أنه لايدع مجالاً للشك فى أن القصة الواردة فى القرآن والقصة الواردة فى الأجاداه اليهودية تتشابهان فى المصدر . وهذه هى القصة اليهودية كما جاءت فى الاجاداه : "

פעם אחת אמר לו רבי יהושוע בן לוי לאליהו : נבקש
אני ללכת עמך לראות את הדברים הנפלאים שאתה

---

١) قوله : " وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة " قال "السهيلى" : وهما " اصرم وصريم " ابنا " كاشح " " وكان تحته كنز لهما " قيل كان ذهباً ، قال "عكرمة" . وقيل علماً ، قاله " ابن عباس " : والأشبه انه كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه علم . قال البزار : حدثنا "إبراهيم بن سعيد الجوهرى" ، حدثنا "بشر بن المنذر" ، حدثنا "الحارث بن عبد الله اليحصبى" ، عن "عياش بن عباس الغسانى" ، عن "ابن حجيرة" ، عن "أبى رفعة" قال : إن الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من الذهب مصمت مكتوب فيه : "عجبت لمن ايقن بالقدر كيف نصب ! وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل ؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله " . وهكذا روى عن "الحسن البصرى" و"عمر" مولى "غفرة" و"جعفر" الصادق نحو هذا . " وقوله " كان أبوهما صالحاً " ، قيل إنه كان الأب السابع وقيل العاشر . وعلى كل تقدير : فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته
انظر : الحافظ بن كثير . قصص الأنبياء . ص ٣٤١ - ٣٤٦

עושה בעולם. אמר לו אליהו: אין אתה יכול ללכת עמי, שאין אתה יכול לשאת את מעשי שתראה ותצטרך לטלית עלי בשאלות להודיעך מהו שחייב אותו מעשה. אמר לו: רבי, לא אטריח עליך ביותר ולא אבביד עליך בשאלות. אולם חפצי לראות מה תעשה - ותו לא. הניחנה עמו אליהו, שאם יבקש ממנו שום שאלה לא יילך עמו עוד. מיד הלכו שניהם יחדו עד שהגיעו לעת ערב ולנו בביתו של אדם עני שאין לו בלום חוץ מפרה אחת עומדת בביתו. והאיש והאשה ושבים פתח השער. ויראו אותם באים כנגדם וישאו לקראתם ויקבלו אותם בסבר פנים וישאלו להם לשלום וישמחו עמו וישיבום במיטב ביתם ויביאו לפניהם מה שנזדמן לאכל ולשתות ויאכלו וישתו וילינו שם. ויהי בבקר ויקומו ללכת לדרכם, ויתפלל אליהו על הפרה ותמת מיד. וילכו שניהם יחדו. ראה רבי יהושע ותמה מאד על הדבר ויאמר בנפשו: לא היה שכר לעני הזה מן הכבוד אשר כבדנו אלא להוג את פרתו ואין לו זולתה. ויאמר אל אליהו: אדוני, למה הייתה מתה פרתו של האיש הזה והוא עשה לנו כבוד? ענה אליהו ואמר: זכר התנאי שהיה ביני וביניך להסכית ולהחריש, אלא אם רצונך להפרד ממני אני אומר לך. והחריש משאלותיו ולא ענהו עוד. וילכו שניהם כל היום ויהי בערב ויבואו אל בית עשיר אחד ולא פנה אליהם לכבדם. וישבו בביתו בלא אכילה ובלא שתיה. ויהי לאישהעשיר בביתו קיר שנפל והיה עליו לבנותו, ויהי בבקר ויתפלל אליהו ובנה הקיר. וילכו שניהם משם והגון והתמה נוסף לו בלב רבי יהושע על מעשה אליהו, אבל כבש יצרו משאל לו.

והלכו לדרכם היום והגיעו בערב לבית־כנסת גדול, שהיו שם ספסלים מזהב וכסף וכל אחד ואחד יושב על כסאו איש כפי כבודו ויקרו. ואמר אחד מהם: מי יאכיל את העניים הללו הלילה הזה? ויען אחד מהם לאמר: רב להם מלחם ומים וממלח שיביאו להם לכאן.

וימתינו ולא כבדום בהגן וכשורה, וילינו וישבו במקומם עד אור הבוקר. ויהי בבקר ויקומו וילכו שניהם, ויאמר להם אליהו: שימכם אלהים ראשים! והלכו לדרכם כל היום. ונוסף לרבי יהושוע יגון על יגון ולא ענה.

ויבואו עד עיר אחת והשמש פנה לערב, ויראו אותם בעלי העיר, ויצאו לקראתם בלב טוב ובשמחה גדולה ויקבלום בסבר פנים יפות ושמחו עמהם וישיבום במיטב ביתם בבית הגדול שבהם, ויאכלו וישתו וילינו שם בכבוד גדול. ויהי בבקר ויתפלל אליהו ויאמר: לא יתן בכם הקדוש־ברוך־הוא אלא ראש אחד! כשמע רבי יהושוע את דברין ולא יכל להתאפק ולא להתרעש על כל המעשים האלה, ויאמר לאליהו: עתה, אדני, הודיעני על כל המעשים האלה שעשית סודותם. ויאמר לו אליהו: על שיש בלבך להפריד ממני אני אפרש הכל לך ואודיעך סוד הדברים ועקר המעשים שראית. דע, כי האיש שהרגתי פרתו - אותו היום נגזר על אשתו למות, ואני התפללתי לאל להיות פרתו פדיון אשתו, ועוד ראיתי על ידי האשה טובה הרבה ותועלת גדולה בביתו. והאיש העשיר שבניתי לו הקיר, אם הייתי מניחו לבנותו היה מגלה יסודו והיה מוצא בו מטמון גדול מזהב וכסף. ועל כן בניתי לו, והנה מהרה יפול הקיר ולא יבנה עוד. והאנשים שהתפללתי עליהם בלב שרים ורוב ראשים, לפי שהיא רעה להם ומחלקת גדולה בעצתם

ומחשבותם, לפי שלא מקום שבו רב ראשים, נשחת ונח-
רב ונאשם. והאנשים שהתפללתי עליהם בהאש אחד-
היא טובה להם וישובם, לפני שישובו מעשיהם ועצתם ל-
עצה אחת וישמחו ורוח מחלוקת לא יבוא בינהם ולא-
תחלק עצתם ולא תופר מחשבותם. על כן יאמרו המוש-
לים: בלב חובלים תטבע הספינה, ובאחד מבין תתישב
עיר. ועוד צוה לו אליהו לרבי יהושע ואמר לו: הנני הי-
לך מעמך, לכן אודיעך את אשר תועיל: אם דאית רשע
שהשעה מצחקת לו, אל יסיתך יצרך ואל תתמה עליו
לפי שהוא לרעתו; ואם דאית צדיק מצער ומצטער ב-
ימי חלדו ויגיע ועמל ברעה ובצמה ובערם ובחסר-כל,
או יסורין באים עליו, אל יחרה אפך ואל תכעס ברוחך
ואל יתעך ולבך לחשוב שום ספק ביוצרך, והשב אותו
בדעתך ובלבך כי צדיק הוא וצדיק דינו ועינו על דר-
כי איש, ומי יאמר לו מה תעשה ואחר כך שאלו איש
בשלום חברו והלכו לדרכם".

الترجمة العربية : " ذات مرة قال " ربى يشوع بن لاوىّ إلياهو " : اننى مشتاق للذهاب معك لكى أرى الاشياء العجيبة التى تفعلها فى العالم . قال له " إلياهو " : لن تقدر على السير معى ، فلن يمكنك تحمل ماستراه من أعمالى وسوف تضطر أن تلح علىَّ فى السؤال لتعرف ما الذى دفعنى إلى القيام بهذه الأعمال قال له :"ربى " : لن أثقل عليك كثيراً ولن أزعجك بالأسئلة فان هدفى هو رؤية ماذا تفعل ـ لاغير . فاشترط " إلياهو " عليه أن لايسأل عن شىء وإلا فسيضطر إلى فراقه والسير وحده . وسار الاثنان سوياً حتى حل عليهما المساء ، فباتا فى منزل رجل فقير ليس لديه شىء إلا بقرة واحدة كانت تقف بجوار باب بيته . وكان الرجل وزوجه يجلسان على عتبة الباب . وعندما رأياهما قادمين ، خرجا لمقابلتهما واستقبلاهما ببشاشة ، وسألا عن أحوالهما وهما سعداء بهما ، ثم أجلساهما فى أحسن مكان بمنزلهما وقدما لهما أحلى الأطعمة ، فشربا وأكلا وناما هناك . وفى الصباح قاما لاستئناف المسير ، فدعا " إلياهو " على البقرة فماتت

على الفور . وواصل الاثنان سيرهما وعندما رأى " ربى يشوع " ذلك تولته الدهشة وقال فى نفسه : هل هذا جزاء هذا الفقير على كل ماقدمه من الكرم والاحترام فيكون قتل بقرته وهو لا يملك غيرها ؟ فقال " إلياهو " : سيدى : لماذا قتلت بقرة هذا الرجل وقد أكرمنا ؟ فأجابه " إلياهو " : تذكر الشرط الذى ، بينى وبينك.وهو أن تسكت وتصغى ، وإذا أردت الانفصال عنى فاننى أخبرك ! فصمت عن اسئلته ولم يجبه إلياهو .

ثم واصل الاثنان المسير طوال النهار ، وفى المساء ذهبا إلى منزل أحد الأغنياء.فلم يكرمهما أو يحترمهما ، وجلسا فى بيته بدون طعام أو شراب . وكان فى منزل هذا الرجل الغنى حائط منهدم ، وكان عليه ترميمه .. وفى الصباح قام " إلياهو " فصلى لربه وأعاد بناء الحائط . ثم ذهب الاثنان من هناك . أما " ربى يشوع " فزاد حزنه ودهشته مما فعل " إلياهو " ولكنه كتم رغبته فى السؤال . وواصل الاثنان مسيرتهما طوال النهار حتى وصلا مساء إلى " المعبد الكبير " حيث المقاعد الذهبية والفضية ، وحيث يجلس كل رجل فى مقعده حسب مكانته ودرجة احترامه . وقال أحدهم : من يطعم هذين الفقيرين الليلة؟ فأجابه آخر قائلاً : سيحضرون لهما كثيراً من الخبز والماء والملح .. فأكلا وناما فى مكانهما حتى الصباح ولكن لم يتم تكريمهما كما ينبغى . وفى الصباح قام الاثنان ليواصلا المسير ، فودعهما " إلياهو " قائلاً : ليجعلكم الرب رؤساء ! ، ثم تابعا المسير طوال النهار ؛ أما " ربى يشوع " فقد زاد حرناً على حزنه الا انه لم ينطق بشىء . وعندما أخذت الشمس فى الغروب كانا قد وصلا إلى احدى المدن ، فلما شاهدهما أهل المدينة ، خرجوا لمقابلتهما بقلوب طيبة وفى سعادة كبيرة واستقبلوهما ببشاشة وفرحوا بهما كثيراً وأجلسوهما فى أحسن منازلهم وأكبرها ، فأكلا وشربا وباتا هناك فى جو يسوده الاحترام . وفى الصباح قام " إلياهو " وقال فيهم : لايجعل الرب فيكم إلا رئيس واحد ! وعندما سمع " ربى يشوع " ذلك لم يتمالك نفسه ولم يستطع السكوت على كل هذه الأعمال . فقال إلياهو : الآن ياسيدى اعلن لى عن كل أسرار هذه الأعمال التى قمت بها . فقال له إلياهو : الشرط أن تنفصل عنى بعد ذلك ، أى بعد تفسير هذه الأمور واخبارك بسرها ، ومضمون الأعمال التى رأيتها : اعلم ان الرجل الذى قتلت بقرته - قد صدر فى نفس اليوم قرار الرب بموت زوجته ، وقد صليت للرب ودعوته بأن تكون بقرته فداء لزوجته لاننى رأيت على يد هذه الزوجة الطيبة خيراً كثيراً

ولها فائدة عظيمة فى بيتها . أما الرجل الغنى الذى بنيت له الحائط ، فلو اننى تركته يبنيه لاكتشف سره ووجد فيه كنزاً عظيماً من الذهب والفضة ، ولذلك بنيته له ، وعندئذ لن يسقط الحائط سريعاً ولن يبنيه مرة أخرى . أما الناس الذين دعوت لهم بكثرة الوزراء والرؤساء فانه دعاء ليس فى صالحهم ، فسيدب خلاف كبير بينهم سواء فى مشورتهم أو فى أفكارهم لأن المكان الذى يكثر فيه الرؤساء يفسد ويخرب ويدان . أما الناس الذين دعوت لهم برئيس واحد فهم خير لهم واستقرار لحياتهم ، فمشورتهم تتبلور فى مشورة واحدة. فيسعدون فلا تدب فيهم روح الخلاف ولن تتغير مشورتهم ولن تحارب أفكارهم . ولذلك يقولون فى الأمثال : " كثرة الملاحين تغرق السفينة " ، " وبمفكر واحد تستقر المدينة " وبعد ذلك أوصى " إلياهو " ربى يشوع قائلاً : ها أنذا ذاهب عنك. لذا فسأعلمك مايفيدك : إذا رأيت شريراً تضحك له الدنيا ، فلاتتحفز وتثور ولاتندهش لذلك ، فهو حسب شروره ، واذا رأيت صديقا فى أزمة وحزن وحياة متعبة ، ومنهك من الجوع والصوم والعرى وليس عنده شىء أو نزلت عليه المحن والمصائب. لاتثور ولايساورك الشك فى خالقك ، ولاتتعب قلبك وتفكيرك ولكن ثبت قلبك وفكرك بالإيمان بالرب ، فحكمه عادل،وهو عادل ويرى أعمال الرجل ولذلك سيرشده إلى صواب الأعمال ...

وبعد ذلك تبادلا التحية وذهب كل واحد فى طريقه .(١)

هنا يتضح مدى التشابه الكبير بين القصتين. قصة القرآن الكريم وقصة الأجاداه وإن كان اليهود يزعمون ان هذه الأجاداه هى المصدر الأصلى الذى استمد منه القرآن قصته ، ويقولون ان هذا الأمر يمكن ادراكه عندما نعرف ان " إلياهو " كان يتجلى فى كثير من الأجادوت التى سبقت القرآن بمئات السنين ليثبت تبرير وعدالة العناية الإلهية (٢) ، ويقدمون بعضاً من هذه النماذج التى يقوم فيها الياهو بهذا الدور ومنها هذه الأجاداه "

בזמן חורבן בית המקדש ה'ה אליהו הצדיק מחזיר על תפוחי רעב שבירושלים, פעם אחת מצא תינוק שה'ה תפוח ומוטל באשרה. אמר לו: מאיזו משפחה אתה? אמר לו:

---

١) אגדות היהודים כרך ג', עמ' 28-29.
انظر ايضا : ילינק : בית המדרש (מדרשים קטנים) מהד' ילינק, 6 חלקים, חלק ה', 133-135.
وقد وردت هذه الأجاداه فى مصادر أجادية أخرى .

٢) The Prophet Elijah in The Development of Judaism, P.158.

ממשפחת פלוני אני. אמל לו: כלום נשתייר מאותה משפחה? אמר לו: לא, חוץ ממני. אמר לו אליהו: אם אני מלמדך דבר שאתה חי בו, אתה למד? אמר לו: הן. אמר לו: אמור בכל יום "שמע ישראל יהוה אלוהינו יהוה אחד"! אמר לו: הס שלא להזכיר בשם יהוה, שלא לימדו אבי ואמר. מי הוציא יראתי מחיקו והיה מחבקה ומנשקה עד שנבקעה כריסו ונפלה יראתי לארץ ונפל הוא עליה.

الترجمة العربية : في زمن خراب بيت المقدس كان " إلياهو الصديق " يتفقد أحوال الجوعى في القدس فوجد ذات مرة طفلاً متكوما وملقى في ركام القاذورات فقال له : من أية أسرة أنت ؟ قال له : أنا من الأسرة الفلانية. فقال له : هل نسيتك أسرتك ؟ . قال له : لا لقد خرجت وحدي . فقال "إلياهو" : إذا علمتك أمراً تحيا به ، هل تتعلمه ؟ قال له : نعم . فقال له : قل كل يوم " اسمعي يا إسرائيل الرب إلهنا ، الرب واحد " ! قال له : اسكت . لن اذكر اسم الرب الذي لم يذكره الأب والأم . على الفور نزع "إلياهو" الخوف من داخل الطفل وأخذ يضمه ويقبله حتى انشقت بطنه وزال عنه الفزع وسقط على الأرض وسقط هو فوقه .(١)

وجدير بالذكر أنه في الحكايتين أشير الى إلياهو بلقب " הצדיק - الصديق " الذي جاء تقريباً ليرمز إلى دوره في تصديق - تبرير - طرق الرب وحكمه مع إسرائيل وعن ارتباط الأجاداه اليهودية التي بطلها "إلياهو النبي" بالقصة القرآنية التي بطلها "الخضر"..(٢)..

---

١) סנהדרין, סג, ב.
وإن كان من السهل الرد على هذا الزعم على اعتبار ان القرآن الكريم قد قام بالاخبار عن الأحداث والروايات السابقة على نزوله فقد قال تعالى : " مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ " (سورة الأنعام . آية ٣٨) ، وقال تعالى في قصص أنبياء ماقبل الإسلام : " وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ " (سورة النساء آية ١٦٤) ولذلك فان العامل الزمني لم يعد أساساً للمقارنة بين القديم والأحدث خاصة وان المصدر واحد وهو من عند الله وبديهي ان القرآن الكريم أصدق وأدق الروايات حيث جاء في سورة الحِجْر " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (آية ٩) وقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل قوله في سورة النمل آية ٧٦ " إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " .

٢) راجع سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢

يقول " Wiener " أن "موسى" فى القصة القرآنية يمثل العلم اللاهوتى بينما "الخضر" يمثل الجانب الخفى والحكمة الصوفية " . ويقول " عندما نفحص الموتيفات المتشابهة (البحث عن ملتقى البحور ، معجزة السمك ، مصدر الحياة ، وخادم الله) ونقارنها مع غيرها من الموتيفات المشتركة فى " ملحمة جلجامش " والأسطورة اليونانية " Glaucus " والتى يطلق عليها كذلك قصة "الاسكندر ذى القرنين"[1] نجد تحولات وتغييرات كثيرة ،منها اختلاف اسم البطل ومن يتزعمهم أو يقودهم . ولكن يعود Wiener ويتفق تماما مع الباحثين أمثال " I.Goldziher جولدتسهير " و " M.Lidzbarski - ليدزبارسكى " و " I. Goldziher - وفوللرز " و " فريدلندر I. Friedländer " " وفينسنك A.J. Wensinck " فى ان شخصية الخضر فى التراث الاسلامى تتطابق فى نواح عديدة مع شخصية " إلياهو"

---

١) الإسكندر : اسم للإسكندر الكبير ملك مقدونيا (٣٣٦ - ٣٢٣ ق .م). قال أكثر أهل السير أنه " الإسكندر بن فليش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث " . ويقال نسبه ينتهى إلى العيص (عيسو) بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض القدماء أن الإسكندر هو أخو " دارا بن دارا " وقد وردت النبوات الخاصه به فى " سفر دانيال" وفى القرآن الكريم " سورة الكهف ٨٣ - ٩٨" وهناك من يقول بان " جلجامش " هو " ذو القرنين " فعن "ابن عباس" : ان قريشاً بعثوا " النضر بن الحارث " وبعثوا معه " عقبة بن أبى معيط " الى احبار يهود المدينة . ليستشيروهم فى أمر دعوة النبى بعد أن يخبروهم ببعض أقواله وصفاته ،وقالا لهم : انكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا " .. فقالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول. فردا فيه رأيكم : سلوه عن فتيه ذهبوا فى الدهر الأول ، ماكان من أمرهم؟ فانه كان لهم حديث عجب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ماكان نبوّه ؟ وسلوه عن الروح ماهى ؟ فاذا أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى . وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فى أمره مابدا لكم . فنزل الرد عن السؤالين الأولين فى سورة " الكهف " ، ونزل الرد عن الثالث فى سورة " الاسراء "

راجع : الثعلبى : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس . ص ٣٢٢

، قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠١

، نجيب محمد البهيتى : المعلقة العربية الأولى أو عند حدود التاريخ القسم الأول . ص ٤٢

فى التراث اليهودى "[١].

ويدعم ذلك رأى " فولرز - Vollers " الذى يقول : " عندما نفحص التراث الربانى والأجادى عن " إلياهو النبى " فاننا نلاحظ ، بل نندهش ونفاجأ بان كل البيانات المذكورة عن "إلياهو" فى الأجاداه مألوفة لنا تماماً فى التراث الإسلامى عن "الخضر" ، فكما ان " إلياهو " يسمى " بإلياهو النبى " فى الأجاداه وفى العهد القديم ، كذلك يعتبر التراث الاسلامى "الخضر" نبياً... ومثل " الخضر " ، نجد ان " إلياهو " لايتقيد بحدود الحياة الإنسانية بل يعيش طوال الأجيال ونهايته تأتى فقط مع نهاية العالم ليبشر بمجىء المسيح المنتظر، وكما يتجادل اليهود بشأن حياة " إلياهو " وطبيعته فيقولون انها تتفق مع الوجود الإنسانى والملائكى ، كذلك أيضاً يفعل المسلمون عن " الخضر " ، وكما ان "إلياهو" يعتبر نموذجاً للشخصية المتصوفة عند " القبالا " ، كذلك أيضا يحتل " الخضر " مكاناً سامياً فى حركة التصوف الإسلامى ، وكما ان هناك مواقف عديدة "لإلياهو" مع المتقين والصادقين والمعذبين والفقراء ، كذلك أيضاً هنالك مواقف عديدة للخضر فى هذا المجال حتى اننا نجد صعوبة كبيرة فى أن نقرر مايختص بالأصل فيهما ، وما يختص بالاشتقاق [٢]. والدليل على هذه الصعوبة مايرويه رواة الحديث عن حكايات "الخضر" التى نجد لها مقابل فى الأدب الأجادى اليهودى ، على سبيل المثال مايرجعه بعض رجال الحديث[٣] إلى الرسول " صلى الله عليه وسلم " من حكايات عن الخضر " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : " ألا أحدثكم عن الخضر؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : بينما هو ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل، أبصره رجل مكاتب ، فقال تصدق علىّ بارك الله فيك . فقال "الخضر" : آمنت بالله ، ماشاء الله من أمر يكون ، ماعندى من شىء أعطيك ، فقال المسكين : أسألك بوجه

---

(١) The Prophet Elijah in the Development of Judaism, P.158

(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه .

(٣) رواه "ابن الجوزى" فى كتابه " عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر" من طريق "عبد الوهاب بن الضحاك"، وهو متروك عن "بقية بن الوليد الحمصى" وهو محدث مشهور يروى عن دب ودرج وله غرائب تستنكر أيضا عن الثقات لكثرة حديثه . قال "ابن خزيمة" : " لا أحتج ببقية " وقال أحمد : " له مناكير" وقال "ابن حجر" : " كان كثير التدليس عن الضعفاء والمجهولين " .

الله لما تصدقت على ، فانى نظرت إلى السماء فى وجهك ، ورجوت البركة عندك . فقال "الخضر" : آمنت بالله ماعندى شىء أعطيكه ، إلا أن تأخذنى فتبيعنى ، فقال المسكين : وهل يستقيم هذا ؟ قال : نعم ، الحق أقول لك لقد سألتنى بأمر عظيم ، أما انى لا أخيبك بوجه ربى ، بعنى . فقام ، فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم ، فمكث عند المشترى زماناً لايستعمله فى شىء ، فقال له : انك انما ابتعتنى التماس خير فاوصنى بعمل ، قال : أكره أن أشق عليك ، انك شيخ كبير ضعيف . قال : ليس تشق على ، قال : فانقل هذه الحجارة . وكان لاينقلها دون ستة نفر فى يوم . فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف.وقد نقل الحجارة فى ساعة ، فقال أحسنت وأجملت وأطقت ، مالم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر ، فقال انى أحسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة قال فأوصنى بعمل ، قال : انى أكره أن أشق عليك ، قال ليس تشق على ، قال : فاضرب اللبن لبيتى حتى أقدم عليك . فمضى الرجل لسفره ، فرجع وقد شيد بناؤه .

فقال أسألك بوجه الله ماسبيلك وما أمرك ؟ فقال سألتنى بوجه الله ، والسؤال بوجه الله أوقعنى فى العبودية ، سأخبرك من أنا ؟ أنا "الخضر" الذى سمعت به ، سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى من شىء أعطيه ، فسألنى بوجه الله فأمكنته من رقبتى ، فباعنى . وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر ، وقف يوم القيامه جلده لالحم له ولاعظم يتقعقع . فقال الرجل : آمنت بالله ، شققت عليك يانبى الله ولم أعلم ! فقال لابأس أحسنت وأبقيت . فقال الرجل : ياأبى وأمى يانبى الله ، احكم فى أهلى ومالى بما أراك الله ، أو اخبرك فأخلى سبيلك ، فقال أحب أن تخلى سبيلى ، فأعبد ربى ، فخلى سبيله . فقال الخضر : الحمد لله الذى أوقعنى فى العبودية ثم نجانى منها "(١)

وفى مقابل هذه الحكاية عن الخضر نجد ان جنزبرج "גינזברג" قد ذكر ضمن حكاياته الأجادية ،أجاداة يهودية مشابهة تماماً فى موتيفاتها مع

---

١) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية . منشورات مكتبة المعارف . بيروت ج ١ الطبعة الرابعة.سنة ١٩٨١ . ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

للحكاية الإسلامية ، مع اختلاف اسم البطل ؟ وهاهى الأجاداه اليهودية فى نصهـــــا العبرى :

* פעם היה אדם עני , ולו ילדים ואשה , שחשך עליהם ע־
ולמם ולא היה להם במה להתפרנס אפלו יום אחד. אמר־
ה לו אשתו : קום וצא לשוק , אולי תמצא משהו שנתפר־
נס ממנו , כדי שלא נמות ברעב. אמר לה : אנה אפנה
ואנה אלך , ואין לי לא קרוב שאלך ואפנה אליו ולא חבר לי
אין לי אלא השם יתברך. הרפתה ממנו. וכשגבר יעב היל־
דים והיו בוכים וצועקים , חזרה אשתו לדבר אליו ואמרה
לו : הוי פלוני ! צא ! שמא יזדמן לך דבר או תמות ב־
מקום שאליו תצא : וזה טוב לנו מלגוועַ אחד אחד . אמר
לה : וכיצד אצא עלם ? היה עליה חלוק אחד , חלצתו וה־
לבישתו ויצא . עמד בחוץ נבוך ומצר שלא ידע להיכן יפ־
נה לימין או לשמאל . והיה בוכה בכי גדול . אחר הרים עי־
ניו לשמים ואמר : רבונו של עולם , הרי ידעת שאין לי אל
מי לפנות ולא מי שאתאונן לפניו על עניי ודלותי . צאתי
ואיני יודעַ להיכן אפנה , אין לי אח ולא קרוב ולא רֵעַ .
אין לי תחבולה כיצד להתפרנס , הילדים קטנים , הרעב
גבר עליהם , אין מי שיצדיקני . אתה יצרתנו , פנה אלינו
ברחמיך , או הוצא את רוחי מהר , כדי שֶׁיִּקַּל לי . פגשו־
אליהו זכרו לטובה , אמר לו : מה לך הזֶּקֶן ? בכה וספר
לו הכל על מעמדו שהוא נתון בו . אמר לו אליהו : בוא
מכרני , טול מחירי וירַח לך בו ולמשפחתך . אמר לו : א־
דוני , כיצד אמכרך ? והאנשים יודעים שאני עני ואין לי עבד
ולא נער . אמר לו : אל תדאג , שמע מה שאעצך ! לא
יאֶנה לך כל רע . פנה אתו אל השוק . וכל מי שאומר
לו לעני : האם זה עבדך ? אליהו עונה ואומר : כן , אני ע־
בדו וזה אדוני . עבר בשוק שר אחד משרי המלך , ראה

נער יפה־מראה ויפה־תאר ונתאנָה לקנותו. חכה עד שהכריזו עליו, ונמכר לאותו שר בשמונים דינרי זהב. אמר לו אליהו לאותו עני: קח המעות ולך והתפרנס אתה ומשפחתך ולא יֶחְסַר לך דבר כל ימי חייך. אותו שר שקנה את אליהו ז״ל מִזְמַן עלה בדעתו להקים ארמון מפואר. וכשאמר לו אליהו שהוא בנא־אֱמן־שָׂמַח. אמר לו: אם תזדרז בעבודתך ותקים לי ארמון כנפש במשך ששה חדשים, הריני משחרר אותך. כשבא הלילה עמד אליהו ובקש מהשם יתעלה שיעשה לו נס ויבנה את הארמון לפי אותה התכנית שבקש השר. קבל יהוה את תפלתו, ועד שעלה השחר הושלם הארמון, ואליהו הסתלק לו לדרכו. בבקר כשראה השר את הארמון התפלא מאד ושמח שמחה רבה. בקש את האיש הבנאי ולא מצאו: סבר שהוא מלאך, לאחר ימים פגשו לאליהו העני, אותו שמכרו, אמר לו: היה בידי להסתלק מיד מידי השר, אלא שלא רציתי לשנות מדבורי. וכשאמר לי: בנה את הארמון ואשחרר אותך, בניתיו לו ונסתלקתי. לא רציתי שיצטער על קניתו ולהתעצב על הזהב ששקל תמורתי, עמדתי ועשיתי לו כפלי כפלים ממה ששקל הודה לו העני על כך ואמר לו: אדוני, החייתָנו.(1)

الترجمة العربية : " يحكى انه كان هناك رجل فقير له أولاد وزوجة ، أظلمت الدنيا فى وجوههم حتى أنهم لم يجدوا مايسد رمقهم ليوم واحد . قالت الزوجة (تخاطب زوجها) : قم ، اذهب للسوق لعلك تجد لنا شيئاً ما نرتزق منه حتى لانموت جوعاً . قال لها : لمن أتجه ؟ واين أذهب ؟ فليس لى قريب أذهب إليه

---

١) وردت هذه الأجاداه فى مصادر كثيرة منها : בית המדרש (מדרשים קטנים) מהד' ילינק, 6 חלקים, חלק 5, 140-141.
وهناك صيغة شعرية دينية عالجت هذه الأجاداه أعدها " ربى يسى ابن ربى مردخاى " ويقوم اليهود بانشادها فى أمسيات السبت .

وليس لى صديق إلا الله عز وجل ، فابتعدت عنه زوجه . وعندما اشتد الجوع على الأولاد وأخذوا فى الصراخ والبكاء ، عادت زوجه للحديث إليه قائلة : أنت يافلان اخرج لعلك تصادف شيئاً أو تموت فى المكان الذى تذهب إليه ، فذلك أحسن لنا من الموت واحد تلو الآخر . فقال لها : وكيف أخرج عارياً ؟ فخلعت رداءها وألبسته له وخرج .. ووقف فى الخارج حزيناً وحائراً لايعرف إلى أين يتجه يميناً أم يساراً فاخذ يبكى بكاءً شديداً . ثم رفع عينيه نحو السماء وقال : ربى أنت تعلم أنه ليس لى من أتجه له ، ولا من أشكو إليه فقرى وبؤسى خرجت وأنا لا أعرف أين أتجه فليس لى أخ ولاقريب ولاصديق وليس لدى وسيلة ارتزق منها ، والأولاد صغار السن اشتد الجوع عليهم ، ولايوجد من يتصدق على ، وأنت خلقتنا فارحمنا برحمتك ، أو أقبض روحى بسرعة ، حتى تخفف عنى . عندئذ قابله إلياهو " مبارك الذكر " وقال له : مالك أيها الشيخ ؟ حكى له الرجل وهو يبكى كل شىء عن حالته التى يمر بها . قال له "إلياهو" : تعال وبعنى وخذ ثمنى وفك به ضيقتك أنت وأسرتك . فقال له : سيدى ، كيف أبيعك ؟ والناس يعرفون اننى فقير لا أملك عبداً أو غلاماً . قال له : لاتقلق . واسمع ماسأنصحك به ! فالبيع لن يعود عليك بأى أذى. فاتجه إلى السوق وإذا به يحاصر بالناس يسألونه : هل هذا عبدك ؟ فيجيب " إلياهو " ويقول: نعم أنا عبده وهو سيدى . وحدث أن مر بالسوق أحد وزراء الملك ، فرأى فى إلياهو غلاماً جميل المنظر وحسن الطلعة فاشتاق لشرائه . وانتظر حتى تم الإعلان عنه ، وتم بيعه لهذا الوزير مقابل ثمانين ديناراً ذهباً . قال "إلياهو" للفقير : خذ النقود واذهب وارتزق أنت وأسرتك ولن يعوزك شىء طوال أيام حياتك .

أما الوزير الذى اشترى إلياهو " مبارك الذكر " قد جال بخاطره إقامة قصر فخم . حينئذ قال له إلياهو : اننى معمارى فنان - فسعد الوزير وقال له : أذا أمهرت فى عملك وأقمت لى القصر كما أريد خلال ستة أشهر ، فاننى اعتقك . عندما أسدل الليل ستائره قام إلياهو ودعا الرب تبارك وتعالى أن يصنع له معجزة ليتم بها بناء القصر كما أراده الوزير ، تقبل الرب صلاته وعندما بزغ الفجر كان القصر قد اكتمل بناؤه ، وذهب إلياهو فى طريقه ... وفى الصباح عندما رأى الوزير القصر اندهش جداً وسعد سعادة كبيرة . فسأل عن الرجل المعمارى فلم يجده . فأدرك أنه ملاك . بعد عدة أيام التقى إلياهو بالفقير الذى باعه ،

فقال له : كان بامكانى التخلص فوراً من الوزير إلا إننى لم أرد إلا أن أكون على وعدى ... وعندما قال لى شيد لى قصراً واعتقك ، بنيت له القصر وتحررت منه . فلم أرد له الأسف على شرائى والحزن على الذهب الذى دفعه مقابل شرائى ، فعملت له أضعاف مما أشترى به . فشكره الفقير على ذلك وقال له : سيدى لقد أحييتنا ".

وهكذا بعد عرضنا لهذه الأجاداه نجد ان " جنزبرج " قد أضفى عليها نمطاً معيناً لم يكن موجوداً فى الواقع ، وهو مايمكن أن نعده عملاً من أعمال التأليف ، وليس تقديما لمأثور يروى ويتداول بين الناس . ومن ناحية أخرى نجده يعترف بأن الأجاداه نفسها تركيب صناعى ، كما ان رواة التراث القديم لم يقموا حداً فاصلاً بين أساس أو نواة الأدب اليهودى فى الأجاداه ، والقصص الموجود فى الكتب الأخرى وفى " الأبوكريفا "[1] وهو ما أعلن آباء وأحبار اليهود أنه غير مسموح به[2].

وعليه فان هذا التشابه بين " إلياهو النبى " فى التراث اليهودى ، و"الخضر" فى التراث الإسلامى له مايبرره طالما المصدر الدينى واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، كما من الملاحظ أيضا فى التفاسير الإسلامية لأيات سورة الكهف التى تتحدث عن "موسى" و"العبد الصالح" اتفاقها على انه " الخضر عليه السلام " كما ذكر البيضاوى فى تفسيره ؛ وإن كان غيره قال انه " اليسع " وقيل أيضا " إلياس " ، عموماً مما يرجح انه "الخضر" التشابه الواضح بين شخصية "إلياهو" و"الخضر" ، وربما اعتبر المفسرون المسلمون "إلياهو" من الخالدين كالخضر استنادا لما ورد عنه فى العهد القديم بانه رفع إلى السماء ، وربما اعتمدوا على ذلك ايضا فى توضيح اسم " الخضر " بأنه لقب أطلق على "إلياهو النبى" ؛ هذا بينما نجد فى رواية أخرى ان " إلياهو والخضر " توأمان ، لا من حيث النسب ، ولكن من حيث جهودهما ورسالتهما بين الناس[3]. وقد روى الحديث النبوى قول النبى

---

١) الأبوكريفا : كلمة يونانية تعنى " الخفية أو غير الموثوق بها " ، وهى مصطلح يشير الى الكتب التى لايعترف بها اليهود ضمن أسفار العهد القديم ، ولذلك يطلق عليها " الاسفار الخارجة " وأشهر كتب الابوكريفا سفر المكابيين الأول والثانى ، وسفر دانيال وسفر حنوك .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص٥٦ - ٥٧

٢) الفولكلور والإسرائيليات . ص ٢١

٣) دائرة المعارف الإسلامية . المجلد الرابع (٢٥) . ص ٣٨٣
وراجع الملوك الثانى (٢ : ١ - ١٨)

" صلى الله عليه وسلم " : " إنما سمى الخضرَ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من تحته خضراء ، وفى رواية أخرى : إنما سمى الخضرَ لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله " ، ويقال أيضا :"سمى الخضر خضراً لحسنه واشراق وجهه "(١).

الإسرائيليات فى قصة إلياس عليه السلام :

يقتضينا منهج البحث التحليلى أن نبين معنى كلمة " إسرائيليات "، والمراد من " الموضوعات " " والتفسير " و" التأويل " ، حتى يمكننا تحديدها بدقة فى كتب التفسير والتاريخ الإسلامى .

الإسرائيليات : جمع " إسرائيلية " . نسبة إلى بنى إسرائيل ، والنسبة فى مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافى لا لصدره ، وإسرائيل هو يعقوب(٢)، وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد ، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء ، حتى عهد عيسى ، وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ... وقد عرفوا باليهود(٣).

أما من آمنوا بعيسى ، فقد اصبحوا يطلق عليهم اسم " النصارى " ، وأما من آمن بخاتم الأنبياء : فقد أصبح فى عداد المسلمين ويعرفون بمسلمى أهل الكتاب(٤)

١) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية جـ ١ . ص ٣٢٧

٢) يعقوب "יַעֲקֹב" : ابن إسحاق ورفقة . وقد اشتق اسمه من الحادثة التى وقعت عند ولادته (راجع التكوين ٢٥ : ٢٦) ويذكر سفر التكوين ان انسان صارع يعقوب حتى طلوع الفجر وانخلع فخذه . وقبل ان يطلقه باركه وقال له : " لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (راجع التكوين ٣٢ : ٢٨) .

٣) يهوذا "יְהוּדָה" : ابن يعقوب من زوجته ليئة . وكانت قبيلته أكبر القبائل فى الأسباط الإسرائيلية الاثنى عشر . " ويهوذا " هى القبيلة التى سيأتى منها " المسيح المنتظر " لانها قبيلة داود ، وكان شعار يهوذا هو الأسد ، ولذلك يشار دائما إلى " اسد يهوذا " . وقد سمى كل العبرانيين "باليهود" نسبة إلى هذه القبيلة . ومن الواضح أن بنى إسرائيل كانوا يستخدمون فى عصر " المقرا " كلمة " عبرى " فى أطار محدود ، وهو فى مجال علاقتهم بالشعوب الأخرى . أما بينهم وبين انفسهم فقد كانوا يفضلون تسمية " بنى إسرائيل " .
انظر : د. رشاد الشامى : تطور وخصائص اللغة العبرية الوسيطة . ص ١٢

٤) اهل الكتاب يطلقون على اليهود والنصارى ، ولكنهم فى مثل هذا يراد بهم اليهود غالباً لأنهم الذين كانوا يسكنون بالمدينة وماجاورها . ولأن الكثير من الإسرائيليات دخلت عن طريق اليهود .

وقد أكثر الله من خطابهم ببنى اسرائيل فى القرآن الكريم تذكيرا لهم بأبوة هذا النبى الصالح ، حتى يتأسوا به ويتخلقوا بأخلاقه ، ويتركوا ماكانوا عليه من نكران نعم الله عليهم وعلى آبائهم . وقد ذكر الله تعالى التوراة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : الٓمٓ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ . وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ "(١) . وقال " إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ... "(٢)

ومن التوراة وشروحها والأسفار وما اشتملت عليه ، والتلمود وشروحه ، والأساطير والنوادر والحكم التى تناقلوها عن بعضهم البعض أو عن غيرهم . كانت معارف اليهود وثقافتهم ، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التى زخرت بها بعض كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ ، وهذه المنابع إن كان فيها حق ، ففيها باطل كثير وإن كان فيها صدق ، ففيها كذب صراح ، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير ، فمن ثم انجر ذلك إلى الإسرائيليات ، وقد يتوسع بعض الباحثين فى الإسرائيليات ، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود ، وما كان من معارف النصارى التى تدور حول الأناجيل وشروحها ، والرسل وسيرهم ، ونحو ذلك ، وإنما سميت " إسرائيليات " لأن الغالب والكثير منها انما هو من ثقافة بنى إسرائيل ، أو من كتبهم ومعارفهم ، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.(٣)

الحق : أن مافى كتب التفسير من النصرانيات هو شىء قليل بالنسبة إلى مافيها من الإسرائيليات ، ولايكاد يذكر بجانبها ، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات ، إذ معظمها فى الأخلاق ، والمواعظ ، وتهذيب النفوس ، وترقيق القلوب .

---

١) القرآن الكريم . سورة آل عمران (الآيات ١ - ٤)
٢) القرآن الكريم . سورة المائدة (الآية ٤٤)
٣) د. محمد بن محمد أبوشهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . سلسلة البحوث الإسلامية . القاهرة سنة ١٩٨٤ . ص ٢١ ، ٢٢

أما " الموضوعات " : فهى جمع موضوع ، اسم مفعول ، وهو فى اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً ، إذا حطه وأسقطه . أو من وضعت المرأة ولدها إذا ولدته وأما فى اصطلاح أئمة الحديث فالموضوع : هو الحديث المختلق[1] المصنوع ، المكذوب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو على من بعده من الصحابة والتابعين ، ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع على النبى - صلى الله عليه وسلم - أما الموضوع على غيره : فيقيد ، فيقال مثلا : موضوع على ابن عباس[2] ، أو على مجاهد[3] مثلاً ، والمناسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى ظاهرة ، أما على المعنى اللغوى الأول : فلأنه منحط ساقط عن الاعتبار ، وأما على الثانى : فلما فيه من معنى التوليد ، والتسبب فى الوجود. والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان :

١ - أن يضع الواضع كلاماً من عند نفسه ، ثم ينسبه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - أو إلى الصحابى ، أو التابعى .

٢ - أن يأخذ الواضع كلاماً لبعض الصحابة أو التابعين ، أو الحكماء ، أو مايروى فى الإسرائيليات ، فينسبه إلى رسول الله ، ليروج وينال القبول ، مثال ماهو من قول الصحابة : مايروى من حديث " احبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك

---

١) الاختلاف أعم من أن يكون ابتدع كلاماً لم يسبق إليه . أو أخذ كلام الغير ثم نسبه إلى النبى فيكون الاختلاف فى نسبته اليه .
انظر : محمد بن محمد أبوشهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٢٤ .

٢) ابن عباس : هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم - ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهو ترجمان القرآن ، دعا له النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال " اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل " . وكانت وفاته بالطائف سنة ثمان وخمسين للهجرة وقبره هناك معروف ، فرضى الله عنه وأرضاه .
انظر : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . ص ٩٠ .

٣) مجاهد : وهو مجاهد بن جبر المكى . مولى السائب بن أبى السائب . ولد سنة احدى وعشرين هجرياً ، من تلاميذ ابن عباس ، وأكثرهم ملازمة له ، قال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهداً يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة ، وعنه قال ابن تيمية : " ولذا يعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى وغيرهما من أهل العلم " . وكانت وفاته بمكة وهو ساجد ، سنة اثنتين ومائة .
انظر : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . ص ٩٣ - ٩٤ .

يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ماعسى أن يكون حبيبك يوماً ما " فالصحيح أنه من قول سيدنا على - كرم الله وجهه - ، ومثال ماهو من قول التابعين حديث : " كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ..." فهو من كلام عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - ومثال ماهو من كلام الحكماء : " المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء " فهو قول "الحارث بن كلدة" طبيب العرب . ومثال ماهو من الإسرائيليات : " ماوسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن" قال الإمام بن تيميه : هو من الإسرائيليات ، وليس له أصل معروف عن النبى - صلى الله عليه وسلم - . وقد نسب إلى النبى وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات فى بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية ، والكونيات ،وقصص الأنبياء مثلما روى عن "إلياس" و"الخضر" عليها السلام . فقد روى أصحاب التفاسير المختلفة عن "ابن عباس"، و"الحسن"(١)، و"كعب الأحبار"(٢)، و"وهب بن منبه"(٣)، مرويات

---

١) الحسن : هو أبوسعيد الحسن بن يسار البصرى ، مولى الأنصار ، وأمه خيرة مولاة السيدة أم سلمة ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله عنه . ونشأ بوادى القرى ، وكان فصيحا ، ورعاً ، زاهداً ، واعظاً لايجارى فى وعظه ، روى عن بعض الصحابة والتابعين ، وروى عنه الكثيرون من أتباع التابعين ، وقد رويت عنه فى التفسير روايات كثيرة ، وقد تعرض لها العلماء بالنقد ، وبينوا الصحيح من الضعيف ، وكان وفاته سنة عشر ومائة هجرياً . انظر: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . ص ١٠٠ - ١٠١

٢) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع بن عمرو بن قيسمه من آل ذى رعين ، كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم - رجلاً ، وكان يهودياً عالماً بكتبهم ، حتى كان يقال له : كعب الحبر ، وكعب الأحبار . وكان إسلامه فى خلافة سيدنا عمر ، وقيل فى خلافة الصديق ، وقيل انه اسلم فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكن تأخرت هجرته ، فمن ثم لم يره . وقد كان عنده علم بكتب أهل الكتاب ، والثقافة اليهودية ، كما كان له حظ من الثقافة الإسلامية ورواية الأحاديث .
انظر : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . ص ١٤٢ - ١٤٣ .

٣) وهب بن منبة الصنعانى : عالم أهل اليمن ، روى عنه ابن عمر ، وابن عباس وجابر وغيرهم ، وكان ثقة ، توفى سنة أربع عشرة ومائة ، وقد روى عنه فى التفسير روايات كثيرة جداً ، مما فى كتب أهل الكتاب ، ويظهر أنه كانت له ثقافة واسعة بكتب الأولين ، وحكمهم وأخبارهم ، ولاننكر أن بسببه دخل ==

تتعلق بـ"إلياس" - عليه السلام - والحقيقة ان بعضاً من كتاب التاريخ العام وجامعى قصص الأنبياء كان غرضهم تجميع الروايات التى كانت فى زمنهم سواء فيها ماكان إسرائيليات وماكان غير إسرائيل ، وتركوا للناظر أن ينقدها ويتخير منها الصحيح وينفى الزائف والباطل ، ذلك باستثناء قصص الأنبياء للثعلبى الذى تقرأه العامة للتسلية وقطع الوقت ولايعتبر من الكتب الصحيحة المعتمدة التى محصت رواياتها واقتصر فيها على الصحيح . ومن الإسرائيليات الواردة فى كتب التفسير والتاريخ العام قول "مكحول" عن "كعب الأحبار" : " أربعة أنبياء أحياء ، اثنان فى الأرض "إلياس" و"الخضر" واثنان فى السماء : "أدريس" و"عيسى" عليهما السلام ". وكذلك الحديث : أن "إلياس" و"الخضر" يجتمعان فى كل عام فى شهر رمضان ببيت المقدس وانهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل. وكذلك الحديث الذى فيه "أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة ".والحقيقة أنه لم يصح شىء من ذلك ، وأن الذى يقوم عليه الدليل : أن "الخضر" مات ، وكذلك "إلياس" عليهما السلام . ومن الأحاديث الموضوعة أيضاً فى هذا المجال ما أخرجه "ابن عساكر" عن "الحسن" : قال : " إلياس - عليه السلام - موكل بالفيافى . والخضر - عليه السلام - بالجبال ، وقد أعطيا الخلد فى الدنيا إلى الصيحة الأولى ، وأنهما يجتمعان كل عام بالموسم " ، وما أخرجه "الحاكم" عن "كعب" أيضاً : قال :كان "إلياس" صاحب جبال وبرية يخلو فيها يعبد ربه - عز وجل - وكان ضخم الرأس ، خميص البطن ، دقيق الساقين ، فى صدره شامة حمراء ، وانما رفعه الله إلى أرض الشام ، لم يصعد به إلى السماء ، وهو الذى سماه الله ذا النون " .

وقد تصدى الشيخ أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى كتابه : " عجالة المنتظر فى شرح حالة الخضر " للأحاديث الواردة فى ذلك من المرفوعات فبين

=) فى كتب التفسير إسرائيليات وقصص بواطل ، ولكن الذى ننكره أن يكون هو الذى وضع ذلك ، واختلقه من عند نفسه ، ولكنا مع هذا لانخليه من التبعة . والمؤاخذة أن كان واسطة من الوسائط التى نقلت هذا الى المسلمين ، وألصقت بالتفسير الصاقا ، والقرآن منها برىء ، وياليته مافعل .
انظر : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . ص ١٤٨ - ١٤٩

أنها موضوعة ، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم،فبين ضعف أسانيدها ببيان أحوالها وجهالة رجالها وقد أجاد فى ذلك أحسن الانتقاد . ويكفى ان نقول هنا ان خلود "الخضر" و"إلياس" مرده قوله تعالى " وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ "(١). فإن كان "الخضر" و"إلياس" من البشر فقد دخلا فى هذا العموم لامحالة ، ولايجوز تخصيصهما منه إلا بدليل صحيح ، والأصل عدمه حتى يثبت . ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله .

ومنها أن الله تعالى قال : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا معكم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ "(٢).

قال ابن عباس : مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ... وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمداً وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " . فالخضر أو إلياس إن كانا نبيين أو وليين ، فقد دخلا فى هذا الميثاق ، ولو كان أحدهما حياً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه ، يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه ، وقد روى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ماوسعه إلا أن يتبعنى " . وهذا الذى يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة ، وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة ، ان الانبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكانوا كلهم أتباعاً له ، وتحت أوامره وفى عموم شرعه ، كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع بهم ليلة الإسراء رفع فوقهم كلهم . ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة أمره " جبريل " عن أمر الله أن يؤمهم ، فصلى بهم فى محل ولايتهم ودار امامتهم .

---

١) القرآن الكريم . سورة الأنبياء آية ٣٤

٢) القرآن الكريم . سورة آل عمران : آية ٨١

فدل على أنه الإمام الأعظم ، والرسول الخاتم المبجل المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . فاذا علم هذا - وهو معلوم عند كل موءمن - علم أنه لو كان " إلياس " أو " الخضر " حيا لكان من جملة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وممن يقتدى بشرعه لايسعه إلا ذلك[١].

أما القول بأنه حى ولكن لايراه أحد ، فجوابه : أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم منه تخصيص العموميات بمجرد التوهمات . ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء ؟ وظهوره أعظم لأجره وأعلى فى مرتبته وأظهر لمعجزته ؟ ثم لوكان باقياً بعده ، لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، وانكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة ، والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية ، وقتاله مع المسلمين فى غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم ، ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم ،وتسديده العلماء والحكام ، وتقريره الأدلة والأحكام ، أفضل مما يقال عنه من كونه فى الأمصار ، وجوبه الفيافى والأقطار . واجتماعه بعباد لايعرف أحوال كثير منهم ، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم .

وأما ماذكره وهب بن منبه وغيره : قال : دعا إلياس - عليه السلام - ربه ، أن يريحه من قومه ، فقيل له : انظر يوم كذا وكذا ، فاذا رأيت دابة لونها مثل لون الناب فاركبها . فجعل يتوقع ذلك اليوم ، فاذا هو بشىء قد أقبل على صورة فرس ، لونه كلون النار ، حتى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فانطلق به ، فكان آخر العهد به ، فكساه الله الريش ، وكساه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فصار فى الملائكة - عليهم السلام -[٢].

والحقيقة كل هذا من أخبار بنى إسرائيل وتزيداتهم ، واختلاقاتهم ، وماروى منها عن بعض الصحابة والتابعين : فمرجعه إلى مسلمة أهل الكتاب " ككعب "

---

١) الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء . ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .
٢) قارن : الملوك الثانى ٢ : ١ - ١٨

" ووهب " وغيرهما ، وقد رأينا كيف تضارب وتناقض " كعب " " ووهب " ، " فكعب " يقول : لم يصعد به إلى السماء ، ويزعم أنه ذو النون ، " ووهب " يقول : انه الخضر، والبعض الآخر يقول : انه غير الخضر ، الى غير ذلك من الاضطرابات والأباطيل ، كزعم مختلق الروايات الأولى : " أن الله أوحى إلى إلياس: انى قد جعلت أرزاقهم بيدك " ، بينما فى بعض الروايات الأخرى : أن الله أبى عليه ذلك مرتين ، وأجابه فى الثالثة ، وهكذا الباطل يكون مضطربا لجلجا ، وأما الحق : فهو ثابت أبلج . ولم يقف الأمر عند نقل هذه الإسرائيليات عمن ذكرنا ، بل بلغ الافتراء ببعض الزنادقة والكذابين إلى نسبة ذلك إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - كى يؤيد به أكاذيب بنى إسرائيل وخرافاتهم ، وكى يعود ذلك بالطعن على صاحب الرسالة العامة الخالدة - صلى الله عليه وسلم - .

قال السيوطى فى " الدر " : وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " الخضر هو :إلياس" وأخرج الحاكم - وصححه - والبيهقى فى الدلائل - ، وضعفه عن أنس -

- رضى الله عنه - قال : " كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سفر ، فنزلنا منزلاً ، فإذ رجل فى الوادى يقول : اللهم اجعلى من أمة محمد المرحومة ، المغفورة ، المثاب لها ؛ فأشرفت على الوادى ، فاذا رجل طوله ثلاثمائة ذراع وأكثر ، فقال : من أنت ؟ قلت : أنس : خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : أين هو ؟ قلت : هو ذا يسمع كلامك ، قال : فأته ، واقرئه منى السلام ، وقل له : أخوك إلياس يقرئك السلام ، فأتيت النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، فجاء حتى عانقه ، وقعدا يتحدثان فقال له : يارسول الله : انى انما آكل من كل سنة يوماً ، وهذا يوم فطرى فكل أنت ، وأنا فنزلت عليهما مائدة من السماء ، وخبز ، وحوت ، وكرفس ، فأكلا ، وأطعمانى ، وصليا العصر ، ثم ودعنى ، وودعته ، ثم رأيته مر على السحاب نحو السماء "(١)

---

١) د. محمد بن محمد أبوشهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير. ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

وهذا حديث موضوع مخالف للأحاديث الصحاح من وجوه ، ومعناه لايصح أيضا ، فقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى السماء الى أن قال : ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن". وفيه أنه لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان هو الذى ذهب إليه ، وهذا لايصح ، لأنه كان أحق بالسعى إلى بين يدى خاتم الأنبياء . وفيه أنه يأكل فى السنة مرة ، وقد ذكر عن " وهب " أن الله سلبه لذة المطعم والمشرب ، وفى رواية أخرى ذكرناها أيضاً : أنه يشرب من زمزم كل سنة شربة تكفيه إلى مثلها من الحول الآخر .

وقد أورد " ابن عساكر " طرقا فيمن اجتمع بإلياس من العباد ، وكلها لايفرح بها ، لضعف اسنادها أو لجهالة المسند إليه فيها . أما ماذكره جامعو قصص الأنبياء من أن من يقول الكلمات التى أفترق بها الخضرّ وإلياسّ وهى " باسم الله ماشاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ، ماشاء الله ماكان من نعمة فمن الله ، ماشاء الله لاحول ولاقوة إلا بالله " فمن قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات ، آمنه الله من الغرق والحرق والسرق". (١) والحقيقة ان معظم الكتاب المسلمين وجامعى قصص الأنبياء لايعتقدون فى هذا الحديث ولايتعلقون بمثل هذه الوهميات ، أما من زعم أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) حرف اسم إلياس الى (إلياسين) فى سورة الصافات آية ١٣٠ لتناسب الفواصل وأن المفسرين لقوا فى تأويل ذلك كثيراً من العناء ، فليس كما زعموا ، لأن إلياس اسم أعجمى والأعجمى من الأسماء قد تفعل به العرب ذلك كما ميكال وميكائيل وميكائين بابدال اللام نوناً ، وقد قرأ ابن مسعود وغيره : " سلام على إدراسين " ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود انه قال : إلياس هو إدريس ، وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن اسحاق .

---

١) قال الدارقطنى فى الأفراد : هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير الحسن بن رزين ، وقد روى عن محمد بن كثير العبدى أيضاً ، ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدى : ليس بالمعروف .
انظر : الحافظ بن كثير : البداية والنهاية . ج ١ ص ٣٣٣

والصحيح أنه غيره كما ذكرنا ، ويجدر بالذكر أنه يمكننا القول بعد المقارنات والمقابلات التى ذكرناها بين "إلياس" و"الخضر" و"إلياهو" أن النبى "إلياس" عليه السلام فى سورة الصافات يقابل "إلياهو النبى" فى العهد القديم ، أما " الخضر "(العبد الصالح) فهو يقابل "إلياهو" المذكور فى الأجادوت العبرية وما التصقت به من حكايات ونوادر .

إلياس وعقيدة المهدى :

اعتقدت الشعوب الشرقية القديمة ، التى ابتليت بحكومات الاستبداد المطلقة أن بين سادتهم وبين السماء نسباً وصهراً ، فزاد ذلك فى رضوخهم وفناء ذاتياتهم ، ومن ناحية أخرى وجدوا فى الخيال الجميل متنفساً بثوا فيه نجواهم وشكاتهم ، بزفرات حارة ملتهبة ، وأنفاس حبيسة مكبوته ، وقد أوحت لهم هذه الأحلام الجميلة بالخلاص من هذا الجحيم فى المستقبل القريب أو البعيد ، على يد " المنقذ " مبعوث العناية الإلهية ، وأن لهم فى ذلك لعزاء وسلوى[1] . ولايفوتنا أن نشير إلى ان الروح الشرقية العامة - كما لاحظ ذلك بحق العلامة " فان فلوتن Van-Vloten - تصبو دائماً إلى كل ماله علاقة بالتنبؤ وكشف حجب الغيب عن المستقبل المجهول . فعقيدة " المخلص " أو " المنقذ " الموائمة للطبيعة الشرقية والناجمة عن ظلمات الجهل والاستبداد ، نجدها ذائعة أيما ذيوع بين جميع الشعوب الشرقية القديمة[2] ، فمسيحيو الأحباش ينتظرون عودة مليكهم تيودور- תיאודורוס " كمهدى فى آخر الزمان ، ويعتقد المغول أن " تيموجين" (جنكيزخان) - الذى تقدم على ضريحه القرابين - كان قد وعد قبل موته بعودته إلى الدنيا بعد ثمانية أو عشرة قرون لتخليص قومه من نير الحكم الصينى ، كما يؤمن كثير من المسيحيين برجعة المسيح لإنقاذ العالم من ظلم الإنسان وفتكه بأخيه الإنسان ، وعند الفارسيين ، وكذلك فى تناسخ " براهما " إحدى عقائد الهنود

---

١) فان فلوتن " السياده العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى امية " ترجمة : حسن إبراهيم حسن ومحمد زكى إبراهيم . طبع مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٣٤ . ص ١٠٧

٢) نفس المصدر والطبع والصفحة .

" الفايشنافائيم הַוַּאי שנאוַּאִים " الذين ينتظرون هم الآخرون عودة " فشنو וישנו " فى هيئه كلكهى כַּאלְכִּהי " . إلى الوجود لينقذهم مع نهاية دورة الحياة من مضطهديهم (ويقصد الغزاة المسلمين) . ولقد كانت عقيدة " المخلص " هذه - أكبر الظن - من أهم العوامل التى خلقت عقيدة " المهدى" فى المجتمع الإسلامى ، فحيكت هذه على غرار تلك[١] ، والمهدى فى اللغة العربية اسم مفعول من هدى ، يقال هداه الله الطريق أى عرفه ودله عليه وبينه له فهو مهدى . ولم ترد فى القرآن كلمة المهدى وانما ورد المهتدى : " ومن يهد الله فهو المهتد " (الاسراء آية ٩٧) وورد الهادى " وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " (الرَّعْدِ : آية ٧) ، وقد ورد فى شعر حسان بن ثابت،وصف النبى صلى الله عليه وسلم بالمهتدى :

بأبى وأمى من شهدت وفاته ... فى يوم الاثنين النبى المهتدى

ووصفه بالهادى :

بالله ماحملت أنثى ولا وضعت ... مثل النبى رسول الرحمة الهادى

ووصفه أيضا بالمهدى فى قوله فى رثائه صلى الله عليه وسلم :

مابال عينى لاتنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدى أصبح ثاويا ... ياخير من وطىء الحصا لاتبعد

وقد وردت فى بعض الأحاديث كلمة المهدى وصفا لعلى ، فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وان تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم "[٢] . والطبرى يحدثنا ان " سليمان بن صرد" الآخذ بثأر الحسين قد دعا له بعد موته بقوله " اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى " . ويلاحظ العلامة جولدتسيهر Goldziher " ان المسلمين المعاصرين يطلقون اسم " المهدى " على من يدخل فى الاسلام من أهل الديانات الأخرى .[٣]

---

١) יצחק יהודה גולדצ'יהר„ הרצאות האיסלאם". ספר' מו־פת מספרות העולם בעריכתו הכללית של מ.בובר. תרגם י'. ר'יבלין בעריכתו המדעית של מאיר פלסנר. הדפסה ג' ,מוסד ביאליק . ירושלים תשל"ח. עמ' 157.

٢) احمد أمين : ضحى الاسلام . ج ٣ الطبعة العاشرة . دار الكتاب العربى ببيروت بدون تاريخ . ص ٢٣٦ .

٣) سعد محمد حسن : المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم . ص ٤٦

هذا هو المعنى اللغوى الدينى رجل هداه الله فاهتدى وهو معنى بسيط ساذج ثم أخذ يتطور ويتحور حتى طلع علينا بشىء آخر جديد ، ليس فى سهولة الأول ، بل فيه كل التركيب والتعقيد ، إذ هو يقول : المهدى " إمام منتظر يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً " . وأول مانعلم من اطلاقها بهذا المعنى مازعمه " كيسان " مولى علي بن ابى طالب " فى " محمد بن الحنفية "[1] (وهو ابن على بن أبى طالب من أم من بنى حنيفة نسب إليها) ، فقد زعم " كيسان " إمامة محمد هذا وأنه مقيم بجبل رَضْوَى (وهو جبل على سبع مراحل من المدينة)[2].

وهذه العقيدة برجوع الإمام بعد غيبته أو موته هى المسماة فى عرف الشيعة بالرجعة[3].

يهودية " الرجعة " הַחֲזָרָה وتسربها إلى الشيعة :

" الرجعة " فى جملتها معتقد يهودى ، وقد كانت " الشيعة " أسبق الفرق الإسلامية إلى التعلق بهذه الأسطورة التى ترتكز فى وجودها على عاملين :

---

١) محمد بن الحنفية : مات سنة ٨١ هـ وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان ، وكان والى المدينة ، ودفن بالبقيع ،ولكن لم يشأ الكيسانية أن يؤمنوا بموته ، وقالوا بغيبته وبانتظاره حتى يعود ، وكان هذا أساساً لفكرة الإمام المنتظر عند الإمامية الأثنى عشرية .
انظر : أحمد أمين . ضحى الإسلام . جـ ٣ . ص ٢٣٧

٢) أحمد أمين . ضحى الإسلام جـ ٣ . ص ٢٣٧ .

٣) الرجعة ، " الدور " أو عودة الأشياء بعينها إلى الوجود فى آماد لانهائية. نظرية فلسفية يونانية تنسب إلى الفيثاغوريين أتباع " فيثاغورس " حتى ليقول " اوديموس " تلميذ " أرسطو " مخاطباً تلاميذه " إذا صدقنا الفيثاغوريين فسيجىء يوم نجتمع ثانية فى هذا المكان فتجلسون كما أنتم لتسمعوا إلىّ وأتحدث أنا إليكم كما أفعل الآن " . وهذا الرأى الفلسفى ليس من قبيل " الرجعة " التى نحن نبحثها الآن ، إذ الأول فلسفى عام لكل الكائنات فى دورات متعاقبة لا نهاية لها ، أما الثانى فمعتقد دينى ساذج مقصور على أناس بأعيانهم فى دورة واحدة فقط قبل نهاية العالم ، يعقبها فناء تام شامل للأكوان وانتقال إلى عالم آخر . فالرجعة التى نحن بصددها هى : عودة الميت أو المختفى إلى الظهور أو الحياة من جديد فى الدور الأخير ، دور الاحتضار لهذا الكون . ويرجع تفسيرها السيكلوجى ==

(أ) خارجي يهودي : فالنبي " إلياهو " كما ذكرنا من قبل رفعه إلى السماء ، وهو الذي لابد أن يعود إلى الأرض في آخر الزمان لإقامة دعائم الحق حسب الرؤية اليهودية وهو تماماً النموذج الأول للأئمة المختفين(١) ، ويظهر هذا العامل اليهودي واضحاً في قول الشاعر الكيساني كثير عزه " في ابن الحنفية " :

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي

ويحدثنا " الشهرستاني " أن اليهود اتخذوا من قصة " عزير " - حيث أماته الله مائة عام ثم بعثه - (سورة البقرة : آية ٢٥٩ - وقارن الآية ٣٠ من سورة التوبة والآية ٣٥ من سورة مريم) . مبرراً للقول بها ، كما رأوا ذلك في موت هارون ، قال الشهرستاني : " وأما جواز الرجعة فانما وقع لهم من أمرين ، احدهما حديث " عزير " إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني حديث هارون عليه السلام إذ مات في التيه وقد نسبوا موسى إلى قتله ، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم إلى موسى ، واختلفوا في حال موته ، فمنهم من قال : مات وسيرجع ، ومنهم من قال : غاب وسيرجع "(٢). أما ابن حزم فيقول : " صار في سبيل اليهود القائلين بأن ملكصيدق بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح ، والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب ربقا بنت نبوال بن ناخور بن تارح ، على إسحاق ابنه عليه السلام ، وإلياس عليه السلام ، وفنحاس بن العاذار بن هارون عليه السلام ، أحياء إلى اليوم ، وسلك هذا السبيل بعض نوكى الصوفية ، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان إلى اليوم "(٣)

وقد دخل هذا المعتقد البيئة الإسلامية على يد " عبد الله بن سبأ " اليهودي اليمني المتمسلم المعروف " بابن السوداء " والذي يرجع إليه الكثير من الأفكار والمذاهب الغريبة على الإسلام ، والذي يحدثنا عنه النوبختي في

=) الى وجود زعيم روحي أو سياسي ، ذي شخصية قوية تساعده على فرض تقديره واجلاله وحبه في قلوب الأشياع والأتباع ، المجردين عادة من التفكير والإرادة ، فينساق هؤلاء طواعيه نحو ضوئه القوى الوهاج .

١) הדעות על האיסלאם, עמ' 157.

٢) سعد محمد حسن . المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم . ص ٣٨

٣) ابن حزم الظاهري الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل . ج ٤ . طبعة التمدن . القاهرة . بدون تاريخ ص ١٨٠ .

فى كتابه " فرق الشيعة " أنه كان يقول هذه المقالة فى " يوشع بن نون " أيام يهودية ، كما أنه أول من قال بها فى المجتمع الإسلامى ، إذ زعمها بادىء الأمر فى الرسول عليه السلام على طريقة " الدوكتيزم (١) " حيث يقول : " لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله عز وجل ("إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ " - القصص أية : ٨٥) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى" ثم نجده قد تحول فقالها فى علىّ بن أبى طالبٍ ، الذى اختاره ليكون قطباً لرحى أفكاره ، تدور حواليه كل مايدور برأسه من آراء ومعتقدات (٢) ، ثم زاد القول برجعة " على بن أبى طالب " ، ففى أول المائة الثانية للهجرة كان جابر الجعفىّ (وهو أحد الكذابين قال فيه أبو حنيفة : مارأيت أكذب منه) يقول برجعة علىّ بن أبى طالبٍ ، وكان يقول فى قوله تعالى : " وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ " (سورة النمل آية : ٨٢) . إن الدابة هى علىّ بن أبى طالبٍ (٣) .

(ب) أما العامل الثانى فى خلق هذا المعتقد فى البيئة الإسلامية ، فهو إسلامى - منتزع من بيئة الإسلام وله أسابه السياسية والاجتماعية والدينية . وقد كانت الشيعة (٤) هم البادئين باختراعه ، وذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم ،

---

١) Docetism : الاعتقاد فى ان جسد المسيح عيسى بن مريمٍ كان كله روحانياً ، وهو اعتقاد لايحمل أى افتراض بأنه كان له جسد مادى حيث ان المادة أساساً فى نظره شريرة .

٢) הדעות של האסלאם, עמ' 57.

٣) احمد أمين : ضحى الاسلام . ج ٣ . ص ٢٣٧

٤) الشيعة : يقول ابن منظور فى اللسان : الشيعة : القوم الذين يجتمعون على الأمر . وقال الأزهرى : ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين ، قال الله عز وجل : " الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً " (الأنعام : ١٥٩) وتقابل هذه الكلمة شيعة الكلمة العبرية بمعنى كتلة - فرقة . إذاً أصل الشيعة الفرقة من الناس ، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته ، رضوان الله عليهم أجمعين ، حتى صار لهم اسماً خاصاً ، قال الأزهرى : والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبى صلى الله عليه وسلم ويوالونهم . ويعتقد أهل الشيعة بان " عليا " وذريته أحق الناس بالخلافة ، وان أبا بكرٍ وعمرٍ ، وعثمانٍ ، أخذوا حقه ، والخلفاء الأمويون والعباسيون معتدون غاصبون للخلافة ، والواجب على شيعة علىٍّ رد =

حيث حرصوا على استغلال روح الجماهير الفطرية الساذجة المحبة لآل البيت ، وبثوا فيها هذا المعتقد ، كى لايفقد الناس آمالهم فى البيت العلوى ، ولايعدم الخارج من هذا البيت أنصاراً تؤيده بقوة السيف وتعاونه على تحقيق أغراضه ومطامعه (١) .

ولما أتى القرن الثالث الهجرى كان الإمامية يرون أن الأئمة كلهم يرجعون هم وأعداؤهم ، وذلك حين ظهور المهدى ، فيقول الألوسى فى تفسيره : " وتأول جماعة من الإمامية ماورد من الأخبار فى الرجعة على رجوع الدولة والأمور والنهى دون رجوع الأشخاص واحياء الأموات " . ولكن العامة لايفهمون جيداً رجوع المعانى ، انما يفهمون رجوع الأشخاص فوضعت لذلك أخبار المهدى المنتظر بشخصه ووصفه .

ولما كان الشيعة هم الأساتذه الأولون فى هذا الموضوع قلدهم "الأمويون" لما فشلوا وخرج الحكم من بيتهم ، ثم قلدهم العباسيون بشكل أخر فسلموا بالمهدى واستغلوا فكرته ، وادعوا أن المهدى فيهم لا فى شيعة على . وقد استغل قادتهم المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين والدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطيبة الطاهرة ، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ذلك ، وأحكموا أسانيدها وأذاعوها من طرق مختلفة ، فصدقها الجمهور الطيب لبساطته . وقد ذكر هذه الأحاديث الترمذى وأبو داود وابن ماجة وغيرهم ، ولكن البخارى ومسلم لم يرو شيئاً عن أحاديث المهدى ، مما يدل على عدم صحتها عندهما .

والحقيقة ان " المهدية " من الحركات الثورية الهدامة فى التاريخ الاسلامى ، شغلت صحائفه قرونا عديدة بما أوحت من فتن واضطرابات ، وبما اقامت من حكومات وأسقطت من أخرى ، وبما أفسدت من عقول ساذجة ، خدعها بريق الفكرة ولونها الدينى .

=) الحق لصاحبه ، والعمل سراً وجهداً على أن يتولى الأمر أهله . وقد انقسمت الشيعة إلى فرق عدة أهمها الإمامية ، والزيدية .
انظر : ابن منظور : لسان العرب . ج ٤ . ص ٢٣٧٧ .

١) سعد محمد حسن . المهدية فى الإسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم . ص ٤٩

الخاتمة

الخاتمـــــــــة

كان للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية فى منطقة الشرق الأدنى القديم دور كبير فى بعض التغييرات التى حدثت فى المجتمع الإسرائيلى وبصفة خاصة فى عصر الملكية ، وقد أدت هذه التغييرات بدورها إلى ظهور شخصيات لعبت أدواراً مختلفة فى الحياة الإسرائيلية كان أهمها ظهور إلياهو النبى ، ونظراً لما كان للنبوة فى هذا العصر من تأثير كبير فى قيادة المجتمع الإسرائيلى حيث لم يقتصر دور النبى على النواحى الدينية والتبشيرية فقط ، فقد ظهر له دور سياسى واجتماعى إلى جانب دوره الدينى .

وفى هذا العصر - عصر الملكية - وهو العصر الذى دار حوله هذا البحث ، وشهد ظهور إلياهو نجد أنه قد أصبح من السهل أن نلاحظ ظهور التأثيرات الأجنبية فى ديانة يهوه الإسرائيلية وبصفة خاصة التأثيرات الوافدة من كنعان والتى كان لها دورها الفعال فى الفكر الدينى اليهودى ، ومن أهم هذه التأثيرات وضوح فكرة " بعولية يهوه " والتى عبر إلياهو عنها بقوله " التنقل بين معبدى بعل ويهوه " ، وبعبارة أخرى ظهور ازدواجية العبادة فى المجتمع الإسرائيلى . وقد وضح منذ بداية غزو الإسرائيلين لأرض كنعان ميلهم إلى العبادة الكنعانية. وازدادت عبادة بعل تغلغلا فى الديانة الإسرائيلية فى عهد آحاب بصفة خاصة ، وهذا يرجع إلى مالعبته زوجته ايزابل من دور متحيز لهذه العبادة ومساندتها حتى أوشكت أن تتخذ الطابع الرسمى للمملكة ، يدل على ذلك قيام آحاب نفسه ببناء معبد ومذبح فى السامرة للإله ملقارت بعل صور ، وماتبع ذلك من أحداث نتيجة لاصطدام إلياهو بالفكر الأجنبى الوافد ، والذى سبق أن فصلناه فى ثنايا البحث وأمكن فى النهاية أن نخرج ببعض النتائج من أهمها :

أولاً : احساس إلياهو بضرورة أن يكون القضاء على هذه العبادة الوافدة يجب أن يكون فعالا ، ومن أجل ذلك كرس إلياهو حياته لهذه الرسالة، وقد نتج عن ذلك اصطدامه بآحاب وأتباع هذه الديانة ، وقد وضع دور إلياهو

وضوحاً تاماً فى هذه المرحلة وتحددت معالم رسالته فيما أعلنه عن مطلبين :أولهما محاربة عبادة بعل وتثبيت عبادة الرب من ناحيه وثانيهما : التأكيد على ظهور العدالة الاجتماعية التى تتفق مع العدالة الدينية وتعاليم التوراة من ناحية أخرى ، الأمر الذى جعل كثير من الباحثين يعدون إلياهو من أنبياء التطور والتجديد فى مفهوم النبوة عند بنى إسرائيل . وفى سبيل ذلك صاحب إلياهو بعض المعجزات التى سبق أن تحدثنا عنها فى هذا البحث كما انه كان لايتوان عن مواجهة أصحاب العبادات الاجنبية لإظهار فشل مايقومون به من طقوس وثنية وقرابين بهدف جذب انتباه المجتمع الإسرائيلى إلى فساد هذه العبادة .

ثانياً : يمكن القول أيضاً انه نتيجة للمناظرات والمقابلات التىحدثت بين إلياهو وأنبياء بعل والمؤيدين لهذه العبادة الوثنية ان إلياهو لم يكن من الذين يمكن أن نطلق عليهم أنبياء بلاط أو الأنبياء المحترفين ، بل كان صاحب رسالة دينية ودنيوية فى نفس الوقت ، فهو ينشد الوحدانية فى عبادة يهوه واقرار العدل الإلهى كما جاءت به التعاليم الدينية ، ويتضح ذلك بصفة خاصة فى قصة نابوت اليزرعئيلى ، كما انه لم يكن يهاجم أية انحرافات إلا إذا كان لها تأثيرها الأخلاقى،والتىتتنافى مع التعاليم الدينية ، ومن هنا نستنتج أيضاً مفهومه الواسع للديانة ، وانها ليست فقط مجرد تعاليم دينية وإنما هى أيضاً سلوك اجتماعى وأخلاقى،وهذا أيضاً مايجعل الباحثين يؤكدون على تطور مفهوم النبوة فى عهده ، وامتد هذا التطور حتى شمل من جاء بعده من الأنبياء وبصفة خاصة لدى عاموس وأرميا .

ثالثا : من سير الأحداث التى صاحبت إلياهو ودعوته والظروف التى عاشها يمكن الاستنتاج بان شخصيته النبوية هى أقرب الشخصيات إلى شخصية موسى عليه السلام،يوضح ذلك الحلم الذى تراءى له والذى يمكن أن يفسر على انه عودة ببنى إسرائيل إلى ماقبل ظهور العصبيات التى

أدت بدورها إلى الانقسامات التى سادت المجتمع الإسرائيلى فى عصر الملكية ،ودوره هنا هو دور الداعى إلى الوحدة ، وفى سبيل ذلك لم يتوان إلياهو فى اتباع مايمكن أن يوصله إلى هذه النتيجة ، وهو يشبه موسى فى كثير من الأحداث التى صاحبته .

رابعاً : على الرغم من ان مسرح الأحداث الذى عاش فيه إلياهو كان المملكة الشمالية إلا أنه يمكن القول بأن دعوته لم تكن موجهة إلى جزء واحد من جزئى المجتمع الإسرائيلى فكونه قد بدأ فى المملكة الشمالية إلا انه فى نفس الوقت كان ينشد الوحده كما سبق ان ذكرت،والوحدة فى مفهومه بلاشك هى ضم جزئى المجتمع تحت عبادة واحده ، ولهذا لم يتوان أن يندد أيضاً باخطاء مملكة يهوذا انطلاقاً من انه فى دعوته الاصلاحية كان ينشد التوحيد بين المملكتين والعودة بهما إلى ماقبل عصر الانقسام ، ولذا نراه يوجه رسائل إلى يهورام ملك يهوذا محذراً له بما سينزل به من مصائب بسبب خطاياه .

خامساً : يعتبر إلياهو شخصية نبوية فريدة فى بنى إسرائيل ، فقد جمع فى هذه الشخصية بين دور الناسك المتبتل والمقاتل المتحمس والواعظ الدينى الذى ينزل إلى الشعب،بالاضافة إلى نفس ثائرة مستعده للتضحية من أجل عقيدته ، ولذا يعتبر إلياهو رمزاً للغيرة الإلهية ورمزاً للاستقامة واقرار العدل فى الأرض .

سادساً : نظراً لما تتمتع به شخصية إلياهو فى الفكر الدينى الإسرائيلى وماقام به من أدوار فعالة فى تاريخ المملكة الشمالية بصفة خاصة كان لابد ان تثار حوله الأساطير والقصص الشعبى ، وقد تعددت هذه الأساطير وتناولت أدق التفاصيل فى حياة إلياهو حتى رداءه أثيرت حوله القصص وصور فى احتفالات اليهود ، وأصبح لإلياهو نفسه مكانة بارزة فى معظم الطقوس اليهودية ، وأبرز مثال على ذلك كرسيه

الخالى فى اختفالات الختان ، وكأسه فى احتفالات ليلة الفصح وترك الباب مفتوحاً له انتظارا لقدومه ومشاركته فى احتفالاتهم، وان كان الأدب الشعبى اليهودى بمرور الوقت لم يحافظ على الخط الذى رسمه العهد القديم لإلياهو ، بل خلق له نموذجاً جديداً ومبتكراً لايربطه بإلياهو العهد القديم سوى الاسم ، وهكذا نجد - إلياهو جديد يختلف تماماً فى طباعه ومظهره وخصاله ورؤيته عن إلياهو كما يصوره العهد القديم .

سابعاً : نحن نعلم ان القرآن الكريم قد أورد سيرة كثير من الأنبياء الذين سبقوا الدعوة الإسلامية منهم من ذكرهم صراحة وفصل دعوتهم وحياتهم ومنهم من أشار إليهم فقط إشارة عابرة ، وقد قام المفسرون والشراح بمحاولة تفسير لسيرة بعض الأنبياء الذين ورد ذكرهم اجمالاً فى القرآن الكريم وقابلوا بينهم وبين بعض الأنبياء اللذين ورد ذكرهم فى العهد القديم ، وكان هناك شبه إجماع على ان الشخصية النبوية التى تقابل إلياهو العهد القديم هى شخصية النبى إلياس عليه السلام والذى ورد ذكره فى سورتى الصافات والأنعام معتمدين فى ذلك على ظواهر تجمع بين الشخصيتين، ليس هناك مايحول دينياً بين تصديق ماوصل إليه هؤلاء الشراح .

أما عن تطور شخصية إلياهو فى التراث والفولكلور اليهودى وربط هذه الشخصية بهذا المفهوم الوارد فى التراث والفولكلور بشخصية الخضر عليه السلام فاعتقد إن ذلك مايزال فى حاجة إلى مزيد من البحث والتحقيق .

المراجـــــع

المراجع العربيـــة :

١ - القـــرآن الكريم .

٢ - الكتاب المقدس .

٣ - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية . مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الرابعة سنة ١٩٧١ .

٤ - إبراهيم مطـر : الأنبيـاء والنبوة . مكتبة المشعل - بيروت سنة ١٩٥٨ .

٥ - ابن حزم الظاهرى الأندلسى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ومعه الملـــل والنحل للـشهرستانى . ج ١ . مكتبة ومطبعة محمد على صبيـح وأولاده . القاهرة سنة ١٩٦٤ .

٦ - ابن كثيـــــر : قصص الأنبيـاء . تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز . ج ١ ، ج ٢ . دار الحديث . القاهرة سنة ١٩٨١ .

٧ - ابن كثـــــير : البداية والنهاية . منشورات مكتبة المعارف . بيروت . ج١ الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١ .

٨ - ابن كثـــــير : تفسير القرآن الكريم . ج ٣ ، ج ٤ . مكتبة التراث الإسلامـــى حلب سنة ١٩٨٠ .

٩ - ابى اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم النيسابورى المعروف بالثعلبى : قصـــــص الأنبيـاء المسمى عرائس المجالس . المكتبة الثقافية . بيروت بدون تاريخ .

١٠- أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمـــــــد أبو الفضل إبراهيم ج ١ . الطبعة الرابعة . دار المعـــارف . القاهرة سنة ١٩٧٩ .

١١- أحمد أميـــــن : ضحى الإسلام . ج ٣ . الطبعة العاشرة . دار الكتاب العربى . بيروت . بدون تاريخ .

١٢- أحمد حجازى السقا : التوراة السامرية . مكتبة دار الأنصار . القاهرة سنة ١٩٧٨ .

١٣- أحمد سوسه : حضارة وادى الرافدين بين الساميين والسومريين . دار التحرير للطباعة . بغداد . سنة ١٩٨٠

١٤- أحمد شلبى: اليهودية . مقارنة الاديان . مكتبة النهضة . القاهرة . سنة ١٩٧٨

١٥- أحمد عبد الحميد يوسف : مصر فى القرآن والسنة . سلسلة اقرأ (٣٧٣) . دار المعارف . مصر سنة ١٩٧٣ .

١٦- أحمد على مرسى، فاروق محمد جودى : الفولكلور والإسرائيليات . دار المعارف مصر سنة ١٩٧٧ .

١٧- الأب ديلى: تاريخ شعب العهد القديم . تعريب جرجس ماردينى . المطبعة الكاثوليكية . بيروت سنة ١٩٦١.

١٨- الامام الفخر الرازى محمد فخر الدين : مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير . القاهرة . بدون تاريخ .

١٩- ألفت محمد جلال : الأدب العبرى القديم والوسيط ،مطبعة جامعة عين شمس . القاهرة سنة ١٩٧٨ .

٢٠- ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود كما يصورها العهد القديم . مكتبة سعيد رأفت . القاهرة سنة ١٩٧٤.

٢١- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . مطابع الأهرام التجارية . القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٢٢- أ.ن. بولاك :إسرائيل أمة وتاريخها . عربه رسمى بيادسه . أعده وحرر فصوله الأخيرة إلياهو أغاسى . دار النشر العربى . تل أبيب سنة ١٩٧١.

٢٣- باروخ سبينوزا :رسالة فى اللاهوت والسياسة . ترجمة وتقديم حسن حنفى. مراجعة فؤاد زكريا . الهيئة العامة للكتاب . القاهرة . سنة ١٩٧١ .

٢٤- جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ،جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى : تفسير الجلالين . دار الشعب . سنة الايداع ١٩٧٠ .

٢٥- جيمس فريـــزر : الفولكلور فى العهد القديم . ترجمة د. نبيلة إبراهيم . مراجعة د. حسن ظاظا . الهيئة المصرية العامة للكتـــاب . القاهرة سنة ١٩٧٤ .

٢٦- جيمس هنرى برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى .ترجمة د. حسن كمال . القاهرة . سنة ١٩٢٩ .

٢٧- حامدعبد القادر : الأمم السامية . مصادر تاريخها وحضارتها . مراجعـــــة وتعليق عونى عبد الرؤوف . دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة سنة ١٩٨١.

٢٨- حسـن ظاظـــا : الساميون ولغاتهم . دار المعارف . الاسكندرية سنة ١٩٧١ .

٢٩- حسـن ظاظـــا : الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه . قسم البحـــوث والدراسات الفلسطينية . القاهرة سنة ١٩٧٥.

٣٠- حسنى يوسف الأطير: على هامش الحوار بين القرآن واليهود . دار الأنصـــار. القاهرة سنة ١٩٨٤ .

٣١- د. دورســـون : نظريات الفولكلور المعاصرة . ترجمة وتقديم د. محمـــد الجوهرى . و د. حسن الشامى . مكتبة التراث الشعبى. دار الكتب الجامعية . القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٣٢- رشاد الشـامى : تطور وخصائص اللغة العبرية . مكتبة سعيد رأفت . القاهرة سنة ١٩٧٨ .

٣٣- رمزى إســحاق : علم النفس الفردى . أصوله وتطبيقه . دار المعـــارف . القاهرة سنة ١٩٨١ .

٣٤- رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى . مكتبة الخانجى . القاهرة سنة ١٩٨٢ .

٣٥- زكى شـــنوده : المجتمع اليهودى . القاهرة . مكتبة الخانجى .بدون تاريخ

٣٦- سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة . ترجمه وزاد عليه: السـيد يعقوب بكر . راجعه محمد القصاص . دار الكتاب العربـــى للطباعة والنشر . القاهرة سنة ١٩٥٧.

٣٧- سعد محمد حسن: المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم . دار الكتاب العربى مصر سنة ١٩٥٣.

٣٨- سمعان كلهون: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين . المطبعة الأمريكانية . بيروت سنة ١٩٣٧.

٣٩- شيلدون كاشدان: علم النفس الشواذ . ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة . مراجعة محمد عثمان نجاتى . دار الشروق . بيروت سنة ١٩٨٤ .

٤٠- طوبيا العنيسى :تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية . دار الغرب القاهرة سنة ١٩٦٥ .

٤١- عباس محمود العقاد: الله . الطبعة الثامنة . دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٨٠.

٤٢- عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . المؤتمر الإسلامى دار القلم . القاهرة . سنة ١٩٦٢.

٤٣- عبد الرازق أحمد قنديل : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى. مركز بحوث الشرق الاوسط . القاهرة سنة ١٩٨٤.

٤٤- عبد الرحمن بدوى: شطحات الصوفية . ج ١ . وكالة المطبوعات . الكويت سنة ١٩٧٨.

٤٥- عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم . ج ١ . مصر والعراق . مكتبة الأنجلو . القاهرة سنة ١٩٨٢.

٤٦- عصام الدين حفنى ناصف : الأسطورة والوعى . دار العالم الجديد. القاهرة سنة ١٩٧٦.

٤٧- ف . ب . ماير ؛ حياة إيليا . ترجمة مرقس داود . طبعة ثالثة . القاهرة سنة ١٩٨٠.

٤٨- فؤاد حسنين على: اليهودية واليهودية المسيحية . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة سنة ١٩٦٨.

٤٩- محمد الجوهرى :علم الفولكلور . دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافية . دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٧٨ .

٥٠- محمد بحر عبد المجيد: اليهودية . مكتبة سعيد رأفت . القاهرة . سنة ١٩٧٨.

٥١- محمد بن محمد أبوشهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . سلسلة البحوث الإسلامية . القاهرة سنة ١٩٨٤.

٥٢- محمد عبد القادر: الساميون فى العصور القديمة . دار النهضة العربية . القاهرة سنة ١٩٦٨.

٥٣- محمد على الصابونى : صفوة التفاسير . المجلد الثانى . دار القرآن الكريم . بيروت سنة ١٩٨١.

٥٤- محمد متولى الشعراوى : معجزة القرآن . ج ٣ . كتاب اليوم . القاهرة . سنة ١٩٨١ .

٥٥- محمد محمود جمعة : النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية . مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .

٥٦- مرجريت مارى : مصر ومجدها الغابر . ترجمة محرم كمال ومراجعة نجيب ميخائيل . لجنة البيان العربى . سنة ١٩٥٧.

٥٧- م . ص . سيجال: حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل . ترجمه من العبرية وعلق عليه د. حسن ظاظا . منشورات جامعة بيروت العربية بدون تاريخ .

٥٨- منسى يوحنا : حلول مشاكل الكتاب المقدس . القاهرة سنة ١٩٨٢.

٥٩- موسى بن ميمون: دلالة الحائرين . تحقيق حسين آتاى . جامعة انقره . تركيا سنة ١٩٧٤ .

٦٠- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم . ج ٢ . ج ٢ . الاسكندرية سنة ١٩٦٢ . ج ٣ القاهرة سنة ١٩٦٦ .

٦١- ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الثانى من المجلد الأول الشرق الأدنى . ترجمة محمد بدران . لجنة التأليف والترجمة والنشر. الادارة الثقافية . جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٤.

دوائر المعارف والمعاجم العربية :

١- ابن منظور : لسان العرب . جـ ٦ . دار المعارف . القاهرة . بدون تاريخ .

٢- احمد عطية الله : القاموس الاسلامى : المجلد الأول . مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة ١٩٦٣.

٣ - دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الرابع (٢٥) . دار الشعب . القاهرة . بدون تاريخ .

٤ - عبد الوهاب محمد المسيرى بالاشتراك مع سوسن حسن : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . سنة ١٩٧٤.

٥ - محمد الجوهرى وحسن الشامى : قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٧٢ .

٦ - محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩ .

٧ - قاموس الكتاب المقدس . من منشورات مكتبة المشعل . بيروت سنة ١٩٨١ .

المجلات والدوريات العلمية :

١ - عبد الرازق أحمد قنديل : زواج الأرملة فى التشريع اليهودى وتقاليد الشرق الأدنى القديم . مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثانى سنة ١٩٨٤ .

٢ - مجلة عالم الفكر: القرآن والسيرة النبوية . المجلد الثانى عشر. الكويت سنة ١٩٨٢.

٣ - محمد أحمد خلف الله : مفاهيم قرآنية . سلسلة عالم المعرفة . العدد ٧٩ الكويت سنة ١٩٧٤ .

٤ - محمد حسن خليفة : التاريخ العبرى القديم . رؤية عامة . حوليات كلية الآداب . جامعة القاهرة . سنة ١٩٨١ .

٥ - محمد حسن خليفة : خصائص الديانة اليهودية فى ضوء مقارنتها بالديانة السامية القديمة . حوليات كلية الآداب . جامعة القاهرة . سنة ١٩٨١ .

٦ - موريس جنز بورج : علم الاجتماع . ترجمة . د. فؤاد زكريا . مراجعة د. مهدى علام . سلسلة الألفى كتاب . دار سعيد للطبع والنشر القاهرة . بدون تاريخ .

* * *

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

المراجع العبرية :

1- אברהם מלמט, נצני נבואה בתעודות מארי, ארץ ישראל", כרך ד', ירושלים, 1956.

2- אברהם מלמט, ח, תדמור. מ.שטרן, ש.ספראי; ח.ה.בן שושן; ש.אטינגר, תולדות עם ישראל, כרך ראשון, הוצאת דביר תל אביב 1969.

3- אחד העם, כל כתבי אחד העם, דביר תל אביב 1943.

4- אברהם משה נפתל, התלמוד ויוצריו, כרך א, ב, הוצאת יבנה בע"מ תל אביב 1976.

5- אוריאל סימון; מנשה גושן; גוטשט"ין, עיון מקרא ופרשנות הוצאת אונברסיטת ברלין, נדפס בישראל בירושלים 1980.

6- ב.בן יהודה, הנבואה בישראל, מוסד עם ישראל ומורשתו סדרת ספרים על פי האנציקלופדיה העברית, ישראל 1974.

7- בנימין מזר; אלכסנדר פלאי; אברהם מלמט; ישראל אפעל, היסטוריה של עם ישראל. סדרה א', תקופת המקרא, עם עובד 1982.

8- בנימין מזר; אפרים א.אורבך, טיפוסי מנהיגים בתקופת המקרא, האקדמיה הלאומית הישראלית למדעים, ירושלים 1973.

9- בנימין אופנהיימר, הנבואה הקדומה בישראל, הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס, ירושלים 1984.

10- בן ציון דינור, מסכת אבות, מפורשת ומבוארת בצידוק מבוא מאת בן ציון דינר, מוסד ביאליק, ירושלים 1978.

11- דב ירדן, פשט ודרש במטבעות לשון, לשוננו לעם, ת"א 1949.

12- דוד בן גוריון, עיונים בתנ"ך, עם תל אביב 1976.

13- דבורה והרב מנחם הכוהן, חגים ומועדים, חג הפסח- חג השבועות, בית הוצאת כתר ירושלים 1978.

14- הלל פרחי, הגדה של פסח כפי מנהג ק"ק ספרדים, הוצאת המזרח, מצרים 1922.

15. הרב י. מ. לאו, יהדות הלכה למעשה, דברים שבעל פה, כת־
בו וערך שאול מ"זל"ש. גבעתים רמת גן, ישראל 1976.
16. ו. פ. אולברי"ט, הארכיאולוגיה של ארץ ישראל, תל אביב 1951.
17. זאב וילנאי, אגדות ארץ ישראל, אגדות, מסורות, מימרות
קדמות וחדשות, חלק ב', קרית ספר, ירושלים, 1981.
18. ז. ו" סמן, סיפור ההתגלות בחורב, בת מקרא יא ירושלים 1966.
19. חזקאל קויפמן, תולדות האמונה הישראלית מימי קדם עד
סוף בית שני, מוסד ביאליק, דביר ירושלים 1976.
20. חנוך אלבק, ששה סדרי משנה, סדר קדשים, ירושלים 1956.
21. ח. נ. ביאליק וי. "חובנ'צק', ספר האגדות, מבחר האגדות
שבתלמוד ובמדרשים סדורות לפי הענינים המפורשים על־
ידי ח"נ ביאליק וי. "חרבנ'צק', דביר ת"א 1973.
22. י. א. זליגמן, ארץ ישראל, כרך ג', ירושלים 1944.
23. יהודה הלוי, ספר הכוזרי, תרגום מאת יהודה ב"ר שמואל
אבן שמואל, דביר תל אביב 1973.
24. יוסף דן, הסיפור העברי בימי הביניים, עיונים בתולדותיו,
בית הוצאת כתר, ירושלים 1974.
25. י"ל. ברוך, "ספר השבת", פרשת השבת, ערכה, גיליה
והשפעתה בח" עם ישראל ובספרותו מימי קדם ועד היום
הזה, דביר תל אביב 1977.
26. י"ל. ברוך, "ספר המועדים - פסח", כרך ב', דביר ת"א 1977.
27. יצחק יהודה גולדציהר, הרצאות על האיסלאם, ספרי מו־
פת מספרות העולם בעריכתו הכללית של מ. בובר, תרגם־
י. ריבלין, מוסד ביאליק ירושלים 1978.
28. ישראל אפעל, היסטוריה של עם ישראל, סדרה ראשונה מר־
שית עד מוד בר כוכבא ימי המלוכה, ישראל 1982.
29. ישראל כהן, אישים מן המקרא, ישראל 1964.

30. לוי גינצבורג, אגדות היהודים, כרך ג', תרגם וערך הרב מרדכי הכהן, הוצאת מסדה, רמת גן, ישראל 1975.
31. מאיר גרוזוולד, מחקרי לחקר הפולקלור סיפורי עם רומאנסות ואורחות-חיים של יהודי ספרד טקסטים ומחקרים בעריכת דב נוי. הוצאת ספרים ירושלים 1982.
32. מ. וייס, תמונה וקול בפרקי מראות הנבואה, דברי הקונגרס העולמי השישי למדעי היהדות, א', ירושלים 1977.
33. מנשה דובשני, הרמב"ם חייו ומשנתו הוצאת דביר, ישראל 1955.
34. מנשה דובשני, עיקרי הנבואה, שעורים בנביאים אחרונים כרך א', הוצאת יבנה, תל אביב 1975.
35. מנשה דובשני, מבוא כללי למקרא, הוצאת ספרים, ישראל 1978.
36. מנשה דובשני, יהושוע אורנשטיין, נביאים ומנהיגים במקרא", הוצאת יבנה, תל אביב 1978.
37. מ.צ. סגל, מבוא המקרא, ס' ראשון, קרית ספר, ירושלים 1977.
38. מרדכי מרטין בובר, תורת הנביאים, דפוס אופק, ת"א 1975.
39. מרדכי מרטין בובר, דרכו של מקרא, מוסד ביאליק, ירושלים 1964.
40. משה שמיר, מלכי ישראל מפילוג עד גלות, עורך הסדרה: יצחק גוטוטר - ארכיאולוגיה-גבריאל ברקאי, ת"א 1977.
41. נ.ה. אהרמן, חגי ישראל ומועדיו, כתר, ירושלים 1959.
42. נ.ה. טור סיני, "הלשון והספר, בעיות יסוד במדע הלשון ובמקורותיה הספרותיים, חלק א', מוסד ביאליק, ירושלים 1956.
43. נ.ה. טורטשינר, פשוטו של מקרא, כרך ב', ירושלים 1965.
44. עליזה שנהר, חיה בר-יצחק, סיפור-עם מבית שאן, הוצאת אוניברסיטת-חיפה, 1981.
45. עמוס חכם, עינים בספר ירמיה, חלק ב', דברי העיון בתנ"ך בבית נשיא המדינה זלמן שזר, ירושלים 1972.
46. צבי גרץ, דברי ימי ישראל, כרך א', תרגום: ש.ל. צייטלין, הוצאת יזרעאל, תל אביב 1955.

47. צב' אדר, הערכים החינוכיים של התנ"ך, תל אביב 1944.
48. צב' אדר, השקפת העולם של התנ"ך, מבחר מאמרים של כמה מחוקרי התנ"ך באירופה ובאמריקה במאה העשרים...
א.י. השל, הנביא הישראלי ועמדתו כלפי אלהים והעם. הוצאת מסדה, רמת גן תל אביב 1971.
49. קאסוטו, שירת העלילה בישראל, ספרות מקראית וספרות כנענית, ירושלים 1972.
50. רבי יוסף קרא, פירוש רבי יוסף קרא לנביאים ראשונים, הוצאת מוסד הרב קוק, ירושלים 1972.
51. ר.וים, שלוש הערות לנוסח המקרא, הצב' ישראל ערכו י. ליכט וג' ברין, תל אביב 1976.
52. ש.ל. גרדון, נביאים ראשונים עם באור חדש וציורים רבים, ספר מלכים א'. ב', תל אביב 1947.
53. שלום ברון, היסטוריה חברותית ודתית של עם ישראל, ימי קדם. תרגם ד"ר י. גרינץ, מסדה רמת גן ישראל 1968.
54. שמעון דובנוב, דברי ימי עם עולם, תולדות עם ישראל- מימי קדם עד דור אחרון, כרך א', ב', דביר תל אביב 1958.
תורה נביאים וכתובים מדוק ה'טב. לונדון 1966

المجلات والدوريات العلمية العبرية :

1. תעודה, קובץ מחקרים של ב"ה"ס למדעי היהדות ע"ש חיים רוזנברג (ב). עיונים במקרא, ספר זכרון ליהושע מאיר גרינץ. העורך: בנימין אופנהיימר. אוניברסיטת תל-אביב, הוצאת הקבוץ המאוחד, 1982.
2. תרביץ, רבעון למדעי היהדות. האוניברסיטה העברית שנה נב. חוברת ג'. ניסן-סיון. 1982.
המערכת יוסף דן, משה דוד הר, מנחם הרן. מזכיר המערכת: אביגדור ענאן. מאמר: יאיר זקוביץ, קול דממה דקה.

دوائر المعارف العبرية :

والمعاجم العبرية

1- אברהם אבן שושן, המלון העברי המרוכז, ירושלים, תשמ"ד.
2- אוצר ישראל, אנציקלופדיה, מהד' ג', לונדון 1935.
3- אוצר לשון המשנה, ספר המתאימות-קונקורדנציה ל-ששה סדרי משנה, כרך א', חברו חיים יהושע קאסאווס-ק', הוצאת מסדה בע"מ, ירושלים 1956.
4- אנציקלופדיה מקראית, אוצר הידיעות על המקרא - ותקופתו, הוצאת מוסד ביאליק, הדפסה ה', ירושלים 1978.
5- אנציקלופדיה מאיר נתיב, להליכות, מנהגים, דברי מוסר ומעשים טובים, מאת שלמה זלמן אריאל, ישראל 1960.
6- אנציקלופדיה עברית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, בע"מ ירושלים.
7- אנציקלופדיה של הווי ומסורת ביהדות, כרך ראשון אוצר ידיעות על ערכי-יסוד, הליכות חיים, מאת ד"ר יום-טוב לוינסקי, נדפס בדפוס אל תל אביב, ישראל 1975.
8- לכסיקון מקראי, אנציקלופדיה, דביר תל אביב 1976.
9- ראובן אלקלעי, לקסיקון לועזי-עברי חדש, מסדה רמת גן, ישראל 1976.

المراجع الاجنبيـــــة :

1- Abraham, E. Millgram: Jewish Warship . Jew Publication Society of America, Second Editon 1955.

2- ADolphe Lods: Historie De la Litterature Hebraique et Juive. Payot, Paris, 1950.

3- Aharon Wiener: The Prophet Elijah in the Development of Judaism. London, 1980.

4- Aryeh Rubinstein: Hasidism. Keter Publishing House. Jerusalem. L.T.D. 1975.

5- Alexander Whyte: Bible Characters Vol. One·Old Testament London. 1976.

6- Cecil Roth: A History of the Jews: from Earliest Times through the Six Day War.Revised Edition. N.Y.1970.

7- C.F. Burney: Notes on the Hebrew Text of the Book of Kings. Oxford, 1903.

8- E.W. Heaton: The old testament prophets, Penguim Books, 1964.

9- George foot Moor: History of Religions, V.I., N.Y.,1971.

10- George, L. Robinson: Leaders of Israel Association Press, New York, 1920.

11- H. Henry Halley: Halley's BiBle Handbook,
Zondervan publishing House, U.S.A., 1965.

12- Herbert Lockyer: All the Men of the Bible ,U.S.A., 1967.

13- " " : All the Women of the the Bible U.S.A.1967.

14- J.H.Hertz : The pentateuch and Haftorahs. Hebrew Text and translation. Soncino press, London, 1958.

15- Julius A. Bewer: The Literature of the old Testament. Columbia Univ. Press. N.Y. 1962.

16- Leo W. Schwarz: The Jewish Caravan: Great Stories of twenty five centuries, N.Y., 1935

17) Martin Noth: The History of Israel
Redwood Press, Limited, trowbridge , London,
2 ed , 1960.

18- O.Eissfeldt : The Smallest Literary Unit in the Narrative Book of the O.T. in old Testament Essays. Edited by D.C. Simpson London, 1927.

19- Robert H. Pfeiffer: Introduction to the old testament
Herber Pub., N.Y. 1941.

20- Ricciotti, S.: The History of Israel , Vol.1 U.S.A.,1955.

21- Sabatino Moscati: The Fare of the Ancient orient a panorama of Near Eastern Civilization in Prechlassical Times. Doubleday Co., N.Y.,1962.

22- Salo W. Baron: A Social and Religious History of the Jews. Jewish pub, Society and N.Y.Columbia University press, 1960.

23- Simon Dubnow: Nationalism and History. Essays on old and New Judaism. A Temple Book. Artheneum. New York., 1970.

24- S.R. DRiver: In introduction to the Literature of Old Testament England , 1929.

25- W. Robertson Nicol: The Expositor's Bible, W.M.B. Erdman Publ. Company Michgan, 1956.

دوائر المعارف الاجنبية :

1- Encyclopedia Americana.Vol. 10; International Edition Americana Corporation, Manufactured in the U.S.A , 1980.

2- Encyclopaedia of Religion and Ethics; Edited by James Hastings, V.5 Last Impression, N.Y.,1974.

3- Judaica Encyclopaedia; Keter publishing house: Jerusolem Ltd., 1972.

4- The Universal Jewish Encyclopedia, Vol. 4. Ktav Publishing House, Inc., Edited by Isaac, N.Y. 1969.

5- William Smith: The New Smith's Bible Dictionary. Doubleday, Company, inc. N.Y. 1966.